ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵡⵉⵙⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵔⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵜⵉⵏⵙⴰⵏⵉⵏ
ⵙ ⴼⴰⵙ - ⵀ.ⵙ

Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Saïs -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"

تكوين الدكتوراه : "التاريخ والتراث"

مختبر : البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية

محور : التاريخ

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع:

منطقة الرتب بتافيلالت منذ بداية العصر الحديث إلى نهاية عهد الحماية الفرنسة: دراسة جوانب من تحولات المجتمع، والانتاج، والعمران.

إعداد الطالب الباحث:

عثمان لمراني علوي

رقم التسجيل 224CED/14

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد المالك ناصري

تاريخ المناقشة 01 أبريل 2021م

لجنة المناقشة

الدكتور الحاج موسى عوني (كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس) .....رئيسا

الدكتور لحسن تاوشيخت (المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث – الرباط).....عضوا

الدكتور حميد تيتاو (الكلية المتعددة التخصصات– تازة).....عضوا

الدكتور عبد المالك ناصري (الكلية المتعددة التخصصات– تازة).....مشرفا ومقررا

السنة الجامعية:

2019 – 2020م

1440 – 1441هـ

إهـــــــــــداء

أهدي ثمرة هذا البحث إلى اللذين أعطوا وما بخلوا، وصبروا وما أظهروا شكوى أو تعبوا، إلى مدرستي وقدوتي في الحياة والدي الحبيب، إلى أمي الغالية رمز العطاء، وملجئي الدائم لطلب الدعاء، إلى التي كانت السند والعون طيلة أعوام، ومن حملت معي هم هذا البحث على الدوام. إلى قرتي عيني محمد وأروى، اللذين هونا عليا بابتسامتهما بعض لحظات الضيق والتعب والملل، إلى كل أفراد عائلتي وأساتذتي وأصدقائي، وكل من ساندي وقدم لي يد العون إلى زملائي في العمل وإلى عموم ساكنة منطقة الرتب/ أوفوس.

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الموفق لكل خير

أود في البداية أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، إلى من رعى هذا البحث وواكبه عن كثب، وما بخل بنصحه الدائم وتوجيهه العلمي الدقيق، وضحى بأثمن أوقاته وأيام عطله لتيسير لقائتنا الدورية والمتواصلة معه شهريا تقريبا فجزاه الله عنا أفضل الجزاء، والشكر موصول إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة وكذا أساتذة كلية الآداب فاس سايس وتازة خصوصا في شعبة التاريخ والذين كانوا رمزا للسخاء والعطاء وعنونا لخدمة العلم وأهله، إلى كافة أساتذة مختبر البحث في العلاقات المغربية المتوسطية، ومركز دراسات الدكتوراه" اللغات والتراث والتهيئة المجالية" أصدقائي الذين تقاسمت وإياهم مواضيع البحث قبل طبعه، فكانوا المساعد والداعم والمحفز في لحظات اليأس والتعب، إلى كثير من أبناء وشيوخ قصور الرتب/ أوفوس الذين غمرونا بجميل كرمهم، وقدموا لنا بكل حماس ما بأيديهم من وثائق، وما يعرفونه عن مجالهم من معلومات، إلى مصالح الدولة الادارية المختلفة المحلية. والإقليمية وموظفيها، إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذ البحث.



لائحة الاختزالات والاختصارات المستعملة في البحث

1ـ باللغة العربية:		2 ـ باللغة الفرنسية	
ـ ص.	صفحة.	-A.D.N.	Archives Diplomatique de Nantes.
ـ ص ص.	صفحات.	-B.C.A.F.	Bulletin du Comité de l'Afrique Francaise.
ـ ج.	جزء.	-D.A.I.	Direction des Affaires Indigènes.
ـ ط.	طبعة.	-N.	Numéro.
ـ ج ر.	الجريدة الرسمية.	-p.	Page.
ـ ع.	العدد.	-T.	Tom.
ـ م.	ميلادية.	-Vol.	Volume.
ـ هـ.	هجرية.	-H.	Hésperis.
ـ م خ ح.	مخطوط الخزانة الحسنية.	-H.T	Hésperis. Tamuda.
م م و.	مخطـوط المكتبـة الوطنيـة للمملكة المغربية بالرباط.		
ـ م د ب ع ر.	مركـز الدراسـات والبحـوث العلوية بالريصاني.		
ـ ت.	توفي.		
ـ د ت ط.	دون تاريخ الطبع.		
ـ د م ط.	دون مكان الطبع.		

مقدمة :

قبل بروز المدن واستقطابها لمختلف الأنشطة الإنسانية، وهيمنة نخبتها على القرار السياسي، والحياة الاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية، كانت الأرياف والبوادي ومجالاتها هي من تساهم أكثر من غيرها في توجيه وصناعة التاريخ والأحداث المختلفة، بل وتهمين على الحركة الإنتاجية، وظل دورها قائما ومركزيا في التأثير على سياسية الدول والإمبراطوريات حتى بعد تصاعد أهمية المدن، كما كان تأثيرها واضحا في طبيعة الاستقرار البشري ومكوناته، خاصة في عصر كان فيه للعصبية القبلية الباع الطويل في بناء الدول أو هدمها.

هذا الأمر جعل معظم الدول التي تعاقبت على حكم المغرب ترجع في مهدها وانطلاقها إلى تلك المجالات، رغم اختلاف الأسس التي قامت عليها، بين العصبية القبلية كما عند الدولة المرابطية، التي تأسست معتمدة على العصبية الصنهاجية، والدولة الموحدية المستندة إلى العصبية المصمودية، ثم الدولة المرينية ذات الأصول الزناتية، أو الاعتماد على النسب الشريف، الذي شكل الركيزة الأساس في قيام الدولتين السعدية والعلوية، لكن أهم ما ميز هاتين الدولتين الأخيرتين هو انطلاقهما من مجال الواحات الصحراوية للمغرب، مستندتين في ذلك أولا إلى انتمائهما للبيت النبوي الشريف، الذي كان محط تقدير واحترام من قبل ساكنة الواحات الدرعية والفيلالية، وثانيا لما كانت توفره هذه الأخيرة من إمكانيات اقتصادية واستراتيجية، رغم وقوعها على مشارف التخوم الصحراوية. الأمر الذي سيجعل هذه الواحات ومنذ القرن 9هـ /15م تعرف عددا من التحولات السياسية والاقتصادية والبشرية والعمرانية والثقافية وغيرها، خصوصا في الفترة العلوية، مع توالي الأحداث وتسارعها. وهنا ستبرز منطقة تافيلالت بواحاتها المتعددة لتتصدر المشهد بمختلف تطوراته.

انطلاقا من كل هذا يأتي اختيارنا لموضوع «**منطقة الرَّتْبْ بتافيلالت، من بداية العصر الحديث إلى نهاية عهد الحماية الفرنسية: دراسة جوانب من تحولات المجتمع، والإنتاج، والعمران**» باعتبارها إحدى الواحات السجلماسية ـ الفيلالية التي استوطنها الإنسان منذ القدم، بحكم أهمية موقعها ضمن محاور عبور القوافل التجارية، خاصة في الفترتين الوسيطية والحديثة، وتوفرها على بعض المقومات الطبيعية والخصوصيات الطبوغرافية التي ساعدت على الاستقرار البشري بها.

تنتمي واحة الرتب موضوع دراستنا إلى منطقة زيز الأوسط، أحد المكونات الأساسية لواحات تافيلالت الكبرى وريثة سجلماسة التاريخية، التي اشتهرت في تاريخ المغرب والعالم بكونها أحد أهم الممرات الاستراتيجية للتجارة الصحراوية، ومهدا لأولى الإمارات المستقلة التي تأسست بعيد الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي على يد الخوارج الصفرية، كما كانت محور استهداف من قبل عدد من الدول الناشئة، وكثير من القوى والقبائل. باعتبار السيطرة على هذا الشريط الواحي الذي يتبع وادي زيز– المشتمل على واحة الرتب– يشكل عنصرا مهما للتحكم في التجارة، وحركية القبائل بالمجال. إضافة إلى ذلك يمكن القول إن مجال الرتب بأحداثه التاريخية المتوالية، وعبر فترات طويلة من الزحف والتدافع والصراعات القبلية وما تلاها من احتلال أجنبي، شكل بحق منطقة أنتجت واحة ذات خصوصيات فريدة ومتفردة، نظرا لما عرفه المجال من خلخلة متواصلة لبنياته الاجتماعية، ومنظومته الثقافية خلال القرون الأخيرة، والتي لا زال صداها واضحا في التركيبة العرقية والحياة الاقتصادية والاجتماعية إلى حدود الفترة الراهنة، كما تتجسد خصوصياتها أيضا في استمرار خلافاتها وصراعاتها والتي ما تفتأ تظهر بين الفينة والأخرى، وإن تراجعت حدتها واختلفت طبيعتها ووسائلها. مما جعل المنطقة تضم أعراقا متنوعة ومختلفة، رغم الحيز الجغرافي الضيق الذي تشغله، إلى درجة يمكن القول معه؛ إن منطقة الرتب من المناطق التي تعطينا صورة مصغرة عن مكونات المجتمع المغربي، فضلا عن تجسيدها لفكرة التعايش الذي استطاع توالي الزمن

والصراعات والتحركات المتعددة وما خلفته أن تفرضه، وتجعل منه ميزة وخاصية للمنطقة، وجعل تلك المكونات تنجح في إبراز قدرتها على الانصهار والاندماج وتجاوز أحداث الماضي.

لكن ما أثار انتباهنا ودفعنا لاقتحام غمار البحث في هذا الموضوع بشكل أكبر، هو الغياب شبه التام لذكر منطقة الرتب في معظم المصادر التاريخية القديمة والوسيطية. بحيث إن جل المؤرخين والرحالة والباحثين يضعونها ضمن التعميم الذي يشمل منطقة تافيلالت الكبرى أو سجلماسة سابقا. أي أنهم يضعون الرتب ضمن ما يسميه البعض بتافيلالت الكبرى. مما يجعل كثيرا من الخصوصيات والتناقضات والتباينات التي تحدث داخل هذا المجال تغيب ويصعب رصدها. لكن هؤلاء الباحثين وإن عمموا في معظم بحوثهم باسم تافيلالت أو سجلماسة، كما أشرنا، إلا أن هذا الإقليم كان يضم في الحقيقة قرى وقصورا وجماعات تعيش داخل هذا المجال أحيانا بشكل شبه مستقل، كما يعرف تطورات مختلفة ذات خصوصيات متفردة، دون إنكار تَأَثُّرِهَا وتَأْثِيرها في باقي المجالات المجاورة بل وحتى البعيدة.

ولعل إغفال الباحثين التركيز على منطقة الرتب لا يرجع لضعف أهميتها؛ أو محدودية الأدوار التي ساهمت بها، بقدر ما يرجع إلى تموقعها بين منطقتين أساسيتين هما مدغرة شمالا وتافيلالت الصغرى جنوبا، واللتان تمكنتا إلى درجة معينة من حجب الأنظار عن المنطقة، خصوصا في ما تعلق بالجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية، التي بتتبعها والبحث فيها يظهر لنا ما كان للرتب من حضور قوي في كثير من الأحداث التي ارتبطت بتاريخ الدولة العلوية أو حتى إبان الفترة الاستعمارية، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة التخصصية التي تمكن من ضبط التطورات الدقيقة داخل كل مجال، دون إغفال دور المحيط في إفرازها والتأثير فيها.

كما أن دخول قبائل آيت عطا مجالات تافيلالت عموما والرتب على وجه الخصوص، مع نهاية الفترة الحديثة، غير كثيرا من الملامح العامة التي طبعت تاريخ هذه المجالات، لأن أثر هذا الدخول لم يقتصر على الجانب السياسي والبشري فقط، بل إنه أدى إلى تغييرات ثقافية ودينية لا

تخطئها عين كل متتبع لتطورات المجال، كما أدخل إلى منطقة الرتب بالأخص منظومة جديدة من القوانين المنطلقة أساسا من الأعراف، والتي لا تتعارض في معظم بنودها مع الشريعة التي غالبا ما احتكم إلى بعض أحكمها سكان المنطقة، الذين بدورهم كانت لديهم أعراف خاصة بهم، خاصة عند التعاطي مع العديد من القضايا التي لم ترد بشأنها نصوص شرعية واضحة.

وبحكم عملي بإحدى مناطق الرتب لطالما رصدت وجود خلافات عميقة بين بعض الأفراد والمكونات العرقية والقبلية، والتي تعبر في حقيقتها عن ذلك الإرث الثقافي الذي لازال يسم حياة وعقلية بعض الأسر، بل وحتى بعض القبائل والقصور. مما جعلني أتساءل عن هذه الحساسية المفرطة عند البعض أحيانا، والتي تتناسل بسرعة في عدد من الحالات لتتحول لخلافات بينية واضحة حتى داخل المكون الواحد.

لكن رغم أهمية واحة الرتب في فهم ومعرفة كثير من الأحداث وانعكاساتها المرتبطة بتاريخ المنطقة بشكل خاص والمغرب عموما، إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الكافي في البحث التاريخي والأنثروبولوجي، خاصة وأن هذا المجال تعرض في العقود الأخيرة لكثير من التحولات؛ تسببت وما تزال في طمس كثير من معالمه الثقافية والاجتماعية والعمرانية؛ والتي كانت تشكل إحدى الخصوصيات المميزة له، فضلا عن كون هذه الواحة تقدم اليوم فرصة للباحثين، لرصد مميزاتها ومعرفة تاريخها.

يؤكد ذلك، أن البحث في موضوع الرَّتْبْ وفي تاريخه وقضاياه المجتمعية المختلفة له أهمية كبرى، وهذا ما يدعو لضرورة التعامل مع علوم أخرى اجتماعية واقتصادية ودينية ونفسية وغيرها. كما يفرض ضرورة الرجوع إلى بعض الأعمال التي لم تكن لها قيمة في الماضي إلا عند أصحابها أو النخب، مثل تدوين الرحلات الحجية والنوازل الفقهية، والقوانين العرفية، والأشعار، وقصائد الملحون وعقود الملكية والرسائل وغيرها، لكونها أضحت اليوم ذات أهمية كبرى، نظرا لمساهمتها الأساسية في ترميم وتأثيث المعرفة بالعديد من المراحل التاريخية الغامضة لمنطقة الرتب.

الإشكالية:

تطرح إشكالية البحث قضية التحولات التي شهدتها منطقة الرتب خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، عبر تتبع تطوراتها ومحاولة تفسيرها، من خلال التطرق لعدد من القضايا الهامة المرتبطة بمجال الدراسة، وعلى رأسها مراحل إعماره وتعميره، وأثر الهجرات والزحف القبلي المتوالي في التطورات التاريخية والتركيبة الاجتماعية والحياة الاقتصادية به، إلى جانب ذلك تتناول هذه الإشكالية أيضا مختلف العلاقات التي ربطت الدول المتعاقبة على حكم المغرب بهذا المجال، خصوصا في الفترة العلوية، مع تركيزها أساسا على المرحلة الممتدة من القرن 12هـ/18م إلى منتصف القرن 14هـ/20م، من أجل البحث في أثر وتأثير الوسط الطبيعي والتركيبة الاجتماعية بتناقضاتها وخلافاتها في حياة الساكنة، وما أسفر عنه ذلك من منتوج ثقافي متنوع ومتفرد، شمل القوانين العرفية والعلاقات القبلية والأسرية والأنماط الإنتاجية المرتبطة باستغلال الأرض والمياه، وكذا الممارسات والطقوس الدينية. فضلا عن رصد تطورات الأحداث بالمنطقة، ومدى تعاطي الساكنة وزعمائها مع الاحتلال الفرنسي للمغرب ولهذا المجال بشكل خاص.

تعرج أيضا هذه الإشكالية على موضوع بناء كثير من القصور الرتبية، من خلال البحث في خلفيتها، وإبراز مميزاتها وأهميتها وواقعها وسبل حمايتها، قصد بلورة رؤية أكثر وضوحا عن الخصوصيات العمرانية بقصور واحة الرتب، والتأكيد على القيمة التي يجب أن تحظى بها. إذ مازالت عدد من قصور وقصبات هذا المجال شبه غائبة، ولم تجد الاهتمام الكافي في معظم الأبحاث والدراسات التي تم إجراؤها حول المنطقة على ندرتها، والتي ركزت أساسا على الجانب التاريخي، دون إبراز الخصوصيات الثقافية والاجتماعية، وكذا المعالم العمرانية والخصائص الهندسية المميزة لها.

وبهذا تكون وظيفة هذه الطرح الإشكالي هي المساهمة في التعريف بتاريخ وساكنة وتراث واحة الرتب، وجمع ما أمكن من المعلومات والوثائق، وتوثيق بعض الروايات الشفهية المتواترة بين شيوخ المنطقة قبل أن تندثر وتنسى، ومن تم توظيفها في الدراسة التاريخية الوصفية التحليلية للأحداث التي عرفها هذا المجال وتحديد مميزاته، قصد محاولة الخروج برؤية متكاملة وتصور عام يمكن أن

يساعد في لفت الانتباه إليه، والدفع بالقطاعات المختصة والفاعلين والباحثين لتوظيف ما يزخر به الرتب من إرث تاريخي عريق، ومقومات ثقافية واجتماعية واقتصادية وعمرانية غنية، لإحداث تنمية حقيقية تتخطى البعد الاقتصادي الصرف، وتطمح لتصحيح بعض الأوضاع، والمساعدة في تجاوز سلبيات بعض المخلفات الثقافية، واستغلال أخرى الاستغلال الأمثل للنهوض بالواحة والحفاظ على ذاكرتها.

انطلاقا مما سبق عرضه، ونظرا لأهمية الموضوع نطرح بعض التساؤلات الكبرى حوله ومنها:

ما هي المميزات الطبيعية والبشرية لواحة الرتب؟ وما أهم التحولات التي عرفتها في علاقتها بالتطورات العامة لواحات تافيلالت الكبرى، والمغرب بشكل عام؟ وما مميزات الحياة الثقافة والدينية وتجلياتها وأهم رموزها ؟ ثم ما أثر تلك التحولات التاريخية والمجتمعية والتشريعية في طبيعة حياة السكان، وأنشطتهم الإنتاجية، وعلاقاتهم المختلفة وكذا في عمران المنطقة؟

الدوافع الذاتية والموضوعية للبحث في الموضوع:

لا يخلو أي بحث من البحوث من دوافع وأسباب تدعو لاختياره والسير قدما لإنجاز أهدافه، لكون ذلك يحفز ويؤهل صاحب البحث للاستمرار والمضي قدما نحو تحقيق ما يصبو إليه. هذه الدوافع سواء منها الموضوعية أو الذاتية كان لها دور بارز في توجهنا واختيارنا لموضوع يندرج في كثير من قضاياه وفصوله ضمن ما يسمى بالمنوغرافيات، وعلى رأس هذه الدوافع ذلك الهم الذي كنت أحمله مذ كنت طالبا في السنة الجامعية الأولى، فقد كنت وما زلت حريصا على السير في درب التحصيل العلمي، دون أن أنسى المنطقة التي نشأت بها، والتي تحتاج منا، نحن أبناءها إيلاءها الاهتمام الكافي الذي تستحقه، نظرا لأهميتها التاريخية، ولما اشتهرت به من مميزات أوردتها بعض المصادر والدراسات، إلى جانب كونها من المناطق المهمة، نظرا لارتباط تاريخ كثير من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب بها، خاصة في المراحل الأولى لتأسيسها، فضلا عن كونها من الجهات التي أنجبت وما تزال عددا مهما من فطاحل أهل العلم والسياسة والفكر والثقافة في بلادنا.

يضاف إلى ذلك الرغبة الجامحة التي كانت تنتابني لاستكمال بحث الماستر الذي كان موضوعه حول "**التراث المعماري الإسماعيلي بتافيلالت (قصور وقصبات)**"، وهذا ما قادني إلى التعرف على بعض إنجازات السلطان مولاي إسماعيل والسلاطين العلويين عموما ببلاد الرتب مثل قصر "المعارْكَة"، والكشف عن أهم القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت الكبرى، أما البحث المقترح اليوم لنيل شهادة الدكتوراه، فهو في جوهره استمرار واستلهام لبعض فصول سابقه، باعتباره بحث في التراث التاريخي . الاجتماعي والعمراني. لكن ليس لتافيلالت الكبرى بمدلولها التاريخي هذه المرة، بل لمكون أساسي من مكوناتها الجغرافية، وهو مجال الرَّتْبْ. ذلك أن بحث الماستر لم يسعفنا في الإحاطة به وإزالة بعض الغموض عنه، أو البحث في مميزاته وخصائصه. مما دفعني إلى ضرورة تركيز الاهتمام هذه المرة على منطقة الرتب دون غيرها من المجالات التي تُكَوِّن منطقة تافيلالت، خصوصا ما تعلق بقصورها وتاريخ وحياة سكانها، والتي لم تحظ بما يكفي من الدراسة، في أغلب الكتابات والبحوث المتعلقة بهذا المجال الجغرافي.

من جهة أخرى كان للتأثير الذاتي أيضا دور أساسي في هذا الاختيار، من خلال محاولة التعامل مع الموضوع بمنهج المدرسة التاريخية التي تعتمد الوثيقة المادية سواء المكتوبة أو التي كشفت عنها الأبحاث الأركيولوجية التي تزايدت أهميتها، والدور الذي يمكن أن تسهم به نتائجها في الكشف عن بعض الحقائق التي يمكن مطابقتها مع ما بقي عالقا في الأذهان من روايات توارثتها أجيال المنطقة جيلا بعد آخر، وبالتالي المساهمة في تصحيح وتوثيق بعض هذه الروايات من الضياع قبل أن تضيع برحيل أصحابها. وهذا من شأنه أن يساعد في الكشف عن الدور التاريخي الذي أسهمت به منطقة الرتب في مختلف المحطات التاريخية التي كانت تافيلالت مسرحا لها، خصوصا في الفترة الحديثة والمعاصرة، وبالتالي توفير مرجع خاص عن منطقة الرتب قد يزيل الغموض أو طابع التعميم الذي يواجه المجال في مختلف الدراسات التي تهم المنطقة، إلى درجة جعلته شبه مجهول.

يضاف إلى ذلك رغبتي في المساهمة بشكل أو بآخر في كتابة تاريخ مجال ضيق جغرافيا لكنه غني بأحداثه، انطلاقا من التاريخ المونوغرافي أو التاريخ المجهري، على أساس أن هذا التاريخ يسعى إلى سبر أغوار تراث وحضارة مجال جغرافي محدد في الزمان والمكان، بهدف وضع دراسة تاريخية أكثر دقة وعمقا وأكثر ضبطا لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية به، عبر جمع المعلومات التاريخية المرتبطة بساكنة وقصور هذا المجال، سواء من المصادر والمراجع التاريخية بتعدد مشاربها، الأجنبية منها أو الوطنية، ثم الدراسات المنجزة في مختلف الحقول المعرفية والأبحاث الأركيولوجية، والروايات الشفهية وغير ذلك. من أجل فهم واقع قصور منطقة الرتب وإبراز التوزيع الإثني والعرقي لساكنتها، وتحديد العوامل التي تحكمت فيه، إلى جانب رصد مظاهر التعاون أو الصراع وتأثيرها في طبيعة العلاقات التي ربطت بين مختلف مكوناتها القبلية. دون إغفال ضرورة الوقوف على الوضعية الحالية للقصور والقصبات التي لا زالت قائمة، من خلال التعريف بها، وتحديد بعض التغيرات التي عرفتها.

كما كان للقضايا الجوهرية التي طبعت وتحكمت في تاريخ منطقة الرتب؛ وما كان لها من انعكاس واضح على المنطقة ومختلف الشرائح الاجتماعية التي استوطنتها، دور في توجهي للبحث في هذا الموضوع، من خلال دراسة جوانب من إسهامات نخبة من الساكنة الرتبية، بمعرفة أبرز إنتاجاتها الفكرية في مختلف المشارب والميادين، وانعكاسات ذلك على الحياة والممارسات الدينية المتوارثة. فضلا عن أثر كل ما سبق في إعمار المنطقة، ببناء قصور متنوعة وذات خصوصيات معمارية فريدة، وهذا ما قادني أيضا إلى ملامسة واقع العمارة الرتبية، والكشف عن جوانب من الموروث العمراني العريق للرتب؛ قصد البحث عما يكتنزه من أسرار وخصوصيات. والوقوف على بعض المميزات الفنية للعمارة الرتبية سواء من حيث الشكل والهندسة أو الزخرفة أو غيرها؛ من خلال المقارنة بين بعض ما تبقى منها من منشآت وأثار لإبراز أوجه التشابه أو الاختلاف بينها، واستنطاق المصادر لمعرفة ما تتضمنه من معلومات تاريخية مهمة حولها.

نظرة في الأبحاث والدراسات المرتبطة بموضوع البحث:

بدأ الاهتمام بتاريخ منطقة تافيلالت يتزايد بشكل كبير في مختلف الأبحاث والدراسات التاريخية، خصوصا في العقود الأخيرة، لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية على مر التاريخ المغربي، سواء الاقتصادي أو السياسي للبلاد. ومن بين أول وأهم الدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة وتراثها بشكل أكاديمي، نذكر دراسة العربي مزين سنة 1987م، والتي صدرت في كتاب حمل عنوان:

" Le Tafilalet Contribution à l'Histoire du Maroc aux XVII^e^ et XVIII^e^ siècles"[1] تناولت الناحية الاجتماعية لمنطقة تافيلالت خلال القرنين 17م و18م، وتميزت هذه الدراسة بتركيزها على منطقة زيز الأعلى والأوسط، كما تضمنت معلومات مهمة عن منطقة الرتب، من خلال استعراضها لأحد أبرز القوانين العرفية التي أطرت حياة ساكنة قصور الرتب المنتمية لقبائل آيت عطا، وهو العرف المسمى "بتعقدين قصر الكارة"، إلا أنه لم يشمل بدراسته المجال كاملا، بل اقتصر فيها على تقديم معطيات تاريخية محدودة في الزمن والمكان.

تبع هذه الدراسة إصدار لحافظي علوي حسن في موضوع "**سجلماسة وإقليمها في القرن 8هـ /14م**"[2]، رصد فيه واقع منطقة تافيلالت وتطوراتها بعد تخريب حاضرتها سجلماسة، وانتقال أهلها للسكن في القصور، ورغم أن هذه الدراسة حملت في عنوانها سجلماسة وإقليمها؛ فإننا لا نجد تفصيلا أو تحديدا واضحا لمكونات هذا الإقليم، بشكل قد يسهل الوقوف على علاقة المدينة

---

[1]- Larbi Mezzine. **Le Tafilalet**. **Contribution à l'histoire du Maroc aux 17 et 18 Siècles**. Publication de la Faculté des Lettres et des Siennes Humaines – Rabat, série thèses 13, imprimerie Najah et Jadida, Casablanca, 1987.

[2]- حسن حافظي علوي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1997م.

العاصمة بالمناطق التي كانت تابعة لها، ودرجة تأثير إحداها في الأخرى. وباعتبار الرتب أحد الأقاليم المكونة لسجلماسة خلال تلك الحقبة، فإننا لا نكاد نجد في هذه الدراسة معلومات كافية عنه، ذلك أن صاحب الدراسة ركز على سجلماسة المدينة أكثر من الإقليم، رغم أن هذا الأخير يمتد على مساحة واسعة، ويضم واحات عدة عرفت أحداثا متنوعة ومتباينة، كما أن حديثه أحيانا عن الإقليم كان عابرا، أو جاء في سياق الحديث عن مدينة سجلماسة، بشكل يهيئ للدارس وكأن هذه الأخيرة كانت لوحدها في هذا المجال، وبالتالي نلاحظه أنه لم يفرد قسما أو فصلا خاصا بعلاقة المدينة بالواحات التي تحيط بها مباشرة، بل جاء ذكرها عابرا في سياق عام.

قدم بعد ذلك أحمد عبد اللوي علوي عملا مهما حمل عنوان "**مدغرة واد زيز إسهام في دراسة المجتمع المغربي خلال العصر الحديث**"[3]، رصد فيه كثيرا من الجوانب المتعلقة بحياة السكان بالمنطقة المدروسة، حيث نجد تشابها كبيرا إلى حد التطابق بينها وبين منطقة تافيلالت، وبحكم علاقة الجوار والاحتكاك الذي كان بين منطقة الرتب ومدغرة، فإن الباحث وقف على معلومات هامة عن الرتب خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات بين هذا المجال ومدغرة.

ومن بين البحوث التي ركزت اهتمامها على منطقة الرتب بشكل خاص نجد أطروحة إلحيان احساين والتي حملت عنوان **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, **and the sweat of the ploughman**: **Ethnic stratification and agricultural intensification in the Ziz Valley**, **southeast Morocco**"[4]، هذه الأطروحة تعتبر من أوائل البحوث

[3]– أحمد عبد اللوي علوي، **مدغرة وادي زيز، اسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي، خلال العصر الحديث**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م.

[4] – Hsain Ilahiane, **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, **and the sweat of the ploughman**: **Ethnic stratification and agricultural intensification in the Ziz Valley**, **southeast Morocco**, A Dissertation Submitted to the Faculty of the Department of Anthropology In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy In the Graduate College The University of Arizona United States 1998.

الأكاديمية التي اهتمت بمنطقة الرتب وهي عبارة عن دراسة أنتربولوجية إثنوغرافية تبحث في علاقة المجموعات والإثنيات الموجودة بالمنطقة، وقد اهتمت بنوعية الأراضي الزراعية التي يتم استغلالها والنظم الزراعية السائدة بها، وكل ما يتعلق بذلك ـ لكن الباحث ركز في دراسته أساسا على مجال واحد من بين مختلف مجالات الرتب، وهو قصر زاوية أملكيس، الذي خصه بدراسة وافية شملت مختلف الجوانب، لكن دراسته هذه لم تركز بشكل كبير على البعد والتطور التاريخي للمنطقة، بقدر ما ركزت على تحليل الأوضاع وفق المعطيات الراهنة.

أما لحسن تاوشيخت فقد أنجز أطروحة في موضوع **"عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية"**[5]، وهي عبارة عن دكتوراه الدولة، ركز فيها بالأساس على تاريخ سجلماسة منذ التأسيس إلى التدمير، وما أعقب ذلك من تحولات على المشهد العمراني بالمنطقة، حاصرا بدوره مجال الدراسة حول سجلماسة وأطلالها والقصور التي عوضتها، لكن تناوله لمنطقة الرتب ظل عابرا.

أعد الباحث سعيد واحيحي بدوره أطروحة دكتوراه عن منطقة تافيلالت سنة 2006م/2005م بعنوان **"سجلماسة ـ تافيلالت، من إندراس المدينة إلى واحة القصور، 796هـ/1393م إلى أواخر القرن 11هـ /17م. (دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية)"**[6]، هذه الدراسة قاربت إشكالية ما ترتب عن تدمير مدينة سجلماسة من ظهور لقصور جديدة، لكنها لم تول بدورها اهتماما كبيرا لقصور الرتب، بل ركزت أساسا على القصور المنشأة بتافيلالت الصغرى، بالرغم من أن الرتب ومنطقة مدغرة شمالا، وكذا منطقة عرب الصباح الفاصلة بين الرتب وتافيلالت الصغرى لم تكن بعيدة عن هذه الانعكاسات الحاصلة بعد انهيار المدينة، كما أن انتقال بعض من سكان سجلماسة إلى مجال الرتب، إنما كان في الغالب بعد تخريب المدينة، ونشوب

---

[5]– لحسن تاوشيخت، **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **المغربية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، سنة 2008م.

[6]– سعيد واحيحي، **سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور، 796هـ / 1393م إلى أواخر القرن 11 هـ/17م دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس2005م ـ 2006م.

صراعات وتنافس حاد بين المكونات القبلية للمدينة المنهارة، خصوصا من فروع القبائل المعقلية المختلفة.

بعده قدم عبد الله استيتيتو أطروحة سنة 2006م/2007م بعنوان "**دور تافيلالت في تنظيم العلاقة بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر 1873- 1932**"[7]، كما أصدر الباحث أيضا كتابا سنة 2011م حمل عنوان "**التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر**"[8]، تناول في أطروحته مرحلة مهمة من تاريخ منطقة تافيلالت، بوقوفه على العلاقات التي ربطت بين الساكنة الفيلالية والمخزن والمستعمر، وفيها قدم لنا بعض المعلومات المهمة عن واقع منطقة الرتب وعلاقاتها المتنوعة الداخلية والخارجية سواء في عهد السلطان مولاي الحسن أو عند دخول المستعمر. بينما تطرق في كتابه الثاني بشكل أساسي لأثر التنافس القبلي بين حلفي آيت عطا وآيت يفلمان على قصور تافيلالت والرتب، وأورد معلومات مهمة عن خلفيات هذا الصراع وانعكاساته على مختلف المجالات ومن بينها مجال دراستنا.

قام امبارك بوعصب بعد ذلك سنة 2010م/ 2011م بمناقشة أطروحة معنونة ب "**مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين، التاريخ والمعمار والإنقاذ**"[9]، وهي من خلال مواضيعها تعتبر بمثابة تكملة لأطروحة الباحث سعيد واحيحي التي سبقت الإشارة إليها، واهتمت أساسا بالجانب العمراني، لكنها لم تحد بدورها عن المألوف، من حيث حصر مجال الدراسة في تافيلالت الصغرى، والاقتصار على رصد التفاعلات

[7]- عبد الله استيتيتو، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط2013م.

[8]- عبد الله استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل ايت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سلسلة الندوات والمناظرات رقم 27، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، طبعة 2011م.

[9]- امبارك بوعصب، **مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين. التاريخ والمعمار والإنقاذ**. أطروحة شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سايس، الموسم الجامعي، 2010م ـ 2011م.

والتحولات التاريخية البارزة التي عرفتها سجلماسة. مما غيب التأثير الكبير والانعكاسات المباشرة لما تخلفه تطورات الأوضاع بهذه الأخيرة على محيطها القريب والبعيد نسبيا.

وباعتبار الارتباط الكبير بين مجال درعة وتافيلالت، ووجود علاقات التأثير والتأثر التي يعرفهما مجالهما المتداخل، لابد أن نعرج على مصادر ومراجع منطقة درعة، وعلى رأسها أطروحة أحمد البوزيدي "**التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17م مطلع القرن 20م دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية**"[10] حيث استعرض فيها مختلف التطورات التي عرفتها منطقة درعة المجاورة لتافيلالت خلال المرحلة المشار إليها، وهنا يبرز بشكل جلي التشابه في العديد من التحولات والمظاهر التي ميزت المنطقتين، منها تأثيرات نشأة الاتحادية العطاوية وتحركاتها على المجالين معا، وهي القضية التي تهمنا باعتبار مجال الرتب كان من بين المناطق التي شهدت تدخلات الحلف العطاوي، وأحد أبرز مجالات استقرار مكوناته البشرية.

كما يمكن الإشارة إلى دراسة دجين جاك موني Djinn.Jacques Meunié والمعنونة ب:

"**Le Maroc saharien des origines à 1670**"[11]، المتعلقة بالجانب التاريخي والمعماري للمنطقة، والملاحظ حول مجمل هذه الدراسات أنها تناولت تاريخ الواحات في مجال جغرافي محدد في درعة وتافيلالت مما يجعلها تصنف في إطار الدراسات الميكروتاريخية.

يضاف إلى ما سبق ذكره من مصادر ومراجع ما أورده الفرنسي جورج سبيلمان Georges Spillmann في كتابه "**آيت عطا الصحراء وتهدئة ـ آفلا ـ ن ـ درا**"[12]، من معطيات حول المجال، وذلك في معرض حديثه عن القبائل العطاوية التي تعتبر أحد

---

[10]- أحمد البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 . مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية**، مطبعة أفاق متوسطية الدار البيضاء، 1994م.

[11]- Meunié Jacques Djinn, **Le Maroc saharien**. **Des origines à 1670** .**Vie politique**. **économique et sociale**. Paris, 1982.

[12]- جورج سيبلمان، **آيت عطا الصحراء، وتهدئة آفلاً ـ ن ـ درا**، ترجمة وتعليق محمد بوكبوط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م.

أبرز المكونات المشكلة للتركيبة البشرية بالرتب، إلى جانب ما قدمه لنا من معلومات عن أعدادها ومناطق استقرارها.

ولا يفوتنا التذكير هنا بدراسة امحمد احدى " **أعراف الجنوب المغربي، نموذج: عرف آيت عطا الرتب بوادي زيز**"[13]، التي وقف من خلالها على عرف من أعراف قصور المنطقة، وهو عرف قصر "تِدْرِينْ"، الذي تنتمي ساكنته لقبائل آيت عطا، حيث عرض لبنود هذا العرف وخصائصه المميزة.

أما في الجانب الديني والثقافي فتجدر الإشارة كذلك إلى الدراسة التي قام بها كل من عبد الواحد المهداوي وحسن صادقي في كتابهما حول "**الزاوية الصادقية، التاريخ والمجتمع والمجال**[14]، حيث تناولا فيه تاريخ الطريقة الصادقية الصوفية بمنطقة الرتب بتافيلالت، وأدوارها في تاريخ المغرب خلال القرن 11هـ/ 17م والتي طبعت النسيج الاجتماعي والسياسي والفكري للمنطقة خلال العصرين الحديث والمعاصر.

دون أن نغفل إصدارا جديدا في الآونة الأخيرة (2019م) يحمل عنوان" **قصر الدويرة أضواء على التاريخ والثقافة والتراث**"[15]، من إعداد رشيد الهاشمي الذي حاول وضع منوغرافية خاصة بقصر قديم من قصور الرتب الأسفل هو قصر الدويرة، من خلال الوقوف على مختلف جوانبه التاريخية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

ومن الدراسات المهمة أيضا والمتضمنة لبعض المعلومات حول المنطقة، لاسيما في الفترة الاستعمارية، نذكر أطروحة عبد الفتاح عوني الموسومة ب"**التحولات الإدارية والاقتصادية**

---

[13]- امحمد أحدى، **أعراف الجنوب المغربي نموذج: عرف آيت عطا الرتب بوادي زيز**، سلسلة دفاتر الجنوب رقم 1، منشورات مختبر الأبحاث في المجتمعات الصحراوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ط2، 2012م.

[14]- عبد الواحد المهداوي وحسن الصادقي، **الزاوية الصادقية، التاريخ والمجال والمجتمع**، منشورات كلية الأب والعلوم الانسانية سايس ـ فاس، مطبعة أنفو برانت فاس، ط1، 2017م.

[15]- رشيد الهاشمي، **قصر الدويرة أضواء على التاريخ والثقافة والتراث**، مطبعة ميدا كراف، الرشيدية، ط1، 2019م.

بمنطقة تافيلالت على عهد الحماية الفرنسية 1912م ـ 1956م ـ دائرة أرفود نموذجا"[16]، حيث أتاحت لنا هذه الأخيرة معلومات قيمة على ما عرفه مجال الرتب/ أوفوس من تحولات وتطورات، بحكم تبعيته لدائرة أرفود إبان الفترة الاستعمارية، انطلاقا من الوثائق التي أوردها والمأخوذة من الأرشيف العسكري الفرنسي بمدينة نانت، حيث زودنا ببعضها مشكورا.

كما نذكر في السياق نفسه أطروحة في التاريخ، أعدها سعيد عبيدي، في موضوع: **العمارة العسكرية بقصور تافيلالت دراسة تاريخية ومعمارية**، تناول من خلالها أبرز التطورات العمرانية العسكرية بالمجال الفلالي عموما، وبين في بعض فصولها تأثير الاحتكاكات القبيلة في طبيعة وطريقة بناء بعض القصور بالمنطقة الفيلالية ومنها المناطق الفاصلة بين مجال الرتب ومجال عرب الصباح، وهو ما أفدنا في فهم جوانب من عمران منطقة الرتب وفي تحديد بعض خصائصه ومميزاته[17].

هذه الأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية وغيرها، وإن كانت قد ساهمت إلى حد كبير في الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ وحضارة منطقة تافيلالت ومن ضمنها مجال الرتب، لكن معظمها تناول هذا الأخير بشكل جزئي، لم نستطع معه رسم أهم الجوانب التاريخية للمجال إلا بالاعتماد على عدد من المخطوطات، والوثائق، والقصائد، والأراجيز الشعرية، والمواقع الإلكترونية المتخصصة، والمجلات، والجرائد الهامة والغنية بمعلوماتها الصريحة والضمنية، والتي مكنتنا من تصحيح بعض المغالطات التاريخية والروايات الشفهية من جهة، وتأكيد وتوثيق البعض الأخر منها من جهة أخرى. وهذا ما جعلنا نختار هذا الموضوع بالذات، في محاولة لتقديم دراسة أشمل عن منطقة الرتب، بتطوراتها التاريخية المتلاحقة، وساكنتها البشرية المتنوعة، وتراثها الثقافي والاجتماعي المتميز، فضلا عن خصوصياتها المعمارية والهندسية الراقية، التي كان فيها للمعطيات الطبيعية والخلافات السياسية والثقافة المجتمعية الدور الأهم.

---

[16]– عبد الفتاح عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية بمنطقة تافيلالت على عهد الحماية الفرنسية 1912م ـ 1956م، دائرة أرفود نموذجا**، أطروحة دكتوراه في محور التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس– فاس، برسم الموسم الدراسي 2018م ـ 2019م.

[17]– سعيد عبيدي، **العمارة العسكرية بقصور تافيلالت دراسة تاريخية ومعمارية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس– فاس ، برسم الموسم الجامعي، 2018م ـ 2019م.

المنهج المعتمد في البحث.

فرضت علينا طبيعة الموضوع الذي نتناوله بالبحث والتحليل، وكذا نوعية القضايا التي يعالجها؛ ضرورة التعامل مع عدد من المناهج الأساسية المساعدة في التناول العلمي لمثل هذا النوع من المواضيع والقضايا البحثية، بدءا بالمنهج التاريخي القائم أساسا على الوصف والتحليل، سواء ما تعلق منه بدراسة الوثائق التاريخية أو الجغرافية والمعطيات الإحصائية المتنوعة، أو بتحليلها واستقراء ما تتضمنه من مادة علمية قد تجيب عن بعض إشكاليات البحث وتساؤلاته، كما تم الاعتماد على المنهج التركيبي من خلال المزاوجة بين منهجية الاستقراء أو الاستنباط، بحكم أن مجال الدراسة لم يكن منفصلا أو معزولا عن المجالات المحيطة، مما جعل التشابه على مستوى الأحداث وتطوراتها في الزمان، يطغى عليه إلى حد كبير التناظر ومحدودية الاختلاف، الأمر الذي فرض استخدام المنهج المقارن، للوقوف على ذلك، ودفعنا للبحث عن الخصوصيات التي يمكن أن تكون مميزة لمجال دراستنا.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، جاء تصميم بحثنا في الموضوع بتفاعلاته وقضاياه المختلفة مشتملا على مقدمة وثلاثة أبواب، يضم كل واحد منها فصلين ثم خلاصة جامعة.

ففيما يتعلق بالمقدمة، فقد تناولنا فيها أهمية الموضوع والاشكاليات والقضايا التي يعرض لها، كما أبرزنا فيها أهم دوافع اختيار هذا الموضوع، إلى جانب عرض لأهم الدراسات والأبحاث التي تناولت أو لامست موضوع البحث المزمع إنجازه.

الباب الأول: حمل العنوان التالي: مجال الرتب، الخصوصيات الطبيعية والبشرية، وضم بين طياته فصلين رئيسيين تناولا قضايا أساسية:

ـ **الفصل الأول**: استفدنا فيه كثيرا من البحوث المنجزة، ومنها البحث الذي قمنا بإنجازه حول تراث منطقة تافيلالت خلال العصر الإسماعيلي، حيث تم خلاله جمع معلومات عن المعطيات الطبيعية والبشرية للمنطقة، ومدى تأثيرها على ساكنة وعمارة تافيلالت عموما ومنطقة

الرتب على وجه الخصوص، كما حددنا أهم الوحدات التضاريسية والمجاري المائية والثروات النباتية المكونة للمنطقة. كما وضحنا أهمية الماء كمورد أساسي ساهم في تكوين واحة الرتب وتعميرها. أما فيما يخص الدلالة الإسمية فقد حاولنا جرد مختلف الروايات عن معنى الرتب، سواء في المعاجم اللغوية، أو المصادر والكتابات التاريخية، أو الروايات الشفهية الشعبية المتداولة بين ساكنة الرتب.

ـ **الفصل الثاني**: تطرقنا فيه لأهم المكونات البشرية بالمنطقة، وأبرز التحولات والمتغيرات التي عرفها النسيج الاجتماعي الرتبي، المتأثر بتوالي التحركات أو الهجرات المتتابعة لقبائل متنوعة من أعراق وإثنيات مختلفة، إلى جانب رسم خريطة لتوزيع وانتشار أبرز المكونات العرقية والإثنية بالرتب.

ـ **الباب الثاني**: وهو تحت عنوان الرتب: أوضاعه وتطوراته في مختلف المحطات التاريخية. ويضم فصلين رئيسيين، يتفرعان إلى مجموعة من النقاط والعناصر المتكاملة:

ـ **الفصل الأول**: تناول مسار التطورات التي عرفتها المنطقة خلال العصر الوسيط والحديث والمعاصر، وما رافق ذلك من توالي التحركات القبلية بالمنطقة، ثم مراحل الصدام والاستقرار، سواء بين المكونات الداخلية للمجال أو مع السلطة القائمة، بدءا بالوقوف على أهم المحطات البارزة في تاريخ الرتب خلال الفترة السابقة للعصر الحديث، وذلك بالتركيز على طبيعة العلاقة التي ربطت المجال المدروس بعاصمة الإقليم آنذاك مدينة سجلماسة، مرورا بالتحولات التي عرفها هذا الأخير بعد مجيئ القبائل العربية منذ القرن 7هـ/ 13م، ودور هذه الأخيرة في إعماره خصوصا مع نهاية الحكم المريني وبداية الحكم السعدي، يضاف إلى ذلك موقع الرتب وأدواره وعلاقاته التي تزامنت مع المرحلة الأولى لتأسيس الدولة العلوية انطلاقا من تافيلالت، وما عاشه الرتب في خضم تحولات السلطة والصراع حولها بين أبناء السلاطين إبان تلك المرحلة. إلى جانب ما عرفه المجال وساكنته مع بداية وصول العطاويين إليه.

ـ **الفصل الثاني**: يشمل المرحلة الممتدة من نجاح العطاويين في الاستقرار بمجال الرتب إلى نهاية الاحتلال الفرنسي له، ودور هذا الأخير في تغيير معادلات الصراع بالمغرب كله، والمجال الذي نحن بصدد دراسته. كما تم الوقوف أيضا في هذا الفصل على ملامح التأثيرات التي خلفتها هذه الهجرات والتحركات القبلية المتوالية، فضلا عن دور السلطة المركزية ممثلة بالمخزن في الأحداث والتطورات التي كان يعرفها الرتب. ثم بعد ذلك دور المحتل وأثره على السكان وطريقة عيشهم ونظمهم وقوانينهم، ومواجهته لمقاومتهم.

الباب الثالث: ضم بدوره فصلين رئيسيين وخصص للحياة الثقافية والدينية والعمرانية بالرتب.

ـ **الفصل الأول**: تناول العلاقات الاجتماعية والثقافية وتطوراتها داخل مجال الرتب من خلال إبراز مكونات البنية القبلية بالمنطقة، واستخلاص مدى انعكاسها على نمط عيش الساكنة وتوزيعها داخل قصور المجال، مع البحث في طبيعة العلاقة التي ربطت بين الرتب ومحيطه المجاور ـ خاصة قصور مدغرة وتيزيمي ـ من جهة، وبين قصور الرتب المختلفة من جهة أخرى، لاسيما وأن الاختلاف العرقي والثقافي بين هذه المكونات كان يصطدم أحيان باختلاف المرجعية القانونية المعتمدة لحل هذه المشاكل بين الأخذ بالشرع أو بالأعراف سواء عند العرب أو الأمازيغ، إلى جانب تأثيرات الحياة الثقافية بالرتب، باعتباره شكل بحق موطنا لكثير من العلماء والأولياء، لاسيما وأنه عرف نشأة وتطور عدد من الزوايا وأتباعها هناك، مما جعل المجال أرضا خصبة لاستقرار أفكار هذه الزوايا المختلفة بين الساكنة.

ـ **الفصل الثاني**: تم تخصيصه للوقوف على ملامح الحياة الاقتصادية، من خلال إبراز طبيعة وأنواع ملكية الأرض، وخصوصيات نظام السقي المتبعة مع تحديد أهم المنتوجات الفلاحية والأنشطة التجارية والصناعات المحلية التي عرفت بها منطقة الرتب. إلى جانب الوقوف على عنصر مهم ما زال يشكل أحد أبرز مميزات المنطقة وهو الجانب العمراني، حيث خصص للتطرق لتاريخه وواقعه بالواحة، من خلال توضيح التوزيع المجالي لهذه القصور وشرح أهم المفاهيم

والمصطلحات التي تميزه، مع إبراز مظاهر وعوامل التدهور التي تواجه هذا التراث المعماري الغني بالرتب، والتساؤل عن أهم البرامج الوطنية لصيانة وحماية وإنقاد هذا الإرث المعماري والثقافي العريق، من خلال توظيفه والاستفادة منه للنهوض بأوضاع المنطقة.

خاتمة، خصصناها لأهم ما تم التوصل إليه من معطيات متعلقة بالمجال المدروس، كما حاولنا تناول أبرز القضايا والإشكالات التي سعى البحث للإجابة عنها، إضافة إلى اشتمالها على أسئلة جديدة متعلقة بالرتب وما تطرحه دراسته من قضايا يمكن أن تكون منطلقا لبحوث أخرى مستقبلة.

وفي ختام هذا التقديم لبحثنا لا يسعنا إلا التذكير والتنويه بالدور الأساسي والفعال الذي قام به راعي هذا البحث والمشرف عليه، الدكتور الفاضل عبد المالك ناصري الذي تابع إنجازه مرحلة بمرحلة، منذ أن كان فكرة ومشروعا إلى أن سار على ما هو عليه اليوم، فكان لنا السند والناصح والموجه، بل والمقوم لكثير من اعوجاجه والمصحح لكثير من أخطائه وثغراته، كما لم يدخر جهدا في فتح الأبواب التي كان موصدة في طريقنا وبحثنا، وتذليل الكثير من الصعوبات التي وجهناها، ولم يبخل علينا بما تزدان به مكتبته الخاصة من مصادر ومراجع، بل لم يتردد في تنسيق تواصلنا مع عدد من الأساتذة للاستفادة والتزود بما نحتاج إليه منهم، فضلا عن عقده لقاءات شهرية طيلة سنوات البحث للوقوف على ما أنجزه كل طلبة الدكتوراه الذين يشرف عليهم، مما كان يمثل بالنسبة لنا فرصة لتلاقح الأفكار، وتبادل وجهة النظر والمعلومات والوثائق، فجزاه الله عنا وعن كل طلبة العلم أفضل الجزاء.

الباب الأول: مجال الرتب: الخصوصيات الطبيعية والبشرية.

الفصل الأول: الإطار المجالي لمنطقة الرتب.

1 ـ الإطار الطبيعي للرتب بين الخصوصية وطابع التعميم.

تعتبر دراسة المعطيات الطبيعية المرتبطة بالمجال المدروس أساسية وضرورية، على اعتبار أن هذه الخصائص لها أكبر الأثر في فهم مختلف التطورات التاريخية التي ترتبط بالإنسان والمجال، وما يتبع ذلك من تحالفات وصراعات أو غيرها بين مختلف القوى. ومن هنا لابد من رصد خصوصية موقع المجال، وإطاره الطبيعي وتأثير كل ذلك على الإنسان بالمنطقة بشكل خاص. وذلك من خلال تحديد البنية التضاريسية لمنطقة الرتب إلى جانب تحديد مميزاتها المناخية.

1ـ 1. المميزات والخصائص التضاريسية.

يفرض موضوع الرتب وما عرفه من صراعات وتسابق بين العديد من القوى للسيطرة عليه واستيطانه، ضرورة البحث في المميزات والخصائص الطبيعية التي يوفرها المجال، والتي جعلت منه منطقة استقطاب وصراع وتنافس بين هذه القوى على امتداد تاريخه. فالمشهد التضاريسي عموما بمجال الرتب هو في حقيقته جزء وامتداد طبيعي للمكونات التضاريسية المميزة لمنطقة تافيلالت والجنوب الشرقي المغربي عموما، كما أن المنطقة الواقعة بين جبال صاغرو، إلى جانب أوكنات، تتميز ببنية جيولوجية معقدة للغاية، يعود تكوينها للفترة الهرنستية، بيد أنها تعرضت للعمل التعروي عند نهاية الزمن الأول، لتستعيد تكوينها من جديد خلال الزمن الثاني، بعد أن خضعت في نهايته إلى العمليات التعروية للمرة الثانية، مما أفضى إلى ظهور جملة من الجبال الصغرى من النوع الأبلاشي ذات الصخور الكرانتية[1].

يتبين لنا أيضا من خلال إحدى الدراسات، أن منطقة الرتب تتكون أساسا من أشكال تضاريسية صحراوية في غالبيتها، ذلك أن هضاب المنطقة مكسوة بالحصى، مما يجعل سطحها يظهر على شكل حمادات صحراوية تعرف بالرقوق، هذا الطابع الشبه العام تستثنى منه المناطق المتاخمة لمجرى واد زيز، أو المنخفضات العميقة التي سبق وأن أحدثتها المجاري المائية، التي تمثل اليوم

[1]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 246. نقلا عن:

مجالا لممارسة الزراعة، المعتمدة أساسا على الري، بينما تكاد تنحصر المرتفعات في بعض الجبال الشبه المنعزلة[2] والتي تظهر أكثر في زيز الأوسط (الذي ينتمي إليه الرتب مجال دراستنا) باتجاه حدوده الشمالية[3].

حدد سبيلمان Spillmann بدوره انتماء الرتب إلى مجال واحات الجنوب الشرقي المغربي، الممتد شرقا إلى غاية المرتفعات الواصلة إلى الهضاب العليا الجزائرية، وغربا إلى المحيط الأطلسي، على طول يتراوح بين 80 و160 كلم، وأشار إلى ما يتخلل المجال من المرتفعات والمنخفضات على شكل سهول وواحات، تعتبر تافيلالت أشهرها[4]. وكان واد زيز فاعلا أساسيا في رسم كثير من تشكيلتها التضاريسية على امتداد المنطقة، وهذا ما جعل مجموع الأطلس الكبير الشرقي بما في ذلك الهضاب الحصوية والحمادات وباقي المرتفعات التي تطل على الجنوب الشرقي؛ تخضع للنظام النهري لواد زيز، إلى جانب واد غريس، لأن هذا النظام ينسجم والبنية الجيولوجية للمنطقة، فمنذ الفترة المطيرة خلال الزمن الأول وهو ينحت مضايق وخوانق عميقة داخل السلاسل الموازية للأطلس الكبير الشرقي والهضاب الصحراوية[5]، وينقل الرواسب الناتجة عن عمليات النحت إلى مجموعة من الأحواض، داخل مناطق تافيلالت، فكانت هذه التَوَضُّعَات أو الرواسب أحيانا كبيرة وكثيفة، تراوح سمكها ما بين خمسة عشر وثلاثين مترا، مما يفسر الخصوبة الكبيرة لعدد من واحات المنطقة[6]. وهو ما ينطبق إلى حد كبير على منطقة الرتب ومجالها الذي يعتبر بدوره نتيجة طبيعية

---

[2]- Mezzine, **Le Tafilalet**, Pp. 264,265.

[3]- Jean Margat et autres. **Mémoire explicatif de carte Hydrogéologique du 1/ 50000 de la plaine du Tafilalt**, **Editions du Service Géologique du Maroc**, Rabat 1962, p. 52.

[4]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 13.

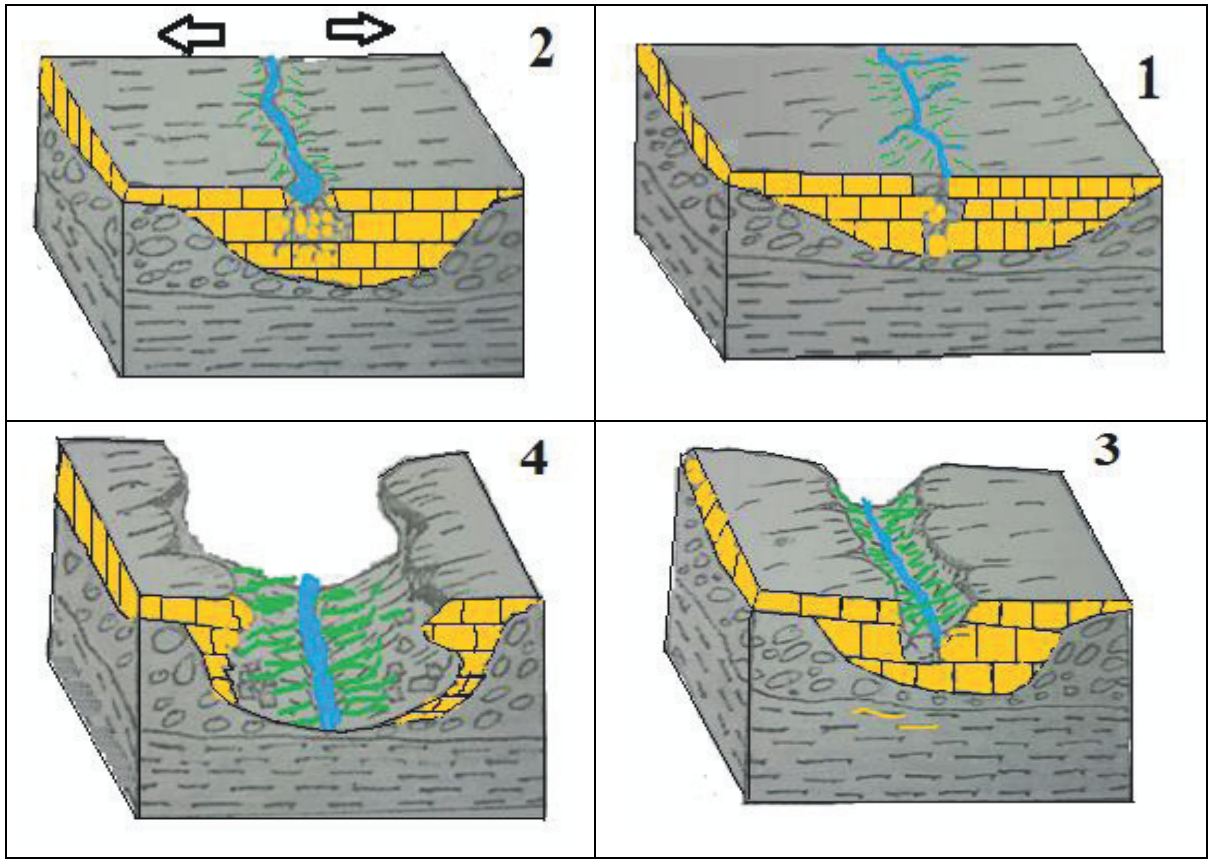
[5]- عبد العزيز بنعبد الله، **تاريخ المغرب، العصر القديم والعصر الوسيط**، مكتبة المعارف، الرباط، (د. ت.ط.)، ص، 11.

[6]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 265

لعمليات النحت المتواصلة التي كان يقوم بها واد زيز، وكذا للتوضّعات والرواسب الضخمة التي كانت تترسب فيه على امتداد آلاف السنين.

فالتأريخ الجيولوجي لمنطقة الرتب يبين أنها مرت خلال مختلف المراحل والعصور الجيولوجية المتعاقبة من تحولات وتغيرات متعددة كان لها دور بارز في تكوينها وذلك بعد أن بدأت تشكلها بظهور انكسارات في الطبقة العليا (شكل1)، وتزايد تعمق هذا الانكسار بفعل عوامل تَكْتُونِيّة متوالية (الزلازل)، ساهم في ذلك أيضا نشاط واد زيز المتواصل (شكل 2 و3) والذي سيؤدي إلى انهيار بعض الكتل الصخرية من الطبقة العليا لتتراكم في سفوح المنحدر الذي أصبح في ما بعد يعرف بوادي الرتب(شكل4) كما يوضح ذلك الرسم التالي:

رسم رقم 1: أبرز مراحل تعمق واد زيز في منطقة الرتب.(رسم شخصي)



نستنتج من كل هذا أن مجال الرتب من الناحية المورفولوجية ينتمي إلى ما يعرف بالحمادة السفلى الكريطاسية؛ التي يخترقها واد زيز من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، وذلك على طول

حوالي 60 كلم تقريبا، وعرض يتراوح بين 500 متر بمنطقة مسكي[7]، وخمس كيلومترات بنواحي الرتب، بينما يتراوح الارتفاع بين 931م بسافلة واد زيز و1160 متر بالقسم الغربي من الحمادة[8]. هذه الأخيرة تمتاز بقحولتها، كما تخترقها أودية ذات مجاري عميقة وتصريف مائي ضعيف، وهي تبتدئ بالمناطق المجاورة لبوذنيب؛ وتنتهي جنوبا في الصحراء، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث حمادات رئيسية أهمها مسكي؛ وتبتدئ من قدم جبال الأطلس الكبير الشرقي شمال مدينة الرشيدية (حاليا) وتنتهي جنوبا بمنطقة الرتب الأسفل على مساحة 60 كلم طولا و40 كلم عرضا[9]. وهذه الحمادات عبارة عن مناطق منبسطة غير أنها ليست صالحة للزراعة[10].

نجد كذلك على مستوى هذا السطح الذي ظل دائم التعرض للمؤثرات المناخية الصحراوية القارية الجافة، انعدام أو شبه انعدام للمظاهر الغابوية بسبب قلة التساقطات، الأمر الذي لم يسمح له إلا بإنتاج أعشاب رعوية متنوعة، مما جعل هذه الواجهة الشرقية تظهر كامتداد للسهوب الرعوية التي ظلت تقصدها قبائل الرعاة الرحل منذ زمن بعيد[11].

يبدو تبعا لما سبق ذكره أن المنطقة خضعت لتحولات وتغيرات عدة عبر مختلف الحقب الجيولوجية، مما ساهم بدون شك في رسم وتشكيل المظهر الطبيعي لمجال الرتب، ومن خلال الدراسات التي أقيمت حول المنطقة والهضبة التي تنتمي إليها؛ يظهر من معالمها أنها كانت تمثل

---

[7]- **مسكي**، واحة كبرى من الواحات الصحراوية تقع في سفح وهاد، وهضاب تفصلها عن واحة الرطب (الرتب)حوالي 5 كلم، في طريق أرفود، وعلى بعد 15 كيلومتر من مدينة (قصر السوق) الرشيدية حاليا. الصديق بن العربي، **كتاب المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة النشر، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1984م،ص 188./ ومسكي اسم للمنطقة التي تحد الرتب شمالا، كما أنها اسم لقصر قديم حملت المنطقة اسمه، أو حمل اسمها، وهو قصر قديم أشار إليه ابن أبي محلي باسم امصكي أو البلدة القديمة، أحمد بن أبي محلي، **الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت،م خ ح، الرباط، رقم 100**، ص. 222.

[8]- جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس**، 2008م ـ 2010م، ص. 13.

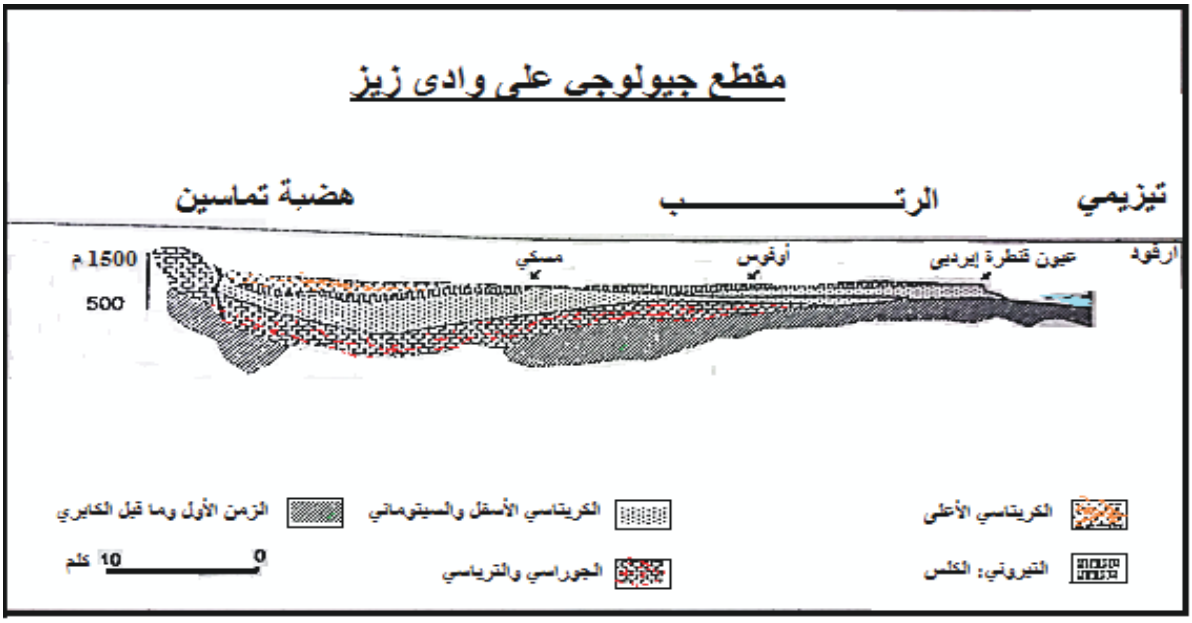
[9]-F.Joly, **Etude sur le relief de Sud-Est Marocain**, Rabat 1962, p.14, 15.

[10]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 36.

[11]- هاشم العلوي القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف العاشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995م، ج2، ص. 182.

وحدة تضارسية هضبية متجانسة ومتصلة، قبل أن يقوم واد زيز وعبر حقب زمنية متوالية بنحت هذا السطح والتعمق مشكلا واحة الرتب فيه، كما يوضح المقطع الجيولوجي التالي:

رسم رقم 2: مقطع جيولوجي لمنطقة الرتب وأبرز الطبقات المكونة له[12].



وهناك دراسة مهمة حاولت معرفة التاريخ الجيولوجي لهذه المنطقة أو التعرف على الجيولوجية القديمة والأحداث الجيولوجية التي شهدتها مع مرور الزمن، عبر التركيز على دراسة خصائص الطبقات الصخرية المكونة لها، وآثار وبقايا الكائنات (المستحثات الأحفورية)التي تحتوي عليها.

جاءت هذه الدراسة معتمدة على ما تم العثور عليهم من رواسب حيوانات الروديست بقصر الجديد بمنطقة الرتب ـ على بعد 7 كلم تقريبا شمال مركز أوفوس ـ أثناء بناء طريق معبدة على الضفة الشرقية لواد زيز قصد ربط أوفوس جنوبا بمسكي وقصر السوق(الرشيدية حاليا) شمالا، وذلك تحت قيادة الرئيس Dufour والكولونيل M.Belouin، ولما قام العالم الجيولوجي Fernand Daguin بزيارة استكشافية لهذا الموقع سنة 1923م رفقة رئيس مصلحة المعادن

[12]– محمد ميوسي، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار، أداء الواحات بين المقاربتين المشهدية والشمولية: أي تنمية؟** أطروحة دكتوراه في الجغرافيا بجامعة محمد الخامس أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الموسم الجامعي 2001م ـ 2002م، ص. 33. (بتصرف)

بالمغرب آنذاك M.Despugols، عثر على مكمن مهم لرواسب حيوانات الروديست بمنطقة قصر الجديد، يضم عينات متنوعة من مستحثات الروديست[13] تشبه تلك التي اقتلعها العمال بنفس الموقع، والتي أصبحت موضوع دراسته الاستحاتية (الأحفورية) [14]، بينما عمل العالم M.J. Barthoux. على دراسة الطبقات الصخرية لهذا الموقع.

ساعدت مستحثات الروديست التي عثر عليها Daguin بقصر الجديد 1923م العالم كوستون استار Goston Astare[15] في تحديد العمر النسبي لهذه المنطقة، وذلك لاحتواء الطبقات الصخرية لهذه المنطقة على أنواع مختلفة من فصائل الروديست والتي لم تكن معروفة قبل العصر التوروني(قبل 92 مليون سنة)، مما جعل Astare يصنف منطقة قصر الجديد بأوفوس ضمن الزمن الجيولوجي التوروني (أي منذ 92 مليون سنة إلى ما قبل 88 مليون سنة) كما يتبين أن الهضبة الصحراوية التي يخترقها واد زيز المحادية لمكمن الروديست المميز لقصر الجديد، يظهر تعاقبا صخريا تصاعديا حسبما يوضحه المقطع الجيولوجي التالي:

---

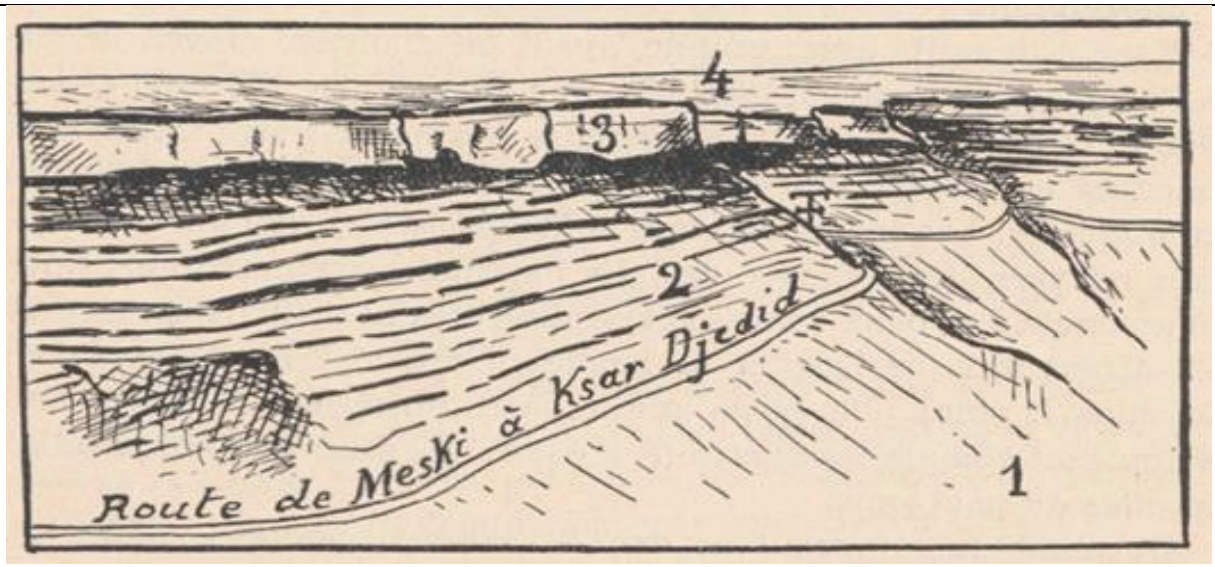
[13]– **الروديست**: حيوانات تنتمي إلى صنف الرخويات ثنائية الصدفة، عاشت خلال أزمنة جيولوجية قديمة، لها جسم رخوي داخل قوقعة كلسية مكونة من صدفتين متماثلتين أو غير متماثلتين حسب مختلف أصنافها، ظهرت نهاية العصر الجوراسي (قبل 140 مليون سنة تقريبا)، لتنقرض نهاية دور الكريتاسي أو ما يسمى بالطباشيري (قبل 65 مليون سنة تقريبا)، لكن خلال هذه المدة الزمنية عرفت تطورا ملحوظا، نتج عنه ظهور عدة أصناف من الروديست، كما أنه قبل أن تتعرض للإنقراض نهاية دور الكريتاسي (نهاية الحقبة الثانية أو الميزوزويك) عرفت توزيعا جغرافيا واسعا، مما جعل الروديست تعتبر من أهم المستحثات الطبقاتية الجيدة، لكن مدة عيشها قصيرة، فهي حيوانات مائية كانت تعيش في مياه بحرية غير عميقة.

– **Grand Larousse de la langue française**, édition 1989, Tome 6, p, 5196.

[14]– Fernand Daguin, «Sur une faune de Rudistes du Crétacé des Plateaux Sahariens au sud de L'Atlas Marocain (Vallée de L'oued Ziz), Description du gisement», **Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de Toulouse**, Fondée le 8 Aout 1866 Tom Soixantane-Unieme, 3eTrimestre,Toulouse, 1931, p. 343 - 345.

[15]– Gaston Astar, «Sur une Faune de Rudistes du Crétacé des Plateaux Sahariens au sud de L'Atlas Marocain (Vallée de L'oued Ziz), Etude paléontologique», **Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de Toulouse**, Fondée le 8 Aout 1866 Tom Soixantane-Unieme, 3eTrimestre,Toulouse, 1931, p. 345 - 356.

رسم رقم 3: مقطع لأبرز الطبقات التي تتكون منها الهضبة الصحراوية بالقصر الجديد بالرتب[16].



1. ركام من الصخور البيجبلية ـ الكلسية التي تعود إلى زمن السينوماني (بداية الكريتاسي العلوي: قبل 96 مليون سنة تقريبا)في السافلة.

2. مقاعد صخرية كلسية شبه أفقية وهي عبارة عن طبقات صخرية تميز الانتقال (من السينوماني إلى التوروني والتوروني قبل 92 مليون سنة تقريبا).

3. طبقة كلسية كبيرة غنية بصخور قوية تحتوي على مستحثات الروديست، التي تعود إلى التوروني.

4. الطبقة الصخرية الكلسية التي تشكل غطاء الهضبة القارية أو الحمادة.

يتبين لنا أن منطقة الرتب تتكون من أشكال تضاريسية صحراوية في غالبيتها، وأنها تتشكل أساسا من الحمادات، باستثناء المنخفضات العميقة التي أحدثتها المجاري المائية، والتي أضحت مجالا لممارسة زراعة مستقرة، دون إغفال وجود بعض الجبال المرتفعة[17]، والتي تظهر أكثر على امتداد منطقة زيز الأوسط إلى غاية حدوده الشمالية[18]، إلى جانب بعض المظاهر الصحراوية المتمثلة في الكثبان الرملية والتي تغطي حيزا معتبرا من الجنوب وجنوب شرق مجال الرتب في الحدود مع منطقة تيزيمي(عرب الصباح) وفزنا[19].

---

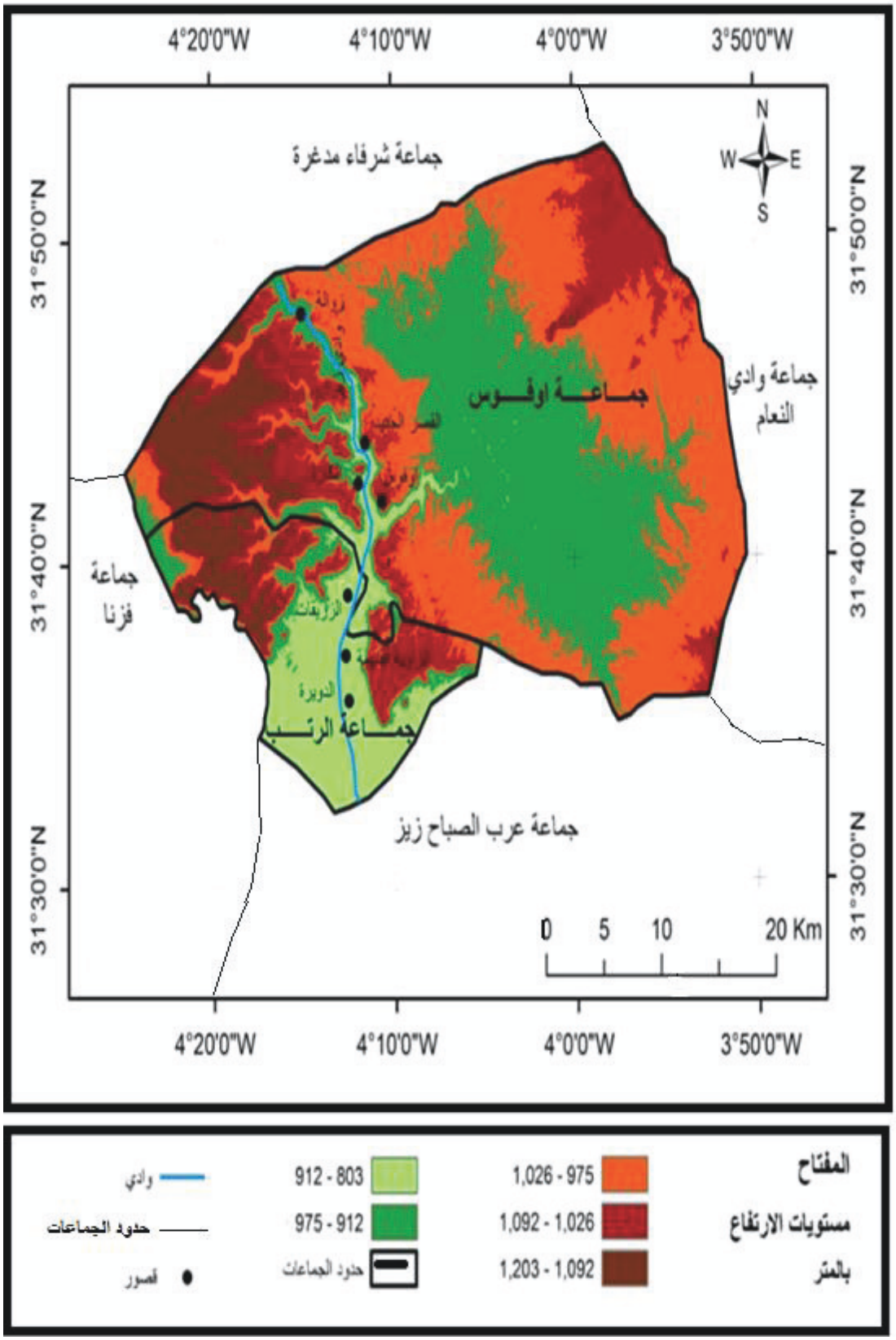
[16]- Daguin, «**Sur une faune de Rudistes**», p. 345.

[17]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 264,265.

[18]- Margat, **Mémoire éxplicatif**, p. 52,

[19]- Ibid, p. 53.

خريطة رقم 1: الوحدات التضاريسية بقيادة أوفوس: جماعتي الرتب وأوفوس.



إنجاز شخصي (اعتمادا على الخريطة الطبوغرافية لأوفوس أنظر الخريطة في الملحق رقم1ص. 542)

يمكننا تبعا لما أوردناه وانطلاقا من الخريطة السابقة(رقم1) القول؛ بأن مجال الرتب يتكون أساسا من هضبتين تشرفان على منخفض زيز بواسطة أعراف صخرية شديدة الانحدار، كما أن التكوين الجيولوجي للمنطقة في علاقته وتفاعله مع العوامل الأخرى، منح المنطقة تضاريس تتميز بانحدار تدريجي من أعلى المنطقة شمالا نحو سافلتها جنوبا، كل ذلك يجعلنا نقسم مجال الرتب تضاريسيا إلى ثلاث وحدات رئيسية وهي:

1ـ **هضبة بوذنيب أو حمادة كير**: تمتد على مساحة 100 كلم طولا، وحوالي 30 كلم عرضا شرق منطقة تافيلالت[20]، وتقع من الناحية الشرقية عند قدم سلسلة جبال الأطلس الكبير، وتندرج نحو الشرق والجنوب، لتشكل أهم وحدة تضارسية على امتداد الجهة الشرقية للرتب، وهي عبارة عن حمادة حديثة تنتمي إلى الزمن الجيولوجي الثالث وبداية الزمن الرابع.

2 ـ **هضبة مسكي**: تبتدئ حمادة مسكي من قدم جبال الأطلس الكبير الشرقي شمال مدينة الرشيدية وتنتهي جنوبا بمنطقة الرتب الأسفل على مساحة 60 كلم طولا و40 كلم عرضا، وهي عبارة عن حمادة منبسطة تنتمي إلى الزمن الجيولوجي الثالث، وبالضبط إلى عصر الكريطاسي، كما نتجت عن الحركات الأطلسية التي رفعت الجبال لتشكل منخفضات بالمنطقة، وهي تتكون من طبقة كلسية فوق طين قاري محمر ومالح وتشمل الجزء الغربي للمنطقة[21].

3 ـ **المنخفض الطبيعي بزيز**: بعد خروج وادي زيز من قدم الأطلس الكبير الشرقي نجده ينفتح على هضاب منبسطة ومتدرجة؛ ثم يتعمق في الحمادة ابتداء من مجال منطقة أوفوس، ليصبح عبارة عن سهل تعروي ضيق تتخلله نتوءات صخرية قديمة، وهذا المنخفض يمتد بالرتب من قصر زاوية أملكيس شمالا ـ والذي يمثل الحد الشمالي للمنطقة مع جماعة مدغرة ـ إلى قصر الدويرة الذي يمثل الحد الجنوبي للرتب مع جماعة عرب الصباح تيزيمي على مسافة تصل إلى حوالي 60

[20] -F.Joly, **Etude sur le relief**, p. 15.

[21] -Ibidem.

كيلومتر، ويصل عرضه كما أشرنا إلى حوالي 1000 متر في المتوسط، لكنه متغير باستمرار بحيث يضيق ويتسع تبعا لتقارب الكتلتين الهضبيتين أو تباعدهما.

جدول رقم 1: التضاريس وتوزيعها بمنطقة الرتب / أوفوس[22].

نوع التضاريس	المساحة بالهكتار	النسبة المئوية
جبال	146626	50
سهول	131963	45
هضاب	11409	4
أخر	3253	1
المجموع	293251	100

يتضح من الجدول أعلاه هيمنة طابع الارتفاع على معظم المساحة، مما يقلل من مجال الاستغلال الفلاحي رغم وجود السهول التي تبقى غير مستغلة بشكل كامل؛ نظرا لندرة التساقطات والجفاف شبه الدائم الذي يسم المنطقة. ويقتصر المجال المستغل منها على الشريطين الأيمن والأيسر المحاديين لمجرى واد زيز، أو الشعاب والروافد المائية التي تصب فيه، كما هو الحال بالنسبة لواد زاوية أوفوس، كما أن عرض هذه السهول لا يتجاوز بضعة مئات من الأمتار، وفي مقاطع محدودة وقليلة يصل إلى بضع كيلومترات في الحد الأقصى، نظرا لقلة الموارد المائية وضعف الإمكانيات المادية للسكان[23]؛ والتي قد تمكنهم من استغلال معظم المساحة السهلية المملوكة في معظمها للجماعات السلالية لقصور الرتب والواقعة في سطح الهضاب المحيطة.

[22]- تقرير مكتب الاستثمار الفلاحي لتافيلالت الرشيدية، فرع أوفوس 1996م.

[23] - Daoud Mohamed, **la Moyenne vallée du Ziz**: **une Oasis entre tradition et modernisation**, Thèse de doctorat d'Etat, Géographie humaine, Tome1, Université Chouaïb Doukkali, Faculté des lettres et des Sciences humaines El Jadida, Année universitaire 2000 – 2001. P. 56 – 58.

1 ـ 2 ـ الخصائص المناخية للرتب.

يجب التأكيد أولا فيما يخص موضوع المناخ بمنطقة الرتب؛ على أنه ورغم التشابه الكبير في الخصائص المناخية المميزة عموما لمنطقة الجنوب الشرقي، إلا أن ذلك لا يمنعنا من تسجيل تباين مناخي داخل هذا المجال الجغرافي، وبين مختلف الجهات المكونة له، فمنطقة الرتب بحكم انحصار استقرار ساكنتها ومختلف الأنشطة الإنتاجية لها؛ في مجال يتراوح عرضه ما بين 500 متر وبضع كيلومترات، إلى جانب تغطية الأشجار والمزروعات خاصة أشجار النخيل، لمجرى واد زيز في منطقة الرتب كلها تقريبا، فضلا عن وجود جريان مائي شبه دائم؛ بفضل العيون المهمة التي تغذي وتسقي حقول المنطقة، فإن ذلك جعلها تتميز بخصوصيات مناخية أقل تطرفا من جيرانها في تيزيمي[24] وفزنا[25] وعرب الصباح[26]، الأمر الذي يظهر جليا في مواسم الحصاد وكذا جني التمور، حيث تتأخر في ذلك عن باقي المناطق الأخرى، بل وتتعرض أحيانا منتوجاتها للتلف جراء ارتفاع منسوب الرطوبة بالمقارنة مع غيرها من المناطق المجاورة، وهو ما لا يتناسب أحيانا مع شروط إنضاج بعض المنتوجات خاصة التمور[27].

يجعل الموقع المتميز للرتب المنطقة أيضا، أقل تعرضا للزوابع الرملية والرياح الحارة المعروفة باسم الشرقي ـ والتي تعرفها المجالات الجنوبية الشرقية ـ بفضل الحماية الطبيعية التي توفرها المرتفعات

---

[24]– **تيزيمي/ تزيمي**، مجموعة قصور تضم نحو 40 قصرا، تقع على بعد 7 كلم من أرفود. (الصديق بلعربي، **كتاب المغرب**، ص. 110.) ومن الناحية اللغوية ربط البعض اسم تيزيمي بالتربة المالحة (حافظي، مادة تيزيمي، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، مطابع سلا طبعة 2014م، ج8، ص. 2690.) أو مادة الملح (أحمد التوفيق، الهامش 733، تعليق حول كلمة **تازيما** البعيدة عن سجلماسة بثمانية عشر ميلا، من كتاب، أبو يعقوب يوسف بن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة دراسات وبحوث، ع22، ط 2، 1997م، ص. 285.) ويذهب البعض إلى ربطها بالمعنى الأمازيغي وأنها مركبة من كلمتين تيزي وإيمي أي الفج الصغير.

[25]– **فزنا**، جماعة قروية تابعة لإقليم الرشيدية أسست سنة 1992م، وهي تقع في الحدود الغربية لمجال الرتب، (أنظر الخريطة رقم .1 ص. 29.) تبعد عن مدينة أرفود بحوالي 27 كلم، وتضم عددا من القصور أهمها، العشورية، أولاد غانم، القصر الجديد، أولاد الشرقي، أولاد جلال، القصيبة.

[26]– **عرب الصباح**، هي حاليا جماعة قروية تابعة لإقليم الرشيدية تقع في الحدود الجنوبية للرتب/ أوفوس، (أنظر الخريطة رقم 1. ص. 29.) وتضم حوالي 40 قصرا من القصور السكنية أهمها: قصور المعاضيد، أولاد الزهراء، أولاد معطلا، أولاد بوزيان، مولاي إبراهيم، رزيقات(...)، وينتمي عرب الصباح إلى القبائل العربية المعقلية التي قدمت من المشرق واستوطنت المجال، منذ ما قبل القرن 8هـ/ 14م.

[27]– Agence urbaine d'Errachidia, **Etude d'élaboration du plan de développement de l'agglomération de Rteb** – province d'Errachidia- rapport analyse diagnostic, 2016, p. 14.

الممتدة شرقا وغربا على طول ضفتي واد زيز، وكذا روافده المهمة مثل واد زاوية أوفوس الذي يظهر في شرق المنطقة الوسطى للرتب على شكل منخفض بين كتلتين مرتفعتين، لكنه سرعان ما يختفي بعد اتصاله مع واد زيز ليختفي معهما تدريجيا الغطاء الغابوي المتمثل في النخيل، وكذا الاستقرار السكاني، مما جعل هذه المنطقة الجرداء عند إيردي[28] جنوب قصر الدويرة تمثل حدا طبيعيا بين الرتب وجماعة عرب الصباح زيز، عند منطقة قصر البروج قرب المعاضيد، عندها يمكن ملاحظة بداية ترسب للكثبان الرملية على شكل عروق صغيرة، خاصة في الضفة الشرقية لوادي زيز في اتجاه الجنوب[29]. مما يبرز معه بشكل جلي الدور الذي ساهم به موقع وموضع قصور الرتب بين هاتين الكتلتين؛ في جعل مناخها يعرف نوعا من التمايز والخصوصية، دون أن ننسى أن المجال الترابي للرتب يتجاوز هذه المنطقة الواقعة بين الكتلتين ليشمل مساحات شاسعة فيما خلفهما شرقا وغربا، تتماهى خصائصهما المناخية مع معظم خصائص مناخ مناطق الجنوب الشرقي، خاصة ما تعلق بالمدى الحراري المرتفع وندرة التساقطات المطرية، فضلا عن شبه انعدام للغطاء النباتي.

وبهذا نجد أن الموقع الجغرافي للرتب جنوب سلسلة الأطلس الكبير من جهة، وانفتاحه على التيارات الصحراوية من جهة أخرى، تحكمت في طبيعة وخصائص المناخ به، كما تحكمت مميزات هذا الأخير في حياة السكان ونمط عيشهم، وفي استقرارهم وخلافاتهم في كثير من الأحيان.

ورغم ندرة المعلومات التاريخية حول مناخ الرتب، وما يمكن أن يكون قد لحقه من تحول قديما وحديثا، إلا أن المصادر أوردت معلومات مناخية مهمة عن إقليم سجلماسة عامة، لا تختلف كثيرا عما يميز مناخه اليوم أيضا، فنجد مثلا أن المقدسي، ومنذ القرن الرابع الهجري العاشر

---

[28]– **إيردي**: اسم لمكان على واد زيز ويمثل أحد الحدود الطبيعية بين مجال الرتب وجماعة عرب الصباح، ويمتاز اليوم بوجود قنطرة على واد زيز تعرف بقنطرة إيردي، وهذه التسمية تعود إلى ما قبل الاحتلال بدليل ورودها في بعض المخطوطات المتعلقة بالمنطقة أنظر: مولاي علي بن المصطفى، **فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر**، م خ ح، رقم 12579، ورقة 25.

[29]– Driss Saidi, **Plan de développement du centre d'Aoufous**, **Rapport de diagnostic**, Agence urbaine d'Errachidia, Juillet 2010, p. 11.

الميلادي تحدث عن ما امتازت به إمارة سجلماسة من شدة الحر والبرد[30]، وهذه الخصائص هي ما يجعل المنطقة عموما ومنها الرتب، تنتمي للمناخ الشبه الجاف، مما يؤدي إلى انعدام أو شبه انعدام الإطار الغابوي، واقتصاره على بعض الأعشاب[31]، أما الوزان في الفترة الحديثة فقد وصف انعكاسات المناخ على المنطقة وتحدث عن فصل الصيف الذي يعرف فيه واد زيز جفافا[32]، وهو نفس ما ذهب إليه مارمول بعده، بحديثه عن الحرارة المفرطة في الصيف، إلى جانب نضوب مياه واد زيز[33]، كذلك لم يخرج ابن أبي محلي عن هذا التوصيف إلى حد جعله يربط أحد أسباب تدهور مدينة سجلماسة وانهيارها؛ بتغوير السكان لمياه واد زيز في منطقة وقرى الرتب[34].

بهذا نجد أن الخصائص المناخية للرتب لا تخرج عن الطابع العام الذي يميز مناطق ما وراء جبال الأطلس الكبير الشرقي، من حيث انتماؤها أساسا إلى المناخ الصحراوي الحار صيفا والقار شتاء[35]، وهو ما يجعل السفوح الجنوبية الشرقية والغربية امتدادا للسهوب الرعوية التي تقصدها قبائل الرعاة الرحل، نتيجة تعرضها الفصلي للمؤثرات المناخية الصحراوية القارية الجافة[36]، مما يفسر ما ذكره الوزان من غلبة الطابع الصحراوي القاحل في الحدود الشرقية والغربية الممتدة والأكثر اتساعا بالرتب، معبرا عن ذلك بقوله «**فمن الشرق نجد منطقة غير مأهولة (هي تماسينت الخالية تماما) ومن الغرب سهل رملي خالي بدوره**»[37]. وأما التازي سعود فقد تناول بدوره

---

[30]- محمد بن أحمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحرير وتقديم، شاكر لعيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة سيكو للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص. 216.

[31]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى**، ج2، ص. 182.

[32]- الحسن الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الاخضر، الشركة المغربية للناشرين المتحديين، الرباط، ط1، 1982م، ج2، ص. 126.

[33]- كربخال مارمول، **افريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرين، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1989م، ج3، ص. 153.

[34]- ابن أبي محلي، **الإصليت الخريت**، ص. 220.

[35]- محمد العلوي الأوفوسي، **مادة أَوْفُوسْ**، معلمة المغرب، ج3، ص. 903.

[36]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى**، ج2، ص. 182.

[37]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 124، 123.

مناخ الجنوب الشرقي عامة، مستخلصا أنه في مجمله جاف مع حدوث تساقطات جد ضئيلة، ذلك أن المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية تتميز بتساقطات مطرية محدودة ومتغيرة من سنة إلى أخرى، بما فيها تتابع فترات طويلة دون تهاطل مطري بحيث يتراوح المعدل السنوي فيها ما بين 100 و140 ملم[38].

يجعلنا ذلك نستنتج أن التساقطات بهذه المنطقة فضلا عن كونها ضعيفة، فهي تمتاز بعدم الانتظام، وهو ما يستعصي معه على السكان تحقيق اكتفاء ذاتي بشكل مستمر، فصيفها حار جدا وشتاؤها قارس، يبدأ في منتصف شتنبر ويستمر إلى آخر يناير. وإذا نزل المطر في أكتوبر وأبريل كان محصول القمح كبيرا[39]، والأكيد هو أن المعدل السنوي للتساقطات التي تتلقاها منطقة الرتب يقل عن 100 ملم، كما يصل المعدل السنوي لعدد أيام المطر لحوالي15 يوما وتتميز التساقطات في الغالب بكونها عاصفية[40].

ما تتصف به المنطقة من حر شديد؛ كان له الدور الأبرز في ما تعرفه من ارتفاع لنسبة التبخر بها[41]، خاصة وأن الفارق الحراري كبير، إذ يسجل 5 درجات في فصل الشتاء، و40 درجة في فصل الصيف، مما يفسر جفاف المنطقة والناتج عن انعدام التوازن بين كمية التساقطات والكمية التي تفقدها عن طريق التبخر[42]، وإن كان البعض يؤكد على أن نسبة التبخر تكون أكبر في المناطق التي تفتقر إلى الغطاء النباتي أو الغابوي، بهذا المعنى تكون نسبة التبخر بمنطقة الرتب

---

[38]– محمد التازي سعود، **صفحات من تاريخ المغرب القديم**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2008م، ص، 15./ محمد بندعنون، «**مادة الصحراء المغربية**»، معلمة المغرب، ج16، ص. 5501.

[39]– مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 45.

[40]– جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس**، 2008م ـ 2010م، ص. 13.

[41]– محمد بن عمر، «واحات سهل تافيلالت بين التصحر بفعل البناء، ورهانات المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية»، **مجلة دفاتر جغرافية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، 2009م، ع 6، ص. 71.

[42]– Gautier E'mile-Félix, **Le Sahara**, Paris, 1913, p, 11. / F. Joly, **Etude sur le relief**, p. 10.

أقل نسبيا من المناطق المجاورة، إذ لا تتعدى نسبة التبخر 1.280 ملم؛ بحكم تغطية الغابة والغطاء النباتي لمعظم المجال المدروس، في منطقة استقرار السكان حول ضفتي واد الرتب[43].

أما فيما يخص الرياح، فتعرف المنطقة هبوب نوعين منها: رياح الشرقي التي تهب من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، تعرف ب"الشركي" أو "الشرقي"[44]. والرياح الساحلية التي تهب من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وهي التي غالبا ما تتسبب في تحرك الكثبان الرملية خصوصا بعالية واد أوفوس، كما تؤدي إلى الزيادة في حدة التبخر خصوصا في فصل الصيف[45]. إلى جانب تأثيرها البالغ على السكان، نظرا لما تخلفه من أمراض على مستوى العيون، وهو ما رصدته بعض المصادر المغربية التي تناولت مناخ المنطقة السجلماسية ورياحها مثل ابن الخطيب،(ت 776هـ) والذي قال في وصفها بأنها «**معركة غبار، وقتيل عقربها جبار، ولباسها خامل، والجفاف بها شامل، والجو يسفر عن الوجه القطوب، والمطر معدود من الخطوب، لبناء جدرانها من الطوب، والقرع برؤوس أهلها عابث، والعمش في جفونهم لابث**»[46]. وما رصده لاحقا وبشكل مباشر الألماني جرهارد رولفس Gerhard Rohlfs أثناء مروره بالرتب وبالضبط بقصر أولاد عيسى، بعد أن تقاطرت عليه أعداد من ساكنة المنطقة تطلب مساعدته في معالجة عيونهم من المرض، اعتقادا منهم أنه طبيب حسب ادعائه[47].

---

[43]- Fortin. J.C, Rapporteur de la Question N°7, «**La nappe phréatique salér du Tafilalet**», Son ContrÔle pour le Développement de la Mise Valeur, Royaume du Maroc, Centre National De Documentation, Service De Reprographie,Et Imprimerie Rabat, 1973, p. 112.

[44]- محمد المولودي، **الثنائية الحضرية أرفود ـ الريصاني، البنيات والوظائف وتنظيم المجال الجهوي بتافيلالت**، بحث لنيل الدكتوراه، في الجغرافيا موسم 2003م ـ 2004م جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 20.

[45]- جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي**، ص. 13.

[46]- لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 2002م، ص. 181.

[47]- Gerhard Rohlfs. «Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs». **Renseignements Coloniaux**, **et Documents Publies par Comité de L'Afrique Française**, **et le comité du Maroc**, Année. 1910, N° 8, p. *245.*

لكن رغم كل هذه الخصوصيات القاسية التي تميز مناخ المنطقة، إلا أن موقعها على واد زيز يؤثر بشكل ملحوظ في هذه الخصائص وكذا المميزات التي تطبعها، خاصة فيما يتعلق بالنشاط الزراعي والغطاء النباتي، فواد زيز بالنظر لمنابعه الأساسية التي تنطلق من عمق الأطلس الكبير الشرقي ومناطق أخرى، فهو ينقل من حين لآخر حمولات مهمة من مياه الأمطار، والتي تكون أحيانا مدمرة، وقد تتصادف في عدة مرات مع فصل الصيف. كما تعرف المنطقة أحيانا أمطارا عاصفية تنزل على شكل زخات عنيفة خلال فصل الخريف، فتتسبب في إلحاق أضرار كبيرة بالمنتجات الزراعية الخريفية خاصة منتوج التمر[48]، بل قد تمتد أضرارها لتطال سكان الواحة، بفعل ما تحدثه من فيضانات خطيرة تتسبب في هدم وتخريب عدد من القصور والمساكن[49]. وهو ما يفسر ما ذهب إليه ابن حوقل الذي زار المنطقة في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي، بتشبيهه واد زيز بنهر النيل الذي ينبع من عمق إفريقيا ليصب في البحر الأبيض المتوسط، ويذكر أن زيز يزيد في الصيف كزيادة النيل، فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة[50]، وهنا يشير العربي مزين إلى أن الأطلس الكبير الغربي يتلقى معظم تساقطاته على شكل ثلوج وخاصة فوق الضواحي الشمالية المجاورة لجبل العياشي وهضبة البحيرات، أما باقي المناطق فهي لا تتلقى أكثر من 300 ملمتر سنويا، كما أن المياه تتسرب عبر الشقوق لتندفع في شكل ينابيع متعددة لا تستغل في أغلب الأحيان. بل تشكل إلى جانب الثلوج الذائبة عاملا لاستقرار السكان وخاصة عند الحوض الأعلى لوادي زيز وغريس[51].

---

[48]- **رسالة بعث بها الوصيف المخزني المعطي السوسي إلى خليفة السلطان سيدي محمد**، حول تضرر التمر بفعل الأمطار بتافيلالت، وهي مؤرخة بتاريخ 18 شوال 1328هـ/1910م، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم، 24010، توجد نسخة منها ب: م ب د ع ر، تحت رقم، 155.

[49]- **رسالة الأمير مولاي سليمان إلى السلطان المولى الحسن الأول**، حول ترميم عدد من القصور بعدما تخربت أجزاء منها نتيجة فيضان واد زيز، مؤرخة في 8 محرم 1305هـ/ 1887م، مديرية الوثائق الملكية، توجد نسخة منها ب: م ب د ع ر، تحت رقم، 93.

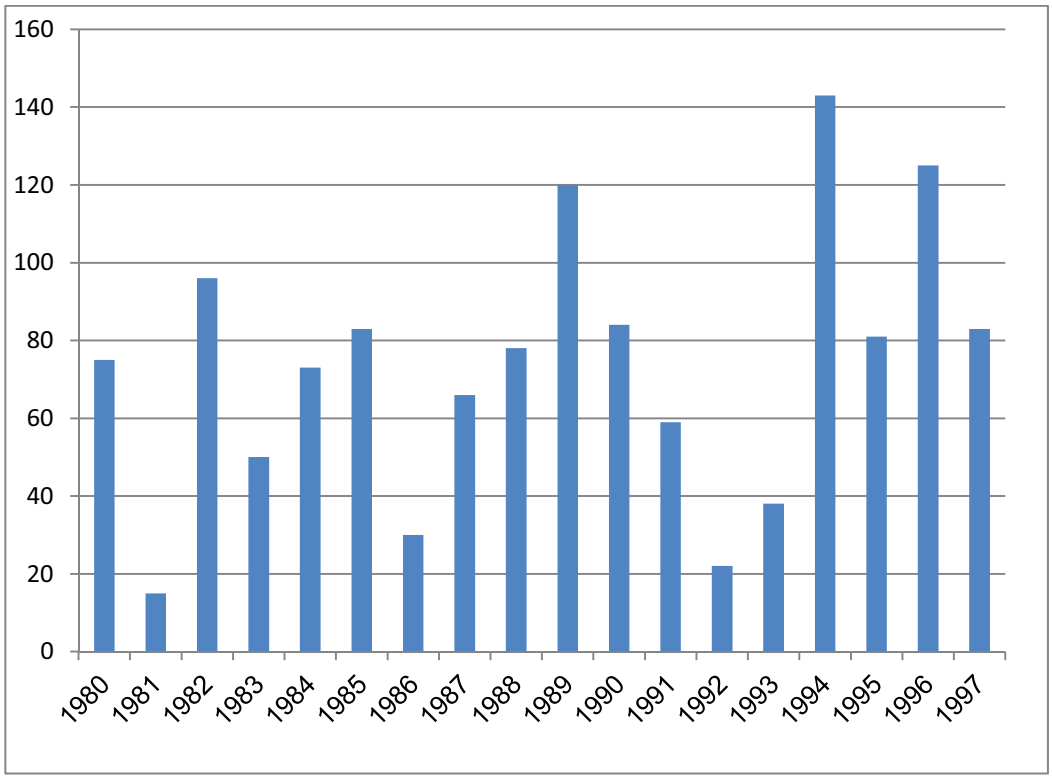
[50]- محمد بن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص. 90.

[51]- Mezzine. **Le Tafilalet**, p. 167.

من هنا يمكن القول بأن ذوبان الثلوج المتراكمة في المناطق المرتفعة الواقعة إلى الشمال من إقليم سجلماسة؛ حيث منابع وادي زيز، والتي تتراكم طيلة فصل الشتاء، ويبدأ ذوبانها في فصل الربيع؛ قد يستمر ليساهم بذلك في تدفق المياه نحو سافلة واد زيز الأوسط والأسفل[52].

وتشير مختلف الوثائق المحلية إلى حدوث فيضانات متكررة لواد زيز، تضررت منه عدة مرات منطقة مدغرة والرتب، ومجمل القصور الواقعة على هذا الواد، وهو ما يجعلنا أمام مناخ صعب وغير ملائم لاستقرار السكان، لكونه يعرض ساكنة المنطقة لعدة مشاكل، ويوضح المبيان التالي كمية التساقطات التي تتلقاها المنطقة المدرسة في بعض سنوات الفترة المعاصرة، والتي تظهر أن الأمر مازال تقريبا على ما كان عليه في الماضي.

مبيان رقم 4: التساقطات المطرية بالملمتر ما بين 1980م ـ 1997م بأوفوس[53].



[52]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 44.

[53]- **تقرير مكتب الاستثمار الفلاحي لتافيلالت فرع أوفوس** سنة 2000م.

يتبين لنا إذن من خلال هذا المبيان وبصورة جلية مدى غياب الانتظام الذي يطبع التساقطات من سنة إلى أخرى، فمن القلة والندرة أحيانا؛ إلى الأمطار العاصفية التي تنزل على شكل زخات عنيفة خلال فصل الخريف في أحيان أخرى، مما يتسبب في إلحاق أضرار كبيرة بالمنتجات الزراعية الخريفية خاصة منتوج التمر[54].

نستنتج من كل ما سبق أن الظروف المناخية بالرتب إجمالا صعبة وقاسية، نتيجة العوامل التي سبق ذكرها، لكن ذلك لم يمنع الانسان الرتبي من محاولة التأقلم مع طبيعة هذا المناخ، من خلال ابتكار أساليب مختلفة سواء في طريقة ومواد البناء، أو الوسائل المستخدمة في أنشطته الإنتاجية، حتى تمكنه من التعايش مع هذه المعطيات والخصوصيات المناخية بهذه المجالات الصحراوية وشبه الصحراوية.

[54]- **رسالة بعث بها الوصيف المخزني المعطي السوسي إلى خليفة السلطان سيدي محمد**، وهي مؤرخة بتاريخ 18 شوال 1328هـ/ 1910م، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم، 24010، توجد نسخة منها ب: م ب د ع ر، تحت رقم، 155.

2 ـ حدود الرتب: معالم كبرى واضحة، واختلاف في التحديد.

ينتمي مجال الرَّتْبْ التاريخي اليوم إلى قيادة دائرة أوفوس، التابعة لإقليم الرشيدية، بجهة درعة تافيلالت، كما ينتمي إلى ما يعرف بمجال زيز الأوسط الذي يقع بين خطي طول °4 و°4 و30 دقيقة غرب خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض °31 و30 دقيقة و°32 شمال خط الاستواء. حيث يمتد هذا الجزء من الحوض برمته من مركز الريش إلى مركز أوفوس[55]، وهذا ما يجعل مجال الرتب يمثل الحد الجنوبي لمنطقة زيز الأوسط، وإن كان البعض يحصر هذا الأخير ما بين سد الحسن الداخل وقصر الدويرة، حيث يضم أربع جماعات قروية: الخنك ومدغرة وأوفوس والرتب، إلى جانب الجماعة الحضرية للرشيدية[56].

وتمتد أراضي المجال المدروس على تراب جماعتين هما: أوفوس في الشمال، وهي الأقدم باعتبارها كانت المركز الإداري للرتب عموما منذ الفترة الاستعمارية إلى حدود سنة 1992م، ثم جماعة الرتب جنوبا، والتي تم إنشاؤها داخل نفس المجال لتحمل الاسم القديم له، وتمتد الجماعتين على مساحة تصل إلى حوالي 2990 كلم مربع، منها 1645كلم مربع بجماعة أوفوس و1345كلم مربع بجماعة الرتب[57]. مما يجعلهما يشغلان القسم الأسفل من منطقة زيز الأوسط. أما في ما يخص حدود المجال الإدارية، فمن الناحية الشمالية تحده جماعة مدغرة وفي جزء بسيط جماعة الخنك[58]، أما شرقا فتحده جماعة واد النعام[59]، وجنوبا جماعة عرب الصباح زيز، بينما تحده جماعة فزنا غربا[60]. كما توضح ذلك الخريطة التالية:

---

[55]– عبد اللوي، **مدغرة وادي زيز**،ج1، ص. 43.

[56]– مولاي هاشم كبيري علوي، **التحولات السكنية بزيز الأوسط، انفجار القصور ومسلسل التمدين**، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة في الجغرافيا موسم 2004م ـ 2005م، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز– فاس، ص. 11.

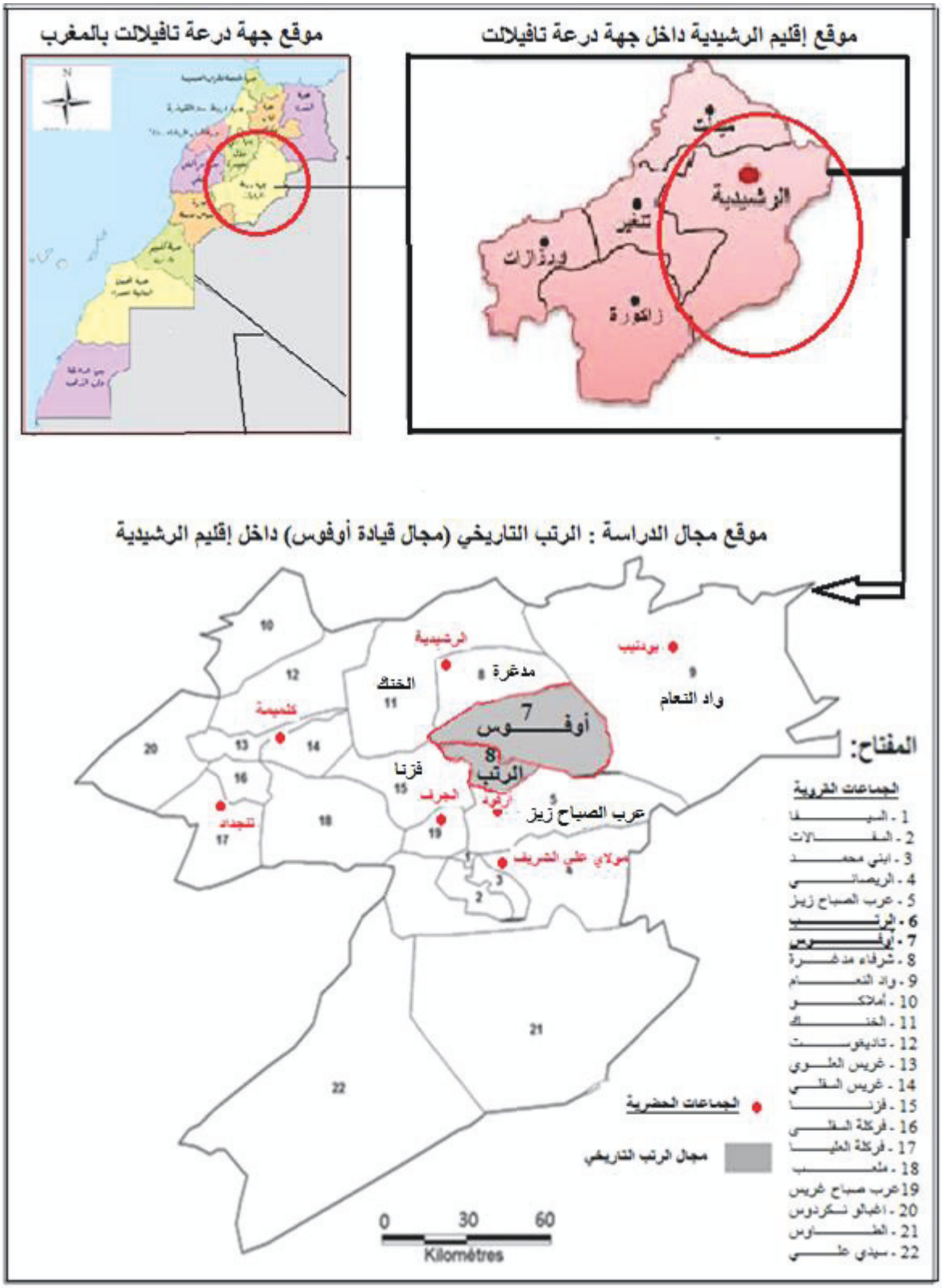
[57] – Agence urbaine d'Errachidia. **Etude…de Rteb**, p. 9.

[58]– **الخنك**: بالكاف المعقودة وتكتب أيضا بحرف القاف أي "الخنق" ذكره الوزان في كتابه وعرفه بكونه إقليم أو دائرة على واد زيز، يتاخم جبال الأطلس، ويضم عددا من القصور، أنظر الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص، 120. أما كربخال فسمى منطقة الخنك بتسمية كنانة، **إفريقيا**، ج3، ص، 155، 156. والمقصود بالخنك اليوم جماعة قروية تنتمي لإقليم الرشيدية وتقع شمال الرتب/ أوفوس، بحيث تفصل بينهما جماعة شرفاء مدغرة القروية، أنظر الخريطة رقم، 2، ص.41.

[59]– **واد النعام**، إحدى الجماعات القروية المنتمية لإقليم الرشيدية والتي تتاخم مجال الرتب من الجهة الشرقية، أنظر الخريطة رقم2، ص.41.

[60] – Saidi, **Plan de développement du centre d'Aoufous**, p. 2.

خريطة رقم 2: موقع مجال الرتب/أوفوس (قيادة أوفوس) بالمغرب.



إنجاز شخصي إعتماد على خريطة التقطيع الترابي للمملكة المغربية

لكن هذا التحديد الجغرافي ينطبق على الفترة الراهنة المعاصرة، مما يجعلنا نتساءل أيضا عن مدى مطابقة هذه الحدود لما قدمته بعض المصادر والدراسات حول الموقع الجغرافي للرتب التاريخي أي مجال امتداد جماعتي أوفوس والرتب، فهل هناك تشابه أم هناك اختلاف؟ وما مظاهره وتجلياته إن وجد؟ وكيف نفسره؟

لا تسعفنا المصادر والكتابات التاريخية كثيرا في رسم معالم واضحة أو مضبوطة وثابتة لمنطقة الرتب، بالنظر إلى طابع التعميم الذي كان يسم كتابات هؤلاء حول المنطقة كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك. فباستثناء الحدود الطبيعية البارزة؛ اعتبرت منطقة الرتب الواقعة على واد زيز قديما جزءا لا يتجزأ من سجلماسة، كما تضمن ذلك كلام الوزان، من خلال اعتباره هذه الأخيرة إقليما «**يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه**(سجلماسة)، **ويمتد على طول واد زيز، ابتداء من الخنك من المضيق القريب من مدينة غارسلوان**[61] **ونزولا نحو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلا**»[62]. وفي هذا يتوافق أيضا مع ما كتبه مارمول الذي أشار بدوره إلى أن إقليم سجلماسة «**يحمل اسم عاصمته ويخترقه نهر زيز الذي ينبع من بين جبال الأطلس الكبير، فيمر بغرس العيون وكنانة والمداغرة والرتب ومن هنا يتخلل النخل وينتهي في صحراء الظهرة، حيث يصب في بحيرة كبرى**»[63].

وقد سبق المقدسي كثيرين في الإشارة إلى أن مجال الرتب جزء من سجلماسة وإن لم يشر له بالاسم وذلك في سياق جرده للمناطق التابعة للإقليم المذكور بقوله«**وأما سجلماسة فهي اسم القصبة أيضا ولها من المدن: درعة، تادنقوست، أثرايلا، ويلميس، حصن ابن صالح، النحاسين، حصن السودان، هلال أمصلى، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، تازروت**»[64]

---

[61]- **غارسلوان**، وتسمى بغرس العيون وهي منطقة تقع شمال مدينة الرشيدية.

[62]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 120 ـ 121.

[63]- مرمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 152.

[64]- المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص. 209.

وبناء على هذا فإن إقليم سجلماسة كان يضم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على حد تعبير هذا المؤلف ثلاثة عشر مدينة، وهنا تلفت انتباهنا تسمية الخيامات وتجعلنا نتساءل، هل لهذا الاسم علاقة بقصر تاخيامت الموجود بالرتب والتابع حاليا للجماعة القروية أوفوس، خصوصا وأن هذا الاسم لم ينتشر ويتداول بشكل أكبر في المنطقة إلا مع مجيء العطاويين في القرن 19م؟

الإجابة على هذا السؤال تفرض علينا ضرورة التأصيل للكلمة في المصادر والمعاجم وغيرها، وذكر تاريخ القصر وأهميته ومميزات موقعه، وهو ما سنتطرق له لاحقا، لكن قبل ذلك ومن خلال تتبع عدد من المصادر نجد شبه اتفاق بينها على جعل المناطق الواقعة خلف جبال الأطلس الكبير جنوبا، والصحراء ونهر ملوية، وواد زيز، مجالا واحدا، تمتد فيه قصور زيز، وقصور الخنق، وقصور مدغرة، وقصور الرتب، وقصور سجلماسة العديدة[65].

وارتباطا دائما بالموقع؛ نسجل أن الرتب ظل جزءا لا يتجزأ من إقليم سجلماسة حتى بعد انهيار عاصمته وتراجع استعمال تسمية سجلماسة كدلالة على الإقليم ككل، في مقابل تزايد توظيف لفظ تافيلالت عوضا عنها، بحيث كان أيضا «**يطلق تجاوزا على مجموع حوض زيز وغريس، والذي يشتمل على سلسلة من الواحات تتناثر على النهرين وتحمل كل واحدة اسما خاصا (مدغرة . الرتب . تيزيمي . الجرف)، في حين لا يطلق اسم تافيلالت (بمعناها الضيق) إلا على الواحة الموجودة في أقصى الجنوب، بالقرب من مجرى وادي زيز ووادي غريس، والتي احتضنت في الماضي مركز سجلماسة المشهور في القرون الوسطى**»[66].

ولم تسعفنا كثيرا المصادر المغربية المختلفة في رسم ملامح واضحة لمجال الرتب، الذي ظل يخضع في أدبيات هذه المصادر لطابع التعميم، فضلا على أن تداول التسمية ـ أي الرتب ـ لم يبرز إلا في الفترة المرينية، مما غيب عنا كثيرا من خصوصيات المجال السياسية والاقتصادية والاجتماعية

---

[65]– أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور برا وبحر**، حققه وعلق عليه، عبد الكريم الفلالي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط2، 1991م، ص. 67.

[66]– العربي مزين، «**تافيلالت مهد الدولة العلوية**»، ضمن **مذكرات من التراث المغربي** تحت إشراف العربي الصقلي، ج4، الخزانة العامة والأرشيف الرباط، مطابع الأطلس، 1985م، ص. 15.

والثقافية والدينية(...)إلا ما نذر منها، ذلك أنهم كانوا يركزون في ما كتبوه ورووه، على مدينة سجلماسة عاصمة القرار السياسي، والنشاط الاقتصادي بالمغرب آنذاك.

سيبقى الأمر كذلك إلى حدود القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حيث حظي المجال بزيارة جغرافيين كبيرين، قدما لنا معلومات هامة ونادرة ومتفردة عن هذا المجال على محدوديتها، وهما الحسن الوزان صاحب كتاب وصف إفريقيا الذي جال بالمجال سنة 1511م، وكذا مارمول الغرناطي الذي وقف بدوره على خصائص المنطقة سنة 1557م، فالوزان عرّف «**الرتب بأنه دائرة تتاخم مضغرة**[67]**، وتمتد على طول زيز شطر الجنوب على مسافة خمسين ميلا**[68] **إلى إقليم سجلماسة. وبها عدد لا يحصى من القصور وبساتين النخيل. والسكان خاضعون للأعراب ـ إحالة على قبيلة المنابهة العربية ـ بخلاء جدا وجبناء، لا يقدر مائة من خيرة فرسانهم على مجابهة عشرة من فرسان الأعراب يخدمون أراضيهم لهؤلاء الأعراب كما لو كانوا عبيدا لهم. وتتاخم هذه الدائرة من الشرق جبالا غير مأهولة ـ هو تمسنت**

---

[67]– **مدغرة:** منطقة وواحة بإقليم سجلماسة ـ تافيلالت تقع بين واحتي الخنك شمالا والرتب جنوبا (مارمول، افريقيا، م س، ج1، ص. 108./ الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص. 123.) ويختلف المؤرخون في طريقة كتابتها بين: مدغرة ـ مطغرة ـ مضغرة، وإن كان أحمد المنجور قد أشار إلى أن "**مدغرة سجلماسة وهي بالدال بخلاف مطغرة تلمسان وتازا فالبطاء**" (أحمد المنجور، **فهرسة أحمد المنجور**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة الفهارس (1) مطبعة دار المغرب الرباط 1976م، ص. 60.) وهو ما ذكره أيضا ابن القاضي بقوله «**يفرق المؤرخون بين مطغرة بالطاء ومدغرة بالدال وبالضاد وأصلهما واحد. فما كان منها بالطاء فمطغرة تلمسان وما كان منها بالدال فمدغرة سجلماسة**» أحمد بن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، ط 1973م، ج2، ص. 477.) ولمزيد من الاطلاع حول دلالة الاسم أنظر محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب**، ج 2، ص. 520./ عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص ص. 43. 116./ حسن علوي حافظي، **مادة مدغرة**، معلمة المغرب، ج 21، ص. 7047.

[68]– إحالة مترجم كتاب الوزان، في ج 2، ص، 123. تقول: بل 20 ميلا فقط. و**الميل** حسب حجي هو: **ألف ذراع عند العرب، وألف خطوة عند الرومان) يساوي 1340 متر** ويقول حجي أيضا «**أن الجغرافيين والمحدثين اختلفوا في مقدار الميل، فجعله بعضهم أربعة آلاف ذراع، واخترنا المشهور الذي أخذ به ابن الحاجب ومن معه ومن تبعه من الفقهاء المالكية وهو ألف ذراع، لأنه المتداول عند المؤلفين بفاس وسائر بلاد المغرب في عصر الوزان**» (وصف افريقيا،ج1، ص. 24. وعليه فإن المسافة التقديرية التي قدمها حجي لامتداد الرتب وحددها ب20 ميلا بدل 50 ميلا والتي توافق 26800 متر أي حولي 27 كلم، هي أقل من الواقع أيضا، لان المسافة الطولية للرتب تقارب 40000 متر أي حوالي 40 كلم. مع العلم أن مقياس الميل المعتمد كما جاء في احدى الدراسات هو ما يعادل 4000 ذراع، وهو ما يعادل 1848متر، أي حوالي 1,8 كلم، مما يجعل المسافة التقديرية إذا اعتمدنا مسافة 20 ميلا التي قال بها المترجم هي حوالي 37 كلم وهي أقرب إلى الواقع. أنظر بخصوص تحديد المسافات باعتماد المصطلحات القديمة مثل الفرسخ والذراع والمرحلة وغيرها، محمد عمراني زريفي، **المقاييس في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه في التاريخ برسم الموسم الجامعي 2005م ـ 2006م، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، ص ص. 100، 101. مع تسجيل ملاحظة وهي أن المقياس المعتمد في الزمن الراهن لقياس الميل يجعل الميل الواحد يساوي 1,6093 متر، مما يجعل مسافة 20 ميلا تساوي بالحساب الراهن، حوالي 32 كلم.

الخالي تماما ـ ومن الغرب سهلا رمليا خاليا يخيم فيه الأعراب عند عودتهم من الصحراء»[69].

هذا التعريف والتحديد الذي قدمه لنا الوزان، يضعنا حتما أمام إشكالية المسافة على اعتبار أن امتداد هذه الأخيرة حسبما حدده يخالف ما هو على أرض الواقع، فمسافة الخمسين ميلا تزيد بكثير عن المسافة التقريبية التي يمكن حصرها في حوالي 25 ميلا. فهل يتعلق الأمر بتحولات عرفها المجال لاحقا قلصت حدوده عما كان عليه الحال زمن زيارة الوزان له؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد خطأ في التقدير، قد يعزى إلى أن الطريق التي ربما سلكها كانت تساير مجرى واد زيز، وتتميز بكثرة التواءاتها في مجال الرتب. مما قد يضاعف المسافة ويشعر المسافر بطولها، يضاف إلى ذلك إمكانية وجود الوادي في حالة الفيض مما قد يضطر المسافرين إلى إتباع طرق التفافية طويلة أحيانا، وهو ما قد يجعل الجغرافي يخطئ في التقدير؟

أما مارمول فيسمي المجال ب" إقليم الرتب أو الرطم" ويقول عنه «**يحادي هذا الإقليم نهر زيز، ويتاخم إقليم المداغرة جنوبا وإقليم سجلماسة شمالا طوله عشرون فرسخا، وتوجد به عدة قرى ومداشر يسكنها قوم من البرابر ينتمون إلى قبائل آيت غريس**[70]**، لكنهم لا يتحدثون بلهجة الغريسيين، علاوة على ذلك، يتصفون بالبخل والخوف والجبن، حتى لو اجتمع مائة رجل منهم، لا يستطيعون أن يغلبوا عشرة رجال من الأعراب، وهذا ما يشجع الأعراب على استعبادهم واستخدامهم بالمجال في الأشغال الفلاحية وغيرها»**[71]. ثم أشار إلى حدوده الشرقية والغربية موضحا أن هذا الإقليم «**يطل من جهته الشرقية على جبل جذب، أما في غربه فلا توجد إلا منطقة رملية يحط فيها أعراب أولاد المنبهي البالغ عددهم ألفي نسمة كلما عادوا من ليبيا، فينصبون الخيم، ويتحينون الفرص لابتزاز أهالي الإقليم، اذا ما تبين لهم أن السلطات الحاكمة غير قادرة على منعهم من ذلك»**[72].

---

[69]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 124، 123.

[70]- **آيت غريس**: هم الأن جماعة صغرى جدا، لا تتألف من إثنية واحدة، رغم بشرتهم السمراء الغير الداكنة، وأطلق اسمهم على الواحة كلها، **بن محمد قسطاني، الواحات المغربية قبل الاستعمار "غريس نموذجا"**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات . رقم 3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005، ص. 66.

[71]- مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 154.

[72]- نفسه، ص. 154.

وبهذا نجد أن **مارمول**. يحصر منطقة الرتب أو الرطم كما سماها، من المنطقة المعروفة محليا بشعبة اللحم ـ أي عند انتهاء مجال مدغرة جنوبا ـ إلى بداية " إيردي" المنطقة الرملية الجرداء[73] ومنطقة الخنك شمالا، أو ما عبر عنه **مارمول** بمنطقة كنانة **بقوله «يوجد هذا الإقليم ـ أي مدغرة ـ شمال الإقليم السابق ـ يعني الرتب ـ ويتاخم إقليم كنانة شمالا في المنطقة المؤدية إلى مملكة فاس. تقع معظم قراه ومداشره بجانب هذا النهر. وأهمها بلدة هلالة مقر الحاكم العربي المنتمي إلى قبيلة المداغرة»**[74].

لكن ما يسترعي انتباهنا أيضا هو تحديده لامتداد إقليم الرتب، حيث قدره بما يساوي 20 فرسخا[75] مخالفا بذلك ما ذكره الوزان. هذه القضية لم تغب عن من ترجموا ما كتبه هؤلاء، بحيث أشاروا إلى كون المسافات الواردة في كتابتهم تقديرية وكثيرا ما تعتريها أخطاء. ولهذا نسجل بخصوص توصيف الرحالتين لمجال الرتب وجود نقط تشابه ونقط اختلاف كثيرة بينهما، فهما وإن اتفقا في تحديد الموقع الجغرافي للرتب ووصف خصائص ساكنته، والتي تميز مرمول بتحديد انتمائها ولغتها، إلا أنهما اختلفا في تحديد طول مسافة أو امتداد المجال من شماله إلى جنوبه، فالوزان ذكر أنه يمتد على مسافة 50 ميلا، بينما مارمول حدده في 20 فرسخا، وبين كلا الرقمين بون شاسع.

ويبدو أن حدود الرتب لم تتغير كثيرا طيلة ثلاثة قرون أي من القرن10هـ/ 16م إلى حدود القرن 13هـ /19م، وهو الزمن الذي رسم فيه الفرنسي **هنري داستوك H. Dastugue** خريطة لمنطقة الرتب ومدغرة سنة 1859م، يمكن اعتبارها أهم وأوضح خريطة مفصلة وخاصة بمجال الرتب، إلى جانب كونها توضح لنا بشكل جلي ومضبوط إلى حد كبير الحدود الشمالية والجنوبية له، فضلا عن توطينه لمعظم القصور وتسمياتها كما توضح ذلك الخريطة التالية:

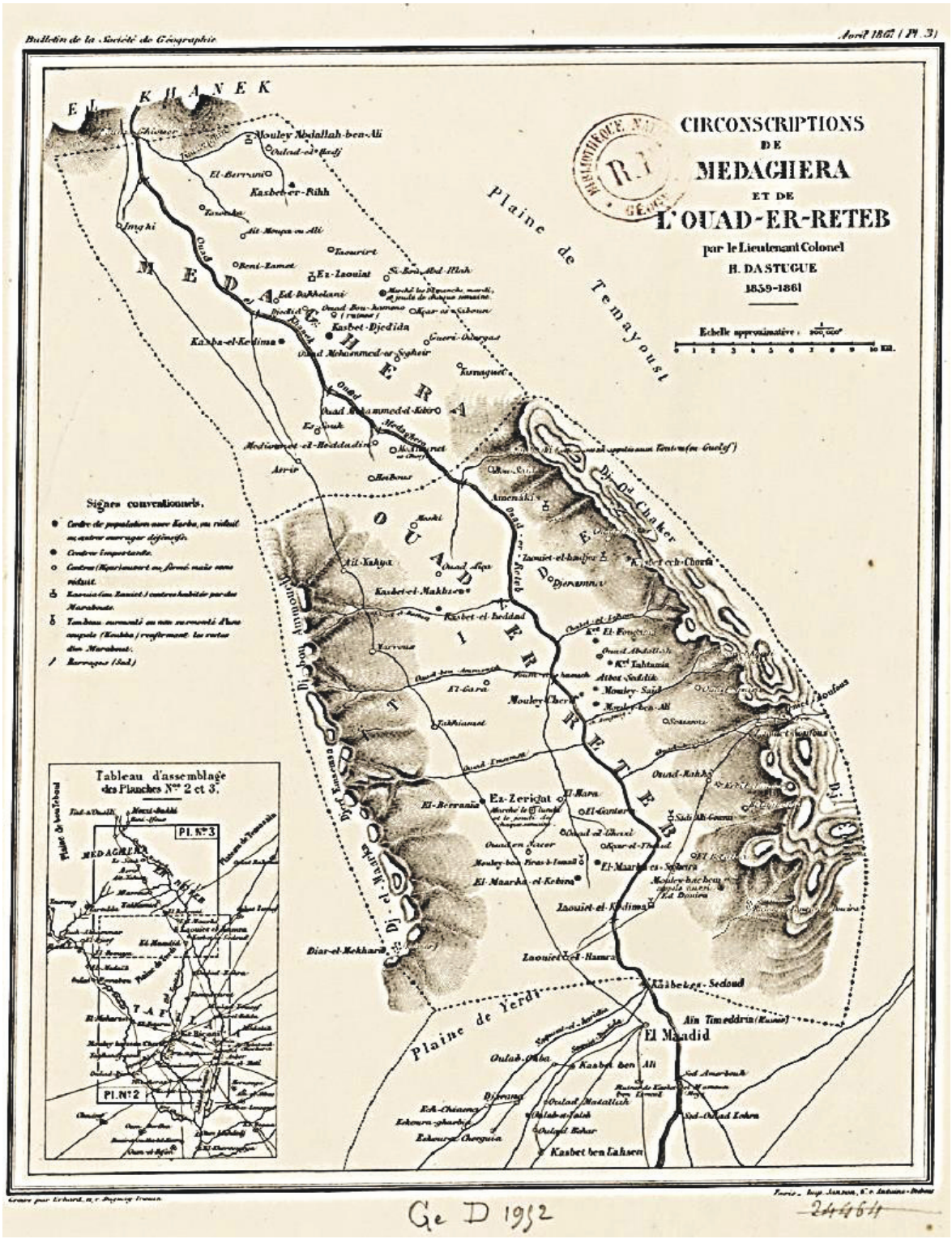
---

[73]- محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج2، هامش 5، ص، 123.

[74]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 155.

[75]- **الفرسخ**، بِفَتْحٍ فسكون، لفظ معرب جمع فراسيخ، مقياس من مقاييس المسافات مقداره ثلاثة أميال، تساوي اثنى عشر ألف ذراع، تساوي 5544 مترا، محمد عمراني زريفي، **المقاييس في بلاد المغرب**، ص. 105، وعليه فإن مسافة 20 فرسخا التي ذكرها مارمول كمسافة طولية لمجال الرتب تساوي حوالي 110 كلم، وهو ما يخالف الواقع تماما في ما يخص امتداد مجال الرتب، وهنا يبدو واضحا أن مارمول إنما اعتمد في تقديره للمسافة المذكورة على ما ذكره الوزان بكون المسافة هي 50 ميلا، مع مزيدا من المبالغة في تقدير المسافة.

الخريطة رقم 3: خريطة الحدود الجغرافية لمنطقة الرتب ومدغرة سنة 1859م–1861م[76].



[76]– Dasutuge Henri Le lientenant –Colonel, «Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb 1859-1861», In **Bulletin de la Société de Géographie**. Cinquième Série, Tom XIII. Janvier –Juin, Paris, 1867, p. 432.

تقدم لنا هذه الخريطة معلومات كثيرة وهامة، فيظهر لنا من خلالها أن حدود الرتب تبتدئ شمالا من جنوب منطقة مسكي، وبالضبط من قصر بوسعيد، بالقرب من شعبة اللحم أو شعبة الروح، كما يسميها السكان المحليون[77]، وتمتد في اتجاه الجنوب إلى المناطق الشمالية القريبة من قصر المعاضيد وقصر البروج عند منطقة إيردي، أي في الحدود الإدارية الحالية مع جماعة عرب الصباح زيز[78]، بينما تمتد شرقا من جبل تمسنت وتتجه نحو الغرب لتشمل جزءا من واد غريس. مع رصد اختلاف بسيط يتمثل في كون قصري الكنز وبوسعيد والمجال المحيط بمسكي لم يعد اليوم تابعا للرتب أو أوفوس، حسبما يظهر في الخريطة المذكورة. وهذا ما يمكن تفسيره بالتغيرات الإدارية، إذ وإلى اليوم لا زال هذين القصرين مرتبطين اقتصاديا واجتماعيا بأوفوس أكثر من مدغرة، وهو حال التقسيم الإداري لقيادة أوفوس نفسها إلى جماعتين متجاورتين، حيث نجد أن التقسيم ارتبط أساسا بتقريب الخدمات الإدارية من الساكنة، لكن ساكنة الجماعتين مازالتا مرتبطتين بشكل وثيق فيما يخص النشاط الاقتصادي لهما، ويلتقي سكانهما دائما في الأسواق الأسبوعية الثلاثة المنظمة بمركز أوفوس.

ومن الدراسات المهمة التي قدمت لنا معلومات عن منطقة الرتب ومجالها وحدودها؛ ما كتبه ليوتنان بيرو Lieutenant Berriou، الذي حدد امتداد منطقة وادي الرتب من الشمال نحو الجنوب على خط يمتد بما يقرب 38 كيلومتر، على متوسط عرض واحد كيلومتر من الأراضي الصالحة للزراعة، باستثناء منطقة قصور الزريكات والدويرة حيث تتسع الواحة على مسافة تصل لخمس كيلومترات، وتمتد هذه المنطقة من الشرق إلى الغرب حتى سفوح التلال، والتي تشكل حوض زيز، كما يحدها في الشرق أيضا في المنطقة الآهلة بالسكان جبل شاكر وجبل الربيت، أما في الغرب فنجد جبل بن عمو وجرف امسمسا وجبل المعاركة[79].

---

[77]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 194.

[78]- أنظر الخريطة رقم 2. ص. 41.

[79]- Lieutenant Berriou, « Notes sur l'Oued Ziz», Renseignements coloniaux et documents publiés, **par le Comté l' Afrique Française Organe du Comité du Maroc**, N°5, Paris, Année 1904, N° 5, p. 127.

وتنتشر داخل هذا المجال عدد من القصور بعضها مازال قائما، لكن عددا أخر منها تعرض للدمار والهدم ولم يعد لها آثار أو معالم، إلا فيما كتبته بعض المصادر التاريخية، وما تذكره روايات بعض شيوخ وساكنة المنطقة. وقد حددت بعض الأبحاث عدد القصور بالمجال اليوم في حوالي 39 قصرا[80]، تمتد على ضفتي واد زيز إلى جانب تجمعين منعزلين هما زاوية أوفوس والحواسي، منها حوالي 24 قصرا بجماعة أوفوس التي أسست سنة 1962م، وحوالي 15 قصرا بجماعة الرتب التي اقتطعت من الجماعة الأم أوفوس، وحملت التسمية التاريخية للمجال وذلك منذ سنة 1992م، مع ضرورة التأكيد على ما قد يقع للباحث من خلط بين القصور القائمة والمهدومة بمجال الرتب، ذلك أن عددا مهما من هذه القصور لا علاقة له بتلك التي ذكرت في المصادر وإنما هي قصور جديدة حملت نفس تسمية القصور المندرسة داخل هذا المجال الواقع على بعد 45 كلم من مدينة الرشيدية[81]، وحوالي 20 كلم من مدينة أرفود. وغالبا ما يميز السكان بين موقع القصرين بإضافة تسمية القديم على القصر الأقدم للتمييز بينهما، وهو ما عايناه أثناء استكشافنا المجال من أجل معرفة قصوره سواء العامرة أو المندرسة.

[80]- كبيري، **التحولات السكنية بزيز الأوسط**، ص. 131./ - Berriou, **Notes sur l'Oued Ziz**, p. 127.

[81]- جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس 2008م ـ 2010م**، ص. 12.

الجدول رقم 2: القصور العامرة بجماعة أوفوس (الرتب الأوسط والأعلى) [82].

قصور جماعة أوفوس	
قصور الضفة اليسرى لواد زيز	**قصور الضفة اليمنى لواد زيز**
1. بوسعيد. 2 ـ زاوية أملكيس. 3 ـ الجرامنة: الكبرى. 4 ـ الجرامنة الصغرى(الكصيرة بالكاف المعقودة). 5 ـ أولاد شاكر : آيت اغف. 6 ـ : اقربوس. 7 ـ : تيدرين. وتخبوت 8 ـ قصر الجديد : القصبة الفوقانية. 9 ـ : أولاد عبد الله. 10ـ : الوسط(قصيبة مولاي السعيد، مولاي بن علي، مولاي الشريف). 11 ـ : فم الحويش. 12 ـ : عتبة الصديق. 13 ـ : القصبة التحتانية. 14 ـ أولاد عميرة: آيت سفول. 15 ـ :ايت الخلف. 16 ـ :آيت خباش(القصيرة،إغرم نايت خباش) 17 ـ أوفوس (أحداف، المركز). 18 ـ زاوية أوفوس.	1 ـ الكنز. 2 ـ تونة. 3 ـ زويوية. 4 ـ زوالة. 5 ـ أولاد عيسى: القصبة. 6 ـ ـ القصر السفلاني. 7 ـ ـ القصر الوسطاني. 8 ـ تاخيامت. 9 ـ الكارة.

[82]– بالنسبة لقصري الكنز وبوسعيد أصبحا معا اليوم ضمن المجال الترابي لجماعة شرفاء مدغرة المجاور للرتب شمالا، لكنهما كانا ضمن ما عرف بمجال الرتب.

الجدول رقم 3: القصور العامرة بجماعة الرتب (الرتب الأسفل).

قصور جماعة الرتب	
قصور الضفة اليسرى	**قصور الضفة اليمنى**
1 ـ اربيت	1 ـ الزريقات : القنطرة
2 ـ سيدي علي الكومي	2 ـ : أولاد ناصر
3 . البلاغمة	3 ـ : الحارة
4 ـ البطاطحة	4 ـ : الرحبة
5 ـ الزاوية القديمة	5 ـ : القصبة
6 ـ الدويرة	6 تمعاركيت ـ
	7 ـ المعاركة
	8 ـ الزاوية الجديدة

نخلص مما سبق ذكره إلى أن منطقة الرتب شكلت احدى أبرز المسالك الطبيعية والممرات التجارية الإجبارية التي كانت قوافل التجارة الصحراوية تعبرها، بفضل موقعها وانتمائها لإقليم سجلماسة/ تافيلالت، فضلا عن كونها تميزت بوجود خصوصيات تضارسية ومناخية مختلفة عن باقي مكونات الإقليم، مما أهل مجالها لإقامة عدد من القصور التي حاولت الاستفادة والتعايش مع ضيق المجال وقساوة معطياته الطبيعية. كما نسجل ملاحظة أساسية تتعلق بقصور المنطقة، وهي تعددها وانتشارها على طول ضفتي واد زيز اليمنى واليسرى، من الحدود الشمالية عند مسكي إلى الحد الجنوب في منطقة إيردي، دون إغفال التذكير بكون كلا من قصري بوسعيد والكنز واللذان كانا يعتبران جزءا من منطقة الرتب؛ هما اليوم يتبعان إداريا لجماعة شرفاء مدغرة القروية الواقعة شمالا.

3 ـ أهم الموارد المائية بالرتب.

تكونت الموارد المائية في مجال الدراسة أساسا من المجاري المائية، التي كان واد زيز بروافده المتعددة أحد أهم مصادرها، بحيث كان هذا الأخير إلى جانب وادي كير وغريس يشكل مصدرا للشبكة المائية بالجنوب الشرقي المغربي، وينبع واد زيز من السفوح الشرقية للأطلس الكبير جنوب جبل العياشي، ويتجه نحو مدينة الريش ومنها إلى قصر السوق (الرشيدية حاليا)، ليمر بالرتب قبل أن يصل إلى عرب الصباح وتافيلالت الصغرى حيث يلتقي جنوب هذه الأخيرة مع واد غريس النابع من الأطلس الكبير؛ ليشكلان معا واديا جديد يحمل اسم وادي الداورة[83]، هذا الجريان الذي ظل قائما على امتداد تاريخ المنطقة عرف حالات استثناء عديدة، إذ كثيرا ما تسبب الواد في فيضانات مهولة تذكرها عدد من المصادر، خاصة وأنها تسببت في دمار مجموعة من القصور وجرف كثير من الحقول، لعل أخرها وأخطرها كان فيضان سنة 1965م، الذي كان له أضرار كبيرة اهتز لها المغرب ككل[84]، وفرض تدخلا رسميا كان له ما بعده، وذلك بإقامة سد عند سافلة الأطلس الكبير سمي سد الحسن الداخل الذي انتهي العمل فيه سنة 1971م[85]، بعد أن جند له الملك الحسن الثاني كل المغاربة من خلال اشراكهم في المساهمة لبنائه عن طريق فرض زيادة عامة في سعر بيع مادة السكر[86].

إنشاء هذا السد بقدر ما حمى المنطقة من كثير من التهديدات، إلا أنه في الآن نفسه أثر على منطقة الرتب بالخصوص، حيث كانت دائمة الاستفادة من هذا الواد، منذ قرون عديدة إن

---

[83]– استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل ايت عطا الصحراء**، ص. 71.

[84]– عبد السلام تزلي، «جوانب من المسألة المائية بزيز الأوسط (الرشيدية)»، "**مجلة واحة تافيلالت**"، ع1، 1999م، مطبعة تافيلالت، الرشيدية 1999م، ص. 37.

[85]– خطاب الملك الحسن الثاني بمدينة أرفود يوم 5 ماي 1966م، **انبعاث أمة**، ع 11، المطبعة الملكية، 1966م، ص ص. 75، 76.

[86]–خطاب الملك الحسن الثاني، بفم الغيور(منطقة إنشاء سد الحسن الداخل بالرشيدية) يوم 12 يناير 1968م، بمناسبة البدء في بناء سد وادي زيز، **انبعاث أمة**، ع 13، المطبعة الملكية، 1968م، ص. 24.

بشكل مباشر أو من خلال تغذيته للفرش المائية الباطنية التي توجد بالمجال والتي نقسمها إلى مجموعتين:

ـ **الفرشة العميقة لحوض الرشيدية بوذنيب،** تشكل أهم مورد مائي باطني جنوب سلسلة الأطلس الكبير الشرقي.

ـ **الفرشة الرباعية،** تتغدى هذه الفرشة أساسا من مياه حملات الأودية، وهي جد حساسة اتجاه التقلبات المناخية. وتستغل هذه الفرشة اليوم في بعض الأماكن انطلاقا من الآبار المجهزة بواسطة المضخات العصرية.

أما فيما يتعلق بالموارد المائية الأخرى للرتب، فقد ظلت على امتداد تاريخ المنطقة مكونة أساسا من مياه فيضانات واد زيز وروافده العديدة المتفاوتة الحمولة، وأهمها واد بوازمو، واد مايوسف، واد الرمل، واد البسباس واد أملكيس، واد أمروس، واد زاوية أوفوس، واد امسمسا، والواد البيض(...)، إلى جانب عدد من الشعاب الكبرى[87]، يضاف لها اليوم تلك الطلقات المائية لسد الحسن الداخل والتي تتراوح ما بين مرتين إلى ثلاث مرات في السنة، ولمدة تتراوح ما بين 15 و30 يوما في كل طلقة. لكن رغم كل ذلك تتزايد المؤشرات التي تبرز تنامي مشكل ندرة المياه نذكر من بينها:

ـ تراجع عدد العيون السطحية بفعل توالي سنوات الجفاف؛

ـ الاستعمال المفرط للفرشة الباطنية على مستوى بوازمو ـ مسكي وبعالية زيز، مما يؤثر على المنحدر الجنوبي؛

[87]– أنظر الخريطة الطبوغرافية لأوفوس في الملحق رقم 1. ص. 542.

ـ ضياع كمية مهمة من مياه المنطقة حيث سجلت نسبا مرتفعة من الملوحة، وهذا ما أدى طبعا إلى ملوحة التربة وبالتالي انخفاض درجة الخصوبة[88].

يضاف إلى ذلك كون المياه الباطنية بالمنطقة تمتاز بنسبة عالية من الملوحة تؤثر على الغطاء النباتي وعلى حجم ونوع المنتوجات، فنظرا للتركيبة الصخرية للمنطقة تتعرض هذه المياه للتشبع بعدد من المعادن ذات التأثير السلبي في خصائصها ومكوناته ويزداد الأمر تفاقما كلما اتجهنا من شمال الرتب نحو جنوبه باتجاه تيزيمي – عرب الصباح، كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم 4 :نسبة الأملاح في مياه واد زيز بالملغرام / ل[89]:

اسم المنطقة	الصوديوم	الكالسيوم	المنغنزيوم	الكلوريديان	البوتاسيوم
سد الحسن الداخل	62.000	34	134	-	4,10
عين مسكي	110.00	88	43	266,25	3,20
أوفوس	220.00	76	77.44	323,05	13,00
الدويرة	510.00	108	233	848	13,70

يتبين بشكل جلي دور المعطى المائي في طريقة توزيع قصور الرتب ومواضعها ومواقعها، فكلها أقيمت على ضفاف واد زيز بما فيها بساتين النخيل[90]، وما يؤكد هذا المعطى هو ما تورده المصادر من معلومات عن الخسائر البشرية والمادية التي كان يتسبب فيها الوادي في فترات مختلفة، لكن السكان غالبا ما كانوا يعودون إلى الاستقرار بجانبه رغم التهديدات المستمرة التي كانت تشكلها فيضانات هذا الواد المتوالية، في هذا الإطار وعلاقة بموضوع الماء يتبادر إلى الذهن سؤال يفرض نفسه بقوة، وهو لماذا لم تنجح ساكنة الرتب في بناء مدينة على غرار ما قام به الخوارج

---

[88]– جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس، 2008م ـ 2010م**، ص ص. 13، 14.

[89]– تزلي، «**جوانب من المسألة المائية بزيز الأوسط**»، ص. 39.

[90]– الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 123، 124.

بسجلماسة، أو أن تحظى بالأولوية في ذلك بحكم موقعها رغم وجود أدلة كثيرة على قدم الاستقرار البشري بمنطقة الرتب؟

وجدنا في محاولتنا تقديم إجابة على هذه التساؤلات، أنه إلى جانب العوامل السياسية والبشرية، لم يكن هناك إمكانية لامتداد مدينة بهذا المجال بشكل متوازن، نظرا لانحصار المنطقة بين كتلتين هضبيتين مشرفتين على واد زيز، فضلا على أن التفكير في إنشاء مدينة كبرى بالرتب، كان يعني ضمنيا القضاء على المجال الزراعي، وبالتالي سهولة محاصرة مثل هذه المدينة أو منع تزودها بحاجياتها، كما أن التفكير في إنشائها خارج المجرى المائي كان يصطدم بصعوبة توفير الشروط التي يفترض وجودها لضمان الحياة بأي مدينة، وفي مقدمتها وفرة الماء وقربه وسهولة الاستفادة منه، وهو ما لم يكن ممكنا نظرا للموضع الذي يحتله الرتب من واد زيز والموقع التضاريسي الذي يوجد فيه.

انعكست اذن مميزات وخصائص الموارد المائية بالمنطقة على الأنشطة الإنتاجية أساسا، وهذا ما فسر انتشار الزراعة المسقية على امتداد ضفتي الوادي، بينما انحصرت الزراعة المطرية أو المعتمدة على التساقطات في مناطق بعيدة عن المجال السكني والمجال الذي تغطيه واحات النخيل. حيث نرصد وجودها المحدود في الكتلة الهضبية الواقعة شرق المنطقة باتجاه بودنيب، لكنها تبقى في أغلب الفترات قاحلة وخالية من السكان[91].

يمكن أن نفسر وجود النشاط السقوي بالمجال المذكور بتوفر الماء في السنوات المطرة طيلة السنة تقريبا، وبفضل توفر عيون مهمة بالمنطقة أو على مجرى واد زيز، مما يجعلها تضمن استمرار الجريان المائي حتى في الفترات الجافة، نذكر من هذه العيون عين مسكي المعروفة بأجلف[92]، وعين أخرى بمنطقة زاوية أوفوس لا تقل في تدفقها وكمية المياه التي توفرها عن العين الأولى[93]. يضاف

[91]- الوزان، **وصف افريقيا** ، ج2، ص ص. 123، 124.

[92]- أبو عبد الله البكري، **المسالك والمماليك**، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج 2، ص. 333.

[93]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 70.

إلى ذلك ما أورده حافظي من أن الروايات المحلية بمدينة سجلماسة نفسها كانت تعتمد في زراعتها على مياه عين تسمى "تمدرين" التي كانت تنبع في المكان المسمى اليوم ب "زرزف" شمال مدينة أرفود، وأن مياه هذه العين كانت تكفي لسقي أراضي تافيلالت بأكملها. ولا توجد كلمة تمدرين اليوم في أسماء الأماكن المجاورة لمنطقة زرزف. لكن هناك كلمة تشبهها لفظا وهي تيدرين التي هي اسم لقصر من قصور أولاد شاكر بالرتب الأعلى، لكننا لا نجد بهذه المنطقة آثارا لوجود عيون أو منابع للماء بل إن هذه الأخيرة نفسها تعتمد في زراعتها على مياه عين مسكي ومياه وادي زيز[94]، كما أن تسمية تدرين المرتبطة بأحد قصور الرتب لم تكن متداولة في المصادر التاريخية التي أشارت ولو تلميحا للمنطقة، وإنما ارتبطت بمجيئ العطاويين إليها، فضلا عما قام به داستوك من توطين لعين تمدرين Aïn Timeddrin في أقصى جنوب الرتب قرب إيردي[95]. فهل يتعلق الأمر هنا باسم قديم تم إحياؤه؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تشابه في التسمية خصوصا إذا علمنا أن هذه التسمية "تدرين" كانت منتشرة في أماكن عدة.

لكننا مع ذلك لا يجب أن نغفل ما كانت تعرفه المنطقة من ظهور لعيون مائية ثم اختفائها، لعل آخرها كانت العين المسماة عين العاطي في المجال الأسفل للرتب والتي تدفق مائها سنة 1982م، واستمرت في التدفق إلى حدود سنة 2018م. لتتوقف بشكل نهائي، رغم التضارب في الأسباب الكامنة وراء توقفها هذا بشكل مفاجئ.

ثم إن موقع الرتب وضيق واد زيز في بعض مناطقه كان يمكِّن سكان القصور من التوجه إلى إقامة سدود صغيرة تحويلية تقليدية عند تراجع مياه الواد من أجل رفع المياه وجرها عبر قنوات نحو الحقول المختلفة، رغم ما يتسبب فيه ذلك أحيانا من خلافات مستمرة بين قصور عالية الرتب (زاوية أملكيس، الجرامنة، زوالة، قصور أولاد شاكر...)، ووسطه (القصر الجديد، تاخيامت، أولاد عميرة...)، وقصور الرتب السفلى(الدويرة، المعاركة، تامعركيت، الزريكات...)، ورغم التأثر السلبي الذي تتسبب فيه طبيعة الصخور المكونة للمنطقة باعتبار معظم صخورها كلسية مما يجعلها ذات نفاذية كبيرة[96].

[94]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 65، 66.

[95]- Dastugue, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb**», p. 431.

[96]- Margat, **Mémoire explicatif**, p. 52.

وفي ما يتعلق بآبار الرتب القديمة فعند تتبع المنطقة من عاليتها إلى سافلتها بحثا عنها أو عن أثر لها، سجلنا شبه انعدام لهذه الآبار في عالية ووسط الرتب ليبدأ ظهورها تدريجيا وبشكل محدود في السافلة، مما يعكس مدى استفادة المجالين الأولين أكثر من المجال الأخير من المياه القادمة من الأعالي أو من عين مسكي، وإن وجدت هذه الآبار فهي غالبا مرتبطة بالمساجد وببعض البيوت، مع ملاحظة أساسية وهي وجود إحدى المناطق الواقعة خلف جبل قصر "**الزويوية**" المجاورة لقصر "**زوالة**" في عالية الرتب على الضفة اليمنى لواد زيز تحمل اسم "**تونة**" والتي تعني البئر الذي يوجد به الماء على عمق قريب جدا لا يتعدى مترا واحدا، وقد سمي هذا القصر كذلك لوجود مجموعة من الآبار به، وطريقة السقي التي تتم بالاعتماد على هذه الآبار.

أما ما يتعلق باعتمادها في السقي فمحدود جدا، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بتوفر المجال على سيولة مائية مهمة طيلة السنة تقريبا[97]. الأمر الذي جعل التفكير في حفر آبار غير مطروح بحدة في عالية ووسط الرتب، لاسيما أن المجال الزراعي كان محدودا جدا ثم إن تجربة حفر آبار كثيرا ما كانت تصطدم بكون هذه الآبار ترتفع فيها نسبة الملوحة[98]. وعندما كانت توجد آبار عذبة فإنها كانت تشكل محجا للساكنة قصد التزود بحاجياتهم اليومية، وكمثال على ذلك عين العاطي، فلم يكن ماؤها صالحا للشرب أو حتى للسقي نظرا لغنى مياهها بمواد الكبريت والصوديوم.

نستنتج من كل هذا أن الوضع المائي والخصوصيات المناخية للرتب ساهمت في عدم حاجة السكان إلى إقامة الخطارات مقارنة بالمجالات المجاورة مثل عرب الصباح وتافيلالت والجرف والسيفا. كما أن التقلبات التي كانت تعرفها الثروات المائية في المنطقة الجنوبية الشرقية عموما كان لها أبعد الأثر على منطقة الرتب لأن ذلك شد انتباه كثير من القبائل إليه بفضل وأهمية ثرواته المائية، وهذا ما جعل هذه الأخيرة عاملا مهما في مختلف التطورات التي عرفها هذا المجال طيلة الفترة الوسيطية والحديثة وحتى المعاصرة.

---

[97]- الأوفوسي، «**مادة: أوفوس**»، معلمة المغرب، ج3، ص. 903.

[98]- Margat, **Mémoire éxplicatif**, p. 33.

4 ـ الغطاء النباتي والثروة الحيوانية بالرتب، تنوع مهم وانتشار محدود.

لعل المار اليوم بمجال الرتب على امتداد الطريق الوطنية رقم 13، ما بين مدينتي الرشيدية وأرفود، لابد وأن يستوقفه ذلك المنظر البديع لواحة الرتب، التي تظهر من الأعلى وكأنها نهر من أشجار النخيل كثيرة العدد والممتدة في الأرجاء على مرمى البصر، لدرجة تجعله يعتقد أن الثروة الغابوية الوحيدة بالرتب تنحصر في شجرة النخيل دون غيرها، لكن بالمعاينة المباشرة، ومن خلال ما كتبه الباحثون يتبين مدى غنى هذا المجال بعدد من المنتوجات الفلاحية المهمة، والتي شكلت على امتداد تاريخ هذا المجال وسيلة لعيش الساكنة لما توفره من غذاء، بل ولدورها في تمكين ساكنة المنطقة أحيانا من الحصول على موارد مالية مهمة، بعد بيع الفائض منه أو مقايضته، لكن السمة الأساسية لهذا الإنتاج هو تأثره الكبير بالخصائص المناخية للمجال، سواء من حيث النوعية أو الانتاج.

وإذا كنا نتفق على أهمية أشجار النخيل التي تنتج تمورا بمختلف أنواعها، والمعروفة محليا بأسماء مختلفة مثل المجهول والفكوس والخلط وغير ذلك، إلا أننا نجد أيضا إلى جانبها أشجارا مثمرة أخرى، تتمثل في الرمان والمشمش والعنب والزيتون الذي كان منتشرا منذ القديم بنواحي الرتب ومدغرة، كما يذكر ذلك محمد شفيق[99]. فضلا عن انتشار واسع لشجرة "الأثل" التي تكثر في مناطق كثيرة جنوب الأطلس الكبير مثل درعة، دادس، تدغة، فركلة، غريس والرتب[100]، أما مزين فيؤكد أن المنطقة وجدت بها أيضا نباتات أخرى من النوع الشجري، فيذكر لنا وجود أشجار الصفصاف وهي نباتات تنمو أساسا بجوار الأودية والسواقي[101].

---

[99]– شفيق محمد، «حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ»، ضمن كتاب، **جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب**، إشراف محمد القبلي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1997م، ص. 69.

[100]– Meunié, **Le Maroc saharien**, p. 100.

[101]– Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 231, 249.

لكن الغطاء النباتي المثمر والمستغل بالرتب لم يكن يتجاوز بضع كيلومترات ويتقلص أحيانا إلى بضعة أمتار على امتداد مجرى واد زيز داخل هذا المجال، وهذا ما يجعل معظم المساحة التي يشغلها الأخير مخالفة تماما للتوصيف السابق الذي ذكرناه. وهكذا تنتشر بالمجال نباتات طبيعية تحمل أسماء محلية مثل السدرة(يسمها البعض بالنبق)، وتلكوت وأنكرف، وتونغت زيادة على أفسيس، والدفلة والرتم [102]، وأغلب هذه الأخيرة من النوع الشوكي القصير القامة والمتفرق، ومعنى ذلك أن النباتات الموجودة في هذه المنطقة هي نباتات صحراوية، متأقلمة مع الطبيعة الصعبة، ويظهر أن هذا النوع من النبات في الرتب ينتشر غالبا في الجهات الخارجة والبعيدة عن الأودية[103].

ونظرا لموقع الرتب بالمجال الصحراوي فإن مساحة وانتشار النباتات لاسيما الشوكية منها ارتبط كثيرا بحجم وفترة ومدى انتظام التساقطات على امتداد السنة، ويبدو أن هذه النباتات وخاصة تلك الموجودة خارج الأودية كانت مخصصة لرعي قطعان المواشي والبهائم[104]، إلى جانب أن السكان كانوا يعمدون أحيانا إلى زراعة المناطق البورية بالحبوب في السنوات المطيرة، على غرار ما كان يفعله عامة أهل سجلماسة كما أوردت بعض المصادر[105].

---

[102]- زهور مليكي، **إعداد المجال والتنمية الحضرية بمدينة الرشيدية**، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، الموسم الجامعي، 2009م ـ 2010م، ص. 45./ جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس 2008 م ـ 2010**م، ص. 14.

[103]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 142.

[104]- Ibid, Pp. 141,143.

[105]- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **البلدان**، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص. 198.

أما فيما يتعلق بالحيوانات الموجودة بالرتب فتتكون أساسا من تلك التي عمل الإنسان على تدجينها، وتستوقفنا أولا إشارة اليوسي في رسالته إلى السلطان مولاي إسماعيل التي أشار فيها إلى ما كانت تتعرض له قطعان أهل الرتب منذ العهد الإسماعيلي من اعتداء على أيدي قبائل آيت عطا، حيث أشار لذلك بقوله «**وكم أغناما نهبت لأهل الرتب**»[106]، وما تخصيصه الحديث عن الضرر الذي أصاب أهل الرتب في ماشيتهم دون غيره إلا دليل على احتمال أهمية أعداد القطعان التي كانت تمتلكها ساكنة الرتب، خاصة ونحن نعلم أن القبائل العربية المعقلية التي كانت تتحكم في الرتب خلال العصر الحديث وقبل السيطرة العطاوية عليه، كانت قبائل رحلية متنقلة بالأساس، وهذا ما يجعل النشاط الأبرز لها هو تربية الماشية. كما أن كلا من الوزان ومارمول خلال القرن 10هـ/ 16م أشارا إلى مزاوجة هؤلاء السكان ما بين حياة الترحال والاستقرار[107]. وهذا ما يحيلنا بدوره إلى استنتاج أهمية اعتماد القبائل العربية بالرتب على الخيول التي لابد وأن أعدادها كانت كبيرة؛ بناء على تقدير مارمول لأعددها بحوالي ألفي فرس[108]، هذا النوع من الحيوانات كانت له أهمية كبيرة في المعارك والحروب على مستوى الدفاع أو الهجوم على الأعداء، ومن المرجح أن يكون إنسان الرتب استعمل أيضا هذا الحيوان كأداة مساعدة[109]، مما مكّنه من بسط سطوته على مناطق أخرى وصلت إلى حد دفعها إتاوات له على حد تعبير الوزان[110].

نستنتج من كل ما أوردناه أن الثروة الحيوانية والزراعية بالرتب كانت مهمة، وإن تباينت أهميتها من فترة إلى أخرى، لكنها بالمقابل كانت خاضعة للظروف الطبيعية التي ظلت تفرض تأثيرها بقوة على الإنسان والمجال بمنطقة الرتب.

---

[106]- فاطمة خليل القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، جمع وتحقيق ودراسة، مطبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1981م، ج1، ص. 211.

[107]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص، 124، 123./ مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص ص. 155، 154.

[108]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 155.

[109]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 217.

[110]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص. 124.

5 ـ طبونيمية الرتب وتطورها.

تستوقفنا كثيرا تسمية "الرَّتْبْ" من أجل التأريخ والتأصيل لها وتحديد دلالتها الطبونيمية، مما يفرض علينا ضرورة الرجوع إلى المصادر والدراسات التي تناولت المنطقة خلال أهم المحطات التاريخية البارزة لها، لاسيما كتب الجغرافية التاريخية وكتب الرحلات، التي يمكن أن تقدم لنا بعض المعلومات عنها، وبالتالي يمكن من خلالها أن نستشف بعض الإجابات عن الأسئلة المطروحة حول التسمية ومرجعيتها وتفسيرها، فضلا عن كون تعريف الكلمة يطرح أمامنا صعوبات عدة، بسبب الاختلاف الكبير الذي يطبع الروايات حول الموضوع، نظرا لربط بعضهم التسمية بالمفهوم الاقتصادي. الأمر الذي يفرض التساؤل عن مختلف الروايات المتداولة بين الساكنة حول تسمية منطقتهم، وعن طبيعة العلاقة بين هذا الإسم بمفهومه ودلالاته الاقتصادية وبين تخصيص المنطقة به، فهل هناك فعلا ارتباط بينهما أم لا؟

يحتم علينا التنوع اللغوي الذي وسم المنطقة على امتداد تاريخها افتراض المرجعية اللغوية العربية أو الأمازيغية لتسمية المنطقة، على اعتبار أن جل الأمازيغ يسمون المجال تسمية خاصة بهم، حيث يطلقون عليه اسم "**الرَّتْبَاتْ**"؛ التي يبدو أنها جمع لكلمة الرَّتْبْ، كما يرجح أن يكون مدلولها عربي وتم تمزيغه من قبل أهالي المنطقة الأمازيغ[111]، عكس تسميته بالرَّتْبْ التي يستخدمها العرب من أهل المنطقة إلى جانب استخدامها أيضا في معظم المراجع والمصادر التاريخية، ثم المؤسسات الإدارية المختلفة، فهل للكلمة دلالة أمازيغية سابقة أو لاحقة على الحضور العربي بالمنطقة أم لا؟ ثم متى يمكننا أن نؤرخ لظهور التسمية؛ التي لم تظهر في مختلف المصادر التاريخية بشكل بارز، وأكثر تداولا إلا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؟ وإلى أي درجة

---

[111]– مولاي الحسن مغار، «المجال والفرجة بقصور الرتب بتافيلالت (تراث لامادي بقصر أولاد عميرة نموذجا)»، ضمن مؤلف "**واحات درعة تافيلالت، التراث والتنمية، التجليات والامتدادات وفرص التثمين، مساهمة في إبراز التاريخ الجهوي وحفظ الذاكرة**"، إعداد وتنسيق عبد الرزاق السعيدي، نشر المديرية الجهوية لوزارة الثقافة درعة تافيلالت ـ الرشيدية، مطبعة إتيركوس الرشيدية، ط1، 2019م، ص. 59.

يمكن أن نعتبر التسمية تطورا لتسميات سابقة، سواء على مستوى نطق الكلمة أو كتابتها؟ وما معناها أو معانيها المختلفة؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة تبقى جدلية، وتضعنا أمام صعوبات كثيرة، ليس في الإجابة عنها أو في فهم الإشكاليات التي تطرحها فحسب، ولكن في فهم أسباب وعوامل الاختلاف الذي يقدمه البعض لتفسير هذه الكلمة، سواء أكان عند أهلها أو عند بعض المهتمين بتاريخ منطقة الرتب وتراثها وساكنتها عموما.

ولنبدأ أولا بما هو لغوي، فمن خلال البحث عن دلالات كلمة الرتب في اللغات واللهجات الأمازيغية المتداولة بالمنطقة، لم نجد لكلمة الرتب أصلا أو مرجعية أمازيغية، بل إن أهل الرتب الأمازيغ أنفسهم بعد سؤالنا لبعض شيوخهم عن معنى الكلمة في لهجاتهم، أكدوا لنا أصلها العربي، ونفوا أي معنى أمازيغي لها. كما بينوا أن توظيفهم لكلمة "**الرتبات**" في تسمية المجال بدل الرتب هو نوع من تطوير الكلمة وتخفيفها لتتناسب مع نطقهم ولهجتهم المعتادة. وببحثنا عن الكلمة في بعض القواميس اللغوية الأمازيغية، لم نعثر على ما يربط هذه المفردة بالكلمات الأمازيغية المعروفة، بل تم شرحها انطلاقا من معاجم عربية[112].

وبالرجوع إلى عدد من هذه المعاجم اللغوية العربية لمحاولة الاستئناس بها من أجل فهم معنى الكلمة، وجدنا مثلا ابن منظور[113] والفيروزابادي[114] وأحمد الفيومي[115] وغيرهم، يعطون لكلمة الرَّتْبِ عدة معاني لغوية، استوقفتنا وفرضت علينا بدورها طرح أسئلة حول إمكانية وجود علاقة بين المعنى اللغوي وتسمية المجال، ذلك أنهم عرفوا هذه الكلمة بمعاني مختلفة نذكر منها اعتبار الرَّتَبُ (بفتح الراء مع التشديد وفتح التاء و ضم الباء) هي الصخور المتقاربة التي يكون بعضها

---

[112]– محمد شفيق، **المعجم العربي الأمازيغي**، إصدار أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، ط1، 1987م، ج1، ص. 407.

[113]– محمد بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، المجلد 6، ص ص. 93، 94.

[114]– مجد الدين الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2015م، ص. 88.

[115]– أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1987م. ص. 83.

أرفع من بعض، وواحدتها رتبة. والرَّتْبْ أيضا ما أشرف من الأرض، ورَتَبَ رُتُوبًا: ثبت ولم يتحرك، والتَّرَتُّبُ: الشيء المقيم الثابت، و(رَتَّبَ) فلان (رَتْبًا) و(رُتُوبًا) أيضا: أقام بالبلد وثبت قائما أيضا والرَّتْبَةُ بالضم: المرتبة والمنزلة، كما تعني غلظ العيش وشدته، والفوت بين الخنصر والبنصر وكذا بين البنصر والوسطى.

هذه التعريفات اللغوية وغيرها هي ما أوحى لنا ببعض الفرضيات والأسئلة المتعلقة بالتسمية. فهل كون قرى الرتب تنحصر بين كتلتين صخريتين متقاربتين ومتفاوتة الارتفاع؛ هو ما جعل القبائل العربية بعد استقرارها بالمجال تطلق هذه التسمية؟ أم هل لتوالي الحملات القَبَلِيَّة على هذه المنطقة واستقرارها وإقامتها وثباتها بالمجال ارتباط بذلك؟ ثم أليس لصعوبة العيش وظروفه القاسية والشديدة بهذا المجال علاقة بموضوع التسمية؟ إلى جانب كل هذا؛ ألم يكن لموقع المنطقة الوسط بين مجالين متمايزين، هما مدغرة والخنك شمالا، وعرب الصباح وتافيلالت الصغرى جنوبا دخل في ذلك؟ اذا ما نحن سايرنا التعريف اللغوي الذي يعرفها بأنها الفوت بين الخنصر والبنصر، إضافة إلى ذلك ألا يمكن ربط هذه التسمية بمعنى المنزلة والمكانة، خاصة وأن المنطقة عرفت استقرار عدد من الأسر الشريفة، التي هاجرت مواطنها السابقة بسجلماسة، وكذا بقصور تافيلالت المختلفة إلى هذا المجال، حيث حظوا بتقدير الساكنة المحلية، لمكانتهم ومنزلتهم ومرتبتهم المرتبطة بانتمائهم إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تحثنا على ضرورة إيجاد أجوبة علمية لها، فعند البحث عن معنى الكلمة المتداول لدى الساكنة العربية التي استقرت بالمنطقة تضاربت أجوبتهم، فالبعض من أهل الرتب يؤكدون أن أصل تسمية مجالهم مشتق من كلمة الرُّطَبْ، (بضم وتشديد الراء وفتح الطاء وتسكين الباء) والتي تعني التمر الرطب، مؤكدين في نفس الآن أن التسمية واردة في القرآن الكريم انطلاقا من قوله تعالى عند مخاطبته لمريم الباتول في سورة مريم ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**

تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[116]. وهو ما يتطابق إلى حد كبير مع المعنى اللغوي للكلمة، حيث وجدنا ابن منظور في معجمه اللغوي يعتبر كلمة الرطب هي ضد اليابس، وتعني نضيج البسر قبل أن يثمر، واحدته رطبة كالتمر، وفي الصحاح: الرُّطَبُ (بضم الراء وفتح الطاء وضم الباء) من التمر معروف، الواحدة رطبة، وجمع الرُّطَبُ أَرْطَابٌ أيضا، وتمر رَطيبٌ: مُرَطَّبٌ والرطب المبتل بالماء[117]، كما يعرف الفيروزابادي كلمة الرَّطْب بأنها «**ضد اليابس، ورَطِبَ الرَّطْبُ، وتمر رَطِيبٌ: مُرَطَّبٌ، وأَرْطَبَ النخل: حان أوان رَطْبِهِ والقوم أَرْطَبَتْ نخلهم**»[118].

نجد تسمية "الرّطْبْ" بهذا الرسم تستعمل لدى بعض الباحثين عند حديثهم عن المنطقة[119]، إلى جانب ورودها في بعض أعداد الجريدة الرسمية للمغرب[120]، لكن هذا الفهم يضعنا أمام تساؤلات أخرى تجعلنا نشكك في صحة هذا الربط. حول ما إذا كان الأمر مرتبط بما هو لغوي أو حتى شيوع استعمال الكلمة كتسمية للمنطقة، والمتزامن مع قدوم القبائل العربية وسيطرتها على المجال، ذلك أن التمر هو منتوج عرفت به أيضا منطقة تافيلالت كلها ودرعة وغيرها من المناطق، كما أن سيطرة القبائل المذكورة شملت كل منطقة الجنوب الشرقي تقريبا، فلماذا خصت هذه المنطقة دون غيرها من مناطق الواحات بهذه التسمية إن صح هذا القول؟

نذكر من الروايات المتداولة بين أهل الرتب أيضا، رواية تربط التسمية بمعنى ديني، وهو المتمثل في الاسم الذي يطلق على طلبة القرآن أي "**المُرَتِّبِينْ**" أو "**أَهْلُ الرَّتْبَةِ**"[121]. إذ تحيل بعض الروايات إلى أن المنطقة اشتهرت باستقرار عدد من المتصوفة وأهل الصلاح بها، والذين شكلوا مقصدا ومحجا لعدد من طلبة العلم الشرعي بالمغرب، حيث كانوا يتوزعون في عدد من

---

[116]- القرآن الكريم، **سورة مريم**، الآية 25.

[117]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 6، ص. 170.

[118]- الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ص. 89.

[119]- شارل دوفوكو، **التعرف على المغرب، 1883م –1884م**، ترجمة لمختار بلعربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص. 306.

[120]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب (النسخة العربية)**، ع 1965، بتاريخ 23 يونيو 1950م، ص. 1291.

[121]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 94.

مناطق الرتب، مثل مسجد قصر المعاركة قرب مكان يعرف بالدار الكبيرة، ومسجد أولاد الناصر بقصر الزريكات[122]، لكن هذا التعريف المتداول عند البعض لا يستقيم كذلك ولا يمكن الجزم بصحته، لأن التسمية سابقة على وجود بعد القصور ومساجدها التي ذكرت كمراكز للعلم وحفظة القرآن من المرتبين/ الطلبة، مثل قصر المعاركة الذي لم يشيد إلا في عهد السلطان مولاي إسماعيل سنة 1134هـ/ 1721م. كما أن ظاهرة التصوف واحتضان الزوايا أو المساجد لطلبة القرآن؛ لم تقتصر على مكان دون أخر بالمغرب، وإنما كانت عامة، ولو صح هذا التفسير لوجدنا أكثر من منطقة بالمغرب تأخذ هذه التسمية. ثم إن عدد ومراكز احتضان طلبة القرآن(المرتبين) بالرتب؛ كان أقل بكثير مما كان موجودا في المجالين الكبيرين المحيطين به خصوصا بمدغرة وتافيلالت الصغرى، واللتان لم نعثر فيهما على شبيه لهذه التسمية في قصورهما العديدة.

أما الرواية الشفهية الأكثر تداولا بين سكان الرتب حول التسمية، فهي تلك التي ترى أن تسمية المنطقة ترجع بالأساس إلى قصة أمير كان يقطن بمجال عرب الصباح بمنطقة أرفود، وكان هذا الأخير يحث رعيته على تنقية مجرى وادي زيز من الأعشاب والأتربة المتراكمة على امتداد المجرى، بسبب توالي حملات فيض الوادي بالمنطقة التي نحن بصدد دراستها. وأثناء قيامهم بهذا العمل كان هؤلاء العمال يأكلون التمر الذي يحضرونه معهم من مناطقهم ويلقون بعظمه أو نواه (أي ما يسمى محليا بالعُلْفْ) في المجرى، وما هي إلا فترة قليلة حتى بدأت تظهر شتلات النخيل، فلما أخبر الأمير بذلك نهاهم عن نزعها وأمرهم بتركها مخاطبا إياهم بقوله لهم: "**دَعُوهُ يُرَتِّبْ**". ويُرَتِّبُ بالمعنى الدارج المحلي تعني يتماسك، وبعد مرور أعوام على ذلك بدأ مجرى مياه واد زيز عند هذا المحور ينحرف بأمتار شيئا فشيئا، حتى أصبحت هذه المنطقة على شكل واحة، سميت منذ تلك الفترة بالرَّتْبْ[123].

---

[122]- رواية متداولة لدى شيوخ ساكنة الرتب الأسفل، خصوصا ممن أجرينا معهم مقابلات.

[123]- **ابا سيدي بن العربي الطاهري علوي، (من مواليد سنة 1932م)**، قاطن بقصر القصبة الفوقانية قصر الجديد أوفوس، رواية شفهية، أجريت معه المقابلة بتاريخ 15. 05. 2016م.

نسجل في هذا السياق المرتبط بالتسمية أيضا، ما جاء في ترجمة كتاب إفريقيا لمارمول حيث انفرد بإيراد اسمين متقاربين للمنطقة هما تسمية الرتب وتسمية الرطم[124]. هذا الاسم الأخير حاولنا أن نبحث عن سبب إيراده من قبل مارمول لاسيما وأن الحسن الوزان قبله لم يذكر المنطقة بهذا الاسم، فهل هو خلط وصعوبة تمييز نطق الكلمة بالنسبة لمارمول باعتباره أجنبيا، عكس الوزان الذي هو مغربي النشأة قبل أسره؟ أو أن هذه التسمية لها مرجعية قد تحيل إلى التطور الذي يمكن أن تكون الكلمة قد عرفته ؟

من الناحية اللغوية وجدنا أن مختلف المعاجم اللغوية تشرح كلمة الرطم بمعنى الإيقاع في الوحل، لكننا وجدنا تقاربا لهذه الكلمة مع كلمة أخرى هي "الرتم" التي تكتب باللاتينية على هذا الشكل Retam أو Arratama أو Ar Ratamah[125]. مما يجعل القارئ العربي يقرؤها الرطم أو الرتم، وبالبحث في دلالات هذه الأخيرة وجدنا ابن منظور يعرفها بمعنى الدق والكسر[126]. كما وجدنا تعريفا أخر لها يعتبر كلمة: « **رتم أو علميا ريتاما Retama جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة الفوليات (الفراشيات)(...)وهي أنواع شجرية أو جنبية، غير شوكية، جد متفرعة وذات أغصان خضراء، أوراقها بسيطة، صغيرة الحجم، طويلة أو بيضوية الشكل، سريعة التساقط، إذ تبقى الأغصان بدون أوراق لفترة طويلة من السنة. ازهارها يظهر على أطرافها الأغصان أو في إبطها في شكل عناقيد. وهذه الأزهار ذات لون أبيض أو أصفر، وكأس جريسي منقسم إلى شفتين، ثمارها كروية الشكل أو تكاد. تحوي كل ثمرة بذرة واحدة أو بذرتين**»[127] وهذا النبات لا زال من التشكيلات التحت شجرية المنتشرة بمجال الرتب إلى جانب نبات السدرة، والدفلة[128].

---

[124]- مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 154.

[125]- Massignon Louis, **Le Maroc dans les premières années du XVI siècle**, Alger, 1906, p. 259.

[126]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 6، ص. 96.

[127]- عبد المالك بنعبيد، «مادة: رَتْم أو علميا ريتاما». Retama، "**معلمة المغرب**"، ج 13، ص. 4276.

[128]- جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس**، 2008م ـ 2010م، ص. 14.

لكن هذا الأمر الذي قد يوحي بتطور الكلمة من الرتم أو الرطم إلى الرتب يبقى مستبعدا، خاصة وأن مارمول هو وحده من أورد هذه التسمية، فضلا عن إيراده لتسمية الرتب أيضا. كما أن الروايات الشفهية المتداولة والتي غالبا ما تنحو هذا المنحى في شرح بعض التسميات وربطها بتطور الكلمات من تسمية إلى تسمية أخرى بربطها بما هو طبيعي، لم تقل بذلك، رغم توفر هذا النبات (الرتم) بمجالها، خصوصا وأن انتشاره عام بالجنوب الشرقي وليس حصرا على منطقة الرتب، حتى يبرز بشكل متميز قد يلفت إليه الانتباه ويكون سببا في تخصيصها بهذه التسمية دون غيرها من المناطق الأخرى، مما يجعلنا نميل في النهاية إلى البحث عن أسباب أخرى قد تكون أكثر واقعية وعلمية.

وبرجوعنا إلى بعض المهتمين بطبونيمية المنطقة مثل صاحب معلمة المدن والقبائل، وجدناه أولا منح المنطقة تسمية غير معتادة على ألسن الناس حيث أطلق عليها "**آيت الرتب**" وفي هذا إشارة ضمنية منه إلى أصلها الأمازيغي، نظرا لكون التسميات التي تبتدأ ب " آيت" تستعمل عند معظم القبائل وفي المناطق الأمازيغية خصوصا بمعنى الانتماء الأسري أو القبلي أو غيره، ويقابلها عند العرب كلمة "أولاد" أو "أهل" أو "آل" أو "بني"(...)، وفي تعريفه لم نجد ما يجيب عن بعض تساؤلاتنا لأنه عرّف الرتب كما يلي:«**آيت الرتب: أحد أعمال سجلماسة ينتمي إليها محمد الأمين ابن جعفر العلوي الصوصي**[129] **(1240هـ/1824م)، وقد دفن بها أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني**[130]**(1088هـ/1677م): صاحب القصيدة العقيقة**»[131].

---

[129]- **محمد الأمين بن جعفر الحسني العلوي الصوصي** (أبو عبد الله) فاضل من أهل آيت الرتب أحد أعمال سجلماسة، كان حيا أواسط القرن الثالث عشر الهجري(19م) من أثاره فهرست ورد ذكرها عند عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص. 219. (سنعود للتعريف به أكثر في الجزء المخصص لأبرز العلماء والأولياء بالرتب).

[130]- **سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي أبو عثمان**، المنداسي الأصل التلمساني الدار والمنشأ، أديب وشاعر وأحد أعيان القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. (سنعود للتعريف به أكثر في الجزء المخصص لأبرز العلماء والأولياء بالرتب).

[131]- عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة المدن والقبائل**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية، ط1977م، ملحق 2، ص. 5.

في حين لا نكاد نعثر في المصادر التاريخية والجغرافية القديمة والوسيطية على هذه التسمية، خصوصا من أولئك الذين زاروا أو كتبوا عن المنطقة، بل إن الإشارة الأكثر ورودا في هذه المصادر ترتبط بفرار أحد الأمراء المدرارين إبان الاجتياح الفاطمي للمنطقة واستقراره مؤقتا بحصن يسمي بتاسكرات[132] أوتسجدالت[133]، على بعد أميال من سجلماسة حيث استقر أبناؤه. ويربط عدد من الباحثين تسمية إحدى مناطق الرتب والمعروفة اليوم بأولاد شاكر بهذا الأمير الخارجي المسمى محمد بن الفتح، والملقب بالشاكر لله[134]، أما تسمية الرتب فلا نكاد نعثر عليها حتى عند كبار مؤرخي المغرب القدماء، مما يجعلنا نرجع زمن ظهورها إلى أواخر الفترة الوسيطية وبالضبط خلال المرحلة المرينية، ذلك أن أولى الإشارات حولها إنما ظهرت عند ابن مرزوق وابن عباد الرندي، ثم لاحقا وبشكل واضح عند الوزان ومارمول. وإن كنا لم نعثر لها على ذكر عند ابن خلدون بمدلولها الجغرافي، فما الذي جاء عندهم فيما يخص هذه القضية؟

من خلال ما كتبه مؤرخو الفترة المرينية حول الكلمة، نجدهم يربطونها بالمفهوم الاقتصادي، حيث يشيرون لكونها تنطق الرُّتَب (بضم الراء وفتح التاء) وهي تعني الرسوم التي كانت تفرض على المسافرين في الطرقات زمن بني مرين[135]، كما نجدهم يطلقون لفظ الرتبيون على جباة الضرائب[136]. ومن الذين قالوا بذلك صاحب القرطاس وكذا ابن مرزوق[137] فهذا الأخير يشير عند حديثه عن أعمال تمهيد طرق المسافرين زمن السلطان أبي الحسن المريني(1331م ـ

---

[132]– عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2000م، ج6، ص. 174.

[133]– لسان الدين بن الخطيب السلماني، **أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م، ج 2، ص. 356.

[134]– القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى**، ج2، ص، 368.

[135]– سلامي، «مادة: الرتب»، "**معلمة المغرب**"، ج 13، ص ص. 4275، 4276.

[136]– لسان الدين بن الخطيب السلماني، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص. 325.

[137]– **ابن مرزوق**: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ولد بتلمسان سنة 711 هـ/1311م وتوفي بالقاهرة سنة 781هـ /1379م.

1351م) إلى أن أهم الأعمال التي قام بها هذا الأخير هي« **تعمير طرق المسافرين من حضرته بفاس إلى مراكش وإلى تلمسان وإلى سبتة وغيرها من البلاد بالرتب (وهي خيام)، يأمر بسكناها على مقدار إثني عشر ميلا، يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك اقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوابا على سكنى المواضع المذكورة، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الآدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها، وهم وبهائمهم ويحرسونهم ويحطون أمتعتهم، فإن ضاع بينهم شيء تضمنوه فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبيت أهله، في ذهابه وإقباله. وقد جرى هذا النمط واستمر والحمد لله في بلاد المغرب**»[138].

يظهر من هذا القول أن ابن مرزوق يربط أصل كلمة الرتب بالمعطى الاقتصادي، ويربطها أيضا بمصطلح "الخيام" التي تعتبر ضمن السياسة الجبائية المرينية المنطلقة من إقامة هذه الخيام في الأماكن المهمة الواقعة على امتداد أهم المحاور التجارية التي كانت تربط مدن المغرب المريني المختلفة؛ مثل الطريق بين فاس ومراكش، والطريق ما بين فاس وسبتة، أو ما بين فاس وتلمسان، وتكون مهمتها الأساسية هي جبايات المرور واستخلاص واجباته من القوافل والتجار العابرين بها، لكنها في المقابل كانت تقدم خدمات مختلفة لهؤلاء من مأكل ومشرب وربما مبيت، هذه الخيام تطورت مع مرور الزمان من أداء مهمة رسمية متعلقة بجبايات الضرائب، إلى مساكن يقيم فيها الموظفون الذين كانوا يقومون بمهمة الجباية مقابل حراسة وخدمة العابرين وتوفير الحاجيات الضرورية لهم ولدوابهم وكان المرينيون يضعون هذه المحطات متباعدة بمسافة تقدر ب12 ميلا(أي حوالي عشرين كيلومترا)[139].

---

[138]– محمد بن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن، في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م، ص. 429.

[139]– نفسه.

لكن التوجه نحو إقامة الخيام أو الرتب على الطرقات لم يقتصر على الفترة المرينية فقط، إذ نجدها حاضرة أيضا في فترة حكم السعديين، فالخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي(1578م ـ 1603م) بدوره أقدم في إطار سياسته لتأمين الطرق على «**تمهيد الطرق على المسافرين، بمنازل وخيام أمر بسكناها على الطريق، بين المنزلة والمنزلة ما يقرب من أربعة وعشرين ميلا، يسكنها أهل البادية، (و) أجرى لهم على ذلك من إقطاع الأرض ما يكفيهم ثوابا لهم على سكناهم هنالك وأمرهم ببيع الشعير، والطعام، واللحم، والعسل، وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر ودوابه، وفي بعض المنازل من يصنع أطعمة جيدة ويبيعها لمن يستحقها، وإن باتت لديهم قافلة يحرسونهم طول الليل، ويحطون أمتعتهم، وإن ضاع شيء فيما بينهم ضمنوه لربه حتى لم يبق له درهم واحد، وإن كان ضياعه فيما بين المنزلتين ضمنه أقربهما منه أي من كان ذلك في حدوده الملزوم، فتجد المسافر في حال ذهابه وإيابه كأنه في بيته وبين أهله، ولقد ضاع** (ابن القاضي يتحدث عن نفسه) **من بعض أصحابي حمل مرة وثمنه ما يقرب من ثمانمائة أوقية، فأعطاني ذلك كله قائد قواده ودعامة اعتماده**»[140].

من خلال مقارنة نصي ابن مرزوق وابن القاضي اللذين عاصر كل واحد منهما سلطانا من السلاطين البارزين في زمنهما ـ فالأول عاصر أبا الحسن المريني وكتب أحداث مرتبطة بعهده، والثاني عاصر أحمد المنصور السعدي وكتب عن إنجازاته ـ يتبين لنا مدى التشابه الكبير في ما يخص هذه القضية المتعلقة بالرُّتَب، من حيث دوافع إنشائها والكيفية التي تم بها إنشاؤها، وكذا الوظائف التي تكلف بها القائمون عليها، إلى جانب تحمل هؤلاء مسؤولية ما يضيع من المسافرين وتعويضهم عن خسائرهم المادية، لكنهما اختلفا في تحديد المسافة الفاصلة بين كل رَتْبٍ وآخر، أو بين كل خيمة وأخرى، فابن مرزوق حددها في 12 ميلا[141]، أي حوالي عشرين كيلومتر، بينما

---

[140]- أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق محمد رزوق، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، سنة 1986م، ج2، ص ص. 827، 828.

[141]- ابن مرزوق، **المسند**، ص. 429.

رفعها ابن القاضي زمن الدولة السعدية إلى حوالي أربعة وعشرين ميلا[142] أي ما يقارب أربعين كيلومترا.

بهذا المعنى نجد أن إقليم الرَّتْبْ الحالي والذي يمتد كما سبق وأن أشرنا ما بين شعبة اللحم بقصر بوسعيد شمالا، وإيردي جنوبا على مسافة تقرب من 40 كلم؛ قد يكون ضم زمن المرينيين حوالي ثلاثة إلى أربعة مناطق للرتب أو الخيام، إذا ما نحن ربطنا بين هذه السياسة وبداية بروز التسمية واختصاص المنطقة التي نحن بصددها بها، كما جاء عند ابن مرزوق، أما إذا سايرنا ما قاله ابن القاضي فلا يمكن أن يتجاوز عدد الرتب المقامة اثنتين لكونه حدد المسافة الفاصلة بين كل رتب وأخر بحوالي 24 ميلا.

يجعلنا توجه السلاطين سواء المربنيين أو السعديين في إقامة الرتب وإلغائها أحيانا؛ نفترض أولا أن هذه الإجراءات بذاتها قد تكون أدت إلى تغيير أماكن الرتب كل مرة، مما كان يسهم في نشأة نواة قصور أخرى، في مناطق متعددة ومتقاربة داخل مجال الرتب، أو أن الأوضاع التي عرفتها سجلماسة مع مرحلة نهاية الدولة المرينية هي التي دفعت البعض للابتعاد عن منطقة الصراع، فكان الرتب من المجالات التي استقطبتهم.

تستوقفنا أيضا بعض الأسئلة الأخرى المرتبطة بإحداث هذه الرتب/ الخيام، فمثلا نجد أن فترة سيطرة السلطان أبي الحسن المريني على إقليم سجلماسة كانت مؤقتة، باعتبار أن أخاه أبا علي عمر وبعده أبناؤه استفردوا بحكم هذا المجال منذ حياة والدهما السلطان أبا سعيد عثمان، فهل يمكننا القول بإقدام أبا الحسن على إنشاء هذه الخيام بمجالنا المدروس خلال الحملات التي كان يقوم بها على أخيه بسجلماسة؟ خصوصا وأنه لم يكن يخفى عليه الأهمية التي يكتسيها هذا المحور التجاري الهام الرابط بين فاس وسجلماسة مرورا بمجال الرتب، لاسيما إذا علمنا حجم مداخل الدولة المرينية من سجلماسة خلال تلك المرحلة، أم أن أبا علي عمر وأبنائه هم من أقدموا

[142]- ابن القاضي، **المنتقى المقصور**، ج 2، ص. 827.

على هذا العمل لما له من أهمية في استمرار التجارة وازدهارها؟ وهل يمكننا تحديد تاريخ إقامة هذه الرتب بالمجال الذي نحن بصدد دراسته تحديدا مضبوطا؟

تصعب الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها حول تاريخ المنطقة، لقلة المصادر التي تؤرخ لذلك، أو تتناول هذه القضية. وإن كنا نعتقد أن هذه الرتب أو الخيام قد ظهرت قبل العصر السعدي، بدليل حديث الحسن الوزان عنها في كتابه وإشارته للمجال تحت اسم الرتب، وذكره أن هذا الأخير يضم العديد من القصور[143]، ونحن نعلم أنه زار المجال سنة 1511م، وهي فترة تتزامن مع بداية الإرهاصات الأولى لقيام الدولة السعدية، لكن وطبقا للمواصفات التي قدمها؛ فوجود القصور والساكنة بالحجم الذي لمح إليه بالرتب؛ لا يمكن أن يكون وليد سنوات، بل يرجع إلى عقود إن لم نقل قرون خلت، الأمر الذي يجعلنا نعتقد بأن كلمة وتسمية الرتب ليست وليدة العصر الوطاسي أو السعدي بل ترجع إلى الفترة المرينية على الأرجح.

بينت كثير من المصادر والدراسات من جهة أخرى، أن هذه الرتب التي تم إنشاؤها خلفت نتائج جانبية خطيرة، جعلت بعض السلاطين يقدمون على تعطيلها، فالسلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق عند توليه الخلافة سنة 685هـ/ 1286م أمر بإزالة «**أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها بالبلاد الخالية والمفازات العالية**»[144]، وذلك في إطار الاصلاحات والتعديلات التي عرفتها المنظومة الجبائية في عهده، لكن هذه الرتب الملغاة كانت تعود بعد فترة من إلغائها[145]، فابن بطوطة مثلا وهو يعدد مناقب السلطان أبي عنان(749هـ – 759هـ/ 1348م – 1358م) يذكر أن من أهم خصاله رفعه للمظالم عن

---

[143]– الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص ص. 124، 123.

[144]– علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، طبعة 1972م، ص. 375.

[145]– محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط3، 2000م، ص ص. 120، 122.

الرعية، ومنها الرُّتَبُ التي كانت تؤخذ بالطرقات، حيث أمر بمحو رسمها، رغم أنها كانت مصدرا مهما لمداخيل الدولة، لكنه لم يلتفت إليها[146].

وفي عهد السلطان عبد العزيز الأول (767هـ/1366م ـ 774هـ/1372م)أخ السلطان أبي عنان شكلت الرتب/الخيام المقامة على الطرقات موضوع رسالتين من ابن عباد الرندي(ت792هـ) إلى السلطان عبد العزيز، استعرض في الرسالة الأولى ما أصاب الناس من مظالم وتعسفات على يد عماله وولاته، ثم تجاوزات جباة الضرائب، المتمثلة في التعرض للمسافرين وفرض ضرائب غير شرعية على التجار مثل ضريبة الرُّتَبْ[147]، غير أن الرسالة الثانية ورغم تشابه مضمونها مع الأولى، إلا أنها كانت مطولة وغنية بالأمثلة والنماذج من مختلف العصور الإسلامية التي ترفض مثل هذا الفعل، ومن أهم ما ذكره فيها قوله للسلطان «**وقد كنت طلبت منكم (...)أن تزيلوا مظالم الرتب التي أحدثت بطرق المسافرين،(...)وأنا ـ الان ـ أجدد الرغبة إليكم في ذلك والإخبار بحالها فاعلم ـ يا أمير المؤمنين ـ أن من تولى ذلك من أهل الفساد والشر قد انتشروا في بسيط الأرض، وقطعوا طرقاتها على المساكين والمستضعفين، وحازوا منهم الأموال الحرام بالنهب والغصب ما استعانوا به على ارتكاب الكبائر والفواحش،(...)ولو رأيتم ـ يا أمير المؤمنين ـ حالي معهم عند قدومي من فاس، وما كنت فيه من الذل والمسكنة بين أيديهم، وكنت أعدى عدو لكم ـ والعياذ بالله ـ لأدركتكم شفقة الإيمان على كل من يبتلى بها حيث لا ناصر له ولامعين**»[148].

---

[146]– محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي بن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم ، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص. 675.

[147]– **ابن عباد الرندي، رسائل سياسية غير منشورة**، تحقيق رشيد سلامي ضمن كتاب **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص. 503.

[148]– نفسه، ص. 510.

يظهر لنا انطلاقا من هذا النص مدى الضرر الذي ألحقته هذه الرتب بالمسافرين وعموم السكان، مما جعلها محل رفض من عامة الناس وخاصتهم وفي مقدمتهم العلماء والفقهاء والتجار. لكن هذا الرفض لم يعني أن السلاطين المرينيين قاموا بإلغائها، بل إنها ظلت قائمة واستمر وجودها حتي في عهد الدولة السعدية، حيث يذكر صاحب كتاب الدولة التكمدارتية أن أحمد المنصور بعد فراغه من واقعة معركة وادي المخازن «**أتته الأكابر من كل بلد عرب وعجم وبربر، وجدد البيعة وأخذ معهم في الاتفاق على تأمين الطرق وكل شيخ موضع ضمن ما يضيع في ترابه**»[149]، مما يبين أنها كانت قائمة قبل أن يُوكِلَ المنصور مهمة تأمين الطرق إلى شيوخ المناطق ويحملهم مسؤولية تأمين مجالاتهم.

هذا الطرح المتعلق بالعلاقة بين تسمية الرتب والخيام التي نشأت بغرض استخلاص واجبات المرور هو ما سرى عليه معظم من اهتموا بدراسة المنطقة أو كتبوا عنها، فأشاروا إلى أنه يصعب وضع تعريف دقيق لمعنى هذا المصطلح في غياب معلومات كافية في المصادر المرينية، إذ غالبا ما رافقت هذه الكلمة عبارات مثل الألقاب أو القبالات أو الرسوم، التي عرفت في تاريخ المغرب بوصفها ضرائب غير شرعية تم إحداثها في ظروف معينة، لكن ما ميز رسوم الرتب هو ارتباطها بالمسافرين والطرق التجارية، وهذا ما يدفع إلى القول بأن الأصل في مصطلح الرتب هو "الخيام" التي كانت تمتد على طول المحاور التجارية المهمة، ويؤكد أيضا، أن المميز في هذا النوع من الضرائب هو كون مداخيلها لم تكن تذهب لبيت المال أو خزينة الدولة في معظمها، بل إنها كانت تعتبر في جزء منها بمثابة أجور تؤدى للجنود والقائمين على استخلاصها[150].

ومن خلال ما كتبه قاسمي عن إقليم الرتب نجده يعرفه بكونه مجالا قائما بذاته لكنه بقي «**ملحقا بسجلماسة، بل يعتبر بابا من أبواب الدخول إليها، وكانت الضرائب تؤدى فيه، ولذلك سمي بهذا الاسم، أي إقليم أداء الكلف المخزنية والرواتب والضرائب للدولة**

---

[149]- مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق عبد الرحيم بن حادة، مطبعة دار تينمل، مراكش، ط1، 1994م، ص. 64.

[150]- سلامي، «مادة: الرتب»، "**معلمة المغرب**"، ج13، ص ص. 4275، 4276.

القائمة في المغرب وفي إقليم سجلماسة»[151]. أما عبد اللوي في تعريفه لمجال الرَّتْبْ وساكنته فيقول عنهم بأنهم «**أهل الترتيب الذين يجمعون ضريبة الترتيب المفروضة على الفلاحين، والمقصود هنا: هي مقاطعة جغرافية تلي منطقة مدغرة جنوبا ابتداء من شعبة اللحم إلى ((إيردي)) المنطقة الرملية الجرداء، ويعتبر الرتب قيادة خاصة تابعة لعمالة الرشيدية ومركزها الإداري هو أوفوس في الوقت الحالي**»[152]. وبهذا يكون اسم الرتب الذي حمله هذا المجال قد انتقل من مدلوله الاقتصادي المرتبط بالضرائب، إلى مدلوله الجغرافي الذي أصبح يسم منطقة جغرافية في الجنوب الشرقي للمغرب، إذا ما نحن سايرنا ما ذهب إليه كل من القاسمي وعبد اللوي.

لم نعثر إذا لتسمية الرتب هذه على شبيه في مختلف مناطق المغرب، إلا ما ورد من تسمية إحدى جماعة دائرة غفساي التابعة لإقليم تاونات الجبلي شمال المغرب، والمسماة بجماعة الرَّتْبَة، كما وجدنا من يتحدث عن مكون بشري يحمل اسم رتابة أو إرتبون (أسرة وقصبة) مقرا للأسرة الرتابية وزعيمها المجاهد محمد الرتبي القلعي، وهي أسرة قلعية كانت في القرن الثاني عشر الهجري (18م) بموطنها الراهن بجماعة بني انصار بإقليم الناظور، من خمس مزوجة، وربما ارتبط استقرارهم هنا بالحركة الجهادية التي قام بها السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله خلال حصاره لمدينة مليلة (1774م ـ 1775م) مما جعل البعض يتساءل عن علاقة هذه الأسرة بقبيلة الرتب الفيلالية[153].

يؤكد البعض أيضا أن انتشار كلمة الرتب أو رسوم الرتب لم تكن مقتصرة على مجال جغرافي محدد كالمغرب الأقصى فقط، بل كانت موجودة أيضا في شبه الجزيرة الإيبيرية بنفس المعنى، فالكلمة الإسبانية rotova أو recova تعني أيضا عندهم الرسم أو المقابل المادي الذي كان يدفعه المسافرون والتجار للجنود المكلفين بحماية الطرق والمسافرين والبضائع، أي حماية ومراقبة أمن

---

[151]– هاشم العلوي القاسمي،«مدغرة: مركز واحي معرفي وحضاري وامتداده في تاريخ المغرب الوسيط والحديث»، **مجلة دفاتر تاريخية**، ع1، مطبعة أنفو–برانت فاس، 2010م، ص. 107.

[152]– عبد اللوي، **مدغرة وادي زيز**، ج1، ص. 119.

[153]– حسن الفكيكي، «مادة: رتابة»، **معلمة المغرب**، ج13، ص. 4274.

الطرق مقابل أداء رسوم الرتب. وهذا يؤكد على أن المعنى الذي تحمله الكلمة العربية هو الأصل والمصدر في اشتقاق الكلمة الإسبانية[154].

أما في ما يتعلق بطريقة كتابة كلمة الرتب فتجدر الإشارة إلى ضرورة الانتباه لنقطة أساسية وهي أن أغلب المصادر والمراجع تكتبها بالرتب أي بحرف التاء، لكن بعضها كما هو وارد في الجريدة الرسمية كانت تكتبها أحيانا بحرف الطاء، فتكتبها هكذا "الرطب"[155]. ولعل مرد هذا الأمر يرجع بالأساس إلى أن الأعداد الأولى للجريدة الرسمية؛ وكذا المصادر الأجنبية المختلفة خصوصا الفرنسية، اعتادت كتابة اسم المنطقة بتسميات قد يتشابه نطقها ودلالتها، لكن كتابتها تبقى مختلفة. فتجدها تكتب عند الأجانب بطرق منها: **Ertib /Erreteb/Reteb Retbat /R'zepp/ Er–Reteb/ Er–Rteb/ Eratb /Rteb/**" مما يجعل مترجمي الكلمة إلى العربية وغالبيتهم لا ينتمون إلى المنطقة، وليست لهم دراية بتسمية مختلف مناطقها، فضلا على أن بعضهم ليس من أهل التخصص، يغيرون التسمية من الرتب إلى الرطب.

ملاحظة أساسية أخرى ترتبط بالمجال المدروس والذي نشأ على امتداد واد زيز؛ وتتعلق بإطلاق بعض المصادر والدراسات التاريخية أو الجغرافية وغيرها تسمية "**واد الرَّتْبْ**" على هذا المجال، بحيث يصبح واد زيز عند هذا المقطع المائي منه يحمل تسمية واد الرتب، في إشارة إلى كل المجال الجغرافي الممتد على طول واد زيز من منطقة مسكي إلى المكان المعروف بإسم "إِيرْدِي" وهو ما وجدناه مثلا عند العياشي[156] والفضيلي[157]، وكذا في الخريطة التي وضعها للمنطقة هنري داستوك .**H**

---

[154]– سلامي، «مادة: الرتب»، "**معلمة المغرب**"، ج13، ص ص. 4275، 4276.

[155]– **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب** (النسخة العربية)، ع **1233** بتاريخ 12 يونيو 1936م ص. 818، و،ع **2118** بتاريخ 20 ماي 1953م، ص. 1985.

[156]– عبد الله العياشي، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، المجلد الأول، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي الامارات، ط1، 2006م، ص. 27.

[157]– مولاي إدريس الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة، أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية، 1999م، ج1، ص. 297.

Dastugue وغيره منذ أواسط القرن 19م[158]، وكلها إشارات تجعل الرتب أو واد الرتب يظهر كمجال مستقل قائم الذات.

تسمية الرتب ستبقى هي المهيمنة والطاغية في تسمية المنطقة والإشارة إليها؛ منذ العصر المريني إلى حين قدوم المستعمر الفرنسي، الذي سيحدث بعض التغيير في ذلك من خلال اعتماده تسمية أوفوس[159]، بدل الرتب للدلالة على هذا المجال ككل، بل إنه أحدث إدارة مركزية بالمجال أطلق عليها قيادة أوفوس[160]، الأمر الذي جعل توظيف واستعمال تسمية الرتب يتراجع بشكل تدريجي، خاصة في المعاملات الرسمية الموثقة، رغم أنها ظلت حاضرة في معاملات الناس وتداولهم اليومي، وكذا في تسمية الجماعات القبلية بالمنطقة حتى في زمن الاستعمار[161]. فماذا عن تسمية أوفوس التي وسمت المجال منذ بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة مع نهاية العقد الثاني من القرن14هـ/ 20م؟

بالعودة مرة أخرى إلى معلمة المغرب نجدها تذكر بأن كلمة أَوْفُوسْ تعني باللغة الأمازيغية اليد مع تحريف بسيط، وقد كانت التسمية المذكورة تطلق على قصر الزاوية الكائن وسط شعبة التي تبعد عن مقر سوق واحة الرتب بحوالي ستة كيلومترات شرقا. وفي عهد الاستعمار اختار الفرنسيون مكانا يتوسط واحة الرتب لبناء مقر الإدارة المحلية، ويدعى بأولاد عميرة (مجموعة قصور). ونظرا لوقوعه على الضفة الشمالية الشرقية لشعبة أوفوس التي تصب في نهر زيز، أطلق الفرنسيون اسم

---

[158]- Dastugue, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb**», p. 431.

[159]- "**أُفُوسْ، أو "إِيفُسْ" أو فوسّ** جمعه إِفَاسْنْ يدل في كل مكان من المناطق البربرية على اليد بكاملها. على غرار اللغات الأخرى، تشير اليد في الأمازيغية أصلا، إلى كل الأماكن التي تؤخذ أو تمسك منها أو بها الأشياء، كما نجد مثلا في يد الإبريق(...)وتستعمل لفظة اليد (أفوس) كذلك للدلالة على كم اللباس(...)ويدل "أفوس" من جهة أخرى على صيغة تعكس سعي المخزن لتنظيم المجموعات القبلية تنظيما جبائيا(...)ولا شك أن "أفوس" يدل أحيانا على مفهوم القبيلة في بعض القبائل التي عرفت تقسيما أو تنظيما خماسيا إداريا، كما عند آيت عطا. أنظر محمد الكير، «مادة: أُفُوسْ»، **معلمة المغرب**، ج2، ص ص. 565، 566.

[160]- تسمية أوفوس في بعض المصادر والكتابات الأجنبية نجدها تكتب بطرق مختلفة منها: Aoufous/ Aouffous / Ohfuss/ Ofoust/ Aoufouz

[161]- الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب، النسخة العربية، ع **799**، بتاريخ 14 فبراير 1928م، ص. 418.

أوفوس على مقر الإدارة الذي أصبح مركز السوق والتبادل التجاري، ومنذ ذلك العهد صارت كلمة أوفوس تطلق على قيادة الرتب[162].

ويبدو أن التسمية ذاتها أي أوفوس لم تصبح متداولة كما يؤكد ذلك السكان المحليون إلا في القرن13هـ/ 19م، أي في الفترة التي أصبحت فيها قبيلة آيت عطا ذات الأصول الأمازيغية تستقر بمعظم قصور الرتب، فأطلقت اسم أوفوس على هذا المكان انطلاقا من ملاحظتهم للشكل الذي يشكله واد زاوية مولاي عمر بن هاشم(زاوية أوفوس حاليا) والذي يشبه ذراع اليد، وهي بالمعنى الأمازيغي أوفوس. ولعل أقدم مصدر وردت فيه تسمية أوفوس حسب ما اطلعنا عليه؛ يرجع إلى سنة 1117هـ/1705م في قصيدة لهاشم بن أحمد[163]. رغم أن عبد المجيد خيالي في تحقيقه لكتاب صفوة من انتشر؛ لصاحبه اليفراني شرح كلمة بني يفوس التي أوردها في ترجمته لأبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الشريف الحسني السجلماسي (960هـ/1553م - 1045هـ/1636م) قائلا بأنها «**بني يفوس، نسبة إلى قرية أوفوس، تبعد عن الرشيدية ب30 كلم، وتقع قرب عين مسكي بطريق مدينة أرفود إقليم تافيلالت**»[164] ويبدو أن المحقق وقع في خلط بين "**أوفوس**" الذي هو مركز قروي يضم مركز الجماعة القروية أوفوس، ويقع فعلا على الطريق الوطنية رقم 13 بين أرفود والرشيدية، وبين قصر "**بني فوس**" الذي كان يدخل ضمن تراب جماعة الخنك، باعتباره من بين القصور القديمة وقصر "ابْنِي إيفُّوس«**كان يوجد على الضفة اليسرى من وادي زيز جنوب قصر إنبكي، وقد أعيد بناؤه في حريم مدغرة في إطار ما**

---

[162]– الأوفوسي، مادة أَوْفُوسْ، **معلمة المغرب**، ج 3، ص. 903.

[163]– هاشم بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد، "**القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**" ضمن مجموع، م خ ح، رقم 12495، الورقة 86.

[164]– محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من إخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص. 41. جاء سياق ورود هذه التسمية (بني ايفوس)عند اليفراني كما في النص التالي: «**وحدث عنه (أي عن عبد الله بن علي بن طاهر) تلميذه الفقيه العلامة أبو بكر النظافي رحمه الله قال: دخلت على شيخنا العلامة الزاهد أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر يوما، وهو إذ ذاك بقرية أولاد الحاج من بلاد مضغرة، فقال لي: إن بني يَفُّوسْ وهم قرية من الخنق(تنطق محليا بالخنك بالكاف المعقودة) وقع بينهم قتال، قال: فقلت يا سيدي: أجاء أحد من هناك؟ قال: لا، ولكن أخبرني بذلك قلبي وقلبي لا يكذب علي قد جربته، وكان بين هؤلاء مرحلة. قال : فجاء الخبر بوقوع الأمر كما أخبر به**»

سمي بالقرى النموذجية، بعد تعرض القصر القديم للهدم على إثر فيضان واد زيز المدمر سنة 1965م»[165]، وبالتالي فلو كان المقصود بِبَنِي يْفُوسْ التي ذكرت عند اليفراني هي أوفوس الحالية لكان من أقدم المصادر التي تورد هذا الاسم لكن الأمر ليس كذلك.

ويذكر البعض في هذا الصدد كما سبق توضيحه، أن المحتل الفرنسي أقام مركزا إداريا بأولاد عميرة لإحكام مراقبته على منطقة الرتب، وأن هذا المركز أصبح فيما بعد يسمى بمركز أوفوس. في حين كانت تسمية بلاد أوفوس قبل ذلك تقتصر على المجال الواحي لزاوية مولاي عمر بن هاشم، فتم ربط الزاوية باسم المجال (زاوية أوفوس). تمييزا للقصر عن مركز أوفوس الذي حل بالاسم محل أولاد عميرة[166]، كما حلت تسمية زاوية أوفوس محل تسمية زاوية مولاي عمر بن هاشم. نسبة إلى مؤسسها مولاي عمر بن هاشم العلوي، والواقعة على الضفة اليسرى لوادي زيز على بعد حوالي 32 كلم شمال مدينة أرفود[167].

ومن الأمور الأخرى التي تحتاج إلى توضيح في قضية التسمية هذه، هي التوجه الذي صار عليه المستعمر الفرنسي من نسب ساكنة المجال ككل إلى قبيلة آيت عطا، حيث نجده يجمع مختلف المكونات العرقية وكل القصور وينسبها إلى هذه القبيلة، وهو ما يفسر بكون العطاويين كانوا هم الكتلة البشرية الأبرز، والأكثر عددا والأقوى نفوذا بالمجال الرتبي زمن وصول المستعمر إليه، بدليل أن قيادة المجال المخزنية كانت بيد بعض الأسر العطاوية ومنها عدد من أفراد عائلة آيت احدى، الذين ظلوا على رأس قيادة أوفوس خلال فترة الاستعمار الفرنسي للمغرب عموما والمنطقة على وجه الخصوص[168].

---

[165]- عبد اللوي، **مدغرة**، ج1، ص. 170.

[166]- عمر صوصي علوي، «زاوية مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي بمجال تافيلالت، نموذج العلاقة الزاوية ـ الدار بالإنسان والمجال»، ضمن مؤلف **العمران والمجال والانسان في تاريخ المغرب**، مؤلف جماعي تنسيق رحمون الحسين، الطاهر بلمهدي. ط2017م، ص. 70.

[167]- ابن العربي، **كتاب المغرب**، ص. 149.

[168]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 122.

نستنتج بناء على ما أوردناه بخصوص تفسير التسميات التي ارتبطت بمجال دراستنا أي الرتب/ أوفوس مدى التنوع الذي يطبعها، والذي يعكس بالفعل أثر التحولات والتغيرات التي عرفها هذا المجال خاصة على المستوى الاستقرار البشري مما يصعب معه تأكيد فرضية من الفرضيات أو رأي من الأراء للتسميات المذكورة.

نخلص بناء على ما ذكرناه في هذا الفصل أن منطقة الرتب تمثلا فعلا مجال ذا خصوصيات متميزة، يمكن أن تفسر لنا عددا من القضايا المرتبطة بتاريخ تعميره وتنوع مكوناته البشرية، فضلا عن دور مختلف العوامل الطبيعية في منح هذا المجال ما امتاز به من خصوصيات تضاريسية ومناخية متماهية أحيانا مع جيرانه في مختلف الجهات الأربع، ومختلفة أحيانا أخرى، لكن يبقى أهم ما رصدناه في هذا الفصل هو ما ارتبط بتسمية المنطقة وما صحبها من تغيرات وتطورات ارتبط بعضها بعوامل اقتصادية والبعض الأخر بعوامل طبيعية أو سياسية.

الفصل الثاني

سكان الرتب: مراحل الاستقرار، ومظاهر التنوع.

الفصل الثاني. ساكنة الرتب: مراحل الاستقرار، ومظاهر التنوع.

ما زالت منطقة الرتب تعتبر من أبرز المجالات التي تعرف تنوعا بشريا كبيرا ببلادنا، رغم الحيز الجغرافي الضيق الذي يستوطنه الإنسان بها. كما أن البعد القبلي والعرقي مازالا حاضرين، ويتحكمان في كثير من أساسيات الحياة اليومية للساكنة، حتى بعد مرور عقود على استقلال المغرب، إلا أننا نلاحظ مع ذلك استمرارا لحضور هذه الأبعاد لدى ساكنة منطقة الرتب، فالاستعمار ورغم نجاحه إلى حد بعيد في خلخلة البنيات القبلية المغربية، بكل ما تحمله من دلالات تاريخية واجتماعية وأمنية، وما لحقه من توجه كثير من المناطق لتجاوز هذه المظاهر التي يمكن اعتبارها من الماضي، غير أن الأمر لم يحسم بشكل نهائي، إذ ما زالت تجليات استمرار الروح القبلية حاضرة في صور متعددة بالمنطقة، على رأسها وجود قصور وقرى ذات ساكنة تنتمي لنفس العرق أو الإثنية ولا تقبل باحتضان أو استقرار عناصر دخيلة عنها، فضلا عن خلافات حادة بين أفراد سرعان ما تستدعي حمية البعض وإن لم يكن طرفا فيها إلا دعم من ينتمي له من الطرفين.

كما أن الحياة اليومية لا تكاد تخلو أحيانا من مشادات تختلف درجة خطورتها وانعكاساتها من حالة لأخرى، رغم كون أسبابها وخلفياتها في الغالب ذات أبعاد قبلية، لكن ذلك لم يمنع من غلبة طابع التعايش على معظم ساكنة المنطقة، وحضور مظاهر وصور للتعاون والتآزر بينها خلال مراحل وأوقات مختلفة، اعتمادا على ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية لشيوخها.

يمكن رصد تجليات استمرارية النزعة القبلية والتمايز الاجتماعي لدى بعض ساكنة الرتب أيضا بشكل جلي حتى في الفترة المعاصرة، خاصة ما تعلق بتمثيلية مختلف العناصر في مشيخة القبيلة أو ممثليها في مختلف الهيئات والمؤسسات سواء التقليدية منها أو حتى المعاصرة، وهو الأمر الذي تشترك فيه مناطق مختلفة من المغرب خاصة القروية منها، يضاف إلى ذلك ما يلاحظ على تمثيلية الساكنة في جماعة القبيلة، أو المكلفين بأراضي الجموع والتي لا تكاد تخلو بدورها من حضور مثل هذه الاعتبارات، مما يجعل هذه الأخيرة تشكل عنوانا آخر للصراع الإثني والعرقي

الداخلي، إذ أن كثيرا من قصور المنطقة وجماعتها عجزت عن تقسيم هذه الأراضي أو حتى الانتفاع بها، نظرا لما سبق وأشرنا إليه من حضور قوي للمعطى العرقي والإثني والقبلي.

إلى جانب ذلك تشير طبونيمية الأماكن وأسماء القصور والممتلكات بمنطقة الرتب إلى وجود أماكن تحمل أسماء عربية يستوطنها أمازيغ، وأماكن ذات تسميات أمازيغية لكن تسكنها أسر عربية، كل هذا يفرض علينا ضرورة الرجوع إلى المكونات البشرية لساكنة الرتب، وإلى أصولها وزمن استقرارها بالمجال وظروف هذا الاستقرار، لمحاولة تفسير ما عرفه من أحداث تاريخية، تراكمت عبر الزمن لتنتج لنا مجالا جغرافيا بنسيج بشري متنوع، تبرز فيه بشكل واضح التقسيمات القبلية الكبرى وحتى الصغرى منها.

فمما لاشك فيه أن التركيبة السكانية للرتب لم تكن مستقرة في عصر من العصور نظرا لتوالي الهجرات منها وإليها، وتعرضها على امتداد حقب مختلفة لزحف قبلي متوال، اختلفت دوافعه واتجاهاته وانعكاساته، ولهذا فإننا عندما نرصد واقع التركيبة السكانية للرتب اليوم، فبالقطع نجدها لا تتطابق مع ما نجده من وصف للساكنة وخصوصياتها عند بعض المؤرخين والرحالة الذين كتبوا ولو إشارات عن المنطقة في فترات مختلفة.

لكن معظم الإشارات الواردة في هذه المصادر عموما، تؤكد على قدم التعمير البشري بمنطقة الرتب. رغم الاختلاف في تحديد المكون البشري الأول الذي استوطن المجال. أو إعطاء تواريخ واضحة ومضبوطة لما عرفه مجال الرتب من تغيرات في التركيبة السكانية والاجتماعية بين فترة وأخرى.

1 . ساكنة الرتب الأولى: اتفاق على قدم التعمير، واختلاف في تحديد مكوناته وزمانه.

عند البحث في موضوع ساكنة الرتب ومحاولة التأصيل لمراحل استقرارها وتعميرها له، تستوقفنا تساؤلات عديدة حول تاريخ هذا التعمير وظروفه، كما تطرح أمامنا إشكالية المكون أو المكونات البشرية الأولى التي اختارت أو أجبرت على اتخاذ هذه المنطقة مسكنا وملجأ أو مأمنا لها من كل الأخطار. لكن ما يسترعي الانتباه أكثر هو إجماع معظم المؤرخين والباحثين على اعتبار أسبقية مناطق الواحات في احتضان واستقبال عدة عناصر بشرية منذ زمن سحيق[1]. هذه القضية تعتبر في حد ذاتها "مشكلا تاريخيا" إذ أن الإشارات الواردة في النصوص الإغريقية واللاتينية تذهب إلى تأكيد سيطرة عنصر الجيتول شعوبا (أو قبائل) على الواجهة الصحراوية التي من ضمنها الواحات، مما قد يحيل على أن شعوب الجيتول هاته هي فروع من قبائل زناتة، التي تشير إليها المصادر الإسلامية المتأخرة. والجيتول هو الاسم الذي أطلق على الرعاة الحقيقيين على طول الصحراء الشمالية، ويعني هذا أنها لم تكن تنتمي إلى إثنية واحدة، وقد شبههم سترابون Strabon بالعرب البدو[2].

وقد انتهت الأبحاث إلى أن الجيتول كانوا مندمجين سياسيا مع المناطق الشمالية من الناحية السياسية والإدارية، وأن نفوذهم كان يغطي قسما واسعا من المغرب رغم اختلاف التسميات التي حملوها فهم موريون في الجنوب الغربي ونوميديون في السهوب والمرتفعات جنوب نوميديا وإفريقيا، وهناك أيضا قبائل الموزولامتي Musulimid الليبيون الذين انتشروا أيضا في جنوب نوميديا[3]، كما لا يختلف المؤرخون الإغريق والرومان في هذا المعنى إذ نجدهم يرددون تسميات لأهل الواحات والصحراء عموما، مثل الأثيوبيين والجيتول والكرامنت. وحسب بعض الدارسين فإن العنصر

---

[1]- محمد أعفيف، **توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 7، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م، ص. 64.

[2]- محمد التازي سعود، **الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب قبل الاسلام**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006م، ص. 29.

[3]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى**، ج1، ص. 68.

الإثيوبي قد ينطبق على العنصر الحرطاني، والجيتول قد ينطبق على القبائل البربرية من الرحل الذين استقروا قبيل الإسلام، أما الكرامنت فقد ينطبق على قبائل التوارك[4].

ونعود هنا إلى إحدى الدراسات حول واحة توات، والتي لا تخرج في كثير من معطياتها عما كان متداولا ومعروفا في معظم واحات الجنوب الشرقي للمغرب ومنها الرتب، حيث تعرض لأحد الآراء التي ترى «**أن كل حراطين الواحات يشكلون عنصرا واحدا متجانسا، كان مستقرا في الواحات (لا يتعلق الأمر بواحات توات وحدها) قبل مجيئ الرحل (الجيتول أو فروع قبائل زناتية)، وأن هؤلاء الرحل تسلطوا على العنصر المستقر قبلهم ووضعوه تدريجيا في وضعية اجتماعية قريبة من الاستعباد تخدم مصالحهم**»[5]. كما تعرض لرأي آخر يربط الوضعية الحالية للحراطين بالتطور الطبيعي لوضع الاسترقاق الذي كانت عليه مجموعة العبيد التي استقدمت جماعات وفرادى من إفريقيا جنوب الصحراء في عصور مختلفة، بعضها ربما موغل في القدم[6]، وهو نفس ما ذكره آخرون من أن الحراطين هم زنوج أو مولدون مستقرين ويختلطون بالأحرار، لكنهم ينحدرون في أغلبهم من العبيد المستوردين قديما من السودان أو السنغال، وفي نفس الآن يلمحون إلى أنه ليس مستبعدا أن يكون عدد آخر منهم من العنصر الأثيوبي القديم الزنجي الشكل، الذي يبدو أنه أول من سكن البلاد[7].

جعل هذا بعض الباحثين يرجحون أسبقية العناصر الإثيوبية أو السوداء في الاستقرار بواحات الجنوب الشرقي للمغرب خلال الفترة القديمة، لكن مع مجيئ الإسلام تغير الوضع وأصبحت الساكنة المستقرة بالواحات أقل التباسا فيما يتعلق بأصولها، حيث تكونت في عمومها

---

[4]- Camips G, **Recherche sur les origines des cultivateurs noires du Sahara**, vie politique, R,O,M, N°7, T 3, 1er Trimestre 1970, Pp. 35, 45.

[5]- أعفيف، **توات**، ص. 65.

[6]- نفسه.

[7]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 25.

من الحراطين والزناتيين إلى جانب اليهود، ثم الصنهاجيين لينضاف إليهم منذ القرن 7هـ/ 13م القبائل العربية المعقلية والشرفاء.

هكذا تشكلت البنية السكانية للواحات من ست فئات اجتماعية هي: الشرفاء، والمرابطون، والعوام، والحَرَاطِينْ، والعبيد، واليهود[8]، أو في ثلاث عناصر كبرى أساسية؛ زنجية وبربرية وأخرى عربية[9]. لكن يبرز أمامنا إشكال آخر يتعلق بالتمييز بين لفظ الحراطين ولفظ السود أو العبيد؛ فالحراطين شكلوا الفئة المنتجة والقاعدة البشرية الأساسية التي كان يقوم عليها اقتصاد مجتمع الواحات بالجنوب المغربي، وهذا اللفظ لم يظهر إلا في القرن 12هـ/18م، ولعل الحرطاني يحتل موقعا وسطا بين العبد والحر في سلم التراتب الاجتماعي[10].

والحَرْطَانِي من جهة أخرى تحريف لكلمة الحر الثاني التي كانت تستعمل فيما قبل هذه التسمية[11]، وهو ما ذهب إليه المختار السوسي، معتبرا أنها تصحيف لكلمة الحر الثاني، الذي رغم تمتعه بالحرية إلا أن نظرة الاحتقار ظلت ملازمة له[12]، وذهب السليماني إلى أن الحراطين هم عبيد جهلت أربابهم في الغالب فيقال للواحد منهم حر طارئ، ثم حرفتها العامة إلى حرطاني[13].كما ذهب البعض إلى أنها تحريف لكلمة الحَرَّاثِينْ في إشارة إلى ارتباطهم بحراثة الأرض، لكن لا وجود لهذه الكلمة في المعاجم العربية القديمة مما يدل على أصولها الأمازيغية، ولعلها مشتقة من كلمة أحرضان التي تعني الأسود أو المائل إلى السمرة، ويقابلها عند أمازيغ المنطقة لفظة "الْخَمَّاسْ".

---

[8]- Jaques Meunié Djinn, «Hiérarchie sociale au Maroc présaharien», **Hespéris**, N°45,1958, p. 238, 269.

[9]- أعفيف، **توات**، ص. 82.

[10]- أحمد البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة**، ص ص. 141، 143.

[11]- أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج7، ص. 58.

[12]- المختار السوسي، **المعسول**، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1961م، ج 5، ص. 192.

[13] - محمد بن الأعرج السليماني، **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ**، الجزء الثاني، الكتاب الثاني، دراسة وتحقيق، عبد الرزاق بنواحي، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة أصكوم، القنيطرة، الطبعة الأولى 2020م، ص. 444.

يتداول أيضا اسم آخر يحمل نفس الدلالة في الإشارة إلى فئة الحَرَاطِينْ وهو اسم"إِقْبْلِينْ" ومفردها "أَقْبْلِي" التي تشير إلى أهل القبلة[14]، لكنها بالمعنى المحلي تدل على السود الذين ليسوا عبيدا، وقد تستعمل أيضا للدلالة على بعض العناصر البيضاء، حيث يتم التمييز بين الجماعتين بقولهم "إِقْبْلِينْ إِمَلَّالن" أي قْبَالَة البِيضَانْ و"إِقْبِلِينْ أَحْرْضَانْ أَخَمَّاسْ"، أي "قْبَالَة" الملونين المشتغلين في الحقول بالخِمَاسَةِ، وتستعمل كلمة "أَقْبْلِي إِسْمَخْ" للدلالة على العبد الأسود الذي يعمل داخل المنازل[15].

وقد احتلت هذه الفئة قاعدة الهرم الاجتماعي داخل قصور منطقة الجنوب الشرقي إلى جانب العبيد لكنهم لم يكونوا عبيدا[16]، «**وتعاطت غالبا للزراعة، لكنها ورغم أهميتها الاقتصادية وتمتعها بالحرية على المستوى الديني والاجتماعي، إلا أنها ظلت في وضعية دونية خلال المرحلة السابقة. ولم تتغير هذه الوضعية حتى في حالة ارتقاء وضع بعض أفرادها ماديا وثقافيا، مع بعض الاستثناءات طبعا**»[17]، بل إن بعضهم عاشوا في قصور خاصة بهم، حصر عددها الباحث **دلبريل Delbrel** ما بين 20 و30 قصرا بعد زيارته للمنطقة سنة 1894م[18].

كرست الأعراف المحلية بدورها وضعية هذه الفئة، فنجدها مثلا في موضوع المصاهرة تفرض على الحراطين العيش في مجموعة شبه مغلقة، فهي تمنع منعا كليا على الحرطاني مهما ارتقى وضعه

---

[14]- **بلاد القبلة** تسمية تطلق على البلاد الواحية، فمن المعلوم أن لتسمية الجهات لدى القدماء علاقة وطيدة بحركة الشمس، أي بشروقها وغروبها فالشمال يسمى شمالا لأنك إذا استقبلت المشرق كان على شمالك، وأما الجنوب فإنك إذا استقبلت المشرق كان على يمينك، ولم يسمى الأيمن مقابلة بالشمال لأنه لما ذكر الشمال لم يرى إلا الجانب الأيمن فاستغني عن ذكره، حافظي علوي حسن، **دراسات صحراوية الماء وإبل والتجارة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م، ص. 51.

[15]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 135، 136.

[16]- Jacques Meunie, **Le Maroc Saharien des origins à 1670**, Paris, 1982, p. 245.

[17]- عبد اللوي علوي، **مدغرة وادي زيز**، ص. 168.

[18]- Gabriel Delbrel, «**Notes sur le Tafilelt**», Bulletin de la Societe de Géographie, Septiéme Série – T 15, Paris, Année, 1894, p. 210.

المادي والثقافي، الزواج من شريفة أو حرة عامية[19]، إلى جانب وجود ارتباط بين كل عائلة من الحراطين بعائلة من الشرفاء، تخدم داخل بيوتات هؤلاء الأشراف، وتحرث أرضهم في نطاق نظام التَّخْمِيسْ، «**ومن هنا اشتق اسمها بدون شك، لكونها تعاطت لنظام التَّخْمِيسْ، والذي غالبا ما تكون شروطه جد قاسية**»[20]، ولهذا نجد أن مصطلح الخَمَّاسْ قد استعمل لدى الكثيرين خاصة بمنطقة الرتب وغريس، مكان لفظ الحَرْطَانِي، والخَمَّاسْ أو نظام الخِمَاسَةِ كما هو معروف في الرتب عبارة عن عقد غير مكتوب؛ يكون في الغالب في بداية فصل الخريف (فترة الحراثة) بين المالك الذي يقدم الأدوات الضرورية للعمل، والسماد العضوي، إلى جانب الأرض التي يملكها، وبين الخَمَّاسْ الذي يقدم مجهوده العضلي مقابل خمس أو سدس أو حتى ثمن الإنتاج، ونظام الخماسة هو نظام استغلال غير مباشر للأرض، ويهم أساسا فئة الحراطين، ويحق للخماس أن يتوقف عن العمل وقت شاء، كما يمكن لمالك الأرض أن يسرحه إن لاحظ تقاعسه في العمل ووفق الشروط المعروفة في المنطقة تحت اسم "تعقيدين"[21].

ظلت منطقة الرتب طيلة العهد العلوي؛ وحتى إبان وصول العطاويين لقراه وحقوله وأراضيه، وإلى يومنا هذا، مستقطبة للعناصر الحرطانية من عدة مناطق مجاورة، ومنهم آيت الربع، وهم من الحراطين المستقدمين من مناطق فركلة وغريس، وإلى جانبهم نجد حراطين أَمْلْوَانْ المستقدمين من مناطق تزارين والنيف والحراطين المحليين الناطقين باللغة العربية[22]، غير أن آيت الربع يمتازون بكونهم قبيلة تنتمي إلى عرق آيت عطا، وقد سميت القبيلة بهذا الاسم لأنها كانت تستفيد من ربع الغنائم والأراضي التي يُسْتَحْوَذُ عليها في تحركاتهم ببعض المناطق مع آيت عطا، وتتميز هذه القبيلة عن غيرها بلون بشرتهم السمراء الفاتحة.

---

[19]- مزين، «**تافيلالت مهد الدولة العلوية**»، ج4، ص. 19.

[20]- نفسه، ص. 18.

[21]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 73.

[22]- نفسه، ص. 65.

وللوقوف على وضعية هذه الفئة بمنطقة الرتب، نورد بعض النصوص العرفية التي تعكس ما كانت تواجهه هذه الفئة من تمييز واضح وبيّن، فالبند رقم 120 من عرف قصر الكارة يقدم لنا نموذجا عن الوضعية الاجتماعية التي كانوا عليها في منطقة الرتب، ومما ورد فيه «**وأما شهادة الحراطين فإنها غير جائزة في داخل البلد**»[23]، وأما البند 281 فيبين التمييز الواضح بين هذه الفئة وبين غيرها من أفراد قبيلة آيت عطا، بعد أن نص على أن «**من قتل الحرطاني نصافه عشرة مثاقل للقبيلة، ومنه لطاطته**» وإن جرحه فنصافه مُدّين شعير. وهي العقوبة التي لا نجدها عندما يتعلق الأمر بقتل عطاوي لآخر، حيث تكون العقوبة أشد على القاتل لتصل حد النفي أو القتل[24].

لكن رغم هذه الوضعية والمكانة التي كانت تحتلها هذه الفئة في السلم الاجتماعي لساكنة الرتب، إلا أن المصادر التاريخية ترصد لنا أدوارا مهمة قامت بها هذه الفئة في تاريخ المغرب، حيث تشير إلى دورهم في دعم بعض الأمراء والسلاطين في مراحل تاريخية مهمة، فقد كانوا مثلا مساندين بقوة لمولاي الحسن بن السلطان مولاي إسماعيل[25] في تمرده على ابن أخيه السلطان سيدي محمد بن عبد الله[26]، وأيضا في محاربة الشرفاء والتنكيل بهم بالرتب، مما حدا به إلى إصدار أمر سنة 1172هـ/ 1758م يقضي بقدوم هؤلاء الحراطين الذين كانوا بالرتب وتافيلالت

---

[23]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 151.

[24]- **عقد طاطا**، ويسمى كذلك تاضا، هو عقد التحالف الذي يجمع بين الأفراد أو القبائل من أجل التعاضد والأخوة المتبادلة. ويتم عقد التحالف بمحضر الجماعة الممثلة لكل قبيلة، وبعد هذا العقد لا يجوز البيع والشراء وارتكاب الجريمة من الطرفين. ويقضي هذا العقد كذلك بالمساعدة المتبادلة والتآزر في وقت الحرب والدفاع المتبادل، ويتعاهد الطرفان على البقاء كإخوة مع منع الزواج بين القبيلتين، وهو عقد مصبوغ بنوع من القدسية. أنظر: احدى، **أعراف الجنوب**، ص. 81.

[25]- محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف، **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، ط1، 1986م، عرف الضعيف **مولاي الحسين بن إسماعيل**، في كتابه بقوله: «**مولاي الحسين بن إسماعيل هذا، ازداد بعد خمسة وعشرين ولدا عند مولاي إسماعيل فكان هو السادس والعشرين، وكان قتل أولاد أخيه مولاي يوسف بن إسماعيل سنة اثنين وستين ومائة وألف، ثم تسبب في خراب دار ابن أخيه مولاي الشريف بن زين العابدين بن إسماعيل وحمى أهل تافيلالت من البرابر ودخلوا عليه وقتلوه صبرا وجميع من معه بقصبة أكرنفد (قصبة كرنفود بتافيلالت الصغرى)، وبقي مولاي الحسين المذكور إلى هذه السنة التي قدم فيها سيدي محمد فأخرجه منها**» ص. 184.

[26]- أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف**، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني اقليم الرشيدية، المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1992م، ص ص. 388، 389.

والجَبَابِرَة والمعاركة وأولاد أبي حمو، ونقلهم إلى مكناسة، بعد إعطائهم الكسوة والسلاح وتسجيلهم في ديوان الجيش[27]، مما يدل على أن حراطين منطقة الرتب كانوا يتعرضون من حين لآخر للتهجير أو التجنيد، بعد أن عانوا محنة حقيقية في فترة السلطان مولاي إسماعيل، ارتبطت بأمره جمع العبيد والحراطين من مختلف مناطق المغرب واعتبارهم عبيدا وملكا للدولة، في هذا الصدد ذكر الضعيف إقدام مولاي إسماعيل على طرح مسألة تمليك العبيد والحراطين من غير البيض منهم، بل وذكر معاتبته للفقهاء الذين عارضوه في مسألة تمليكهم، إلى الحد الذي جعله يقدم سنة 1120هـ/1708م على التضييق عليهم، وسجن ومطاردة بعضهم، مثل الفقيه عبد السلام جسوس[28].

وينبغي أن نوضح على أن ما يجعلنا نقدم فئة الحراطين على فئة العبيد في احتمالية أسبقية الاستقرار بالرتب، هو التمايز الموجود بينهما، باعتبار أن العبيد ظلوا يعتبرون بمثابة سلعة تباع وتورث، وبالتالي فهذه الفئة وإن وجدت في البداية حسب ما يذهب إليه البعض، فإن تسمية العبيد بدلالتها التجارية يصعب إطلاقها على الحراطين، إذ يؤكد كثيرون أسبقية هذه الأخيرة في الاستقرار منذ البداية باعتبارهم زنوج، ويشيرون كذلك إلى تمتعهم بالحرية، قبل أن يأتي غيرهم ويحول وينزل بعضهم إلى مرتبة العبيد. الأمر الذي يفسر ما عانته فئة الحراطين داخل مجتمعات الجنوبي الشرقي السكانية ومن بينها منطقة الرتب، حيث اعتبرت فئة منبوذة وعانت من شتى أنواع الاحتقار والإقصاء والحرمان من الحقوق رغم أنها كانت تعتبر في الحقيقة فئة متمتعة بالحرية.

---

[27]- محمد بن أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق، أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، **ط**1، 1994م، ج1، ص. 218.

[28]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، أنظر فيما يخص مسألة تمليك العبيد الصفحات: 79، 82، 83، 85.

2 ـ العبيد وتطور وضعيتهم بمنطقة الرتب.

تسمية العبيد بكل دلالتها التاريخية وحمولتها الثقافية وأبعادها النفسية، ترمز لأزمنة العبودية والاستملاك والاسترقاق، وتذكِّر بذلك الماضي الذي كانت فيه تجارة البشر أو ما يسمى أسواق النخاسة رائجة، ليس في المنطقة أو القارة الإفريقية بل في العالم كله، لكنها في تَمَثُّلَاتِ أهل المغرب وخصوصا بالجنوب الشرقي ترتبط أساسا بتلك العناصر القادمة أو المسْتَقْدَمَةِ من القارة الافريقية، والتي من سماتها ومواصفاتها الأساسية بشرتها السوداء، مما يجعل كثير من الناس لا يستطيعون التمييز بين العبيد والحراطين، خصوصا في الفترات التي كانت تعامل فيه كلا الفئتين من قبل السلطة المركزية أو القبائل الكبرى المسيطرة على مجال معين بنفس الطريقة وتُخْضِعُها لنفس الأحكام الواردة في قوانينها العرفية، وأكثر من ذلك فإننا نجد بمنطقة الرتب أن ما يصطلح عليهم عبيدا يربطون حياتهم بقبائل المنطقة ويعتبرون أنفسهم قسما وجزء أساسيا من تلك القبائل ويتكلمون بلغتها أو لهجتها[29]، الأمر الذي جعلنا نجد في منطقة الرتب عبيدا يتكلمون بلغة أو لهجات عربية دون غيرها، وعبيدا لا يتقنون إلا اللغة أو اللهجات الأمازيغية، وآخرين يتكلمون بهما معا، بل ويتمتعون أحيانا بِحَمِيَّة وعصبية للقبيلة التي أُلْحِقُوا بها، رغم إحساسهم بالإقصاء وعدم المساواة داخل هذه المكونات القبلية المختلفة.

ولهذا كانت قضية استقرار أو وجود العبيد بمنطقة الرتب من القضايا التي تسترعي الانتباه في محاولة تفسير وجودهم، وفي التمييز بينها وبين فئة الحراطين الذين وُجِدُوا أيضا منذ وقت مبكر بمجال تافيلالت عموما، بما فيه منطقة الرتب، فضلا عن التطور الذي عرفته مكانتهم ومنزلتهم في الهرم الاجتماعي بين احتلالهم أسفل هذا الهرم أحيانا، وفي أحيان أخرى كانت لهم السيادة والسطوة على غيرهم بمناطق أخرى، بمن فيهم ذوي البشرة البيضاء عربا كانوا أو أمازيغ. وهو ما تؤكده بعض الدراسات الحديثة التي تشير مثلا إلى مساهمة العنصر السوداني البارزة في قيام دولة بني مدرار، بعدما كانت جماعات منهم تقيم بإقليم سجلماسة واعتنقت المذهب الصفري على يد

[29] – أحمد عمالك، «مادة:عطا»، **معلمة المغرب**، مطابع سلا و بمطبعة النجاح الجديدة 2001م، ج18، ص ص. 6090، 6091.

سمكو بن واسول، بل وتمكن أحد العناصر منهم ويدعى عيسى بن يزيد الأسود تولي الإمامة في الدولة الصفرية بسجلماسة منذ تأسيسها رغم كونه سودانيا(أسود البشرة)[30].

نستخلص من خلال ما سبق، وحسب ما يظهر من المعاينة المباشرة المصحوبة بالحذر والنسبية في إصدار الأحكام؛ أن هذه الفئة على ما يبدو كانت من المستقرين الأوائل بهذه الواحة، حيث مازالت بقاياهم بحوض زيز ببعض القصور الرتبية مثل أولاد عيسى خاصة بالقصر الوسطاني، وبقصري الدويرة وتمعركيت والزريقات، إلا أنهم تعرضوا للغزو والحروب المستمرة، مما يظهر ما عانته هذه الفئة، من شتى أنواع وأشكال التمييز والقهر والاستغلال خاصة خلال الفترة القديمة والوسيطية، أما في الفترة الحديثة وخصوصا في عهد الدولة العلوية وعلى الرغم من أنهم كانوا يوجدون في أسفل الهرم الاجتماعي؛ إلا أنهم كانوا أقرب الفئات إلى المخزن، حيث كان بعضهم يعيش داخل القصور المخزنية، ويقومون بالمهام الجسام التي يكلفون بها من قبل المخزن، بل إن الأسر الحاكمة شيدت لهم قصورا أو قصبات إلى جانب القصور المخزنية[31]، حملت هذه الأخيرة أحيانا أسماء بعض هؤلاء العبيد مثل أخنوس ـ الذي كان عبدا لمولاي علي الشريف ـ وصوصو، لكنهم في الوقت نفسه كانوا سلعة رائجة تباع وتشترى مثلما كان عليه الحال في سوق قصر أبو عام بتافيلالت[32].

أما فيما يخص أعدادهم فلم نعثر على إحصاءات دقيقة وإنما تقديرات، وفي هذا الصدد يشير الضعيف إلى تباين أعدادهم من قصر إلى آخر، فحدد عددهم بقصبة السيفة بتافيلالت مثلا

---

[30]- محمود إسماعيل عبد الرازق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1985م، ص. 114.

[31]- عبد اللوي، **مدغرة وادي زيز**، ج2، ص. 169.

[32]- محمد لمراني علوي، «التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر أخنوس من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة»، **ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الندوة السابعة**، مارس 1998م، ص.87.

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بخمسة آلاف[33]. أما احدى فيذكر أن فئة العبيد كانت قليلة، ويؤكد على ذلك بغياب ذكرهم في عدد من الأعراف التي انتشرت بمنطقة الرتب، لكن الوثائق المحلية كما يذكر تثبت وجودهم وتتحدث عن عتق بعض هؤلاء العبيد، بينما الإشارة الوحيدة للعبيد وردت في عرف آيت مرغاد بفركلة، فعند قتل العبد، يكون لسيده الحق في المطالبة بتعويض مادي، لكنه لا يسمح له بالثأر، وله الحق أيضا في التفريق بين الابن ووالديه، والزوج وزوجته[34].

تَوَاجُدُ العبيد بمنطقة الرتب، فضلا عن الخلفية التاريخية لذلك، وإن كان يرجع إلى فترات قديمة جدا، إلا أن استمراره بالمنطقة يعزى إلى عوامل أخرى، أهمها تركيبة الجيوش التي كان يرسلها الحكام العلويون إلى المنطقة لخدمة عمالهم، وحماية سلطانه وحماية بعض الفئات الاجتماعية، أو ضمان الأمن والاستقرار. الأمر الذي يتضح مثلا في إقدام السلطان مولاي سليمان على إرسال ما ينيف عن 1500 منهم لعامله على إقليم سجلماسة الحكماوي[35].

كما لا يخفى علينا أن السلطان مولاي إسماعيل مثلا عندما بنى لأولاده قصورا بتافيلالت حصر الناصري عددها في 105 قصرا[36]، ومنها قصر المعاركة بالرتب، كان يمد أبناءه بعدد مهم من العبيد، وبما أن الأسر الشريفة كانت غالبيتها تمتلك عبيدا، فلا شك أن انتقال بعضها من

---

[33]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 346.

[34]- M'Hamed Ahda, «**Le droit coutumier des Ait Marghad de Ferkla (Sud-Est Marocain**», Revue Awai, n° 32, Edition des Sciences de l'Homme, Paris, 2005, p.129.

[35]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص ص. 182، 275.

[36]- الناصري، **الاستقصا**، ج7، ص. 17.

منطقة تافلالت الصغرى إلى الأطراف ومنها الرتب، قد صاحبه انتقال هؤلاء العبيد معهم إلى المناطق التي استقروا بها. قبل أن تتطور الظروف ويتحرروا، بل ويتحولوا إلى أحد المكونات الرئيسية الموجودة بالرتب. ولا ننسى اليوم أن أصول عدد من العبيد الموجودين الآن بالرتب، (بصفتهم العرقية لا بصفتهم التي عرفوا بها كرقيق والناتجة عن شرائهم أو استعبادهم في فترات سابقة)، ترجع إلى مناطق مجاورة مثل النيف[37] والمناطق التابعة له، حيث قدمت وفود منهم بشكل تلقائي لأسباب مختلفة أهمها العوامل الاقتصادية والاجتماعية واستقرت بين ظهراني أهلها.

يتبين من خلال خريطة توزيع مختلف المكونات العرقية والقبلية بمنطقة الرتب، أن فئة العبيد تمركزت أساسا في منطقة زاوية أوفوس[38]، إلى جانب الشرفاء في إشارة إلى علاقة الارتباط التاريخي بين الفئتين، لكن ذلك لا يعني أن وجود هذه الفئة يقتصر على هذه المنطقة فقط، بل إن الدلائل تؤكد انتشار هذه الفئة في عدة مناطق أخرى بالرتب، فقرب قصر أولاد عيسى نجد تسمية العبيد تطلق على إحدى الشعاب والمعروفة بشعبة العبيد، وما ورود هذه التسمية هنا إلا دليل على وجود ارتباط للعبيد بالمنطقة، إما بالاستقرار أو بالتجارة التي كانت المنطقة إحدى محاورها الرئيسية طيلة الفترة الوسيطية والحديثة.

[37]- **ألنيف**، أحد المراكز الشبه حضرية التابعة لإقليم تنغير على بعد حوالي 130 كلم جنوب غرب الرتب.

[38]- أنظر الخريطة رقم 4، ص. 152.

3 ـ يهود الرتب: دلائل الاستقرار وعوامل مغادرة الديار.

تشير كثير من المصادر التاريخية والآثار المادية، والوثائق الرسمية، والروايات الشفهية، إلى كثافة الحضور اليهودي بالمغرب عموما، وبمنطقة تافيلالت الكبرى على وجه الخصوص، بما فيها منطقة الرتب، فابن خلدون ذكر أن بلاد المغرب الأقصى تعد أكثر مناطق الشمال الإفريقي التي سكنها اليهود، وعَدَّدَ القبائل المغربية التي دَانَ بعضها باليهودية ومنها فندلاوة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز[39]، بل أشار إلى أن ما من منطقة على الأرض إلا وفيها يهود، مُرْجِعاً أصل البربر أنفسهم إلى كنعان بن حام بن نوح واعتبر أنهم اعتنقوا اليهودية[40]، وهو نفس ما ذهب إليه ابن أبي زرع؛ بتأكيده على أن بعض القبائل البربرية المغربية اعتنقت اليهودية، وأضاف إلى ما ذكره ابن خلدون من تلك القبائل قبيلتان اثنتين هما زواغة ويزغت[41]. وهذا ما يتوافق مع المثل المغربي الذي يؤكد على مدى الانتشار اليهودي به بالقول «**الْبْلَادْ اللِّي خْطَاوْهَا الْيِهُودْ بْحَالْ الْمْقَبْرَهْ بْلاَ شْهُودْ**»[42].

يرجع تاريخ قدوم اليهود الأوائل إلى الشمال الإفريقي عموما والمغرب الأقصى على وجه الخصوص حسب معظم الدراسات إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد[43]، كما يرجح عبد الهادي التازي بناء على ما ورد عند عدد من الباحثين، قدومهم إلى بلاد المغارب في أعقاب هدم الهيكل الأول سنة 586 ق.م، على متن قوارب فينيقية إلى قرطاج[44].

في هذا الإطار تشير الأبحاث الاركيولوجية التي تم إنجازها في عدد من المناطق القديمة بالبلاد المغاربية إلى أن بعض النقوش التي تم العثور عليها تحمل رموزا يهودية مثل: الشمعدان اليهودي

---

[39]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج4، ص. 17.

[40]- نفسه، ج 6، ص. 123.

[41]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص. 31.

[42]- السعيد بنفرحي، **اليهود في الأمثال العربية العامية والفصيحة**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرباط، 2013م، ص. 35.

[43]- الطيب محمد حمادي، **اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة (قورناثية)**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1994م، ص. 76.

[44]- عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، 1986م، ج3، ص. 113./ محمد المدلاوي، «صورة المغرب في بعض المكتوبات العبرانية واليهودية العبرانية واليهودية»، "**شؤون مغربية**"، ع15، سنة 1997م، ص. 17.

وخاتم سليمان، وهي تعود للفترة الإغريقية الرومانية[45]. لكن ما ينبغي الإشارة إليه كما تناول ذلك عبد الرحمن بشير في دراسته حول اليهود في المغرب العربي، هو أن عددا من المؤرخين اليهود وعلى رأسهم ناعوم سالوش حرصوا على تأكيد النقاء العرقي لليهود بالمغرب، وأرجعوا أصلهم إلى البلاد الفلسطينية، وهو ما يتنافى مع الواقع، ذلك أن دخول اليهودية بلاد المغرب كان منذ القرن الثالث قبل الميلاد، لتنتشر بين بعض قبائل الأمازيغ من خلال التأثير المباشر بين الجماعات اليهودية التي استقرت في البلاد والقبائل الأمازيغية، نافيا بذلك ما أورده سالوش في كتابه[46]، ومؤكدا أن التهويد تم فعلا في بعض من بطون أو أفخاذ قبائل أمازيغية الأصل لا تمت لأهل فلسطين بصلة[47].

وتتفق معظم المصادر على كثرة عدد اليهود الذين استقروا بالمغرب مقارنة بكثير من المناطق الأخرى في البلاد الإسلامية والعالم عموما، وأنهم عُوملوا معاملة تراوحت أحيانا بين ما أقره لهم الشرع الإسلامي من احترام؛ سمح لهم بالعيش داخل بلاد الاسلام شرط دفع الجزية، كما حدث في عهد يوسف بن تاشفين الذي ألزمهم بدفعها[48]، وبين اعتبارهم أهالي تسري عليهم نفس القوانين التي تسري على المسلمين، خاصة فيما يتعلق بدفع الضرائب غير الشرعية، وتارة بالتشدد معهم ومصادرة أموالهم تحت مبررات صحيحة وأحيانا مفتعلة.

أما الموجة الثانية من اليهود الذين قدموا إلى المغرب فترجع إلى أواخر القرن9هـ/ 15م، وقد كانت هذه الهجرات قادمة من الشمال أي من أوربا، ذلك أن نهاية الحكم الإسلامي للأندلس وسقوط إماراته الواحدة تلوى الأخرى هناك؛ سَيُعَرِّضُ اليهود كما المسلمين للقتل والتنكيل على يد القوى المسيحية الإيبيرية الناشئة، والتي أقامت محاكم خاصة حرصت على تعقب أتباع

---

[45]- محمد المدلاوي، **صورة المغرب في بعض المكتوبات**، ص. 17.

[46]- Nahum Slousch, **Judeo-Hellenes et Judeo-Berbers, Recherches Sur les Origines des Juifs et du Judaisme en Afrique**, Paris, 1909.

[47]- عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دار روتابرينت للطباعة، ط1، 2001م. ص. 155.

[48]- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل ذكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979م، ص. 25.

الديانات الأخرى من أجل التضييق عليهم وطردهم خارج الأندلس، هذا الوضع هو ما سيدفع بأفواج كبيرة من اليهود إلى اجتياز البحر المتوسط نحو المغرب، منتظرين حتى تسنح لهم فرصة العودة للأندلس مستقبلا، تزامن ذلك مع فترة حكم محمد الشيخ الوطاسي (1472م ـ 1505م) الذي أحسن استقبال وإكرام أفواج المسلمين واليهود الغفيرة الهاربة من جحيم الأندلس إلى بلاد المغرب[49]. وبهذا تزايدت أعداد اليهود بالمغرب الأقصى، ومن ثم استقروا به بجانب إخوانهم في الدين من بعض الأمازيغ سكان البلاد الأصليين، ليس بشمال المغرب فقط بل انتقل كثير منهم إلى مناطق داخل المغرب خصوصا تلك التي كانت تمتاز بخصوصياتها الاقتصادية المتميزة، أو الواقعة في محاور التجارة الرئيسية. ومن المرجح أن عمليات المد والجزر في تنقلاتهم هذه بالمغرب أدت في كل مرة إلى زيادة عدد المتهودين من الأمازيغ[50].

جعلت هذه الموجة من مهاجري اليهود القادمين من الأندلس نحو المغرب؛ كثيرا من الباحثين يحاولون التمييز بين فئات اليهود، ويقسمونهم إلى قسمين اليهود ((الطوشابيم))، أي اليهود المحليين الذين يطلق عليهم أحيانا اسم ((البلديين)) وبين اليهود ((الميكوراشيم)) أي الفئة التي طردت من شبه الجزيرة الإيبيرية[51]، ورغم أن أغلب اليهود الذين تم طردهم من الأندلس استقروا في شمال المغرب، إلا أن عددا منهم انتقل إلى فاس ومراكش، لكن انتقالهم إلى سجلماسة كان محدودا، خاصة بعد تراجع المكانة الاقتصادية للمدينة خلال تلك المرحلة بفعل هدمها أولا، وثانيا بسبب تزامن هذه الأحداث مع التحول الذي عرفته مسالك طرق التجارة العالمية، بفعل الاكتشافات الجغرافية التي نقلت الثقل التجاري من الطريق المتوسطي والصحراوي إلى الطريق الأطلسي الجديد، وهذا ما يجعلنا نرجح أن غالبية يهود منطقة تافيلالت بمعناها الواسع هم من فئة الطوشابيم، أو ما يصطلح عليهم بالمحليين أو البلديين.

---

[49]- عبد الكريم بوفرة، «مادة: اليهود»، **معلمة المغرب**، ج 22، ص ص. 7680 . 7679.

[50]- بشير، **اليهود في المغرب العربي**، ص. 48.

[51]- محمد كنبيب، **يهود المغرب 1912 ـ 1948**، ترجمة ادريس بنسعيد، مطبعة النجاح الدار البيضاء، طبعة 1998م، ص. 19.

لكن الذي يهمنا في هذا المدخل حول مراحل الحضور اليهودي بالمغرب، هو التساؤل بشكل أساسي عن استقرار هذا المكون بمنطقة تافيلالت والرتب على وجه الخصوص، فما هي تجليات هذا الاستقرار وأدلته؟ وما أثره وتأثيره على المنطقة وساكنتها؟

يذهب بعض الباحثين إلى اعتبار منطقة تافيلالت في الجنوب الشرقي المغربي، من أكثر المناطق المغربية جذبا لليهود الوافدين على المغرب منذ أقدم العصور. لكن وضع تاريخ مضبوط لاستقرارهم بواحات المغرب عموما يبقى صعبا ومستعصيا[52]. وإن كان الباحث اليهودي ناعوم سالوش، يرى أن اليهود استوطنوا تافيلالت منذ القديم، ويعتبرهم من بين العناصر السَّباقة للاستقرار في المنطقة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ من خلال ربطه تسمية "تافيلالت" نفسها بطائفة يهودية استقرت بالمنطقة منذ فجر التاريخ، حيث كانت هناك كما يقول طوائف يهودية عديدة تقطن بالصحراء، ومنها طائفة تدعى "تافيلات" (Tafilat) التي منها اشتق هذا الاسم لمنطقة تافيلالت على حد قوله[53]، لكن ذلك يتناقض مع روايات أخرى حول سبب التسمية[54].

حضور اليهود بمنطقة تافيلالت كان بارزا وواضحا، ورصدته العديد من المصادر التاريخية الاسلامية، فياقوت الحموي(ت627 هـ/ 1229م) وصف المنطقة بكون أكثر تجارها كانوا من اليهود[55].كما تبرز هذه المصادر قدم استقرار اليهود بالمنطقة خاصة بمدينة سجلماسة عاصمة بني مدرار، وأول إمارة أقيمت بالمغرب الأقصى بعد الفتح الاسلامي، وعلى حد قول البكري؛ فقد انتقل إليها عدد من اليهود واستوطنوها وشاركوا في بنائها منذ تأسيسها سنة 140هـ/757م[56]، في الإطار نفسه يشير صاحب كتاب الاستبصار (توفي في القرن 8هـ / 12م) إلى أن اليهود

---

[52]- M'Hamed Ahda, «**Les juifs au Sud-est marocain**, **le cas de Tafilalt**», Revue Qira' at, N° 2-3 Mohamedia, 2005, p. 20, 24.

[53]- Nahum, Slousch, «**Etude sur l' histoire des juifs ou Maroc**», Archives Marocaines, vol, VI, 1906, p. 23.

[54]- واحيحي، **سجلماسة / تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور**، ص. 34./ الحافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 90.

[55]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مطبعة، بيروت 1971م، ص. 451.

[56]- أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، د ت ط، ص. 148.

سكنوا سجلماسة للاكتساب من خلال ممارسة النشاط التجاري، ولعل أهم ما جذب اليهود إليها وقوعها على خط التجارة مع بلاد السودان، حتى بات التبر بها حسبما يقول أمكن منه بغيرها لكونها بابا لمعدنه[57].

أما ما يتعلق بممارسة معتقداتهم بالمدينة فقد تمتعوا بحرية كبيرة في ذلك زمن حكم بني مدرار، ولم ينزل بهم اضطهاد أو تصبهم إساءات كبرى، إلى أن وصل الداعية الفاطمي عبيد الله الشيعي إلى سجلماسة، وعلم ما حاق بإمامه بسبب وشاية اليهود إلى أمير سجلماسة الذي سجن الإمام الفاطمي، فاتخذ الداعي ذلك ذريعة ليغنم أموال اليهود، وصب جام غضبه عليهم بقتل أغنيائهم واغْتِنَام أموالهم، وأمر بأن تقصر مهنة الكنافة والبناء عليهم تحقيرا لهم وعقابا على ما اقترفوه في حق إمامه[58]، لكن الأمر لم يطل إذ سرعان ما استعاد اليهود مكانتهم بل وتزايدت أعدادهم بسجلماسة خلال القرن 4هـ/ 10م[59]، مستفيدين في ذلك من عملهم بالتجارة، واستقرار معظمهم على خطوطها، ومنابعها ومناطق توزيعها، ولعل اهتمامهم بالتجارة يرجع إلى حرصهم على سيولة أملاكهم، ليتيسر عليهم الانتقال، إذا ما اضطرتهم الظروف الاقتصادية أو السياسية[60]. هكذا نستشف من المصادر التاريخية المختلفة مدى الانتشار اليهودي بمجال منطقة واد زيز وتافيلالت الكبرى، فلا يكاد يخلو مجال فيها من وجود أثر لليهود[61].

يدفعنا ذلك إلى القول إن انهيار مدينة سجلماسة وتفرق عدد من ساكنتها في مختلف مناطق تافيلالت، صاحبه انتشار اليهود أيضا في مختلف القصور والمناطق التي تقاسمت في ما بينها

---

[57]- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985م، ص. 202.

[58]-نفسه.

[59]- **Hirschberg Hayyim Ze éb**, A History of The Jews in North Africa, V1, From Antiquity to the Sixteenth Century, 1974, p. 352.

[60]- بشير، **اليهود في المغرب العربي**، ص. 86.

[61]- مبارك فجر، «اليهود بواحة زيز الكبرى»، "**مجلة واحة تافيلالت**"، ع1، 1999م، مطبعة تافيلالت، الرشيدية، 1999م، ص. 30.

إرث مدينة سجلماسة التاريخي والتجاري[62]، باعتبار أن اليهود عرفوا على امتداد تاريخهم بالتمركز في المناطق التجارية الهامة، وهذا ما جعل لهم وجودا على امتداد الطريق التجاري المعروف بطريق السلطان والرابط بين فاس وتافيلالت، فتمركزوا بقصر أبو عام وتابوعصامت وكذا بقصور تيزيمي وأرفود، ومنطقة الرتب بالزريقات، وبمجال مدغرة بقصر بني موسي ومشقلال وغيرها[63].

وقد عاشوا في هذه المناطق وفي المغرب عموما كما يشير إلى ذلك روجي لوطرنو R.Tourneau متمتعين بحرية واسعة جدا قبل مجيء الاحتلال الفرنسي، فتمتعوا باستقلال مالي يكاد يكون كاملا، وتفويضا بتدبير شؤونهم الدينية والقضائية الخاصة بالأسرة. ولم تكن طائفة اليهود تخضع مباشرة للسلطات الاسلامية إلا فيما يخص القضايا الجنائية والتجارية. ولم ينته حقا استقلال اليهود الذاتي إلا في الوقت الذي كانوا يغادرون فيه الحارة أو الملاح ويتصلون بالمسلمين، أي في الوقت الذي كانوا يشاركون فيه في الحياة العامة[64]. دون إغفال وجود مسلمين كانوا بمثابة الوسيط أو الحامي لهؤلاء اليهود في مختلف الفترات[65].

أما في منطقة الرتب التي كانت جزءا لا يتجزأ من إقليم سجلماسة أو تافيلالت لاحقا، فيذكر مزين وجودهم بها، ويرجح أنهم من بقايا البربر اليهود الذين كانوا هناك قبل وصول الاسلام إلى المنطقة[66]، لكن دلائل التأريخ لزمن هذا الوجود مازالت غير متوفرة، خصوصا مع تسجيل ملاحظة أساسية تتعلق بصعوبة العثور على أدلة لوجود يهود من فئة السود التي كان وجودها بارزا

---

[62]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص. 126.

[63]- عبد اللوي، **مدغرة وادي زيز**، ج1، ص ص. 193، 194.

[64]- روجي لوطرنو، **فاس قبل الحماية**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1987م، ج1، ص. 395.

[65]- روس إ دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية 1881م ـ 1912م**، ترجمة أحمد بوحسن، مراجعة عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ـ 2006م، ص. 48.

[66]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 204.

بالمجال وكانت أقدم من استوطنه، وهو ما يعكسه ويعززه المثل الشعبي القائل «**ما كَايْنْ حَتَّى يْهُودِي كْحَلْ**»[67].

يبقى التأريخ بشكل دقيق لوجود هذه الطائفة بالرتب تبعا لما سبق ذكره، أمر يعتريه كثير من الصعوبة والالتباس، نظرا لمجموعة من العوامل؛ ليس أقلها ضعف المادة المصدرية، وضعف الاستقرار البشري بالمجال، وتعرضه الدائم للهجمات والزحف القبلي، وهي من الأمور التي لا تشجع على الاستقرار اليهودي بشكل دائم بالمنطقة، لاسيما في الفترة القديمة والوسيطية، ومع ذلك نجد حاييم الزعفراني يحدد لنا أماكن استقرارهم في عدد من مناطق تافيلالت ومنها: الزريكات بالرتب الأسفل، ويشير إلى أنهم استقروا في أحياء خاصة بهم تسمى بالملاح[68]، بل وأشار إلى مشاركة بعض يهود الزريكات في نفقة طبع بعض الكتب اليهودية، منها كتاب في موضوع المواعظ (مواعظ لكل المناسبات) عنوانه "**يوسف حين**" طبع بتونس سنة 1915م، لمؤلفه يوسف بن داوود ناهمياس، وهو رِبِّي طيب الذكر عند يهود مراكش والجنوب الغربي[69].

أما دوفوكو ورغم أنه لم يمر بمجال الرتب أثناء جوازه بالمنطقة سنة 1884م، وإنما بالمحاذاة منه ـ أي بمجال مدغرة وقصر السوق والخنك ـ لكنه أشار بدوره إلى وجود ملاح وحيد بالرتب وإن لم يسميه، لكنه كان يقصد به على الأرجح ملاح الزريكات[70]. هؤلاء اليهود الذين استقروا

---

[67]- عبد الهادي التازي، **الأمثلة المغربية من خلال التعامل السياسي، ضمن الأمثال العامية في المغرب تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي**، ندوة لجنة التراث التابعة لأكاديمية المملكة المغربية بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث. الرباط 21 دجنبر 2001م، ص. 398.

[68]- حاييم الزعفراني، **الف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ. ثقافة. دين**. ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الدار البيضاء 1987م، ص. 291.

[69]- نفسه، ص ص. 28، 29.

[70]- De Foucauld Charles, **Reconnaissances au Maroc 1883–1884**, Challemel, 1888, Paris, p. 353

بالزريكات؛ مثلوا فئة حرفية اهتمت بأنشطة مختلفة، اشتغلت أساسا بأعمال البناء والتجارة وأعمال الصيانة[71].

وبالمعاينة المباشرة لبقايا قصر الزريكات في الرتب الأسفل نجد آثارا للحي الخاص باليهود والمعروف بالملاح في هذا القصر، إلى جانب آثار معروفة للجميع باسم المقبرة اليهودية (المِيعَارَة)، لكن معالمها انطمست تقريبا، لكونها لم تحظ باهتمام من قبل اليهود الذين حرصوا على ترميم كثير من مقابرهم بالمغرب وبتافيلالت، مثل مقبرة يهود أرفود، ومقبرة يهود الرشيدية، وبجوارها مقبرة يهودية أخرى بجماعة الخنك بجوار قصري مشقلال وموحى اوعلي وغيرهما، بل ووضعوا لهذه المقابر حراسا مستأجرين بشكل دائم.

أشارت لنا أيضا بعض الروايات المحلية إلى استقرار عدد من هؤلاء اليهود بالواجهة الغربية لقصر المعاركة منذ بداية بنائه زمن السلطان مولاي إسماعيل، وأنهم شاركوا في بنائه بفضل إتقانهم لعدد من الحرف التي عرفوا بها، قبل أن يُجْبَروا على مغادرته نحو قصر الزريكات بسبب اضطراب الأوضاع الأمنية بالمنطقة بعد توالي وصول قبائل آيت عطا لها، منذ وقت مبكر سبق سيطرتهم على قصر المعاركة نفسه[72]، كما أشاروا أيضا إلى وجود مقبرة يهودية بجوار القصر، لقيت نفس مصير سابقتها بقصر الزريكات. إلى جانب ذلك تتعد الروايات التي تشير أيضا لاستقرارهم بقصر الدويرة وغيره، لكنها تحتاج إلى مزيد من التمحيص والتدقيق[73].

يمكننا الاعتماد على علم الطبونيمية (علم دلالة الأماكن) أيضا للعثور على دلائل عن استقرار اليهود بالمنطقة، وذلك بإيجاد تسميات لأماكن بالمنطقة تردف أحيانا بتسمية اليهودي

---

[71]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 204, 238.

[72]- عبد العالي عمراوي، **قصر المعاركة التاريخ والعمران**، بحث لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس سايس، الموسم الجامعي 2012م ـ 2013م، ص. 38.

[73]- الهاشمي، **قصر الدويرة أضواء على التاريخ والثقافة والتراث**، ص. 32.

مثل حاسي اليهودي بزاوية أوفوس[74]، ثم مجرى ماء (شعبة) قرب أولاد عيسى بالرتب الأعلى، بين هذا القصر الأخير وقصر "زوالة" يسمى شعبة اليهودي، وما تسميته كذلك إلا إشارة لإمكانية وجود علاقة لبعض اليهود بهذه المنطقة. وبالمعاينة المباشرة ورواية بعض سكان قصر أولاد عيسى، وبعد البحث عن دلائل الحضور اليهودي بهذا القصر الذي كان له مكانة تجارية متميزة خلال العصر الحديث، وببحثنا عن إمكانية العثور على ميعارة لليهود(مقبرة) بمنطقة أولاد عيسى، وقفنا على روايات تتحدث عن معالم لهذه الأخيرة لكنها طمست تقريبا، مما حدا بالسكان للبناء فوق جوانب منها، الأمر الذي أكده البعض لنا من خلال ما وجدوه أثناء حفر أساسات لبعض المنازل قيد البناء، حيث تم العثور على بعض بقايا رفات بشرية بتلك المناطق والمرجح أنها ليهود دفنوا بها قديما[75].

إشارة أخرى هي أحاديث الناس المعتادة، والتي نجدها لا تخلو من استعمال لفظ اليهودي، وإن غلب عليهم استخدامها بمعنها القدحي أو الاحتقاري في الغالب، وتتعدد الأمثلة التي تختزنها الذاكرة الشعبية الرتبية المرتبطة باليهود على غرار ما نجده عند عموم المغاربة، كل ذلك يشير إلى استقرار أو وجود اتصال بين الساكنة المسلمة الرتبية المحلية باليهود.

قدمت لنا الأعراف المحلية بدورها إثباتات لهذه العلاقة، وهذا الاستقرار اليهودي بالرتب؛ من خلال بعض القوانين العرفية التي تقنن التعامل مع هذه الفئة بالمجال، ومن أمثلة ذلك البند رقم 56 من عرف الكارة، حيث نص على أن من أدخل ذميا(يقصد بهم هنا طائفة اليهود) إلى القصر يعطي عشرين مثقالا[76] ويخرج[77]. هذا المنع نجده كذلك في عرف آخر بالرتب هو عرف قصر"تدرين"، حيث نص في بنده رقم 174 على تحريم دخول اليهودي إلى القصور، ولو كان

---

[74]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب** (النسخة العربية)، ع4464، بتاريخ 13 مارس 1997م، ص، 473.

[75]- رواية شفهية **قدار محمد**، (74سنة) أحد سكان قصر أولاد عيسى، أجريت معه المقابلة بتاريخ 12 / 5/ 2016م.

[76]- **المثقال**، وزن معين استعمل للدلالة على الدينار الذهبي، وأصبح يطلق على قطعة نقدية فضية من عشرة دراهم، ثم أصبح في القرن التاسع عشر مجرد عملية حسابية، أنظر عمر أفا، **النقود المغربية في القرن الثامن عشر أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس مع تحقيق رسالتين في النقود والأوزان لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م، ص ص. 85، 86.

[77]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 143.

عابر سبيل، أو حتى تأدية خدمة من أي نوع كانت (عطار)، بل وصل الأمر إلى منعهم من الوقوف بباب القصر، على ما ورد في أحد الشروط من أن« **من جلس من اليهود في تكتا**[78] **متاع البوابة نصافه خمسة أواق**»[79]، وبالقصر نفسه منع بيع البيض لليهود. نفس الأمر جاء في عرف قصر الكارة حيث نص على أن «**من جلس في حدود البوابين من الخارج من الدميين نصافه خمسة أواق**»[80]. ظاهرة منع دخول اليهود إلى القصور لم يكن حكرا على بعض قصور آيت عطا، بل نجد منعهم أيضا حتى من دخول بعض القصور التي كانت خالصة للشرفاء بالرتب[81].

إن هذه النصوص وإن كانت توحي بعدم استقرار اليهود بالقصور الرتبية المذكورة، لكن إيرادها دليل على وجود هذه الفئة وترددها على المجال قصد التجارة أو غيرها، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فهي تضعنا أمام تساؤلات أخرى من بينها؛ إذا كانت الأدلة تشير إلى استقرار اليهود بمجال الرتب فكيف نفسر هذه النصوص؟ وكيف نبرر ونفسر استقرار بعضهم بالرتب؟

الإجابة على هذه الأسئلة تجعلنا نرجح أن الزحف القبلي المتوالي على مناطق وقرى الرتب كانت له انعكاساته الواضحة على استقرار اليهود به، فمعظم القصور التي دخلتها قبائل آيت عطا وسيطرت عليها واستوطنتها غادرها غالبية أصحابها السابقين، كما غادرها اليهود أيضا ولم

---

[78]- **تكتا**، تعني بالأمازيغية " تتكانت" وهي أماكن مخصصة للجلوس قرب مدخل القصر والمسجد.

أواق: جمع أوقية، بضم وتشديد الباء، وكذلك بحذف الألف وفتح الواو، وهي مؤنثة، والجمع فيها أواق بالتنوين، وأواقي بتشديد الياء والغالب في أصلها أنها من أنظمة الوزن اليونانية، وتسمى Oncia. والأوقية تدل على وزن يختلف باختلاف البلدان، وفي ميدان السكة. وقد ضرب سيدي محمد بن عبد الله سكة في إصلاحه النقدي لسنة 1766م، بلغ وزنها في بداية القرن التاسع عشر 29 غراما، عمر أفا، **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر سوس 1822 – 1906**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1988م، ص. 417.

[79]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، البند رقم 284 ص. 90./ والبند رقم 51 و52 ص. 52.

[80]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 176.

[81]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 34.

يعد لهم فيها وجود أما القصور التي استطاعت الصمود في وجه هذه القوة القادمة، أو الدخول مع العطاويين في اتفاقيات أو تحالفات خاصة، مثل قصور أولاد عيسى وكذا الزريكات، فقد ظل وجودهم بها ثابتا. وإن كان محدودا للأسباب التي ذكرنا وكذلك للتراجع الحاد الذي عرفته المنطقة على المستوى التجاري، وتنامي ظاهرة قطع الطرق والسلب والنهب بالمجال؛ في خضم الصراعات التي لم تكد تنقطع طيلة القرن12هـ و13هـ/ 18م و19م، إلى أن قرروا كما قرر معظم يهود المغرب الهجرة إلى الخارج، خلال القرن14هـ/ 20م. في هذا الصدد يشير الباحث الأمريكي روس دان إلى أن الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي، شكلت منطقة جذب واستقطاب لكثير من يهود تافلالت وأن ليوطي **Lyautey** زمن خدمته ضابطا بالمناطق الغربية الصحراوية بالجزائر أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، شجعهم على الهجرة من مختلف مناطق تافيلالت نحو كولب بشار بالجزائر أو غيرها[82].

وبالعودة إلى القوانين العرفية لآيت عطا الرتب مرة أخرى نجد بأنها كانت تتعامل معهم بنوع من الحيطة والحذر الذي يصل إلى حد منع التعامل معهم، نظرا للحمولة الثقافية والإرث الفكري التاريخي الذي طالما رسم صورة لليهود، يطبعها وصفهم بالمكر والخديعة والغدر والتعاملات الربوية التي يستغلونها في الاستيلاء على أموال السكان، إلى درجة أن البعض أرجع تسمية أحد قصور الرتب ويدعى "ارْبِيتْ" والقائم في القسم الجنوبي منه. إلى كون بعض سكانه من اليهود اشتهروا

[82]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 256.

بإقراض السكان قروضا ربوية، ومن فعل الربا بدأ يشار إلى أهل القصر بالربا فتحولت الكلمة إلى ارْبِيتْ[83].

ستتغير كثيرا حياة اليهود المغاربة بمواطن استقرارهم، كما ستتغير علاقتهم بالمغاربة المسلمين مع مجيء المحتل الفرنسي للمغرب سنة 1912م، بعدما عمل هذا الأخير «**على جذب معظم سكان القصور والبوادي من اليهود المغاربة إلى المدن الجديدة التي خلقها في نقط متعددة**»[84]. وقد قامت مصالح الشؤون الأهلية في عهد الحماية بمحاولات لإحصاء يهود الجنوب الشرقي المغربي، بما في ذلك منطقة زيز الأوسط، وحددت عددهم في 750 عائلة في مطلع القرن العشرين. وبناء على بطاقات توزيع تموين الخبز لسنة 1947م قدر عدد يهود تافيلالت عموما ب 6625 يهوديا[85]. لكن معظم يهود قصور المنطقة جُمعوا وتجمعوا في المدن الجديدة المحدثة مثل بوذنيب، كرامة، الريش، تالسينت، قصر السوق، أرفود، تنجداد، والريصاني وغيرها، كما أحدثت سلطات الحماية لهؤلاء اليهود بالمدن المذكورة لجنا خاصة بهم منذ سنة 1937م، بناء على قرارات وزارية صادرة في الجريدة الرسمية بتاريخ 1937/1/26م[86]. لكننا لاحظنا غياب إحداث لجنة خاصة بيهود الرتب رغم حضورهم واستقرارهم به، كما تؤكد ذلك إحدى المصادر الفرنسية، والتي

---

[83]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 35.

[84]- فجر، «**اليهود بواحة زيز الكبرى**»، ص. 32.

[85]- محمد حاتمي، **الجماعات اليهودية المغربية والخيار الصعب بين نداء الصهيونية ورهانات المغرب المستقل 1948م ـ 1961م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ بكلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس سايس، 2006م ـ 2007م، ج1، ص. 47.

[86]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب (النسخة العربية)**، ع1270، بتاريخ 26 فبراير 1937م، ص ص. 367، 368، قرارات وزارية بتاريخ 13 ذي قعدة 1355هـ، (1937/1/26م).

حددت عددهم بقصر الزريكات سنة 1948م ب 104 يهوديا[87]، ولعل مرد هذا الغياب يرجع إلى قلة عددهم في المنطقة ذات الساكنة القليلة أصلا مقارنة بمثيلاتها بالمنطقة، لكن وجودهم ظل ثابتا قبل فترة الحماية وخلالها بدليل ما ذكرنا، وكذا التقرير الصادر سنة 1951م، تقديرا لعدد اليهود الذين تقدموا بطلب للهجرة عبر مؤسسة كاديما، بعد أن رفض طلبهم على اعتبار أن الهجرة اليهودية أصبحت أكثر انتقائية، يستثنى منها المرضى وكبار السن وذوي الإعاقات حتى لا يصبحوا عبئا على "الدولة العبرية الوليدة" وقد أشار هذا التقرير الذي أورده حاتمي في بحثه[88]، إلى أن عدد منهم باعوا فعلا ممتلكاتهم وقدر عددهم ب 34 من أرفود و22 من أوفوس و79 من قصر السوق[89].

ازداد الأمر حدة بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912م، إذ اتجهوا كما توجه كثير من يهود قصور الجنوب الشرقي بشكل مكثف؛ نحو مدينتي فاس ومكناس ونواحيهما، فاستطاعوا في أقل من عقدين السيطرة على أهم مراكز التجارة والصناعة بالمدينتين[90]، وبتتبع وجهة انتقال واستقرار بعض يهود الرتب، أمكننا الوقوف على مواطن تواجد بعضهم بالاعتماد على ما ورد في أعداد الجريدة الرسمية التي كانت تصدر منذ احتلال المغرب، من خلال ما يقدمه الجدول التالي:

---

[87]- Louis Voinot. **Pélerinages judéo – musulmans du Maroc**/ Institut des Hutes Etudes Marocaines. notes et documents IV, éditions Larose, Paris, 1948, p. 14.

[88]- حاتمي، **الجماعات اليهودية المغربية**، ج1، ص. 285.

[89]- Shat/ 3 H 1907 Sur une requête formulée par le chef du territoire de Tafilelt sur l'ampleur de l'exode juive Septembre 1951, p. 25.

[90]- حاتمي، **الجماعات اليهودية المغربية**، ج1، ص. 45.

جدول رقم 5: أسماء يهود ولدوا بواحة الرتب وانتقلوا إلى مناطق أخرى.

المصرح	تاريخ الازدياد ونسب أمه	قبيلة وفخدة دوار	سكناه الحالي (أي سنة 1951م)	الاسم العائلي المختار او المقترح
سيمون بن أبراهام بن السعدية[91]	عائشة بنت يوسف	**قصر ارتب أولاد أعميرى أرفود ناحية مكناس**	مكناس	بالزره
جاكوب بن جوزيف[92]	سمحة طرجمان	**أوفوس**	قصر السوق	طبول
مخلوف بن مويز بن مخلوف دهان[93]	استير اطاح بنت مويز	**ازريكات الملاح أرفود**	فاس	دهان
مويز بن يعقوب[94]	حنيني مردخاي	**الرتب أوفوس**	قصر السوق	ليفي
بن يامين الطبول[95]	مسعودة السعدية	**آيت عطى الرتب ـ اوفوس**	تلسينت	الطبول
يحي بن جوزيف دهان بن مكلوف[96]	مريم شتريت بنت يوسف	**زريكات أرفود**	فاس	دهان
ازاك بن جكوب اتاح بن سلمون[97]	مسعودة لفي بنت ديفد	**زريكات الرتب اوفوس مكناس**	ملاح . فاس	اتاح
جوزيف بن مويز دهان بن مكلوف[98]	استير ايتاح بنت مويز	**ازريكات الملاح القنطرة أرفود**	الملاح فاس	دهان
دفيد بن جكوب بن مويز لفي[99]	عائشة بنت جوزيف	**أوفوس**	ملاح فاس	لفي

[91]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب(النسخة العربية)**، ع 2047، بتاريخ 18 يناير 1952م، ص، 206.

[92]- نفسه، ع **2096**، بتاريخ 26 دجنبر 1952م، ص. 7027.

[93]- نفسه، ع **2107**، بتاريخ 13 مارس1953م، ص. 977.

[94]- نفسه، ع **2112**، بتاريخ 17 أبريل 1953م، ص. 1476.

[95]- نفسه، ع **2127**، بتاريخ 31 يوليوز 1953م، ص. 2705.

[96]- نفسه، ع **2149**، بتاريخ 01 يناير 1954م، ص. 49.

[97]- نفسه، ع **2171**، بتاريخ 04 يونيو 1954م، ص. 1648.

[98]- نفسه، ع **2189**، بتاريخ08 أكتوبر 1954م، ص. 2694.

[99]- نفسه، ع **2227**، بتاريخ 01يوليوز 1955م، ص. 1870.

ما يعزز ويؤكد هذا الاستقرار أيضا هو سجلات الولادات والوفيات الرسمية الموجودة بجماعة أوفوس التي تضم أسماء عدد من اليهود، الذين ولدوا وعاشوا بالرتب قبل الهجرة النهائية، فمنذ إنشاء الجماعة وخلال الفترة ما بين 1952م و1962م تم تسجيل 15 أسرة يهودية بالرتب كلها قاطنة بقصر الزريكات، وكلهم يمارسون التجارة حسب ما هو وارد من معلومات في المعطيات المسجلة، وأخرهم أسرة الأزراع[100].

وبمقارنة كل هذه المعطيات يمكننا تسجيل الملاحظات التالية :

ـ استقرار اليهود بالرتب خاصة الأسفل منه منذ فترات قديمة يصعب تحديدها؛

ـ ارتباط الاستقرار اليهودي بالرتب بالنشاط التجاري، وبممارسة بعض الحرف والصنائع التي مازال من تعلموها عن اليهود بقصر الزريكات يمارسونها دون غيرهم من قصور المجال الرتبي؛

ـ انحصار الحضور اليهودي بالرتب في بعض القصور الرتبية خاصة الزريكات؛

ـ تأثر اليهود بمحيطهم، ويتجلى بعض ذلك في تكييف كثير من الأسماء التي اتخذوها لأبنائهم مع ما هو متداول محليا، (عائشة، مريم، السعدية، مسعودة، يوسف)؛

ـ نهاية الاستقرار اليهودي بالرتب تزامنا مع ما بدأ يعرفه المغرب من تصاعد للمقاومة في فترة الخمسينات، وتصاعد الاستقطاب الذي كانت تقوم به الوكالة اليهودية للمغاربة اليهود، وحثهم

---

[100]– جماعة أوفوس، **قسم الحالة المدنية**، بيانات في ورقات السجلات تحت رقم: 10/ **1952م**، 4، 5، 411، 412/ **1954م**، 15/ **1955م**، 328/ **1956م**، 107/ **1959م**، 21/ **1960م**، 357/ **1961م**، 23، 24، 25، 26/ **1962م**.

على التوجه إلى ما زعموا أنه أرض الميعاد، مما عزز من هجرة جماعات الأطلس والجنوب المغربي عامة ما بين 1952م و1956م وفي السنوات اللاحقة[101].

يمكن القول من هنا أن عدم توجه المستعمر الفرنسي إلى تحويل نواة المركز الذي أنشأه بالرتب، أي مركز أوفوس، إلى مدينة حقيقية تستقطب إليها السكان خصوصا من اليهود، والاكتفاء بجعلها مركز تجمع للتجار في أيام التسوق الأسبوعي بالرتب، وجعله مقرا إداريا وعسكريا لما سماه مجال آيت عطا الرتب، عكس ما فعله في المدينتين المجاورتين واللتين أقامهما بعد فرض سيطرته على المجال وهما قصر السوق(1916م) وأرفود(1918م)[102]، جعلنا نتجه إلى ربط الأمر بضعف عدد اليهود الموجودين بالرتب، أو أن وجودهم تقلص نظرا لما عرفه المجال خلال القرن التاسع عشر من تغيير جذري للبنيات والمكونات الاجتماعية بالمنطقة، وعجز معظمهم على الانسجام والتأقلم مع الوضع والقبائل الجديدة التي استوطنت عناصرها عددا مهما من قصور المنطقة، مما ترتب عنه تناقص كبير لليهود بمجال الرتب.

---

[101]- الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود**، ص. 291.

[102]– **Historique du Bataillon**. **Depuis la Mobilisation** (**2Aout 1914**) **jusqu' à la Signature de la Paix** (**28 Juin 1919**), 8e Régiment de Tirailleurs Tunisiens 3e Bataillon Marche, Imprimerie Typographique et Lithographique, L. Fouqué, ORAN 1920, p. 30, 52.

4 . الحضور الأمازيغي الأول بمنطقة الرتب بين السيطرة والتراجع.

حاول بعض الباحثين تفسير أسباب قدوم العطاويين لمجالات تافيلالت منذ القرن12هـ/ 18م، برغبتهم في الانتقام والثأر من القبائل المعقلية والهلالية[103]، التي تحكمت في هذا المجال الجغرافي منذ القرن 7هـ/13م. أو بالرغبة في الرجوع إلى المحاضن الأولى التي طردوا منها، ولم شتاتهم وتأسيس اتحادية قادرة على تحقيق أهدافهم[104]. الأمر الذي فرض تخصيص مبحث خاص بالحضور الأمازيغي الأول بمنطقة الرتب التي نحن بصدد دراستها، ومحاولة تفسير ومعرفة عوامل تراجع سيطرة تلك العناصر على هذا المجال منذ القرن7هـ/13م، فمن هي المكونات القبلية الأمازيغية التي يرجح أنها كانت قاطنة بمنطقة الرتب في المراحل الأولى؟ وهل كان بعض أجداد العطاويين منها؟ ثم ما مكوناتها؟ وما أسباب تراجعها عن المنطقة وإلى أين اتجهت؟

تتفق معظم المصادر والدراسات التي تناولت المنطقة خلال المرحلة التي نحن بصددها؛ على أن القبائل العربية المعقلية عند وصولها إلى المجالات الصحراوية المغربية خلال القرن 7هـ/ 13م لم تجدها خالية، بل كانت آهلة بالقبائل الأمازيغية الزناتية المنتمية إلى البتر، والتي كانت تقطن الصحراء وتنقسم بدورها إلى عدد من الفروع، ذكر ابن الأحمر(ت807هـ/ 1404م) عددا منها **مثل، بنو مرين، وبنو عبد الواد، ومغراوة، وبنو يفرن، ومطغرة، ومديونة، وكنانة، وبنو ورتطغير**[105]، وإذا عدنا إلى العنصر الأمازيغي بمنطقة زيز الأوسط الذي يعتبر الرتب أحد مكوناته؛ نجد أنه من الصعب تحديد أصوله وتاريخ استيطانه لواحات الجنوب الشرقي المغربي، ومن ضمنها المنطقة المدروسة، وقد افترض العروي أنهم جاؤوا من الشرق إلى الصحراء قبل أن تجف، وأنهم فرضوا لغتهم وحضارتهم المادية على أقوام سبقتهم للمنطقة[106]. ولا غرو فقد أدى ذلك إلى تزايد

---

[103]– استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء**، ص. 173.

[104]– التقي العلوي، «أصول المغاربة، القسم البربري، الأنساب البربرية وقيمتها»، "**مجلة البحث العلمي**"، ع 22، سنة 1974م، ص. 145.

[105]– إسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص. 10.

[106]– عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، ط 5، 1996م، ج1، ص. 94.

سكان المغرب عموما وساكنة سجلماسة على وجه الخصوص، بحيث قدر عددهم بها بعشرات الآلاف[107].

كما أن القبائل الزناتية كانت في مراحل سابقة، أي في القرن 2هـ/8م تشكل أكثر من ثلثي سكان المراعي بإفريقيا الشمالية[108]، وباعتبار ما تميزت به منطقة سجلماسة من مميزات وخصائص ملائمة لاستقطاب السكان، من وجود للأودية والواحات وبعض الأراضي الخصبة التي تسمح بممارسة الزراعة، إضافة لموقعها الاستراتيجي كوسيط وممر تجاري مهم، فإن هذه المنطقة عرفت استيطانا مبكرا لبعض مكونات القبائل الزناتية المغراوية القادمة من المغرب الأوسط.

هذا الحضور بالمجال الواحي الصحراوي المغربي وبالأخص بمنطقة تافيلالت سيتوج بميلاد أول دولة مستقلة في المغرب منذ الفتح الإسلامي وهي إمارة بني مدرار بسجلماسة، أو بنو واسول كما يسميهم ابن خلدون، وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين (140هـ ـ 366 هـ/ 757م ـ 977م). وهنا يذكر البكري أن أول أمرائهم كان هو عيسى بن يزيد الأسود، الذي نسب له تأسيس مدينة سجلماسة عاصمة الدولة المدرارية[109] التي شمل حكمها منطقة الرتب أيضا.

مر حكم بنو مدرار المنتمين إلى قبيلة مكناسة الزناتية بمرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى تمتد من قيام الإمارة إلى سنة 296هـ/909م، وتمثل عهد الاستقلال الكامل. والثانية إلى غاية سنة 366هـ/977م. حيث تأرجحوا بين الاستقلال والتبعية للفاطميين[110]، لكن في خضم كل هذه الأوضاع، ماذا عن الرتب خلال هذه المرحلة التاريخية الحساسة؟ هل كانت آهلة بالسكان وذات بنيان وعمران؟ أم أنها كانت مجرد ممر للمسافرين ومرعى للقطعان؟

---

[107]- Bernard Rosenberger. **Les veilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc**, **Essai de carte historique**, 1ère partie, R.G.M, N° 17,1970, p, 78.

[108]- Henri Terasse, **Histoire Du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français**, Edit,Atlanti, Casablanca, 1950, p. 23.

[109]- البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص. 148.

[110]- مبارك رضوان، «مادة: بنو مدرار»، "**معلمة المغرب**"، ج5، ص. 1558.

يمكن التأكيد من المؤشرات والإشارات التاريخية القليلة التي وصلت إلينا، على محدودية التعمير والعمران بالمجال المذكور خلال هذه الحقبة التاريخية، لكن ذلك لا ينفي كون المجال كان آهلا ببعض السكان القدامى، ومن لحق بهم من عناصر أخرى، وربما أن المجال كان يشكل أحيانا ملجأ للفارين من حكام سجلماسة في مراحل مختلفة.

هذه المرحلة وعلى قلة المعلومات المتوفرة حولها نجد فيها إشارات إلى منطقة الرتب، أولها مع بدايات الدولة المدرارية حيث تشير المصادر إلى أن أول أمرائها عيسى بن يزيد الأسود وبعد حكمه للإمارة ما بين (140هـ - 155هـ/ 757م - 772م)، انقلبت عليه الكتلة الزناتية المكناسية وعزلته وقبضوا عليه وقتلوه شر قتلة بعد أن طلو جسده بالعسل وتركوه حتى قتلته الزنانير والنحل[111]، بحيث أرجع كثير من المؤرخين سبب ذلك؛ إلى كون غالبية السكان في بداية تأسيس الإمارة المدرارية كانت من الزنوج السود، الأمر الذي كان يستعصي معه أن ينجح زعماء زناتة في تصدر المشهد السياسي في الدولة الوليدة، لكن بعد تزايد وفود القبائل المكناسية الزناتية إلى سجلماسة سينجح هؤلاء وبدافع العصبية؛ وبالاعتماد على حجج واهية في إزالة السود من الحكم ليتولوا مقاليده، أعقب ذلك فرض القبائل الزناتية سيادتها وسلطتها على عموم الصحراء، وهنا يشير عبد الكريم الفلالي إلى أن عيسى بن مزياد كما يسميه هو وليس ابن يزيد، بعد أن قتل «**شتت قومه وعشيرته، واعتمادا على أقوال بعض الفقهاء في مذكرات غير معروفة لمن هي تؤكد أن بقاياهم، هم المتواجدون في كل من الرتب وأوفوس حيث يعرفون اليوم بقصرهم أولاد عيسى**»[112]. وإذا ما نظرنا إلى المكونات البشرية الحالية لقصر أولاد عيسى بجماعة أوفوس المنتمية لمنطقة الرتب، نجد أن معظمها يتكون من العناصر السوداء، أو ما يعرف محليا بالحراطين رغم وجود عناصر أخرى خصوصا من فروع قبائل بني معقل وآيت عطا وبعض الشرفاء.

---

[111]- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ج 2، ص. 352. ورد في كتابه أن سنة إزاحة عيسى بن يزيد هو 167هـ/784م.

[112]- عبد الكريم الفلالي، **التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، شركة تاس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006م، ج 2، ص. 108.

من كل ما سبق، نستنتج أن القبائل الأمازيغية الأولى التي استوطنت مجال سجلماسة إبان تلك المرحلة هي قبائل زناتية بالأساس حيث مازالت أثار ذلك بادية، فاللهجات المستعملة تؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون[113]؛ من كون اللهجة الزناتية لا زال متحدث بها، وأيضا أسماء كثير من القصور والمواقع التي تذكر بهذا الأصل الأمازيغي الزناتي لكثير من المناطق[114].

أما الإشارة الثانية المهمة حول الرتب، فترجع إلى المرحلة الثانية من تاريخ هذه الدولة وبالضبط إلى نهاياتها، بعد أن فقدت استقلالها الكامل وأصبحت تنتقل بين التبعية للعباسيين في بغداد أو للفاطميين في عاصمتهم في افريقية ومصر أو الأمويين بالأندلس، وهنا تحدثنا بعض المصادر عن الأمير المدراري محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله (331هـ ـ347م/ 943م ـ 958م)، والذي غير تبعية الدولة المدرارية من الفاطميين إلى العباسيين، مما كان يعني ضمنيا أنه سيتخلى حتى عن المذهب الخارجي الصفري ويتبنى المذهب السني، بل إنه ذهب أبعد من ذلك بعد أن حمل شارات الملك وطبع الدراهم باسمه والتي سميت بالدنانير الشاكرية[115].

سيُعَرِّضه موقفه هذا وملكه لاحقا للزوال على يد الفاطميين الذين لم يستسيغوا أو يقبلوا هذا التحول الذي اتخذه الأمير المدرراي بسجلماسة، بكل ما تعنيه هذه الأخيرة من دلالة اقتصادية وسياسية، بل وروحية بالمنطقة، على اعتبار أن أول بيعة للخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي كانت من هذه المدينة منذ 296هـ/ 909م، وهذا ما سيدفعهم إلى إرسال أشهر قادتهم لاستئصال شأفة الانشقاق والعصيان بفاس وسجلماسة، وهو جوهر الصقلي الذي ما كاد يفرغ من إعادة فاس إلى الطاعة الفاطمية حتى توجه نحو سجلماسة التي لم يلق منها مقاومة مثل تلك التي وجدها في مدينة فاس، كما أنه لم يجد في طريقه من فاس إلى سجلماسة أية صعوبات وتمكنت قواته من السيطرة على المناطق التي خطط للسيطرة عليها[116]، ولما وصل إلى مدينة

---

[113]– ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر** ، ج 6، ص. 116، 117.

[114]– أعفيف، **توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات**، ص. 64.

[115]– ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص ص. 176، 177.

[116]– مجهول، **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005م، ص. 94.

القوافل التجارية فر منها أميرها محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله نحو أحد حصونه على المحور التجاري الرابط بين سجلماسة وفاس، وعرَّفه البكري باسم تاسجدالت، وهو ما جعل عددا من الباحثين ومنهم القاسمي يربطون بين وجود قصر سكني يحمل اسم أولاد شاكر بالرتب الأعلى، وبين تسمية هذا الأمير[117]، ويذهبون أبعد من ذلك إلى القول بوجود هذا الحصن في هذا المكان، وإن كانت تسمية تاسجدالت نفسها تطرح أكثر من علامة استفهام، نظرا لكثرة الأماكن التي تحمل هذه التسمية، فحافظي في أطروحته، حول الصحراء عرف تاسجدالت، تعريفا ينم عن شكوكه وصعوبة الجزم بكونها تسكدلت الواردة عند البكري والواقعة على مسافة تصل إلى اثني عشر ميلا من سجلماسة هي حصن تاسجدالت بالرتب[118]. لكن ما يعزز ويرجح أنها المقصودة عند البكري[119]. هي تقارب المسافة الحقيقية التي ذكرها هذا الأخير والمسافة الفاصلة اليوم بين الآثار المتبقية من سجلماسة ومجال الرتب.

ما يهمنا هنا أكثر هو الإشارات المتواترة التي تؤكد وتربط بين فرار الأمير المدراري إلى منطقة الرتب، وبالضبط إلى حصن تاسكارت، كما سماه ابن خلدون وغيره[120]، حيث اختبأ فيه الشاكر لله قبل أن يتم القبض عليه من قبل الموالين للفاطميين وتسليمه إليهم[121]، وبين وجود هذه التسمية إلى اليوم في إشارة إلى منطقة أولاد شاكر على ضفاف واد زيز بمنطقة الرتب الأعلى، إذ

---

[117]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى** ، ج2، ص. 368.

[118]- حسن حافظي علوي، **واحات بلاد المغرب من القرن 4هـ / 10م إلى القرن 8هـ/14م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، الموسم الجامعي 2004م ـ 2005م، ج1، ص. 113.

[119]- البكري، **المسالك والممالك**، ج 2، ص. 336.

[120]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص. 174.

[121]- نشير هنا إلى أن ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان وليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ط3، ص. 222. أشار إلى أن جوهر الصقلي القائد الفاطمي قد قتل الشاكر لله في شهر رجب سنة347هـ. لكن مصادر أخرى وخاصة الفاطمية منها تؤكد أنه أُخِذَ أَسِيرا إلى عاصمة الدولة الفاطمية آنذاك المهدية بإفريقية (تونس)، بل وأوردت صفحات من أيام الأسر التي قضاها الأمير المذكور قبل وفاته، وأبرزت ما دار بينه وبين الخليفة الفاطمي من حوارات، وما تعرض له من تنكيل وإذلال وإهانة، أنظر إدريس عماد الدين (ت 1488م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، ط1 1985م، ص. 605، كما تضمنت الصفحات ما بين 605، 636، أخبار عن حياة الشاكر لله المعروف في الكتاب بابن واسول، في أسر الفاطميين وتعامل الخلفاء معه بعد نقله من المغرب أسيرا إلى عاصمة ملكهم آنذاك.

من المحتمل جدا أن هذه التسمية إنما جاءت نسبة إلى أبناء ذلك الأمير، فسميت هذه المنطقة الواقعة في الحدود مع إقليم مدغرة بأولاد شاكر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل أولا على أن المجال كان مأهولا، إلى جانب كون تسمية تاسكارت التي ذكرها ابن خلدون أو تاسجدالت التي ذكرت عند البكري وابن الخطيب هي كلمة أمازيغية بالأساس.

توحي لنا مثل هذه الإشارات إلى حضور وسيطرة القبائل الزناتية على مناطق الجنوب الشرقي بما فيه الرتب، على الرغم من تغير القيادة السياسية الزناتية من مرحلة إلى أخرى، بل وضعف سلطتها وخضوعها أحيانا للتبعية لمختلف السلط التي تقاسمت الحكم في العالم الاسلامي، أي العباسيين والفاطميين، إضافة إلى أمويي الأندلس، إلا أن المنطقة لم تعرف تغيرا كبيرا على مستوى البنية العرقية المكونة للمجال، فبعد حكم بني مدرار وما أعقبه من تدخل فاطمي هيأ لإنهاء حوالي قرنين من تاريخ الإمارة الصفرية بسجلماسة، إلا أن المكون الزناتي الأمازيغية ظل دائم الحضور بالمنطقة، إن على المستوى البشري أو السياسي، تجلى ذلك في حلول بنو خزرون محل الأسرة والدولة المدرارية وبنو خزرون أو بني وانودين، كما يعرفهم ابن خلدون فرع من قبيلة مغراوة التي كانت لها الكثرة والرياسة ـ إلى جانب بني يفرن وجراوة ـ في قبيلة زناتة[122].

أما مواطنهم وعلى غرار باقي بطون عصبيتهم مغراوة، ترجع إلى المغرب الأوسط، الذي كان يعرف بوطن زناتة، ويشير دائما ابن خلدون إلى أن هذه العناصر انتقلت من مواطنها الأولى في اتجاه الغرب؛ بفعل ضغط الجيوش الصنهاجية المناصرة لدعوة العبيديين. وذلك في عهد الخليفة الفاطمي المنصور، الذي كلف بلكين بن زيري الصنهاجي. صاحب إمارة بني زيزي التابعة للوصاية الفاطمية بإبعاد قبائل مغراوة الزناتية من المغرب الأوسط[123]، لما تيقن من مناصرتها لأعدائه الثائرين عليه وبالفعل شن بلكين حملته عليهم سنة361هـ/972م. وكان هذا سبب ارتحالهم عن المغرب

[122]– ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج7، ص ص. 11، 12.

[123]– الزياني، **الترجمان المعرب**، ص. 257.

الأوسط نحو المغرب الأقصى[124]، كما أدت مواصلته الحرب على الزناتيين إلى تحالف هؤلاء مع أمراء أمويي الأندلس بقرطبة في عهد أحد أبرز أمرائها المنصور بن أبي عامر، خاصة بعد مواصلة بلكين حملته على المغرب الأقصى، هذا الأمر سيفرز بروز قيادة جديدة في القبائل الزناتية سيكون لها دور في رسم وطبع تاريخ المغرب عموما، ومنطقة سجلماسة على وجه الخصوص، تمثلت في كل من محمد بن الخير، ومقاتل وزيري بن عطية، وخزرون بن فلفل[125]، وذلك بعد أن أقام هؤلاء إمارات لهم بالمغرب مثل زيري بن عطية بفاس، وإمارة لقوط الزناتي بأغمات، وإمارة خزرون بن فلفل بسجلماسة، هذا الأخير كان قد زحف إلى مدينة سجلماسة، وتمكن من الانتصار على أميرها المدراري المعتز بن الشاكر لله سنة 367هـ/ 978م، وكتب بالفتح إلى هشام المؤيد بالأندلس وبعث له برأس المعتز ليشهره بقرطبة كما يقول صاحب مفاخر البربر، فأقام بذلك أول دعوة قامت للمروانية بسجلماسة وبالمغرب للمؤيد بالله هشام بن الحكم[126].

ويبقى أمامنا الإجابة على تساؤل آخر، وهو إلى أي درجة يمكن أن نقول بأن القبائل البربرية الأولى التي استوطنت الرتب في البداية؛ وخرجت أو أُخْرِجَت منه لاحقا بعد زحف قبائل بني معقل، هي بالأساس قبائل آيت عطا؟ مع العلم أن هذا الاسم كما سنرى لم يظهر ويتداول إلا في النصف الثاني من القرن 16م، وأول من أشار إليه هو مارمول في كتابه إفريقيا حيث وردت عنده على شكل "Yatata"[127].

لابد هنا من التذكير بكون هذه القبائل تُعرف على أنها ذات أصول صنهاجية، وعند وصول القبائل العربية إلى المنطقة خلال القرن 7هـ/13م، سكنت في القصور التي كانت تملكها قبائل زناتة بالصحراء بعد توجهها شمالا، وتأسيسها مملكة بفاس، لينفرد عرب المعقل بالصحراء،

---

[124]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج7، ص ص. 38، 39.

[125]- نفسه، ج7، ص ص. 39، 40.

[126]- مجهول، **مفاخر البربر**، ص. 106.

[127]- مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 157.

وليملكوا القصور التي اختطتها زناتة، ويفرضوا الضرائب على حراطينها، وتصير لهم اليد الطول بجميع الأقطار الصحراوية الواقعة بين المحيط الأطلسي وتيديلكت[128].

وفي بحثنا عن أصول ومكونات قبيلة زناتة وجدنا أحمد التوفيق يعرفها على أنها إحدى المجموعات القبلية الكبرى البربرية، حسب التقسيم الذي وضعه عدد من المؤرخين والدارسين لها، وأنها تنتمي إلى قبائل البتر، كما تنسب إلى جد أخذت منه اسمها حسب هذا الفهم وهو: زانا أو شانا أو جانا وينسب بدوره إلى داري بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ويشير التوفيق إلى أن التجارة كانت السبب في حركية زناتة حيث نجدهم في سجلماسة وأغمات وأودغشت، ولعلهم كانوا ضحية هذه الحركية من جهة فقد العصبية، بعد أن أسست دولة بني مرين في القرن 7هـ/13م، هذا الارتباط الزناتي بالتجارة جعله يفترض بأن كلمة "إزناتن" تعني التجار[129]، وقد اشتهر من هذه القبائل الزناتية في بداية القرن الرابع الهجري ثلاث قبائل: مكناسة، وبنو يفرن، ومغراوة[130].

ومن خلال ما كتب عن هذه المنطقة في بعض المصادر والأبحاث والدراسات خاصة خلال العهد العلوي، تستوقفنا مجموعة من المعلومات، لعل أبرزها ما يتردد من ذكر قبيلة آيت ازدك واستقرارها في منطقة الرتب، هذه القبيلة ذكرت منذ القديم عند البيدق، وحدد مجالها في منطقة بتودغة، إذ كانت تصنف ضمن مجموعة صنهاجة كثيرة الفروع[131]، ويمتد مجالها الآن من واحة مدغرة على وادي زيز إلى منطقة ملوية العليا عبر فج "تيزي نتالغمت" بالأطلس الكبير الشرقي على ما يزيد عن 150 كلم في خط طولي، ومن واد زيز إلى وادي كير على ما يزيد عن 150 كلم في خط العرض. وتسمية آيت ازدك هذه ربما تكون مشتقة من الجدر الأمازيغي المكون من الأحرف الثلاث. ز.د. كَ والذي يفيد الصفاء. وهذا ما يوحي بارتباط هذا الاسم بالعقيدة، كما

---

[128]- عبد الوهاب ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج 1، مطبعة الرباط، 1968م، ص. 415.

[129]- أحمد التوفيق، **مادة زناتة**، معلمة المغرب، ج 14، ص. 4717.

[130]- ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج 1، ص. 109.

[131]- أبو بكر الصنهاجي (البيدق)، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط1971م، ص ص. 54، 55.

يمكن أن يكون له علاقة بمفاهيم أخرى مرتبطة بالوضعية السياسية، الناتجة عن تأسيس حلف بالمنطقة، قادته هذه القبيلة منذ القرن 11هـ/ 17م سمي بحلف آيت ياف لمان (الناس الذين في بلادهم الأمان) [132].

يؤكد نهليل في بحثه حول آيت ازدك، أن هؤلاء كانوا يستقرون في مناطق عدة منها الرتب، قبل توجههم نحو الحوض الأعلى لوادي زيز، وأنهم كانوا جزءا من قبيلة آيت عطا قبل أن ينشقوا عنها[133]، وقبل أن تعمد هذه الأخيرة إلى الضغط عليهم، وترغمهم على مغادرة كثير من مواطنهم بزيز الأوسط؛ ليستقروا بزيز الأعلى مكان قبائل كروان[134].

قبائل كروان هذه بدورها كانت قد نُكِبت زمن السلطان مولاي اسماعيل، الذي كلف قائده علي بن يشي بأن يغير عليهم، ويقطع رؤوس اثني عشر ألف منهم. ففاجأهم في مواطنهم بوادي زيز حيث كانوا يقطعون الطريق من وإلى تافيلالت، مما أدى إلى نزوحهم عن هذه المجالات التي استوطنتها بعدهم قبائل آيت ازدك[135]، وبالرجوع إلى ما ذكره مارمول فإن اللغة التي كان يتكلم بها بعض سكان الرتب خلال 10هـ/16م لم تكن تشبه لغة الغريسيين رغم انتمائهم إليهم[136]، وهذا تأكيد على استمرار استقرار بعض القبائل الأخرى إلى جانب آيت ازدك بالمجال رغم أنه كان خلال تلك الفترة يخضع لقبائل بني معقل.

---

[132]- Mohammed Lmoubariki, **La résistance du Sud- Est Marocain à la Pénétration Française 1908-1934**, Edité par Haut Commissariat aux Anciens Résistants et Anciens Membres de l' Armée de Libération, Impression et realisation, Accomm, Kànitra, Pp. 92, 93, 94.

[133]- Mohammed Nehlil. **Azerf des Ait Izdeg**, **les archives berbères**, Publication du comité berbère du Rabat Tom 1978, p. 229.

[134]- مزين، «مادة: آيت ازدك»، "**معلمة المغرب**"، ج1، ص. 330.

[135]- السوسي، **المعسول**، ج 16، ص. 304.

[136]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 154.

5 . القبائل العربية واستقرار بعض مكوناتها بمنطقة الرتب.

إذا كان الاستقرار العربي بالمغرب ومنطقة الرتب قد أصبح جليا وواضحا مع دخول قبائل بني معقل إلى المنطقة منذ القرن 7هـ/13م، فإن الأدلة تؤكد مع ذلك على تواجدهم منذ فترة مبكرة ترجع إلى الفتح الإسلامي وإن كانوا بأعداد قليلة، ففي منطقة سجلماسة وعلى الرغم من سطوة القبائل الزناتية والسود واليهود بها، إلا أنه لا يجب أن نغفل عن كون أول أمير للخوارج الصفرية عيسى بن يزيد من موالي العرب[137]، وإذا ما صح ما ذهب إليه عبد الكريم الفلالي من أن ذرية هذا الأخير وعشيرته هم من استقروا بقصر أولاد عيسى بالرتب نتيجة ما تعرضوا له على أيدي زعماء إمارة بني مدرار[138]، فإن ذلك يعني أن استقرار بعض العناصر العربية بالرتب يرجع إلى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، لكن مع ذلك فإن دور العرب في الدولة الصفرية بسجلماسة التي تأسست سنة 140هـ/757م، كان محدودا إذ اعتمدت الدولة على عناصر أمازيغ مكناسة وصنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين، وعن طريق الطائفة الأخيرة، يحتمل تسرب بعض العناصر العربية[139].

بهذا يمكن القول إن المنطقة وإلى حدود مجيئ القبائل المعقلية تميزت بوجود محدود للعرب على أراضيها، قبل الزحف الكبير للقبائل العربية على المغرب والشمال الإفريقي عموما زمن الدولة الفاطمية، حيث كانت قبائل بنو هلال تقيم بشرق النيل إلى أن خطرت للوزير الفاطمي اليازوري فكرة إجازة العرب إلى المغرب تخلصا من شرهم، وانتقاما من المعز بن باديس أمير الدولة الزيرية الذي أعلن عن تنكره للمذهب الشيعي الفاطمي، فكان بنو هلال أول من عبر النيل وسار إليه، وكان فيهم من غيرهم كثير من فزارة وأشجع وجشم وسلول ومعقل وعمرة وبني ثور وعلوان وطرود[140]، وكان يطلق على جموع القبائل العربية التي دخلت بلاد المغرب الكبير بنو هلال وإن

---

[137]- المراكشي، **البيان المغرب**، ص ص. 71، 74.

[138]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 2، ص. 108.

[139]- مصطفى أبو ضيف أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ج1، ص. 468.

[140]- ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج1، ص. 413.

كان منهم من لا ترتبط معهم إلا برابط العروبة، الأمر الذي جعل عبد الوهاب بن منصور يرد جميع القبائل والبطون العربية التي دخلت المغرب إلى ثلاثة شعوب منهم: بنو هلال والمعقل[141]. واعتبر دخول هذه القبائل خلال القرن7هـ/ 13م بمثابة الزحف العربي الثاني الكبير على بلاد المغرب، والذي لم يكن يضاهيه في قوة فعاليته وسرعة تأثيره إلا الزحف الأول الصغير، فكلاهما أعطى للمغرب شيئا، وكَيَّفَ حياة أهله تكييفا حسنا، فالزحف الأول أعطاهم العقيدة والايمان، والزحف الثاني أعطاهم اللغة والقومية[142]. بهذا استوطن المعقليون القصور التي اختطتها زناتة في القفار قبل نزوحهم شمالا نحو المناطق المجاورة لمرتفعات الأطلس الكبير[143]. ولم يكد يصل النصف الثاني من القرن7هـ/13م حتى كان عرب المعقل قد شغلوا كل الواحات الواقعة جنوب وشرق جبال الأطلس الكبير، وأصبحوا أسياد هذه المناطق بدون منازع[144].

ما يهمنا نحن من هذه القبائل أساسا هم قبائل بني المعقل، لدورهم الكبير في التغيرات التي ستعرفها منطقة الرتب لاحقا بعد استيطانهم بها أولا، ثم فقدان هذه السيطرة في وقت لاحق، الأمر الذي يدفعنا إلى البحث في أصول هذه العناصر ومكوناتها وتقسيماتها وظروف استيطانها بالمجال المدروس، ثم رصد الآثار المادية وغير المادية التي تبرز هذا الوجود وأهميته، بل ومدى انعكاسه وتأثيره على الوضعية والخريطة القبلية بالرتب إلى حدود الفترة الراهنة.

تربط مختلف المصادر قبائل بني معقل بالقبائل العربية، وتؤكد كما وسبق أن أشرنا أنها دخلت بلاد المغرب خلال الزحف العربي الأول الذي تزعمته قبائل بنو هلال[145]، هؤلاء المعقليون يربطون نسبهم بالهاشميين حيث يرجعونه إلى جعفر بن أبي طالب[146]. لكن ابن خلدون ينفي صحة هذا الانتساب وبالمقابل يشير إلى أنهم من عرب اليمن ويتكونون من بطنين يسمى كل

---

[141]- ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج1، ص. 412.

[142]- نفسه، ج1، ص. 411.

[143]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص ص. 77، 78.

[144]- حافظي، «مادة بنو واسول»، **معلمة المغرب**، ج5، ص. 1585.

[145]- أبو ضيف، **أثر القبائل**، ص. 57.

[146]- ابن منصور، **قبائل المغرب**، ص. 425.

واحد منهما بمعقل، أحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير، والآخر من بني الحرق بن كعب بن عمرو بن علة بن جلدين مذحج[147]، لكن الناصري أبطل صحة القول بالأصل اليمني لهذه القبائل، ورد على ابن خلدون في هذا الموضوع قائلا «**ولفظ معقل الذي في بني الحرث ابن كعب ضبطه صاحب القاموس بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر القاف المشددة بوزن مُحْرث وضبطه بعض الحفاظ بفتح القاف المشددة بوزن مُعَظْمْ**»[148]. كما أكد على انتساب هذه القبائل لآل البيت وربط بين مجيئهم إلى بلاد المغرب وصراعهم مع أبناء عمومتهم العباسيين[149].

جعل هذا الأمر نسب المعقليين غامضا تتضارب فيه الآراء، لكننا لن نقف عند هذا الخلاف في هذا الموضوع؛ بقدر ما سنهتم بالتقسيمات التي قسم إليها النسابة هذه القبائل، لما لذلك من أهمية في معرفة أصول الساكنة الرتبية المنتمية للفئة العربية، وفهم دلالة بعض التسميات التي تحملها، أو كانت تسمى بها بعض ساكمة أو قصور أو أماكن المنطقة.

بَيَّن ابن خلدون عند التأصيل للقبائل المعقلية التي دخلت إلى المغرب الأقصى خلال القرن 7هـ/13م؛ بأن جدهم معقل كان له من الولد سحير ومحمد، فولد سحير: عبيد الله وثعلب، فمن عبيد الله، ذوي عبيد الله، ومن ثعلب الثعالبة الذين ببسيط متيجة في نواحي الجزائر. وولد محمد: مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان، فولد مختار بن محمد حسان وشبانة. فمن حسان ذوي حسان أهل السوس الأقصى، ومن شبانة الشبانات جيرانهم هناك، ومن جلال وسالم وعثمان والرقيطات بادية لذوي حسان ينتجعون معهم. وولد منصور بن محمد: حسن وأبو الحسين وعمران وشنب يقال لهم جميعا ذوي منصور[150].

وبناء على ذلك يمكن القول بأن المجموعة المعقلية التي وصلت في القرن 7هـ/13م إلى مجالات المغرب الأقصى تشكلت من ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله، وذوي حسان، وذوي منصور.

---

[147]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج 6، ص ص. 78، 79.

[148]- أحمد بن خالد الناصري، **طلعة المشتري في النسب الجعفري**، نشر المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، مطبعة سيرار، الدار البيضاء بدون تاريخ الطبع، ج1، ص. 114.

[149]- نفسه، ج1، ص ص. 110، 111.

[150]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج 6، ص. 79.

هذا الفرع الأخير هو بالضبط الذي استقر بسجلماسة وإقليمها، على عكس ذوي عبيد الله الذين استقروا في جنوب سجلماسة باتجاه السودان، ولم تكن لهم علاقة بالمنطقة باستثناء أحد بطونهم المسمى بالخراج والذين حالفوا المرينيين في مرحلة حكمهم[151]. تركز مجال نفوذ ذوي منصور في المنطقة الفاصلة ما بين تاوريرت ودرعة عبر سجلماسة، أي أنهم كانوا يستولون على ملوية كلها، أما بطونهم فتكونت من أربعة بطون هم: أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان، والعمارنة: أولاد عمران والمنبات: أولاد منبا وهما شقيقان أيضا ويقال لهذين البطنين جميعا الأحلاف[152].

ويلخص الجدول التالي هذه القبائل ونستعرض من خلاله توزيعها داخل هذا المجال، حسب ما ورد عند ابن خلدون الذي عاصر فترة قوتها وسيادتها، ويتعلق الأمر بالبطون الثلاث لذوي منصور: أولاد حسين والأحلاف، وأولاد أبي الحسين.

جدول رقم 6: انتشار أهم بطون بني معقل بإقليم بسجلماسة[153].

الفرع المعقلي	مناطق تواجده
أولاد حسين	كانوا بدرعة في أواخر القرن 7هـ/ 13م، ثم انتقلوا في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م إلى مناطق أخرى، وهؤلاء هم أغلبية ذوي منصور، ولهم العزة والسطوة على غيرهم، وقد تسببوا للمخزن المريني في عدة مشاكل.
الأحلاف: ويتكونون من العمارنة والمنبات	هم ثاني أهم بطون ذوي منصور، ومواطنهم مجاورة لأولاد حسين من جهة الشرق، أما مجالات تنقلهم فهي تافيلالت وصحرائها، وبالتل ملوية وقصور وطاط وتازا(...). أما العمارنة فقد ارتبط الحديث عنهم في القرنيين السابع والثامن الهجريين، بالمنبات لأن هؤلاء كانوا أصحاب الزعامة في الأحلاف، وهم الذين تحكموا في سجلماسة، كما اندمجوا مع العمارنة مدة من الزمن بالمناطق المجاورة لسجلماسة، ثم غادروها إلى المناطق الواقعة إلى الشمال منها على الطريق المؤدية إلى مدينة فاس وقد وصفه الوزان بالنبل.

[151]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج 6، ص. 82.

[152]- نفسه، ج6، ص. 87.

[153]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ص. 45./ حافظي، «مادة: بنو واسول»، "**معلمة المغرب**"، ج5، ص. 1585.

هذا أهم ما رصدته المصادر الوسيطية أو التي تناولت هذه الفترة، لكن الفترة الحديثة تميزت بتزايد المعلومات حول هذا المجال؛ بفضل ما كتبه الوزان ومرمول عن المنطقة، بعد أن وقفا على أبرز المميزات والخصائص التي عرفت بها ساكنة منطقة الرتب خلال القرن10هـ/ 16م. ولنبدأ بالوزان الذي أشار إلى وجود عرب المعقل من المنابهة وقال «**يسكن المنابهة هم أيضا صحراء فجيج وتمتد سيطرتهم على مطغرة والرتب من أقاليم نوميديا وهم كذلك شجعان يأخذون بعض الاعانات المالية من سكان سجلماسة، ويبلغ عدد فرسانهم نحو ألفي رجل**»[154].

يتبين جليا من هذه الإشارات أن السيطرة العربية قد شملت منطقة الرتب، وأن هؤلاء العرب من المنابهة المنتمين لذوي منصور قد أصبحوا أسيادا في هذا المجال، بفضل قوتهم التي وصلت إلى حوالي ألف فارس، كما نستنتج أنهم تحكموا في الطريق التجارية الرابطة بين فاس والسودان عبر سجلماسة في هذا الجزء المسمى واد الرتب، مما جعلهم يحصلون على ما سماه الوزان إعانات مالية من سجلماسة. وهو ما جعله يعتبر هؤلاء الأعراب فئة متنقلة ومهتمة أساسا بالأعمال الحربية[155].

بنفس الأوصاف تقريبا نجد مارمول، وبعد حوالي نصف قرن يتحدث عن هذه القبائل بالقول «**ويقيم أولاد المنبهي في نفس الصحراء، وهم سادة مطغرة والرتب من أقاليم نوميديا، وهم كذلك في غاية النباهة والشجاعة يصل عددهم إلى ألفي فارس وعشرين ألف راحل، بحيث أن سكان سجلماسة يؤدون اليهم الاتاوة**»[156]، وعلى عكس الوصف الذي قدمه الوزان لهذه الأموال التي كان يحصل عليها المنابهة من سجلماسة، لم يسميها إعانات بل أطلق عليها تسمية إتاوات، مع الاختلاف الواضح في الدلالة اللغوية، والأبعاد السياسية والأمنية لكل كلمة، لكنه أيضا تحدث عنها كقبائل رحل، وأشار إلى أنهم عند عودتهم من ليبيا ينصبون

---

[154] – الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ص. 45.

[155] – نفسه، ج2، ص. 124.

[156] – مارمول، **افريقيا**، ج1، ص. 108.

الخيام، «**ويتحينون الفرص لابتزاز أهالي الإقليم اذا ما تبين لهم أن السلطات الحاكمة غير قادرة على منعهم من ذلك**»[157]. كما ذكر أن السلطات المركزية الحاكمة آنذاك متمثلة أساسا في الدولة السعدية الناشئة؛ وقبلهم المرينيين كانت تبعث بحامية إلى الإقليم لحماية المواطنين من المنبهيين، ولضمان أمن الطرق والقوافل[158]. ومن هذا نستنتج أن القرن 10هـ/16م تميز بسيطرة وسطوة قبائل المنابهة المعقليين على منطقة الرتب، وأن الرحل العرب فرضوا سيطرتهم على واحة زيز الأوسط[159].

ترجع بعض الدراسات والأبحاث هذا الوجود المعقلي العربي المكثف بمنطقة الرتب إلى القرن الثالث أو الرابع عشر الميلادي[160]، تاريخ انهيار حاضرة وعاصمة الإقليم والمجال والتجارة الصحراوية مدينة سجلماسة، وتفرق سكانها إلى مجموعات بنت لها قصورا بالمجال المجاور للمدينة التاريخية أو على انقاضها، بينما توجهت مجموعات أخرى إلى أعالي زيز، وبالضبط نحو منطقة زيز الأوسط، وأقامت لها قصورا بالمنطقة، كما يشير إلى ذلك ابن أبي محلي، الذي ربط هدم مدينة سجلماسة بعاملين أساسيين، كان أحدهما تغوير مائها المعروف بعين أَجْلَفْ على يد سكان القرى المحدثة بالرتب[161]. من كل ذلك نذهب إلى أن الاستقرار العربي المعقلي بالمنطقة يرجع لأكثر من خمسة قرون.

لكن كيف نستدل على تجليات استقرار هذه القبائل العربية بالمجال الذي نحن بصدد دراسته؟ تستوقفنا هنا التركيبة السكانية لبعض القصور، وتحدثنا الطبونيمية المحلية عن كثير من هذه الإشارات والأدلة التي لا حصر لها، وسنقتصر هنا على إيراد بعض الأمثلة عن السيطرة

---

[157]- مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 154.

[158]- نفسه، ج3، ص. 155.

[159]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج 1، ص ص. 2، 8.

[160]- Mezzine. **Le Tafilalet**. P. 218.

[161]- ابن أبي محلي، **الإصليت الخريت**، ص. 220.

العربية المعقلية على أجزاء من مجال الرتب، ونبدأ بالجزء الأعلى منه وبالضبط قصر الجرامنة الذي يسكنه اليوم خليط من الحراطين والشرفاء، إلى جانب أحد فروع قبيلة آيت خباش العطاوية، حيث تستوقفنا تسمية هذا القصر"الجرامنة". فرغم تعدد الروايات المحلية حول خلفيات هذه التسمية؛ إلا أن أقربها للدقة هي تلك التي ترى أن لذلك علاقة بالقبائل العربية المعقلية، فتسمية الجرامنة تحيلنا إلى أحد فروع ذوي منصور المعقلية التي غادرت المنطقة إسوة بقبائل بلاغمة والبطاطحة وأولاد عميرة بأسفل الواحة، ولم يبق منها إلا الأسماء[162].

ولولا التغييرات الإسمية التي طالت بعض القصور على إثر وصول قبائل آيت عطا لأمكننا إيراد أكثر من مثال على ذلك، فمثلا قصر تاخيامت الواقع في الرتب الأوسط، وأحد أبرز قصور المجال؛ كان يسمى قبل أن تستقر به قبائل آيت عطا بقصر بني احسن، هؤلاء هاجروا فيما بعد نحو ملوية العليا؛ ونواحي سيدي يحي الغرب، حيث مازالوا مقيمين هناك، ويعتبرون من القبائل المهمة المنتمية لذوي منصور[163]. يضاف لذلك ما يتداوله العطاويون سكان هذا القصر اليوم، من روايات متوارثة تتفق جميعها على نسبة بعض أطلال قصور مجاورة لقصر تاخيامت مثل أثار قصر معزوز وكذا قصر بني عليان إلى قبيلة دخيسة العربية.

يتبين من ما سبق ذكره أهمية المكون العربي في التركيبة السكانية للرتب، وأنه كان وإلى حدود بداية القرن 13هـ/ 19م صاحب السيادة والريادة بالمنطقة، فضلا عن كون مختلف القصور التي تنتشر على امتداد المجال من الشمال إلى الجنوب هي من إنشائه، أو كانت أماكن خاصة باستقراره واستيطانه، قبل التغيرات التي عرفتها بعد التاريخ المذكور.

---

[162]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

[163]- مصطفى بوشعراء، **علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني احسن 1860م ـ 1912م**، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، ط1، 1996م، ص. 16.

6 . ظروف استقرار الأشراف ومكانتهم بمنطقة الرتب.

استوطن الأشراف العلويون كما هو معلوم منطقة الرتب منذ زمن بعيد، بناء على ما ورد في عدد من المصادر والدراسات التي سنعتمد عليها في تحليل هذه القضية المرتبطة باستقرار الأشراف في هذا المجال المذكور، فهي تُرجِع أولا؛ دخول الشرفاء العلويين مجال سجلماسة أو منطقة تافيلالت إلى أواخر القرن 7هـ/13م، بعد أن اسْتُقْدِمَ جدهم الحسن الداخل (القادم) إلى المنطقة واستقر بين ظهراني أهلها، وحظي وذووه بمنزلة رفيعة وتقدير يصل عند البعض حد التقديس، بسبب انتمائهم للبيت النبوي الشريف، بل ارتبط أيضا بما يعتقد ويؤمن به بعض الناس من امتلاك عدد من هؤلاء للبركة والدعاء المستجاب، بفضل ورعهم وتقواهم وعلمهم الواسع، الذي أَهَّلَ كثيرا منهم لأن يكونوا هم الحكم والمرجع في حل عدد من النزاعات والخلافات البينية، ومستودع للأمانات والأسرار.

ترجم هذا التقدير لاحقا بتحول بعض أفراد هذه الأسر الشريفة من القيام بأدوار اجتماعية ودينية/روحية، إلى اقتحام غمار الزعامة بتافيلالت أولا، وبعموم المغرب لاحقا، مستندين في ذلك على نسبهم الشريف، وعجز مختلف المكونات بالبلاد آنذاك على الاتفاق فيما بينها لإفراز قيادة سياسية موحدة.

وفي خضم هذه الأوضاع والتطورات المتتالية على امتداد أزيد من قرنين من الزمن، عرفت منطقة الرتب انتقال عدد من الأسر الشريفة أحفاد الحسن الداخل(القادم) من مستقرهم الأول بالمغرب أي سجلماسة، ليتوزعوا في قصورها العديدة على مراحل، مما كان له تأثير واضح على الرتب، لاسيما فيما يتعلق بتركيبته الاجتماعية وحياته الاقتصادية، وما عرفه لاحقا من أحداث وتطورات، مع الأخذ بعين الاعتبار أن انتقالهم هذا؛ كان مخالفا لانتقال قبائل المعقل قبلهم، أو قبائل آيت عطا بعدهم، فهذه القبائل قدمت إلى المنطقة بشكل جماعي، وفي وقت واحد أو متقارب، ليحلوا محل من تركوا هذه المناطق، أو أجبروا على مغادرة قصورهم ومواطنهم وأراضيهم، أما انتقال الأشراف إلى الرتب فتم غالبا بشكل فردي، أو في شكل عدد محدود من الأسر، قبل أن يتكاثروا ويصبح حضورهم ذو أهمية بارزة وجلية، بالقدر الذي مكنهم من تصدر المشهد والرياسة في عدد من القصور الرتبية، بل وبناء

قصور خاصة بهم؛ كانت تسكن وتجاور السكان السابقين، ولم تحل في مواطنهم كما حدث مع مجيء العرب المعقليين للمجال أو العطاويين لاحقا.

يضعنا كل ما ذكرناه أمام تساؤلات عدة تفرض نفسها علينا، فهل يمكن القول بتزامن استقرار الأشراف بالرتب مع استقرار القبائل المعقلية به؟ وإذا كان الأمر كذلك فما العلاقة بينهما؟ ثم إذا كان هذا الاستقرار لاحق لاستقرار قبائل المعقل بالرتب، فهل يمكننا تحديد تاريخه وزمانه؟ وهل هذا الاستقرار ظل ثابتا في مواطنه الأولى؟ أم أنه ظل يتمدد ويتوسع وينتقل داخل هذا المجال؟ ومن خلال إلقاء نظرة على خريطة التوزيع الجغرافي للأشراف اليوم بالرتب، هل يمكن القول بأنها تتطابق مع ما ورد في بعض المصادر التاريخية حول استيطانهم به؟ أم أن الأمور اختلفت خصوصا مع وصول القبائل العطاوية وبعدهم المستعمر إلى المنطقة؟

يستدعي منا تناول مختلف هذه القضايا؛ أولا البحث في تاريخ وصول الأشراف إلى منطقة الرتب ولو على سبيل التقدير، في ظل غياب معطيات دقيقة يمكن أن تيسر لنا هذا الأمر، كما يقتضي منا التأكيد على كون أشراف الرتب ليسوا في الواقع موجة جديدة أو وافدة بشكل مباشر من المشرق أو غيره نحو هذه المنطقة، وإنما في الحقيقة وبإجماع معظم المصادر، هم الأشراف الذين كانوا يستقرون بسجلماسة، وانتقل بعضهم لأسباب عدة خلال مراحل ومحطات تاريخية مختلفة نحو مدغرة والرتب وغيرهما، ليستقروا ويتكاثروا، بل ولينطلق بعضهم من قصر لآخر داخل هذا المجال أو خارجه.

من خلال أهم مصدرين رئيسيين تحدثا عن منطقة الرتب خلال القرن10هـ/ 16م وهما كتابي وصف إفريقيا للحسن الوزان وإفريقيا لمارمول كما سبق وأن ذكرنا، لم نجد فيما كتباه ما يشير إلى وجود الأشراف بهذا المجال، بل إنهما حصر المكونات البشرية له في الأعراب والأمازيغ بشكل رئيسي، لكن ذلك لا يعني الجزم بعدم استقرارهم، بقدر ما يؤشر على غياب أي تأثير واضح لهم بالرتب خلال تلك المرحلة التاريخية. أما قبلها فلن نجد إلا بعض الاشارات التي تشير إلى انتقال أسرة آل عمر المدغري من تافيلالت إلى مدغرة خلال القرن 10هـ/16م[164]، لكنها ربطت تسميته بمنطقة

[164]- القادري، **التقاط الدرر**، ص. 99.

مدغرة المجاورة وليس بالرتب، كما نجد كذلك صاحب كتاب فتح القدوس، يذكر أن أول من هاجر من تافيلالت هو مولاي عبد الله بن علي بن طاهر، واستقر بقرية من وادي مدغرة يقال لها أولاد الحاج، أي زمن أحمد المنصور السعدي[165].

توضح هذه الإشارات مدى محدودية الاستقرار الفعلي للشرفاء بالرتب، وأنه اقتصر في البداية على منطقة مدغرة شمال المجال المذكور، والحديث عن هذا الاستقرار لا يمكن إثباته إلا في بدايات القرن 11هـ/ 17م، مما قد يوحي بارتباط ذلك الاستقرار بالظرفية السياسية والصراع الذي عاشه المغرب ومنطقة تافيلالت على وجه الخصوص بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة1012هـ/ 1603م، وما أعقب ذلك من صراع على النفوذ. وبروز زعامات وقيادات جديدة تطلعت إلى مقاليد الحكم؛ كان أهمها وأخطرها حركة ابن أبي محلي المنتمي لتافيلالت التي انتهت بقتله سنة1022هـ/ 1613م.

تسبب اضطراب الأوضاع والانقسام الذي عاشه المغرب في التفاف ساكنة تافيلالت حول بعض أفراد الشرفاء أحفاد الحسن بن القاسم، أول الشرفاء العلويين القادمين من بلاد الحجاز، مما ولد ردود فعل مؤيدة وأخرى رافضة، كان لها نتائج دفعت بعض هؤلاء الأشراف إلى البحث عن مناطق آمنة لاستقرارهم، بعيدا عن قصور سجلماسة مثل: الرتب ـ الخنك ـ ملوية العليا ـ حوض غريس ـ صفرو ـ فاس ـ مكناس ـ مراكش ودمنات[166]، يضاف إلى ذلك ما أصبحت تعرفه تافيلالت من تناحر وصراع داخلي، مما كان له أثر على بعض الشرفاء الذين كانوا من ضحاياه، ليس على يد خصومهم من باقي المكونات القبلية والعرقية بالمنطقة فحسب، بل أحيانا من بعض الشرفاء أنفسهم، وغالبا ما يرجع ذلك لأسباب سياسية ترتبط بالسيادة والزعامة، مما دفع بعضهم للبحث عن مواطن جديدة وآمنة، يحظون فيها بالمكانة والتقدير الذي عاشه أجدادهم وذووهم بتافيلالت.

---

[165]– مولاي علي بن المصطفى، **فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر**، م خ ح، رقم 6140، ورقة 4.

[166]– عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 358.

يمكننا أن نستنتج من كل هذا أولا أن استقرار الشرفاء بالرتب، لاحق لاستقرار قبائل بني معقل به وكذا لبعض القبائل الأمازيغية، خصوصا وأن كل المصادر التي تحدثت عن بداية استقرارهم بالرتب؛ كانت تحدد هذا الاستقرار في قصور كانت قائمة قبلهم، وليست من إنشائهم في البداية، وهذا ما يدفعنا لترجيح وتحديد زمن هذا الاستقرار مع بداية القرن 10هـ /16م.

قدم معظم الشرفاء الذين استوطنوا الرتب منذ البداية من ثلاثة قصور رئيسة بواد إفلي، هي حمو داود وتعرمت وبوحاميد[167]، وفي تأصيل نسب شرفاء الرتب يقول الكردودي «**السادات السجلماسيون هم مولانا الحسن القادم له ولد واحد وهو السيد أبو عبد الله محمد وخلف السيد أبو عبد الله محمدا مولانا الحسن سمي جده وخلف مولانا الحسن هذا ولدين اثنين أحدهما مولانا عبد الرحمان المكنى بأبي البركات وهو أكبرهما ومن بنيه أولاد سيدي أبي حميد بالتصغير القاطنين بالرتب على مرحلة من سجلماسة، أخبرنا غير واحد من الشرفاء بني عمهم أنهم اليوم، يعني زمانه، خمسة رجال أو نحوهم وأنهم غالبا لا يزيدون على ذلك العدد**»[168]. هؤلاء الأشرف حدد صاحب كتاب الأنوار الحسنية المختص في أنساب الشرفاء العلويين والمغرب وغيره ممن كتبوا في هذا الموضوع؛ انتسابهم إلى فرعين شرفيين رئيسيين هما الفرع المحمدي(نسبة إلى أبي عبد الله محمد فتحا بن علي الشريف) والفرع اليوسفي(نسبة إلى أبي الجمال يوسف بن علي الشريف)[169]، حيث توزعوا بمجال الرتب حسبما يوضحه الجدول التالي:

---

[167]– الزكي العلوي بن هاشم العلوي، **مطالع الزهراء الجامعة لأسماء بني الزهراء**، م خ ح، 148، ص. 228. / الفضيلي، الدرر، ج1، ص. 231.

[168]– محمد بن عبد القادر الكردودي، **الدر المنضد الفاخر، بما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**، م خ ح، رقم 11676، ص. 7.

[169]– أحمد بن عبد العزيز العلوي، **الأنوار الحسنية**، نشر وزارة الانباء مطبعة فضالة المحمدية طبعة 1966م، ص. 28./ الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 74.

جدول رقم 7: توزيع الشرفاء العلويين حسب فروعهم بمجال الرتب[170].

مواطن الشرفاء بالرتب	الفرع المحمدي	الفرع اليوسفي		
		آل حم داود	آل تعرمت	آل بوحامد
قصر أولاد شاكر	–	+	–	–
قصر ديار الشرفاء	–	+	–	–
قصر الجرامنة	–	–	+	–
قصر الزريكات[171]	–	–	–	–
قصر المعاركة[172]	–	–	–	–
قصر الكنز[173]	–	–	–	–
قصر أولاد عميرة[174]	–	–	–	–
قصر جديد	–	+	–	+

الإشارة (–) تعني أن هذا الفرع غير مستقر بهذا القصر أما الرمز (+) فيشير إلى استقراره.

[170]– عبدلاوي، **مدغرة واد زيز**، ج 1، ص. 379.

[171] _[172]_ [173]_[174] – أشار عبد اللوي أنه أدرج هذه القصور المشار إليها من بين المواطن الأخرى التي عرفت استقرار العنصر الحسني الشريف، رغم أن الأمر لا يتعلق بالأسر الشريفة السابقة الذكر التي انتقلت إلى مدغرة من واد إفلي، بل بأسر قدمت من تافيلالت، ذلك أن ما تناسل مثلا من أسرة مولاي عمر بن هاشم (أنظر تعريفه في الجزء الخاص بعلماء وأولياء الرتب) استقروا بقصور الجرامنة ـ الكنز ـ أولاد عميرة ، المعاركة والزريقات، وهم ينحدرون من جد شرفاء أهل زاوية أوفوس مولاي عمر بن هاشم بن محمد فتحا بن بوعلي بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف، بن الحسن طبقا لما جاء في مخطوط خاص بشرفاء زاوية أوفوس، والذي أشار إلى استقرار بعضهم بقصور الرتب المختلفة، ومنهم مولاي المامون ـ وهو أحد أحفاد مولاي عمر بن هاشم ـ الذي كان مستوطنا بحارة الزريقة، ومولاي علي ومولاي الطيب وأمهما لالة الحسنية بنت علي من شرفاء المعاركة" أي المعاركة. وأما مولاي عبد القادر بن عمر فأمه لالة فاطمة الزهراء بنت الحنفي أخت مولاي المصطفى بن الحنفي من شرفاء الجرامنة، ثم مولاي الحسن الذي حصل له جذب وسار يسيح في البلدان فمات بدون عقب وهو مدفون في بلد الكنز، كما نجد كذلك من المنتمين إلى مولاي عمر بن هاشم سيدي الأمين بن عبد الله بن حفيد بن عمر بن هاشم كان شريفا مباركا، وقد خلف ثلاثة أولاد هم سيدي لحبيب بن الأمين، ومولاي المختار ومولاي التقي. ولما خرج آيت عطا خلال القرن 12هـ/ 18م ـ انتقل الشرفاء من أولاد عميرة أولاد هذا الشريف إلى فاس. أنظر عبدالاوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 379. وكذا الأوفوسي محمد بن أحمد بن الحبيب، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، الصفحات 15، 20، 29.

وحتى يتيسر لنا معرفة التوزيع الجغرافي لهؤلاء الشرفاء كما رصدته بعض المصادر، سنقسم المجال إلى ثلاثة مناطق رئيسية هي الرتب الأعلى، والرتب الأوسط، والرتب الأسفل.

الرتب الأعلى: ويضم قصور أهمها زاوية أملكيس، الجرامنة، زوالة، زويوية، قصور أولاد شاكر، أولاد عيسى.

يرجع كثير من النسابة الذين كتبوا في موضوع الشرفاء العلويين، نسب معظم شرفاء الرتب الأعلى إلى الفرع اليوسفي، فشرفاء قصر أولاد شاكر مثلا «**هم من العلويين اليوسفيين، من بني مولاي عثمان بن مولانا طاهر، ابن مولانا الحسن بن أبي الجمال. مولانا يوسف، ابن مولانا علي الشريف**»[175]. وهو ما يذكره الزاكي العلوي والفضيلي حيث يشيران إلى هذا الانتماء، ويؤكدان أن قصر حمو داود بوادي إفلي كان أصل من سكن بأولاد شاكر بالرتب الأعلى من الشرفاء[176]، بينما شكل قصر تعرمت أصل كثير من شرفاء الرتب بقصر الجرامنة[177]، لكن الملاحظة الأساسية هي أن صاحب كتاب الأنوار الحسنية[178]، وهو من بين أقدم المصادر المغربية في تتبع أنساب الشرفاء العلويين بالمغرب، لم يذكر أسماء مناطق استقرار الشرفاء بهذا القسم رغم ذكره لبعض الشرفاء المستقرين بهما. مما يجعلنا نستنتج أن كثافة استقرار الشرفاء بهذا القسم قد تكون متأخرة عن استقرارهم في منطقة الرتب الأوسط والأسفل.

وعن أهم الفروع التي استوطنت قصور الرتب الأعلى، نشير إلى بعض من استقر منهم بقصر أولاد عيسى وبجانبه قصر أولاد شاكر وقصر الجديد وهم «**الفرع الثالث من فروع سيدي الحسن ابن القطب سيدي يوسف بن مولانا علي الشريف وهو السيد الطاهر(...) وقد خلف من الأولاد السيد عثمان والسيد علي والسيد محمد فتحا، ومنازلهم من سجلماسة**

---

[175]– محمد الطالب بن الحاج السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**، تحقيق جعفر بن الحاج السليمي، نشر انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، إيران، ط1، 2004م، ج2، ص ص. 45، 46.

[176]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 228./ الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 231.

[177]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 228./ الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 297.

[178]– أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 11.

قبل الانتقال إلى قصر حمو داود، ولم يزالوا معروفين به إلى الآن ثم منه انتشروا في أماكن فسكنوا(...)، ومن واد الرتب قصر أولاد شاكر والقصر الجديد وديار الشرفاء»[179]. وعدَّد لنا الفضيلي أيضا عددا من القصور والمجالات التي تركز فيها استقرار الشرفاء خاصة بالمجالين المتجاورين أي مدغرة والرتب، وفي هذا الصدد يذكر أن السيد الحسن وهو «**الفرع السادس من فروع القطب الكبير والعلم الشهير سيدي يوسف بن مولانا علي الشريف، خلف رحمه الله ورضي عنه أربعة أنجال، وهم السيد قاسم والسيد عبد العزيز والسيد طاهر، والسيد عمرو بواو الفرق، ومنازلهم قبل الخروج من واد افلي قصر بوحاميد**[180]**، وقصر تعرمت، وقصر حمو داود وقصر الحارة، وبعده انتقلوا للمدغرة وغيرها، فنزلوا من مضغرة بقصبة تازنقت، والقصر البراني وقصر آيت مسعود، وقصر أزمور، وقصر الغروس، وقصر العمارنة بالنون وتاركة والقصبة القديمة والقصبة الجديدة والحبوس وزاوية مديونة، وقصر سيدي أبو عبد الله والقصر الدخلاني والقصر الجديد وتاوريرت والقلعة والحوش وقصر مولاي البكري وقصر بني موسي، وقصر كريوركاز وقصر كاوز، وهذه القصور كلها بمدغرة، ومن واد الرتب الجرامنة وأولاد شاكر والقصر الجديد»**[181].

كما أشار الفضيلي أيضا إلى السيد عبد القادر والمدعو قدور، وهو يمثل الفرع الخامس عشر عرف بالكرم والفضل والجود والبذل، شجاع مقدام ذو مروءة وحياء، استوطن أولاد عيسى(بالرتب الأعلى) من سجلماسة، «**فطاب له هناك القرار، واطمأنت به الدار ولازال هناك في عيشة**

---

[179]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 297.

[180]- **بوحميد**، أو أبو حماد، كما ذكرته المصادر التاريخية القديمة قصر كان قائما بسجلماسة بوادي إفلي، يسكنه أولاد أبي القاسم الذين ينتسبون إلى الفرع السادس من فروع سيدي يوسف بن علي الشريف، وفي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي انتقلت أسرة هذا القصر إلى مدغرة تافيلالت، حيث شيدت قصرا عرف بنفس الاسم، وهو لا يزال قائما إلى اليوم، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص. 389/ أنظر أيضا عبد العزيز بوعصاب، «مادة: بوحميد»، "**معلمة المغرب**"، ج5، ص. 1656.

[181]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص ص. 268، 269.

راضية، وله عقب أبقاه الله»[182]، وإلى جانب هؤلاء نسجل استقرار أشراف أخرين في عالية الرتب وبالضبط بقصر الجرامنة ممثلين في «**أولاد السيد أحمد ابن القطب السيد ابن مولانا علي الشريف رضي الله عنهم** (...) **ومنازلهم من سجلماسة أخنوس الصغير، قصر عمر بالواد المالح وفي مواضيع الخنق والجرامنة**»[183].

أما اليوم فنلاحظ انحصار الاستقرار العلوي بأولاد شاكر التي كانت موطنا أساسيا لهم بالرتب الأعلى قبل وصول العطاويين، مع استمرار حضور أعداد مهمة منهم بقصر الجرامنة، بينما تتوزع أسر شريفة في مختلف قصور الرتب الأعلى لكن بأعداد قليلة.

الرتب الأوسط: ويضم قصورا أهمها: قصر الجديد، تاخيامت، الكارة، أولاد عميرة، زاوية أوفوس، والقصور المحادية لمركز أوفوس.

هذه القصور كانت المحضن الأهم والأقدم للشرفاء العلويين بمجال الرتب، إلى درجة أن قصورا بعينها كانت خالصة لهم في الماضي وحتى في الحاضر، وأهم الإشارات الواردة بهذا الشأن تذكر أن أبناء«**السيد عبد الرحمان أبي البركات (ابن السيد الحسن بن محمد بن الحسن القادم) كانوا قليلون بالنسبة لأبناء عمهم وحدد منازلهم بالبلاغمة وأولاد عميرة بالرتب، على مرحلة من سجلماسة وشهرتهم الآن(القرن 11هـ/17م) بأولاد سيدي أبي حميد**»[184].

نجد أيضا أن القصر الجديد بأوفوس كان موطن سكنى الأشراف أحفاد عبد الرحمان أبو البركات صنو علي الشريف مؤسس مجد العلويين بالمغرب، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن أولاد أبي البركات لم يكونوا مشاركين في الخلافات التي كانت بين الفريقين المحمديين واليوسفيين الشرفاء

---

[182]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 238.

[183]- نفسه، ص. 244.

[184]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 114.

أبناء مولاي علي الشريف، ولم ينحازوا لأي من الفريقين، بل كانوا مسالمين مع الجميع وذلك ما عرفوا به حتى اليوم[185].

يشير البعض إلى أن فريقا من هذه الأسرة (الشرفاء العلويون السجلماسيون) استوطنوا قبيلة بني زروال منذ القرن10هـ/ 16م[186]، وأن أول قادم عليها منهم هو الولي الصالح الشريف سيدي أحمد الشريف بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان المكنى أبي البركات[187]، وكل الشرفاء العلويين بالقبيلة متفرعون عنه وهو أصل شجرتهم. ويذهب أبوعبد الله الفاسي السليمي إلى انتساب عدد من شرفاء جبل بني زروال (شمال المغرب) إلى شرفاء الرتب الأوسط وأنهم من قصور أولاد عميرة والبلاغمة[188].

وبتتبع سلالات هؤلاء الشرفاء بالرتب الأوسط نجد أن الفرع الثالث منهم وهم أبناء السيد الطاهر، خاصة السيد عثمان وأبناؤه، قد استوطنوا قصورا بالرتب منها القصر الجديد[189]، ولازالت هذه الذرية موجودة بهذا القصر الذي يتكون من عدة قصبات وقصور رئيسة قائمة إلى اليوم، مثل (مولاي السعيد، الحويش، القصبة، مولاي الشريف)، كما أن ذرية أبناء السيد محرز بن علي بن يوسف بن مولانا علي الشريف، وهم السيد عبد الكريم والسيد العربي استوطنت قصبتان بالرتب هما قصبة أولاد عميرة وقصبة أولاد رَحُّ[190].

وبالاعتماد على بعض الوثائق المحلية، يشير أحد الباحثين إلى وجود أولياء من الشرفاء بالرتب، منهم الولي مولاي الشريف بالقصر الجديد ومولاي امحمد بن علي، وكلا الشخصين من أجداد شرفاء قصر جديد، واللذين كان لهما وزن اجتماعي بارز، إذ كان السكان يقصدونهما في

---

[185]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 39.

[186]- محمد الفاسي الفهري، **قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، منشورات جمعية علوم الانسان، الرباط، 1962م، ص. 77.

[187]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج2، ص. 59.

[188]- نفسه، ج2، ص. 58.

[189]- الفضيلي، **الدرر البهية** ، ج1، ص. 297.

[190]- نفسه، ج1، ص ص. 169، 170.

حياتهما من أجل الفصل بينهم في المنازعات[191]، وبعد وفاتهما أصبح ضريحيهما محجا للزيارة ولأداء الأيمان في بعض القضايا المتنازع بشأنها عند غياب الدليل أو الشهود، حسب ما ورد في كثير من أعراف قبائل آيت عطا الرتب [192].

إضافة إلى ذلك شكلت منطقة الرتب الأوسط مكانا لاستقرار بعض الشرفاء من الفرع اليوسفي، أبناء أبي عبد الله محمد بن أبي الجمال يوسف بن مولاي علي الشريف، وبعضهم من قصر صوصو بتافيلالت كانوا قد استوطنوا بالبلاغمة والدويرة وأولاد عميرة بداية قبل أن ينتقل بعضهم إلى زاوية أوفوس[193]. المنعزلة على بعد 7 كلم من مركز أوفوس الحالي خوفا من العطاويين، إذ ما زال عدد منهم إلى اليوم يحمل اسم الصوصي نسبة إلى هذا القصر، وهذه المكونات كان قد أشار إلى استقرارها أحد الشرفاء من أبناء الرتب هو التهامي الشاكري[194] في إحدى أرجوزاته قائلا:

فَصْلُ مُحَمَّد مَبْدَأُ الأَرْبَعَةِ أَبْنَاؤُهُ لَهُمْ مَجَالٌ وَاسِعَـــةْ.

مَنْزِلُهُمْ بَلَغْمَةُ الدَّوِيـــــرَةْ بِالرَّتْبِ حَلُّوا وَبَنِي عُمَيْرَةَ [195].

الرتب الأسفل: ويضم قصورا أهمها: الزريكات، المعاركة، الزاوية القديمة والجديدة، البطاطحة، البلاغمة، والدويرة، الربيت.

بحكم أن منطقة الرتب الأسفل كانت أقرب مناطق المجال المدروس إلى موطن الأشراف العلويين بأرض تافيلالت الصغرى، فقد كان من المنطقي أن تكون بدورها في مقدمة القصور الرتبية

---

[191]- Mezzine. **Le Tafilalet**, p. 189.

[192]- أنظر الأعراف الواردة في كتاب احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، من ص. 41 إلى ص. 94.

[193]- الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص ص. 195، 196.

[194]- عاش خلال الفترة ما بين 1731م و1795م، سنعود للتعريف به في الفصل الخاص بالعلماء والأولياء بالرتب.

[195]- التهامي العلوي الشاكري، **أرجوزة في الفروع العلوية**، خ ح ح، ضمن مجموع رقم 4777، ورقة 14.

التي انتقلت إليها بعض الأسر الشريفة منذ وقت مبكر يرجع إلى القرن 11هـ/ 17م[196]. وكان قصر البلاغمة مستقرا لأسرة أولاد سيدي أبي حميد أبناء السيد عبد الرحمان أبي البركات[197]. هذا القصر سيأوي شرفاء أيضا من أسرة السيد محمد بن سيدي عبد الله والتي استقرت بموضع يسمى اربيت بواد الرتب قرب قصبة البلاغمة[198]، كما استقر بالمنطقة أيضا أحد فروع أولاد مولاي محمد بن مولاي علي الشريف بقصر البلاغمة، وإليهم ينتسب مولاي عمر بن مولاي أحمد المجدوب الغائب المستجاب الدعاء، ويضيف في وصف كرامته بالقول «**فكم من قوم ربحوا بدعوته وكم من قوم هلكوا بسطوته، تهابه اللصوص وتدعن إليه الخصوص**»[199].

شكلت سافلة الرتب أيضا وبالضبط قصر المعاركة دارا لعدد من الشرفاء خاصة أبناء وبنات وأبناء عمومة السلاطين العلويين منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل، حيث كان الدفتر الإسماعيلي الذي ضم أسماء عدد من أبنائه وأحفاده ما بين ذكر وأنثى[200]، يضم أيضا بعضا ممن قطنوا بالرتب وخاصة بقصر المعاركة، الذي أقامه السلطان مولاي إسماعيل لولده مولاي الشريف، ومن الأمراء الذين استوطنوا هذا القصر نذكر مولاي الشريف بن اسماعيل نفسه الذي حكم منه المجال ككل خلال فترة من الزمان، ثم ابنة السلطان سيدي محمد بن عبد الله "لالة حبيبة"[201].

ومن الذين استقروا بقصر "المعاركة" بواد الرتب ذرية الفقيه العالم، السيد الشريف وشقيقه الفقيه العلامة السيد محمد فتحا[202]. كما استوطنه أيضا «**الفرع الحادي عشر من فروع مولانا سليمان وهو السيد عبد الله فكان من أعيان الأفراد الأمجاد وخلف رحمه الله جملة من أولادهم (...) والسيد عبد السلام ولازال على قيد الحياة إلى الآن (ق 19م) بالمعاركة من**

---

[196]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 358.

[197]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص، 28./ الفضيلي **الدرر البهية**، ج 1، ص. 114.

[198]- نفسه، ص. 28، 58.

[199]- محمد الزكي بن هاشم، **الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء**، م خ ح، رقم 10904، ورقة 26.

[200]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 192.

[201]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 260.

[202]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص ص. 192، 193.

سجلماسة»[203]، يضاف إليهم من ذكرهم أبو عبد الله الفاسي السليمي من الشرفاء أبناء مولاي محرز بن الشريف، والذين استوطنوا قصر الرتب الأسفل بالزريقات، وأولاد مولاي هاشم بن الشريف بالدويرة[204].

ظل الاستقرار البشري للأشراف بالرتب قائما ومميزا، خصوصا أنهم حرصوا على عدم الاختلاط بغيرهم، وذلك بتفادي الارتباط العائلي بغير الشرفاء، على غرار سلاطين المغرب العلويين أنفسهم الذين حرصوا على حفظ أنسابهم[205]، بحيث لم يكونوا يسمحوا لأحد بالزواج ببناتهم« **إلا الشرفاء وخصوصا بنو عمومتهم وهذه عادتهم. لا تختلف أبدا مستمرة سرمدا»**[206]، وهو ما عبر عنه أحد النسابة من شرفاء المنطقة في معرض حديثه عن مميزاتهم وخصائصهم إذ وصفهم «**بالغيرة على نسبهم على كثرة عددهم وتفرقهم في البلاد، بحيث لا يمكن لدخيل أن يتسور عليهم. ولا أن يروم الوصول إليهم** (...) **وهذا ديدنهم حيثما حلوا** (...) **لا ينكحون بناتهم غير جنسهم»**[207] لكن الأمر لم يمنع من وجود زيجات بين الأشراف وغيرهم، لكنها اقتصرت على زواج الذكور منهم بالعربيات، وفي أحيان قليلة بالأمازيغيات من آيت عطا، أما تزويج بناتهم من غير الأشراف فكان ذلك من باب يقترب من المحرم عند أغلبهم، ويصيب كل عائلة شريفة اقدمت عليه بالعار والتقريع الدائم.

إلى جانب الكتابات التاريخية التي اهتمت بالتأصيل للنسب الشريف، وتقديم صورة عن مناطق استقرارهم وتوزيعهم الجغرافي بالمغرب، نجد كذلك شعراء فن الملحون الذي عرفت به منطقة تافيلالت ومن ضمنها مجال الرتب، نظموا هم أيضا قصائد تعتبر بدورها وثائق تاريخية تؤرخ للوجود الشريف بقصور وقرى الرتب، ومنها قصيدة "الشجرة" التي نظمها الحاج إدريس بن علي الحنش

---

[203]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 222.

[204]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج 2، ص. 27.

[205]- الزياني، **البستان الظريف**، ص. 397.

[206]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 75.

[207]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 2، ص. 87.

(ولد بفاس 1840م . وتوفي سنة 1901م بالمدينة نفسها) في مدح الشرفاء العلويين سواء المقيمين بسجلماسة أو الرتب ومما جاء فيها:

مَوْلاَيْ الْحَسَنْ الشْرِيفْ الْقَادَمْ بْرْضَاهْ

الأَرْضْ تَافِيلاَلْتْ وَحْضَاهَا

****

مُحَمَّدْ وَلْدُ اخْلِيفْتُو سَارْ افْسِيرْ ابَّاهْ

وَالْحَسَنْ بَعْضْ الاَسْرَارْ دَّاهَا

وُعَبْدْ الرَّحْمَنْ صَاحْبْ الْبَرَكَاتْ اتْرَاهْ

بَالْجُودْ وُالْعَفَافْ والإحْسَانْ اتْرَاهَا

مَازَالَتْ دُرِّيْتُو اكْرِيمَة فِي ظَلْ الْـوَاهْ

سَكْنُوا فِي اوْلاَدْ اعْمِيرْ وَوْطَاهَا

وَالْبَعْضْ افْلَبْلاَغْمَة امْحَقَّقْ كِيفْ ارْوِينَاهْ

وَخْرِينْ فِي ابْنِي زَرْوَالْ وُفَحْمَاهَا

وَاسْلاَلْتْ سِيدِي بُوحْمِيدْ الْغَوْثْ الأوَّاهْ[208].

نخلص في نهاية تحليل موضوع علاقة الشرفاء العلويين بالرتب، إلى احتضان قصور هذا الأخير كلها تقريبا لأسر شريفة متعددة، مع فارق أساسي يتجلى في هيمنة الشرفاء العددية على بعض القصور؛ مثل زاوية أوفوس، ووجود غالبية لهم في البعض الآخر منها مثل عدد من قصور وقصبات القصر الجديد، بينما تتواجد عناصر أخرى منهم بشكل متفرق في قصور أخرى مثل أولاد عيسى والجرامنة والمعاركة والزريقات، في حين تكاد تغيب في قصور مثل آيت اغف بأولاد شاكر وآيت اسفول وغيرهما.

[208]– محمد أمين العلوي، «الملحون والتاريخ»، **مجلة فكر ونقد**، ع 60/ 59 ماي، يونيو 2004م، ص. 54.

7 . الحضور والاستقرار الأمازيغي الثاني بمنطقة الرتب: مكوناته وتوزيع فروعه بالمجال.

التأريخ للمرحلة الثانية من الحضور الأمازيغي بالرتب وبزيز الأوسط عموما تحفه أيضا كثير من الصعوبات، نتيجة لندرة المصادر المرتبطة بهذا المجال خلال هذه المرحلة، والتي يمكنها أن تقدم لنا معلومات وافية ودقيقة عن الحضور الأمازيغي الثاني بمنطقة الرتب. إلى جانب ما طبع كثير من المعلومات المتوصل إليها أو المتداولة شفهيا من اختلاف وتعارض بل وتناقض أحيانا، وطغيان النزعة العرقية والتمايز الاجتماعي في كثير مما يروى وما يقال، وفي مقدمة هذه المعلومات تلك المتعلقة بوضع تحديد زمني مضبوط لهذا الحضور، الذي تؤكد بعض الإشارات المتعلقة بالموضوع استمراريته وعدم انقطاعه، وتجعل قضية الحضور والاستقرار المشار إليها تتعلق أساسا بموضوع السيادة والسطوة بالمجال المدروس.

وقبل أن نتعرف على القبائل الأمازيغية داخل مجال الرتب وعلى توزيعها، لابد في البداية من معرفة أصولها ومكوناتها الأساسية، والبحث عن معنى كلمة "آيت عطا" التي عرفت بها هذه القبائل، فما دلالات هذه التسمية؟ وما أصولها؟ وهل يمكننا تحديد تاريخ مضبوط لظهورها؟

تكاد تجمع مختلف الدراسات التي تعرضت لقضية هذه التسمية على نفس التفسير، وترجعها في الغالب لشخصية تسمى داد عطا حيث اعتبرت «**شخصية رمزية في المتخيل العطاوي (آيت عطا) أكثر منها شخصية عادية، ولهذا أحيط بالخوارق والكرامات والأساطير لدرجة يبدو معها "داد عطا" وكأنه شخصية وهمية، الأمر الذي جعله عند مختلف القبائل العطاوية بمثابة الجد الأعلى،** (...)**ومما يزيد هذه الشخصية قدسية وتقديرا عند هذه القبائل الدفع بانتماء شخصية دادا عطا إلى الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حساين المصلوحي. بل واعتباره من تلامذته، وهذا ما جعل قبائل آيت عطا تدين بالولاء لزاوية تامصلوحت إلى**

يومنا هذا»[209]. هذه الاتحادية الناشئة ترجع إلى الأصل الصنهاجي، كما أن مكوناتها الرئيسية تنتمي لأهل الطبقة الثانية والثالثة من القبيلة الصنهاجية[210].

وتجدر الإشارة إلى أن الأصول الأولى لهذه القبيلة شكلت نقطة خلاف وجدال بين كثير من المؤرخين والباحثين، بين القول بأصلها العربي كما هو الحال عند أحمد بن يعقوب الولالي الذي اعتبر آيت عطا، من أخص العرب ـ وهم من قريش، ويستند في ذلك إلى ما تقرر في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة[211]، أو القول بأصلها الأمازيغي.

كما تشتمل الاتحادية العطاوية إلى جانب العناصر البيضاء الأصيلة، على عناصر من الجنس الأسود[212]، ترجع أصولها إلى العبيد الذين استقدموا إلى المغرب في عهد المرابطين، أو إلى الحراطين المنتشرين بواحات تافيلالت ودرعة منذ القدم. وقد بارك الشيخ عبد الله بن احساين مؤسس زاوية تامصلوحت، هذا الحلف العطاوي منذ حوالي 957هـ/ 1550م[213]. مما يفسر المكانة التي حظيت بها ذرية هذا الأخير عند العطاويين بما فيهم عطاويوا الرتب[214].

يرجع تأسيس هذه الاتحادية العطاوية زمنيا تبعا لما سبق ذكره إلى القرن 16م، وما غياب ذكرها تماما عند الحسن الوزان في كتابه إفريقيا؛ إلا دليل على أنها لم تكن قد تأسست زمان رحلته عبر المغرب؛ ووصوله إلى مجالات تافيلالت والرتب سنة 1511م بينما نجد مارمول يشير إلى قبائل

---

[209]– عبد القادر بوراس، «مادة: عطا»، "**معلمة المغرب**"، ج 12، ص. 3899.

- Robert Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la vie politique des berbères sédentaires (groupe chleul), Librairie Félix Alcan, Paris, 1930, p. 149.

[210]– استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء**، ص. 25./ ابن منصور، **قبائل المغرب**، ج1، من ص. 328 إلى ص. 335.

[211]– الولالي، **مباحث الأنوار**، ص. 228.

[212]– أحمد عمالك، «مادة: عطا»، **معلمة المغرب**، ج18، ص ص. 6090، 6091.

[213]– التقي العلوي، «أصول المغاربة، القسم البربري، دور الاتحاديات الأطلسية»، "**مجلة البحث العلمي**"، منشورات جامعة محمد الخامس، ع 23، ط1، الرباط 1974م، ص. 115.

[214]– سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 90.

آيت عطا في كتابه الذي ألفه حوالي سنة 1571م باسم "Yatata"محددا وجودهم في مجال شاسع يمتد حتى مشارف تافيلالت[215].

وهنا لابد أيضا أن نقف على كتابة الكلمة نظرا للاختلاف الذي يطبعها، وللتباين الواضح بين الكتاب والمؤرخين في طريقة كتابتها، رغم أن نطقها متشابه بشكل كبير فنجدها تُكْتَبُ كما في الجدول التالي:

رقم 8: طريقة كتابة تسمية "آيت عطا" في بعض المصادر والوثائق والكتابات.

شكل التسمية	نماذج لورود التسمية
آيت عَطَّا	هي الأكثر اعتمادا في مختلف الدراسات والأبحاث، والواردة أيضا في عدد من المصادر والوثائق. وهي المعتمدة من طرفنا فيما نكتبه.
آيت عَطَّ	تكتب " آيْتْ عَطَّ" بدون ألف لا طويلة ولا مقصورة، كما جاء رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابن عمه القاضي بسجلماسة مولاي عبد الهادي[216]. وكذا الرسالة التي رفعها آيت عطا وجماعة بني محمد بتافيلالت إلى السلطان مولاي الحسن سنة 1311هـ/ 1893م، حيث ترد تسمية آيت عطا بهذا الشكل (آيت عط)[217].
آيت عطى	تكتب بألف مقصورة في أخر الاسم، أنظر مثال ذلك ببعض أعداد الجريدة الرسمية[218].
آيت عطة أو آيت عَطَّه	نجد مثال ذلك عند القادري في النص التالي «وفي تاسع رمضان ورد إلى فاس خبر خروج إخوان مولانا الخليفة إسماعيل (...) وهم مولاي الحران ومولاي هاشم ومولاي أحمد وبظهرهم بعض بني عْمِير، وساروا إلى **آيت عْطَّه** من البربر(...)، فوجه إليهم مولانا إسماعيل المحلة، فخرجت المحلة من فاس في سادس شوال، فالتقى الجمعان بموضع يعرف بغيطه من بلاد **آيت عطة**»[219]، كما نجد تسمية "عطه" عند المنوني في رسالة للمدني الكلاوي إلى السلطان مولاي عبد العزيز[220].

[215]- مارمول، **إفريقيا**، ج 3، ص. 157.

[216]- مديرية الوثائق الملكية، **رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى قاضيه بسجلماسة** بتاريخ 16 ذي الحجة، 1248هـ/ 1848م، سجل 19612.

[217]- **رسالة إلى السلطان مولاي الحسن سنة 1311هـ/ 1893م**، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم 20378.

[218]- **الجريدة الرسمية**، ع 2565، بتاريخ 22دجنبر 1961م، ص. 3298.

[219]- محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحاد عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب الرباط، ط1، 1977م، ج 2، ص. 252.

[220]- محمد المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، ط2، 1985م، ج 2، ص. 16.

بنو عطاء	هذه التسمية واردة مثلا عند أبي العباس الولالي (ت 1128هـ / 1717م) في معرض حديثه على أن أفراد هذه القبيلة «**آصلهم من بني عطاء، قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوية وفيهم أخوة قبيلتنا يسمون لدينا هم بني ولال أيضا، وبنو عطاء أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في شجرة أنساب القبائل الموجودة لدى الفقراء أهل الصومعة، بل أخبرني بعضهم أن بني عطا أصلهم من أخص العرب وهم من قريش**»[221]. "أشار ابن زيدان نقلا عن نشر المثاني أثناء تعريفه أبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي إلى أن قبيلة **بني عطاء** مشددا بوزن فعال أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في كتاب أنساب القبائل الموجود بأيدي الفقراء أهل الصومعة[222].
آيت عطية	وردت مثلا في الدر المنتخب وجاءت في سياق الحديث عن حملات مولاي إسماعيل على المتمردين عليه، «**وكان يفتح على العصاة والطغاة الأسود رؤوس الجبال ولا يبالي بحر ولا ببرد ولا كثرة الأموال، فانظر لقضية ءايت عطية الأتية وبلوغه فيها قمة جبل صاغرو**»[223].

ونظرا لحياة الترحال التي اشتهرت بها قبيلة آيت عطا فقد دفعتها تحركاتها وتنقلتها المتواصلة إلى الدخول في مرحلة المزاوجة بيت حياة الترحال والاستقرار، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان كما يرى ذلك القبطان نيكلوس Niclousse التمييز بين الرحل وسكان الواحات، مادام المستقرون خلال فترة الحراسة يعيشون حوالي ستة أشهر تحت النوالة (الخيمة)، وخلال فترة أخرى يضربون الخيام خارج المنازل وخاصة بضاحية الواحة لينعموا بفضاءات واسعة لقطعانهم، ومع ذلك فهم يعتبرون من السكان المستقرين[224].

في هذا الشأن تعددت الكتابة التي حاولت توضيح تقسيم قبيلة آيت عطا وتفرعاتها من المكون الرئيسي إلى أصغر قسم فيها:

---

[221]- الولالي، **مباحث الأنوار**، ص ص. 228، 229.

[222]- عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م، ج1، ص. 395.

[223]- أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج السلمي، **الدر المنتخب المستحسن من مآثر مولانا الحسن**، م خ ح، رقم 12184، ج6، ورقة 12.

[224]- Capitaine Niclousse. **Les Ait Atta du Sahara**. Centre des Hautes Etudes Musulmanes (C.H.E.M), N° 2681, 1956, p. 11.

خطاطة رقم 1: **تركيبة قبائل آيت عطا وتوزيع أهم مكوناتها**



تركيب شخصي استنادا لما ورد عند سيبلمان وغيره

هذه الاتحادية ونشأتها «**جاءت في ظرفية أزمة نهاية العصر الوسيط، لتعيش تجربة مختلفة لكنها تبدو من عدة أوجه وكأنها دورة عطاوية حلت محل الدورة المعقلية**»[225].

معلنة بتحركاتها عن انطلاق مرحلة جديدة وسمت تاريخ القبيلة والمنطقة الجنوبية الشرقية على وجه الخصوص، بعدد من السمات والمميزات والتطورات، وجعلت المنطقة تستأثر باهتمام السلطة العلوية المركزية على امتداد قرنين من الزمن تقريبا، لأنها جعلت المناطق التي كانت تعد محور تحركاتها مناطق "سائبة"، نظرا لما امتازت به مكونات هذه القبيلة من قوة ووحدة الصف، إلى جانب قدرتها على العيش في أشد الأماكن وعورة[226]. كما أنها شكلت أيضا محط أنظار واهتمام مختلف القوى الاستعمارية التي كانت تتربص بالبلاد، فخصتها بعدد من الدراسات والأبحاث المهمة، التي تشكل اليوم بالنسبة لموضوعنا مراجع أساسية لا غنى لنا عنها لفهم جوانب من تاريخ القبيلة العطاوية وتحركاتها، وفهم بنيانها الفكري والثقافي والديني. مع ضرورة الانتباه إلى ما قد يطبع معطياتها أحيانا من تغليط وتحريف بقصد أو بغير قصد.

في هذا الإطار قدم لنا بعض الجواسيس وضباط الاستعلامات والباحثين الأجانب معلومات تقديرية مهمة عن عدد أفراد قبيلة آيت عطا، رغم صعوبة ضبط أعدادها، كما يظهر من خلال ما أُجِيبَ به سيكونزاك Segonzac عند سؤاله عن عدد أفراد هذه القبيلة، بقوله:

---

[225]- عبد الأحد السبتي، **الزطاط وقاطع الطريق: أمن طرق المغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2009م، ص. 267.

[226]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 4، ص. 261.

بأن الله وحده قادر على إحصاء آيت عطا لأن بلادهم لا حدود لها[227]. لكن روس دان ذهب إلى أن «**آيت عطا: كان عدد سكانها يتجاوز 50 ألف نسمة في القرن التاسع عشر، وتشمل أراضيها مجمل حزام شبه الصحراء وأجزاء من الأطلس الكبير الجنوبي، من حمادة كير في الشرق إلى وادي درعة في الغرب. وتحتل كل من آيت خباش وآيت أمناصف، وهما المتفرعتان عن آيت عطا، المراعي المحيطة بحوض وادي زيز**»[228].

أما سبيلمان والذي احتك لأزيد من عشر سنوات بالمجال العطاوي، وتضلع في جمع كل ما أمكنه عن هذه القبائل وحياتها، وكذا تنظيمها وتحالفاتها، وغير ذلك من المعلومات الواردة في تقاريره المتعددة حول المنطقة، والتي كان يرسلها إلى المؤسسات الفرنسية المختلفة، أو كتبه القيمة التي ألفها بعد عودته من مهامه. ورغم ما ميز كتاباته من روح ونفس امبريالي واضح إلا أنها قدمت لنا احصاءات مهمة عن القبيلة العطاوية وأفرادها، حيث قدر فيها عددهم ب 7560 كانونا[229]، بمعدل خمسة أفراد للكانون الواحد، مما يعطينا تقديرا لمجموع أفرادها ب 38000 نسمة تقريبا، وبهذا قدم لنا تقديرا لعدد ومكونات كل خمس من الأخماس المكونة للقبيلة العطاوية كما توضح الخطاطة التالية[230]:

---

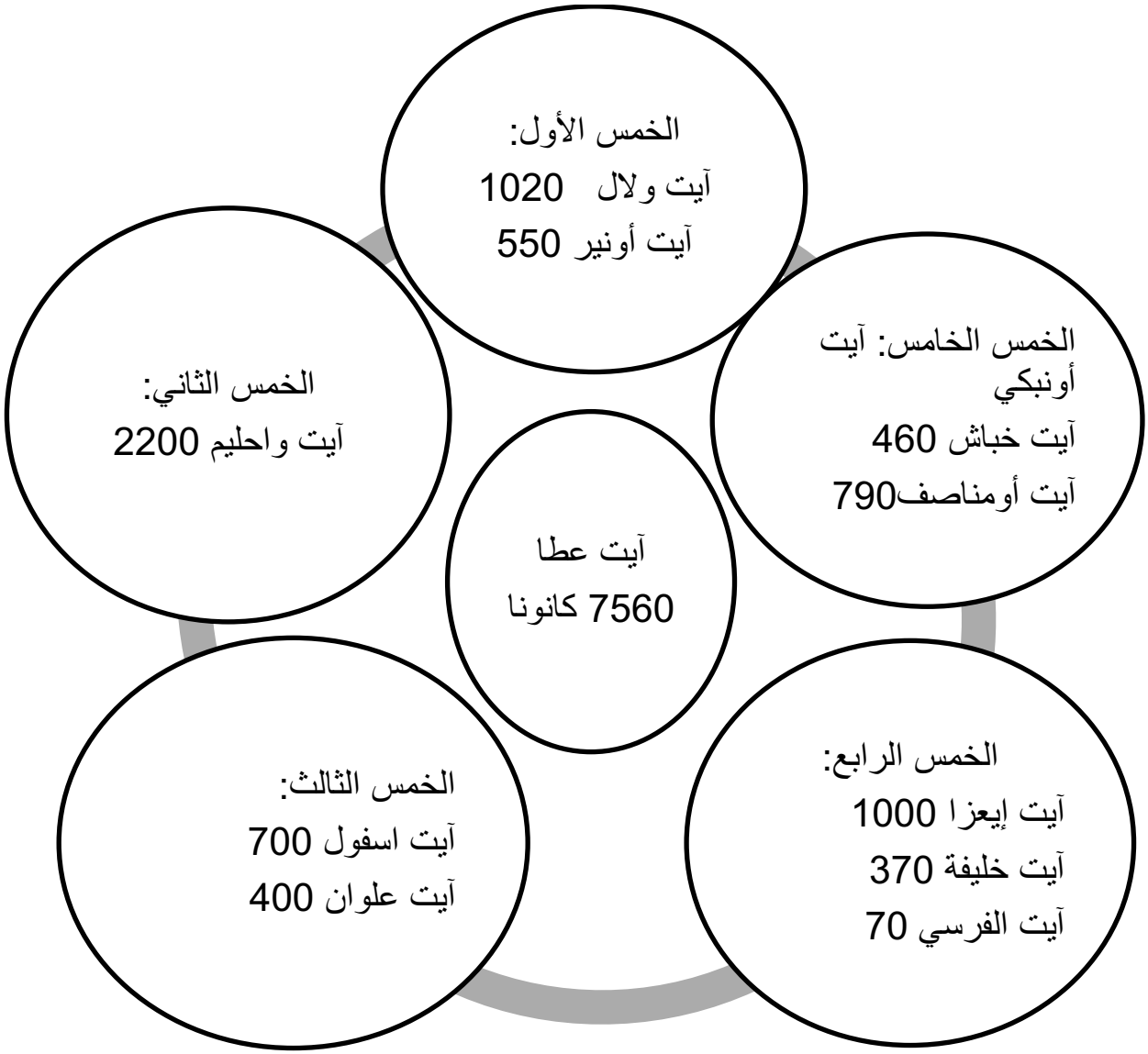
[227] -Marquis de Segonzac René, **Au coeur de l'Atlas**, **mission au Maroc**, **1904-1905**, **Mis de Segonzac**, Emile Larose, Libraire- Editeur, Paris, 1910, p. 88.

[228]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي**، ص. 38.

[229]- **الكانون**: يطلق في التداول الشعبي المغربي على موقد النار الذي تطبخ عليه النسوة وربات البيوت صنوف الأطعمة لأبنائهن وذويهن في البوادي والحواضر على السواء. وقد تطورت دلالته الوظيفية مع الوقت فأخذت منحى اجتماعيا أكثر خصوصية في التنظيم الداخلي العضوي للجماعات القبلية، فصار يفيد وحدة عائلية مؤلفة من عدة أشخاص مستقرين في محل واحد يتفاوت عددهم بين الارتفاع والانخفاض بحسب تباين البنى الديمغرافية للسكان من منطقة إلى أخرى "الفقيه الادريسي، «مادة، الكانون»، "**معلمة المغرب**"، ج20، ص. 6728.

[230]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 61.

خطاطة رقم 2: توزيع عدد كوانين قبيلة آيت عطا على أخماسها[231].



يتبين لنا من هذه المعطيات أهم مكونات الاتحادية العطاوية وعدد أفرادها، لكن ينبغي الإشارة كذلك إلى أن كل خمس من هذه الأخماس يشتمل على قبيلة واحدة أو أكثر ترتبط بالقرابة الأبوية، إذ تنحدر من جد واحد تسمى باسمه. وكل قبيلة تضم عدة بطون أو فصائل يجمعها قصر أو دوار واحد، ويتركب كل بطن من مجموعة من الأفخاذ "إغسان" العظام المرتبطة بالقرابة الدموية، ويتولى رئاستها كل شخص معروف بشجاعته ونزاهته وماله وجاهه. وينقسم كل فخذ إلى

[231]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 61.

عدة عائلات تتكون بدورها من مجموعة من الأفراد الذين ينتمون لأصل واحد أو دم واحد، فضلا عن الأتباع والخدم وكلهم يخضعون لرئيس الخيمة وهو أكبرهم سنا[232].

المهم من كل ما سبق أن القرن 10هـ/ 16م شهد ميلاد وانطلاق الاتحادية العطاوية من منطقة الأطلس الصغير، حيث لازالت إلى اليوم اغرم امزدار[233] بمنطقة اكنيون تعتبر المرجع الروحي لأبناء القبيلة، والتي ستؤثر نشاطاتها وتحركاتها على المغرب، وبالأخص على المناطق الجنوبية الشرقية وفي مقدمتها تافيلالت بعدما بدأت بوادر وصولها إليه تلوح خلال القرن11هـ/ 17م فماذا عن آيت عطا وتحركاتهم المرتبطة بمنطقة الرتب؟

يذهب البعض إلى أن المرحلة الثانية من حضور وهيمنة الأمازيغ على منطقة الرتب بدأت بوادرها تبرز بشكل جلي منذ القرن 12هـ/ 18م، بعد حوالي قرنين تقريبا من تأسيس الاتحادية العطاوية بجبل صاغرو، ويشيرون أيضا إلى استقرار قبيلة آيت اومناصف بفرعيها الأساسيين؛ آيت يحي أموسى وآيت لخلف ببعض قصور الرتب خلال هذه المرحلة[234]. وإن لم تنجح في الاستمرار والسيطرة عليه كليا بفعل التعاضد الذي بدأ ينشأ بين بعض القصور الرتبية؛ التي تركت التناحر الذي كان بينها سابقا لمواجهة الخطر العطاوي الداهم، يضاف إلى ذلك الدعم الذي كان يقدمه سلاطين الدولة العلوية لمناطق الرتب وغيرها بمجال تافيلالت للوقوف أمام العطاويين وصدهم، إلى جانب إقدام المخزن العلوي وعلى رأسه بعض سلاطينه على تنظيم حَرْكَات متوالية ضد قبائل آيت عطا، على غرار ما قام به السلطان سيدي محمد بن عبد الله لدفع تلك القبائل عن مدغرة والرتب وقصر السوق سنة 1198هـ/ 1784م ـ 1783م[235].

---

[232]– لحسن تاوشيخت، «السلطة والمجتمع بتافيلالت في عهد السلطان مولاي يوسف»، ضمن أعمال **دورة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الرابعة عشر 10 ـ 11 نونبر سنة 2006م، التحولات والاقتصادية الاجتماعية في عهد السلطان مولاي يوسف**، مركز البحوث والدراسات العلوية، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2007م، ص. 22.

[233]– **إغرم امزدار**، يعتبر المخزن الجماعي لقبائل آيت عطا بقلب جبل صاغرو وتسكنه في الفترة الحالية فخدات من آيت اسفول واي اعزى. احدى «**دراسات في تاريخ المغرب العميق**»، منشورات المعهد الملكي الأمازيغية الرباط ـ 2005م، ط1، 2012م، مطبعة BJ PRINT أكادير، ص. 77.

[234] – Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 67.

[235]– الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 64.

ويظهر من خلال بعض المصادر أن القبائل العطاوية كانت تهدف للدخول إلى القصور الرتبية منذ وقت مبكر من تاريخ الدولة العلوية، نستدل على ذلك برسالة كان قد بعثها العلامة اليوسي إلى السلطان مولاي إسماعيل سنة 1096هـ/ 1685م، ذكر له فيها في معرض دفاعه عن نفسه وقبيلته من تهمة قطع الطرق التي وجهت لقبيلته، أن قطع الطريق كان من الأعمال التي اختصت بها قبائل آيت عطا من برابرة الصحراء كما سماهم، وأشار إلى إقدامهم على القتل واستباحة القصور والأراضي، وذكر سلبهم للأغنام التي كان يملكها أهل الرتب[236]، وهو ما يتفق مع ما ذكره أحد المهتمين بتاريخ المنطقة وحياة سكانها، من أن هذه القبائل بدأت اكتساحها للرتب حسب المصادر في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، وأن نفوذها امتد من مرتفعات الأطلس الكبير وحوض درعة غربا، وواحة تافيلالت وتبلبالت بالعمق الجزائري شرقا، وصاغرو الذي هو أصل تحركاتهم، ومن توات جنوبا إلى بلاد آيت يوسي شمالا[237]. كما أنها كانت مصدر تعب وفزع ومشقة لسكان الواحات والجبال المجاورة، وعنصر تشغيب على الدولة العلوية[238].

لكن القرن13هـ/ 19م شهد بداية السيطرة الفعلية العطاوية على قصور واد الرتب، بشكل غَيَّر إلى درجة كبيرة التركيبة البشرية والاجتماعية، وغيرها من المعطيات الاقتصادية والثقافية والدينية بالمجال[239]. وبهذا يكون الرتب جزءا من المناطق التي وقعت تحت السيطرة العطاوية، ولا نستطيع تحديد تاريخ مضبوط لوصولهم إلى المنطقة[240]، ونحن اليوم عندما نحاول رسم الخريطة العرقية لمنطقة الرتب، والمتعلقة أساسا بالأمازيغ هناك؛ نجد أن لمعظمهم قاسما مشتركا هو انتماؤهم لاتحادية آيت عطا، لكنهم في الحقيقة ينتمون إلى فروع مختلفة داخل نفس الاتحادية.

وإذا كان الوزان كما سبق وأشرنا لم يذكر وجود قبيلة آيت عطا أصلا، واكتفى بالإشارة إلى أن اقليم سجلماسة تسكنه قبائل بربرية مختلفة إما زناتية أو صنهاجية أو هوارية[241]، فإننا نجد مارمول

---

[236]- القبلي، **رسائل اليوسي**، ج1، ص. 211.

[237]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 65.

[238]- البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة**، ص. 103.

[239]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 196.

[240]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 65.

[241]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص. 121.

يتحدث عن وجود الأمازيغ بالرتب، لكنه نسب هؤلاء إلى قبائل آيت غريس[242]، ويعضد هذا الرأي ما أشار إليه الطبيب لينارس عندما ذكر أن قصر الجرامنة بالرتب الأعلى مثلا، كان تحت سلطة قبائل تنتمي إلى غريس قبل أن تطردهم قبيلة آيت عطا[243].

ومن خلال بعض المصادر والمراجع المعتمدة، وكذا المعاينة الميدانية والاستماع إلى بعض شيوخ فروع قبائل آيت عطا بالرتب وغيرهم، يمكن القول إن التقسيم القبلي الذي عرفت به اتحادية آيت عطا انعكس بشكل واضح في مجال الرتب، ذلك أنهم حرصوا إلى حد كبير على تقاسم وتوزيع المناطق والقصور التي وصلوا إليها بالمجال بشكل يتماشى وانتماءاتهم.

كما سبق وأن حدد لنا الباحث روس دان عدد القصور التي سيطرت عليها آيت خباش وآيت امناصف العطاويتين (مع مجموعة صغيرة من آيت إسفول) في الرتب بحوالي ست عشرة قرية مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، إلى جانب استمرارها في الهجوم على القصور الرتبية التي استطاعت الدفاع عن نفسها في مختلف أنحاء واد الرتب[244]. ومما رصدناه واستقيناه من الجولات والمقابلات التي أجريناها في المجال، نستنتج أن أهم القصور التي خضعت للعطاويين بشكل شبه كلي بالرتب هي: زاوية املكيس، الجرامنة، زوالة (ازولاين أحد قصور آيت حديدو)، أولاد شاكر(آيت اغف، أقربوس، تيدرين)، تاخيامت، الكارة، أولاد عميرة، بلاغمة، البطاطحة، المعاركة، الزاوية الجديدة، الزاوية القديمة والربيت. بينما ظلت قصور أولاد عيسى والزريقات و"الدويرة" والقصر الجديد، وزاوية أوفوس خالية من تواجد العطاويين أو ذات تواجد محدود لهم[245].

وفي محاولتنا الوقوف على أهم الفروع العطاوية بكل قصر من هذه القصور التي دخل إليها العطاويون؛ وجدنا أن هناك قصورا ضمت عناصر تنتمي إلى نفس الفرع مثل آيت اسفول وآيت اخلف، كما وجدنا قصورا أخرى ضمت عناصر عطاوية لكنها تنتمي إلى فروع مختلفة، وإن حاولت الحفاظ على هذا التمايز بينها، خاصة بعد وقوع الخلافات المتتالية، من خلال اللجوء لتقاسم القصر

---

[242]- مارمول، **افريقيا**، ج3، ص. 154.

[243]- Ferdinand Linarès, «Voyage au Tafilalet avec S. M. Le Sultan, Moulay Hassan en, 1893», **Extrait du bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc**, N°8 III et IV, 1932, p. 44, 45.

[244]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 186.

[245] - رواية شفهية، **ابا سيدي بن العربي الطاهري**، أجريت معه المقابلة بتاريخ 15. 05. 2016م. والمعاينة المباشرة.

الواحد، عبر فصل السكان المتساكنين فيه بجدران، وهو ما كرس في الواقع جانبا من هذا التوزيع القبلي. حتى يضمن كل فرع من الفروع العطاوية المتجاورة التحرك بحرية داخل الأماكن التي تخصه[246].

والملاحظة الأساسية حول توزيع العطاويين بالرتب، هي أن أهم فروعهم في هذا الحوض هي: آيت انبكي بفرعيها آيت خباش وآيت امناصف، ثم آيت اسفول وهي تتوزع كما يوضح الجدول التالي:

رقم 9: توزيع الفروع العطاوية في القصور الرتبية[247].

الخمس	قبيلة	فرع	منطقة الاستقرار بالرتب
آيت **انبكي** وآيت **اسفول**	آيت خباش	آيت بورك ـ آيت تغلا ـ آيت علي ـ إيرجدالن ـ الحيان ـ ازولاين ـ آيت عمرو ـ آيت الغازي.	ازولاين(ازوالة)، زاوية املكيس ـ جرامنة، تاخيامت، أحد قصور أولاد عميرة.
	آيت امناصف	آيت احيى وموسى وتضم: آيت بلقاسم ـ آيت حمي ـ آيت ابراهيم وعيسى.	آيت اغف، الكارة، والربيت.
	آيت اخلف	ـ آيت بويغيال ـ آيت باول ـ آيت امغار ـ آيت حاسي ـ آيت امحمد ـ آيت علي.	الربيت، تخبوت، قصر آيت اخلف بأولاد عميرة، بلاغمة.
	احاضوشن	ايت بن يحساين ـ آيت بن المدين ـ آيت زايد ـ آيت حساين ـ آيت سليمان.	الزاوية الجديدة، الزاوية القديمة، والمعاركة، وبلاغمة، والبطاطحة.

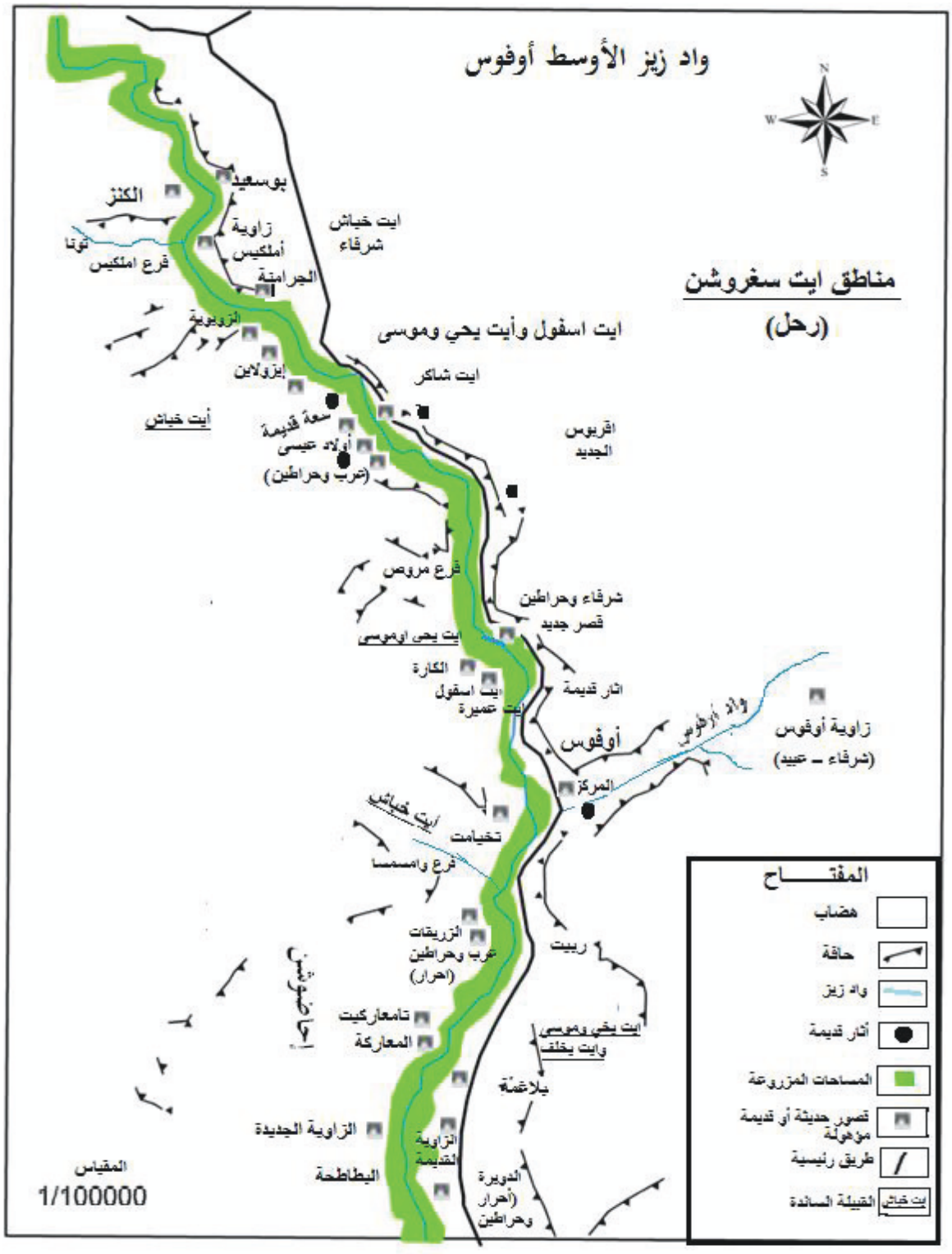
بهذا يكون العطاويون قد انتشروا في مختلف مناطق الرتب، وعلى طول الضفتين اليمنى واليسرى لوادي زيز، واستطاعوا أن يشكلوا الكتلة البشرية الأهم بالمجال ككل، كما ساهمت عصبيتهم القبلية وإلى فترة متأخرة في طغيان عاداتهم وتقاليديهم وقوانينهم العرفية بالمجال الرتبي، والنابعة مما ميز حياتهم من خصوصيات سنعود إليها في محور أخر. وحتى نلخص كل ما أشرنا إليه فيما يخص المكونات البشرية وتوزيعها بمجال الرتب نورد هذه الخريطة التي وضعها احدى وعبد اللطيف رومان.

---

[246]– يمكن معاينة ذلك من خلال نموذج لبعض قصور منطقة أولاد شاكر بالرتب، حيث نجد مثلا داخل قصر "آيت اغف" جدارا يفصل بين ساكنة القصر من فروع قبلتين عطاويتين.

[247]– ورد توزيع وتقسيم القبائل العطاوية في عدد من المصادر والمراجع نذكر من بينها، سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، القسم الثالث، من ص. 61، إلى ص. 81./ استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء**، من ص. 208، إلى ص. 224./ دان، **المجتمع والمقاومة**، من ص. 76، إلى ص. 80.

خريطة رقم 4 : التوزيع البشري لسكان الرتب بالمجال[248].



بتصرف، خريطة من إنجاز امحمد احدى وعبد اللطيف رومان

[248]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 12.

من كل ما رأيناه في هذا الباب يتبين لنا بكل بوضوح ما امتاز به مجال الرتب من خصوصيات طبيعة، ومن تنوع للعوامل والمبررات التي كان وراء بروز هذه المنطقة، واستقطابها لعناصر بشرية متنوعة الانتماء والأعراق، لكنها جميعها حاولت الاستفادة من موقع الرتب وما يزخر به من مؤهلات للاستقرار به، رغم الحروب والتحركات القبلية المستمرة طيلة الفترة الوسيطية والحديثة، وهو ما من شأنه أن يفسر لنا واقع التركيبة الاجتماعية لهذا المجال في المرحلة الراهنة.

الباب الثاني: مجال الرتب وتطورات أوضاعه، حتى نهاية الاحتلال الأجنبي.

الفصل الأول:

الرتب: منذ النشأة إلى نهاية عهد السلطان مولاي سليمان.

الفصل الأول: الرتب: منذ النشأة إلى نهاية عهد السلطان مولاي سليمان.

على الرغم من أن موضوع البحث الذي نحن بصدده يتعلق بمنطقة الرتب، ويهتم أساسا بالمرحلة الحديثة والمعاصرة، إلا أن ذلك لا يمنع من إلقاء نظرة على ماضيها، وماضي المنطقة التي كان ومازال جزء لا يتجزأ منها، بحكم علاقة التأثير والتأثر، التي لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال، خصوصا في الفترة القديمة المتميزة عموما بقلة المعلومات وندرتها، إلى جانب التضارب أحيانا في المعطيات المتعلقة بها، لاسيما وأن تاريخ هذه المرحلة بالمغرب، لم يكتبه في الغالب أبناء البلد على غرار العراقيين والمصريين والإغريق والرومانيين، وإنما كتبه الغرباء والأجانب. هكذا نجد أنفسنا مضطرين للأخذ بما كتبوه بجهلهم أحيانا، وبسوء أو حسن نيتهم أحيانا أخرى[249]، وذلك قبل أن نعثر على بعض الكتابات الإسلامية والمغربية المختلفة التي حاولت جمع معلومات عن البلاد إبان هذه المرحلة التاريخية القديمة، والتي لا تخلو بدورها من جوانب القصور، من حيث كون أغلبها إنما كان ينقل عن ما كتبه السابقون له، فضلا عن تركيزهم على الجانب السياسي أكثر من غيره من الجوانب الأخرى، باستثناء تناولهم أحيانا لبعض القضايا المرتبطة أساسا بالنشاط الانتاجي لاسيما التجارة.

لكن تاريخ المجال الذي نحن بصدد دراسته، أي الرتب لن يبرز بشكل جلي في الكتابة التاريخية، وفي الأحداث التي صنعت تاريخ المنطقة والبلاد عموما إلا في الفترة الحديثة، التي تلت انهيار مدينة سجلماسة عاصمة الإقليم والتجارة الصحراوية منذ القرن 8هـ/ 14م[250].

---

[249]- سعود، **صفحات من تاريخ المغرب القديم**، ص. 249.

[250]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 2، ص. 121.

1 ـ منطقة الرتب في المرحلتين القديمة والوسيطية.

1 ـ 1 وضعية الرتب قبل تأسيس مدينة سجلماسة.

لعل المميز في الرتب قديما، وما يفسر الصعوبة والغموض الذي يكتنف تاريخه، هو أن هذا المجال حمل من الخصوصيات والتميز على مر تاريخه، ما جعل منه لاحقا محطة لدورات متواصلة من الزحف القبلي المتتالي، كما كان نتاجا لتدافع مستمر بين الرحل والمستقرين، يتحول على إثره المستقرون والأسياد الأوائل بالمجال، إلى تابعين أو عبيد تحت حكم القادمين والرحل الجدد، أو قد يتحولون بدورهم إلى رحل في اتجاه مناطق جديدة، ثم يتحول الرحل الطارئون إلى مستقرين مع مرور الزمن[1]، ليعاد نسج العلاقة نفسها مع كل دورة لتحرك قبلي جديد.

لكن المميز في مناطق الرتب كونها شكلت أحيانا مضارب لقبائل زاوجت بين حياة الترحال والاستقرار كما رصد ذلك بعض من زاروا أو مروا بالرتب وكتبوا عنه[2]. وهذا ما أحدث تغيرات عميقة طبعت المجال بكثير من الاختلاف والغموض، لاسيما ما تعلق بخصوصيات ساكنته الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية لاحقا، خصوصا إذا علمنا أن هذه المرحلة عند أغلب المؤرخين المغاربة والمشارقة كانت مرحلة مدينة سجلماسة بامتياز، الأمر الذي انعكس في كتابتهم من خلال تهميش غيرها من المناطق المجاورة لها، والتي كان لها بدون شك أدوار مهمة، نظرا لكون المدينة شكلت نقطة جذب هامة لكل القوى والدول الناشئة، مما انعكس إيجابا على محيطها ومختلف المحطات الطرقية المؤدية إليها.

من ذلك سنحاول رصد بعض الإشارات الواردة عن منطقة الرتب خلال الفترة التي سبقت بروز المجال، ومشاركته في صناعة بعض الأحداث التاريخية المهمة، سواء بالمنطقة أو البلاد عموما، على قلة ما وصلنا عنها، وسنبدأ بالتساؤل عن مدى إمكانية الحديث عن احتمال وجود أي

---

[1]– البير عياش، **المغرب والاستعمار: حصيلة السيطرة الفرنسية**، ترجمة عبد القادر الشاوي، ونور الدين سعودي، دار الخطابي للنشر والطباعة، الدار البيضاء، 1985م، ص. 264.

[2]–مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 154.

عناصر بشرية بالرتب، ومدى تأثيرها أو مشاركتها في أحداث البلاد وسجلماسة بشكل خاص، سواء قبل ظهور الدول في الفترة الإسلامية أو بعدها.

بالبحث عن بعض الإشارات التاريخية التي أوردها المؤرخون حول سجلماسة قديما، نجدها تشير إلى أن الفنيقيين والقرطاجيين مثلا اقتصر استيطانهم بالمغرب على شواطئ البحر الأطلسي، من مليلة (البحر الأبيض المتوسط) إلى أكادير منذ ألف سنة قبل الميلاد[3]، وبالتالي لم يصلوا إلى عمق البلاد وصحرائها، كما نجد البعض الأخر يؤكد أيضا على أن الرومان الذين أتوا بعد الفنيقيين والقرطاجيين واستوطنوا شمال المغرب، لم يصلوا بدورهم إلى المناطق الصحراوية والجبال التي ظلت محصنة، واقتصر وجودهم على بعض المراكز التي كانت لها أهمية تجارية، أو تشكل مرافئ تسهل لهم عملية الانطلاق إلى مراكز جديدة[4].

هذا الافتراض الأخير يخالفه البعض ممن أهتموا أو كتبوا عن تاريخ مدينة سجلماسة وعن تاريخ تأسيسها، حيث يرجعون هذا التأسيس إلى أحد القادة الرومان[5]، مما جعل أحد الدارسين الأوربيين وهو باساك Bassac يحاول إيجاد أدلة لهذا الادعاء، ويؤكد بأن معالم الحضارة الرومانية ظاهرة إلى اليوم بإقليم سجلماسة، بدليل اكتشاف بعض بقاياها في مناطق مختلفة، منها البئر الموجودة في مجرى وادي زيز المبنية بالحجارة المنجورة، (المقصود به بئر يعرف محليا بحاسي حقي على مجرى وادي زيز بتافيلالت) والآثار المبنية بالحجارة المنجورة أيضا بالقرب من قصر "السيفة"[6]،

---

[3]- عياش، **المغرب والاستعمار**، ص. 30.

[4]-محمد الأمراني، **التحولات المجتمعية وتطور الدولة عبر التاريخ جدلية النقابي والسياسي**، مطبعة دار النشر المغربية، عين السبع الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص. 17.

[5]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص. 127.

[6]- **السِّيفَا**، وتكتب أحيانا بالتاء "السيفة" وهي اسم لمجموعة من القصور، ولأحد القصور في نفس الآن، توجد شمال تافيلالت الصغرى، وجنوب مدينة أرفود، على بعد حوالي 10 كلم، وهي اليوم إحدى الجماعات القروية بالمنطقة حيث تضم مجموعة من القصور منها أولاد يُحْيَ، أوْلاَدَ حْسِينْ، الْكْلاَكْلَة (الكاف المعقودة) المْكَارَةْ، الدُّوَارْ(...)

التي تحمل اسم "المدود" وكذا آثار منطقة "الجرف"[7] التي تحمل اسم "كدية النصارى"، فضلا عن الآثار التي توجد بالقرب من "زاوية أملكيس" بالرتب الأعلى تحمل اسم "**كصيرة النصارى**"[8].

هذه الإشارة الأخيرة هي التي تهمنا في ما تم ذكره، باعتبار أن "زاوية أملكيس" المذكورة هي جزء من مجال الرتب و"**كصيرة النصارى**" المذكورة ما زالت معروفة إلى اليوم بالمنطقة بنفس التسمية، ومن خلال معاينة مباشرة لبقاياها والآثار الموجودة بالمكان المشار إليه، سجلنا وجود اختلاف في المواد المستعملة في بنائها، والمكونة أساسا من الحجارة التي اشتهر الرومان باستعمالها في بنائهم، عكس ما هو عليه واقع معظم المنشآت العمرانية بالمنطقة، والمبنية أساسا بالطين وغيره من المواد المحلية.

ويلفت نظرنا كذلك ما كتبه الرحالة الألماني جاكوب شودت **Jakob Schaudt** وذلك في رحلته بتافلالت وبمجال الرتب سنة 1881م – 1882م، بخصوص مسألة الدفع بتأسيس الرومان لبعض المنشآت بالمنطقة، فقد آشار مرارا وتكرار عند وقوفه عند بعض القرى والآثار بالمنطقة إلى كون الرمان هم المؤسسين لها، فعند حديثه عن منطقة مسكي شمال الرتب مثلا قال بأن بها أثار رومانية ونافورة، وبين أنه يجب أن يكون قد بناها الرومان[9].بل حاول شودت الربط بن تسمة عين مسكي أو طوطو اجلف الواقعة بين مسكي وبوسعيد وأشار إلى أنه يحمل اليوم بالتأكيد اسم مالكه الروماني السابق Dotto أي أنه ربط بين تسمية هذا الروماني وتسمية العين بطوطو أجلف.

---

[7]- **الجَرْفَ**، اسم لمركز وجماعة قروية كبيرة في الجنوب الغربي من مجال الرتب، والشمال الغربي لتافيلالت الصغرى. تقع على بعد 20 كلم من مدينة أرفود باتجاه مدينة تنجداد.

[8]- Bassac. «Note sur le Tafilalet et sur le Ziz», **Bulletin de la Société de Géographie d' Alger et l'Afrique du Nord**, 3e trimestre, 34° année 1929, p. 409.

[9]- Jakob Schaudt, «Voyages au Maroc», Traduit de l'Allemand et annoté, Lacroix Napoléon, **Bulletin de la sociologie et de la géographie d'Aljer**, Documents sur le Nord-Ouest africain, Sixième Année, 3er Trimestre, 1901, Imprimerie Typographique et lithographique, S, Léon, Aljer, 1901, P. 252.

ذكر لنا شودت من جهة أخرى أن شريفا من الرتب قام بترجمة مخطوطة عربية تخبرنا وبشكل أسطوري عن وجود حاكم روماني بالمنطقة اسمه دقيوس Dakious/Deciuc كان له منزل تحت الأرض يضم 7 غرف مختلفة مغلقة بأبواب نحاسية، ومزينة بثلاثة أحجار كريمة احتوت ستين شحنة من الإبل من الذهب والفضة، وستين شحنة أخرى من الإبل ومن الذهب والفضة والجواهر[10]، غير أن شودت نفسه استغرب كتابة هذه الوثيقة باللغة العربية، وعندما سأل عن سبب ذلك أُجِيب أنه عندما جاء أول المسلمين من الشرق فإن هذه الأوراق الرومانية سقطت بأيديهم[11]. وسجل أيضا في طريقه إلى الجنوب نحو تافيلالت وجود خط من المرتفعات عليها آثار قائلا أنه يجب أن يكون عليها آثار رومانية، ويجب أن تكون هذه الجبال غنية أيضا بمنتجات التعدين، ولا ننسى التذكير أنه أرجع أيضا تسمية قصر "كراندو" قرب الريش إلى اسم روماني حكم البلاد في زمن من الأزمان[12].

تطرح أمامنا هذه القضية إشكالات أساسية، حول هذا الربط الذي حاول شودت ومن بعده باساك إيجاده لإثبات أن الرومان مروا بالمنطقة، وأنهم وصلوا إليها بعد حملة القائد الروماني "سويطنيوس بلينوس" Seutonuis polinus التي اتجهت نحو المناطق الواقعة جنوب جبال الأطلس سنة 41م، لمطاردة قبائل المور الثائرة عقب مقتل "بطليموس بن يوبا الثاني" آخر ملوك موريتانيا[13].

---

[10]– معظم الدارسين المغاربة يرفضون الدفع بكون الرومان وصلوا إلى سجلماسة، ويؤكدون أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد حملات خاطفة تدخل في باب تأديب ومطاردة الثوار والمتمردين، بل ذهبوا إلى أن الأثار الموجودة في مناطق مختلفة من سجلماسة وينسبها بعض الأجانب للرومان، هي في الحقيقة من إنشاء أمازيغ المنطقة منذ فترات قديمة، وهذا الإشكال يفرض ضرورة إخضاع هذه المواقع الأثرية لأبحاث أركيولجية من شأنها أن تزيل بعض اللبس عن تاريخ تأسيسها ومؤسسيها.

[11]– Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P. 254.

[12]– Ibid, Pp.257, 258.

[13]– سعود، **صفحات من تاريخ المغرب القديم**، ص. 14.

لكن بالمقابل نجد الوزان، وبالاعتماد كما قال على رواية البكري[14]، يربط تأسيس مدينة سجلماسة بالإسكندر المقدوني، الذي أنشأها حسب تقديره لمعالجة الجرحى والمعطوبين من جيشه[15]. أما التازي سعود المختص بالتاريخ القديم فيشير إلى ما واجهه الرومان من مقاومة ضارية بعد مقتل الملك الأمازيغي باطلموس على يد الثائر إيدمون الذي قُضي عليه بدوره سنة 40 أو 41م، و يضيف أن هذه المقاومة الباسلة امتدت إلى الجنوب الذي حمل المشعل في الحرب الدائرة ضد الرومان، بعد أن تزعم المقاومة هناك صلابيوس Salaboius المدعو "صلات". المشهور كقائد شديد الميراس، مما اضطر القائد الروماني "سويطنيوس" إلى أن يقتفي أثره بجيوشه حتى واد الكير(واد كير بالجنوب الشرقي)، وتبعه من بعد القائد "جيطا" "GETA" الذي حل محل "سويطونيوس" على رأس العمليات الموجهة إلى داخل الصحراء، لكن هذه الحرب ستنتهي سنة 44م بالاستسلام[16]، وهي النتيجة التي سيترتب عنها تغلغل الجيوش الرومانية في الصحراء، بعد معاناة كبيرة من حرارة الشمس المفرطة والظمأ الذي كاد يقضي عليهم، لولا هطول الأمطار فجأة وبغزارة، وبالتالي نجاتها من التشتت والموت المحقق، هذا الأمر اعتبره المحاربون البربر على ما يظهر برهانا سماويا على أن الآلهة ترعى "جيطا" وجيشه فاستسلموا له[17].

وبتتبع الطريق التي يحتمل أن يكون "سيوطونيوس بولينيوس" سلكها في حملته المفترضة هذه داخل الصحراء، نجدها من خلال بعض الباحثين توافق الطريق السلطانية، التي كانت تصل بين فاس وتافيلالت والتي تمر في مجال الرتب. ولا شك أن سجلماسة تبعا لهذا الرأي كانت هي المكان الذي وصل إليه الرومان وسموه "Sigilummassae" وهي آخر نقطة تسجل لانتصارهم هناك

---

[14]- أشار حجي في ترجمته لكتاب الوزان، إلى أن هذا الكلام لا وجود له عند البكري، وزاد عليه بأنه لا يُعلم للرومان توغل في ما وراء خط "الليمس" الذي أنشأه هؤلاء بالمغرب، حيث كان موقع مدينة سجلماسة قبل إنشائها يوجد جنوب هذا الخط ـ **وصف إفريقيا**، ج 2، هامش23، ص. 127.

[15]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص. 127.

[16]- سعود، **الالمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب**، ص. 144.

[17]- سعود، **صفحات من تاريخ المغرب القديم**، ص. 155.

بالصحراء، مما جعل الحسن الوزان مثلا يربط تأسيس سجلماسة بقائد روماني ولعل المقصود به هو "سيوطونيوس" وبعده "جيطا" "GETA".

يتوافق هذا الرأي أيضا إلى حد ما مع ما ذكره "De la chapelle"[18] الذي حدد طريق تلمسان سجلماسة عبر "تيندرارة""Tendrera" و"سبدو" "Sebdeu"، ثم سهل "تامليلت" "Tamlelt"و"عين الشعير" "Ain Chair" كمسار للجيش الروماني وذكر أنه وصل إلى الأطلس بعد قطع عشرة مراحل إلى "كير" عبر "بوعنان" "Bou Anan"واصطدم بدون ريب "بالكارا" "Garas"[19]، وهو يقصد بذلك السكان القاطنين بكير (واد كير)، وهذا ما يجعل البعض يتجه للقول بإمكانية وصول الرومان إلى مناطق سجلماسة.

وبالرجوع مرة أخرى للمجال موضوع الدراسة، والاستماع إلى بعض الروايات الشفهية نجدها تشير إلى تواجد بقايا بناء حجري كذلك، في تل مرتفع بقصر "أولاد عيسى" بالرتب الأعلى يعرف "بكصيرو" هذه الروايات ترجعه بدوره للنصارى دون تحديد الفترة التي أنشئ فيها بدقة[20]. ويظهر من خلال البحث الميداني كذلك استعمال الحجارة في بنائه، إلى جانب اختلاف في هندسة ما يظهر من بقايا هذا البناء عما هو معروف من أشكال القصور المحلية، فضلا عن اختلاف موقعه وموضعه عن باقي قصور الرتب. مع ضرورة الانتباه إلى أن الساكنة لم تكن تميز في توصيفها بين النصارى والرومان، وغيرهم من بعض الأقوام الأخرى القادمة من خارج المغرب شمالا.

يحتمل جدا أن يكون بعض الجنود النصارى الإسبان أو البرتغاليين الأسرى بالأساس، ممن كانوا مجندين أو مرافقين أحيانا لجيوش الدولة المرينية أثناء حملاتها بالمنطقة، أو حصار عاصمتها سجلماسة كما حدث زمن السلطان أبو يوسف يعقوب سنة 672هـ/1273م[21]، أو زمن

---

[18]- Frédéric de lachapelle, «L'expedition de Suetonius Paulinuis dans le Sud-est du Maroc», **Hesperis Archives Berbères et Bulletin de l' institut des Hautes-études Marocaines**, Année 1934, Tome, 19, Fascicules, I–II, Librairie La Rose, Paris, p.122.

[19]- البيضاوية بلكامل، عبد العزيز بلفايدة، «الجنوب المغربي في عصوره القديمة من خلال المصادر الاغريقية والرومانية»، "**جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الأولى 1987م**"، ص ص. 344، 345.

[20]- رواية شفهية، **محمد قدار** (74سنة) أحد سكان قصر أولاد عيسى، أجريت المقابلة معه بتاريخ 12/ 5/ 2016م.

[21]- علي بن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية**. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص. 139.

السلطة السعدية أثناء حملاتها هناك، قد استقروا في بعض "الرُّتَبْ/ الخيام" التي تم إنشاؤها من قبل المرينيين أو السعديين من أجل استخلاص واجبات مرور القوافل ومراقبة وحماية الطرق، ومن غير المستبعد أن تكون هذه "الرُّتَبْ/ الخيام" قد تحولت إلى مساكن بني بعضها بالحجارة، وهي التي نجد اليوم بعض آثارها المخربة والمندرسة في عدد من مناطق الرتب، دون أن نهتدي لتاريخ بنائها، أو معلومات دقيقة عنها، ما عدا افتراض أن يكون بعض هؤلاء الجنود البرتغاليين أو الروم، قد استقروا بهذه الأماكن في فترات معينة، مما جعل السكان والمارين بها يعرفونها بقصور أو قصبات النصارى أو الروم[22].

من ذلك يمكن الاستنتاج بأن الرومان ربما وصلوا بقواتهم فعلا إلى المجال الصحراوي، الواقع ما وراء جبال الأطلس الكبير الذي تقع ضمنه منطقة الرتب، الشيء الذين يجعلنا نأخذ بعين الاعتبار ما قال به الباحث باسك Bassacحول وجود أثار للرومان ب"زاوية أملكيس" في أعلى منطقة الرتب ممثلة "بكصيرة النصارى"، كما يدعونا ذلك إلى ضرورة الاعتماد على علوم أخرى؛ يمكن أن تساعدنا في كشف حقيقة هذا الوجود مثل علم "الأيبيغرافيا" "L'épigraphie"[23] والأركيولوجية التي تعتمد على ما يعرف بالحفريات والاستيبارت[24] في عين المكان، للكشف عما تكتنزه بعض الآثار القديمة بالمنطقة من أسرار، قد تكشف الغموض وتزيل الشكوك عن بعض المعلومات، حول تاريخ الرَّتْبْ خلال العصر القديم، عندما كان هذا الأخير جزءا ضمن ما كان يطلق عليه المؤرخون بنوميديا[25] أوجيتولا أو عندما كان أحد المناطق التابعة لسجلماسة الإقليم[26].

---

[22] –Ilahiane, **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, p. 77.

[23]– **علم الإبيغرافيا**. يعرفه مصطفى أعشي، بأنه علم يدرس الكتابات بمختلف أنواعها المنقوشة، أو المكتوبة بالصباغة على الأحجار، أو المعادن، أو الطين، أو الزجاج، أو العظام، أو الفسيفساء، وتعتبر أحد المصادر الأساسية في دراسة التاريخ والحضارة" من كتاب **نقائش معاهدات السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004م، ص. 7.

[24]– **الاستيبارات**، تقنية يعتمدها العلماء والباحثون في علم الأركيولوجية، وتقوم على اختيار مواقع أثرية قديمة والحفر في أعماقها لاستخراج العينات والبقايا المدفونة في مختلف الطبقات التي تكون الموقع المدروس، ثم أخذها إلى المختبرات المختصة لإجراء تحليلات ودراسات، من أجل تحديد عمر هذه البقايا، ومعرفة خصوصياتها المتنوعة، وما يمكن أن تحمله لنا من معلومات.

[25]– اعتبر مارمول إقليم سجلماسة أحد أهم الإمارات التابعة لنوميديا، وذكر أنه ليس في هذا الإقليم إلا مدينة واحدة تحمل نفس الاسم، وتحكم الإقليم كله، وجعل الرتب أحد مكونات هذا الإقليم، **إفريقيا**، ج1، ص ص. 42، 43.

[26]– الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ص ص. 28، 29.

1 ـ 2 مجال الرتب زمن الإمارات الزناتية.

يمتد هذا العهد لحوالي ثلاثة قرون ما بين القرن 2هـ/ 8م، والقرن 5هـ/ 11م، أي ما بين نشأة أول إمارة بالمنطقة مستقلة عن الخلافة العباسية بالمشرق، وهي إمارة بني مدرار الصفرية، وبين وصول المرابطين وسيطرتهم على المجال، ليكتبوا بذلك نهاية مرحلة وعهد تميز بتعاقب حكم الإمارات الزناتية لمجال سجلماسة، وبصراعات مذهبية متواصلة، كان فيها للقوى الخارجية الدور الأبرز، خصوصا الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي، والتي كانت تسعى بكل حزم خلال صراعها الطويل مع الدولة العباسية السنية المذهب والأمويين بالأندلس، للسيطرة على أهم المناطق الاستراتيجية والاقتصادية بالمغرب وغيره، خصوصا سجلماسة التي شكلت حاضنة للمذهب الخارجي الصفري.

حضرت منطقة الرتب في خضم كل ذلك، في بعض الأحداث المهمة والمفصلية في تاريخ المجال، لكن المصادر التاريخية لم تنقل لنا إلا بعض الإشارات عنها، ومازالت هذه الأخيرة بدورها تطرح العديد من علامات الاستفهام، كما أنها لم تكن محط إجماع بين الدارسين والمهتمين، سواء بتأكيدها أو نفيها، على الرغم من أهميتها في توفير بعض المعلومات المهمة لنا عن المجال. ومع ذلك لم تكن هذه الإشارات كافية في تمكيننا من الوقوف على بعض ما عرفه مجال الرتب من أحداث في ظل تلك التحولات، وفي تقدير أهميته أو تأْثِيره وتأَثُّرِه بما كان يحدث في عاصمة الإقليم سجلماسة، التي يرجع تأسيسها حسب معظم المؤرخين إلى سنة 140هـ/757م[27]، بعد أن خرج المغرب الجنوبي بفضل الفتح الاسلامي من دائرة العزلة والتهميش، وأصبحت المنطقة محورية في التطورات السياسية والنشاط الاقتصادي بالبلاد[28]. واستطاعت أن تبقى في منأى عن حكم دولة

[27]- البكري، **المسالك والمماليك**، ج2، ص. 332. نشير هنا إلى أن كتاب البكري أورد تاريخين مختلفين لتأسيس المدينة سجلماسة، الأول هو سنة 104هـ كما هو وارد في ج2، ص. 334، والثاني هو سنة 140هـ، كما ورد في ج2، ص. 332. لكن بعض الباحثين يرجعون ذلك إلى خطأ الناسخين.

[28]- قاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى**، ص. 232.

الأدارسة، التي ظهرت بدورها في الشمال، وتمكنت من حكم معظم البلاد انطلاقا من مدينة فاس.

بقي إذن إقليم سجلماسة تحت حكم القوة الزناتية التي قدمت من المغرب الأوسط تحت ضغط أمراء صنهاجة، وخاصة منها قبائل مكناسة وبني يفرن، وكانت لها السيادة بالبلاد خلال هذه المرحلة؛ حتى تسمى هذا العصر عند البعض بعصر زناتة[29]. هكذا توالى على حكم سجلماسة بنو مدرار وبنو خزر الزناتيون وامتدت سلطتهم على كامل إقليم سجلماسة، التي كان الرتب جزءا منها، كما تورد أغلب المصادر مثل الوزان الذي عرفها كما يلي: «**سجلماسة إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه، ويمتد على طول واد زيز، ابتداء من الخنك من المضيق القريب من مدينة غارسلوان ونزولا نحو الجنوب على مسافة 120 ميلا حتى تخوم صحراء ليبيا. وتسكنه قبائل بربرية مختلفة، إما زناتية أو صنهاجية أو هوارى. وكان في القديم خاضعا لسلطة عاهل مستقل، لكنه خضع بعد ذلك ليوسف ملك لمتونة ثم انتقل للموحدين**»[30].

نسجل بناء على المؤشرات التي سبق ذكرها أن مجال الرتب ومنذ تأسيس الدولة المدرارية على يد الخوارج الصفرية، لم يكن شاغرا على الأرجح بل مأهولا ولو بأعداد قليلة، فالمرحلة الأولى من تاريخ هذه الدولة، تميزت بحكم عيسى بن يزيد الأسود، ما بين(140هـ ـ 155هـ)،/ (758م ـ 772م) قبل أن يتم إقصاؤه على يد زعماء مكناسة الذين سخطوا ونقموا عليه فقتلوه شر قتلة[31]، مع ترجيح بعض المصادر والباحثين أن يكون سبب توليه حكم الإمارة راجع إلى وفرة العناصر الزنجية في المنطقة، والتي كانت تستوطن المجال منذ فترات زمنية غير معروفة لكنها موغلة

[29]- عبد السلام بن عبود، **تاريخ المغرب**، تطوان، 1975م. ج1، ص. 89.

[30]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 2، ص ص. 120، 121.

[31]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج 6، ص. 172.

في القدم[32]، لتعرف المنطقة بعد ذلك مع نشوء الامارة الوليدة تزايد وفود العناصر الزناتية من مكناسة، إلى أن أصبحت أعدادهم من الحجم الذي مكنهم من تصدر المشهد السياسي في الإمارة السجلماسية، والإقدام على خلع عيسى بن يزيد وتولية بعض كبرائهم مكانه. وقد يكون هذا الافتراض في محله، كما يمكن أن يكون وصول عيسى إلى الحكم مستندا فقط إلى خصاله الدينية، فهو من زعماء الخوارج ومن موالي العرب[33].

ما يهمنا في هذه المرحلة هو مصير عيسى بن يزيد فبعض الباحثين ذكروا أنه بعد مقتله ظلت ذريته موجودة بإمارة سجلماسة، لكنها لم تعد مستقرة بالمدينة العاصمة، بل في منطقة تابعة لها ستعرف لاحقا باسم الرتب، بعد أن استوطنوا أحد القصور الذي يحمل إلى اليوم اسم قصر أولاد عيسى، على الضفة اليمنى لوادي زيز وبجوار ما سيعرف لاحقا بمنطقة أولاد شاكر بالرتب الأعلى[34].

يرجع البعض أسباب مقتل هذا الأخير إلى عوامل دينية تتعلق بمؤاخذة زعماء الدولة على عيسى بعض التصرفات التي اعتبروها خارجة عن مذهبهم، لكن البعض الآخر أرجع الأمر إلى نوع من الاحتقار والازدراء الذي ظل زعماء زناتة يكنونه لعيسى باعتباره من السود، وهو ما يتبين مما قاله له أبو الخطاب الزناتي الصفري، أحد رموز دولة عيسى المذكور، حسب ما يشير إليه ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م)وغيره، حيث قدح في شخصه منتقصا من قدر أميره عيسى بنعته بالسواد، فقامت الرعية بقتل عيسى بأبشع طريقة، دون أن يجد مناصرا له[35].

تكاد تكون معلوماتنا شبه منعدمة عن العلاقات التي ربطت بين مدينة سجلماسة العاصمة، وغيرها من المناطق التي كانت تحت سلطتها في تلك المرحلة، ومن بينها الرتب؛

---

[32]- إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص. 114.

[33]- سلمى محمود إسماعيل، **الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى، في ضوء نظريات ابن خلدون**، رؤية للطباعة والنشر القاهرة، مصر، 2009م، ص. 107.

[34]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 2، ص. 108.

[35]- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ج 2، ص. 352.

خصوصا إذا سايرنا القول بنفي بعض من أمراء سجلماسة نحوها، مما يتعذر معه رصد طبيعتها وخصائصها، سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي وغيره من الأمور الأخرى، بما فيها تلك المتعلقة بالجانب الديني.

تطورات الأوضاع بعد زمن عيسى بن يزيد بالإمارة الصفرية حمل لنا إشارة أخرى لها علاقة بالرتب، خاصة مع مرحلة ضعف الدولة المدرارية، وفي ظرفية تميزت بتنامي وتطور المذاهب الدينية، التي عبرت عن معارضتها للحكم الأموي في البداية، ولاحقا للحكم العباسي، ثم تطورت من اختلاف في الجانب السياسي إلى خلافات على المستوى الديني، نتج عنه نشأة دولة بني مدرار بسجلماسة، مرتكزة على الأساس الديني المتمثل في المذهب الخارجي الصفري، ولن نستعرض هنا التطور التاريخي الذي مرت منه الإمارة المدرارية، أو ما رافقها من تطورات وصراعات، لكننا سنقف بالأساس على المرحلة الأخيرة من تاريخ هذه الإمارة، أي بعد ضعفها وخضوعها أحيانا لسلطة الفاطميين، الذين لم يترددوا في إرسال جحافل جيوشهم لإخضاعها كلما ظهر لهم ميلها للعصيان أو تبعيتها لغيرهم[36]، كما حدث زمن حكم الأمير المدراري محمد بن الفتح، الملقب بالشاكر لله، الذي أعلن خروجه عن طاعة الفاطميين، وإقامة الدعوة للعباسيين، معلنا بذلك تبنيه للمذهب السني، وانتفاضته ضد المذهب الشيعي الفاطمي العبيدي، مما سيعرضه لردود فعل فاطمية أجبرته على الفرار إلى إحدى حصونه المجاورة التي يقول البعض أنه ما يزال يحمل اسمه إلى اليوم بالرتب الأعلى، على الضفة اليسرى لوادي زيز، ويعرف باسم قصر "أولاد شاكر"[37]ـ أو كما يطلق عليه البعض اليوم "آيت شاكر" في ارتباط مع استقرار بعض فروع قبيلة آيت عطا فيه منذ بداية القرن13هـ/ 19م ـ ليتم القبض عليه لاحقا، وينقله جوهر الصقلي قائد الفاطميين إلى

[36]- إدريس عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، ص. 605.

[37]- القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى**، ج2، ص. 347.

المهدية بالمغرب الأدنى أسيرا في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ويطاف به وغيره من الأسرى في أسواق القيروان والمهدية ويموت لاحقا في السجن[38].

الاستقرار المفترض لبعض الأفراد أو الأسر الحاكمة أو المعزولة والتي كانت تتمتع بنفوذ وسلطة كبيرة من الحكم في سجلماسة المدينة بمنطقة الرتب، يفتح أمامنا الباب لتساؤلات عديدة منها: هل كان الرتب بناء على ما أشرنا إليه بمثابة منفى طبيعي أو اختياري للمعارضين والمقصيين من الحكم بسجلماسة خلال فترة حكم الأسر الزناتية المدرارية؟ وهل كون مجال الرتب مفصولا إلى حد ما من الناحية الطبيعية عن المحيط القريب من سجلماسة، جعله يشكل بالنسبة للفارين منطقة آمنة من الوقوع بيد أتباع الدولة المدرارية؟ وإلى أي درجة كان نفوذ هذه الأخيرة على هذا المجال محدودا، حتى يأمن به المغضوب عليهم من حكام سجلماسة على أنفسهم؟ أم أن الرتب وعلى غرار ما كانت تشكله منطقة تافيلالت بمجملها، لاسيما إبان الفترة العلوية اللاحقة خاصة في عهد مولاي إسماعيل وأبنائه المتصارعين كما سنرى، اعتبر منفى أو مكان لإبعاد من يشك في ولائهم، أو تبرز مؤشرات خطرهم على السلطة الجديدة، أو أن الرتب بهذا المعنى وبحكم انحصار نفوذ الإمارة المدرارية في ما وراء جبال الأطلس الكبير الشرقي كان أبعد مكان تحت نفوذها لنفي الخصوم ومواليهم؟

لا نستطيع بأي حال من الأحوال خلال الفترة الراهنة، وفي حدود المصادر والدراسات المتوفرة، وفي ظل غياب وضعف إمكانيات البحث والتكوين، أو توفر الأجهزة المتطورة والمساعدة على الأبحاث الأركيولوجية، أن نجيب على كل هذه الأسئلة، أو نعطي إجابات شافية وكافية وموثوقة بها، لكن أقصى ما يمكن أن نقدمه هو مجموعة من الافتراضات والاستنتاجات، يحتاج تأكيدها إلى مزيد من البحث، والانفتاح على علوم أخرى متعددة.

---

[38]–ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص. 177.

سنبدأ أولا بأهم ملاحظة مثيرة للانتباه، وهي أننا عندما ننظر إلى موقع أقدم قصرين بالمنطقة، وردت إشارات مهمة في بعض المصادر التاريخية حول إمكانية تواجدهما بالرتب الأعلى؛ وهما قصر "أولاد عيسى" و"أولاد شاكر"، نجد أنهما يقعان في نفس المكان تقريبا لكن بشكل متقابل، ولا يفصل بينهما سوى مجرى واد زيز. مما يجعلنا نتساءل عن علاقة ذلك بنفي عائلة كل من عيسى بن يزيد الأسود، ولاحقا استقرار الشاكر لله وأولاده بها.

وبما أن المصادر أشارت إلى حصن "تاسجدلت" المنيع كما يسميه ويصفه البكري وبعده ابن الخطيب[39]، أو "تاسكرات" كما يسميه ابن خلدون[40]،كحصن قائم قبل أن يفر إليه الشاكر لله، بعد اقتحام قائد حملة الفاطميين جوهر الصقلي سنة 347هـ/960م لسجلماسة[41]. فإن ذلك يجعلنا نتساءل من جهة أخرى عن سبب تواجد هذا الحصن في هذا المكان، هل هو لمراقبة الطرق والقوافل التجارية؟ أم أنه أسس سابقا لمراقبة تحركات أسرة عيسى بن يزيد الأسود، على فرض صحة استقرارها في هذا المجال منذ مقتل عيسى، وأن هذا الحصن تحول لاحقا إلى مستقر لأسرة الشاكر لله منذ منتصف القرن 4هـ/10م؟ لكن حافظي في أطروحته[42] جعل "تسجدالت" في مكان آخر على الضفة اليمنى لواد "تيديلي" قريبا من قصر "تيكيرت" بتراب " آيت زينب" بإقليم ورزازات، بناء على تعريف محمد حمام لمعنى "تسجدالت" أو "تسكَدالت" بأنها تعني المرعى

[39]- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ج 2، ص. 356.
[40]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج 6، ص. 174.
[41]- إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص. 227.
[42]- حافظي، **واحات بلاد المغرب**، ج1، ص. 113.

الصغير[43] رغم أنه هو نفسه أشار سابقا إلى احتمال أن يكون هذا القصر موجودا بالرتب، بناء على ما ورد في ما كتبه البكري عند حديثه عن الأمير المدراري محمد بن الفتح حيث قال عنه «**تلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير، فمكث كذلك إلى أن قربت منه عساكر أبي تميم معد مع قائده جوهر الكاتب، فخرج عن سجلماسة بأهله وماله وولده وخاصته، وصار "بتاسجدالت" حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة. ودخل جوهر سجلماسة وملكها، وذلك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة. وخرج محمد من الحصن في نفر يسير من أصحابه إلى سجلماسة ليتعرف الأخبار مستترا، فعرفه قوم من مطغرة في بعض الطريق، فأخذوه فأتوا به إلى جوهر**»[44].

يتبين لنا من هذا النص أن المسافة التي ذكرها البكري وحددها ب12 ميلا، أي المسافة بين سجلماسة وحصن تاسجدالت، هي مسافة أقرب إلى الحقيقة، إذا اعتبرنا موقع الحصن المذكور موجودا بالرتب. أما إذا اعتبرنا غير ذلك، فالمسافة ستكون بعيدة جدا عن الواقع، كما أن حديث البكري عن بعض المدغريين كوشاة بالشاكر لله وتأكيده على أنهم عرفوه في الطريق بعد خروجه متخفيا نحو سجلماسة لترصد أخبارها يعزز أن يكون حصن تسجدالت المذكور هو فعلا قصر أولاد شاكر حاليا، فمدغرة المذكورة تقع شمال الرتب، والطريق المتحدث عنه هو غالبا الطريق الذي يسلكه أهل مدغرة والرتب نحو سجلماسة، فهل ما ذهب إليه حافظي يتعلق بتصحيح للمعطيات؟ أم هو العثور على وثائق جديدة؟ ومهما يكن من أمر، فإن ذلك لا يعني إلا مزيدا من الغموض فيما يخص تاريخ منطقة الرتب، وصعوبة في التأصيل لتاريخها خلال الفترة القديمة والوسيطية.

---

[43]- محمد حمام، "مادة: تاسگدالت"، **معلمة المغرب**، ج6، ص.2057.

[44]- البكري، **كتاب المسالك والمماليك**،ج2، ص، 336.

2 ـ حضور الرتب في مصادر المرحلة القديمة والوسيطية.

عملنا على تصفح أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن سجلماسة سواء منها المدينة أو الاقليم، مستهدفين رصد واستخلاص أي مؤشرات حول منطقة الرتب، عند أولئك الذين كان لهم عناية خاصة بوصف المسالك والمماليك، والمدن والمناطق التي زاروها أو قرأوا أو سمعوا عنها، لكن هذه المصادر لم تسعفنا في الإجابة عن كثير من تساؤلاتنا حول مجال الرتب، الذي شكل على امتداد مختلف الحقب والمراحل التاريخية جزء لا يتجزأ من إقليم سجلماسة، بل زادت الأمر تعقيدا وصعوبة، فمعظم المصادر اقتصرت على تقديم إشارات ضمنية وغير مباشرة، عملنا على استقرائها في محاولة لفهم دلالتها، ومدى ارتباطها بمنطقة بحثنا.

فاليعقوبي(ت284هـ/897م) وهو يتحدث عن سجلماسة ذكر أن بمجالها توجد «**قرى تعرف ببني درعة وفيها مدينة ليست بالكبيرة يقال لها "تامدلت" ليحي بن إدريس العلوي، عليها حصن**»[45]، فهو بهذا لم يأتي على ذكر الرتب، لكن حديثه عن "قرى درعة" يحيلنا على منطقة "درعة" غرب سجلماسة، التي يمكن أن تكون هذه الأخيرة بسطت سيطرتها عليها، لكن موقع هذه القرى يبقى مجهولا[46]. والمفهوم والحدود التي يقصدها اليعقوبي لدرعة مختلف في شأنها بين المؤرخين والباحثين، مما يثير أمامنا مجموعة من الافتراضات، وإن كنا نعتقد أن القرى المشار إليها بعيدة عن مجال دراستنا.

أما ابن خرداذبة (ت300 هـ/ 912م) فترد عنده العبارة التالية: «**وفي أيدي الخارجي الصفري درعة وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل، وفيها معدن فضة، وهي مما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة، ومدينة تدعى زيز**»[47]. حديث ابن خرداذبة عن المدينتين ـ درعة وزيز ـ اللتين

---

[45]- اليعقوبي، **البلدان**، ص. 198.

[46]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 32.

[47]-أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ابن خرداذبة، **المسالك والمماليك**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1889م، ص. 88.

اختفيتا اليوم؛ ولا نعلم لهما موقعا محددا، يجعلنا في حيرة أكيدة، من مقصوده بتسمية مدينة، فهل يقصد معنى مدينة بمعناها المعروف؟ أم أن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد ربط لأي تجمع سكني مهما بلغ حجمه وعدد أفراده بتسمية مدينة؟ وطالما أن الأبحاث لم تكشف لنا عن مكان هاتين المدينتين/ القريتين المذكورتين في المصادر باسم زيز ودرعة، فإن احتمال وجود مدينة زيز على الأقل في مجال الرتب أو غيره يبقى واردا. كما أن افتراض أن تكون سجلماسة نفسها قد قامت على انقاض مدينة زيز يبقى بدوره قائما، يضاف لذلك تسمية هذه المدينة بزيز الذي هو واد يمتد على مسافة طويلة تصل إلى حوالي 450 كلم منها حولي 40 كلم بالرتب، يعزز توجهنا بعدم إقصاء أي افتراض خاصة مع وجود أثار لتجمعات سكنية قديمة ومندرسة بالرتب وغيره من المناطق الواقعة على واد زيز.

الغموض نفسه وصعوبة العثور على ما يفيدنا في فهم مكونات مجال سجلماسة يبقى السمة المميزة لمختلف المصادر اللاحقة، فالاصطخري (ت 346هـ/ 957م) ذكر أن «**سجلماسة مدينة وسط من حد تاهرت إلا أنها منقطعة لا يسلكُ إليها إلا في القفار والرمال**" وزاد على ذلك بالقول "**إن المسلك إليها صعب، والاستعداد شاق جدا**»[48]، كلام الاصطخري واستخدامه للفظ القفار وغيره من التوصيفات، هو غالبا وصف لمسار الطريق الذي اعتاد أن يسلكه المشارقة نحو سجلماسة، وبالتالي فلم يكن يقصد بكلامه هذا الطريق من سجلماسة نحو فاس مثلا. وإلا ما دلالة كلام من وصفوا المدينة ومحيطها قبله بأوصاف تشي بتفرع العمران، والثروة الغابوية المهمة.

لكن ما يزيد من صعوبة إثبات أو نفي وجود تعمير بالرتب، هو عدم وضوح ما تقدمه بعض المصادر رغم تقارب عصر من كتبوها أحيانا، فنجد مثلا ابن حوقل وهو من الجغرافيين الذين عاشوا خلال القرن الرابع الهجري، وممن زاروا سجلماسة منذ سنة 340هـ/ 952م، زمن

[48]–أبو القاسم الاصطخيري، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العالي الحيني، الإدارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1961م، ص. 34.

حكم الشاكر لله المدراري[49]، لكنه لم يقدم لنا معلومات كافية عنها، ولا عن القرى أو المدن التابعة لها، سوى بعدها عن فاس ب13 مرحلة، وعن كونها مدينة تقع على نهر يفيض مثل النيل[50].

أضيف إلى ذلك غموض آخر؛ مع ما ذكره المقدسي(ت 380هـ/ 990م)، عن وجود 13 مدينة تابعة لسجلماسة، لازالت مواقع معظمها مجهولة إلى اليوم، مع غياب أو ضعف البحث الأركيولوجي المنجز بالمغرب عموما، واقتصار ما أنجز منه في المنطقة؛ على مدينة سجلماسة أساسا. مما يجعلنا لا نستبعد أن تكون إحدى تلك المدن الثلاثة عشر أو بعضا منها قد وجدت بالرتب. وبالرجوع إلى المقدسي نجده قد عرف سجلماسة بأنها «**اسم القصبة أيضا ولها من المدن: درعة، تادنقوست، إثرايلا، يلميس، حصن ابن صالح، النحاسين، حصن السودان، هلال أمصلى، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، تازروت**»[51]. هذه المدن المذكورة حاول حافظي مقاربة تسمياتها بما هو موجود في المنطقة[52]، فربط تسمية "درعة" بمنطقة تابعة لسجلماسة والواقعة غرب المدينة، ثم "تادنقوست" التي قاربها باسم منطقة "تادغوست" الواقعة على وادي غريس، أما "يلميس" فلم يجد لها الباحث اسما بالمجال وإنما خارجه، على الطريق التجاري القديم، الرابط بين فاس وسجلماسة قرب مدينة صفرو يعرف "بألميس كيكو". في حين حدد موقع قصر "هلال" بمجال مدغرة شمال الرتب، وهو ما يتفق مع ما توصل إليه عبد اللوي في بحثه عن هذا القصر بعد تحديد موقعه ما بين قصري "بوناجي" و"أولاد الحاج" قرب مدينة الرشيدية[53]. أما "برارة" فقد قاربها بقصر في تافيلالت الصغرى يسمى حاليا "بيرارة" بمقاطعة السفالات جنوب موقع سجلماسة، بينما ربط اسم "تازروت" بما ورد عند جاك موني التي اعتبرته اسم لمنطقة فضة

---

[49]- ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص. 83.

[50]- نفسه، ص. 90.

[51]- المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص. 209.

[52]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 23.

[53]- عبد اللوي، **مدغرة**، ج1، ص. 176.

مستغلة منذ وقت مبكر في جبل أوكنات[54]. مع ضرورة الإشارة إلى أن منطقة مدغرة يوجد بها إلى اليوم قصر عرف باسم "تازروت".

ما قاربه حافظي لم يتجاوز ستة اسماء لتبقى أسماء المدن أو القصور التي ذكرها المقدسي غامضة، ومنها "إثرايلا"، "حصن ابن صالح"، "النحاسين"، "حصن السودان"، "أمصلى"، "الخيامات"، هذه المسميات حاولنا أن نقاربها أيضا بما هو موجود من تسميات القصور والمناطق بالرتب، فلم نعثر على ما يشبهها أو يقترب منها إلا تسمية "الخيامات"، التي تشبه إلى حد ما اسم قصر "تاخيامت" بالرتب الأوسط[55]، لكن ذلك يصطدم مع تأكيد بعض الروايات الشفهية بأن التسمية إنما جاءت مع وصول العطاويين[56]؛ على غرار مجموعة من التسميات الأخرى التي أصبحت متداولة، بل ومقدمين تفسيرا لهذه التسمية، بكونها ترجع إلى تلك الخيمة التي نصبها العطاويون بمجال الرتب بعد وصولهم إليه في القرن13هـ/ 19م، لتجتمع بهذه الخيمة فروع قبائلهم من أجل التفاهم على كيفية تقاسم ما سيحصلون عليه من غنائم وممتلكات وقصور بالرتب بعد السيطرة عليه.

هنا قد يقع البعض من الدارسين في الخلط اعتمادا على هذه الرواية، من خلال عدم التمييز بين المرحلة الأولى من الاحتكاك العطاوي بالرتب أي قبل عهد سيدي محمد بن عبد الله(ق12هـ/ 18م)، والمرحلة الثانية للإحتكاك بعيد وفاة السلطان مولاي سليمان سنة 1822م، حيث نلاحظ توجه أغلب الدارسين وهم يتحدثون عن هذه القضية لربط ظهور التسمية بالوصول العطاوي للرتب خلال مرحلته الثانية، مع مطلع العقد الثالث من القرن19م والذي بدأ بقصر تاخيامت. لكن ذلك لا يستقيم مع وجود مصادر ووثائق تاريخية أوردت هذه التسمية منذ وقت سابق على هذه المرحلة كما عند الضعيف[57]. وفي بعض المخطوطات القديمة التي ذكرت التسمية منذ عهد سابق حتى على الاحتكاك

---

[54]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 33، 34.

[55]- قصر يوجد بالرتب الأوسط، على الضفة اليمنى لواد زيز (باتجاه الجنوب) وهو ينتمي حاليا للجماعة القروية أوفوس ومجاورة لقصر الكارة.

[56]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

[57]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 184.

العطاوي الأول وسمته "**بحصن تاخيامت**"[58] وفي مخطوطة أخرى "**حصن تخيامة**"[59]. مما يجعلنا نذهب إلى الاعتقاد بكون هذه التسمية لا ترتبط لا بالمرحلة الأولى ولا بالثانية لوصول العطاويين للرتب، وأن التسمية قديمة رغم الإشارات الأخرى التي تقول بأن قصر "**تاخيامت**" كان لقبيلة بني احسن العربية في فترة سابقة، وأن تسميته ارتبطت بتسمية القبيلة المذكورة. ومن التسميات الأخرى التي ذكرها المقدسي كذلك هي "**حصن السودان**"، والتي تفرض علينا بدورها احتمال أن تكون هذه الأخيرة تسمية لقصر أولاد عيسي، باعتبار أن ساكنته وإلى اليوم في غالبيتها مكونة من العناصر السوداء والحراطين، وباعتبار استقرار من نفي إليه من أسرة عيسى بن يزيد الأسود به، كما سبق وأن ذكرنا.

أما البكري (توفي487هـ/1094م) وهو يتحدث عن مدينة سجلماسة، فيشير إلى أن تأسيسها أتى على حساب مدينتين هما ترغة وزيز، وأنه بتأسيسها «**خلت مدينة ترغة وبينهما يومان، وبعمارتها خلت زيز أيضا**»[60]. هذا القول جعل مترجم كتاب "الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة محمد الحمداوي يستنتج بأن مدينة ترغة هي الأصل فيما يزال يعرف حتى الآن بقصر ترغة (تاركة) بمدينة الرشيدية[61]، وهي تقع شمال منطقة الرتب على بعد أقل من 45 كلم، لكن حافظي يرفض هذا الطرح، على اعتبار أن قطع المسافة في يومين التي أشار إليها البكري بين سجلماسة وترغة لا يتوافق مع ما هو على أرض الواقع[62]، وهو في ذلك يتماشى مع ما ذهبت إليه جاك موني التي جعلت ترغة التي ذكرها البكري؛ هي تدغة الواقعة بالقرب من منجم ايميضر[63]. بينما يظل موقع مدينة زيز مجهولا، هكذا إذا سايرنا الحمداوي في رأيه وهو الأرجح عندنا، فذلك يعزز من افتراض وجود مدينة زيز في مسار الطريق نحو سجلماسة، عبر مجال الرتب على واد زيز ذاته.

---

[58]- أبو حامد العربي بن عبد السلام الفركلي، **نسب الشرفاء**، م خ ح، ضمن مجوع، رقمه 4492، الورقة 63.

[59]- هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**" م خ ح، ضمن مجموع، رقمه 12495، الورقة 83.

[60]- البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص. 148.

[61]- ماك كوك، **الروايات التاريخية لتأسيس سجلماسة وغانة**، تعريب وتعليق الحمداوي محمد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1975م، هامش رقم 3، ص. 12.

[62]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 29.

[63]- Meunié, **Le Maroc saharien**, p. 220.

أمـــا الشـــريف الادريســـي (ت 559هـــ/1165م) فنجـــده بـــدوره يـــذكر بـــأن مدينـــة سجلماسة:«**مدينة كبيرة كثيرة العامر، وهي مقصد للوارد والصادر، كثيرة الخضر والجنات، متصلة رائقة الجهات ولا حصن عليها وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة على النهر**»[64]، من هذا النص يتبين أن المدينة خلال زمن الشريف الادريسي لم يعد لها سور، كما تحدث عن انتشار بعض الأبنية على امتداد واد زيز، وإن لم يعطينا حدا لتمدد البناء، وترك المجال مفتوحا لكل التأويلات.

قدم لنا صاحب كتاب الاستبصار في القرن السادس الهجري أيضا تعريفا لسجلماسة واصفا إياها ب«**مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبلييها ولا غربيها عمران** (...) **يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة وبينه وبين سجلماسة 5 أيام**»[65]. يجعلنا المؤلف من خلال كلامه هذا، نعتقد أنه لاوجود لأي مباني أو تجمعات سكانية خارج مدينة سجلماسة إبان هذه المرحلة، بتأكيده على غياب أي عمران؛ لا في غربي المدينة أو قبلييها، ويزيد في تأكيد ما ذكره أن سكان مدينة سجلماسة هم رحل من مسوفة أي تلك القبائل المتواجدة بالمنطقة قبل وصول القبائل العربية المعقلية في القرن 7هـ/ 13م، وأنه لم يكن لهم مكان يأوون إليه إلا درعة، فهل كلام صاحب الاستبصار هو بالإطلاق أم أنه كان يحيل على معنى مدن وعمارة كبرى؟ وأن ما يمكن أن يكون قائما من تجمعات سكنية صغيرة إن وجدت في محيط مدينة سجلماسة لا اعتبار له عنده، فضلا عن كونه تحدث عن غياب العمارة في غرب المدينة وقبليها ولم يحدثنا عن الوضع بالاتجاهين الآخرين.

ورغم أن ابن عذاري المراكشي(ت حوالي 695هـ/1296م) لم يعاصر دولة بني مدرار لكنه ذكر لنا معلومة قيمة غاية في الأهمية، عند حديثه عن أحد أمراء بني مدرار، أورد فيها ما يلي «**وفيها (224هـ/ 838م) قدّم أهل سجلماسة ميمون بن مدرار وأخرجوا أخاه فلما استقر الأمر لميمون أخرج أباه مدرار وأمه إلى بعض قرى سجلماسة**»[66]، تكمن أهمية هذه الإشارة رغم أنها تتحدث عن

---

[64]- الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة عالم الكتب، بيروت، 1989م، ط1، ص. 223.

[65]-مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص. 200.

[66]- المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ص. 243.

فترة سابقة على عهد المراكشي بحوالي 4 قرون، في كونها لمحت ومنذ وقت مبكر إلى وجود قرى تابعة لسجلماسة، لكنها خارجة عن مجالها، مما يعزز ما ذكرناه سابقا حول افتراض أن يكون الرتب بشكل خاص؛ قد شكل في عهد بني مدرار منطقة لنفي المغضوب عليهم من الدولة المدرارية، وإن غاب عند المراكشي تحديد اسم ومكان هذه القرى.

وبالبحث في ما ورد في رحلة "ابن بطوطة" باعتباره ممن زاروا سجلماسة سنة 752هـ/ 1351م، نجد كلامه مختصرا جدا عنها، فضلا عن غياب أي إشارات أو أوصاف عنده عن محيطها، لكن ما يشفع لابن بطوطة هو ما ذكره ابن جزي الذي كتب الرحلة، من أنه أهمل ما هو غير مفيد، وما فيه كثرة التفاصيل حسب رأيه، هذا الفعل حرمنا من معلومات كثيرة لا نستطيع تقدير حجمها ولا نعلم مضمونها، ومنها ما قد يتعلق بسجلماسة وإقليمها، خصوصا وأن ابن بطوطة أقام مدة معتبرة بسجلماسة امتدت من رمضان 752هـ/ 1251م إلى فاتح محرم 753هـ/ 1352م، أي لمدة أربعة أشهر وهو المعروف بتسجيل تفاصيل كثيرة وملاحظات دقيقة[67].

أما ابن خلدون (ت 809هـ /1406م) والذي اهتم أكثر من غيره بتاريخ المغرب، وكتب عن القبائل وتوزيعها وأماكن استقرارها، فلم نعثر كذلك عنده على ما يفيدنا بشكل صريح وواضح على وجود تسمية الرتب، أو معطيات ولو ضمنية عنه، على الرغم من أن ما يفصل بينه وبين الحسن الوزان الذي أورد تسمية الرتب وأشار إلى كثرة قصورها هو حوالي قرن من الزمان، فهل يمكن أن يدفعنا ذلك إلى تأطير ظهور أو بروز التسمية والمجال وتسميته إلى القرن 9هـ/ 15م. خاصة وأن بعض المصادر اللاحقة لم تحد عن سابقتها في طريقة الوصف والتعبير الخاص بمدينة سجلماسة ومحيطها.

يتكرر التعبير ذاته بغياب أي عمارة في غربي المدينة أو في جوانبها عند القلقشندي (ت821هـ/ 1418م)[68]، وكذا سراج الدين ابن الوردي (ت861هـ/ 1457م). فهذا الأخير عرف سجلماسة بكونها «**من المدن المشهورة، وهي واسعة الأقطار، عامرة الديار، رائعة البقاع، فائقة القرى**

---

[67]- ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ص. 686.

[68]- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، 1985م، ج5، ص. 163.

والضياع غزيرة الخيرات والبركات»[69]، لفت انتباهنا استخدامه عبارة **"فائقة القرى والضياع"**، مما قد يحيل على بناء عدد من القرى خارج مدينة سجلماسة وبمحيطها، خصوصا، وأن كلامه هذا جاء في المرحلة التي شهدت ضعف الدولة المرينية، وتعرض سجلماسة للتخريب الذي حدث في أواخر القرن8هـ/ 14م، وهو ما يتزامن أيضا مع تزايد الحديث عن وضع "الرُّتب/ الخيام" على امتداد الطرق التجارية، والتي غالبا ما تحولت في أوقات لاحقة إلى قرى سكنية بدل الوظيفة الأولى القائمة على استخلاص حقوق المرور بالمنطقة وحمايتها.

ثم جاء الحميري بعده (أتم تأليف كتابه عام 866هـ/ 1461م)، لكنه لم يزد شيئا عمن سبقه من خلال جمعه فيما كتبه، بين العبارات المذكورة سابقا في تعريف سجلماسة وفي غياب العمارة في قبليها ولا غربيها، لكنه أضاف عبارة ابن الوردي التي تؤكد على وجود قرى بالمجال، وإن كان المقصود عنده غالبا هو المجال القروي المحيط بها، وليس أبعد منها حيث قال «**وسجلماسة من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء، لا يعرف في قبليها ولا غربيها عمران** (...) **وهي كثيرة العامر مقصد للوارد والصادر، كثيرة الخضر والجنات، رائعة البقاع والجهات، وهي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر كثير الماء**»[70].

من كل ما سبق نستنتج أن مختلف المصادر سواء منها التي ترجع إلى الفترة القديمة أو العصر الوسيط، لم تقدم لنا دلائل وقرائن يمكن أن نعتمدها لتحديد تاريخ دقيق أو حتى تقريبي لإعمار منطقة الرتب، أو معلومات صريحة عن التسمية نفسها، وفترة وخلفيات ظهورها، ليبقى الأمر مفتوحا على التأويل والافتراض الذي يبدأ بإرجاع إعمار المنطقة بشكل واسع إلى الفترة المرينية، وتحديد القبائل العربية المعقلية كمكون رئيسي ومساهم أساسي في هذا الإعمار، والذي يرجح أنه انطلق قبل وصولهم، مما جعل تاريخ الرتب يرتبط بهم لمدة معينة قبل أن يرتبط لاحقا بقبيلة آيت عطا.

---

[69]- سراج الدين بن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق، أنور محمود زناتي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008م، ص. 53.

[70]- ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975م، ص. 305.

3- تعمير منطقة الرتب خلال العصر المريني.

يمكن اعتبار المرحلة التاريخية السابقة على الفترة الحديثة في تاريخ الرتب، انطلاقا مما رأيناه بالفترة الغامضة، لنقص معطياتنا الموثوقة والدقيقة عنها، كما يمكن اعتبارها أيضا مرحلة كان فيها مجال الرتب ضعيف التأثير في ما كانت تعرفه سجلماسة من تطورات وأحداث، بحكم قلة ساكنته وضعف إعماره حسب ما هو متوفر من معلومات، لكن تنامي التبادلات التجارية بين المغرب ومختلف مناطق إفريقيا الصحراوية إبان هذه المرحلة، جعل منه منطقة استراتيجية بحكم وقوعه على الطريق التجاري الصحراوي، لاسيما خلال الفترة الوسيطية وما بعدها. وبالتالي فإن نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث اعتبرت مرحلة فارقة في تاريخ الرتب، مرحلة تميزت بإعمار واسع له، من طرف القبائل العربية الواصلة إلى المغرب قادمة إليه من المشرق، فضلا عن بداية عثورنا على مصادر ووثائق ترتبط بتاريخ الرتب وبتطورات أوضاعه المختلفة.

وقبل الحديث عن الإعمار والاستقرار العربي بمنطقة الرتب، لابد في البداية من الإشارة إلى أن بلاد المغرب كانت قديما خالصة للأمازيغ، وأن العرب المسلمين الأوائل كانوا يأتون إليها كمجاهدين[71]، ثم يعودون إلى أوطانهم، ومن استقر منهم استوطن بالأمصار والمدن الكبرى وليس بالأرياف، ولهذا ظلت أعدادهم قليلة جدا به، وذلك حتى زمن السلطان يعقوب المنصور الموحدي الذي نقل بعض العناصر من القبائل العربية من إفريقية نحو المغرب الأقصى[72].

ودون الخوض في حيثيات وظروف انتقال هذه القبائل من المشرق إلى مناطق الغرب الاسلامي بدءا من المغرب الأدنى ووصولا إلى المغرب الأقصى[73]، نشير إلى كون مسألة البحث في جواز القبائل العربية، يرجع بنا إلى ما حصل من خلاف بين الخليفة الفاطمي المستنصر بالله خلال فترة حكمه (427هـ ـ 487هـ/ 1035م ـ 1094م)، ومعه وزيره أبا محمد بن علي اليازوري من

---

[71]- الناصري، **الاستقصا**، ج 2، ص ص. 145، 152.

[72]- الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص، 69./ الناصري، **الاستقصا**، ج 2، ص ص. 145، 152.

[73]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، أنظر ج6، للتوسع في موضوع هجرة القبائل العربية نحو الغرب الاسلامي.

جهة، والمعز بن باديس ـ حاكم إفريقية ما بين (406هـ ـ 453هـ/ 1015م ـ 1062م) تحت وصاية الفاطميين ـ من جهة أخرى، إذ استغل الوزير القبائل العربية(بنو هلال، بنو سليم، بنو رياح، بنو معقل...) التي كانت قد وصلت إلى ضفاف نهر النيل بأعداد ضخمة قادمة من الحجاز، فرارا من القحط والجفاف والجوع هناك، فسمح لهم بالعبور إلى إفريقية بأسرهم وقطعان ماشيتهم للانتقام من المعز، ليشرع هؤلاء في الاستيلاء على القرى والأراضي ومحاصرة المدن، وتذكر المصادر أنهم كانوا يتقارعون على البلاد ويوزعونها فيما بينهم، ثم انتشروا في أقطار إفريقيا مثل الجراد، لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه[74]. واستمر توسعهم شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى المغرب الأقصى، لكن الموجة الأولى الواصلة إليه من هؤلاء العرب خاصة من بني معقل كانت قليلة ولم تتجاوز المائتين[75]. استقر معظمهم بصحاري تافيلالت، لأنهم وجدوا فيها البيئة المناسبة لطبيعة عيشهم، فتكاثرت أعدادهم شيئا فشيئا، لتنطلق بعد ذلك الموجة الثانية من زحف هذه القبائل العربية المعقلية خلال القرن 7هـ /13م[76].

الأسئلة البديهية التي قد تطرح نفسها أمامنا هنا، هل وصول القبائل العربية في موجتها الثانية هذه إلى سجلماسة صاحبه في الوقت نفسه انتشار لمكوناتها القبلية في كل مناطق المجال خصوصا على امتداد واد زيز؟ وإذا كان الأمر كذلك على أي أساس؟ وكيف توزعت تلك القبائل داخل مناطق الإقليم؟ على الرغم من التباين الكبير بين مؤهلات المدينة العاصمة وباقي المناطق الأخرى. ثم ألم تكن حياة البداوة وحب الترحال وسكن الخيمة دافعا لبعض هذه القبائل للنفور من الاستقرار بالمدينة؟ وهذا ما يجعل المناطق المحيطة بسجلماسة مثل مجال الرتب المتوفر على موارد مائية مهمة مستقطبا لهم، ثم ألا يمكننا الذهاب إلى استئناس هذه القبائل مع مرور الزمن بالمنطقة، مما جعلهم يميلون للاستقرار وممارسة النشاط الزراعي على ضفتي واد زيز، تلاها تعمير كثير منهم

---

[74]- الناصري، **الاستقصا**، ج 2، ص. 148.

[75]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص. 77.

[76]- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار بالإسكندرية، ط1991م، ص. 231.

لتلك المناطق زمن حكم المرينيين على وجه الخصوص؟ وإذا افترضنا أن القبائل العربية الواصلة إلى سجلماسة استقرت بالمدينة أولا، وأن صراعاتها المتوالية لاحقا ستدفع بعض هذه القبائل إلى إعادة الانتشار خارج المدينة نحو محيطها القريب والبعيد، فما هي هذه الفروع القبلية التي خرجت من سجلماسة نحو محيطها ولماذا؟ ثم ما علاقة ذلك بمجالنا المدروس؟.

انطلاقا مما رأيناه في الفصل الأول حول التركيبة السكانية للرتب، والذي وقفنا فيه على أهم هذه المكونات تبين لنا أن العناصر العربية الواصلة إلى سجلماسة ومجالاتها من قبائل بني معقل، وهم ذوو عبيد الله، وذوو حسان، وذوو منصور، ومن جاء معهم ممن لا ينتسب إليهم[77]، استقرت أغلب مكونتها في البداية بمدينة سجلماسة وتوزعت فروعها داخل أحيائها المتناثرة، خلال العصر المريني.

لكن المنطقة بعد ذلك ستتأثر كثيرا بالمتغيرات التي حدثت منذ نهاية العصر الوسيط، لما عرفه النظام السياسي بالمغرب ككل وسجلماسة على وجه الخصوص من تغيرات أساسية، لاسيما إبان الحكم المريني وما أعقبه من تطورات كان أخطرها وأكثرها تأثيرا، التناحر الحاد بين هذه المكونات القبلية العربية المعقلية، التي أصبحت تسيطر على المجال[78]، بل وتحالفها أحيانا مع الإمارات المجاورة للمرينيين مثل بني عبد الواد الذين تحالفوا مع عرب الأحلاف من المنبات والعمارنة ضد عرب بني حسين، المدعومين من حكام المرينيين، رغم أنهم جميعا من عرب ذوي منصور المعقليين.

أشار ابن أبي زرع في هذا الإطار إلى محاصرة السلطان يعقوب المريني سنة 672هـ/1273م لمدينة سجلماسة، بعد مدة من سيطرة إيغمراسن بن زيان العبد الوادي عليها، والذي كان يرسل لها كل عام أحد أولاده لضبطها وضبط خراجها، بفضل تحالفه مع عرب المنبات، الذين كانوا خلال تلك المرحلة يسيطرون على المدينة، ثم نجاحه في فتحها وفتح جميع

[77]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص. 89.

[78]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 160.

أحوازها، وبعد ذلك قام يعقوب «**بتأمين سائر أهلها وعفا عنهم، ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم، وأصلح أحوالهم وبلادهم، وأقام بها حتى هدنها وسكن أحوازها وأوديتها، وقدم عماله وارتحل عنها راجعا على طريقه إلى مراكش** »[79]. هنا يتبين لنا بعض الأعمال التي قام بها يعقوب، والتي يمكن أن يكون لها ما بعدها، من خلال إشارته إلى أنه سكن أحوازها وأوديتها فعن أي أودية وأحواز يتحدث؟

يضاف إلى ما سبق ذكره عن رغبة المرينيين في السيطرة على سجلماسة وتوجههم لإعمارها، توالي خروج المدينة عن سيطرة الحكم المركزي المريني بفاس لفترات طويلة أحيانا، صاحبه محاولات مستمرة ومتكررة لاستعادتها من قبل المرينيين عبر القيام بعدد من الحملات والمحاصرات، مما كان له دور أساسي في تحجيم وتحطيم مدينة سجلماسة والتأثير على أدوارها، بعدما كانت المقصد الأساسي، والمجال الأكثر استقطابا وأهمية لمختلف الأنشطة الانتاجية والتجارية، وكذا الاستقرار البشري، ليس بالمجال وحسب بل في كل المغرب. وذلك عكس ما كان يهدف له المرينيون.

كل ذلك سينتج عنه نوع من التراجع المتمثل في الانتقال مما يشبه حياة المدنية بسجلماسة، القائمة على تجمع بشري كبير، اختلف المؤرخون في وصفه، وإن أجمعوا على عظمته، لتتحول إلى حياة البداوة في قصور منعزلة ومتحاربة في كثير من الأحيان، حول الماء والمرعى والزعامة بشكل أساسي، وهذا ما دفع البعض أيضا إلى التفكير في الانتقال نحو عالية واد زيز الشريان المائي الأساسي، الذي كانت سجلماسة وحياة أهلها تعتمد عليه كما يذهب إلى ذلك ابن أبي محلي، الذي ذكر أن بعض قصور الرتب نشأت قبيل انهيار مدينة سجلماسة[80]. مما يجعل بداية بروز منطقة الرتب على ساحة الأوضاع، وحضورها في بعض الأحداث التاريخية حسب هذا الرأي

[79]- ابن أبي زرع، **الذخير السنية**، ص. 139.

[80]- ابن أبي محلي، **الإصليت الخريت**، ص. 220.

ينطلق مع القرن 9هـ/15م، ليصبح واضحا بشكل أكبر خلال القرنين 10هـ و11هـ/ 16م و17م، أي خلال فترة الحكم السعدي والعلوي.

هذه المرحلة التي تلت التاريخ الوسيط وتزامنت مع الحكم المريني يمكن أن نطلق عليها مرحلة السيطرة العربية بالرتب، ففيها بدأ المجال بالبروز بفضل تزايد الاعمار، وتوالي وتداخل الأحداث به وبمحيطه، وإذا كانت المرحلة الأولى من بداية التاريخ الحديث تميزت بسيطرة القبائل العربية كما يذكر ذلك الوزان ومارمول[81]، مع توقفهما على بعض مؤشرات هذه السيطرة، وما تحمله من دلالات وتساؤلات حول طبيعتها وأدوارها وآثرها، خاصة في المرحلة التي لم يصبح لما تبقى من سجلماسة أي تأثير، فإن البعض يرجع التحول الذي حدث بالرتب إلى أهمية موقعه ودوره كأحد المحطات الرئيسية لمرور القوافل، وأن هذا الدور بدأ يتعاظم ويتزايد بعدما عرفت المنطقة تفرق كثير من القبائل والأسر على القصور التي تم اختطاطها أو قامت بتعميرها في تافيلالت الصغرى، وكذا في القصور المحاذية للمجاري المائية خاصة على امتداد واد زيز، والتي كانت في الحقيقة محطات على ممرات الطرق التجارية في الوقت نفسه.

وتقودنا المعطيات المتوصل إليها إلى استنتاجات، نخلص من خلالها إلى أن القبائل العربية المعقلية كان لها الدور الأبرز في تعمير الرتب وبناء قصوره، وإن كنا لا ننفي أن أقدم استيطان تلمح له بعض الإشارات المصدرية المختلفة يعود إلى الفترة السابقة على قدوم هذه القبائل. لكن دورهم تمثل في الانتشار الواسع لمختلف فروع ومكونات القبائل العربية بالرتب[82].

استطاعت العناصر العربية المقيمة بالرتب، الوصول إلى درجة كبيرة من القوة جعلتها تفرض إتاوات على قوافل المرور حسبما يذكره الوزان ومارمول، بل إن سجلماسة كانت هي نفسها تقدم إعانات أو إتاوات لهذه العناصر على اختلاف التوصيف الذي يقدمه كل منهما، وإن كانت كل

[81]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 2، ص. 123./ مارمول، **إفريقيا**، ج3، ص. 154.

[82]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 194,195.

تسمية تحمل من الدلالة ما يصعب الجزم بتقاربه بقدر ما يحيل على الاختلاف؛ فإتاوة[83] قد تدل على القوة والسطوة، عكس القول بالإعانة[84] التي قد تشير إلى الدعم والمساندة، أو حتى الشفقة، لكن المعطيات التي قدمها كل واحد منهما تدل على ارتباط الأمر بإتاوات، أو بتطور في طبيعة العلاقة بين قبائل الرتب العربية وسكان سجلماسة، خصوصا أننا لم نعد نتحدث عن سجلماسة كمدينة قوية، أو عاصمة لدولة قائمة الذات، كما كان الحال زمن المدراريين ومن لحقهم، أو حتى عاصمة لإقليم مستقل عن سلطة الدولة المركزية، كما كان في عهد الدولة المرينية، منذ عهد السلطان أبي سعيد عثمان (ت 731هـ/1331م) الذي منح ابنه أبا علي عمر[85] سلطة مطلقة بالإقليم توارثها بعده بعض أبنائه[86]، وإنما عن بقايا مدينة ومجموعة من القصور، تعددت الكتابات حول صراعاتها وخلافتها، الأمر الذي قد يذهب بنا إلى ربط الأمر بإتاوات وليس غير ذلك، خاصة بعد خراب المدينة[87]، وتعمير ضواحيها والمناطق التابعة لها، وبحاجة سكان المدينة إلى الحماية التي ربما تفسر منحهم أموال إلى قبائل أقوى في مقابل توفير الحماية والأمن.

كل ذلك يجعل قضية تعمير الرتب وزمنه من القضايا التي يصعب الحسم فيها، كما أن أقدم الإشارات التي ذكرت الرتب كمنطقة عامرة بالسكان، حسب ما أورده حافظي ترجع إلى نص ابن السكاك[88]، الذي يتحدث فيه عن قيام أحد الشرفاء بإرسال هبة إلى بعض الأشراف الآخرين

---

[83]- مارمول، **افريقيا**، ج1، ص. 108.

[84]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج1، ص. 45.

[85]- عرف به صاحب جذوة الاقتباس بالقول "**عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، كان بسجلماسة ولم يزل بها ملكا قائما بنفسه، غير مطيع لأبيه، إلى أن توفي والده عثمان، وولى بعده ابنه السلطان أبو الحسن بفاس، فارتحل إليه أخوه الحسن من فاس إلى سجلماسة فحاصره بها، وضيق عليه، فدخلها عليه عنوة في اليوم التاسع عشر لمحرم سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، فسيق إليه فلما مثل بين يديه وقد ناله الدهش من الموت قبل حافر فرس أخيه أبي الحسن وطلب منه العفو، فأمر بتكبيله وحمله معه إلى مدينة فاس مكبلا على بغل، فلما وصل إلى فاس اعتقله بعض الأيام ثم قتله بالفصد والخنق، وله سبع وثلاثون سنة، مولده سنة (696هـ/1296م)، وكانت دولته بالبلد الجديد أولا ستة أشهر، وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر**" ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص. 494.

[86]- ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، ص. 399.

[87]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص. 128.

[88]- أبو عبد الله بن السكاك المكناسي، **نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما وجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام**، م م و، رقم د383، ص. 121. هكذا وردت الإحالة عند حافظي في كتابه، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 126. لكننا لم نجد هذا النص في كتاب ابن السكاك المحقق.

بفاس قائلا «**وهب الشيخ الولي الصالح العابد الزاهد القطب الواضح ولي الله أبو العباس السيد أحمد الشريف بن السيد عبد الرحمان بن مولاي علي الشريف الحسني المومناني الغرفي على إخوانهم (كذا) وابن (كذا)، أعمامه الشرفاء القادمين من سجلماسة من الغرفة ومن أخنوس ومطغرة والرتب وأهل صوصو، يتولون في دار الحبس في حومة جرننيز تقابل السيد القيم نفعنا الله به أهابها عليهم إهابة تامة وذلك في أول رمضان المعظم عام اثنين وسبعين وتسعمائة**»[89]. لكن هذا النص يحمل من التناقض ما يجعل نسبته إلى ابن السكاك غير دقيقة، فهذا الأخير توفي سنة 818هـ/ 1415م، والنص يؤرخ للهبة المتحدث عنها لفائدة مجموعة من الشرفاء القادمين من مناطق مختلفة ومنها الرتب بسنة 972هـ/ 1565م، وبالتالي لا يمكن أن يكون ابن السكاك قد كتب عن أناس سيأتون بعده، وعلى افتراض وجود خطأ في كتابة التاريخ، فقد رجعنا إلى مخطوط بن السكاك بعد تحقيقه[90] فلم نجده يورد هذه الرسالة، مما يجعلنا نذهب إلى الاعتقاد بأن هذه الأخيرة ربما حشرت ضمن المخطوطة التي اعتمد عليها حافظي.

ويبدو أن نسبة حافظي النص خطأ إلى ابن السكاك جعله يذهب إلى القول بأن «**قصور الغرفة وأخنوس وصوصو ذكرت في نصوص تعود إلى فترة سابقة للفترة التي عاش فيها ابن السكاك، غير أن قصور مطغرة ـ التي هي مدغرة حاليا ـ وكذلك قصور الرتب ورد ذكرها لأول مرة في النص (نص ابن السكاك) ولا يعني ذلك أنها وليدة القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي لأن الرتب ومدغرة يمثلان المناطق الواقعة إلى الشمال من واحة**

---

[89]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 126.

[90]- أبو عبد الله بن السكاك المكناسي، **في كتابه نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام**، تحقيق محمد ناجي بن عمر، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2018م./ تحقيق آخر للمخطوط نفسه قامت به نزيهة المروني العلمي الأدريسي، د م ط/ ود ت ط.

تافيلالت وتيزيمي، وتحتل قصورهما موقعا ممتازا على ضفاف نهر زيز، يؤهلها لأن تكونا منطقة استقرار منذ زمن سابق للفترة المذكورة»[91].

ما ذكره حافظي في أخر النص يبقى صحيحا، حيث أن منطقتي مدغرة والرتب، لهما من المؤهلات ما يجعلهما يستقطبان كثيرا من الناس للاستقرار بهما، خاصة بعد الدمار الذي تعرضت له سجلماسة، لكن التاريخ الذي ذكره لورود تسمية الرتب، سواء الوارد في النص كأول إشارة يبطله ورود التسمية عند الوزان قبل ذلك منذ مطلع القرن10هـ/ 16م، أو اعتباره كأول إشارة بربطه بابن السكاك الذي عاش في آواخر القرن 8هـ/ 14م وبداية القرن 9هـ/ 15م، فقد أثبتنا عدم صحة نسبة النص إليه، وقد وقع البعض ممن كتبوا في تاريخ المنطقة في هذا الخطأ، واستندوا في جانب مما كتبوه عن تاريخ المنطقة على هذا النص[92].

ما هو ثابت لدينا أن الوزان عندما تحدث عن منطقة الرتب، عرفها بأنها منطقة ذات قصور كثيرة[93]، وهذا ما يثبت لدينا أن التعمير والإعمار يعودان إلى فترات سابقة على القرن10هـ/ 16م بكثير، لكن الذي يعنينا أكثر هو التوافق بين الوزان وبعده مارمول في تحديد المكونات البشرية القاطنة بالمنطقة، حيث أجمعا على سيطرة عرب الأحلاف من المنابهة والعمارنة على هذا المجال[94]. وبالرجوع إلى ما ذكره ابن خلدون الذي عاش خلال القرن8هـ/ 14م نجده يوطن هذه القبائل بسجلماسة[95]، وهذا يعني أنها وعلى بعد حوالي قرن وجدت بمنطقة الرتب، مما يحتم ضرورة فهم هذا الانتقال والتحول خلال هذه الفترة التي توافق القرن 9هـ/15م.

أرجع كثير من الباحثين تحركات فروع القبائل المعقلية في مجال سجلماسة إلى الصراع بينها حول الموارد المائية أساسا، مما جعلها تتحرك من مجال استقرارها بسجلماسة نحو الشمال باتجاه

---

[91]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 127.

[92]- الهاشمي، **قصر الدويرة أضواء على التاريخ والثقافة والتراث**، ص ص. 23، 24 .

[93]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 2، ص ص. 124، 123.

[94]- مارمول، **إفريقيا**، ج 3، ص ص، 108، 155./ الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ص ص. 54، 55./ ج2، ص. 123.

[95]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج7، ص. 87.

مجرى واد زيز، ولهذا استقر أولاد حسين أحد فروع ذوي منصور العربية أولا بعرب الصباح/تيزيمي في المجال الفاصل بين تافيلالت الصغرى ومجال الرتب، وبالتالي أصبح عرب أولاد حسين يتحكمون في الموارد المائية المتجهة نحو السافلة، مما أثر بشكل كبير على من تبقى من الأعراب بسجلماسة ـ وهم الأحلاف والعمارنة إبان تلك المرحلة ـ وانعكس عليهم سلبا بعد أن أدى ذلك إلى تراجع خطير في الإنتاج الفلاحي، ونقص حاد في الموارد المائية الضرورية، فلم يكن أمام هؤلاء إلا التفكير في الصعود أكثر نحو عالية زيز، أعلى منطقة تيزيمي باتجاه الشمال، وبالضبط نحو مجال الرتب، حتى يتسنى لهم التحكم بالموارد المائية لواد زيز، قبل وصولها إلى إخوتهم الأعداء عرب أولاد حسين بتيزيمي، وليكون ذلك عاملا من العوامل التي ساهمت في تعمير المنطقة وزيادة ساكنتها[96]، دون إغفال دور التحالفات التي كانت تعقدها القبائل العربية مع الأمراء المرينيين، خصوصا في فترات الصراع على الحكم بين أمراء هذا البيت، مما جعلهم يعتمدون على هذه القبائل العربية التي لم تدخر جهدا بدورها لاستغلال الأوضاع من أجل تصفية حساباتها الداخلية مما سيؤدي إلى تدمير مدينة سجلماسة نفسها[97].

وردت قضية محاولة تحكم القبائل في الموارد المائية، بشكل ضمني عند ابن أبي محلي[98]، الذي يمكن اعتباره من أهم المصادر التي تطرقت إلى قضية تأسيس بعض قصور الرتب بشكل مباشر، وجاء كلامه عنها في تساؤله حول حق أهل سجلماسة في مقاسمة ومشاركة أهل الرتب في ما يحصلون عليه من خيرات نتيجة استغلالهم لمياه واد زيز، على اعتبار أن سجلماسة أسبق من قرى الرتب، وأن إنشاء هذه القصور على واد زيز شمال مدينة سجلماسة وقيامهم بتغوير مائها أضر كثيرا بالمدينة وأهلها وكذا أنشطتهم الفلاحية، بل ذهب به الأمر إلى اعتبار إنشاء قصور الرتب من عوامل هدم مدينة سجلماسة، حيث قال «**فانظر ماحكم الله تعالى فيما أحدثه أهل**

---

[96]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 310، 311.

[97]- الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص. 128.

[98]- ابن أبي محلي، **أصليت الخريت**، ص. 220.

الرتب المذكورين على مائها (سجلماسة) الأعلى، حتى جف عنها ومات بسببه ذكر محاسنها القديمة، وهل يشاركون في غلة ما غرسوه أو بذروه أو يستبدون به؟ وهل يقرون ذلك ولان ضر بالأصل السابق للوجود وهو سجلماسة المدينة أو ينحون عن مكانهم وإن كان فيه فساد ما أصلحوه من أرضهم" واستثنى من ذلك ما سماه القرية القديمة إِمَصْكِي[99]. بكسر الهمزة وفتح الميم وسكون الصاد وكسر الكاف بعدها تحتية مثناة ساكنة (تعرف اليوم بمسكي) التي اعتبرها سابقة حتى على سجلماسة»[100].

وكثيرا ما أثارت قضية أيهما أسبق هل القصور أم سجلماسة؟ نقاشا واسعا بين الباحثين، وهذا ما يدفعنا إلى افتراض أن مرحلة مدينة سجلماسة هي نفسها ربما كانت مرحلة انتقالية، انتقلت فيها مجموعة من القصور أو المباني المتفرقة السابقة، والتي سميت "مدن" مثل زيز وترغة ودرعة وغيرها إلى مدينة جامعة وموحدة، بعدما كانت مشتتة وغير قابلة للحياة، في ظل المتغيرات الناتجة عن الصراعات القبلية، واستمرار الزحف والاكتساح القبلي، وحائلة دون السماح لها بإنتاج دولة، هذه المدينة الوليدة استلهمت فلسفة بنائها من بعض أفكار أولئك القادمين من الشرق الذي كانو سَبَّاقين في تشييد مجموعة من المدن الاسلامية، مثل الفسطاط والقيروان وغيرهما، لتظهر مدينة سجلماسة على ذلك المنوال، مما جعل بعض المؤرخين مثل ابن حوقل يشبهونها بمدينة الكوفة التي بالعراق[101]، المركز والمنطلق الأساسي لعدد من الخوارج الذين انتمى إليهم بعض من مؤسسي المدينة حسب المؤرخين، لكن هذه الأخيرة عادت بعد ذلك في القرن 8هـ/14م إلى

---

[99]- عرفها ابن أبي محلي كما يلي: **القرية القديمة ونحوها وهي إِمَصْكِي، قالوا كانت على عهد بنيان إرم ذات العماد، وأنه أعطى أهلها فيما نابها بين أهلها الدنيا جرة ذهب والله أعلم بغيبه. قلت ومن المحن الخاصة بهذه البلدة الغريبة، أن أصولها كلها قومت على أربابها من قبل سلاطينها، فهم يؤدون لذلك في كل سنة خراجا معلوما إلى عمالهم على النخيل وما تنبت الأرض، وبعد ذلك كل ما زرعوه في الأصول المذكورة أو خارج البلد وإن سبقوه بسيل المطر، فإن المخزن يأخذ نصفه بمجرد الماء الذي لله تعالى وحده وليس له مع أهلها أصل ولا فصل في زرع ولا نخل، وهذه بلية نزلت بها دون غيرها من أرض المغرب التي بمثابتها وإلى الله المشتكى مما طال منه البكا،** ابن أبي محلي، **الاصليت الخريت**، ص. 222.

[100]- نفسه.

[101]- ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص. 90.

سابق عهدها، وتراجعت شيئا فشيئا، إلى أن دمرت وتشتت أهلها في مناطق مختلفة، ناقلين معهم عددا من خصائص العمارة السجلماسية على غرار ما وجدناه بالرتب.

لكن الذي يهمنا من هذا الاستطراد، هو البحث في تساؤل ابن محلي عن حق أهل سجلماسة في مشاركة قصور الرتب في ما تجنيه من محاصل، أو إجبار أهلها على مغادرة قصورهم المحدثة على واد زيز، لكنه استثناء "المدينة القديمة" المسماة "إمصكي" التي تعتبر الحد الشمالي لقصور ومجال الرتب، من هذا الاقتراح دون سواها.

يضعنا هذا الاستثناء أمام افتراضات، منها أن المجال فعلا كان خاليا من أي قرى أو قصور حقيقية قبل ذلك، أو أن عددها كان محدودا، ثم لماذا يطرح ابن أبي محلي هذه القضية مع نهاية القرن 16م وبداية 17م؟ مع علمنا أن الوزان ومارمول على بعد أقل من قرن من زمن ابن أبي محلي تحدثا عن الرتب، وأشارا إلى قصوره المتعددة وساكنته المتنوعة.

يدفعنا ذلك إلى افتراض أن الأمر تعلق بقرى جديدة وليس كل القرى بالمجال الرتبي، أو بمشاكل كانت تعاني منها قصور السافلة بتافيلالت الصغرى نتيجة الجفاف، عكس استفادة القصور المحدثة بالرتب، من مياه عين مسكي ووادي أوفوس بحكم موقعها في العالية مقارنة مع قصور سجلماسة المدينة. يضاف إلى ما ذكرنا أنه وبالاعتماد على رسائل الرندي[102]، وما ذكره كل من ابن مرزوق[103]، زمن المرينيين وابن القاضي زمن السعديين[104]. فإننا يمكننا الذهاب إلى أن

[102]– الرندي، **رسائل سياسية غير منشورة**، ص. 503.

[103]– ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، ص. 429.

[104]– ابن القاضي، **المنتقى المقصور**، ج2، ص ص. 827، 828.

ما أطلقوا عليه بالرُّتب التي كانت تُنْشأُ بالمنطقة كانت في حقيقتها هي أصل كثير من القرى التي سيتم إنشاؤها لاحقا، لاسيما بعد احتدام الصراع بين مكونات قبائل بني معقل، مما جعلهم يتنافسون في السيطرة على الموارد المائية.

ونظرا لموقع منطقة الرتب شمال مدينة سجلماسة، فذلك كان يعني أن من انتقل أو استقر به أصبح يسيطر على الشريان المائي الذي يروي تافيلالت، وبالتالي امتلك سلاحا طبيعيا حقيقيا يمكن أن يستعمل ضد الخصوم، وهذا ما يمكن أن يفسر تزايد التعمير بالمجال مع نهاية عهد سجلماسة المدينة، هذه العملية على ما يبدو لم تستغرق أكثر من قرن فما بين إشارة الرندي لإنشاء الرُّتَب في النصف الثاني من القرن8هـ/ 14م[105]، وبين حديث الوزان مع مطلع القرن10هـ/ 16م، يتبين أن مجال الرتب عاد آهلا بالسكان، مما يعني ضمنيا أن القرن9هـ/ 15م، هو الذي تنامت وتزايدت فيها قصور الرتب على الأرجح، وقد حاولنا استقصاء أي إشارات في كتب الرّحالة والمؤرخين الذين زاروا المنطقة، خاصة ابن خلدون أو ابن بطوطة أو غيرهما، لكننا لم نجدهم يتحدثون سوى عن سجلماسة المدينة، عكس ما سيقوم به الوزان لاحقا بعد أن قدم لنا معلومات مهمة عن الرتب مع مطلع القرن 10هـ/16م.

نستنتج من كل ما سبق أن مرحلة الدولة المرينية وما صاحبها من تحركات قبلية، كانت هي مرحلة ظهور وبروز منطقة الرتب بشكل جلي وواضح، بعدما بدأ دورها يتزايد في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أيضا.

---

[105] – الرندي، **رسائل سياسية غير منشورة**، ص. 503.

4 – وصول قبائل بني معقل وتأثيرهم على منطقة الرتب.

بسطت القبائل العربية المعقلية خاصة من الأحلاف والمكونة من فرعين رئيسيين هما المنبات (المنابهة) والعمارنة سيطرتها ولغتها وثقافتها على منطقة الرتب، وذلك إلى حدود زمن السيطرة العطاوية التي أنهت كثير مما طبعت به هذه القبائل العربية مجال الرتب، وتبعا لكل هذا يمكن تقسيم المراحل الكبرى التي مر منها هذا الأخير؛ تبعا لهذه المتغيرات التي عرفها إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

- مرحلة سيطرة القبائل العربية المعقلية: من القرن 15م إلى القرن 17م.
- مرحلة تصاعد نفوذ الشرفاء: من القرن 17م إلى القرن 19م.
- مرحلة السيطرة العطاوية: ابتداء من القرن 19م.

رغم أن لكل مرحلة من المراحل الثلاث خصوصيات مميزة، وأنها تزامنت مع حكم دول مختلفة، أولت جميعها أهمية كبرى لمنطقة سجلماسة عموما، لكن كل مرحلة تركت بصماتها الواضحة على مجموعات من الميادين، ولازالت آثارها حاضرة في عدد من قصور المنطقة، لكننا سنقتصر في هذا المحور على إبراز تأثير سيطرة تلك القبائل العربية على مجال الرتب، وكذا علاقات هذا الأخير بالسلط المركزية المختلفة، وبسلطة عاصمة إقليم سجلماسة.

نبدأ أولا من اللغة، معلوم أن مناطق سجلماسة كانت عامرة بقبائل زناتة، والسود، واليهود مما جعل اللغة الزناتية هي الأكثر تداولا وهي لسان حال معظم الساكنة، لكن الزحف العربي سواء الأول أو الثاني، كلاهما تركا بصمات واضحة في حياة المغرب والمغاربة، لاسيما الزحف الثاني الذي كان دوره بارزا في ترسيخ اللغة العربية في عدد من المناطق[106]، غير أن التأثير في البداية كان عميقا في المدن والحواضر الكبرى، أما الأرياف فقد ظلت نسبيا في منأى عن التأثير الكبير للقبائل

[106]– ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج1، ص. 411.

العربية، خصوصا في موجتها الأولى، والتي اكتست أساسا طابعا حربيا، عكس المرحلة الثانية التي غلب عليها الطابع السلمي كما حدث في عهد الموحدين[107]. وكان طبيعيا أن تتأثر منطقة الرتب بعد وصول القبائل العربية الهلالية ثم المعقلية إلى سجلماسة، وانتشارها لاحقا في كل الإقليم، هكذا وصل هؤلاء العرب إلى الرتب وفرضوا سيطرتهم ولغتهم عليه[108]، سواء أوجدوا بهذا المجال ساكنة قبلهم، أو هم من أسس تلك القصور أو بعضها، غير أنهم ساهموا بلا شك في ترسيخ التقاليد العربية واللغة كذلك[109]، لكن هذه القبائل نفسها قد تأثرت بعد وصولها إلى سجلماسة والمناطق التابعة لها تأثرا كبيرا، أدى تدريجيا إلى تحولها من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار.

أثر هذا التحول تدريجيا في كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية الخاصة بهذه القبائل العربية، وكذا في عادتها وتقاليدها، خاصة بعد أن اختلطت بعناصر أخرى وافدة من مناطق مختلفة[110]. كما أن تراجع الدور التجاري للمنطقة بعد اكتشاف الطرق التجارية الجديدة، أضر بالسكان نتيجة اعتماد بعضهم على هذا النشاط كمورد مالي رئيسي لهم، من خلال أعمال خفر القوافل أو ما يسمى "بالزطاطة"[111]، مرفوقا أحيانا بأعمال الابتزاز، من خلال فرض الإتاوات على القوافل المارة بالمنطقة أو نهبها أحيانا، مما قادهم تدريجيا للتحول نحو النشاط الزراعي، مستغلين ما تزخر به منطقة الرتب من خيرات مائية مهمة وأراضي فلاحية كانت رغم ضيقها غنية بفضل ترسبات واد زيز بهذه المنطقة على امتداد قرون توالت فيها الفيضانات النهرية.

---

[107]- عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق بيروت، ط1، 1983م، ص. 93.

[108]- المهداوي والصادقي، **الزاوية الصادقية**، ص. 7.

[109]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 194,195.

[110]- محمود، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص. 289.

[111]- **الزطاط**: يعني في الأمازيغية المؤمن واستعمل اللفظ اسما للشخص القوي المسلح الواثق بنفسه الذي يؤمن المسافرين والقوافل وأمتعتهم في الطرق بين المدن والقرى وعبر القبائل، مقابل أجرة معينة ويصاغ منه اسم الحرفة الزطاطة " تازطاط" كما تستخلص مبالغ مالية من المسافرين بهذا الاسم " تازطاطت" أفا، **مسالة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر**، ص ص. 404، 480.

يمكن رصد تأثير القبائل العربية في الرتب أيضا من خلال بعض المسميات الخاصة بكثير من القصور، فبالرجوع إلى أسماء كثير منها، نجد الاسم العربي حاضرا بقوة في تسمية كثير من القصور والغابات والشعاب وغيرها داخل المجالات الرتبية، رغم ما أحدثه لاحقا استقرار العطاويين بالرتب من تغيير في المسميات، أو تحريف لها، مع تنامي وطغيان استعمال اللغة أو اللهجة العطاوية. فكثير من القصور الرتبية احتفظت بتسميتها حتى بعد أن استوطنها أولا الأشراف وشكلوا غالبيتها[112]. وقد تجلت سيطرة قبائل المعقل بالرتب في منح تسميات فروع قبائلهم أو أجدادهم لبعض القصور التي سكنوها مثل بلاغمة، جرامنة، البطاطحة، أولاد عميرة(...)[113].

وإذا كانت المناطق المجاورة للرتب مثل عرب الصباح/تيزيمي والجرف وتافيلالت الصغرى المتميزة بكثرة قصورها، تنسب تسمياتها في الغالب إلى أعلام بشرية، يمكن رصدها من خلال تتبعها والبحث فيها، وبالتالي إثبات مرجعيتها العربية وانتمائها القبلي بكل سهولة[114]، لكن قصور الرتب ورغم احتفاظ بعضها بالأسماء العربية بفضل احتفاظ الساكنة التي ظلت مستقرة بالمنطقة عليها، إلا أن البعض الآخر منها فقد تسمياته القديمة مثل قصر "تاخيامت" سابقا "بني احسن"[115]، أو حرفت تسميته مثل آيت عميرة (سابق أولاد عميرة)، أو ظلت أقل استعمالا مثل زاوية أوفوس، (سابقا زاوية مولاي عمر بنهاشم)، نظرا لسيطرة القبائل العطاوية، وبروز تأثيرها الواضح على المجال كما سنرى في المحور الخاص بهذه الأخيرة وبسيطرتها على الرتب.

في هذا الإطار ترصد لنا بعض المصادر والدراسات التاريخية (الضعيف، القادري، الزياني وغيرهم) تسميات عربية مشابهة لما نجده بالرتب في مدن ومناطق أخرى، على غرار تسمية

---

[112]– أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 74.

[113]– البحث في أصل هذه التسميات يقودنا إلى مرجعيتها العربية، حيث نجدها تصل إلى إحدى الفروع المنتمية لقبائل بني معقل العربية.

[114]– أغلب القصور تبدأ بتسمية أولاد ومعظمها تتبع بأسماء أعلام عربية مثلا في تيزيمي نجد أولاد علي، أولاد عبد النبي ، أولاد معط الله، أولاد عقبة، مولاي ابراهيم، أولاد بحر، أولاد بوزيان...)

[115]– **بني احسن**: قبيلة كان لها انتشار واسع بمجال الرتب ومدغرة، فقد ذكر صاحب **فتح القدوس** أن عبد الهادي بن عبد الله بن طاهر، اشترى أرض قصر أولاد الحاج (كان سابقا قصر من قصور جماعة مدغرة المتاخمة لمجال الرتب شمالا، وهو اليوم بعد توسعه حي من الأحياء الكبرى بمدينة الرشيدية) من هذه القبيلة قبل رحيلها نحو الغرب، مولاي علي بن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 20.

البلاغمة والمعاركة وبني حسن، مما يحيلنا على افتراض وجود هجرة أو نزوح أو تهجير للسكان، صاحبه نقل بعض المسميات الخاصة بالرتب إلى مناطق أخرى، مع إمكانية وجود انتماء قبلي مشترك، وعند التدقيق في بعض المصادر، نجد أن هذه التسميات لها مرجعية وأسس تفسر وجودها في منطقتين متباعدتين جغرافيا أو أكثر. فتسمية البلاغمة مثلا والتي هي تسمية لأحد قصور الرتب الأسفل، نجد شبيها لها في فاس.

الأمر نفسه بالنسبة للمعاركة التي هي تسمية لأحد قصور الرتب الأسفل، لكنها في الوقت نفسه تسمية لحي سكني بمكناس، ولعل تفسير هذا التشابه يعود إلى عمليات استقدام بعض الفئات المنتمية لتافيلالت عموما، والرتب على وجه الخصوص؛ من قبل السلاطين إلى المدن الكبرى بالمغرب، مثل فاس ومكناس والرباط وغيرها، إما لأسباب أمنية، أو لأهداف عسكرية[116]. وإقطاعهم أراضي وممتلكات بتلك المناطق حملت أسماءهم مع مرور الزمن. ومن الأدلة على ذلك ما تحمله لنا بعض الأمثلة الشعبية التي يصعب على السكان الذين يتداولونها فهم معانيها، ومنها المثال الذي يقول «**امْشَاوْ بْنِي عَرْ أُو جَاوْ بْنِي حْسَنْ**» أو كما يقول البعض الآخر «**امْشَاوْ بْنِي حْسَنْ أو جَاوْ بْنِي عَرْ**»[117]، فهذا المثال يشير لنا إلى انتشار قبيلة بني احسن بالمجال سواء بمدغرة أو الرتب، قبل أن تَنْتَقِلَ أو تُنْقَلَ لاحقا إلى مواطن أخرى، مثلما حدث في عهد المرينيين الذين شجعوا قبائل بني احسن على الهجرة من مواطنهم بوادي زيز إلى الشمال، وكلفوهم بحفظ الأمن في الأطلس وجمع جبايات المنطقة الممتدة من تافيلالت إلى تادلة[118]. وأما تسمية "بْنِي عَرْ" فلم نستطع تحديد مرجعيتها وخلفيتها. هل هي تسمية لقبيلة؟ أم هي أحد النعوت القدحية؟.

نستطيع من المثال السابق أن نستشف جانبا من العلاقة التي ربطت بين الرتب والسلطة المركزية للدول المتعاقبة خاصة المرينيين والوطاسيين والسعديين، ومع ذلك يصعب علينا رصد

---

[116]– الناصري، **الاستقصا**، ج7، ص ص. 50، 51.

[117]– عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج 1، ص. 303.

[118]– محمد بن العياشي المكناسي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**، تحقيق ودراسة أحمد قدور، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013م صفحات، 69، 70، 71،72.

وتحديد وتتبع تطور هذه العلاقة، خاصة عندما تفقد هذه السلطة السيطرة على سجلماسة المركز التجاري الهام بالجنوب الشرقي، وهنا لا نستطيع تجميع معلومات كافية عن علاقة المرينيين والسعديين بالرتب، وإن كنا نجد في المصادر التاريخية حضورا قويا لسجلماسة في الأحداث التي عرفتها الدولة السعدية، وكذا في التوجه التجاري البارز الذي قام به المنصور السعدي لإحياء الطرق التجارية الصحراوية، بعد الاضمحلال الذي لحقها أواخر العهدين المريني والوطاسي نتيجة عوامل عديدة، لم يكن أقلها تحول طرق التجارة نحو المحيط الأطلسي، بعد نجاح الإيبيريين في الوصول إلى أماكن التزود بكثير من المواد الطبيعية والعبيد، التي كانوا لا يحصلون عليه سابقا بشكل مباشر، بل عن طريق المسلمين.

كل ذلك يجعلنا نفترض ضمنيا أن بروز تطور في العلاقات بين الرتب وسجلماسة يرجع أساسا إلى المرحلة التي تزامنت مع ضعف ثم انهيار المدينة، والذي تلاه بداية تزايد تعمير منطقة الرتب وغيرها من المناطق المجاورة لها. لاسيما أن العناصر العربية المعقلية التي كانت تستوطن سجلماسة، هي نفسها التي نجدها استوطنت مجال الرتب، وبالتالي فمن الطبيعي أن تبقى علاقتها متواصلة مع باقي السكان هناك، خصوصا وأن المدينة وإن تأثر عمرانها وفقدت كثير من مميزاتها، غير أن أهميتها الاقتصادية والتجارية ظلت كبيرة ومستمرة مما جعلها أهم مورد مالي للدول المتعاقبة خاصة في عهد الدولة المرينية[119].

تستوقفنا أيضا بخصوص تلك التحركات التي كان يعرفها المجال قضية مهمة، تتعلق بالبحث في الوضع الذي كان عليه مجال الرتب خلال هذه المرحلة، إذ كثيرا ما تعرضت مدينة سجلماسة للحصار من مختلف الدول المتعاقبة، وكذا ملوك وسلاطين أو أمراء الدولة الواحدة أثناء نزاعهم وخاصة في العهد المريني[120]. وكل ذلك يجعلنا نضع مجموعة كبيرة من التساؤلات التي تبقى الإجابة

---

[119]- Massignon, **Le Maroc dans les premières années du XVI siècle**, p. 180.

[120]- ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، ذكر ابن زرع أن الخليفة السعيد حاصرها ثم دخلها لما تمرد عليه عامله بها عبد الله بن أبي زكرياء سنة 644هـ/1246م (ص، 68)، كما ذكر ما قام به الأمير أبو بكر بن عبد الحق من إجراءات وتدخلات عدة بسجلماسة سنة 655هـ/ 1257م (ص. 83) ووقف على تمرد القطراني بها مدة سنتي، وما استوجبه ذلك من محاربة الخليفة المرينية له قبل محاصرته وقتله سنة 658هـ/1260م. (ص. 95) كما وقف مطولا عند محاصرة السلطان يعقوب لمدينة سجلماسة سنة 673هـ/ 1275م(ص. 139).

عنها مجرد افتراضات وترجيحات في ظل غياب وثائق يمكن أن تزيل اللبس عنها، ومنها كيف كان مجال الرتب وساكنته يتعاطون مع محاصرة المدينة؟ هل كانوا من القلة بحيث لا يظهر لهم أي أثر؟ أم أنهم كانوا يميلون مع كل متغلب؟ وهل كانوا يهربون بعيدا عن مجالهم عند كل غزو للمدينة؟ أم أنهم كانوا يسارعون الخطى إلى المدينة قبل حصارها والوقوف إلى جانب حكامها، ليكون ذلك ضمان لهم من أي عقاب في حال ما إذا فشل الحصار واتُّهِمُوا بالتقاعس أو التآمر؟ أم أن انعزالهم بعيدا شيئا ما عن سجلماسة، كان مبَرَّرا ومفهوما لكل ما قد يُلاَقُونه، وأنهم كانوا يُعْذَرون لما يفرضه عليهم موقعهم؟ كما نتساءل أيضا ونحن نقرأ في بعض المصادر التاريخية عن طول الفترة الزمنية التي كانت تحاصر فيها سجلماسة أحيانا، خصوصا أن بعض المصادر أشارت إلى مرابطة المحاصِرين في أحواز سجلماسة شهورا عدة[121]، أو لم يكن الرتب جزءا من هذه الأحواز المقصودة، التي يمكن أن توفر للمهاجمين نوعا من الأمان، خشية أي مباغتة من خارج محيط المدينة المحاصرة؟ ثم ما الأدوار التي كان يقوم بها الرتب في عملية التموين. ألم يكن أحد المونين للمحاصِرين بحاجياتهم من المواد الضرورية؟ وبالتالي فإن الرتب وأهله كانوا يعوضون خسائرهم الناتجة عن المحاصرة، وانقطاع أو تراجع قدوم القوافل في فترة حصار مدينة سجلماسة، ببيع بعض المنتوجات لهؤلاء المحاصِرين؟ ثم ألم يكن تضرر الرتب بما كانت تعرفه سجلماسة عظيما جراء هذا الوضع؟ وكيف نفسر أن بعض القبائل المعقلية التي فقدت مكانتها في سجلماسة هي التي استوطنت الرتب؟ هل كان ذلك يتم بشكل منهجي ومدروس للضغط على المدينة والعودة إليها؟ أم أن الإقامة هنا كانت نتيجة الضرورة والإبعاد، الذي ترصد لنا بعض الروايات وجوده بالرتب، وتفسر من خلاله الاستقرار البشري لبعض السكان؟

رصد تطور العلاقات بين الرتب وسجلماسة إذن، يجعلنا نتجه توجهين رئيسيين بين القول بالتبعية المطلقة، أو القول بوجود استقلال عن المدينة، على غرار ما كان عليه الحال بمدغرة، فإذا

[121]– ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، ص. 139.

نحن عدنا إلى رحلة أبي سليم العياشي مثلا، نجده يتحدث عن سيد المنطقة أو رئيس القوم بالرتب، حتى في زمن سيادة الدولة العلوية مما يحيلنا على معنى القوة والسيادة الذاتية والخصوصية[122]. وإن كان ذلك لا يعني استقلالا عن الدولة بشكل كلي ودائم، ولكنه يعطينا معنى الاستقلال عن سلطة عاصمة الإقليم على الأقل، والتي لم يعد لها تأثير قوي زمن أبي سليم العياشي.

أما خلال العصر السعدي، ومن خلال مطالعة بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة له، نسجل شبه غياب لذكر الرتب، مما دفعنا ضمنيا في البداية إلى تأويل ذلك بغياب أي تأثير أو نشاط لهذا المجال، إبان هذه المرحلة، لكن بالرجوع إلى بعض المخطوطات وجدنا حديثا عن الشرفاء الذين سجنوا بمراكش من أهل تافيلالت زمن أحمد المنصور، والبالغ عددهم 40 رجلا عالما، وهناك مات بعضهم. مما جعل البعض يرجع سبب خراب ملك السعديين وقتل بعضهم بعضا، حتى لم يبق في الغالب بدار الملك بمراكش منهم سوى النساء، بما تعرض له أولئك الشرفاء بسجن المنصور، وقد كان منهم مولاي عبد الواحد بن طاهر، هذا الأخير استوطن نسله بالقصر الجديد بالرتب الأوسط منذ ذلك الوقت، ومن ذريته السيد الشريف محمد بن عبد الواحد بن طاهر كان عالما عاملا، ذو أذكار له دين وصحة ويقين تصوف له تلاميذ من الرجال والنساء وبه يحلفون أهل قصر الجديد بالرتب في الحقوق المالية وغيرها[123].

ورغم قلة المعلومات عن الرتب زمن السعديين، غير أنه استفاد من مرور كل من الوزان ومارمول به[124]، هذين الرجلين أماطا إلى حد ما اللثام عن بعض المعطيات المهمة، سواء الطبيعية أو البشرية أو الاقتصادية أو السياسية وغيرها، مما ساعدنا كثيرا في الوقوف على أبرز ما تميز به الرتب زمن الدولة السعدية، ومن بينها ما كان للقبائل العربية التي كانت تستوطنه إلى جانب عناصر أخرى من قوة وسطوة، وهو ما عكسته أيضا الروايات الشفهية، حيث مازالت تحتفظ لنا بمثال

---

[122]- العياشي، **الرحلة العياشية**، ج1، ص. 71.

[123]- ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 6.

[124]- أنظر تفاصيل ذلك عند الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 2، ص ص. 123 ـ 124./ مارمول ، **إفريقيا**، ج 3، ص. 154.

شعبي يقول، «**لَوْلاَ المَنْبَاتْ مَا يْقَدْ حَدْ يْبَاتْ**» أي لولا وجود عرب المنبات لما استطاع أحد أن يبيت ليلته آمنا[125]، مما يدل على أن غياب ذكر الرتب في مصادر العصر السعدي المغربية، إنما هو ناتج بالأساس عن غياب مؤرخين أو رحالة أولو المنطقة اهتماما على غرار المؤرخين السابقين.

يمكننا الذهاب أيضا إلى أن السعديين استطاعوا أن يبسطوا سيادتهم وسطوتهم على مختلف القبائل بمجال سجلماسة، بل حتى في فترة ضعف الدولة كانت مجالات هذه الأخيرة محط صراع متواصل بين أبناء المنصور[126]، ويبدو أن الرتبيين لم يعد بإمكانهم التحكم في المحور التجاري الرابط بين فاس وسجلماسة وبين هذه الأخيرة ومناطق السودان، مما يبرز نوعا من التراجع في قوة القبائل العربية التي كانت هناك، خاصة في عصر المنصور، الذي أقام بدوره رُتَبا لحماية الطرق التجارية من النهب والسلب الذي كانت تقوم به بعض القبائل هناك[127].

استمر هذا الوضع المتسم بتراجع قوة القبائل العربية بالرتب إلى حين بداية ظهور الدولة العلوية، وهو ما قد يعكسه مثل رائج على لسان بعض شيوخ مدغرة والرتب في ما قالته بنت لأمها ومما جاء فيه « **أَمَّا دَارْنَا جْدِيدَة وْالْوَادْ حْدَاهَا، أَمَّا دَازُوا لْعَرْبْ وَلَا ذَاقُوا مَاهَا، أَمَّا هَزِّيتْ كَلْتِي وَتْبَعْتْ الْوَدْيَانْ، أَمَّا طَاحْ النْدَى عْلِيَّ وُتْبَلْ إيزَارِي، قَبَةْ تيزيمي تْبَانْ خَضْرَاء يَا وَادْ الرَتْبْ يَا مَكْلُوعْ الوَالِي**» هذه العبارة الأخيرة الواردة في هذه القولة التي قالتها البنت بوصفها لوادي الرتب بِمَكْلُوعْ الوالي شرحها حافظي بمعنى المكان الذي لا أهل له يحمونه ويدافعون عنه[128].

نستنتج من كل ما سبق ذكره أن علاقة الرتب بسجلماسة أو غيرها من المجالات المحيطة به، ظلت ملتبسة وصعبة التحديد. كما أنها عرفت تطورات عديدة ارتبطت بوضعية وقوة الدول الحاكمة المتعاقبة نفسها، وبالتحولات التي كانت تحدث داخل المجال نفسه نتيجة التحرك المتواصل للقبائل، مما جعل العلاقات بين الرتب وغيره تعرف مراحل يطبعها التعاون والتآزر وفي ومراحل أخرى يغلب عليها الصراع والخلاف.

---

[125]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 160.

[126]- دييكو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع سلا، 1988م، ص ص. 212، 213، 214.

[127]- ابن القاضي، **المنتقى المقصور**، ج2، ص ص. 827، 828.

[128]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 309.

5- منطقة الرتب خلال العصر العلوي الأول(1634م ـ 1757م).

5 ـ 1 ـ قيام الدولة العلوية وأثره على منطقة الرتب وساكنته.

بعد عصر تميز بسيطرة القبائل العربية على مجال الرتب حيث كانت لها فيه الكلمة العليا والسيادة المطلقة، بدأنا نرصد مع بداية القرن11هـ/ 17م بروزا واضحا للأشراف في هذا المجال، وحضورا مميزا لهم في كثير من الأحداث التاريخية، فضلا عن تطور متباين في طبيعة العلاقات التي ربطتهم مع السلاطين العلويين، وكذا طبيعة العلاقة التي ربطت هؤلاء بعموم ساكنة الرتب.

هكذا شكلت نهاية الدولة السعدية وانقسام المغرب بين مختلف القوى التي كانت تسعى للزعامة فيه، حدثا بارزا في تاريخ المغرب الحديث، ولعل منطقة تافيلالت الكبرى استقطبت الاهتمام أكثر من غيرها خلال النصف الأول من القرن11هـ/ 17م، باعتبارها كانت نقطة التقاء، وهدفا مشتركا لأبرز وأقوى الزعامات الجديدة بالبلاد، ممثلة في كل من الدلائيين والسملاليين والعلويين، نظرا لأهميتها الاقتصادية، وهذا ما زاد من حدة التنافس بين هذه القوى حولها[129].

في خضم هذه الأحداث كانت منطقة الرتب حاضرة بقوة في عدد من الأحداث والاتفاقيات المهمة بين هؤلاء المتنافسين، باعتبارها منطقة كانت تتميز باستقرار واستيطان مهم لعدد من الشرفاء، الذين كان إخوتهم وبنوا عمومتهم بتافيلالت الصغرى قد اقتحموا غمار الزعامة، وأعلنوا أفضليتهم وأحقيتهم في قيادة المغرب نحو الوحدة من جديد، اعتمادا على نسبهم الشريف. وهذا ما يدفعنا إلى افتراض أن وجود الشرفاء بالرتب وتزايد نفوذهم منذ أواخر القرن10هـ/ 16م والقرن11هـ/17م، دفع بشكل تلقائي بعض زعماء القبائل العربية قديمة الاستقرار، وصاحبة السلطة والسيادة بالمنطقة قبل تزايد نفوذ الأشراف بالرتب، إلى رفض مساندة أو بيعة الشرفاء العلويين، والتوجه نحو التحالف مع خصومهم الدلائيين، خصوصا بعد انتهاء الود

[129]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 11.

والتحالف الذي جمع بين هؤلاء في البداية ضد السملاليين وحلفائهم بني الزبير بتابوعصامت، ليستغلوا هذا التناقض والتضارب في المصالح بغية البحث عن موطئ قدم لهم بهذه المنطقة الاستراتيجية. والتحالف مع القوى المحلية المعارضة للشرفاء. مثل سكان قصر أولاد عيسى بالرتب الأعلى وزعيمه خلال هذه المرحلة الشيخ مغفر[130].

يتبادر إلى الذهن هنا أسئلة مهمة وعديدة منها: بما أن قصر أولاد عيسى كان من المناطق التي طالب بها الدلائيون بعد موقعة القاعة سنة 1056هـ/ 1646م، بين هؤلاء والسلطان مولاي امحمد بن الشريف، فهل كان هذا القصر وبالتالي باقي قصور الرتب من الذين عارضوا بيعة الشرفاء في البداية، على غرار ما فعله بنو الزبير أهل قصر تابوعصامت بقلب تافيلالت الصغرى؟ وهل الموقع الجغرافي لقصر أولاد عيسى ومصالح أهله الاقتصادية؛ هو ما حتم عليهم مسايرة الدلائيين؟ مع العلم أن شرفاء الرتب أصبحوا بفضل قوتهم العددية ونفوذهم الاقتصادي في موقع لم يكن بالإمكان تجاوزه.

يحيل كل هذا إلى الانقسام الذي ميز قصور الرتب عموما، بين مساند ومعارض لبيعة الشرفاء، مع ضرورة استحضار التنافر والخلافات التي طبعت علاقة الشرفاء فيما بينهم؛ خاصة بين الفرعين اليوسفي والمحمدي[131]، من أبناء أبي المغازي مولاي علي الشريف بعد وفاته سنة842هـ/ 1443م[132]، وقبله الصراع بين هذا الأخير وأبناء أخيه أبي البركات، والذي وصل حد اتفاق هؤلاء مع أولاد مولود التغمرتي الذين كانوا قد منحوا الشريف تمرا على سبيل الدين فطالبوه به قبل أوانه، وكان كلاهما يمتلأ حقدا وحسدا على مولاي علي الشريف لما وصل إليه من مكانة عالية خاصة بالأندلس[133]، التي انتقل إليها مرارا للجهاد، فبلغ تعلق بعض ساكنة الأندلس به حدا

---

[130]- الناصري، **الاستقصا**، ج7، ص. 17.

[131]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 7، ص. 39.

[132]- أحمد بن محمد، ابن القاضي، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج4، ص. 249.

[133]- القادري، **الدر السني**، ص. 53.

كبيرا، دفع بعضهم إلى التفكير والعمل على مبايعته، لكنه رفض كل ذلك، واقتصر على جهاد الإيبيريين الذين كانوا يقومون بما سموه حروب الاسترداد، هذا دون إغفال ما كان له من ثروات مالية طائلة اشترى بها القصور والأراضي بسجلماسة وخارجها، مما جعلهم يتفقون على قتله؛ عن طريق إسقاط حائط عليه، تم حفر أساساته مسبقا لكنه نجا[134]. فما كان من مولاي علي الشريف حسب ما تقول المصادر[135] إلا الدعاء عل أبناء أخيه أبي البركات بقلة العدد وانحصار الذرية.

تزايد التوتر بين الشرفاء المتطلعين للحكم وبعض إخوتهم وبني عمومتهم بتافيلالت؛ هو ما أدى لاحقا إلى انتقال وتهجير أبناء أبي البركات عبد الرحمان أخو مولاي علي الشريف خارج تافيلالت، حيث استقروا بالمنطقة في قصر أبي حميد بالرتب ومنه انتقل بعضهم إلى بني زروال[136]، فتزايدت أعدادهم هناك شيئا فشيئا، وتوزعوا في قصور المنطقة، كما شمل الانتشار لاحقا عددا من أبناء عمومتهم من الفرعين اليوسفي والمحمدي، هذا الانتشار نفسه يجعل القول بوجود انقسام بين الشرفاء والعرب داخل الرتب في مبايعة الأشراف، أمرا يصعب المجازفة بافتراضه؛ طالما ظلت الوسائل والوثائق التي تمكننا من رسم خريطة المبايعة أو المعارضة بالمنطقة مفقودة أو غير متوفرة لدينا، لاسيما وأن الانسجام والتوافق سواء بين الأشراف أنفسهم أو العرب بالرتب كان نادرا، لتضارب المصالح واختلاف الطموحات وغيرها من الأسباب الأخرى.

فكما هو معلوم أن الشرفاء ولمدة تزيد عن القرنين من وصول جدهم الحسن بن القاسم للمغرب خلال فترة حكم الدولة المرينية، انحصر استقرارهم أساسا بمدينة سجلماسة، وبالقصور التي ظهرت عقب دمارها، أو تلك السابقة عليها، لكننا سنشهد انتقالا وانتشارا للأشراف

---

[134]- الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ورقة 109.

[135]- القادري، **الدر السني**/ الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148.

[136]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 1، ص. 114.

العلويين بشكل بارز في القرن 10هـ/16م،ليصبح هذا الانتشار أكثر وضوحا خلال القرنين11هـ و12هـ/ 17م و18م[137].

وتختلف العوامل التي تقدمها لنا المصادر والأبحاث التي أجريت حول الموضوع؛ في تفسير عوامل هذا الانتشار وظروفه إلى جانب ما تم ذكره سابقا، فبعضها ربط ذلك بالمضايقات التي تعرض لها بعض الشرفاء على يد ابن أبي محلي[138]. مما حدا ببعضهم إلى الهجرة، لاسيما وأن هذا الأخير وكما هو معلوم أعلن نفسه سلطانا في الفترة ما بين (1019هـ/ 1610م و1022هـ/ 1613م)، وما يؤكد ذلك هو ما يشير له صاحب كتاب "فتح القدوس"؛ عندما يتحدث عن انتقال بعض شرفاء تافيلالت إلى مدغرة، ويقول بأن «**مولاي عبد الله بن علي بن طاهر(...)كان مستوطنا سجلماسة وطن أسلافه الكرام بقصر حم داوود فلما وقع بينه وبين الفقيه ابن أبي محلي من أهل زاوية القاضي ما وقع، أرسل إليه أعوانه من رجال حاشيته لأجل إذايته، فخرج من سجلماسة مع بعض البرابرة من قبيلة آيت عطة كانت لهم معرفة به**»[139]. وبعد مدة بدأت بعض ذرية ابن طاهر؛ كما وضحنا ذلك في الفصل الأول تستقر بالرتب، أو تعيد انتشارها من مدغرة نحو الرتب كما هو حال جد بعض شرفاء أولاد شاكر والجرامنة[140].

وتجدر الإشارة إلى أن تزامن قدوم العلويين إلى سجلماسة والمراحل الأخيرة من مجد هذه المدينة وإشعاعها قبل أن تضمحل وتدمر، يدفعنا إلى الربط بين ما عرفته المدينة قديما من تراجع وظروف صعبة، جعلت بعض أهلها يعمدون إلى استقدام شرفاء الحجاز تيمنا ببركتهم، لعل خير ومجد المدينة الذي خفت يعود من جديد. والقول بكون تعمير الرتب من قبل بعض القوى التي

---

[137]- مولاي هاشم بالغالي العلوي، **أنساب العلويين بسجلماسة**، م خ ح، رقم 11997، الورقة 3.

[138]- الزكي، **مطالع الزهراء**، ص. 233.

[139]- ابن المصطفى، **فتح القدوس القاهر**، م خ ح، رقم 6140، ورقة 3، 4.

[140]- هاشم بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن طاهر الحسني، **الجواهر في أولاد سيد الورى**، م خ ح، ضمن مجموع رقم 4492، ورقة 62.

كانت تستوطن سجلماسة زمن قدوم جد العلويين وانتقالها لاحقا إلى الرتب، هو ما شجعها على السعي لاستقطاب الشرفاء إلى هذه المنطقة تيمنا بهم، فضلا عما كان يجده هؤلاء من تقدير واهتمام، من مختلف المكونات الاجتماعية الأخرى، بعدما تراجعت نسبيا مكانة العلويين وأدوارهم التقليدية، نتيجة دخولهم في صراعات أحيانا دامية وطاحنة[141]، لم ينفع معها إلا الهجرة والتهجير على ما ترصد لنا كثير من المصادر التاريخية. مما كان سببا في هجرة كثير منهم من أرض تافيلالت الصغرى نحو الضواحي والمدن الكبرى في المغرب[142].

لكن ما يهمنا هو أن استقرار هؤلاء الشرفاء بالرتب وتزايد أعدادهم؛ إلى جانب ما كان لهم من حظوة عند الناس لنسبهم الشريف، وللأدوار التي كانوا يختصون بها في وسط المناطق التي كانوا يقطنون بها، ساهم في تمكين بعضهم من الحصول على ثروات كبيرة، نتيجة تحول عدد منهم نحو الأنشطة التجارية، كما كان حال شرفاء قصر "أولاد عبيد" بالرتب والذين كانت لهم أموال طائلة وتجارة يصلون بها حتى بلاد السودان[143].

خلال هذه المرحلة المتميزة من تاريخ الشرفاء بالرتب، والسابقة على وصول قبائل آيت عطا للمجال، ظل فيها نفوذ وتوسع هؤلاء الشرفاء داخل قصور الرتب واضحا وجليا وفي تمدد مستمر، بل يبدو أنهم أصبحوا يمثلون فئة حظيت بدعم وتقدير السلطة منذ البدايات الأولى للدولة العلوية، يتضح ذلك على سبيل المثال من خلال الظهير الذي أصدره السلطان مولاي إسماعيل سنة1085هـ/ 1674م لصالح الشرفاء القاطنين بقصر اربيت الفوقاني بالرتب الأسفل، والذي حدد فيه الأسر التي يمكن أن تستفيد منه، وحقها في تعيين نقيب يشرف على أمورها، كما يأمر هذا الظهير عمال السلطان بالمنطقة بالسهر على احترام مقتضياته[144]. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: ما هي الأسباب التي جعلت الشرفاء يتمتعون بهذه المكانة بين معظم ساكنة

---

[141]- الزكي، **مطالع الزهراء**، ص. 109.

[142]- التهامي بن عبد الله، **أرجوزة في الفروع العلوية**، ضمن مجموع م خ ح رقم، 4777، ورقة 15.

[143]- مجهول، **تقييد في ذكر بعض أشراف سجلماسة**، م خ ح، رقم، 4905، ورقة23.

[144]- انظر الملحق رقم 2، ص. 543.

المنطقة، رغم انحصار معظم الامتيازات فيهم، وحصولهم أحيانا دون غيرهم على الهيبات، والمناصب الهامة بالمنطقة وحتى خارجها؟

يذكر هنا أحمد بن عبد العزيز العلوي أن أشراف الرتب كانوا «**يبرون بالوارد عليهم ويقضون حوائج المسلمين**»[145]، ويعني هذا أن بيوتهم كانت مزارات لكثير من الوافدين، كما أنهم سخروا أنفسهم لخدمة المسلمين والجهاد في سبيل الله، وكانت لبعضهم إبان الأزمات السياسية التي مر بها المغرب في القرنين 9هـ و10هـ/ 15م و16م تآليف كثيرة في الدعوة إلى الجهاد[146]وتزعمه ضد القوى الخارجية المتربصة بالبلاد آنذاك، خصوصا الإسبان والبرتغاليين، وبذلك يكون الشرفاء قد زاوجوا بين الدور الديني والسياسي، كما كان لهم أدوار اجتماعية متعددة أهمها التحكيم بين العناصر المتصارعة في المنطقة[147].

لكن رياح التغيير التي هبت على المغرب مع مطلع القرن11هـ/ 17م بعد تفكك الدولة السعدية، جعلت منطقة تافيلالت تساهم بدور رئيسي في بناء تاريخ وسلطة جديدة بالمغرب، بعد صراع مرير مع الدلائيين والسملاليين، الذين كانت لهم بدورهم تطلعات كبرى لحكم البلاد، هذا الصراع جعل بعض مناطق الرتب في قلب الأحداث، خاصة عندما استطاع السملاليون السيطرة على المنطقة، ودخلوا إلى سجلماسة وتحكموا فيها عبر تحالفهم مع بني الزبير سكان قصر تابوعصامت، الذين كانوا رافضين لبيعة الشرفاء في مقابل تحالف هؤلاء في البداية مع الدلائيين. ووعيا من العلويين بأهمية الرتب فقد سارعوا إلى بسط نفوذهم حتى حدوده مستغلين وجود الشرفاء بني عمومتهم في قصرين هامين هما: قصر "أولاد امحمد" الذي كان مقرا "لأولاد عبيد"، وقصر "البلاغمة" الذي كان يسكنه أولاد سيدي امحمد بن عبد الله بن محمد[148].

---

[145]– أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 58.

[146]– نفسه، ص. 166.

[147]– مزين، «**تافيلالت مهد الدولة العلوية**»، ج4، ص. 19.

[148] – Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 282.

ويشير استيتيتو إلى أن الشريف العلوي بدأ يتلقى في الرتب بيعة القصور المجاورة التي اعترفت بشرعية العلويين في الحكم، وأحقيتهم في قيادة المجتمع المغربي[149]. كما أشار الضعيف في هذا الصدد إلى أن مولاي امحمد تلقى بيعة القوم على حكم سجلماسة وما والاها من البلاد الصحراوية سنة 1050هـ/ 1641م[150]. مما يعنى أن البيعة لم تقتصر على سكان سجلماسة بل شملت حتى المناطق التي تحيط بها.

هذه البيعة كان لها عدة نتائج، بعد رفض أبا حسون السملالي لها، ومعاتبة أهل سجلماسة كافة على نبذ طاعته، والنكوص على البيعة التي كان بعضهم قد عقدها له، ذلك أنه ما أن غادر هذا الأخير سجلماسة نحو عاصمته بسوس، حتى نبذ عدد من سكان سجلماسة طاعته، وأعلنوا عصيان ولاته وأتباعه بالمنطقة ونكلوا بهم. كل ذلك دفع أبا حسون السملالي للقدوم إليهم من جديد ومحاصرتهم، فأجبر مولاي امحمد بن الشريف على الخروج بعيدا عن تافيلالت، وأسر والده مولاي الشريف وأخذه معه إلى بلاد سوس[151].

أمام هذا الوضع راسل محمد بن أبي بكر الدلائي؛ زعيم السوسيين أبا حسون برسالة طالبه فيها بأن يسرح مولاي الشريف، ويترك لولده مولاي امحمد بلاده، لكن السيد علي أبا حسون رفض ذلك، ورد عليه بكتاب جاء فيه أن أهل سجلماسة بايعوه ثم نقضوا بيعته وبايعوا غيره، فحل له أن يحكم فيهم باجتهاده «**وأما ما قلت من ترك سجلماسة للشريف المذكور؛ كغيرها من البلاد التي بيد غيره فلا أتركها، لأنهم رضوا بي وبايعوني، ورضوا به وبايعوه، فإن بعضَهم معي وبعضهم معه**»[152].

---

[149]- استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء**، ص. 162.

[150]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 11.

[151]- المختار السوسي، **إليغ قديما وحديثا**، هيأه للطبع وعلق عليه، محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط، 1966م، ص. 141.

[152]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1988م، ص. 150./ سليمان بن محمد الحوات، **البدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية**، م خ خ، رقم 11104، ورقات، 190، 191، 192.

ما يجعلنا نقف عند كل ما سبق ذكره؛ هو أن عددا من القبائل العربية ومنهم "دخيسة" و"ذوي منيع" و"الصباح" و"المعاضيد" و"أولاد غنام" و"حميان"، بعدما كانت بايعت السملاليين في البداية؛ عادت ونقضت بيعتها، واتفقت على نبذ طاعتهم. ومبايعة مولاي محمد بن الشريف بالخلافة وملك المنطقة وما ولاها من بلاد الصحراء، وهو ما دفع أبا حسون بعدما بلغه الخبر كما ذكرنا إلى جمع جموعه، وقصد سجلماسة من جديد[153]. وهنا يستوقفنا في هذا الاتفاق المذكور ورود اسم قبيلة "دخيسة" العربية، فهل يتعلق الأمر هنا بأفراد هذه القبيلة الواسعة الانتشار؛ والتي تذكر بعض الكتابات والروايات أن عددا من عناصرها كانوا مستقرين بمناطق الرتب؟ مما قد يؤشر على أن بعضا من عرب الرتب قد تحالفوا بداية مع السملاليين.

يبقى هذا الأمر غير مستبعد، بل أقرب إلى الترجيح فوجود قبيلة "دخيسة" بالمنطقة مؤكد باعتبارها من فروع القبائل المعقلية التي استقرت بالمنطقة قبل أن تعيد انتشارها. كما كانت ضمن صفوف المساندين للمولاي امحمد عند توجهه لمدينة فاس[154]، يضاف إلى ذلك أن تسمية "الدخيسي" كاسم عائلي لبعض الأسر؛ منتشرة جدا في كثير من مناطق تافيلالت، ووجودها بَيِّنْ كذلك في عدد من قصور الرتب خاصة ب"الزريكات"، فضلا عن تواتر الروايات بامتلاكها مجالات واسعة بالرتب مثل الأراضي والعيون المائية الموجودة بزاوية أوفوس[155]، مما قد يشير لنا أن هؤلاء كانوا معنيين بذلك الاتفاق والاصطفاف مع أو ضد المتطلعين للسلطة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه السملاليون يفقدون مراكزهم وحلفائهم بتافيلالت، بدأت مكانة وقوة الدلائيين تتزايد، وبادروا للبحث عن حلفاء لهم بالمنطقة، في إطار سعيهم لحكم المغرب

---

[153]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص، 11. بدوره يحيل على القادري، **الدر السني**، ص. 56.

[154]- ابن العياشي، **زهر البستان** ، ص. 109.

[155]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 76.

ككل، فاصطنعوا أنصارا لهم بتافيلالت مثل الشيخ مغفر في أولاد عيسى بالرتب، والسيد الطيب في قصر السوق، والسيد أحمد بن علي العثماني في بني عثمان من الخنق، وقصر كلميمة في وطن اغريس، واسرير في بلد فركلة[156].

هكذا أقام الدلائيون بإقليم سجلماسة خمسة قواعد تدعم نفوذهم به، وتمكنهم من التوجه نحو الصحراء وبلاد السودان[157]. فضلا عن عدم تمكين مولاي امحمد من موارد اقتصادية هامة، إلى جانب التحكم في كل ما يمر من وإلى تافيلالت، انطلاقا من تلك المراكز التي كانت لهم بالمنطقة، وخاصة قصر "أولاد عيسى" بالرتب الأعلى شمال هذه الواحة، والذي كان يعتبر ممرا إجباريا لجل القوافل، ومتحكما أساسيا في حركتها ذهابا وإيابا من وإلى تافيلالت. لكن وضعية الدلائيين سرعان ما بدأت بالتراجع في المنطقة بسبب الاضطرابات التي واجهتهم في مجالات نفوذهم؛ بعد ثورة مدينة فاس ضد محمد الحاج الدلائي، ثم إعلان بيعة مولاي امحمد بن الشريف بتافيلالت، مما فتح المجال أمام هذا الأخير ليجعل في مقدمة أهدافه إنهاء النفوذ الدلائي بالمناطق التي تحالفت معه، أو كانت تمثل مواقع استراتيجية بالنسبة له.

فما كان من مولاي امحمد إلا ضرورة خوض معركة فاصلة ضد الدلائيين، لكنها كانت وَبَالاً عليه؛ بعد أن تلقى هزيمة نكراء في واقعة "القاعة" سنة 1056هـ/ 1646م[158]. وولى فارا باتجاه سجلماسة، وهنا نسجل وجود خلط بين قصر يسمى"الكارة" بواحة الرتب، ومعركة "الكارة" أو "القاعة" فجعل بعضهم مكان هزيمة مولاي امحمد أمام الدلائيين بهذا القصر المتواجد بالرتب الأوسط، على غرار ما ذكره العربي مزين وغيره[159]، لكن موقع معركة القاعة حسب واحيحي أبعد من ذلك، فهو يقع باتجاه الشمال حيث يوجد مكان المعركة حسب رأيه بالقرب من قصابي

---

[156]- سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، م خ ح، رقم، 11104، ورقة 225./ الناصري، **الاستقصا**، ج7، ص. 17.

[157]- الزياني، **الترجمان المعرب**، ص. 370.

[158]- الحوات، **البدور الضاوية**،م خ خ ح، رقم 11104، ص. 224.

[159]- مزين، «**تافيلالت مهد الدولة العلوية**»، ج4، ص. 25./ محمد العمراني، **المغرب زمن العلويين الأوائل**، مطبعة الرباط نت، الرباط، ط1، 2013م. ص. 34.

الشرفاء قرب ملوية[160]. لكننا نجد صاحب زهر البستان يشير إلى وقوعها بتافيلالت ويسرد أحداث هذه المعركة وما أعقبها[161]، مما يجعلنا نرجح أن هذه المعركة وقعت بالرتب الأوسط وليس ما ذهب إليه واحيحي في أطروحته، ذلك أننا نجد بقايا آثار قرب مركز أوفوس يعرف عند الساكنة بقصر الكارة القديم، وتذكر الروايات أنه تعرض للهدم في إحدى المعارك، مما أجبر سكانه على الانتقال إلى موضع قصر الكارة المعروف اليوم بالرتب الأوسط.

عقب ما تعرض له مولاي امحمد في هذه المعركة من هزيمة، قام الدلائيون بفرض حصار على المنطقة انتهى بالاتفاق على هدنة بين الطرفين، عززت مواقع الدلائيين بعد أن أبرم صلح اشترط أن يكون جبل العياشي فاصلا بينهما، وأن تكون تحت سلطتهم وضمن حمايتهم كل من مشيخة "مغفر" بقصر "أولاد عيسى" من بلد الرتب، ومشيخة "سيدي الطيب" "بمضغرة" في "قصر السوق" ومشيخة "أحمد بن علي العثماني" بقصر "آيت عثمان" "بالخنك". ومشيخة قصر "كلميمة" في "غريس" مشيخة قصر "اسرير" قرب تنجداد بفركلة[162].

لكن الأمر لم يطل كثيرا، فما أن غادر الدلائيون المنطقة، وتأكد مولاي امحمد من ابتعادهم؛ حتى استجمع قواه، وبادر إلى العمل على استئصال الوجود الدلائي بكل تافيلالت الكبرى، بشن حرب لا هوادة فيها ضد ممثليه بالمنطقة، وإعمال النظر في تدميرهم وقطع دابرهم، «**فحاصر الطيب الصغير في قصر السوق، وأحمد العثماني، وأهل وطن حليمة(كلميمة) في غريس، وفركلة فاكتسح أموالهم، وأحاط بالشيخ مغفر في أولاد عيسى من الرتب، حتى ظفر به**

---

[160]- واحيحي، **سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور**، ص. 155.

[161]- ابن العياشي، **زهر البستان**، ص. 107.

[162]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 13.

وسمح له واستخلصه لخدمته، وحسم مادة الدلاء، من تلك الأوطان، وساومهم بالخسف في كل مكان»[163].

يثير انتباهنا في هذه القضية ما تعرض له الشيخ مغفر بأولاد عيسى بالرتب. فإذا كان الريفي يذكر أن مولاي امحمد سامحه واستخلصه لخدمته[164]، فإننا نجد بالمقابل الضعيف يشير إلى مصير آخر للشيخ مغفر، حيث يذكر أن أتباع مولاي امحمد بعد أن تمكنوا من القبض على رجل كان يعمل رسولا بين الشيخ مغفر بالرتب والشيخ الطيب بقصر السوق؛ وبحوزته رسائل تضمنت شؤونا قبيحة لم يفصح عن مضمونها، لكنه مقابل الابقاء على حياته؛ تعهد بأن يقدم لمولاي امحمد معلومات مهمة عن ما يدبره الشيخان المذكوران، وأن يأتيه بمراسلهما وما يتداولانه من أمور، خصوصا ما تعلق بتواصلهما مع الدلائيين. ويواصل الضعيف استعراض الأمر حيث يذكر أن مولاي امحمد «**شد رجال الحزم والعزم للشيخ مغفر، فقتله وأوقع به وقطع نخيله، وتمادى للسيد الطيب بقصر السوق فقتله**»[165].

تجعلنا هذه النتيجة في حيرة؛ بين القول بإقدام مولاي امحمد على قتل الشيخ مغفر أو مسامحته، وهذا ما سيقودنا إلى البحث في رد فعل الدلائيين على تراجع مولاي امحمد عن الاتفاق الذي تم إبرامه، وهو ما كان متوقعا منهم في البداية. غير أن تلك المحاولات للرد لم يكتب لها النجاح على ما يبدو، فتحول الدلائيون إلى مراسلة الأخير برسائل كتبها كاتبهم السيد الغازي وتميز أسلوبها بالنقد الحاد، واستعمال عبارة جارحة وحاطة بفعل مولاي امحمد[166].

---

[163]– عبد الكريم بن موسي الريفي، **زهرة الأكم**، (**مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل**)، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م، ص، 116./ حجي، **الزاوية الدلائية**، ص، 159./ ابن العياشي، **زهر البستان**، ص. 109.

[164]– الريفي، **زهرة الأكم**، ص. 116./ ابن العياشي، **زهر البستان**، ص. 109.

[165]– الضعيف، **تاريخ الضعيف** ، ص. 14.

[166]– **رسائل لأهل الزاوية الدلائية**، (**رسالة مولاي محمد بن الشريف إلى شيخ الزاوية الدلائية**)، م خ ح، رقم 14056، من الورقة 324، إلى الورقة 341.

ما نعلمه من بعض المصادر اللاحقة؛ عن أسرة "ال مغفر" في واد الرتب خلال الفترة الأولى لقيام الدولة العلوية، هو احتفاظها بالمكانة والسيادة التي كانت لها؛ رغم النكبة التي تعرضوا لها على يد السلطان مولاي امحمد. نستدل على ذلك بما ذكره أبو سالم العياشي (1037هـ/1627م ـ 1090هـ/1679م) في الرحلة الحجية التي قام بها سنة 1072هـ/ 1661م نحو بلاد الحجاز، اذ أورد لنا أخبارا عن هذه الأسرة، بعد فترة غير بعيدة من تلك الأحداث التي ذكرناها والمصير الذي آلت إليه، حيث نجده يقول عن مرحلة مروره بمجال الرتب «**ولم ننزل ذلك اليوم إلى وادي الرتب عند رئيس البلد محمد بن مغفر، وأحسن النزل، وأطعم الجزل، فجزاه الله خيرا، ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا بزاوية سيدي أحمد بن عبد الصادق، فتلقانا ولده سيدي بن عبد الله بالبر والتعظيم، والترحيب والتكريم، فوجدنا بين أهل بلده فتنة عظيمة، وحاصر أحد الفرقين الآخر، واستعانوا بأمير البلد، وقطعوا لهم مئتين من النخل، والله يخمد الفتنة**»[167].

يظهر لنا هذا النص أولا أن أسرة "آل مغفر" حافظت على مكانتها رغم كل ما سبق، مما قد يحيلنا إلى نوع من التوافق الذي يمكن أن يكون قد طبع علاقتهم مع العلويين لاحقا، بعد القطيعة التي كانت بينهم عند بداية تأسيس الدولة العلوية. كما تثير انتباهنا ثانيا تلك الإشارات التي أوردها العياشي عند وصوله إلى زاوية "أحمد بن عبد الصادق" بالرتب الأسفل. فبعد ثنائه على الخدمة التي يقدمها أهلها لركب الحجاج، انتقل للحديث عن ما كانت تعرفه المنطقة من فتن وصراعات، وتحالف البعض ضد البعض الآخر، مما جعلنا نفترض عدة احتمالات حول دواعي هذه الخلافات التي ذكرها العياشي، بين ربطها بالجانب السياسي المتعلق ببروز الخلاف بين مولاي امحمد وأخيه مولاي الرشيد، مما يجعلنا نفترض وجود انقسام بين أهل الرتب حول الولاء والمبايعة لأحد الطرفين. وبين ربطها بالجانب الاقتصادي، المتعلق بالصراع المتكرر حول الموارد المائية والانتاجية. لاسيما وأن سنة 1072هـ/ 1661م والتي تلتها؛ وسمت في تاريخ المغرب بانتشار

[167]– العياشي، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، ج1، ص. 71.

المجاعة في عموم البلاد، مما أدى إلى تحرك القبائل خلال هذه المرحلة[168]. ثم لماذا لا يكون المجال قد بدأ يتعرض لهجومات خارجية، خاصة من قبائل آيت عطا؟ وأن هذه الأخيرة قد ساندت أحد الأطراف ضد الآخر في صراعهم المتواصل. خاصة وأن اليوسي في رسالته المؤرخة بسنة 1096هـ/1685م إلى السلطان مولاي إسماعيل ذكر قيام العطاويين بنهب أغنام أهل الرتب، وإن كان حديثه يفهم منه عموم الرتب وليس جزءا منه[169].

حضور الرتب في الأحداث الأولى لقيام الدولة العلوية سيبقى بارزا، ولكن بشكل مغاير هذه المرة، بعد أن تحول الصراع على الحكم إلى داخل البيت العلوي نفسه، فغداة قتل مولاي الرشيد لأخيه السلطان مولاي امحمد واعتلائه سدة الحكم سنة 1664م، اندلع صراع آخر؛ بعد أن أعلن أبو عبد الله محمد بن السلطان مولاي امحمد نفسه سلطان عقب مقتل والده، رافضا بيعة عمه مولاي الرشيد، وذلك بدعم من عمه مولاي محرز ورؤساء دخيسة وأعيان تافيلالت الذين عقدوا له بيعة استمرت أربع سنوات، قبل أن يتمكن الرشيد من القضاء عليه[170]. مستغلا خلافات ابن أخيه مع اتباعه، وقيامه بقتل أعمامه؛ مولاي محرز بن مولاي الشريف، ثم مولاي مهدي ومولاي امبارك شقيقي مولاي إسماعيل [171].

الإشارة التي تهمنا هنا هي المتعلقة مرة أخرى برؤساء دخيسة الذين بايعوا محمد بن مولاي امحمد سلطانا، فبهذا المعنى يمكن أن نذهب للقول بأن مجال الرتب أو جزء منه وعلى غرار معظم تافيلالت؛ كان معارضا لمولاي الرشيد في البداية، قبل أن يتمكن هذا الأخير من زمام الحكم؛ ويخضع الجميع لسلطته. لكن قصر فترة حكمه (1664هـ ـ 1672هـ) وانشغاله بتمهيد وتوحيد المغرب بعيدا عن تافيلالت، لم يساعدنا في العثور بين أسطر المصادر المختلفة، والروايات المتوارثة التي اطلعنا عليها؛ ما يوضح لنا بجلاء علاقة هذا السلطان بالرتب وساكنته المتنوعة.

---

[168]- محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792م ـ 1822م**، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 2006م، ص. 29.

[169]- القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ص. 211.

[170]- الريفي، **زهرة الأكم**، ص. 124.

[171]- نفسه، ص. 135.

5 ـ 2 ـ أبرز القضايا المرتبطة بالرتب زمن السلطان مولاي إسماعيل (1672م – 1727م)

تعززت علاقة الرتب بسلاطين الدولة والأسرة العلوية أكثر، وعرفت تطورا مهمة منذ العهد الإسماعيلي، الذي تميز بقضايا مهمة، كان الرتب حاضرا في بعضها بشكل جلي وواضح وعلى رأس هذه القضايا نذكر:

أ ـ **قضية تمليك الحراطين**: لقد رأينا من خلال الباب الأول في الفصل المتعلق بالتركيبة السكانية، بأن الرّتْب يعتبر من المجالات الجغرافية الكثيرة في المغرب التي كانت تعرف استقرارا مهما لهذه الفئة، بل يذهب البعض إلى القول بأسبقيتهم في الاستقرار بعموم الصحاري المغربية، وهذا ما سيكون له حتما أبرز الأثر على ساكنة المنطقة وتاريخها، فمع توجه السلطان مولاي إسماعيل إلى بناء جيش خاص بالدولة الوليدة، يكون ولائه التام للسلطان والدولة وليس للعشيرة أو المنطقة، ومتجرد من كل عصبية قبلية[172]. نجد هذا الأخير يكلف قائده عليليش سنة 1109هـ/ 1698م بالحصول على موافقة العلماء في قضية تمليك كل أحمر وأسود من القبائل، ويوبخ في الوقت نفسه العلماء والقضاة الذين عارضوه في هذه المسألة، وألزمهم بالموافقة على تمليك العبيد الذين في الديوان[173]. وفي سنة 1120هـ/1708م شرع مولاي إسماعيل في تمليك الحراطين، لكن الرفض ظل مستمرا من قبل عدد من الفقهاء، الذين تعرض بعضهم لمحنة حقيقية بسبب هذه القضية وعلى رأسهم الفقيه عبد السلام جسوس كما سبق وأن ذكرنا[174].

هذه القضية اختلف في تناولها كثير من المؤرخين، فإذا كان الزياني يذكر أن المشكل في هذه القضية؛ هو إقدام السلطان مولاي إسماعيل على تمليك السود والحراطين حتى ولو كانوا أحرارا،

---

[172]– يوسف الكتاني، «المولى إسماعيل رائد تحرير الانسان من خلال تأسيس جيش عبيد البخاري»، ضمن **أعمال الدورة الأولى لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية**، مطابع ميثاق، الرباط 1990م، ص. 179.

[173]– القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص ص. 79، 117، 146.

[174]– نفسه، ج3، أنظر الصفحات، 205، 206، 208، 215.

نجد في المقابل الكنسوسي يذهب إلى القول بأن قضية التمليك وجمع العبيد هذه مذكورة مفصلة في الكناش الإسماعيلي، وفيه تمييز المماليك الأرقاء الذين اشتروا بالثمن على الوجه الشرعي بخطوط العدول، وهؤلاء لا كلام فيهم، وأما غيرهم من أهل الديوان من القبائل العديدة فإن السلطان لم يدع فيهم الملكية، وإنما الكلام في جبرهم على الجندية، كما أن السلطان وجه لعلماء المغرب والمشرق سؤالا بشأن هذه القضية، فرد عليه بعضهم بالجواز، كما هو مذكور في الكناش الإسماعيلي، ولهذا قال الكنسوسي «**وحاشا مقام السلطان مولانا إسماعيل رحمه الله أن يدعى تمليك الأحرار**»[175].

نتساءل أمام كل ذلك حول ما إذا كان الرتب من المناطق التي أخذ عبيدها وحراطينها، إن كلاً أو جزءا أم لا؟ مع أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن أن يطرحه هذ الإجراء من مشاكل، لاسيما ما تعلق بمسألة الانتاج الفلاحي بالمجال، باعتبار أن هذه الفئة كانت تمثل القوة الإنتاجية الممارسة للنشاط الزراعي بالرتب، والتي كانت تمتلك الخبرة في هذا الميدان.

الأكيد هو استمرار الوجود العددي المهم للحراطين في الرتب، وتافيلالت خلال مختلف المراحل التاريخية التي تلت قرار التمليك، مما يدل على أنه لم يشمل الكل بالمنطقة، هذا إن لم يشملهم القرار أساسا، فضلا على أن مولاي إسماعيل كان في حاجة إليهم بالمنطقة، نظرا للعدد الكبير من القصور التي أنشأها هناك والتي حددها الناصري في 105 قصرا[176]، إلى جانب أهميتهم في خدمة أبنائه الأمراء الكُثُرِ الذين أمر باستقرارهم في تافيلالت وفي الرتب أيضا (بقصر المعاركة)[177].

---

[175]– الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 143.

[176]– الناصري، **الاستقصا**، ج 4، ص. 102.

[177]– عبد الرحمان ابن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف** ، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة اديال، الدار البيضاء، ط 1، 1993م، ص. 387.

ب . قضية الثورات ضد حكم مولاي إسماعيل: وتتعلق بالاضطرابات السياسية التي عرفتها بداية حكم مولاي إسماعيل نتيجة معارضة إخوته، الحران وهاشم وابن أخيه أحمد لتوليه الحكم[178]. ثم تمردهم وسعيهم للبحث عن مساندين وحلفاء لهم، أعقبه احتضان مجال الرتب لعدد من هؤلاء الثائرين وذويهم ضد سلطة مولاي إسماعيل، كما كان حال أخيه مولاي هاشم الذي أشرنا له، والذي استقر وبنوه بقصر الدويرة بالرتب الأسفل، بعد مشاركته في الحرب إلى جانب أخيه الحران، وابن أخيه أحمد بن محرز، في المواجهة التي قادها مولاي إسماعيل ضدهم، وضد قبائل آيت عطا المتحالفة معهم، في جبل صاغرو يوم 21 ذي الحجة1089هـ/ 3 فبراير 1672م[179]. والتي تزامنت مع الوباء الذي عم البلاد في هذه السنة، لكن المعركة انتهت بسقوط عدد كبير من القتلى على رأسهم قائد الجيش الإسماعيلي في المعركة، موسى بن يوسف، وحوالي 400 من أهل فاس المرافقين له، وفرار المنهزمين من إخوة السلطان وغيرهم إلى الصحراء،[180] ليستوطن مولاي هاشم بن الشريف بقصر الدويرة بالرتب الأسفل، ويتكاثر به نسله ونخيله عل حد قول هاشم بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد في قصيدته المتعلقة، بأبناء أبي الأملاك مولاي الشريف بن علي[181]. والتي قال فيها:

وَهَاشِمُ دُوَّيْرَةُ الرَّتْبِ سَكَنَ لَهُ بِهَا نَخْلٌ وَفِيهَا قَدْ قَطَنَ

كما أن مولاي إسماعيل وفي إطار مواجهته لتمردات أبنائه، أو الاحتراز من وقوعها؛ عمد إلى نقل بعضهم نحو مناطق أقل خطرا على مخزنه، على غرار ما فعله مع ابنه مولاي الشريف بعد أن عزله في المرة الأولى عن ولاية درعة وفرض عليه ما يمكن تسميته بالإقامة الجبرية بواد الرتب حسب البعض[182].

---

[178]– الزياني، **البستان الظريف**، ص. 162.

[179]– القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 252.

[180]– الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص. 60.

[181]– هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**" ضمن مجموع، م خ ح، رقم 12495، الورقة 83.

[182]– أحمد عمالك، «الحضور المخزني بوادي درعة في العصر العلوي الأول»، ضمن كتاب "**حوض وادي درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع**"، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، ط 1996م، ص. 64.

ت . المساهمة في تعمير الرتب والسيطرة عليه: هي قضية أخرى من القضايا التي يمكن أن نلمس فيها اهتمام مولاي إسماعيل بالمجال المدروس، وهي تتعلق أساسا بإنشائه لقصر المعاركة؛ كقصر مخزني بالرتب الأسفل سنة 1134هـ/ 1721م [183]، ويبدو أن الغرض من إنشائه هو تثبيت سلطة المخزن بهذه الربوع، لاسيما أن المجال الرتبي وحسب عدد من الشواهد والأدلة أصبح عرضة لهجومات خارجية ولصراعات داخلية متواصلة، حاول بعض الزعماء والشيوخ المحليين المساهمة في الحد منها، على غرار ما كان يقوم به الشيخ أحمد بن عبد الصادق، الذي عاصر المرحلة الأولى لقيام الدولة العلوية، وكان له أدوار مهمة في الاصلاح بين أهل الرتب، وهذا ما نلمسه من ثناء الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي عليه في ديوانه بقوله[184]:

كَمْ فِتْنَةً خَمَدَتْ بِهِ مِنْ بَعْدِمَـا شَبَّتْ بِسمَرِ تَلْتَظِي وَبَـوَارِقُ

وَحَوَادِثُ كُفِيَّتْ بِهِ وَتَهُـــولُ لَوْلَا شَابَتْ مِنْهُ سُودٌ مَفَـارِقُ

بل وتذكر بعض الروايات أن أحد أبناء هذا الشيخ؛ قتل في أتون الصراعات القائمة آنذاك بين قصور المنطقة، يضاف إلى ذلك أننا بدأنا نرصد احتكاك قبائل آيت عطا بالرتب، بناء على الرسائل التي وُجِّهَت إلى السلطان مولاي إسماعيل من قبل الحسن اليوسي، الذي زار الرتب عدة مرات والتقى بالشيخ أحمد بن عبد الصادق وغيره[185]، مما مكنه من معاينة ما كان يعرفه هذا المجال من مشاكل؛ خاصة ما تعلق بما أحدثته القبائل العطاوية[186].كل ذلك يمكن أن يفسر لنا سبب إقدام مولاي إسماعيل على إقامة قصر المعاركة بهذا المجال، على غرار ما أنشأه لأبنائه بتافيلالت الصغرى، وفعلا فقد استقر بهذا القصر (المعاركة الكبرى وكذا المعاركة الصغرى)العديد من الأمراء من أباء مولاي إسماعيل مثل مولاي الشريف[187]. وكذا أبناء سيدي محمد بن عبد الله وعلى رأسهم ابنته لالة حبيبة وبعض أحفاد السلطان مولاي سليمان.

---

[183]– لحسن تاوشيخت، «القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت»، ضمن "**أعمال ندوة السلطان مولاي إسماعيل**" كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة مولاي إسماعيل مكناس، مطبعة فضالة المحمدية 1995م، ص. 127، والمعاينة المباشرة لقصر المعاركة.

[184]– أحمد بن عبد العزيز الهلالي، **أبيات في ديوان الهلالي**، دراسة وتحقيق عبد الله الهمس، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، 1408هـ/ 1987م، ص ص. 144، 145.

[185]– الحسن اليوسي، **المحاضرات**، إعداد محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الأدب1، الرباط 1975م، ص. 672.

[186]– القبلي، **رسائل ابي علي الحسن**، ص. 211./ **الاستقصا**، ج7، ص ص. 82، 86.

[187]– محمد الزكي بن هاشم، **الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء**، م خ ح ، رقم 10904، ورقة 46.

ث . قضية قبائل كروان وعلاقتها بالرتب:

يتعلق الأمر هنا بالحملة التي أمر بها السلطان مولاي إسماعيل ضد قبائل كروان، التي كانت تستوطن أعالي وادي زيز أواخر القرن 11هـ/17م[188]، لكنها كانت تعيث فسادا ونهبا في الطريق نحو سجلماسة عبر وادي زيز، هذه الحملة التي بعثها مولاي إسماعيل لتأديب هذه القبائل تذكرها بعض المصادر والدراسات، وتعتبرها سببا في دفع بعض فروع هذه القبيلة للاستيطان في الرتب.

فالزياني أشار إلى أن السلطان مولاي إسماعيل، وجه مع علي ويشي عشرة الآف من الخيل وقال له: «**لا أرى وجهك إلا اذا أغرت على جروان وأتيتني بعجج هذه الرؤوس التي هنا من جروان، لأنهم كانوا بوادي زيز يعثون في طريق سجلماسة. فرجع علي يشي على طريقه بالمحلة كأنه يريد غريس، وحال بين جروان وبين جبل العياشي وصبحهم فنهب حللهم ومواشيهم، وقتل منهم عددا كثيرا، ونادى في تلك القبائل من أتى برأس جرواني، فله عشرة مثاقيل**»[189]، ونتيجة الخوف الرهيب وإغلاق المنافذ عليهم شمالا وغربا فر كثير منهم نحو مناطق زيز الأوسط التي كان من ضمنها قصور الرتب.

[188]- الناصري، **الاستقصا**، ج7، ص. 87./ العلوي، «**دور الاتحاديات الأطلسية**»، ص. 127.

[189]- الزياني، **البستان الظريف**، ص. 179.

5 ـ 3 إرهاصات تغيير البنية المجتمعية بالرتب ما بين، (1727م ـ 1757م).

يجد الباحث عند استقصائه للمعلومات في المصادر المعروفة خلال هذه المرحلة، تحديات كبرى لاستخلاص أحداثها وتطوراتها بعموم المغرب، فما بالك بالبحث في منطقة صغيرة جدا مثل الرتب. لأن ما عرفه المغرب خلال هذه الفترة الممتدة ما بين (1727م ـ 1757م) من أحداث جسام عقب وفاة السلطان مولاي إسماعيل؛ منعت الالتفات إلى مختلف التطورات التي كانت تحدث بعدد من المناطق، والتي وإن بلغت ما بلغت من الأهمية عند أهلها، إلا أنها لم تستطع استقطاب انتباه من كتبوا تاريخ المغرب، أو ألَّفُوا تَأْلِيفَ عنه خلال هذه المرحلة الحرجة والمظلمة من تاريخ البلاد، لكننا لا يمكن أن نغفل مع ذلك حضور منطقة تافيلالت في مجريات تلك الأحداث التي دارت بين أبناء السلطان مولاي إسماعيل، تارة بنفي من عُزل منهم عن الحكم إليها (السلطان عبد المالك، ومولاي علي) وتارة أخرى باستجلاب بعض المقيمين منهم بهذه الربوع (محمد بن عربية، مولاي المستضيء)، لاعتلاء سدة الحكم، خصوصا وأن كثير منهم كانوا قد استقروا بتافيلالت تلبية لرغبة أبيهم[190].

فترة الأزمة هذه كما يسميها كثير من الباحثين كان لها بدورها نتائج وانعكاسات على بعض مناطق أو قصور الرتب، من خلال دعم بعضها لعدد من المتمردين الطامحين إلى السلطة، مثل مولاي الحسن بن إسماعيل، هذا الأخير تذكر لنا المصادر تحالفه مع العطاويين ضد الشرفاء إخوته وبني عمومته، مما يفسر ما سيبرز لاحقا من اتجاه عطاوي للانتقال نحو المجال الرتبي وغيره، قبل أن يصطدم ذلك بإصرار سيدي محمد بن عبد الله على إنهائه. وقد رصدت لنا ذلك بعض المصادر المحلية، التي قدمت لنا صورة قاسية وقاتمة عما آل إليه الوضع بتافيلالت عموما، وبالرتب على وجه الخصوص، خلال فترة الأزمة وما بعدها، بفعل تزايد الفتن والاضطرابات الداخلية وضعف السلطة المخزنية، التي لم تستطع تحقيق الاستقرار. بسبب الصراع على الحكم بين أبناء

[190]– ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 337.

السلطان مولاي إسماعيل طيلة 30 سنة تقريبا. فها هو أحد أشهر أعلام تافيلالت وفقهائها أحمد بن عبد العزيز الهلالي (1113هـ ـ 1175هـ/ 1702م ـ 1761م) يقدم لنا توصيفا لذلك من خلال قصيدة شعرية هجائية قال فيا:

لَكَ اشْكُوا يَا قَاهِرَ المسْرِفِينَـا ... مِنْ بُغَاةٍ بَغَوْا عَلَى المسْلِمِيـــنَ

بَدَّلُوا الدِّينَ ظلَّةً واعْتِـــدَاءَ ... وَعَنِ الحَقِّ أَصْبَحُوا نَاكِسِينَـــا

نَبَذُوا سُنَّةَ النَّبِّي جِهـَـــاراً ... وَأَضَاعُوا كِتَابَهُ المسْتَبِينَـــــا

إلى أن يقول: قَطَعُوا الطُّرُقَ بِالحِرَابَةِ عَـــدْوًا ... وَأَخَافُوا الضَّعِيفَ وَالمِسْكِينَـــا

ثُمَّ صَالُوا عَلَى القُرَى وَاسْتَبَاحُوا ... المَالَ وَالعِرْضَ وَالدَّمَ مُهْرِقِينَـــا

هَتَكُوا حُرْمَةَ المصْطَفَى وَتَعَدَّوْا ... كُلَّ حَدٍّ لِسَيِّدِ المرْسَلِينَـــــا

وَاسْتَطَالُوا عَلَيْهِمْ بِاعْتِـــدَاءٍ ... وَجُيُوشٍ كَثِيرَةٍ صَالِينَـــــا

قَتَلُوا ثُمَّ سَلَبُوهُمْ رِجَـــالاً ... وَنِسَاءً وَصِبْيَانًا أَصْغَرِينَـــا

مَالَنَا طَاقَةٌ بِهِمْ فَدَعَوْنَـــا ... مُسْتَغِيثِينَ نَاظِرَ الضَّعِفِيـــنَ

كَمْ بُغَاتً لمَّ صَمَدْنَا إِلَيْـــهِ ... أَصْبَحَ النَّاسُ مِنْهُمْ أَمِنِينَـــا

لَكَ أَشْكُوا يَا مُهْلِكَ المجْرِمِيـنَ ... مِنْ جُنُودٍ قَدْ رَوَّعُوا المؤْمِنِيـــنَ

فَانْتَقِمْ مِنْ قَبِيلِ عَطَّا سَرِيعـًا ... وَارْحَمْ مِنْ اذَاهُمْ العَالميـــنَ[191].

من خلال هذه القصيدة التي خصصها الهلالي لِهَجْوِ قبيلة آيت عطا؛ التي كما ذكر أنها كانت تعتدي على قرى المنطقة، وتستبيح الدماء والأموال والأعراض، وتروع الأمنين وتقطع طرقات المسافرين، مع تركيز أذاها على الشرفاء، يتبين لنا مآلَ الوضع إليه، وما عرفته المنطقة من

[191]- الهلالي، **أبيات من ديوان الهلالي**، ص. 134.

تطورات إبان فترة الأزمة التي عاش خلالها الهلالي مقيما في مدغرة شمال منطقة الرتب، ومتنقلا بين مناطق عدة ومنها العاصمة فاس، التي التقاه بها القادري أثناء زيارة الأخير للسلطان سيدي محمد بن عبد الله[192]، وعرَّفه(القادري) في كتابه بنزيل مدغرة ودفينها، وقدم لنا تعريفا له ولكتبه، لكن ما يهمنا من ذلك؛ هو حديثه عن زيارتين قام بهما الهلالي مع وفد من الشرفاء للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، مما يجعلنا نرجح أن سبب هاتين الزيارتين كان هو الشكوى لدى السلطان مما كان يقوم به عمه الحسن بن إسماعيل في حق الأشراف إخوته وبني عمومته، مستعينا في ذلك ببعض أمازيغ(آيت عطا)؛ الذين سيطروا على بعض قصور المنطقة، ولا نستثني من ذلك قصور الرتب التي سيطردون منها لاحقا.

هذه الشكاوى كانت مهمة في إطلاع السلطان أولا، عما كان يجري بتافيلالت[193]. وثانيا في دفعه للتدخل، من أجل إنقاذ بني عمومته الأشراف، والمنطقة عموما من قوة وتوسعات العطاويين المتصاعدة، وإن كنا نرى أن تحركات وممارسات هؤلاء في حقيقتها لم تكن تميز بين الشرفاء وغيرهم، بدليل تحالفها أحيانا مع بعض الشرفاء أنفسهم.

فما ترصده المصادر حول إذاية العطاويين للشرفاء أكثر من غيرهم، قد يُرجع أساسا لما تميز به هؤلاء الشرفاء من خصوصيات، وما كانوا يحظون به من مكانة اجتماعية، وما يحصلون عليه من امتيازات وأموال وهيبات ،لم يحترمها أو يقبلها العطاويون في الغالب الأعم، كما أن وجود عدد من الفقهاء والعلماء العلويين بتافيلالت عموما، واهتمامهم بتسجيل بعض المعطيات المتعلقة بهم دون غيرهم، يضاف إليها حرص السلاطين العلويين أنفسهم على تسجيل أسماء هؤلاء الشرفاء في سجلات وغيرها من الأمور المرتبطة بهم؛ من أجل منحهم عطايا أو امتيازات دون غيرهم، هو ما مكننا من الوقوف على وجهة نظرهم فقط، ومن الوقوف على جانب من حياة هؤلاء الشرفاء بالرتب أكثر من باقي المكونات البشرية الأخرى. ولهذا يبقى القول بسوء تعامل العطاويين مع الأشراف بشكل مطلق، مسألة تنبني على وجهة نظر بعض الأشراف من

[192]- القادري، **نشر المثاني**، ج3، ص ص. 144، 145.

[193]- نفسه، ج3، ص. 144.

خصومهم، وكذا المخزن الذي لطالما اعتبرهم من القبائل السائبة، في ظل غياب أو ندرة الكتابات لدى العطاويين والتي يمكن الركون إليها واستقرائها، لتساعدنا على فهم أو تبرير تحركاتهم وتصرفاتهم بالمنطقة خلال تلك المرحلة. لاسيما أن هناك من الشواهد الكثير على العلاقات الحسنة والطيبة التي ربطت بين هؤلاء والأشراف.

وبالعودة مرة أخرى لأحمد بن عبد العزيز الهلالي، وما كتبه في رحلته الحجية التي يرجع تاريخها إلى سنة 1737م، نجده لم يقدم لنا فيها سوى معلومات مقتضبة عن الرتب، لا يمكن أن تساعد في فهم أو تحديد ما كان عليه الوضع به بعد حوالي عشر سنوات من وفاة السلطان مولاي إسماعيل سنة 1727م، وربما يعود ذلك إلى طبيعة الكتابة في الرحلات الحجية، فقد اكتفى عند حديثه ووصفه لمسار طريقه للحج نحو بلاد الحجاز بالقول عند وصوله إلى المنطقة «**فرحنا للرتب ونزلنا بأولاد عيسى عند ال مغفر، لازال جميلهم يشكر وسيئهم يغفر، فأحسنوا الضيافة على عادتهم الجميلة جزاهم الله بنعمه الجزيلة، ورحلنا غدا، فرحنا لزاوية قطب السالكين ومنقد الهالكين، الصالح الصادق سيدي أحمد بن عبد الصادق، نفعنا الله به بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم نجد بها شيخ الركب الطيب الأخلاق والأعراف، الواضح السنا والإشراق، الحبيب في ذات الله العظيم، سيدي ابن عبد الله بن عبد الكريم، نفعه الله بما قلده، وأسبغ عليه آلاءه المخلدة**»[194].

في هذا الوصف نجد الهلالي يتطابق في كلامه إلى حد كبير؛ مع الوصف الذي سبق وأن قدمه لنا قبله العياشي عن الرتب في رحلته، فالهلالي وبعد مرور حوالي 76 سنة من رحلة سابقيه، نجده يثني بدوره على آل مغفر بأولاد عيسى بالرتب، كما يبجل ويتبرك بزاوية الشيخ أحمد بن عبد الصادق القائمة بالرتب الأسفل، ويعدد مناقب أبنائه وحفدته لدورهم في ضيافة ركب الحجيج حتى عند غياب شيخ الزاوية، لكن هذا النص لا يفيدنا كثيرا في تحديد الوضعية العامة بالرتب خلال مرحلة الأزمة التي عاشها المغرب، قبل عودة الاستقرار نسبيا إليه في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

---

[194]– أبي العباس الهلالي السجلماسي، **التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114هـ. 1175هـ)، دراسة وتحقيق محمد بوزيان بنعلي، مطبعة الجسور ، ط1، 2012م، ص. 91.

6- تحولات مجال الرتب وتدخلات السلاطين العلويين بين سنتي (1757م ـ 1822م).

6 ـ 1 . دور سيدي محمد بن عبد الله بالرتب وتدخلاته (1757م ـ 1790م).

تميزت مرحلة السلطان سيدي محمد بن عبد الله؛ بعدد مهم من الأحداث المرتبطة أيضا بالرتب، فبعد أقل من سنة على توليه الحكم نجده يأمر سنة(1172هـ/1758م) بقدوم حراطين الصحراء الذين بالرتب وتافيلالت وهم "الجبابرة" و"المعاركة" و"أولاد أبو أحمد" بعد أن بلغه أنهم يعينون عمه مولاي الحسن بن إسماعيل على محاربة شرفاء تافيلالت، مما دفعه لنقل بعض هؤلاء المتمردين إلى مكناس وإعطائهم الكسوة والسلاح وكتابتهم في ديوان الجيش[195]. وهذا قد يؤشر على أن علاقة السلطان بكثير من أهل وقصور الرتب بدأت بالتوتر؛ العائد أساسا إلى تحالف عدد منهم مع الخارجين على السلطان والرافضين لمبايعته.

نلاحظ بعد ذلك أمر السلطان بإسكان بعض من جيش العبيد والقبائل بالرباط سنة 1182هـ ـ 1768م، بعد أن أمر بقطع الأجنة التي بأكدال الرباط، وإنزال هؤلاء العبيد بها، وبناء الدور والمساجد والمدارس والحمام والسوق لهم، ليضيف عليهم عبيد مكناسة، الألف الذين كانوا بفاس الجديد من الجبابرة والمعاركة وأولاد أبي حمو، وأضاف إليهم ألفين وخمسمائة مجتمعة من القبائل الأخرى، كتبهم في الديوان وسماهم "الوداية" ضدا على عبيد مكناسة والوداية الذين بها. وأفاض عليهم بالعطاء الكثير[196]. هذه القضية وبالنظر لورود أسماء المناطق التي انتمى لها هذا الجيش ومن بينهم الجبابرة والمعاركة؛ تجعلنا نتساءل هل يتعلق بجنود آخرين من الرتب تم استقدامهم؟ خصوصا وأن من ذكروا نقلوا من فاس وليس من مكناس التي كانوا قد استقروا بها، ولازالت أثارهم بادية في طبونمية بعض مناطق مدينة مكناس، أم أنهم هم أنفسهم الذين تم نقلهم، أو بعض منهم من مكناس إلى فاس ولاحقا إلى الرباط؟

---

[195]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 218./ نجد هذا الكلام واردا أيضا عند الزياني، **البستان الظريف**، ص. 388.

[196]- الزياني، **البستان الظريف**، ص ص. 404، 403.

هذه التساؤلات وغيرها قد نجد جوابها عند الزياني، الذي كثيرا ما أشار إلى محاولات السلطان تأديب العبيد الذين بمكناسة، بسبب تمردهم المتواصل، وإثارتهم للفتن، ومساندتهم أحيانا لبعض أبناء السلطان الذين خرجوا عن طاعته مثلما فعل مولاي اليزيد بن محمد بن عبد الله سنة 1189هـ/ 1775م، مدعوما ببعض من هؤلاء العبيد، فكان السلطان يعمد في سبيل إضعافهم أو معاقبتهم إلى إعادة توزيعهم وتفريقهم في المدن الأخرى، مثل الرباط والعرائش وغيرهما[197].

تميز عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أيضا بتردد عدد من الشرفاء من أهل الرتب عليه بعاصمة البلاد فاس، من أجل الاستنجاد به، وطلب المساعدة منه لصد ومواجهة القبائل العطاوية، هذه الأخيرة كانت قد استغلت الخلافات القائمة بين مختلف قصور الرتب، خاصة بين قصور الزريكات، وقصر تاخيامت والكارة من جهة، وقصر أولاد عيسى وقصور أولاد شاكر من جهة أخرى، واستنجاد بعضها على بعض بهم، فكان ذلك فرصة سانحة للعطاويين من أجل التوجه نحو المجال الرتبي منذ وقت مبكر؛ يمكن إرجاعه إلى زمن فترة الأزمة التي عاشها المغرب وما أعقبها، وهو ما نلمسه من خلال الأبيات التالية التي أوردها في أرجوزة حول الأنساب العلوية، أحد أشهر فقهاء وعلماء الرتب والمنتمي لقصر أولاد شاكر، وهو التهامي الشاكري[198]. الذي عاصر هذه المرحلة العصيبة من تاريخ المغرب، وعانى مثل معظم الشرفاء كما ورد عنده من ممارسات العطاويين بالمنطقة حسب رأيه، وفي هذا الصدد يقدم لنا في أرجوزته؛ بعد انتهائه من ذكر الشرفاء وفروعهم ومواطن استقرارهم، وصفا للوضع القائم في عصره بقوله:

إِنْ كُنْتَ فَاهِمًا لِغَيْرِ مَنْ ذُكِـــــرْ مِنْ زَيْدٍ أَوْ نَقْصٍ فِيمْنْ انْتَصَـــرْ

قَيَّدْتُهُ عَنْ عَجَلٍ إِذْ كَتُـــــــرَتْ إِذَايَةُ الْآلِ كَمَا قَدْ سَبَقَـــــــتْ

فِي نَجْلِ إِدْرِيسَ بِنَا قَدْ وَقَعَـــتْ بَنِي عَلِيٍّ وَبِهَا الْآلُ صَفَـــــــتْ

---

[197]– الزياني، **البستان الظريف**، ص. 411.

[198]– التهامي بن عبد الله، **أرجوزة في الفروع العلوية**، ضمن مجموع م خ ح رقم، 4777، ورقة 15.

اذْكُرْ نُجَيْلَ يُوسُفَ إِذْ غُـــــرِّرَا بِصَرْحِ الحَسَنِ مَعَ جَمٍّ يَـــــرَى

أَوْلَادْ عِيسَى سَبَقُوا لِهِتْـــــــك مِنْ سِرِّنَا وَرَغَّبُوا فِي الفَتْـــــــكِ

أَغْرَاهُمْ عَلَيْهِمْ الحَـــــــــدادُ أَعْجَبَهُمْ بِالشُّرَفَاءِ العِنَـــــــادُ

قَدْ حَزَّبُوا عَلَيْهِمْ أَحْزَابَـــــــا عَطَّى وَزَادَ لَهُم الأَعْـــرَابَـــــا

قَدْ بَدَّلُوا الْوِدَادَ بِالأَذَايَـــــــةِ وَلَمْ يَرَوْا لِلشُّرَفَاءِ مِنْ أَيَـــــــةٍ

وَلَا حَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّـــــهِ وَلَمْ يَقْنَعوا بِالأَذَى بِالْأَفْـــــوَاهْ

بَلْ قَتَلُوا وَخَرَّبُوا قُصُورُهُـــــــمْ وَنَظَرُوا وَفَتَّشُوا ظُهُورَهَـــــــــمْ

ذُكُورُهُمْ لَمْ تُغْنِ عَنْ إِنَاثِهِـــــمْ أَمْوَالُهُمْ لَمْ تُغْنِ عَنْ أَجْسَادِهِـــمْ

قَدْ كُشِفَتْ وُجُوهٌ لِلنِّسَـــــــاء وَطُرِحَتْ صِبْيَانٌ بِالخَـــــــلاَءِ

وَشَتَّتُوا الرِّجَالَ حَتَّى وَصَلُـــــوا مَدَغْرَةَ وَالجُلُّ فِيهَا نَزَلُـــــــوا

فِيهَا أَقَامُوا حَالَ كُلِّ عُسْـــــرٍ عَلَيْهِ وَالأَجْرُ لِكُل يَجْـــــــرِي

وَبَعْدَ ذار أَذَهمُ الهِلاَلِـــــــي شَيْخِينَا أَجْرِ الإِمَامِ التَّالِـــــي

مَعَ أَبِي مَدْيَنَ نَجْل الصَّالِـــــحِ ابْن أَبِي زَيَّانَ خَيْرِ نَاصِـــــــحٍ

لِقَصْرِهِمْ يُعْرَفُ بَنِي ابْنِ شَاكِـــرٍ وَالاَنَ هُمْ فِيهِ بِأَمْرٍ قَاهِـــــــرٍ

سِجِلْمَاسَةَ مِنْ اَجْلِهَا جُمِـــــعَ لِمَوْلاَيْ الشَّرِيفِ بِيسَ مَا صَنَـــعَ

بَلْ ذَا أَشَدُّ وَالذِّي أَوْقَعَـــــــهُ بِبَنِي الزُّبَيْرِ ثُمَّ حَمْزَةُ وَمَعَـــــــهُ

كَانَ رَئِيسَ الرَّكْبِ قَبْـــلَ الآنْ وَاليَومَ فِي ذَا وافَقَ الشَّيْطَانَـــــا

قَتَلَهُ بِيَدِهِ قَدْ قَالُـــــــــوا وَلَا تَشُكَّ أَنَّهُمْ قَدْ مَالُـــــــوا

عَنْ حُبِّ ال المِصْطَفَى لِبُغْضِهِـمْ دَلِيلٌ ذَا هَتْكُهُمْ لِعِرْضِهِـــــمْ

وَلِبَنِي المأمُونِ أَيْضًا وَقَعَـــــات صَبَحَهُمْ مَعَاضِيدُ قَدْ تَبِعَـــــــتْ

قَدْ شَتَّتُو قَصْبَتَهُمْ سَرِيعـــــا تِيزِيمِي ما أَقْبَحَهُ صَنِيعـــــــــــًا

لاَذُو بِعَطَّى لِيَكُونُو اَمِنِيـــــنَ فَكَانَ عَطَّى هُمْ شَرُّ الخادِعِيـــــنَ

انْظُر أَصْنَامَ نَاسِ هَذا الوَقْـــتِ أَجَلهُمْ بُعْض لأهْلِ البَيْـــــــــتِ

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أُمَّةَ النَّبِـــــيِّ لَيْسَ لَهُمْ تَوَافُقٌ فِي المِذْهَـــــــــبِ

عَلَى أَذَى ءَالِهِ حَتَّى بَدَا لِـــي مِنْهُمْ أُلُوفٌ فِي النَّهارِ تَنْجَلِـــــي

كُلُّهُمْ تَوَافَقُوا عَلَـــــى اذَى ءالِ النَّبِي فَلَيْسَ مَنْ يَعِيـــــبُ ذَا

وَذا دَلِيلٌ لِقِيَّامِ السَّاعَـــــــةِ وَفَسَادُ الأمَّةِ وَالجَمَاعَـــــــــةِ

لأَنَّ ءالَ النَّبِي هُمْ امـَــــانٌ فِي الأَرْضِ لِلأمَّة مْسْتَبَـــــــانٌ

وَكُلُّ مَا ذُكِرَ مِنْ وَقَائِـــــعٍ فَبالتَّزَايُدِ مَعَ التَّتَابُـــــــــعِ

وَذَاكَ لَا يَنْقُصُ مِنْ شَرَفِهِـــمْ بَلْ قَدْ يَزِيدُ فِي عُلُوِّ قَدرِهِـــــمْ

لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّـــلاَة إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا ابْتِـــــلاَهْ

أَشَدُّكُمْ بَلاَءً الأَنْبِيَّـــــاءُ ثُمَّ المِاثِلُ فَالأَوْلِيَّـــــــاءُ

إن هذه الأرجوزة من الأهمية بمكان، خصوصا إذا علمنا أن مؤلفها هو من سكان قصر أولاد شاكر بالرتب الأعلى، وأنه عاصر معظم سلاطين مرحلة الأزمة ما بين 1727م ـ 1757م، كما عاصر السلطان محمد بن عبد الله، ومولاي اليزيد، وبداية حكم مولاي سليمان، قبل وفاته سنة 1795م، فضلا عن كونه شغل منصب القضاء بكل من الرتب ومدغرة؛ لما امتاز به من تمكن لعلوم ومعارف شتى[199].

[199]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج 2، ص. 46.

تتجلى أهمية هذه القصيدة إذن، في كونها تقدم لنا عددا من المعلومات الهامة عن منطقة الرتب وتافيلالت بشكل عام، في ظل ما عرفه المغرب إبان فترة الأزمة من مشاكل وصراعات، كان من ضحاياها عدد من شرفاء منطقة الرتب، حيث يتحدث التهامي بمرارة عن تعرض الشرفاء من آل البيت للإذاية، والتحريض من قبل بعض القصور الرتبية مثل أولاد عيسى والأعراب، والذين عملوا على تحريض العطاويين على الشرفاء المستقرين معهم أو بجوارهم، ليستعرض ما قام به هؤلاء من تصرفات في حقهم وحق جيرانهم جنوبا بعرب الصباح/تيزيمي، ولعل ما ذكره التهامي يعود إلى المرحلة التي سبق قيام السلطان سيدي محمد بنعبد الله بالتوجه إلى تافيلالت سنة 1783م، وطرد العطاويين ومن يدعمهم ويتحالف معهم بالمنطقة، وهذا ما يتطابق مع ما أوردته بعض الدراسات حول ما تعرض له الشرفاء بالرتب من محنة حقيقية، مع وصول العطاويين للمجال في مرحلته الأولى خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي[200].

هذا التشخيص الذي قدمه صاحب الأرجوزة المذكورة، وقبله شيخه أحمد بن عبد العزيز (ت1761م)، الذي سعى باستمرار إلى نقل صورة ما أصبح عليه الوضع بالمنطقة إلى سلاطين المرحلة، فضلا عن المعلومات التي كان يستقيها السلطان سيدي محمد بن عبد الله من عماله وأبنائه الذين كان يرسلهم للتعلم بربوع تافيلالت، إلى جانب علاقة النسب التي ربطها مع بعض الشرفاء بالرتب، من خلال تزويج بعض بناته من أبناء شرفاء هذه المنطقة، مثل زواج عبد الهادي حفيد التهامي الشاكري سابق الذكر بلالة خديجة بنت السلطان محمد بن عبد الله[201]،كل ذلك ربما هو من ساهم في دفع هذا الأخير للقيام بِحَرَكَةٍ كبرى نحو تافيلالت سنة 1197هـ/1783م.

تذكر لنا المصادر معلومات مهمة عن هذه الحَرَكَةِ، وتقول بأن سيدي محمد بن عبد الله، وبعد استتباب الأمن نسبيا بالبلاد، ونجاحه في القضاء على المنافسين له على العرش، عمد وبعد مدة من وصول قبائل آيت عطا لتافيلالت والرتب، واستقرارها بعدد من قصورهما ومجالاتهما.

---

[200]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 329.

[201]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج4، ص. 290.

للتوجه نحو المنطقة؛ أولا بقصد زيارة قبر جده مولاي علي الشريف، وثانيا لوقف هجومات قبائل آيت يفلمان وآيت عطا، حيث كانت هذه الأخيرة بالذات من شيعة وأنصار عمه المتمرد مولاي الحسن بن إسماعيل الذي دعى لنفسه بالخلافة[202]، وكان يحارب ببعض هؤلاء الأمازيغ الأشراف فيقتلهم، مما أغاض السلطان منه، ومع تردد الأشراف عليه بالشكايات المتوالية منه، لم يسعه تركه على ذلك، وأراد كفه عن الظلم، وجزره عن الفساد والطغيان، ووقف الأمازيغ المساندين له عن الاستمرار في إذاية الشرفاء فتوجه نحو تافيلالت على حد قول الزياني والكنسوسي[203].

وقبل وصول حركة السلطان إلى المنطقة كان قد أرسل الزياني خليفته عليها، ليقنع العطاويين بالخروج من القصور التي استولوا عليها، والتي كان من بينها بعض من قصور الرتب، وأن يساعدهم على حمل ما يثقل عليهم من زرع أو ثمر، أو يعطيهم ثمنه إن هم قبلوا الخروج، لينقطع بذلك وجدوهم بها، مهددا إياهم في الوقت نفسه بقطع رؤوسهم؛ إن هم رفضوا واستمروا في سكنى تلك القصور حتى يقدم إليهم، فقبل معظمهم الخروج من تلك القصور. وبعد وصوله وجه السلطان الزياني أيضا لعمه الحسن بن إسماعيل، لكي يأمره بالرحيل عن سجلماسة إلى مكناسة، وعين له ما يكفيه من البهائم لحمل متاعه وعياله وأولاده ومتعلقاته. وأمر أن يعطى دورا لسكناه، وراتب قدره ثلاثمائة مثقال في الشهر مؤونة، عند وصوله مكناسة[204]. بهذا استطاع الزياني إقناع معظم آيت عطا ومولاي الحسن بن إسماعيل عم السلطان بالخروج من تافيلالت بما فيها الرتب[205].

ما أورده الزياني عن دوره ومشاركته في هذه الحملة، هو ما أكده معاصره الضعيف بقوله «**في اليوم السابع والعشرين من رجب الحرام عام (1197هـ/ 1783م)[206] المذكور (توجه**

---

[202]- الناصري، **الاستقصا**، ج8، ص. 51.

[203]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص، 239. نقلا عن الزياني في **البستان**، ص. 418.

[204]- الزياني، **البستان** ص، 418./ الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 239.

[205]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 239.

[206]- الزياني، **البستان**، ص. 417. يؤرخ الزياني هذه الحركة بسنة 1198هـ.

السلطان) نحو تافيلالت باثني عشر ألفا من الجيش، كان يعطيهم عشر موزونات للراجل وخمس أواق للفارس في كل يوم ما داموا بتافيلالت بعد أخذه آيت يوسي، وحيث قرب منها فر البرابرة الذين بمضغرة وبوادي الرتب ومن قصر السوق ومن أولاد عيسى ومن تاخيامت ومن الدويرة وأخرج عمه مولاي الحسن بن إسماعيل، وبعثه إلى مكناسة ولم ينظر في وجهه لأنه كان يريد الخلافة، وأتبعه أولاده بعده لمكناسة، وهدم قصبته التي تسمى بأولاد جبور وتامرارت بعد أن كانت له وجاهة بتافيلالت لا يستقيم لأحد أمر دونه»[207]، يؤكد هذا النص ما سبق ذكره من أن بعض قصور وسكان الرتب كانوا يدعمون أحيانا التمرد على السلاطين، كما حالهم مع مولاي الحسن بن إسماعيل عم السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي تحالف مع العطاويين، فاستغل هؤلاء الوضع للاستيلاء على بعض القصور المذكورة أو الاستقرار بجانبها ودعم وتحريض بعضِها ضد البعض الآخر.

تطرح هذه القضية نفسها علينا عدة تساؤلات؛ عن شكل هذه السيطرة، وعن مصير السكان. فهل كانت السيطرة العطاوية تقتصر على فرض الاتاوات أو الاستيلاء على بعض الممتلكات والثروات فقط؛ على اعتبار أن هذه القبائل كانت رعوية ورحل بالأساس؟ أم أنها عمدت منذ هذه المرحلة للاستقرار في القصور الرتبية التي فر أصحابها مثلا إلى منطقة مدغرة المجاورة شمالا، كما يذكر التهامي في أرجوزته؟

من خلال حملة السلطان هذه وإيراد الزياني لتسمية بعض القصور التي حررها من قبضة العطاويين، مثل: أولاد عيسى (الرتب الأعلى)، وتاخيامت (الرتب الأوسط)، والدويرة (الرتب الأسفل)، نذهب للقول بتوجه العطاويين للإقامة بهذه القصور منذ البداية، كما تبين هذه الحملة في الوقت نفسه على ما كان يحظى به هذا المجال من أهمية لدى السلاطين العلويين من جهة، ومن جهة أخرى تدل على انتشار العطاويين في كل المجال الرتبي من شماله إلى جنوبه، ورغبتهم الأكيدة

[207]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 184.

في الحصول على بعض قصوره وأراضيه منذ وقت مبكر خاصة وأنها كانت تتوفر على موارد مائية مهمة. رغم أن هذه الحملة التي قادها السلطان سبقها اتخاذه اجراءات، توخى منها ضبط الأمور بالرتب وتافيلالت؛ من خلال أمره كما سبق وأن أشرنا بنقل عدد من حراطين الرتب وخاصة بقصر المعاركة والزريكات إلى مكناسة، لاتهامهم بمساعدة عمه مولاي لحسن على محاربة الشرفاء، منذ سنة 1172هـ/1759م[208]، إلا أن هذه الاجراءات لم تحقق النتائج المرجوة، وهو ما دفع السلطان للقيام بهذه الحملة، واستغلالها لتثبيت أركان الدولة والمخزن، بتعيين ممثليه بالمنطقة وتولية القائد علال بن حميدة الزراري وهو من أكبر قواده وأعيان دولته على تافيلالت[209].

من جهة أخرى وزع السلطان العطايا على عدد من شرفاء المنطقة، لكنه بالمقابل فرض على عدد من قصور الرتب اتاوات مختلفة، إذ يذكر الضعيف أنه قبل رحيل السلطان عن تافيلالت متوجها إلى مراكش قبض من أهل الرتب اثني عشر قنطار من الزرع فرضها على أهل الزريكات والدويرة والبلاغمة وأولاد رَحُّ، وقبض من الزريكات قبل ذلك ما يزيد على قنطارين آخرين[210]، وهذه القصور المذكورة هي التي كانت تعرف كثافة سكانية من عرب المعقل، مما يجعلنا نستنتج أن السلطان بقدر ما أنعم على الشرفاء من بني عمومته وأهله، بقدر ما حرص على معاقبة القصور الأخرى؛ بفرض غرامات وإتاوات عليها، مما يبرز الطريقة التي تعامل بها السلطان لإعادة ترتيب الأوضاع بالمنطقة، وفرض هيبة وسلطة المخزن بها. وهو ما قد يفسر تعاون بعض هذه القصور ذات الغالبية العربية المعقلية لاحقا مع العطاويين.

---

[208]- الزياني، **البستان الظريف**، ص ص. 388، 389.

[209]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 240.

[210]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 185.

ظل سيدي محمد بن عبد الله، وحتى بعد رحيله عن المنطقة، متتبعا لتطورات الوضع بالرتب وعموم تافيلالت، تجلى ذلك من خلال إيفاده لأحمد بن الحسين المتيوي[211] سنة 1201هـ/ 1787م، على بعد أربع سنوات من حملته المذكورة لاستطلاع أوضاع المنطقة، حيث دون هذا الأخير المعلومات التي جمعها عن الوضع العام بتافيلالت في مخطوط، عثر عليه المستشرق النمساوي "فرانسوا دي دومباي François de Dombay" إلى جانب مجموعة من المخطوطات الأخرى أثناء إقامته بالمغرب ما بين 1783م و1789م. لكن معلومات هذا المخطوط جاءت مقتضبة جدا، ولم تتجاوز أوراقه عشر صفحات، لكونه اكتفى بتقديم معلومات لا تعدوا أن تكون دون فائدة، فحديثه عن منطقة الرتب مثلا؛ اقتصر على ذكر أسماء بعض القصور التي مر منها في اليوم العاشر من رحلته، التي انطلقت من فاس نحو تافيلالت، ومن هذه القصور التي ذكرها لنا نجد قصر "أولاد عيسى" "أولاد أعميرة" و"تخيامت" و"المعاركة" وأشار إلى وجود قصر بالمقابل اسمه مولاي المامون"[212] وهو يقصد به قصر المعاركة الذي كان يقيم فيه هذا الأمير، حفيد السلطان مولاي إسماعيل.

بعد ذلك تحدث الضعيف عن قيام السلطان سيدي محمد لاحقا بزيارة ثانية نحو تافيلالت، يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى 1201هـ/ 1787م مكث فيها نحو شهر، وفرق خلالها على الشرفاء أموالا كثيرة من الذهب والفضة، وعم عطاؤه قبائل الشرفاء من الخنق إلى أخر تافيلالت، وزوج كل من هو أرمل أو عازب، وأعطى لكل واحد منهم خمسين مثقالا ذهبيا، ومهد تلك النواحي (...)، كما كلف قاسم الصريدي بتتبع وضبط أوضاع تافيلالت[213]. لكنه لم يشر إلى أي موجهات بالرتب مما يدل على أن الوضع استتب خلال هذه المرحلة.

---

[211]- أحمد بن الحسين المتيوي (عاش ما بين 1758م ـ 1810م، قام برحلته بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، عام 1201هـ/ 1786م، فرغ من كتابتها عام 1203هـ/ 1789م، والمخطوط في المكتبة النمساوية برقم تسلسلي هو 1207، ويحمل عنوان، **رحلة السبيل من حضرة فاس إلى أرض تافيلالت**. ذكره ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب**، ص ص. 228، 229.

[212]- Georges Séraphin Colin. «**voyage de Fès au Tâfîlâlt en 1787**». La Revue de Géographie Marocaine publiée par la Société de Géographie du Maroc, p. 7.

[213]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 191.

يظهر من ذلك أن السلطان ظل مهتما بما يقع بتافيلالت طيلة فترة حكمه، نظرا لأهمية هذه المنطقة بالنسبة له، مما دفعه أيضا سنة 1202هـ/ 1788م ورغبة منه في امتلاك أسطول حربي خاص بالمخزن، وفي إيجاد حل لمسألة توفير البحارة، لتجنيد بعض الأفراد من تافيلالت، وبالضبط من قبائل آيت عطا الضاربة في التخوم الصحراوية الشرقية بتافيلالت[214]. المنطقة التي لا تقع على أي واجهة بحرية، بل إن مناخها وظروفها الطبيعية مخالفة تماما لظروف المناطق البحرية الساحلية، لكن مع ذلك أمر السلطان هذه القبائل بتعيين ستمائة من رجالها وأربعمائة آخرين من عبيد تافيلالت ليرسلوا إلى مكناسة ومنها نحو تطوان، حتى يقبضوا السلاح والكسوة، ثم يتوجهوا إلى طنجة ليتدربوا فيها على ركوب البحر إلى أن يألفوه وتزول عنهم دوخته[215].

هذا الفعل الذي أقدم عليه السلطان سيدي محمد، وضعنا أمام عدد من الافتراضات، فصحيح أن المصادر لم تحدد بالضبط القصور التي ينتمي إليها هؤلاء الفلاليون الذين سيصبحون بحارة، لكنها حددت لنا أنهم من آيت عطا والعبيد، والذين مثلوا ثلث جيش البحر المغربي أي حوالي 1000 من 2490[216]. مما يجعلنا لا نستطيع تأكيد انتمائهم أو حتى بعضهم إلى الرتب، لكننا نفترض أن هذه المجموعة لم تكن لتخلو من عناصر ينتمون لهذه المنطقة، على اعتبار أن السلطان المذكور قد سبق له وأن أمر بعض عبيد المعاركة والزريكات بالرتب وغيرهما منذ 1172هـ/ 1758م بالالتحاق بجيش العبيد بمكناس، عقابا لهم على دعم المتمردين. ثم لما لا يكون ذلك راجع لما لمسه السلطان من شجاعة وقوة وشدة بأس لدى العطاويين، في عدد من المناورات والمواجهات التي خاضها ضدهم، بغية الاستفادة من هذه الخبرة الحربية البرية لدى هؤلاء في الميدان البحري؟

---

[214]- محمد بوكبوط، **السلطان سيدي محمد بن عبد الله في مواجهة أزمة المخزن والمجتمع (1757م ـ 1790م)**، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، ع59- مطبعة بني ازناسن، سلا، المغرب، 2015م، ص. 55.

[215]- الزياني، **البستان**، ص ص. 476، 477./ الناصري، **الاستقصا**، ج 8، ص. 62.

[216]- الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص. 18.

نستنتج أن السلطان أولى عناية خاصة لمنطقة تافيلالت، بل وأسكن بها بعض أولاده ومنهم ابنته المسماة لالة حبيبة، والتي استوطنت قصر المعاركة زمن حكم أبيها، وعلى ما يبدو أن السلطان سيدي محمد كانت تربطه مصاهرة مع بني عمومته الأشراف الذين كانوا بالرتب، إلى جانب من أشرنا لهم. حضور هذه المرأة كان بارزا أيضا في خضم الخلاف الذي طبع علاقة محمد بن عبد الله مع ابنه مولاي اليزيد المتمرد، حيث حاول السلطان إبعاده عن المغرب قليلا فأرسله إلى الحج سنة (1199هـ/ 1785م) واستغرقت حجته ثلاث سنوات[217]، لكن أثناء عودته سنة 1203هـ/1789م أراد الدخول إلى قلب تافيلالت، التي كان بها كل من أخيه مولاي سليمان، وكذا الزياني الذي كان مكلفا بتسيير الإقليم، وكان هذا الأخير على خلاف وعدم ود مع مولاي اليزيد[218]، مما دفع مولاي سليمان والزياني خوفا من غضب السلطان عليهما، إلى مراسلة شيخ ركب الحج ،(الشريف مولاي عبد الله بن علي) الذي كان ضمنه مولاي اليزيد وأفراد أسرته، وتوبيخه متهمين إياه بالغفلة وطالبين منه عدم السماح لليزيد بمرافقة القافلة مخاطبين إياه برسالة مفادها كما كتب الزياني «**وأنا أعلمك يقينا أنك إن قدمت هذه البلدة به (أي بمولاي اليزيد) لا تدخلها إلا مكبلا، وعلى هذا كن معولا، فادفع عنك عياله وأصحابه إلى طريق الرتب يتوجهون لأخته** (...)، **فوجه (أي شيخ الركب وجه عيال وأصحاب اليزيد) معهم من يدلهم على الطريق للرتب على كير، فكتب الزياني للسلطان يخبره بالخبر فاستحسن رأيه وقال له: لا تتركهم بالرتب وقال له: وجه معهم ثلاثين من العبيد والبهائم وزودهم ووجههم لأمه بدار دبيبغ**»[219].

ما نستشفه من هذه القضية هو أن اليزيد كانت له علاقة طيبة مع أخته لالة حبيبة المقيمة بالرتب آنذاك، لكونها أولا شقيقته إلى جانب أخيه مسلمة أو سلامة حسب كِتَابَة المصادر لاسمه، فالثلاثة هم من أم واحدة إسمها شهرزاد وهي علجة من سبي الإسبان، ومما يبرز العلاقة الوطيدة

---

[217]- الناصري، **الاستقصا**، ج 9، ص. 63.

[218]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 260.

[219]- الزياني، **البستان**. ص. 78./ الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 261.

بينهما، هو أن اليزيد كان هو من تكلف بإرجاع أخته هذه من بلاد الحجاز، بعد موت زوجها ابن الشريف سرور شريف مكة[220]. هذه القضية تجعلنا أيضا نقدر بأن الرتب لم يكن إبان هذه الفترة منطقة قد تحتضن أو ينطلق منها تمرد، أو أي محاولة للسيطرة على الحكم، على اعتبار قلة ساكنته، وما له من خصوصيات طبوغرافية وبشرية تعرقل وصول أي من المتمردين والثائرين للحكم، أو السيطرة على زمام الأمور انطلاقا من هذا المجال. لكن السلطان سيدي محمد مع ذلك؛ لم يكن ليطمئن لوجود ابنه اليزيد هنا، نظرا لقرب الرتب من تافيلالت، التي يمكن أن ينجح اليزيد في تأليب سكانها ضد السلطان، ولهذا أمر برحيله وكل أسرته عن الرتب، مما دفع اليزيد بعد ذلك للفرار واللجوء إلى ضريح الولي عبد السلام بن مشيش شمال المغرب، لكنه سرعان ما أصبح سلطانا للمغرب بعد وفاة والده سنة 1204هـ/ 1790م.

جعلنا قِصَرُ فترة حكم السلطان مولاي اليزيد والتي لم تتجاوز السنتين (1790م ـ 1792م) استغرقها كلها تقريبا في مواجهة الاضطرابات، والدخول في حروب وصراعات متواصلة، لا نعثر على معطيات كثيرة تبين طبيعة علاقته بالرتب وأهله، وإن كنا وقفنا قبل هذا على ما جرى بينه وبين الزياني أيام حكم أبيه، والذي منعه وأسرته من دخول تافيلالت الصغرى بعد رجوع من الحجاز، ودفعه للتوجه نحو الرتب عند أخته، لكن عند توليه أمر الحكم، لم نجد إلا إشارات بسيطة عن هذه العلاقة، منها ما ذكره الحوات(ت 1816م)، بأن التهامي الشاكري والمتولي لخطة القضاء بمدغرة والرتب آنذاك، كان من جملة من ذهبوا إلى السلطان اليزيد لمبايعته، إلى جانب بعض علماء الأشراف وصلحائهم خاصة من أبناء عمومته سكان مدغرة[221]. كما نجد من جهة أخرى أن مولاي اليزيد طلب من هذا الأخير إعداد قصيدة له ترثي خيلا مات له[222].

---

[220]- ابن زيدان، **إتحاف**، ج 3، ص. 413.

[221]- أبو الربيع سليمان الحوات الشفشاوني، **ثمرة أنسي في التعريف بنفسي**، تحقيق عبد الحق الحيمر، سلسلة نصوص تراثية 2، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية، مطبعة الحداد يوسف إخوان (الهداية) شفشاون، ط 1996م، ص. 111.

[222]- التهامي الشاكري، **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، تحقيق حسن حافظي علوي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2001م، ص. 12./ التهامي الشاكري، القصيدة موجودة ضمن مجموع في م خ ح، رقم 2893.

6 ـ 2 . أثر سياسة مولاي سليمان وحملاته في منطقة الرتب(1792م ـ 1822م).

شهد عهد مولاي سليمان حضورا قويا للمخزن وممثليه بمنطقة تافيلالت عموما، بعد أن تزايد اهتمامه بها أكثر من الاهتمام الذي كان يوليه والده لهذه المنطقة، وهو ما ترجم بتعدد الحركات التي قام بها، أو بعثها نحو تافيلالت خلال فترة حكمه، بغية إعادة فرض السيطرة عليها، وبالتالي تحقيق هدفه المتمثل في إحياء أو تطوير التجارة الصحراوية، خصوصا وأن والده كان قد توجه في إطار سياسة الانفتاح التي تبناها إلى الاهتمام أكثر بالمدن الساحلية، عكس سياسة الانغلاق التي كان مولاي سليمان يريد اتباعها، أو ما يسميه كثيرون بسياسة الحذر أو الاحتراز.

وهذا ما كان يحتم على السلطان ضرورة فرض الأمن والسيطرة على محاور التجارة الصحراوية، وفي مقدمتها تلك المارة بتافيلالت، عبر الطريق الرابط بين فاس وسجلماسة، ومن هذه الأخيرة إلى مختلف المناطق التجارية الصحراوية جنوبا، والتي أصبحت تعاني من تزايد هجمات القبائل المتمردة عليها. وانتشار النهب والسلب على امتداد محاورها، مما فرض ضرورة القيام بمجموعة من الحركات صوب المنطقة، لاستئصال مظاهر الفوضى والانفلات بها.

تزامن سعي السلطان مولاي سليمان لتحقيق أهدافه مع استمرار القلاقل السياسية بالمغرب نتيجة رفض عدد من إخوته وبنيهم لبيعته، وعلى رأسه مولاي مسلمة الأخ الشقيق لمولاي اليزيد ولالة حبيبة، والذي أعلن نفسه سلطانا، وخاض معارك كبيرة مع أخيه مولاي سليمان، قبل أن ينهزم ويفشل في مسعاه ويرسل المراسل طلبا للأمان من أخيه السلطان الذي قبل ذلك، ووجهه ليستقر رفقة أبنائه بقصر المعاركة بالرتب الأسفل، لكنه الأمير مسلمة لم يطب له مقام به ليتوجه إلى الشرق[223]. وبعد رحلة طويلة شملت مجموعة من المناطق والبلدان أراد مولاي مسلمة العودة، فطلب من أخيه السلطان أن يسمح له بالاستقرار بمكناس أو فاس، غير أن مولاي سليمان رفض

[223]– العربي بن عبد السلام، **ذكر الخبر عن دولة شرفاء وملوكنا/ الدولة الشريفة الحسنية وذكر لمع من محاسنها ومفاخرها البهية**، م خ ح، رقم 12018، ورقة 156.

ذلك، وطلب منه مرة أخرى الاستقرار بالرتب في سجلماسة، وهو ما رفضه الأمير مجددا، وليعود أدراجه من جديد ويستقر بتونس، إلى أن توفي بها سنة 1834م.

يبدو مما ذكرناه آنفا أن سياسة مولاي سليمان لم تحد عما كان يقوم به أغلب السلاطين العلويين؛ وذلك بنفي أو إرسال المتمردين والمتطلعين للحكم من البيت العلوي نحو سجلماسة، هذه القضية أثارت انتباه الفرنسي غابرييل دلبريل بعد زيارته لتافيلالت سنة 1893م، حيث شبهها بسبيريا روسيا التي كانت منفى لأفراد الأسرة الحاكمة القيصرية الذين يُخَافُ من مؤامراتهم ومطامعهم، مع التناقض المناخي الصارخ بين المنطقتين (أي تافيلالت وسيبريا)[224].

فهذا النفي ربما كان يهدف أولا إلى إبعادهم عن مركز الحكم بالعاصمة والمدن الرئيسية الكبرى، حتى يتاح للمخزن الاستعداد لهم بشكل أكبر إذا ما ظهر منهم أي خطر، يضاف إلى هذا كثرة الأمراء المقيمين بسجلماسة والمتطلعين للحكم، مما يجعل الاتفاق بينهم على من يتصدر الأمر هناك صعبا للغاية، وهذا ما كان يضمن استمرار وجودهم بالمنطقة، لكن دون أي خطر كبير، رغم أن السجلماسيين كما علقت على ذلك آسية بنعدادة في تحقيقها لكتاب "زهرة الأكم"،كانوا يساندون الثوار عادة، مرجحة أن يكون السبب هو كون سكانها «**يرغبون في سلطة بعين المكان يحتمون بها**»[225]، ونسجل ملاحظة أخرى أساسية هي أن معظم المنفيين من الأمراء إلى سجلماسة، كانوا يستقرون بقصور تافيلالت الصغرى، لكن مولاي مسلمة استقر في البداية بالرتب، ولعل مرد ذلك ربما يرتبط باستقرار شقيقته لالة حبيبة هناك، مما قد يضمن له أمنا على أبنائه وأسرته في حال تعرضه لأي مكروه أو غيره.

تزامنت بداية حكم السلطان سليمان أيضا؛ وما عرفه المغرب من جوائح وكوارث طبيعية نتيجة توالي سنوات الجفاف، وزحف الجراد المتواصل، ثم مرض الطاعون الأسود؛ الذي عزز من

[224]- Delbrel, «**Notes sur le Tafilelt**», p. 205.

[225]- الريفي، **زهرة الأكم**، ص. 55.

التوجه نحو الانغلاق والاحتراز، لكن رغم كل ذلك بادر السلطان بالعمل على ضبط الأمور بتافيلالت، أحيانا من خلال إرسال حملات وحركات عسكرية بقيادة أبنائه، أو عماله، وفي بعض الأحيان؛ الانتقال بنفسه لمباشرة الأمور هناك.

لكن ما يهمنا نحن هو الوقوف على طبيعة العلاقة التي كانت بين السلطان مولاي سليمان، ومنطقة الرتب وساكنتها خاصة الشرفاء أبناء عمومته، فما ينقله لنا الضعيف عن ذلك؛ يعبر عن علاقة متوترة، وغضب وتذمر شديدين من السلطان على هذا المجال، وإذا سلمنا أن قبائل آيت عطا بعد حركة السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1783م، أجبروا على ترك المناطق التي سيطروا عليها في الرتب وإخلائها، إلا أنهم لم يبعدوا عن المجال كثيرا، مما جعلنا نربط بين ذلك وإقدام السلطان مولاي سليمان على إرسال حملات متتالية نحو المنطقة، وكذا إطلاق يد عامله الحكماوي بالرتب، كما وجدنا في المقابل السلطان يأمر بعضا من آيت عطا أن يخرجوا معه من فاس لسجلماسة بمهرازين والكور والبنب ليلحقوا بعامله هناك[226].

يصور لنا الضعيف ما قام به الحكماوي عامل السلطان على الإقليم، بعد أن تلقى الأخير الدعم في حملته نحو تافيلالت؛ عبر توصله ب 1500 من عبيد مكناسة ألحق بهم بعد ذلك ب600 آخرين، إضافة إلى حوالي 70 من الخيل وزعت على الجيش خاصة الودايا، الذي حصلوا أيضا على خيل شرفاء الرتب التي نزعت منهم لأنهم كانوا يشتكون من الحكماوي[227]. هذا الأخير وبعد أن دخل لسجلماسة عاملا عليها في 20 صفر 1211هـ/ 1796م، وتلقى هدايا قبائل الصباح الذين شكلوا إلى جانب بعض أهل تافيلالت وآيت ازدك وآيت عطة نواة جيشه بالمنطقة[228]، حرص على تنفيد ما أمره به السلطان بالتشدد مع أهل تافيلالت، وبتكليفهم بما لا يطيقون. وهو ما يصوره لنا النص التالي، من خلال وصف تعامله الحازم مع أهل الرتب حيث

---

[226]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 277.

[227]- نفسه، ص. 275.

[228]- نفسه، ص. 277.

كادت حركته به أن «**تخلي واد الرتب، وفرض على كل دشرة منه أن يدفع أهلها في كل يوم أربعين مدا من الشعير، ومائة وعشرين من القرط والسمن والسخرة، وقبض منهم في السجن، وجعل الحبيب قائدا على أولاد عيسى، وقبض من الزريكات ثمانية عشر رجلا، وقتل ولد السخسوخ، وبعث أخاه لسجلماسة بعياله، وكذلك ابن محمد بن مغفر، وقد اقتصرنا على كلام طويل.**(ونقول هنا قولة المؤرخين ويا ليته ما سكت أو اقتصر) **كما قبض من أهل الدويرة وغيرهم، وقبض من الشرفاء، وفرت الأقوام ونزل على وادي الرتب شهرا كاملا وسبعة أيام، حتى كاد يخلي مدشر أولاد عيسى، وكذلك أولاد عميرا، وفي كل يوم يدفع له أهل الرتب أربعة وعشرين غرارة(الغرارة مكيال يساوي: 35 زكنا أو ثلاثة قصعات) شعيرا**»[229].

بهذا استطاع مولاي سليمان استرجاع وفرض نفوذ المخزن إلى حد ما بهذه المناطق المهمة للتجارة الصحراوية، ومعاقبة عدد من الأفراد بالرتب خصوصا أولئك الذين ربما كانوا يتمردون على قياد السلطان، نذكر منهم ابن محمد بن مغفر من قصر أولاد عيسى، والمنتمي لعائلة الشيخ مغفر سابق الذكر، مما يبرز استمرار قوة هذه الأسرة وقدرتها على التأثير في الوضع بواد الرتب، وحتى يضمن السلطان استمرار تحكمه وبسط سلطته؛ استمر في إرسال حملاته إلى المنطقة ومنها الحملة التي أرسلها سنة 1218هـ/ 1804م) تحت قيادة عامله محمد الصريدي، مما كان له دور مهم في تمهيد الطرق الصحراوية مرة أخرى وتعيين قواد مخزنيين بالمنطقة[230]، بعد أن استطاع الصريدي اقتحام معظم تلك المناطق الصحراوية، انطلاقا من ملوية ودرعة وتدغة وغريس ومرورا بأعالي زيز ومنطقة الخنك ومدغرة والرتب، فجبى أموال جميع تلك القبائل. وبذلك تم تثبيت عمال السلطان وقياده على المنطقة، قبل رجوع عساكر الحركة إلى العاصمة[231].

---

[229]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 277.

[230]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص. 121.

[231]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص ص. 282، 283.

لكن يبدو رغم كل ما سبق ذكره أن الأمر لم يستتب بالمنطقة، كما كان يأمل السلطان مولاي سليمان، إذ سنجده في سنة1231هـ/1815م يقدم على إرسال ولده مولاي إبراهيم بالحرْكة[232] لتافيلالت، محملة بالأنفاض والمهاريز والبونبية بعد تصاعد الخلافات بين عرب الصباح، واستعانة بعض الأطراف المتحاربة منهم بقبائل آيت عطا وتمكينهم من بعض القصبات، الأمر الذي أغاض السلطان، فما كان منه إلا أن أرسل ابنه المذكور لمحاربة وإخراج العطاويين من القصبات التي دخلوها بتافيلالت، مستخدما في سبيل ذلك الأنفاض والبونب وغيرها من الأسلحة الأخرى، كما قبض على عدد من هؤلاء وأرسلهم إلى والده، واستمر هو لمدة شهرين ونصف بالمنطقة لضبط الأوضاع[233].

وقد وقف الكنسوسي عند هذه الحملة مطولا، وبين أن السلطان مولاي سليمان بعث ولده إبراهيم على رأس جيش لقطع ما أسماه فساد قبائل الصحراء من "عرب الصباح وبرابر آيت عطة" وقال بأنه «**نزل على قصورها ونصب عليهم آلات الحرب، فخرب ما خرب وبدد شملهم، ثم نازل آيت عطة في قصورهم وحاصرهم إلى أن طلبوا الأمان فأمنهم، وطلبوا منه أن تبعد المحلة عنهم، حتى يخرجوا خوفا من معرة العساكر، وكان ذلك من مكايدهم المعروفة، فأبعد عنهم فأدخلوا ما كانوا يحتاجون إليه في الحصار من الرجال والسلاح والأقوات، فتمادوا على غيهم**»[234].

يتضح من هذا الموقف أن العطاويين كانوا بارعين في المناورة وإعمال الحيل المختلفة في مواجهة جيوش المخزن الجرارة، ولم يكن أمام إبراهيم بن السلطان وبعد أن اغتاض من خداعهم له، إلا أن قتل من كان معه من رهائن منهم في سجلماسة، وبَعْثِ بعضهم لفاس؛ حيث قتل أزيد من مئة منهم بباب المحروق هناك، هذه الأخبار لم تكن لترضي السلطان مولاي سليمان الذي

---

[232]- **الحرْكة** بسكون الراء، مصطلح مغربي تعني ما يشبه الغزوة أو المسيرة العسكرية، عبد الإله الفاسي، «مادة: الحرْكَة»، **معلمة المغرب**، ج10، ص ص. 3378، 3381.

[233]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 394.

[234]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ص. 301.

عبر عن غضبه من إبنه، واعتبر سماحه بفك الحصار عن قصور العطاويين من نقصان عقله، ومن الخفة والطيش، كما أنكر عليه قتل من جلبهم معه من الأسرى[235].

قرر السلطان مولاي سليمان أمام كل ذلك التوجه بنفسه لتأديب العطاويين، رغم قدوم وفود من هؤلاء إليه مظهرين التوبة والطاعة، مقابل أن يبقيهم في مداشر "المسلمين" التي حصلوا عليها في الرتب وتافيلالت وغيرهما، وهو الأمر الذي لم يكن ليقبله السلطان؛ بل إنه أراد قتلهم لولا ولد أخيه مولاي عبد المالك الزيزون الذي جاء بهم في الأمان، فردهم على أعقابهم، وطردهم وتوعدهم بحرب لاهوادة فيها، تخمد نارهم وتكف عدوانهم.

هذه الحرب أعد لها جيشا ضخما، ووفر لها أسلحة مختلفة، ورغم تأخرها نتيجة تزامن التحضير لها، وأخبارا عن تحركات للعدو الاسباني قرب سواحل المغرب، قبل أن يتأكد من أنهم اتجهو بعيدا نحو الجزائر وتلقوا بها هزائم نكراء، ليكمل السلطان وجيشه بعد ذلك حركته نحو الصحراء[236]. وقبل وصوله يقول الكنسوسي«**فلما لقيه البربر ببشارة الفتح والاستيلاء على القصور المغصوبة، وفرار آيت عطة وإدبارهم بعد القتل والسبي والنهب والدخول عليهم عنوة وغلبة، فجد السير إلى أن نزل بغريس، وكتب للعساكر وأمرهم بملاقاته بفركلة، ينزلون على قصور الخربات التي فيها آيت عطة. فاجتمعوا هنالك ونصبو آلات الحصار عليها بالمدافع والمهاريز ورمى عليها ثلاثة أيام، وكثر فيها الهدم والقتل وشاهدوا الموت وأيقنوا بالهلاك، فوجهوا النساء والصبيان طلبا للشفاعة على الخروج بمجرد رؤوسهم وأولادهم فأمنهم، وخرجوا في الليل حاملين أولادهم، فلما أصبح نهب ما في القصور من الأقوات والمتعة والبهائم(...)، وأما الشرفاء والطلبة فإنه أفاض عليهم ما لم يكن في حسبانهم ولا بلغته أمنيتهم، فإنه أعطى الشرفاء مائة ألف مثقال غير ما كان يعطيهم في كل عام، وقسم**

---

[235]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ص. 301.

[236]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 398.

بخط يده لدار مولاي عبد الله كذا ولشريفات حمو بكو كذا ولشرفاء تافيلالت كذا (...) ولشرفاء الرتب كذا ولشرفاء مدغرة كذا»[237].

يتضح من هذا النص ومما سبق ذكره مدى قوة وحزم مولاي سليمان في التعاطي مع القبائل العطاوية المنتشرة على امتداد وادي غريس وزيز، هذا الحزم المؤقت سرعان ما سيرتد على المنطقة وأهلها بعد تزايد الاضطرابات في شمال ووسط المغرب، بما في ذلك العاصمة فاس، وذلك إلى حين وفاة السلطان سنة 1822م، لتدخل منطقة الرتب تاريخا ومرحلة جديدة تغيرت معها كثير من المعطيات والخصائص البشرية والاجتماعية المرتبطة بها.

[237]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ص ص. 301، 302.

الفصل الثاني:

أهم التحولات بالرتب بعد السيطرة العطاوية ثم التدخل الاستعماري فيه.

الفصل الثاني: أهم التحولات بالرتب بعد السيطرة العطاوية ثم التدخل الاستعماري فيه.

عرف مجال الرتب طيلة القرن 13هـ/19م تطورات متلاحقة، غيرت بشكل جذري واقعه، وأثرت في حياة سكانه السابقين والطارئين عليه، وعلى رأسهم العطاويون، الذين كان لسيطرتهم على الرتب دور كبير في توجيه تاريخ المنطقة، ورسم معالم مختلفة ومتحولة لعلاقة السلطة المركزية العلوية مع أهله وقبائله، وما عرفته المنطقة من حروب وصراعات، سرعان ما تحولت من طابعها الداخلي، إلى مواجهة قوة أجنبية خارجية، استغلت أوضاع البلاد عموما والمنطقة ونجحت في إخضاعها للهيمنة الاستعمارية، لكن ذلك لم يكن ليمر دون أن يسطر المغاربة ومن بينهم ساكنة الرتب صورا مشرفة للمقاومة والصمود، رغم محاولة المحتل المتواصلة إحداث تغييرات مهمة وجوهرية في كافة مناحي الحياة، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذا الفصل من خلال عدة عناصر.

1 . عوامل ومراحل تدخل قبائل آيت عطا وسيطرتها على مناطق الرتب.

يصعب وضع تاريخ محدد يؤسس لعلاقة فروع قبيلة آيت عطا بمجال الرتب، لما طبع هذه العلاقة من مراحل كر وفر ومد وجزر، جعل حضورها يتراوح بين البروز والفتور وبين السطوة والتقهقر، لكن ذلك لم يخفي احتكاكهم بهذا المجال منذ وقت مبكر من تاريخ الدولة العلوية، والذي اتخذ أشكالا عدة، برزت أولا في صورة سلمية تشير لها بعض المصادر، من خلال علاقتهم مع بعض الأشراف والقوى المحلية بعموم تافيلالت منذ أواخر القرن10هـ/ 16م، أي بعيد تأسيس هذه الاتحادية، لتبرز في عهد مولاي إسماعيل كنوع من حروب العصابات، من خلال قطعهم لطرق القوافل التجارية، والإغارة على بعض قصور المنطقة للحصول على مواردها والاستيلاء على أغنامها[1].

لكن المرحلة الحساسة في علاقة قبائل آيت عطا بالرتب، كانت عندما أصبح هدفها هو الاستقرار والعيش بهذا المجال. وإذا كان هذا الهدف فشل في بدايته، أو ربما لم يكن مقصودا لذاته،

[1]- القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ص. 211.

للحزم الذي وُجِهَ به من قبل سلاطين المرحلة الأولى من تاريخ الدولة العلوية (مولاي إسماعيل، سيدي محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان)، وتعاضد بعض السكان لمواجهته، إلا أن تحرشاتهم ظلت متواصلة إلى نهاية عهد السلطان مولاي سليمان، حيث يمكن القول إن تاريخا جديدا كتب في منطقة الرتب مباشرة بعد وفاة هذا الأخير سنة1238هـ/ 1822م، تاريخ تغيرت فيه كثير من المعطيات المتعلقة بمجال الرتب، سواء على مستوى التركيبة الاجتماعية والبشرية، أو العلاقات القائمة بين القصور وبين هذه الأخيرة والسلاطين وممثلي المخزن بتافيلالت، وغيرها من القضايا الأخرى المرتبطة بالملكية والماء والعمران، ولهذا ارتأينا أن نجعل هذا المحور منفصلا لخصوصياته مع تأكيدنا على طابع الاستمرارية المميز عموما لتاريخ المجال وتفاعلاته المختلفة.

لقد أثار بروز قبائل آيت عطا كقوة مهيمنة بمنطقة الجنوب الشرقي للمغرب، وتصاعد قوتها مع مطلع القرن13هـ/ 19م، اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين، وتباينت مواقفهم من الأعمال الحربية التي قاموا بها، نظرا لدورها الهام في تغيير الخريطة الإثنية للجنوب المغربي ومنطقة تافيلالت والرتب بشكل خاص، لدرجة جعلت البعض يشبه تحركات آيت عطا بالتوسعات الجرمانية التي شملت جميع أنحاء أوروبا في العصور الوسطى[2]، ولا إن كانت هذه القبيلة قد انطلقت من مواطنها؛ بعد نجاحها في تأسيس وتكوين اتحادية ضمت فروعا أساسية من القبائل الصنهاجية بذلك المجال[3]، فإنها جاءت كما ذهب إلى ذلك كثيرون في بداية انطلاقتها بجبل صاغرو خلال القرن10هـ/ 16م، كاتحادية سياسية تحت قيادة المحارب داد عطا هدفها الثأر من القبائل المعقلية العربية [4]. وبالتالي مقاومة السيطرة التي كانت تفرضها هذه القبائل، والغرامات والنهب الذي مارسته على القوافل التجارية العابرة وغيرها، والقيام مكانها على نفس الأرض، وبنفس الممارسات التي كانت تقوم بها تلك القبائل العربية المعقلية إن لم يكن أكثر.

---

[2]- احدى، «**دراسات في تاريخ المغرب**»، ص. 83.

[3]- العلوي، «دور الاتحاديات الأطلسية»، **مجلة البحث العلمي**، ع 23، ص. 117.

[4]- محمد احدى، «القبائل الأمازيغية بالجنوب الشرقي المغربي وعلاقتها بالمجال الصحراوي من القرن 16م إلى القرن 20م»، ضمن كتاب "**الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ**" نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مطبعة المعارف الجديدة ـ الرباط .2015م، ص. 141.

وهذا ما لمح له محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239 هـ ـ 1823م) في رحلته الحجية 1196هـ / 1782م بقوله «**تتمة الطريق من درعة إلى سجلماسة قطعة من الحجاز من قلة الماء وشدة الخوف، كانت قبل هذا، مقر بني محمد العراب. والآن استولى عليهم وعلى غيرهم بنو عطا، فانتقم الله تعالى بظالم من ظالم حتى يأخذ الجميع**»[5]. كل ذلك يدفعنا إلى القول بأن هذه الاتحادية القوية سعت إلى للوصول ومراقبة الأراضي المهجورة وغيرها خصوصا من تلك التي لها أهمية اقتصادية، أكثر مما كانت حلفا دفاعيا ضد الاضطهاد العربي[6]. يضاف إلى ذلك أن الظروف التي صاحبت انهيار الدول المركزية وطول فترة الفتن ساهمت في تعاضد أبناء القبيلة العطاوية أكثر من أي وقت سابق، خصوصا مع توالي سنوات الجفاف وما كانت تعرفه هذه الأخيرة من نمو مضطرد لأفرادها وماشيتها، مما حتم عليها ضرورة التوسع خارج مركزها القديم تجنبا لحروب داخلية، ولزيادة التماسك بين أفرادها[7].

لكننا لا يمكن أن نجد أدلة واضحة في مختلف المصادر على استقرار هذه القبائل العطاوية بالرتب إلا في القرن12هـ/ 18م، وذلك بعد أن استقرت قبيلة آيت اومناصف[8] بفرعيها الأساسيين آيت يحي أموسى وآيت اخلف ببعض قصور الرتب[9]، وما يؤكد على تزايد نفوذ وسطوة هذه القبيلة وسيطرتها على المنطقة، هو ما أشارت له مختلف المصادر حول إقدام السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة1197هـ/ 1783م على القيام بحركة لوقف تغوّلها واستهدافها للقصور الفلالية والرتبية عبر تحالفهم أحيانا مع الثوار من البيت العلوي الحاكم نفسه[10].

---

[5]- محمد بن عبد السلام الناصري، **الرحلة الناصرية الكبرى**، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2013م، ج1، ص. 111.

[6]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 81.

[7]- احدى، «**دراسات في تاريخ المغرب**»، ص. 80.

[8]- **آيت آمناصف**، تنتمي إلى خمس آيت أونبكي الذي يعتبر أحد الأخماس الأساسية المكونة لأتحاد قبائل آيت عطا، ويضم إلى جانب آيت أومناصف فرع ايت خباش، وهما القبيلتين الأساسيتين التي استوطنت فروعهما مجال الرتب وقصوره.

[9]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 206.

[10]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ج1، ص. 64.

ومن خلال ما عرفناه حول التطورات التي مر منها الرتب في علاقته مع القبائل العطاوية أساسا، وإلى حين ظهور أي معطيات جديدة فإن المعلومات المتوفرة اليوم، تجعلنا نحدد القول، بأن الزحف العربي على منطقة الرتب قد تم بشكل سلمي إلى حد كبير، رغم وجود قصور سابقة على وصولهم إليه إبان تلك المرحلة، تنسب للقبائل الزناتية، التي قال عنها ابن خلدون أنها تركت مواطنها بعد قيام الدولة المرينية، وحلت محلها القبائل العربية المذكورة[11]، غير أن معظم القصور الرتبية هي في حقيقتها من إنشاء هذه الأخيرة، حسب ما توحي به طبونيمية بعض القصور بالرتب، وإن كنا لا ننفي الممارسات التي قد يكونوا قاموا بها اتجاه السكان الأوائل بالمجال، من خلال فرض الاتاوات وغيرها عليهم[12].

نفس الأمر ينطبق على الشرفاء، الذين كان استقرارهم بالمجال سلميا إلى أبعد الحدود في بداياته حسب ما هو متوفر من معطيات، قبل أن يشتكي البعض من تصرفات عدد منهم، بل وقبل أن ينخرطوا أحيانا بكل قوة في دعم بعض أفراد البيت العلوي الثائرين المتطلعين للحكم، لكننا عندما نتحدث عن استيطان القبائل العطاوية بالرتب فالأكيد من خلال مختلف المصادر أنه اكتسى في عدد من الحالات طابعا حربيا وتوسعيا، لم يقتصر على الشرفاء أو القبائل العربية، بل امتد حتى إلى عدد من القصور التي كانت آهِلَة ببعض القبائل الأمازيغية، مثل آيت ازدك التي استوطنت بعض فروعها في عدد من قصور الرتب الأعلى[13]، وهذا ما يضعف فرضية الخلفية الانتقامية أو العرقية وحدها، في تبرير انتشار آيت عطا خارج مضاربها ودخولها لعدد من القصور الرتبية، ويؤكد حضور عوامل أخرى أقوى، على رأسها الصراع على مناطق النفوذ ذات الأهمية

---

[11]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص ص. 77، 78.

[12]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص، 124./مارمول، **افريقيا**، ج1، ص. 108.

[13]- عبد الله تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك وآثاره العامة، (1908 ـ 1930)**،مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1،سنة 2017م، ص. 66.

الاقتصادية، وكذا البحث عن مجال إضافي يمثل متنفسا للتزايد البشري الهائل الذي أصبحت هذه القبائل تعرفه في مواطنها بجبل صاغروا ومحيطه[14].

أدى تمكن القبائل العطاوية إذن بشكل مباشر من الاستقرار بجل قصور الرتب إلى تراجع مكانة الأشراف به، وتقلص كبير لنفوذهم. بل إنهم تعرضوا للمضايقة، وطردت أعداد كبيرة منهم خارج هذا المجال[15]. وترصد لنا بعض الوثائق أحيانا مظاهر كثيرة لهذا التضييق والتهجير الذي تعرضت له هذه الفئة، عندما تمكن العطاويون من الاستقرار على أرض تافيلالت عموما منذ بداية القرن13هـ/ 19م، وتمكنهم في هذه الفترة من وضع خيامهم بأول قصر دخلوا إليه بالرتب وهو قصر تاخيامت[16]، وتبين لنا رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى عامل تافيلالت الطالب إبراهيم النظيفي سنة 1268هـ / 1852م مبلغ الضرر الذي لحق الأشراف الرتبيين خلال القرن13هـ/ 19م، ومنهم الشرفاء القاطنين بالمعاركة، فقد كان هؤلاء يقلصون من تعاملهم مع البربر المتواجدين هناك، وتبرز لنا هذه الرسالة رغبة الأشراف في بيع ممتلكاتهم، ومغادرة هذا القصر بصفة نهائية، "**حتى لا يتخلف أبناؤهم بأبناء البرابر**"[17].

وهذا ما يضعنا أمام احتمالين: أولهما أن الأشراف كانوا يشعرون بوضعهم الاجتماعي كفئة متميزة، تحظى بعطف سلاطين الدولة العلوية، إلى جانب عطاياهم الدائمة، وبالتالي كانوا يرون ضرورة ضمان استمرار حصولهم على هذه الامتيازات، فضلا عن الحفاظ على مكانتهم التي اكتسبوها بفضل قرابتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لاسيما وأن النسب الشريف كان ذا

---

[14]- استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء**، ص. 182.

[15]- محمد المعزوزي وهاشم بن الحسن العابدي العلوي، **الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935**، مطبعة الأنباء، الرباط، 1987م، ص. 100.

[16]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 340.

[17]- انظر الملحق رقم 3، ص. 545.

أهمية قصوى في المجتمع لا تقل عن أهمية الثروة المادية[18] التي امتلكها كثير من الشرفاء الرتبيين، والاحتمال الثاني وهو الأرجح يرتبط بتعرض الشرفاء للأذى على يد بعض الأمازيغ في المنطقة، وهذا في حد ذاته إشارة إلى أن الأشراف أصبحوا يتعرضون للمضايقات في الرتب من قبل بعض الأمازيغ، وخاصة من المنتمين لآيت خليفة الذين تذكرهم بعض الدراسات بأنهم أغاروا على قصور الشرفاء بواد الرتب وأخرجوهم منها[19]، لكن ذلك ليس عاما، فهناك بعض الوثائق التي تذكر الكثير من العناصر الأمازيغية التي التزمت بدفع كل مكروه عن الشرفاء بمختلف فروعهم[20].

سيؤدي هذا الوضع لاحقا، وبناء على ما سبق ذكره، إلى تناقص عدد الأشراف بالمجال؛ بعد هجرة عدد كبير منهم إما شمالا نحو مناطق القصابي وبني تجيت وكير وغيرها، أو العودة إلى مواطنهم الأولى بالمغرب بمنطقة تافيلالت الصغرى، دون إغفال انتقال عائلات بأكملها غداة وصول العطاويين للمجال مع بداية القرن 19م نحو منطقة زاوية أوفوس، حيث كان لهم تواجد مهم هناك وهو مستمر إلى اليوم، مستفيدين من الطابع المنعزل وشبه المحصن للمكان[21].

---

[18]- مصطفى الشابي، «عبد الرحمان بن زيدان مؤرخا سياسيا»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط**، جامعة محمد الخامس، ع1 ـ 1984م، ص. 136.

[19]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي**، ص. 100.

[20] - Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 105.

[21]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص ص. 78، 79.

2ـ انعكاس سيطرة العطاويين على الرتب ومحيطه زمن السلطان عبد الرحمان بن هشام.

شكل عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822م ـ 1859م) مرحلة تحولات كبرى على المستوى الداخلي، وعلى مستوى دول ومناطق الجوار أيضا، وكذا تحولات عميقة مست المجتمع والمخزن في بنياته ومكانته. فقد تزامنت وفاة السلطان مولاي سليمان وتولي مولاي عبد الرحمان سنة 1822م، مع تراجع دور المخزن وحرَكَاتِه نحو الجنوب الشرقي، ولا ربما كان ذلك راجع إلى فشل مشروع الانغلاق، بالتوجه نحو المشرق الذي كان ضمن صلب وجوهر سياسة مولاي سليمان ومخزنه، هذا الأخير فقد الهيبة التي كانت له وبدأ يتخلى عن أدواره الأساسية المتمثلة في حفظ الأمن ومحاربة المتمردين والمعتدين والممتنعين عن دفع التزامات الدولة وحقوقها.

زاد من تفاقم وضعية المخزن توالي هزائمه العسكرية بعد المواجهة مع القوتين الاستعماريتين المتربصتين به منذ وقت طويل، وهما فرنسا المحتلة للجزائر سنة 1830م والتي أجبرته على خوض معركة غير متكافئة سنة 1844م بإسلي[22]، أخضعته بعدها لشروط معاهدة لالة مغنية القاسية سنة 1845م[23]. مما أفقد المخزن وجنوده ما تبقى له من هيبة، كان قد اكتسبها في أقوى مواجهة معهم بالمغرب منذ سنة 1578م، والمتمثلة في معركة واد المخازن[24]، يضاف إلى ذلك دور إسبانيا التي الحقت بالمغرب هي كذلك هزيمة نكراء بتطوان سنة 1859م، أعقبها فرض شروط قاسية ومجحفة عمقت أزمة المغرب المالية والسياسية[25]، دون إغفال الاتفاقيات التجارية المبرمة مع عدد

---

[22]– عبد الرحمان بن زيدان، **العلائق السياسية للدولة المغربية**، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص. 96./ الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 52.

[23]– ابن زيدان، **اتحاف أعلام الناس**، ج 5، ص ص. 69، 68.

[24]– عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، بدون تاريخ الطبع، ص. 39./ وابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2002م، ج3، ص. 258.

[25]– عبد الله العروي، **الجدور الاجتماعية للوطنية المغربية، مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عصر الحسن الأول إلى عصر الحسن الثاني**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية، الدورة السابعة، 1995م، ص. 15./ الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 101.

من الدول الأوربية وعلى رأسها انجلترا(1856م) والتي حصلت بموجبها على امتيازات خطيرة أجهزت على ما تبقى من مصادر قوة للدولة المغربية[26].

صاحب كل ذلك اضطرابات داخلية متواصلة ومتصاعدة، نركز فيها على ما وقع منها بمنطقة تافيلالت، التي ستعرف تزايد قوة القبائل العطاوية وتنامي طموحتهم واستمرار بحثهم على مجالات جديدة، لتهدد بشكل أكبر مصالح ونفوذ أحد الأحلاف القبلية المهمة والمتحالفة أحيانا مع المخزن وهي قبائل آيت يفلمان، المتكونة أساسا من آيت مرغاد وآيت حديدو، آيت ازدك، آيت مرغاد وغيرها، ما جعل المواجهة بينهما حتمية، نتيجة لما أثاره العطاويون من قلق لدى باقي المكونات القبلية والعرقية بتافيلالت من عرب وشرفاء وحراطين، ودفع هؤلاء إلى التحالف والاصطفاف إلى جانب آيت يافلمان ضد الحلف العطاوي القوي، فنتج عن كل ذلك مواجهات عديدة بين الطرفين، منذ وصول العطاويين للرتب، وإلى حين بداية المواجهة ضد المستعمر، والتي جمعت بين أعداء الأمس ضد عدو ذلك اليوم وتلك المرحلة، أي المحتل الفرنسي.

وبالرجوع إلى فترة اكتساح العطاويين للرتب مع نهاية حكم السلطان مولاي سليمان، نجد البعض يربط بين هذا الحدث ووفاة هذا الأخير، وهو ما لا نستطيع نفيه أو التقليل من أهميته. لكننا بالعودة إلى هذه المرحلة؛ نجد أنها أيضا تزامنت وما تعرضت له مناطق الصحراء الجنوبية من مجاعة خطيرة بسبب الجفاف، أجبرت البعض على النزول إلى الواحات، والامتناع عن دفع أي جباية للمخزن، وما قيام مولاي عبد الرحمن بن هشام بإرسال ابن عمه الأمير محمد بن الطيب، في أوائل أربعينيات القرن 13هـ الموافق لـ 19م، إلى هذه المناطق لاستخلاص الجباية إلا دليل على ذلك، لكنه لم يتمكن من جمع مقادير كبيرة، بل عاد مخففا كما يقول الناصري[27]، مما أجبر السلطان على إرسال حرْكة لردع قرى الجنوب سنة 1244هـ/1828م كما يخبرنا بذلك منشور

[26]- أسية بنعدادة، **الفكر الإصلاحي في عهد الحماية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2003م، ص. 29.

[27]- الناصري، **الاستقصا**، ج 9، ص. 13.

سلطاني[28]. دون إغفال العداء المستعر كذلك بين الأشراف القاطنين بتافيلالت عموما وآيت عطا المكتسحين لها ونزاعهم على عدد من الممتلكات والموارد المائية المهمة[29].

نجد في إحدى رسائل الزياني إلى السلطان مولاي عبد الرحمان؛ ما يبرز ذلك، ويبين الصعوبات الجمة التي كان يعاني منها المخزن في مواجهة القبائل السائبة وعلى رأسها قبيلة آيت عطا، ففي هذه الرسالة ـ والتي هي عبارة عن قصيدة ـ نجد الزياني، وهو الذي خبر مجال تافيلالت والرتب أكثر من غيره بحكم عمله فيه، وفاوض العطاويين وحاربهم منذ عهد السلطان سيد محمد بن عبد الله وابنه مولاي سليمان، يعبر عن مواقف حانقة على العطاويين، ويشجع السلطان مولاي عبد الرحمان على استئصال شأفتهم، كما يعبر عن الابتهاج بما حققه قائد السلطان ابن الطيب من انتصارات عليهم، وما يلحقه بهم من هزائم وخسائر حيث يقول في نظم ورد في رسالته[30].

قَضَى اللهُ أَمْرا لاَ يُقَامُ بِشُكْـــــرِهِ وَإِنْعَامِهِ تَأْتِي إِلَيْنَا بِلَا خَطَـــــــا

وَذَاكَ هَلَاكُ أُمَّة قَدْ تَمَـــــــرَّاءُوا بِصَحْرَاءِ غَرْبِنَا فَهُمْ تِسْعَةُ رَهَطَـــا

وَغَرَّهُمْ خَادِع لَهُمْ بِوَلَائِهِـــــــمْ وَسَعَى كَسَعْيِهِمْ فَأَصْبَحَ مُنْحَطّـــا

وَظَنُّوا بِأَنَّ اللهَ يُمْهِلُ أَمْرَهُـــــــمْ وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الإِمَامَ لَهُمْ وَطَـــــا

فَأَوْحَى لَهُمْ جُنْدًا مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِـمْ كَمَاتًا كَعُقْبَانِ الفَلاَ شَاهَـــدُوا الغَطَا

يَسْعَى أَمِيرُ الله والمُلْكُ الَّـــــذِي أَبَادَ بِهِ الرَّحْمَانُ جَمْعَ بَنِي عَطَّـــــا

أَبَادُوهُمْ قَتْلاً وَسَبْيًا وَذِلَّـــــــةً وَطَرْدًا عَنْ الأَوْطَانِ يَتْبَعُهُمْ قَحْطـــًا

وَلاَبُدَّ أَنْ يُفْنِيَ الإِمَامُ بَقِيَّهُـــــمْ فَأَرْضُ السُودَانِ جَدُّهُمْ قَبَطَـــــا

---

[28]- محمد داود، **تاريخ تطوان**، تخريج ومراجعة حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2010م، ج 8، ص. 166.

[29]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ص. 183.

[30]- **رسائل الزياني للمولى عبد الرحمان العلوي**، م خ ح، رقم 11070، ورقات 26، 27.

فَلَا تَهْتَمَّ بِأَمْرِهِمْ وَنَشرِ لَهُـــــــــم وعَيِّنْ لَهُمْ سُبُلًا حَزُونًا يَكُنْ سَبَطَــا

فَإِنَّ ابْنَ طَيِّبٍ يَقُومُ بِحَرْبِهِـــــــــمْ وَيَاتِ بِمَنْ وَلَّاهُمْ مُتَوَرِّطَـــــــــــا

فَبُشْرَى لِكُلِّ المسْلِمِينَ بِكَسْرِهِـــمْ وَطَرْدِهِمْ مِنْ غَيْرِ وَطَا وَلاَغَطَـــــــا.

ما عبر عنه الزياني في هذه القصيدة من حنق على العطاويين، ثم ذكره لابن الطيب عم السلطان الذي كان مشهورا بشدته وجلده في حرب أعداء المخزن، قبل أن ينقلب هو نفسه عليه لاحقا، يحيلنا على الفترة التي تولى فيها ابن الطيب أمر الحرب بتافيلالت مع السنوات الأولى من حكم مولاي عبد الرحمان، وهو ما يؤشر إلى محاولة هذا الأخير العمل على مواصلة وقف انتشار العطاويين في المنطقة الفيلالية منذ وقت مبكر.

يختلف ما أورده الزياني في رسالته هذه بخصوص العطاويين الذين يعتبرون من أمازيغ الصحراء، عما كان كتبه عنهم سابقا في كتابه الترجمانة الكبرى، واصفا إياهم بأن «**الواحد منهم كالدينار، يصرف بالدراهم، وصغيرهم ينفع المراهم، صان الله جوهرهم عن الفساد، وابقاهم مصلحة للعباد**»[31]، وعكس غيرهم من أولئك البربر الذين تغيروا عما كان ذكره ابن خلدون عنهم من خصال حميدة، ولكنها تغيرت مع مرور الزمن فقال «**لما خالفت الأفعال منهم الأقوال، وعاثوا في النفوس والأموال، سلبهم الله الملك والعز والسلطان، اذ ازلهم الشيطان، وضربت عليهم المغارم في كل الأوطان، وانعكس حالهم فيما وصفهم به من خصال، وسعوا في طريق الانفصال، بعد الاتصال، ولم يبق لهم وفاء يعتمد، ولا جوار لمن أراد المستند، وصار ما صار لمن قبلهم من العرب، يستبقون للخذلان والهرب، سنسنة لبسوها من عادات جيرانهم، عرب البسائط يستعملونها في الحروب بالوسائط، ولم يبق منهم متخلق بتلك الأخلاق الحميدة، والأوصاف الفريدة إلا برابر الصحراء المنقطعين في**

[31]- الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص ص. 74، 75.

القفر، لا يعرفون الغدر والعفر، متنفرين عن مماليك الارياف مقيمين لرسم الوفاء والانصاف، فهم مع هؤلاء البربر أهل الجبال وإن كانوا إخوانا، وفي العصبية أعوانا»[32].

سيطرة القبائل العطاوية وبداية استيطانها للرتب من جديد، جعلنا نبحث عن الطرق والوسائل التي استطاعت من خلالها هذه الكتلة البشرية التي مَهْمَا عَظُمَت أعدادها، واختلفت تقديرات مجموع أفرادها، بين مختلف المصادر والدراسات والأبحاث، لا يمكن أن تكون أكبر من حجم الساكنة المحلية التي كانت تقيم بمجال الرتب وتافيلالت عموما، وهذا ما قادنا للرجوع مرة أخرى إلى رسالة الحسن اليوسي الجوابية للسلطان مولاي إسماعيل، في محاولته الدفع بما اتهم به السلطان بعض قبائل ملوية من آيت يوسي، وآيت سغروشن، وآيت علاهم، وآيت حيون، التي كان قد غزاها مولاي إسماعيل زمن تحرير هذه الرسالة سنة 1096هـ/ 1685م، وربط هذه الممارسات بالقبائل العطاوية ليقدم لنا بذلك معلومات مهمة عن أسلوب هذه الأخيرة في الهجوم والسيطرة بقوله «**أما رعية السلطان فليس فيها من يرفع يده إلى رأسه، لا من أهل البلاد ولا من أهل ملوية. وأما قطع الطريق فإنما كان في آيت عطا، وذلك ديدنهم من قديم الزمان: شنشنة أعرفها من أخزم**[33]**. وما تركوا ذلك قط، ولا دخلوا في الطاعة دخول غيرهم. وإنما يخادعون تارة على التمر وتارة على الزرع. وسراياهم سارية(في كل أرض) من هاهنا إلى درعة لا في هذه الأرض وحدها. وما تحركوا هنا حتى قضوا الغرض في الصحراء فقتلوا الفقراء "أولاد من لا يخاف"**[34]**. خارج النخل واستباحوا تلك البلاد كلها. فلا يسافر أحد إلا على خطر»**[35].

---

[32]- الزياني، **الترجمانة الكبرى**، ص. 75.

[33]- **شنشنة أعرفها من أخزم**: الشنشنة الطبيعة والعادة. أخزم نسبة إلى أخزم بن أبي أخزم جد حاتم الطائي، أنظر خبره أحمد بن محمد النيسابوري، "**مجمع الأمثال**"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، إيران، 1987م، ج1، ص. 375.

[34]- **أولاد من لا يخاف**: أصحاب زاوية من زوايا الصحراء.

[35]- القبلي، **رسائل ابي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ص. 211.

يتضح من كلام اليوسي هذا انفراد قبائل آيت عطا بالعصيان، وعدم الدخول في طاعة السلطان، بل ويؤكد على أن أفعالهم هذه هي قديمة، كما بين من جهة أخرى تمددهم في المجال الذي ينطلق من الأطلس حتى درعة ملزمين جميع سكان هذه المناطق دفع إتاوات مختلفة من الزرع والتمر.

ويتابع اليوسي حديثه عن العطاويين بقوله «**وكم أغناما نهبت لأهل الرتب وغيرهم، وكم قافلة وكم جريح وكم قتيل وأما هذه البلاد فلم يتحركوا فيها إلا نحو ثلاث مرات أو أربع في ناحية هذه القبيلات الضعاف؛ الذين لم يعرفوا قط بمنعة ولا نجدة أيام كانت لهم العدة والخيل. فكيف اليوم وهم عزل محاويج لا طاقة لهم على دفاع ولا امتناع**»[36].

نسجل هنا تخصيص اليوسي ما كان يتعرض له أهل الرتب على يد العطاويين زمن مولاي إسماعيل في مصادرة هؤلاء لأغنامهم، فضلا عن اعتراض القوافل التي تمر بترابهم، وقتل أو جرح أصحابها أو المرافقين لها. كما أرجع سبب تغول قبائل آيت عطا إبان هذه المرحلة، إلى سياسة مولاي إسماعيل والقائمة أساسا على تجريد القبائل من عنصر قوتها وهي الأسلحة والخيل، لكن لا ينبغي أن نغفل أيضا كون المرحلة التي يتحدث عنها اليوسي؛ تمثل السنوات الأولى من حكم السلطان مولاي إسماعيل، والتي تميزت أساسا بتمرد عدد من إخوته أو أبنائهم انطلاقا من أرض تافيلالت، بتحالف مع العطاويين في كثير من الأحيان، قبل أن يتمكن من لجمهم وفرض هيبة المخزن في عموم المغرب وبأرض تافيلالت ويلحق الهزائم بالمتمردين ومثيري الفتن.

ينتقل بعد ذلك اليوسي للحديث عن أساليب العطاويين في الهجوم على المواقع والأهداف التي يضعونها صوب أعينهم ويقول: «**وليس هؤلاء المحاربون كالسباع. فإن السبع يحتل الماشية في الغابة معها صبية. فإذا صاحت الصبية هرب. ولا ترى قط سباعا تتقدم إلى الأحياء لتأكل أموالها وتفترس رجالها. وأما هؤلاء فيقدمون بالعساكر. ويتنزلون للطعن**

[36]- القبلي، **رسائل ابي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ص. 211.

والضرب. ولو كانوا يتحركون نهارا لأمكنت الناس مدافعتهم، ولكن يكمنون في قنة الجبل حيث لا يعثر عليهم راع ولا صياد. فإذا أليلوا نزلوا. فلو تقدموا إلى دوار أو أكثر لا متحقوهم نهبا وقتلا، فإن الدوار تكون فيه أربعون رجلا بين قوي وضعيف وشيخ وهرم بلا سلاح، وهؤلاء يأتون بالستين والسبعين وأكثر وأقل. وكلهم رماة يقفزون في الهواء ويتضاعفون بالرعب.

فهذه القبائل تبقى في حيرة عظيمة إن هربوا وجلوا عن بلادهم. ضاعوا وضاعت المطالب السلطانية. ثم لا يتركون لذلك، وإن بقوا فإن عقدوا مع هؤلاء الظلام هدنة إلى أمد ما. أنكر الخدام ذلك وسعوا به إلى السلطان وأنهم اتفقوا مع البغاة فيأمر بعقوبتهم، إن بقوا بلا شيء أهلكهم اللصوص. فإنهم رعيته، وهذا الكلام لا مدخل لنا فيه وإنما ذكرناه حيث ذكر الكتاب تبصرة ونصحا للسلطان/ ونصحا للرعية والله المستعان»[37].

نجد في هذه الفقرات الأخيرة من الرسالة حسب رأي اليوسي ما يوضح بجلاء تنامي قوة القبائل العطاوية، وقدرتها العالية على فرض حضورها بالمجالات التي وصلت إليها، مع عجز المخزن وممثليه بشكل نهائي عن إخضاعهم وثنيهم عن ممارساتهم في حق جيرانهم خلال هذه المرحلة، كما تبرز لنا من ناحية أخرى تملك أفراد هذه القبيلة لعدد من المهارات الحربية، والخيول والأسلحة التي استفادوا هم مما أقدم عليه مولاي إسماعيل من إجراءات بعد نزع هذه الأخيرة من القبائل الخاضعة لسلطة المخزن[38]، مما جعلها تحت رحمة القبائل "السائبة" في زمن ضعف أو تقاعس الجيوش المخزنية، نتيجة كثرة وتشتت أعبائها داخل البلاد. وهذه الرسالة تفيدنا بشكل كبير لأنها تساعدنا في معرفة طريقة انتشار هذه القبيلة بالرتب وغيره، وفهم طبيعة ملكية الأرض وتوزيع الماء وغيرها من الشؤون المحلية الخاصة بعدد من القصور التي أجبر بعضها على الاتفاق معهم بشروط متعددة،

[37]- القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ص. 212.

[38]- نفسه، ص. 211.

مازالت اليوم هي المعتمدة في الفصل بين السكان الرتبيين عند خلافهم، لكنها تمتاز أساسا بالاختلاف من قصر لآخر ومن مجال لآخر.

أما رُوسْ دان وبالاعتماد على بعض مخبريه رقم 10 و12 المنتميين لآيت عطا بالرتب وتافيلالت، والواردة أسماءهم في كتابه[39]. فيسرد لنا الطريقة التي عامل بها آيت عطا السكان المستقرين بعد الاستيلاء على قصورهم على حد قوله، ويربط هذا التعامل بدرجة المقاومة التي أبداها هؤلاء تجاه المهاجمين العطاويين. هكذا كانت المجموعة المستقرة من قبل في القرية أو القصر إما تقتل أو تطرد أحيانا. كما طرد آيت عطا كل أو معظم آيت إزدك وعائلات الشرفاء في الرتب، وسلبوا منهم ممتلكاتهم ببساطة[40]. في المقابل عقدوا عددا من الاتفاقيات مع قصور أخرى حصلوا بموجبها على بعض القصور أو أجزاء منها للسكن، وأراضي لممارسة النشاط الفلاحي كما هو الحال في اتفاقهم مع قصور "الزريكات" وأولاد عيسى وقصر الجديد وغيرها، والتي لازالت خريطة الاستقرار البشري ووثائق ملكية الأراضي الفلاحية بالرتب تعكسها إلى اليوم[41]. يضاف إلى ذلك أن القبائل العطاوية استخدمت أحيانا سياسة التسامح والتساهل مع بعض السكان الرتبيين الآخرين، فسمحت أحيانا للبعض منهم بمن فيهم بعض العائلات الشريفة بالبقاء واسترجاع ممتلكاتهم، بينما اختلف تعاملهم مع فئة الحراطين، الذين كانوا في الغالب يمكثون في كل قصر، للقيام بأعباء العمل الزراعي[42].

إن ما أوردناه يبرز مدى تمكن القبائل العطاوية من فرض هيمنة واضحة على هذا المجال، مستفيدة من انشغالات مخزن السلطان مولاي عبد الرحمان، وعجزه عن التدخل لانشغاله بالصراع مع الثوار والمتمردين وفي مقدمتهم عدد من فرق الجيش المخزني نفسه، وهو الصراع الذي كاد أن

---

[39]- أسماء المخبرين، رقم 10هم: أورحمة علي أو لحسن، ولحسن نايت الحاج من آيت خباش بأوفوس سجلت شهادتهم بتاريخ 31 يوليوز 1967م. المخبرين رقم 12 عسو إبراهيم الشيخ، وحادة حمو أودير من آيت خباش مزكيدة، (منطقة تانجويت، تافيلالت) سجلت شهادتهما بتاريخ 2 غشت 1969م, دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 318.

[40]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص ص. 86، 87.

[41]- **رواية أبا سيدي بن الطاهر السهلاوي (78 سنة) من سكان قصر الزريكات**، أجريت معه المقابلة في 06 أبريل 2019م.

[42]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 87.

ينتهي بالقضاء على السلطان مولاي عبد الرحمان[43]. فضلا عن امتعاضه مما أقدم عليه أهل تافيلالت عموما بعد مبايعتهم لمولاي عبد الواحد بن سليمان سلطانا، على إثر وفاة والده السلطان مولاي سليمان، وبدعم من أخيه مولاي عبد السلام، الذي انتقل إلى مراكش لأخذ البيعة لمولاي عبد الواحد، قبل أن يتراجع عن ذلك عندما علم بتمام الأمير لمولاي عبد الرحمان بن هشام[44]، ونتيجة لهذا الموقف المخجل الذي عبر عنه أهل تافيلالت بنقض بيعة السلطان، وما تسبب فيه ذلك من إحباط وتأثير سلبي على معنوياتهم، استطاع العطاويون تحقيق بعض أهدافهم والحصول على مكاسب جديدة. وإن كانوا لم يتمكنوا من السيطرة في البداية على كل قصور وادي الرتب؛ لكن العطاويين عموما استفادوا من هذه التناقضات القائمة بين السكان الرتبيين من الشرفاء والسكان العرب المنتمين للأصول المعقلية، إلى جانب فئة الحراطين البارزة الحضور عدديا بالمجال، وإن ظل تأثيرها في مجريات الأحداث محدودا جدا.

ما سهل على العطاويين دخول قرى وقصور الرتب مع بداية عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام سنة 1822م أيضا هو معرفتهم السابقة والجيدة بالمجال، بعد أن كانوا خلال القرن12هـ/ 18م قد سيطروا عليه لفترة مؤقتة، ورابطوا على تخومه، بل وقاموا بفرض إتاوات على القوافل التجارية المارة بالمنطقة إبَّان تلك المرحلة، قبل أن يطردهم منها السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1783م . 1784م، لكن وعلى بعد حوالي 40 سنة من ذلك ستكون الفرصة مواتية لهم من جديد، للسيطرة على مناطق شمال تافيلالت وبالضبط الرتب، بعد استنجاد سكان قصر الزريكات وأولاد عيسى بهم، على جيرانهم من القصور المجاورة لهم؛ خاصة قصر أولاد شاكر وأولاد

---

[43]- إدريس أبو العلاء، **الابتسام عن دولة ابن هشام، وديوان العبر في أخبار أهل الثالث عشر**، م خ ح، رقم12490، من الورقة 90، إلى الورقة 98.

[44]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج 1، ص. 331.

عميرة، لاسيما وأن العطاويين كانوا متواجدين بمنطقة توروك في الجهة الغربية على بعد مسافة قليلة من حدود الرتب باتجاه الجرف وفزنا غير بعيد من تلك القصور المذكورة [45].

وحسب الروايات المتداولة بالمنطقة؛ فإن ما كانت تمارسه قصور تاخيامت ذات الساكنة العربية المنتمية إلى فروع قبائل بني احسن العربية المعقلية آنذاك[46]. وكذا قصور أولاد شاكر وأولاد عميرة ذوو الساكنة العربية من الشرفاء والعرب المعقليين أيضا من ضغوط اقتصادية على عدد من سكان القصور المجاورة لهم، من غلظة في التعامل، وما تفرضه عليهم من جبايات عالية، كان سببا في دفع المتضررين من سكان القصور الأخرى مثل أولاد عيسى والزريكات وغيرهما إلى الاستنجاد بالعطاويين المتواجدين آنذاك بمنطقة امْلْعَبْ وتُورُوكْ، بهدف رفع هذا الضغط والابتزاز عنهم، وتشير هذه الروايات إلى أن من تكلف باستدعائهم، هو أحد الشرفاء من الزريكات ويدعى "ولد السخسوخ"[47]، وبالعودة إلى المصادر التاريخية المتعلقة بالمنطقة، من أجل البحث في هذا الاسم وفهم سبب قيامه بهذه المهمة رغم أنه ينتمي إلى الشرفاء، نجد أن أسرة بنفس اسم هذا الشخص تنتمي لقصر الزريكات كانت قد تعرضت للنكب على يد الحكماوي عامل تافلالت زمن السلطان مولاي سليمان، أثناء حملته على واد الرتب سنة 1211هـ/ 1796م، وتذكر أن الحكماوي قام بقتل ولد السخسوخ، وبعث أخاه لسجلماسة بعياله منفيا، هذا القول يجعلنا نفترض وجود علاقة بين أسرة هذا الشخص والذين تذكرهم الروايات الشفهية، ويشير هذا أيضا إلى إمكانية وجود عداء بين ولد السخسوخ وبين بني عمومته من الأشراف الذين كانوا يتحكمون في معظم المنطقة وخيراتها[48]. وبالتالي فمن المفترض أن الإقدام على تكليفه بمهمة استدعاء

---

[45]- Larbi Mezzine, «Ta"Qqitt de Ayt "Atman: Le recueil des règles de coutume d'un groupe de Qsur de la moyenne vallée de l'Oued Ziz», **Hespéris Tamuda**, Vol 19 Année 1980 - 1981 Edition Techniques, Nord – Africaine, Rabat, p. 93.

[46]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

[47]- مبارك اشيرو، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت المعروفين بالملاحنية**، مطبعة ميداكراف الرشيدية، ط1، 2016م، ج1، ص ص. 99، 100.

[48]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 277.

العطاويين؛ انبنى على وجود رغبة لدى ولد السخسوخ في الثأر لما تعرضت له أسرته سابقا من تضييق وقتل زمن السلطان مولاي سليمان على يد عامله.

لكن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد تبرير؛ فالقبائل العطاوية التي كانت مرابطة على حدود الرتب لم تكن لتنتظر استدعاء شخص أو مجموعة أشخاص، أو تحتاج غطاء أو مبررا يمنحها المشروعية لتحقيق مصالحها، بل إنها كانت متربصة ومتأهبة للانقضاض على قصور تافيلالت عموما، وفي مقدمتها قصور الرتب، لاسيما وأنها ازدادت حنقا على هذه المنطقة، التي استنجدت وتعاونت مع المخزن ضدها، وكانت مُسَاهِمَة فيما تعرضوا له خلال الحملات التي قام بها مولاي سليمان ومخزنه عليهم بالمنطقة من تنكيل وتهجير وإجراءات عقابية صارمة.

هكذا ستحط القبائل العطاوية رحالها بالرتب، مدشنة مرحلة سيطرتها على مجاله، بالتمركز أولا بقصر تخيامت[49] كما أسلفنا الذكر، بعد مواجهة انتهت بتحقيق العطاويين نصرا كبيرا وسريعا على المستوى العسكري والنفسي، فتطايرت أنباء انتصارهم هذا على ساكنة تاخيامت من قبائل بني حسن العربية، ليضطر من تبقى منهم لمغادرة الديار والمجال مغادرة نهائية، وقد أرخ الفلالي بالاعتماد على مخطوط قال بأنه وجد عليه تاريخ وصول العطاويين لقصور الرتب، ومنها ما يسميه بقصر الشاكر لله(أولاد شاكر) وقصور أوفوس مؤرخ ب29 صفر 1238هـ/ 1822م[50].

هذه الحرب النفسية الاستباقية التي اعتمدها العطاويون بقصر تخيامت هي ما يَسَّرَ لهم بعد ذلك السيطرة على عدد من القصور الرتبية الأخرى بأقل مجهود، بل وأحيانا دون أي مواجهة على غرار السيطرة على قصر أولاد عميرة المجاور لتاخيامت، والذي غادره سكانه دون قتال بمجرد سماعهم بما حدث لجيرانهم أهل "تاخيامت"[51]، لينتقل معظمهم من قصرهم هذا، ويستقر عدد

---

[49]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 340.

[50]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص ص. 67، 70. نسجل هنا ملاحظة وهي أن الفلالي جعل التاريخ المقابل ل 29 صفر 1238هـ بالتاريخ الميلادي هو سنة 1823م، وهذا ما لا يتوافق مع مقابلة السنوات الهجرية بالميلادية، حيث يوافق ذلك التاريخ حسابيا 14 نونبر 1822م.

[51]- **أحماد بورمضان**، (84 سنة)، **راوية شفهية**، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08 فبراير 2020م.

مهم منهم بمجال زاوية مولاي عمر بن هاشم، أو ما يعرف اليوم بزاوية أوفوس على بعد حوالي 7 كلم من موقع مركز أوفوس الحالي[52]، نفس المصير واجهه سكان قصور أولاد شاكر الذين هاجروا من مساكنهم خصوصا الأشراف، حيث نجد بعض تجمعاتهم اليوم بوادي كير في إحدى قصور المنطقة يعرف بملاحة، وهم يعرفون هناك إلى اليوم ب"**شرفاء أقربوس**" نسبة إلى قصر "أقربوس" أحد القصور الهامة **بأولاد شاكر**[53]. ومازال هذا القصر الموجود بالرتب يحمل اسم "أقربوس" إلى اليوم رغم سيطرة العطاويين عليه بشكل كامل لكنهم احتفظوا بتسميته، وإلى جانب هذا القصر الذي استقر به بعض شرفاء وادي الرتب عموما؛ نجد أن عددا منهم توزعوا أيضا بمناطق أخرى في قصور مختلفة مثل "بوشام" و"قصور الشريف" و"قصر إمغي" و"يتمغيت" من تيعلالين و"قدوسة" و"مشتاق" و"سعد الله" بتولال من وادي كير الجنوبية[54].

أمام هذا الوضع الخطير الذي تعرضت لها القصور المذكورة وساكنتها، سارعت باقي القصور الرتبية الأخرى التي كانت تخشى قوة العطاويين؛ إلى إبرام عقود اتفاقيات معهم، يتقاسم بموجبها هؤلاء مع سكان القصور الأصليين مساكنهم وممتلكاتهم، وبهذا تمكن العطاويون خلال الفترة ما بين 1822م و1823م من السيطرة على أزيد من 16 قصرا من أصل39 قصرا تقريبا كانت عامرة بالرتب[55].

فتمت لهم السيطرة في **الرتب الأسفل** على القصور التالية الزاويتين "الجديدة" و"القديمة"، "المعاركة" "البطاطحة"، "الربيت"، "بلاغمة" وفي **الرتب الأوسط** تمت السيطرة على "تاخيامت"، "أولاد عميرة"، (آيت اسفول، وآيت اخلف) "الكارة"، وفي **الرتب الأعلى** بسط العطاويون نفوذهم على "أولاد شاكر"(أقربوس، تيدرين) و"الجرامنة" و"زاوية أملكيس" و"زوالة" " (أزولين)،

---

[52]- الأوفوسي، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ورقة 29.

[53]- عبد العزيز بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية: رحلة الحث على الجهاد**، نشر المندوبية السامية لقدماء المحاربين وجيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2016م، ص. 49.

[54]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي**، ص. 100.

[55]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 86.

أو ما كان يعرف في بعض المصادر التاريخية بقصر "آيت يحي"[56]، وهو الذي كانت تسكنه عناصر من قبيلة آيت إزدك إحدى قبائل حلف آيت يافلمان قبل طردهم، بينما استطاع قصر "الدويرة" بالرتب الأسفل الصمود في وجه العطاويين؛ بفضل الدعم الذي تلقاه هؤلاء من اخوانهم من قبائل عرب الصباح المقيمة في المعاضيد وتيزيمي[57]. بل وكانت من القصور التي احتضنت بعض السكان المطرودين بالقصور المجاورة والخائفين من العطاويين، الشيء الذي تشير إليه الروايات التاريخية والطوبونمية المحلية لقصر الدويرة، من خلال وجود درب داخل القصر يطلق عليه درب البطاطحة، في إشارة إلى بعض أفراد قصر البطاطحة المجاور من العرب المعقليين، هكذا يمكننا ملاحظة أن موقع أغلب القصور المستباحة بالرتب كان على الضفة اليمنى لوادي زيز، وذلك راجع لكون العطاويين قدموا من جهة شرق واد زيز، فسيطروا أولا على هذه القصور، باستثناء القصور التي تحالفت مع المهاجمين والواقعة أيضا على نفس الضفة مثل أولاد عيسى والزريكات[58].

أما قصر الجديد المتكون أساسا من عدد من القصور والقصبات (قصبة مولاي السعيد، قصبة مولاي الشريف، قصبة مولاي بن علي، القصبة التحتانية، فم الحويش، عتبة الصديق، القصبة الفوقانية)، والذي كان آهلا بعناصر من الشرفاء وبعض العرب[59]. فقد قبل أهله دفع إتاوات للعطاويين، والتخلي لهم عن بعض الممتلكات، بعدما استجابوا لنصيحة أحد عقلائهم، والذي دبر حيلة لإقناعهم بعدم جدوى التفكير في أي مواجهة مع العطاويين، من خلال دعوته أحد فرسان قبيلة آيت عطا إلى القصر، فجاء الأخير على حصان وهو يردف زوجته خلفه، ويتحرك بشكل سلس رغم سرعة الحصان، في مظهر كان يعجز عنها أفراد سكان قصر الجديد، فاقتنعوا

---

[56]- أنظر الخريطة رقم 3، ص. 47، التي رسمها داستوك للرتب سنة 1859م، والتي تشير إلى هذه تسمية "آيت يحي" بدل تسمية "زوالة" المعروفة اليوم.

[57]- **سالم عبد الصادق**، (63سنة)، من المنتمين الزريكات رواية شفهية أجريت معه، يوم 14 أبريل، 2017م.

[58]- من المعاينة المباشرة نسجل أن واقع التركيبة الاجتماعية لهذه القصور المذكورة مازال يعكس فعليا أماكن السيطرة العطاوية على قصور الرتب.

[59]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 39.

أنهم أمام محاربين أشداء ومتمرسين كما سمعوا عن ذلك، وأنه لا طاقة لهم بهم، والأفضل لهم أن يتفقوا معهم وإن على مضد[60].

بهذا تمكن العطاويون من تركيز حضورهم بمجال الرتب وأصبحوا أصحاب الكلمة العليا في المنطقة كلها، إلى درجة أن المجال الرتبي أصبح في مدة وجيزة يعرف باسمهم، في مختلف المصادر والدراسات والأبحاث وحتى الوثائق الرسمية. بعد التحولات التي طالت مكونات الساكنة القديمة للمجال من العرب والأشراف منذ وصولهم واستقرارهم إلى جانب هؤلاء، مما سيغير انطلاقا من هذه المرحلة التركيبة والعلاقات الاجتماعية بين مختلف القصور الرتبية.

[60] – رواية شفهية، **الطاهري ابا سيدي بن العربي**،(**ولد سنة 1932م**)، أجريت معه المقابلة بتاريخ 15. 05. 2016م.

3 ـ ردود فعل السلطان مولاي عبد الرحمان من تطورات الأوضاع بمنطقة الرتب.

يبدو بديهيا التساؤل عن ردود أفعال المخزن وعلى رأسه السلطان عبد الرحمان بن هشام أمام هذا الوضع الذي عرفته منطقة مهمة هي مهد الدولة العلوية، ومستقر لكثير من أهله وإخوته وبني عمومته، سواء بمجالات تافيلالت الصغرى أو الرتب، والذين أجبروا على الاحتماء والالتجاء إلى أماكن أخرى داخل مجال تافيلالت نفسه بعد قدوم العطاويين، لكن البعض منهم فضل الابتعاد خارجه، حتى لا يضطر للهجرة مرة أخرى، مع كل زحف جديد لهؤلاء، فتوجهوا نحو الشمال والشرق، ووصل بعض هؤلاء الفارين من الرتب حتى إلى عاصمة الدولة آنذاك فاس، ويبدو أن مخزن السلطان مولاي عبد الرحمان لم يكن مرتاحا لذلك، لكنه كان عاجزا عن القيام بأي رد فعل حقيقي اتجاه القبائل العطاوية، الأمر الذي نستشفه في كثير من الرسائل السلطانية المرتبطة بما كان يجري من أحداث متلاحقة بالرتب.

ففي رسالة جوابية من السلطان عبد الرحمان بن هشام بتاريخ 1248هـ/1833م للفقيه العلامة مولاي عبد الهادي قاضي المنطقة، بعد طلب هذا الأخير تدخل السلطان لردع العطاويين، رد فيها عليه بالقول «**ولد عمنا سلام عليك ورحمة الله تعالى وبعد، فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما فيه،(...) إن أمر آيت عط اقلقك وأضجرك فهون عليك، فإنهم يفعلون ذلك لا محالة إن شاء الله، فانهم أتوا لحضرتنا رغبة لا رهبة وألزموا نفوسهم ذلك أيضا وأشهدوا به من أشهدوا من غير ضغط ولا اكراه، وغير خاف عليك أنهم ذووا عقول حادة وأذهان متدفقة وأهل مكر ودهاء، فلا تيأس منهم بل تأنى ولا تعجل وإن قدمت الساعة تسوء ظنونهم ولا يعتقدون خيرا بعد، وعلمنا ما عليه البلد من الهناء وانحطاط الأسعار وإتيان الوادي كمل الله سرور أهلها بالعافية غير العافية**»[61].

[61]- الوثائق الملكية، سجل 19612، بتاريخ 16 ذي الحجة، 1248هـ/ 1833م. أنظر الملحق الوثائقي رقم 8، ص. 551.

من هذه الرسالة، نخلص إلى توجيه السلطان لمخَاطَبِهِ بضرورة إعمال الصبر والحكمة؛ في مواجهة الوضع الذي نجم عن استمرار القبائل العطاوية في اقتحام القصور والاستيلاء عليها، وفرض الاتاوات على سكانها قهرا، إلى جانب التأكيد على ضرورة عدم إثارة مخاوف هذه القبائل أو زرع الشكوك في نفوس أبنائها اتجاه المخزن، من خلال التلويح بأي حَرْكة نحوهم، على غرار ما قام به أسلافه السلاطين، ولهذا نجده يحاول إعمال الحكمة من خلال رفضه القيام بأي تحرك نحو تافيلالت.

وفي رسائل متتالية ومتبادلة أخرى لمولاي عبد الرحمان نجده يتحدث فيها عن قبيلة "بلاغمة" المنتمي سكانها سابقا لقصر "البلاغمة" في الرتب الأسفل، حيث يخبر في احدها وهي المؤرخة بغرة ربيع الثاني عام 1263هـ/1847م ولده سيدي محمد بأنه سيفد عليه ابا حنيني ولد البشير البلغمي، الذي كان وجهه بقصد جمع إخوانه البلاغمة الذين بفاس، وتوجيههم صحبته لتافيلالت قائلا «**فقد كتب في شأنهم ولد عمنا سيدي الأمين بن الطاهر وذكر أنهم يصلحون هناك للقيام على أصولنا وعمارة قصورنا فلا بد شد عضده على ذلك، وأحسن إليه فيما يظهر عليه، فإن هؤلاء الوصفان لا عمارة فيهم ولا نصح ولا فائدة ولا عائدة، وإنما فيهم كثرة المؤونة وقلة المعونة. وهؤلاء الأحرار أقنع منهم، وأكثر خدمة ونصحا ومعرفة، وقد أمرنا ولد عمنا المذكور أن يجعل منهم الخماسين ويوليهم خدمة الأصول وعمارتها والسلام**»[62].

ليردفها برسالة أخرى مؤرخة في 28 جمادى الثانية عام 1263هـ/1847م، يخبر ولده فيها أيضا "**بتوصله بخبر من ابن عمه الأمين بن الطاهر مفاده وصول «جماعة البلاغمة" ونزولهم "بالشقارنة**"(من قصور تافيلالت الصغرى) **وأنهم لم يجدوا فيها مساكن مع ضعفهم وفوات ابان الحرث، وأن قدومهم لهناك أفضل من محلة، فبوصول كتابنا هذا إليك؛ وجه لهم على يده ألف مثقال واحد يقسمه عليهم ليستعينوا به على بناء مساكنهم وعددهم مائتان وواحد**

[62]- **الوثائق الملكية**، سجل19114، بتاريخ، غرة ربيع الثاني، 1263هـ/ 1847م.

وسبعون(...)ولابد أخبرنا عن عدد أهل البلاغمة الذين توجهوا هل هو هذا أم لا؟ والسلام»[63].

ما يجب الانتباه إليه هنا أولا الأعداد التي تم نقلها من أبناء هذه القبيلة الرتبية الأصل والتي تقارب 271 فردا، وكذا توجه السلطان إلى إسكانهم في مكان غير قصر البلاغمة الذي أصبح بالكلية تحت سيطرة قبيلة آيت عطا، مما نستنتج معه عجز المخزن عن إرجاع الحقوق لأصاحبها، وكف غائلة القبائل العطاوية التي أصبحت سيدة المجال بلا منازع، وأصبح تهديدها مستمرا، مما جعل مختلف الشرائح تعيش في حالة خوف وتوجس ورعب مستمر، وفرض على المخزن أن يقدم أحيانا على تزويد بعض القصور والمناطق بالأسلحة وحتى المدافع، على غرار ما فعله مع "البلاغميين" المذكورين الذين أنزلهم بقصر "الشقارنة"، حيث وزع عليهم الأسلحة حسب إحدى الرسائل المخزنية يعود تاريخها لسنة 1264هـ/ 1848م والتي ذكرت لنا جملة من أسماء أهل البلاغمة الذين حصلوا على مدافع تحت إشراف المخزنيين المكلفين بمهمة توزيعها[64].

أما في رسالة أخرى فنجد السلطان مولاي عبد الرحمان يأمر ولده سيدي محمد بأن يضم إليه عشرين رجلا من البطاطحة الداخلين في خدمة المخزن للجيش الذي كان يهم بالذهاب في حملات مخزنية بإقليم تافيلالت وطلب منه أن يزودهم بالأسلحة[65].

يشير مضمون الرسالة إلى إمكانية وجود محاولات للسلطان تستهدف استغلال التناقضات العرقية والقبلية بتافيلالت، من أجل معالجة الوضع المنفلت هناك، فجل الحركات الموجهة نحو تافيلالت والمنطلقة من مركز القرار بالدولة آنذك؛ كانت تستهدف كسر شوكة العطاويين وردعهم، ولهذا نلاحظ أن المخزن يعمد في مواجهتهم أحيانا إلى الاستعانة بأعدائهم، فهؤلاء المنتمين إلى قصر البطاطحة المذكورين في الرسالة مثلا كانوا من العرب المعقليين القاطنين

---

[63]- **الوثائق الملكية**، سجل 20055، بتاريخ 28 جمادة الثانية، 1263هـ/1847م.

[64]- نفسه، سجل 21034، بتاريخ أواخر صفر، عام 1264هـ/1848م.

[65]- نفسه، سجل 19033، بتاريخ ربيع النبوي، عام 1263هـ/1847م.

بقصر "البطاطحة" بالرتب الأسفل، قبل أن تطردهم القبائل العطاوية، وبالتالي فالاستعانة بهم سيكون لها دور كبير في الثبات والمواجهة، انطلاقا من الرغبة التي يمكن أن تكون لديهم في الانتقام من العطاويين.

توطين "البلاغمين" بقصر "الشقارنة" بتافيلالت الصغرى كما سبق وأن أشرنا على بعد حوالي 40 كلم جنوب مجالهم السابق بالرتب، وبمكان كان بدوره منطقة احتكاك مع عطاويين آخرين سيطروا على القصور المجاورة لقصر "الشقارنة" مثل قصر "مزكيدة" و"سيدي بوبكر" بالسفالات وتنجيوت اللتان تشكلان جزءا من تافيلالت، إلى جانب وادي افلي والغرفة وبني امحمد وغيرها، يثير فينا التساؤل حول مدى إمكانية وجود تخطيط أو تدبير في كل ما كان يقوم به المخزن من إجراءات للتعامل مع العطاويين، والتفاعل مع القبائل أو الأفراد المستنجدين به، وبالتالي نتساءل ألم يكن هذا الإجراء يهدف في عمقه إلى ضرب المتخاصمين بعضهم ببعض، واستغلال حالة العداء والرغبة في الانتقام لدى البلاغميين مثلا، والذين هجروا وذويهم من موطنهم وقصرهم المسمى البلاغمة بالرتب؟ مع تنبيهنا أننا لا نجزم بكون كل هؤلاء البلاغميين كانوا ممن طردوا من الرتب بعد دخول العطاويين إليه، والاستقرار بدور وقصور من شردوا، فنحن نذكر أن السلاطين العلويين طالما جندوا أبناء هذه المناطق من المعاركة والزريكات والبلاغمة وغيرها ضمن صفوف الجيوش التي أقاموها بعد نقلهم نحو مكناس ثم فاس أو الرباط وغير ذلك من المدن والمناطق. لكن السياق العام والظروف التي نقل فيها هؤلاء من فاس نحو تافيلالت؛ يوحي بعلاقة ذلك بالتهجير وإعادة التوطين التي شملت كثير من سكان المنطقة إبان هذه المرحلة المضطربة.

دفع هذا التوجس الذي ميز هذه المرحلة والخوف من العطاويين بعض القصور والأسر إلى التفكير في بيع ممتلكاتها وهجرة المنطقة، قبل أن تجبر على ذلك وتخرج خاوية الوفاض مشردة وخاضعة للضغط الجبائي العطاوي بالمنطقة، ومثال ذلك ما ورد من رد السلطان عبد الرحمان على أبناء عمه من قصبة "سيدي ملوك" بتافيلالت الصغرى بتاريخ 24 ربيع الأول 1262هـ/ 1846م، والذين كانوا قد راسلوه ليقتني أملاكهم حتى يهاجروا إلى مراكش فخاطبهم قائلا «**أبناء**

عمنا الأشراف، أهل قصبة سيدي ملوك، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد: فقد وصلنا كتابكم، وعرفنا مضمنه وما ذكرتم من حطنا من قدركم ، وأنّا لم نجركم مجرى أسلافنا الكرام قدسهم الله من الاعتناء بكم، والدفاع عن حوزتكم، فمعاذ الله أن يصدر ذلك منا، وحاشا الله أن نسلمكم أو نهملكم مع أنكم من خيار أبناء عمنا وأرضاهم وأحظاهم لدينا، وما طلبتم من أمرنا الشريف بتقويم بلادكم لتبيعوها لجنبنا العالي بالله، وتنتقلوا منها لسكنى مراكش حيث تخيرتموها لشبهها بالصحراء، فاعلموا أن بلادكم لا تصلح إلا لكم، وعن قريب ينجلي الغبار، ويأخذ الله أهل الفساد الفجار، ويرجع المخزن إلى نصابه، والصلاح إلى أحزابه، فإن مع العسر يسرا، إنَّ مع العسر يسرا، والسلام»[66].

هذه الرغبة في الابتعاد عن مناطق تافيلالت وعلى رأسها منطقة الرتب، عمت كثيرا من المكونات الاجتماعية، لاسيما الأشراف الذين استهدفوا من قبل بعض فروع القبائل العطاوية، لكن البعض من هؤلاء الأشراف اكتفوا في ظل هذ التضييق والتهديد العطاوي المتواصل بإعادة الانتشار داخل المجال في أماكن شبه معزولة نسبيا، مثل عدد من سكان قصر أولاد اعميرة المكونين أساسا من الشرفاء هؤلاء انتقلوا من قصرهم هذا بعد اقتراب العطاويين منهم، إلى مركز زاوية جدهم مولاي عمر بن هاشم المقامة قبل هذه الفترة على واد أوفوس[67]. حيث بنوا هناك تجمعا سكنيا عبارة عن قصر جامع لهم[68]، إلى جانب انتقال عدد منهم نحو تافيلالت الصغرى، وكذا نحو قصور مدغرة مثل آيت مسعود والغروس والقصر البراني وتاركة وأزمور وبعضهم إلى مدن أخرى أهمها صفرو وفاس[69]. هذه الأخيرة كانت وجهة عدد مهم منهم، منذ وقت مبكر يرجع إلى أواخر القرن 12هـ/ 18م، نذكر منهم محمد الأمين بن جعفر بن حفيد بن هاشم المنتمي إلى قصر أولاد عميرة بالرتب، والذي هاجرت أسرته إلى فاس وهناك برز نجمه وعلا شأنه، حتى أن

---

[66]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج5، ص. 93، 94.

[67]- الأوفوسي، **مخطوط خاص**، ورقة 15./ عبد اللوي، **مدغرة**، ج1، ص. 379.

[68]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 78.

[69]- الزكي، **المطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص ص. 213، 214./السلمي، **الاشراف**، ج2، ص. 36.

مولاي سليمان صاهره بتزويجه بابنته السيدة لالة عائشة[70]، وجعله من حاشيته، وكان من بين أعضاء الوفد الرسمي الذي بعثه السلطان إلى الحجاز للتبين من حقيقة الدعوة الوهابية وقد توفي سنة1272هـ/14 ماي 1856 بفاس[71].

ومن القصور الرتبية الأخرى التي أجبر سكانها على الانتقال عن مواطنهم، واستقروا بعيدا، نذكر سكان قصر أولاد شاكر، خاصة من الشرفاء أحفاد مولاي عثمان بن طاهر الذين كانوا مستقرين بهذه القصور، قبل أن يُخْرَجُوا منها على يد العطاويين ظلما وجورا وتعديا وفجورا على حد تعبير صاحب فتح القدوس[72]، ليستقر بعضهم في قصور مدغرة المجاورة، لكن بعضهم انتقل إلى أماكن أبعد على واد كير، وآخرون انتقلوا إلى مدينة فاس، حيث وجدنا بعضهم أيضا قد احتل مراكز مرموقة في الدولة، بل وصل قربهم درجة جعلت مولاي عبد الرحمان يزوجهم ببعض بناته، كما هو حال مولاي عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشاكري الذي زوجه السلطان بابنته لالة خديجة وكان قاضيه على فاس في بداية حكمه[73].

نجد انطلاقا مما رأيناه أن هذا التحرك وإن كان يبدو في ظاهره موجها ضد بعض القبائل المعقلية وبعض الأشراف، إلا أن المصادر والوقائع أكدت أن العطاويين كانوا في تحركاتهم يستحضرون مصالحهم الاقتصادية أساسا، وهذا ما يفسر دخولهم حتى لبعض القصور التابعة للقبائل الأمازيغية الأخرى المنتمية لحلف آيت يافلمان بمجال الرتب، حيث سيطروا في قسمه الأعلى على قصر بوسعيد الذي كانت تقطنه عناصر من قبيلة آيت ازدك ثم قصر آيت يحي(يسمى حاليا بقصر زوالة) الذي كانت تسكنه أيضا عناصر قبائل آيت ازدك[74]. وما تزال

---

[70]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 1، ص. 316.

[71]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 291.

[72]- ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، رقم 12579، ورقة 5.

[73]- محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق وفهرسة محمد حمزة بن علي الكتاني، عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ج 1، ص. 122./ الزكي، **مطالع الزهراء**، ورقة 153.

[74]- Linarès, «**Voyage au Tafilalet**», p. 45.

الشواهد المحلية والروايات الشفهية المتداولة بين شيوخ هذا القصر شاهدة على ذلك، وتؤكد على أن مقبرة واسعة مازالت موجودة بجوار القصر تضم رفات رجال قبيلة آيت ازدك الذين قاوموا العطاويين، فكان مصيرهم القتل والفرار، ثم الطرد لمن تبقى منهم[75].

لم يكن بوسع السلطان مولاي عبد الرحمان في ظل الوضع المضطرب بتافيلالت خلال هذه المرحلة التي كانت تتكالب فيها الأزمات والمؤامرات على المغرب داخليا وخارجيا، وأمام توالي استنجاد الفلاليين ـ خصوصا من أبناء عمومته الأشراف العلويين – بالمخزن ليوقف تعديات العطاويين، إلا اعتماد سياسة ضرب القبائل والأحلاف بعضها ببعض بشكل أوسع من ذي قبل، واستغلال التناقضات الاجتماعية القائمة بين ساكنة المنطقة، ولا أدل على ذلك ما أقدم عليه في مرحلة من المراحل من تحريض لعرب الجنوب الشرقي ممثلين في قبائل ذوي منيع للهجوم على آيت عطا، بعد هجوم هؤلاء على القرى والقوافل بكل المنطقة وصولا حتى توات[76].

صد العطاويين وإيقاف تحركاتهم هو ما جعل السلطان مولاي عبد الرحمان يعمل على استغلال التوتر المتصاعد بين أقوى حلفين بالمنطقة وهما حلف آيت عطا وآيت يافلمان، بعدما برز قائد من القياد الكبار اسمه إبراهيم يسمور الزدكي وسط الحلف اليفلماني[77]، فعمد السلطان إلى تعيينه عاملا على تافيلالت، بعد أن ذاع صيته وعلا شأنه بين قومه[78]، خصوصا عندما نجح في رد العديد من الهجومات العطاوية، ولما امتاز به من مبالغة في إكرام الأشراف والإحسان إليهم بعموم تافيلالت، فازداد قومه تعلقا به، وتطلع إليه الأشراف وأحبوه كمنقد لهم من قبضة قبائل آيت عطا، التي اعتادت تحقيق الانتصار تلوى الانتصار في مواجهاتها السابقة، قبل أن يتمكن

---

[75]- **عبد الرحمان الخلطي**، (ولد سنة 1936م بزاوية أملكيس) رواية شفهية، أجريت معه المقابلة يوم 15/ 02/ 2020م,

[76]- Alfred,Georges,Paul, Martin, **Quatre Siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504–1902**, **au Maroc de 1894 à 1912**. F, Alcan, Paris. 1923, p. 157, 158.

[77]- Ismaël Hamet, **Histoire du Maghreb**, Edition Ernest Leroux, Paris, 1923, p. 410.

[78]- تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك**، ص ص. 54، 55، ذكر تزلي في كتابه هذا أن سكان منطقة زيز الأوسط وبعد اكتساح العطاويين للرتب وتافيلالت وتماديهم في اذلال من سواهم، استعانوا بالزدكيين المستقرين بقصر السوق فاستدعى هؤلاء بدورهم الشيخ الزدكي إبراهيم إيسمور الذي كان يتقدم أربعين خيمة وفدت من تدغة بموضع تزكي بضواحي مدينة تنغير الحالية واستطاع أن يكبح جماح العطاويين ويوقف تعدياتهم مؤقتا عن المناطق المذكورة.

إبراهيم من إلحاق العديد من الهزائم المتتالية بهم[79]، حتى إن صاحب الجيش العرمرم عَدَّ هذا الانتصار أمرا غريبا[80]، وحسب مضمون رسالة تتحدث عن الوضع العام بالمنطقة زمن تعيين إبراهيم عاملا عليها[81]، وتصف تافيلالت ب «**أنها هي وأولادها البارين في نعمة وحبور، وعافية متوالية من الله وسرور، دئبوا عليها في طاعة مولاهم، وقاتلوا من أراد أخذها منهم، والعاقون جبنوا ورضوا بذلها**»[82]، يضاف إلى ذلك وقوف الرسالة في فصلها الثاني على تصدي كثير من قبائل وقصور تافيلالت (أهل السفالات، أولاد منصور، وآيت بعلي قصبة أحمد الذهبي، والحدب) للعطاويين حيث قال صاحب الرسالة «**وقد أعاننا الله والحمد لله تليها، حتى سلمت لنا آيت عطى بأنفسها، وطلبوا العافية منا، بعد عجزهم عن محاربتنا، وشط لنا العز والارتفاع، وكل من جحد فله نقماع، وقد فعلنا معهم عامين عافية وشهرين، عام اثنين وستين بعد الألف والمائتين، في ربيع الثاني خلت منه خمسة عشر يوما، فكان التبريح بالعافية كما ذكر، ويرحم الله القائل حيث قال لا ترضى لنفسك الذل يا مسلم، فإن من أهان نفسه أهانها**»[83].

أما في الفصل السابع من الرسالة فنجدها تعدد مناقب عامل الإقليم إبراهيم يسمور الزدكي وتثني على انتصاراته في مواجهة آيت عطا بالقول «**فو الله لقد أجاد وأجود في فعله، وما أحسن صنعا صنعه في صنعه، رجل قوي الهمة في ربه، يحب أن يقطع الفساد في أرضه،**

---

[79]- الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 67.

[80]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي** ، ج2، ص. 37.

[81]- عبد المالك بن عبد الرحمان بن سالم الغفاري، **تأليف في بعض مداشر تافيلالت**، م خ ح، رقم 14065، الورقة رقم 4 .ابتدأ المخطوط بعنوان أشار إلى أنه عبارة عن رسالة متضمنة لبعض أخبار تافيلالت وأحوالها، وهذه الأخيرة تتخللها أشعار موافقة لها في مسائل معانيها، وهي موجهة إلى السيد الحاج بن الحاج الحبيب بن القائد الأجراوي، ويبدو أن صاحب الرسالة كان يجيب فيها عن سؤال عن أحوال بلاد تافيلالت، فأجيب برسالة فصلت على سبعة أبواب، الأول في أمور أحوالها (تافيلالت)، والثاني في شأن محاربتها مع آيت عطا، الثالث في ذكر سوقها والتصرف فيه، الرابع في أسعارها، الخامس في وصف أشجارها، والسادس في ذكر بركاتها، والسابع في ذكر نعت حال عاملها وقته وهو الشيخ إبراهيم.

[82]- ابن عبد الرحمان، **تأليف في بعض مداشر تافيلالت**، م خ ح، رقم 14065، الورقة 5.

[83]- نفسه.

فلذلك صار لآيت عطى محاربا، ولأمثالهم من أهل الفساد والسيبا، تقي نقي صالح أمين بالغ في نصرة الامام بالحق المبين، يكره أهل البغي والضلال، ولو كان من أهله كالعم والخال، وأذكره إذ ذكرت أهل الله، ولا تنسى إبراهيم من عباد الله، حافظا للدين وناصره، ومحبا لأهل الخير وفاعله، باكيا على من أسيء من المسلمين، ويود أن يحميه من المجرمين، فما رأينا مثله في النجابة والرأي السديد المصيب الحاجة، شجاعا حاميا وطيس الحرب فما يسود، اذا حضره هاج فيه كأنه الأسد فكم من جبار للعدو والزمر، الهون وكم من مؤنس منهم أوحشه، وحالته هكذا لم تزل على الدوام، حتى مع المفسدين من قومه غيرة على الاسلام[84]، وقد نظم المهدي بن الغازي الأجراوي الحمدي في حقه أبياتا قال فيها:

مَرْحْباً بِالدَّهْرِ الذِّي فِيهِ عِـزٌّ ... وَبِعَرَفَة مَوْصُلَةَ الخَيْـــــــــــرِ

وَبِعَامِ سِتِينَ اَتِينَا فِيـــــــهِ ... نَحْلَ أَسُومَر إِبْراهِيمَ الحبـــــــر

عَامِلاً عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ أَمِرنَـــا ... مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّحْمَانَ عِزُّ الدَّهْـــرِ

وَلَمَا جَاءَنَا حَثَّنَا عَلَى حَرْبِ ... العَدُوِّ فَحَارَبْنَا فَأَعَنا بِالنَّصْـــرِ

أَصَابَ رَأْيُهُ الجَمِيلُ فِي فِعْلِـهِ ... فَلِلَّهِ دَرُّهُ عَلَى أَفْعَالِ البِـــــرِّ

طَابَ لَنَا العَيْشُ وَلَذَّ فِي وَقْتِهِ ... فَقُمْ يَا صَاحِ بَشِّرْ أَهْلَ قُطْـــرِ

وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ بَنِي الحَـــــــي ... مِنَّا قَاتَلُوا أَهْلَ الضَلَالِ وَالجُـورِ

فَهَذَا كُلُّهُ مِنَنٌ مِنَ اللَّـــــهِ ... وَالحَمْدُ وَالشُّكْرُ لله عَلَى اليُسْـرِ[85].

---

[84]– ابن عبد الرحمان، **تأليف في بعض مداشر تافيلالت**، الورقة، 7.

[85]– نفسه، الورقة 7.

هذه الرسالة تفيدنا أولا في تحديد تاريخ تعيين إبراهيم بن يسمور الزدكي عاملا على تافيلالت، وهو سنة 1260هـ/ 1843م، وليس سنة 1271هـ/1854م، كما تذهب كثير من الدراسات التي تعتبر تاريخ تعيينه هو نفسه تاريخ عزله ووفاته، مستندين إلى ما ذكره الناصري في هذا الشأن، بحيث أرجع ظهور إبراهيم اليزدكي وثورته إلى أواسط سنة 1271هـ/ 1854م[86]. لكن الرسالة التي يرجع تاريخ تدوينها إلى سنة 1262هـ/ 1846م؛ توضح لنا أن مدة تولي إبراهيم على رأس إقليم تافيلالت ليس سنة واحدة كما ذكر بل أكثر من ذلك.

لكن السلطان وإن كان قد استفاد من هذا التناقض بين حلف آيت عطا وآيت يافلمان مؤقتا، إلا أن الأمر لم يستمر طويلا، إذ أن إبراهيم الزدكي الذي عينه عاملا على إقليم اعتاد أن يكون حكامه من البيت العلوي سرعان ما سرت فيه نخوة الرياسة والاستبداد وآل حاله إلى الفساد[87]. وهو ما عبر عنه الكنسوسي في وصفه للزدكي «**وكان هذا الظالم مبسوط العطاء لا يمسك شيئا، فاستغوى بذلك أكثر الناس خصوصا البله من الشرفاء لأنه كما تقدم يبالغ في إظهار محبتهم والإحسان إليهم أكثر من غيرهم، فاشتد بذلك أمره، وشمخ قدره، فسرت فيه نخوة الرياسة العظمى، ونصرت رايته على كل من خالفه، فيغير على هؤلاء، وكان يحدث نفسه أنه يملك المغرب، وهو يدعي أنه إنما في طاعة السلطان. فلما تحقق عند مولانا**

---

[86]- الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 67./ وعنه نقل ذلك حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ص. 183./ مزين، «مادة: آيت ازدك»، **معلمة المغرب**، ج1، ص. 331.

[87]- الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 68.

المؤيد مكره وخداعه(...)، اهتم بشأنه كثيرا فبينما هو كذلك إذ قيض الله له من قتله من إخوانه، وأقرب الناس إليه، فكفى الله تعالى مولانا المؤيد أمره»[88].

ومع كل هذه الأوضاع المعقدة والانشغالات الكثيرة نجد السلطان مولاي عبد الرحمان يتابع عن كثب مختلف التطورات بالمنطقة، فيوصي بالتدخل حتى في بعض القضايا الثانوية، فنجده مثلا يرسل إلى ابن عمه القاضي مولاي عبد الهادي بتافيلالت، للتدخل في خلاف بين ورثة الشريف مولاي محمد بن عبد الله قاضي الرتب، بعدما اشتكى له الورثة تعرض بعض الشرفاء لهم هناك على متاعهم، وطلب السلطان من القاضي المذكور أن يخبره بهؤلاء المتعرضين لهم على ذلك مخاطبا إياه «**فالقضية لا أظنها تخفى عنك واذا شرحتها لنا أشر بما يزجر به هؤلاء الشرفاء المتعرضين لها. والسلام في 25 رمضان المعظم عام 1264**هـ/ 1848م»[89].

بهذا انتهى عصر السلطان عبد الرحمان بن هشام والمغرب في حالة من الضعف والانهيار، ومنطقة تافيلالت في حالة من الفتن والاضطرابات المتواصلة، ومنطقة الرتب قد تغيرت كثير من المعطيات التي ارتبطت بتاريخها، بعد أن تغيرت ساكنة معظم قصورها وهجر أو هاجر عدد ممن وُلِدوا ووُلِد أجدادهم بها، وبعدما أصبح مجال الرتب عموما منذ هذا التاريخ يرتبط بقبائل آيت عطا، حتى غدت معظم تسميات الأراضي والشعاب والسواقي والممرات وغيرها متأثرة باللغة العطاوية، واختفت كثير من المسميات العربية سواء في تسمية بعض القصور أو بعض الوحدات التضارسية، وتسربت إلى المنطقة عادات وأعراف دخيلة لا عهد للمنطقة بها، وإنما ارتبطت بمجيء واستقرار بعض فروع قبائل آيت عطا.

---

[88]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج2، ص ص. 37، 38.

[89]- **الوثائق الملكية**، سجل رقم، 20309، بتاريخ 25 رمضان، 1264هـ/ 1848م.

4 ـ الرتب بين الصراع الداخلي والاستهداف الأجنبي.

خلال هذه المرحلة الحساسة والصعبة من تاريخ المغرب والمنطقة، والتي كان من سماتها الأساسية تزايد الضغوط الخارجية، وتعقد الأوضاع الداخلية، خاصة بالمناطق الجنوبية الشرقية التي عرفت ما يمكن أن نطلق عليه تثبيت العطاويين لأقدامهم وأسرهم بشكل نهائي بعموم تافيلالت، وبعدما أصبح وجودهم من الأمور المسلم بها، بل ونجحوا في ربط علاقات وطيدة وتحالفات مهمة مع بعض الأطراف المحلية، جعلت منهم عنصر توازن لا غنى للمنطقة عنه، وبلغ اليأس منتهاه عند بعض من كانوا يأملون أن يعمل المخزن على إرجاعهم إلى مواطنهم السابقة، لكن العطاويين ما كادوا ينتهون من ذلك؛ حتى انطلقوا من جديد، لكن هذه المرة نحو مناطق أعدائهم حلف آيت يافلمان خاصة بشمال الرتب وبغريس، والذين بدورهم كانت لهم طموحات وسعي للحصول على مناطق تأمن لهم حاجياتهم الاقتصادية وهو ما كان يهدد مصالح العطاويين.

تزامن كل ذلك أيضا مع ما بدأنا نلمسه من تزايد للنشاط التجسسي الأوربي بالمغرب، محاولا جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن جغرافية المناطق وساكنتها، وغيرها من الأخبار التي وظفوها في عملياتهم العسكرية للسيطرة على المنطقة وإخضاع سكانها، هذه الرحلات التجسسية غذت اليوم وفي ظل قلة المادة المصدرية المغربية، مراجع أساسية وضرورية للوقوف على بعض المعطيات والمعلومات الأساسية، من أجل التعرف على جوانب من تاريخ هذه المناطق، لاسيما وأن الأوربيين أثناء هذه العمليات التي كانوا يقومون بها، تنبهوا إلى جهلهم الكبير في ما يخص المناطق الريفية والجبلية والصحراوية، وأن ما يتوفرون عليه بالأساس، هو معلومات متكررة عن المدن الكبرى والطرق المعروفة، ولهذا شرعوا في البحث عن مخبرين ومغامرين لكي يستكشفوا هذه المناطق، ويدرسوا معطياتها الطبيعية والبشرية وخصائص وعلاقات مختلف شرائحها المجتمعية، دون إغفال رصد الارتباطات الدينية والاستعدادات العسكرية لها، وعوامل الخلافات البينية.

توالت على المنطقة تبعا لهذه الأهداف؛ العديد من الرحلات الفرنسية والألمانية والإنجليزية التجسسية الاستكشافية، كان في مقدمتها رحلة روني كايي René Caillié، الذي كان أول فرنسي يصل إلى بلاد تافيلالت منذ سنة 1828م، وبذلك يكون أول أوربي يصل ضمنيا إلى الرتب يوم 3 غشت 1828م على الساعة الواحدة بعد الظهر، لكن معلوماته عنه كانت مقتضبة جدا، وركزت بالأساس على ما جرى معه بقصر المعاركة خلال الخمسة عشر ساعة التي قضاها به ومما ذكره:

ـ وصفه "المعاركة" بالقرية الكبيرة وأنها محاطة بجدار من 12 إلى 14 قدما؛

ـ حديثه عن وجود أعداد من الرجال أمام بوابة قصر المعاركة بدون عمل، ينتظرون أي شخص يأتيهم بالعشاء، واندهاش هؤلاء من رؤية كايي لما كانت توحي ملامحه من كونه غريبا عن بلاد المغرب ككل[90]؛

ـ استعراضه مظاهر الكرم والترحيب التي حظي بها من بعض سكان المعاركة الأمازيغ، وكذا شرفائها الذين عَرَّف بانتمائهم إلى أسرة حكام المغرب العلويين[91]؛

ـ وقوفه على امتلاك سكان القصر لإنجيل باللغة العربية واللاتينية، قُدِّمَ له ليقرأ لهم بعض ورقاته؛

ـ تجوله في بساتين وحدائق المعاركة واستعراضه لعدد من ثمارها ومنتوجاتها مثل التين والعنب وغيرهما[92]؛

---

[90]- Caillié René, **Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale**: **précédé d'observations faites chez les Maures Braknas**, **les Nalous et d'autres peuples**, **pendant les années 1824**, **1825**, **1826**, **1827**, **1828**. T3, Imprimé par autorisation du Roi à L'imprimerie Royale, Paris, 1830, p. 93.

[91]- Ibid, p. 94.

[92]- Ibid, p. 95, 96.

ـ ملاحظته انتشار عدد من المساكن الصغيرة المتقاربة جدا على طول الطريق التي مر منها باتجاه مدغرة شمالا. ومع ذلك بين أنه يتم استغراق وقت كبير للوصول، بسبب ضرورة الالتفاف عبر مسالك مختلفة[93].

ومع مرحلة حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859م ـ 1873م) عرف المجال أيضا تسرب جواسيس آخرين قدموا لنا بدورهم معلومات مهمة عن منطقة الرتب إبان تلك المرحلة، حاولنا من خلالها رسم صورة لما كانت عليه الأوضاع خلال هذه المراحل الحرجة من تاريخ المغرب. وفي مقدمتها ما قام به الكولونيل هنري داستوك H.Dastugue الذي رسم لنا خريطة لمجال مدغرة والرتب سنة 1859م، وقفنا من خلالها على معلومات مهمة عن توزيع القصور؛ سواء منها تلك التي مازالت موجودة أو حتى تلك التي اختفت أو تغيرت تسميتها، إلى جانب توطينه لبعض الأضرحة والمقابر، وكذا الطريق التي كانت تسمى سابقا بطريق السلطان، والمارة من مجال الرتب، كما توضح ذلك الخريطة التي رسمها[94].

أما ما أورده داستوك عن الرتب في مقاله حول تافيلالت وسجلماسة فانحصر في بعض المعلومات البسيطة، من قبيل اعتبار "ايردي" هو الحد الفاصل بين تيزيمي والرتب، وكون قصر المعاركة الكبير هو قصر الأمير مولاي المامون بن بوفيراس بن إسماعيل، ومما أشار إليه داستوك هو الثناء على أحد الشخصيات الرتبية، ويدعى الحاج البشير[95] والذي نسب إليه الفضل في حصوله

---

[93]- Caillié René, **Journal d'un voyage à Temboctou**, p. 97.

[94]- أنظر الخريطة رقم 3، ص. 47.

[95]- حنفاوي بعلي، "**الرحلات الحجازية المغاربية الأعلام في البلد الحرام، دراسة نقدية توثيقية ثقافية**". دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، طبعة 2018م، ص. 180. عرف حفناوي الحاج البشير كما يلي: "**ولد الحاج البشير في واد الرتب ببلاد الشرفة (الشرفاء) على مسافة من تافيلالت سنة 1229هـ/ 1814م ومنذ كان عمره 17 سنة بدا حياة الترحال فذهب إلى فاس ومكناس. ثم استقر في تلمسان وعمره حوالي 23 سنة، وتزوج من أربعة عشرة امرأة. ولكي يعيش كان عليه أن ينتقل بين القبائل في إقليم وهران، وصادف ذلك عهد المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر. ولما كان عمره 55 سنة ركب البحر إلى الحج عن طريق مرسيليا والإسكندرية، وفي مصر تعرف على أحوال الشرق، ورأى جيش محمد علي باشا، واستغرقت الرحلة سنة، ثم رجع إلى تلمسان، واستقر بعد ذلك في مكان يعرف بزهرة في بلاد بني: ورحل الحاج البشير إلى الحجاز، وقد أملى رحلته ونشرها المستشرق الفرنسي فليب**، بالمجلة الإفريقية، لسنة 1911م، ص. 255. وسماها "**رحلة الحاج البشير سنة 1867م**".

على كثير من المعلومات عن تافيلالت والرتب، بعد أن التقاه بالجزائر، التي كان قد هاجر إليها البشير منذ صباه.

وممن التقاه داستوك أيضا وكان لهم علاقة بمنطقة الرتب الأمير سليمان بن عبد الرحمان بن سليمان[96]، الذي كان يقيم بقصر المعاركة، القصر الذي كان للمأمون بن بوفيراس[97]. هذا الأمير كان والده عبد الرحمان بن سليمان قد قام بالدعوة لنفسه بالحكم بعد وفاة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، وانتقل إلى فاس مدعوما ببعض بني عمومته وبعض عبيد البخاري والبربر، لكن مسعاه فشل فتراجع لينعزل بعيدا بالزاوية العياشية ويستقر لاحقا بقصر المعاركة[98]، وهنا يذكر لنا برنار أوغستين Augustin Bernard أن داستوك Dastugue التقى الأمير سليمان بن عبد الرحمان في معسكر "عين تافوغلت ببني يزناسن" بالجزائر سنة1859م، وأنه جاء لطلب دعم فرنسا لوالده في مسعاه للحصول إلى الحكم[99].

يثير أمامنا ما قاله داستوك عن هذا الأمير مجموعة من التساؤلات، أولها عن ظروف استقراره بالرتب، فهل كان هناك مَنْفِياً من قبل السلطان؟ أم أنه هو من اختار الاستقرار بهذه المنطقة؟ ولماذا اختار أو أُخْتِير له هذا المكان؟ وهل يمكن اعتبار تواصله وسعيه للحصول على دعم الفرنسيين، إن صح كلام داستوك أول اتصال لبعض الشخصيات الرتبية والمغربية من ذوي المكانة

---

[96]- ابن زيدان، **إتحاف اعلام الناس**، ج 5، ص. 12، 13. أورد المؤلف في كتابه هذا رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى ابنه مولاي سليمان يوصيه فيها ويخصه برسالة حول ضرورة التقشف في العيش واللين مع أهل مدن الشمال (طنجة العرائش تطوان) حيث كان مقيما أنذك بتاريخ 28 رجب عام 1260هـ/ 1844م. وأنظر رسالة أخرى إلى القائد بريك الحبشي الذي كان مكلف بمراقبة الأمير سليمان بن عبد الرحمان، والسهر على تربيته، حيث هدده السلطان بالخراب إن هو تساهل في تربيته أو سمح له بالبذخ أو غير ذلك، أنظر نص الرسالة المؤرخة ب 23 شعبان 1255هـ/ 1839م، ج5، ص. 14.

[97]- Le lientenant –Colonel, H. Dastugue, «**Quelques Mots Au sujet de Tafilalet et de Sidjilmassa**». Bulletin de la Société de Géographie, Cinquième Série, T, 13, Janvier –Juin, Libraire de la Société, Paris, 1867, p. 363, 365, 368.

[98]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المنتهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، ط1، 2005م، ج2، ص. 99./ الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج2، ص ص. 81، 82./ الناصري، **الاستقصا**، ج 9، ص. 83.

[99]-Augustin Bernard et CH – Al, Joly, **Le Tafilelt et Sidjilmassa**, France – Maroc, Revue Mensuelle, Deuxième Année – N° 7, Librairie Plon – Nourrit, Paris, 15 Juillet 1918, p. 201.

والوجاهة بالفرنسيين انطلاقا من هذا التاريخ؟ هذه كلها أسئلة تحتاج إلى الوثائق التي تجيبنا عنها بدقة، رغم أن بعض المؤشرات يمكن أن تزيل اللبس عنها، فأما استقراره بقصر الرتب غالبا ما ارتبط بتعيين بعض أبناء السلطان أو أفراد من عائلته، للاستقرار بقصر المعاركة، الذي اعتبر قصرا مخزنيا يسهر على تتبع وتسيير شؤون منطقة الرتب، كما أن ممتلكات السلاطين به كانت ممتدة وشاسعة، ومردودها كان يمثل ثروة مهمة بيد من يتكلف بها[100]، مع ضرورة التأكيد على أن التواجد الفرنسي في المستعمرة الجزائرية جعل التواصل بينهم وبين بعض المغاربة من الأمور المتوقعة على اختلاف أسباب ذلك، خصوصا وأن الفرنسيين حرصوا على ربط علاقات جيدة مع الساكنة، رغبة منهم في عدم إثارتها، وتليين المواقف الرافضة لوجودها، وكذلك احتراما لما تفرضه الروابط القائمة بين سكان المناطق الحدودية، والمبادلات التجارية التي ظلت قائمة رغم اضطراب الأوضاع، لتبقى الإجابات عن الأسئلة التي وضعناها مفتوحة على أكثر من احتمال.

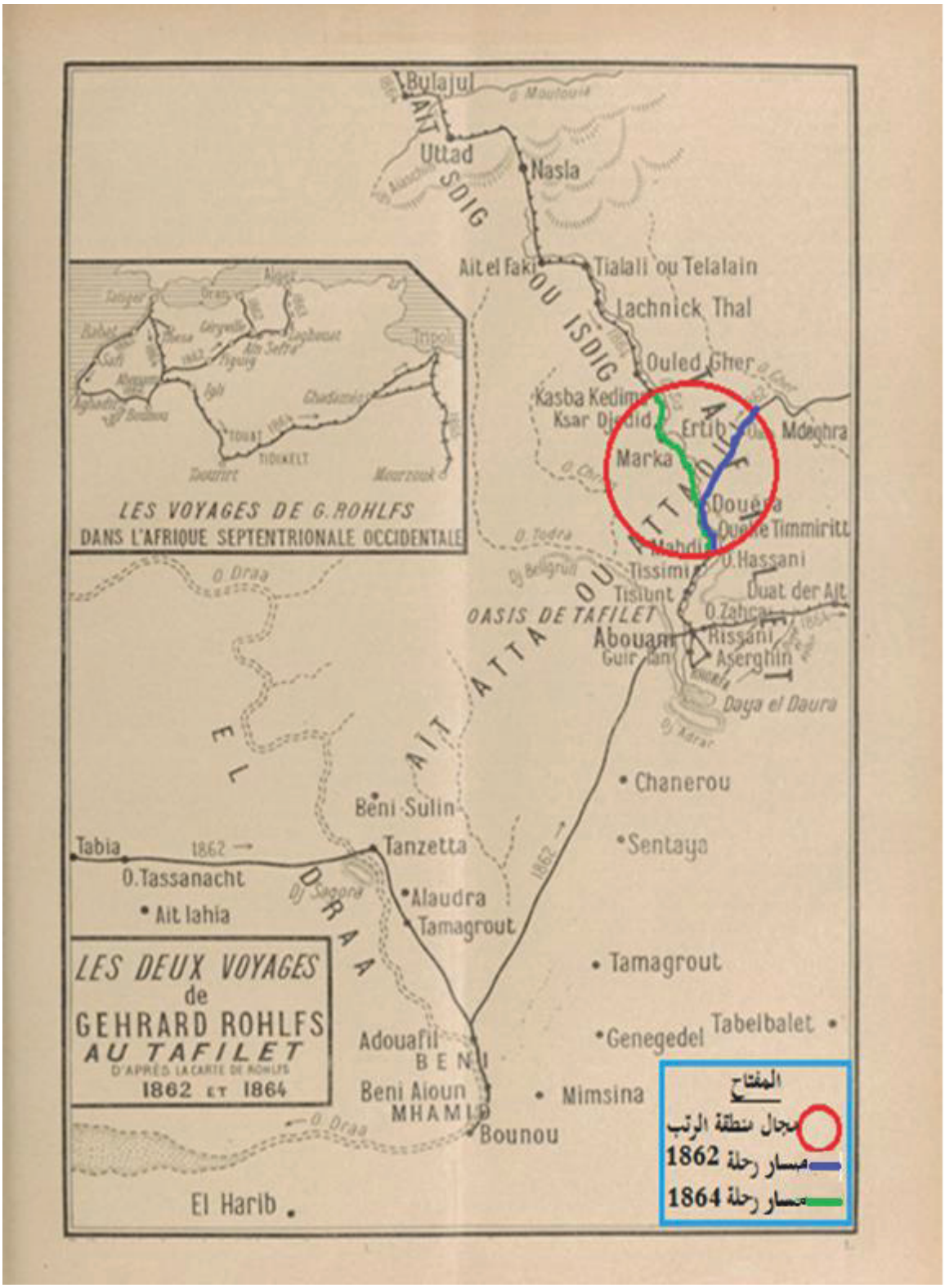
أتت بعد داستوك رحلة غاية في الأهمية قام بها الرحالة الألماني "جرهارد رولفس" Gehrard Rohlfs وشملت بلدان ومناطق عديدة منها المغرب، فكانت منطقة الرتب من المناطق التي مر بها مرتين، الأولى سنة 1862م، والثانية سنة 1864م، رحلة رولفس هذه تعتبر من المصادر الغنية عن الرتب زمن السلطان محمد بن عبد الرحمان، إذ قدم لنا من خلالها معلومات هامة عن الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي بالمجال الرتبي، وإن بإشارات مقتضبة، لكنها تبقى أساسية يمكن البناء عليها لوضع تصور تقريبي عما كان عليه الوضع هناك في تلك المرحلة المتحولة باستمرار. وبعد أقل من أربعة عقود على دخول العطاويين للرتب مدعومين بعناصر وقصور رتبية الأصل.

سجل لنا رولفس عددا من الملاحظات بخصوص منطقة الرتب في رحلته الثانية قادما إليها من الشمال، ومارا بكل المجال الرتبي، عكس رحلته الأولى التي وصل فيها إلى الرتب قادما من الجنوب، ومقتصرا في زيارته هذه على منطقة الرتب الأسفل فقط، لينعطف شرقا دون أن يمر شمال المنطقة، كما توضح الخريطة التالية:

---

[100]- أنظر: **أملاك المعاركة في عصر السلطان عبد الرحمان بن هشام عن الفترة الممتدة ما بين 1264 ـ و1273**، الكناشة رقم 23 بالخزانة الحسنية، وعدد أوراقها 62 ورقة.

الخريطة رقم 5: مسار رحلتي جرهارد رولفس سنتي 1862 و1864 ومروره بمجال الرتب[101].



بتصرف توطين مجال الرتب ومسار رحلتي رولفس بالاعتماد على الخريطة الأصلية

[101]- Gerhard Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 245.

ومما سجله ودونه لنا رولفس في كتابه عن رحلته الثانية نذكر:

ـ تقديره لعدد قصور الرتب بحوالي عشرين قصرا، وهو عدد أقل من العدد القائم انذاك، والقصور التي ذكرها في رحلته هي من الشمال إلى الجنوب: علي بوسعيدان (بوسعيد)، زاوية سيدي بلعباس(زاوية أملكيس)، الكنز، الجرمنة، آيت يحي(زوالة)، أولاد عيسى، أولاد شاكر، قصر الجديد، الكارة، أولاد عميرة، أوفوس، تاخيامت، زريكات أولاد رحو، سيدي علي الكومي، المعاركة، والمعاركة الصغيرة، الزاوية القديمة، الزاوية الجديدة، البطاطحة، الدويرة[102]؛

ـ رصده حجم الأمراض التي كانت ساكنة المنطقة تعاني منها، لاسيما مرض العيون. حيث لجأ إليه كثير من السكان، بعد أن قدم نفسه كطبيب، وعلى رأس المتسابقين إليه أعيان البلد مثل شيخ قصر أولاد عيسى بالرتب الأعلى[103]؛

ـ تأكيده على استمرار احترام مختلف القبائل بما فيها العطاويين للشرفاء الوزانيين، ذلك أن رولفس كان يحمل توصيات مختلفة منها توصيات من شريف وزان آنذاك ومن السلطان. ولا أدل على ذلك ما تعرضت له القافلة التي كان بها بعد هجوم بعض العطاويين عليها قرب قصر الدويرة، لكن ما أن أراهم رولفس توصيات شيخ وزان والأمير حتى سارعوا إلى الاعتذار وطلب المسامحة بل وتقبيل الأيادي[104]؛

ـ تقديمه إحصائيات تقريبية مهمة عن عدد أفراد بعض القصور، مثل قصر أولاد عيسى والذي قدره بحوالي 2400 ساكن، منهم 600 مسلح، وبالزريكات ذكر وجود 1200 مسلح، وكذا قدم لنا احصائيات حول اليهود بالرتب وحدد عددهم في 200[105]؛

---

[102]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 248.

[103]- Ibid, p. 245.

[104]- Ibid, p. 249.

[105]- Ibid, p. 248.249

ـ إبرازه غياب الأمن بالمنطقة، حيث يذكر أن قصور الرتب كانت في حرب بينها منذ شهور، وإن لم يقف بنا رولفس على الأسباب الكامنة وراء ذلك، والأطراف أو القصور المنخرطة في الصراع، واستثنى من هذا الوضع قصر الدويرة، الذي اعتبره أشبه بمنطقة معزولة عن باقي المجال، وحصر سكانه في الشرفاء من ذرية السلطان مولاي إسماعيل؛

. وقوفه على الألبسة التي كانت الساكنة ترتديها، وطابع الاختلاط الذي يميزها، كما حدد اللون الأزرق كلون خاص للحايك الذي تلبسه النساء هناك بالزريكات، فضلا عن وقوفه على الثقافة الدينية السائدة بالمجال[106].

مرحلة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ما بين (1859م ـ 1873م) بمنطقة الرتب وتخومها خاصة الشمالية ـ مدغرة ـ ستتميز أيضا ببروز شخصية وزعامة دينية كان لها أكبر الأثر في مختلف التطورات والأحداث بالمنطقة، وهو الشيخ محمد العربي الدرقاوي المدغري نزيل مدغرة[107]. الذي بادر بالدعوة إلى الجهاد ضد المحتل الفرنسي زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان من خلال منشور أصدره سنة 1280هـ/ 1863م[108]، إذ لم ينتظر هذا الشيخ وصول تهديد الفرنسيين إلى تخوم المغرب الشرقية، بل عمل على استنهاض همم المغاربة للجهاد، ودق ناقوس الخطر قبل ذلك بكثير، فكتب هذا المنشور الطويل الذي أذاعه في الناس في السنة المذكورة، نبه فيه لمخاطر استقرار الأوربيين بالسواحل المغربية، وتعاطيهم للتجارة والفلاحة وغيرها، مؤكدا أن الوضع أنداك كان يقتضي الاستعداد لمحاربتهم، محذرا بأن «**مقدمة البوار، الأمن من عدو الدين وعدم المبالاة بما يفعله بأراض المسلمين وترك التفطن إليه، حتى يصير يأمر وينهى ويمتثل**

---

[106]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p, 249, 250.

[107]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 1، ص ص. 274، 275؛ نسب الفلالي ولادة الشيخ محمد العربي الدرقاوي إلى منطقة الرتب سنة 1805م، وليس إلى مدغرة ،كما تشير إلى ذلك أغلب المصادر، أنظر كتابه، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 28. ويعزز قوله ذلك بالإشارة إلى أن الشيخ لم يترك من متاع الدنيا بعد وفاته غير بقعة تقاس بالأمتار، في قصر الزريكات بأوفوس الرتب، ج7، ص. 145.

[108]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ص. 350.

أمره في سواحل أهل الايمان والدين، ولا يتفطن إليه وينتبه إليه حتى يتفاقم الواقع ويتسع الخرق على الراقع»[109].

كما كان له تأثير قوي في توجيه الصراع المستحكم بين الحلف العطاوي المتمكن في مجال الرتب وتافيلالت، وحلف آيت يافلمان الذي كانت سيطرته تمتد إلى أعالي جبال الأطلس، أي شمال مدغرة مقر زاوية الشيخ وسكناه، التي كانت تمثل مجالا فاصلا بين الطرفين والحلفين، اللذان كان يكنان للشيخ كل التقدير والاحترام ويقفان غالبا عند كلامه وأحكامه، كما كان العطاويون المقيمون بالرتب على وجه الخصوص يرسلون أبناءهم للتعلم في زواياه (زاوية رحمة الله، وزاوية نعمة الله وغيرهما)، حيث تشير بعض الروايات أن قافلة متنقلة كانت تضم عددا كبيرا من مريدي الزاوية من الأطفال (700فرد) أغلبهم عطاويون ومتجهة إلى مدغرة عائدة من جولة لها. فمرت بقصر الجديد بالرتب الأوسط الآهل بساكنة عربية معظمها من الشرفاء والمعقلين، فحرض الأهالي أطفالهم على رشق القافلة بالحجارة، فما كان من أولئك العطاويين إلا أن نزعوا عماماتهم الخضراء، رمز الانتماء للزاوية الدرقاوية، وطاردوا الأطفال حتى بيوتهم لتأديبهم، مما جعل الأهالي يذهبون إلى الشيخ بمدغرة ويشتكون من تصرفات مريديه، لكن جوابه لهم كان هو «**لقد بذلنا جهودا جبارة لجعل العطاويين مسالمين، وأجبرتموهم على انتزاع عمامتهم، فرجعوا بذلك إلى حالتهم الأولى»**[110].

برزت هذه المكانة التي أصبحت لمحمد العربي الدرقاوي، والدولة شبه غائبة عن مباشرة أمور المناطق التابعة لها، مرحلة امتدت من فترة حكم السلطان مولاي عبد الرحمان وتزايدت في عهد

---

[109]– المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ص. 351.

[110]– محمد احدى، **دراسة تاريخية لحوض وادي زيز الأوسط**، ((**منطقة أوفوس**))، بحث لنيل الإجازة في التاريخ جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز فاس، برسم الموسم الجامعي 1983م ـ 1984م، ص ص. 72، 73. اعتمدنا على ما ورد في بحث الإجازة هذا؛ لكون صاحبه من أبناء المنطقة ولانتمائه للأسرة التي تزعمت قيادة منطقة الرتب وقبائله العطاوية قبل الفترة الاستعمارية وإبانها، وكذا لنقله عددا من الروايات عن شيوخ المنطقة قبل 40 عاما تقريبا، فضلا عن تطابق ما أورده مع بعض الروايات الشفهية التي استمعنا إليها من الشيوخ الذين أوردنا أسماءهم وروايتهم ضمن ورقات هذا البحث. ونخص بالذكر منهم **ابا سيدي بن العربي الطاهري**، رواية شفهية أجريت معه، بتاريخ 15. 05. 2016م.

خلفه محمد بن عبد الرحمان، هذا الغياب أدى إلى تضعضع مكانة المخزن، وعزلته عن تدبير شؤون المناطق والأهالي ليصبح هذا الدور المحوري من مسؤولية الشيوخ والصلحاء والأشراف[111]. ولتصبح هذه المناطق ضمن ما كان يطلق عليه البعض ببلاد السيبة التي لم تكن تعترف بسلطة المخزن وسياسته[112].

رغم هذا النشاط الديني والسياسي الذي كان يقوم به الزعيم المدغري الدرقاوي، إلا أن مخزن السلطان محمد بن عبد الرحمان كان يغض الطرف، ولا يتدخل بشكل مباشر فيما تعرفه هذه المناطق من أحداث وتطورات، وانحصر دوره في محاولة منع الأوضاع من الوصول إلى درجة تمنح لفرنسا الذرائع التي كانت تنتظرها للتدخل في شؤون المغرب الشرقية، نظرا لأهمية هذه المناطق بالنسبة لها للبدء في تنفيد حلمها بإقامة شبكة للسكك الحديدية تصل إلى توات. وبالتالي تتحكم في تجارة المنطقة التي كان العطاويون وغيرهم يتحكمون فيها، عن طريق فرض رسوم "الزطاطة"، كما كانوا يرفعون قيمتها من حين لآخر، كما يؤكد ذلك، تقرير فرنسي مؤرخ ب 8 أكتوبر 1865م[113].

---

[111]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ص.267.

[112]- جرمان عياش، **الوظيفة التحكيمية للمخزن، دراسات في تاريخ المغرب**، الشركة المغربية للناشرين المتحدثين، ط1، 1986م، ص. 145.

[113]- Derrien Isidore, **Le chemin de fer trans-saharien d'Oran au Touat**, **par Tlemcen et l'Oued Messaoura**, Adolphe Perrier, Imprimeur- E'DItecr Paris, 1879, p. 27, 28.

5 ـ علاقة الرتبيين بالمخزن زمن السلطان الحسن الأول (1873م ـ 1894م).

شهدت مرحلة السلطان مولاي الحسن بن محمد بدورها عددا من المتغيرات المتسارعة، سواء على المستوى الوطني أو المحلي. كان أبرزها على مستوى منطقة دراستنا، اشتداد حدة الصراع والحروب بين الحلفين الرئيسيين الكبيرين بالمنطقة، وهما حلف آيت يفلمان وحلف آيت عطا، وتزايد الاحتكاكات مع المستعمر الفرنسي ـ المحتل للجزائر منذ 1830م ـ بالتخوم الجنوبية الشرقية للمغرب، هذا الأخير ما فتئ يرسل الجواسيس تلو الجواسيس للتعرف على المنطقة، التي كان يضع احتلالها والسيطرة عليها في مقدمة أولوياته؛ من أجل ضمان أمنه وتحقيق أطماعه. وفي المقابل برزت بجلاء روح الإيثار والتضحية لدى أبناء تافيلالت ومنهم أهل الرتب، من خلال سعي بعض زوايا وشيوخ المنطقة لتحريض السكان ضد الأجانب، ودعوتهم لجهادهم أينما كانوا، وعلى رأس هذه الزوايا المحرضة، زاويتا الشيخ محمد العربي الدرقاوي "بكاوز" و"رحمة الله" بمدغرة على الحدود الشمالية للرتب واللتان كانتا مقرا للتشاور والدعوة الصريحة لجهاد الفرنسيين[114]. إلى جانب زاوية مولاي مصطفى بن الحنفي في قصر الجرامنة بالرتب[115].

سعى المخزن خلال هذه المرحلة لإعادة فرض وجوده بالمنطقة، وإثبات علاقته بهذه المجالات الصحراوية، بعدما توالت الدلائل على سعي الفرنسيين المحتلين للجزائر اقتطاعها شيئا فشيئا لصالح مستعمرتها هناك، بدعوى أنها جزء من تراب الجزائر. هذا ما سيدفع السلطان مولاي الحسن للقيام بحركة هامة نحو تافيلالت سنة 1893م لإثبات وتأكيد سيادته وحقوقه بهذه المناطق الصحراوية

---

[114]– قاسم الحادك، **جوانب من مواقف الزوايا الدرقاوية من الاحتلال الفرنسي(1881م ـ 1932م)**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م، ص. 28.

[115]– محمد بوكبوط، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1938م ـ1880م) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى وادي نون**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص. 14.

المستهدفة، والتي مكنت الكتابات حولها؛ من الوقوف على جانب مهم مما غذت عليها الأوضاع بها وبغيرها من المناطق ومن بينها الرتب، مع نهاية حكم هذا السلطان[116].

وبالرجوع إلى وضعية المنطقة مع بداية عهد السلطان الحسن الأول، نجد أنه وبعد حالة التوازن التي استطاع إبراهيم يسمور الزدكي زعيم حلف آيت يافلمان أن يحدثها لفترة قصيرة مع الحلف العطاوي؛ الذي كانت له السطوة والغلبة لزمن طويل، سيأفل نجم إبراهيم هذا، مما سيعيد القبائل العطاوية للواجهة بالمنطقة، من خلال محاولتها مواصلة تحركاتها واحتكاكاتها بالقصور المجاورة لمجالها، بما فيها قصور عدوها اللدود حلف آيت يفلمان، الأمر الذي زاد من تعاضد القبائل المكونة لهذا الحلف الأخير من قبائل آيت حديدو وآيت مرغاد وآيت ازدك، ومن انضم إليهم من القبائل العربية الأخرى، خاصة من عرب الصباح التي كانت تشاركهم نفس العداء للقبائل العطاوية، لهذا سارعت للتحالف معهم، يضاف إليه دعم المخزن الذي ظلت علاقته مع قبائل آيت عطا في الغالب علاقة مواجهات طاحنة، منذ عهد مولاي إسماعيل[117]، الأمر الذي جعل تحركات القبائل العطاوية هو الموضوع المهيمن في تاريخ الجنوب الشرقي للمغرب من القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين. قبل أن يأخذ الفرنسيون زمام المبادرة من آيت عطا ويسبقونهم في ذلك منذ مطلع القرن العشرين[118].

فالتنافس بين العطاويين وأعدائهم من آيت يفلمان ومن لف لفهم؛ استمر بشكل أكبر كما أشرنا إلى ذلك خلال المرحلة الأولى من حكم مولاي الحسن، وما زالت أثره محفورة في ذاكرة بعض شيوخ القبيلتين، ويتردد ذكره على الألسن التي تناقلت أطوار تلك المعارك والحروب، وإن

---

[116]- تنوعت وتعددت الكتابة حول هذه الحركة منها، رسائل للسلطان مولاي الحسن إلى بعض أفراد مخزن دولته، واصفا فيها أهم ما يتعلق بهذه الرحلة، ثم كتابات أجنبية نقل أصحابها ما عاينوه أثناء رحلاتهم التجسسية والاستكشافة، كما كان شأن ولتر هاريس، وفردناند لينارس وغيرهما، إلى جانب بعض الأشعار والقصائد التي نظمت بهذه المناسبة مثل قصيدة الخالدي وغيره. وكذا بعض المقالات الصحافية الأجنبية وغيرها والتي سنذكرها في سياق فصول هذا البحث.

[117]- المولودي، **الثنائية الحضرية**، ج1، ص. 26.

[118]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 89.

بشكل أسطوري أحيانا[119]، كما أن أثره وما خلقه من عداوة بين الطرفين ما زالت شاخصة بين البعض منهم، وفي عدد من القضايا المشتركة كأراضي الجموع إلى يومنا هذا. ونحن عندما نتحدث هنا عن العطاويين كمجموع فالأكيد أن العطاويين الذين استوطنوا الرتب كانوا في مقدمة المشاركين في هذه المواجهات بحكم موقعهم على حدود خصومهم.

لم يكن ليغيب كل ذلك التنافس والصراع المرير عن ما كتبه المخبرون الأجانب الذين زاروا المنطقة خلال هذه المرحلة وعلى رأسهم شارل دوفوكو، الذي وقف وسمع سنة 1884م عن قرب مجريات أحداث الصراع والمعركة الفاصلة بمنطقة تلوين بمجال واد غريس، بين حلفي آيت عطا وآيت يفلمان، على بعد أقل من سنة على وقوعها في خريف سنة 1883م، حيث ذكر دوفوكو بأن المعركة شارك فيها حوالي 8600 فرد من آيت عطا منهم 600 فارس، و12700 من آيت مرغاد منهم 700 فارس، وأشار فيها إلى انتصار حلف آيت يافلمان وانهزام آيت عطا التي فقدت 1200 فردا في هذه المواجهة في مقابل 400 فرد عند أعدائهم[120].

لكننا وجدنا من تحدث قبل دوفوكو عن المواجهة بين العطاويين واليافلمانين، فقد ذكر الألماني جاكوب شودت Schaudt الذي كان حاضرا بمجال تافيلالت الكبرى منذ مارس 1881م إلى غاية ماي 1882م، أن معركة حدثت في شتاء سنة 1881م- 1882م، بين آيت عطا وآيت يافلمان(آيت ازدك، آيت احديدو، آيت مرغاد، آيت أوفلا، آيت يحيا- احمد، عرب واحة السيفا، تيزيمي، والجرف) في منطقة تلوين وسط واحة غريس وانتهت المعركة بفقدان حلف ايت يفلمان 1000 شخص ما بين قتيل وجريح[121]، ومن هنا وجدنا اختلافا بين شودت ودوفوكو في تحديد التاريخ الذي أورده كل منهما للمعركة، وهو ما يضعنا أمام احتمالين فإما أننا

---

[119]-لحسن أيت الفقيه، **قيم السلم القبلي والعلاقات الوظيفية بجبال الأطلس الكبير الشرقي، دراسات-وثائق جديدة- نصوص**، مطبعة Horizongraph Errachidia, ط1، سنة 2021م. أورد الكاتب قصيدة كانت متداولة على الأسن تتحدث عن معركة تلوين مع شرح لها، من ص. 74، إلى ص. 82.

[120]- دوفوكو، **التعرف على المغرب**، ص. 305.

[121]- Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P. 265.

أمام معركتين متتاليتين بين نفس الأطراف الأولى سنة 1882م والثانية سنة 1883م، أو أن دوفوكو أخطأ في تحديد تاريخ المعركة بناء على رواية من أخبره عنه ذلك، وكلا الإحتمالين يبقى قائما، لاسيما وأن دوفوكو ذكر أن الطرفين المتحاربين وبعد نهاية هذا اللقاء الدامي والإتفاق على هدنة بينهما لمدة سنة، اتفقا أيضا على المبارزة بينهمامن جديد[122]. لكن ما يهمنا هو أن معركة تلوين انتهت بانتصار قبائل آيت يفلمان والمتحالفين معهم.

ساهم في تحقيق هذا الانتصار لآيت يفلمان الدعم والمباركة التي حظو بها من قبل الشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي رفض استمرار العطاويين في الاستيلاء على أراضي غيرهم، خاصة بعد سعيهم للسيطرة على تلوين وعَدَدٍ من قصور آيت مرغاد، إحدى مكونات حلف آيت يفلمان القبلية بواد غريس، كما أنه وكما سبق وأن ذكرنا من أن دوفوكو أشار إلى استعدادات الطرفين بعد عام من المعركة الأولى لخوض معركة ثانية، إلا أن عبد الكريم الفلالي ذكر أن انتصار آيت يفلمان في معركة تلوين كان له دور أساسي في توجه الطرفين لإقرار السلم بينهما[123].

وما يؤسف له فيما يخص رحلة دو فوكو الاستكشافية، أن هذا الأخير لم يشمل في رحلته هذه مناطق تافيلالت الصغرى والرتب، بل وصل إلى مدغرة لينعطف شمالا نحو الخنك وتعلالين، وبالتالي لم يزر الرتب المجاور لمدغرة، مما حرمنا من دقة ملاحظاته وعمق تحليلاته ورسوماته ومعلوماته، التي من دون شك كانت ستكون فارقة بالمقارنة مع غيره، رغم أهدافها الخبيثة، هكذا نجده اقتصر في كلامه عن منطقة الرتب على سطرين، محددا فيهما عدد قصور هذا الأخير ما بين 30 و40 قصرا، كما أشار إلى أن الرتب يتكون من خليط سكاني يضم الشرفاء والمرابطين

---

[122]- دوفوكو، **التعرف على المغرب**، ص. 305.

[123]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 67. من جهته حدد الفلالي في ج 7، ص. 70 تاريخ معركة تلوين بسنة 1304هـ/ 1886م بناءا على ما نقله عن أحمد بن الهاشمي، في مخطوطه، "**تحفة الراغب في السعادة في الترغيب لطلب الشهادة**"، ج1، ورقة 234، م م و، ميكروفيلم رقم 275. وهذا ما يجعلنا أمام أكثر من تاريخ لمعركة تلوين، أو أمام سلسلة من المعارك بين العطاويين واليفلمانيين تحمل نفس وتدور مجرياتها في نفس المكان.

وقبالة، وأبرز تواجد ملاح واحد لليهود بالمجال المذكور[124]. والغالب أنه يقصد به ملاح الزريكات.

دوفوكو وقف أيضا في رحلته ومروره بالمنطقة (زار بعض قصور مدغرة لكنه لم يصل إلى مجال الرتب) يوم 01 ماي سنة 1884م[125]، على المكانة البارزة التي كانت لزعيم الزاوية الدرقاوية محمد العربي، في ظل غياب شبه تام للمخزن ومؤسساته، التي ظلت شكلية، بينما كان تمدد نفوذ الشيخ بالمنطقة ملحوظا، وتعددت الزوايا التابعة له خاصة بالرتب[126]، وهذا ما دفع دوفوكو إلى اعتبار الشيخ الدرقاوي الشخص القوي داخل مدغرة ومحيطها والمسيطر عليها، كما وصفه بالزعيم الإسلامي الذي يسكن قصر كاوز[127]، وله تأثير كبير ونفوذ واسع على كل برابرة آيت عطا (بالرتب وتافيلالت وغيرها) وآيت يفلمان في شمال مدغرة، فبكلمة واحدة منه يمكنه تسليحهم بفضل العدد الكبير للمخلصين له في مختلف القبائل، وهذا راجع لكونه حسب دوفوكو يعتبر من الخمسة زعماء الأكثر قوة بالمغرب، إلى جانب كل من مولاي عبد السلام الوزاني، وسيدي محمد بن داود، وسيدي محمد أو بوبكر، وسيدي الحسين.

لكن بالمقابل ذكر أن السلطان آنذاك مولاي الحسن؛ كان يرسل له كل سنة نصيبه من العطايا، ففي ظرف سنتين كما يقول دوفوكو أرسل له (السلطان) 40 قنطارا (كل قنطار يعادل 1250 فرنك). رغم أنه كان قد دعا البربر في أواخر سنة 1881م إلى معركة ضد الفرسيين [128]

---

[124] -De Foucauld, **Reconnaissances au Maroc**, p. 353.

[125]- دوفوكو، **التعرف على المغرب**، من ص، 307، إلى ص. 310.

[126]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، الصفحات،57، 58، 59، 60. فيها استعراض لمختلف الزوايا التابعة له بالرتب ومنطقة تافيلالت وعموم المغرب.

[127]- يخلط عدد من الباحثين بين قصر كاوز الذي يوجد بمدغرة، وقصر آخر أكثر شهرة، يحمل نفس الاسم أي كاوز بتافيلالت الصغرى، مما جعل البعض ينسبون الشيخ محمد العربي الدرقاوي الكاوزي، نسبة إلى هذا القصر الأخير لكن الحقيقة أن المقصود هو القصر الأول الموجود بمدغرة.

[128]- De Foucauld, **Reconnaissances au Maroc**, p. 352.

وصل صيت ورسائل الشيخ الذي عاصر السلطان مولاي الحسن ووالده من قبل إلى مختلف الزعماء سواء بتافيلالت وبعموم المغرب[129]. وكلها حَثٌّ على الجهاد وترك الفرقة والخلاف لمواجهة المعتدي المتربص بالبلاد. لكنه ركز في دعوته على أبناء المنطقة التي اجتهد في تربيتهم وتأهيلهم للقيام بهذا الدور الذي كان ولابد أن تكون المنطقة على موعد معه[130].

كل ذلك سيولد لدى أبناء المنطقة وغيرها رغبة في الاندفاع والانطلاق والمبادرة إلى الهجوم على العدو المتربص بالوطن[131] قبل وصوله إلى الديار. الأمر الذي جعل تيوفيل دولكاسيه Théophile Delcassé وزير خارجية فرنسا ما بين 1895م و1905م، يصرح «**أنه لا عدو للمسيحيين في غرب شمال افريقيا غير محمد العربي الهاشمي**»[132]، وقد انطلق دولكاسيه في موقفه هذا من الدور الذي أصبحت تلعبه مدغرة وزعيمها، بعد أن أصبحت محجا لكثير من المقاومين زمن السلطان مولاي الحسن. إما كملجأ ومأمن من العدو، أو لطلب العون والنصح ولشحذ الهمم والدعوة للجهاد[133]، ولا أدل على ذلك هو تزامن زيارة مبعوث السلطان سنة 1888م إلى كاوز المقر الروحي للشيخ محمد العربي الدرقاوي، ليجد في ضيافته المقاوم الجزائري بوعمامة[134].

---

[129]- أحمد بن القاسم المنصوري، **كباء العنبر، من عظماء زيان وأطلس البربر**، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الرباط ،2004م، ص. 200.

[130]- عبد العزيز بلبكري، **من رواد المقاومة المغربية بتافيلالت أواخر القرن 19م محمد العربي الدرقاوي المدغري: العالم والمجاهد ـ دراسة تاريخية وثائقية** ـ منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة NEGOCE COM، الرباط، ط1، 2018م، ص. 67.

[131]- Lmoubariki, **La résistance du Sud- Est Marocain**, Pp. 121. 133.

[132]- الفلالي، **التاريخ السياسي**،ج7، ص. 88.

[133]- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة واحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2007م، ص ص. 151، 152.

[134]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 194.

جعل هذا الموقف الشيخ وأتباعه من الشرفاء والبربر والعرب وغيرهم سواء بمدغرة والرتب أو غيرهما يظهر وكأنه خارج عن السلطة المخزنية، لكن الشيخ كما يقول روس إ دان «**لم يعلن نفسه مدعيا للعرش ولم يطعن في مشروعية مولاي الحسن بشكل واضح، بل طالب السلطان بقيادة حملة مضادة ضد التوسع الفرنسي في الجنوب الوهراني، الذي كان يعتبر في نظر الشيخ دليلا صارخا ومقلقا على التدخل الأوربي في المغرب. كما أعلن أنه إذا رفض السلطان القيام بالجهاد، فإنه سيقوم به بنفسه**»[135]. بهذا أصبح المخزن الحسني في حرج أمام تصلب مواقف الشيخ، وأصبح مضطرا للتدخل وكبح قوته ونفوذه المتصاعد ليس بمجال مدغرة فحسب، بل بمناطق أبعد ومراكز أخطر، فعمد السلطان مولاي الحسن أولا للدعوة بعدم إتباع الشيخ المدغري وذلك في رسالة منه إلى سكان تافيلالت واصفا إياه بـ «**الشخص الشرير الذي يقود المسلمين إلى الهلاك**(...)**وأنه عنصر للفتنة الذي لا يتبع طريق الشريعة**»[136].

لكن هذه الدعوات كانت دون جدوى لأن سكان مدغرة والرتب وتافيلالت وكل المغرب الشرقي؛ كانوا يعاينون ويعانون من ممارسة فرنسا، التي كانت أطماعها واضحة، ومخططاتها لتوسيع نفوذها ليشمل المغرب ماثلة أمامهم، وتسير بوثيرة متسارعة، ولهذا كانت قبائل المنطقة مستعدة للاستجابة لأي دعوة جهادية دون الالتفات إلى موقف المخزن[137]، فما كان أمام مولاي الحسن لمواجهة التهديد الفرنسي، ومظاهر العصيان والتمرد بتافيلالت إلا تخصيص حَرْكَةً من حَرْكَاتِهِ المتعددة صوب هذه المنطقة[138].

---

[135]- نفسه، ص. 193.

[136]- Lmoubariki, **La résistance du Sud- Est Marocaine**, p. 122.

[137]- بوكبوط، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار**، ص. 9.

[138]- محمد العربي العلوي المدغري، **رسالة الطريقة الدرقاوية في مقاومة التدخل الأجنبي في المغرب**، تقديم وتحقيق، مولاي عمر صوصي علوي، مطبعة أنفو- برانت، فاس، طبعة 2021م، ص. 54.

فكان بذلك السلطان مولاي الحسن آخر سلاطين الدولة العلوية زيارة لتافيلالت سنة 1893م، قبل الاستعمار، كما كانت حَرْكَتُهُ هذه آخر الحَرْكَاتِ التي اشتهر وارتبط بها عهده[139]، لكن الذي يهمنا بالأساس هو السياق العام الذي جاءت فيه هذه الحركة، وما قدمته ورصدته لنا حول الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لعموم تافيلالت ومنطقة الرتب.

جاءت هذه الحَرْكة وكما أوردنا سابقا؛ في إطار محاولة الحسن الأول إثبات سلطته وحكمه على هذه المناطق الصحراوية، بما فيها توات وتيدكلت وكورارة وغيرها من مناطق المغرب الشرقي، والتي ستلحق بعد ذلك بالجزائر إبان استعمارها وحتى بعد استقلالها، وقد سبق عملية انطلاق هذه الحَرْكة عدد من الترتيبات والاستعدادات والمراسلات التي استهدفت تهيئة الأجواء وضمان الأمن للحَرْكة، في هذا الخضم نجد مراسلات بين السلطان وبعض أعيان قبيلة آيت عطا بعد أن ظهرت كثير من الدلائل على تغَيّر العلاقة بينها وبين السلطان مولاي الحسن الأول الذي تعامل معهم باللين خصوصا الخباشيين منهم[140]. وفي الوقت نفسه تذكر مختلف المصادر تسابق العطاويين بدورهم لإعلان الطاعة له، والانخراط في صفوف وركاب الحَرْكةْ التي قادها نحو تافيلالت سنة 1893م، كما حرصوا على التعبير عن سرورهم بهذه الزيارة[141]. ومن الأدلة على ذلك رسالة مؤرخة ب 23 رمضان 1310هـ/ 9 أبريل 1893م، «**تدعو العطاويين إلى مساعدة ومساندة محمد بن بوسلهام الميقاتي ومن معه في مهمتهم لاختبار طريق تافيلالت التي ستمر منها الحركة وأن يذللوا لهم كافة الصعاب ويرافقوهم داخل مناطق استقرارهم**»[142]. هكذا قام

---

[139]– الناصري، **الاستقصا**، ج9، ص. 202. هناك إشارات عند البعض إلى أن السلطان مولاي الحسن قام بحركة إلى تافيلالت سنة 1888م، انطلق أصحابها مما أورده، روس إ دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 195 ، الذي أشار إلى ذلك، لكن بتتبع المصادر لم نعثر على ما يشير لقيام السلطان بنفسه باي حركة ووصلت لتافيلالت غير تلك التي كانت سنة 1893م، كما أن دنيال روسدمان في دراسته التحليلية لحَرْكَات مولاي الحسن لم يذكر رحلة لهذا السلطان نحو تافيلالت في هذا التاريخ أنظر:

- Daniel. Nordman. **Les Expéditions de Moulay Hassan**, H, T. Vol 19 Année 1980 - 1981 Edition Techniques Nord – Africaine, Rabat. p, 123 - 152, Tableou1, p.131,132,133.

[140]– دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 196.

[141]– الناصري، **الاستقصا**، ج 9، ص. 204.

[142]– المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ص. 210.

السلطان بإعادة تنظيم محلته التي وصل عدد أفرادها إلى أزيد من 15000 رجل مسلح[143]، استعدادا للحركة التي انطلقت نحو تافيلالت في منتصف ذي الحجة الحرام 1310هـ/ 30 يونيو 1893م، إضافة إلى ما احتوت عليه من قبائل العرب والبربر، وفي رسالته المؤرخة بخامس عشر جمادى الأولى عام أحد عشر وثلاثمائة وألف/23 نونبر 1893م والمرسلة لأعيان دولته نجده يشرح لهم سبب الزيارة وأهدافها بقوله «**بقي علينا الوصول إلى هذه الأصقاع الصحراوية، والمعاقل البربرية، التي كان يفهم قبل أنها صعبة المرتقى عديمة وجوه الارتقاء(...)، واستقبلنا بجيوش الله المنصورة، وجنوده الموفورة، قبيلة آيت إزدك، الذين هم بيت القصيد، وعتبة الوصيد، (فسبقت) إليهم من الله الهداية، وطويت عنهم أعلام الضلالة والغواية (...)، إلى أن حللنا بمركز أرضهم بتادغوست، وبها قرار قطب رحاهم في جاهليتهم المفسد علي بن يحي المرغادي الذي طالما حذره الإنذار ولسان حاله يقول: لا حياة لمن تنادي، فوقع القبض عليه ووجهناه مصفدا إلى مراكش(...) وفيما قبل ذلك كنا وجهنا من يستوفي من آيت حديدو ما وظف عليهم في المغارم، ويأتي من عندهم بما هو لهم لازم، فلم يظهر منهم ما يفيد، ورجع الموجه من غير طائل ولا عتيد، فترصدنا من أعيانهم وأهل الحل والعقد منهم جماعة وافرة تقرب من المائتين، وقبضنا عليهم بأجمعهم جزاء وفاقا، حتى يؤدوا ما فرض عليهم بحول الله**»[144].

حديث السلطان في رسالته يبين أن قبائل آيت مرغاد وآيت حديدو وهما المنتميتان إلى حلف آيت يفلمان لم تكونا على وفاق مع مخزن السلطان مولاي الحسن، وأن هذا الأخير كان غاضبا عليهم؛ لما كان يصله من أخبار عن ممارستهم وقطعهم للطرقات، ورفضهم دفع ما قرر عليهم من وظيف للدولة، ومن خلال بعض المصادر والوثائق يتبين أن العلاقة المتوترة هذه؛ ربما

---

[143]- لويس أرنو، **زمن" المحلات" السلطانية، الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م و1912م**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، مطبعة إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 2002م، ص. 61.

[144]- المشرفي، **الحلل البهية**، ج2، ص ص. 210، 211.

ترجع إلى عهد والده لما تسبب فيه زعيم هذه القبائل ابراهيم يسمور الزدكي للمخزن، بعد أن أوصله طموحه إلى التطلع نحو حكم المغرب[145]، وتبين إحدى الرسائل ما وصل إليه حال الزدكيين والمرغاديين من صعوبات، جعلتهم يلجؤون إلى شرفاء المنطقة خاصة المدغريين من أجل التوسط لهم لدى السلطان مولاي الحسن وإخباره بولائهم له، والتزام السمع والطاعة وطلب الصفح منه، وهذا ما حاول هؤلاء الشرفاء إيصاله في رسالتهم للسلطان قائلين «**ولا يخفى على سيدنا ما وقع لهذه البلاد وللمساكين من آيت ازدك وما كلفوا به من المغارم التي لا يقدرون عليها**»[146]. وبحسب تاريخ هذه الرسالة أي سنة 1297هـ/ 1880م، ومقارنتها بتاريخ حركة مولاي الحسن لتافيلالت سنة1310هـ/ 1893م نجد أن العلاقة بين هذه القبائل ـ الواقع بمجال نفوذها شمال الرتب ومدغرة ـ والسلطان ظلت متوترة مما يبرز الخطوات والإجراءات العسكرية التي اتخذها ضدهم قبل أن يذعنوا وينخرطوا بدورهم في ركاب حركته.

ما يقودنا لسرد هذه الوقائع هو البحث عن طبيعة العلاقة التي كانت للحلفين المتخاصمين والقويين بالمنطقة حلف آيت يفلمان وآيت عطا مع مولاي الحسن، من أجل فهم ورصد تطورات هذه العلاقة، فكلام الأخير في رسالته ولهجته عند الحديث عن مجال آيت يفلمان، سيختلف كثيرا عن حديثه عن يوميات مروره بمجال قبيلة آيت عطا وفي مقدمته تراب منطقة الرتب وهو ما عبر عنه بقوله «**وصلنا إلى قصر السوق فوجدنا به جيش خدامنا آيت عطة في انتظار جانبنا الشريف، لمصاحبة ركابنا السعيد المنيف، وهم في عدد عديد، وقوة ما عليها من مزيد يقربون من الأربعة آلاف فارس، [و] كلهم ليوث عوابس، ومعهم من رماة إخوانه في عدد كثير معتبر، كأنهم سيل إذا انحدر، فنهضوا مع جانبنا العالي بالله في جموعهم وكثرة عددهم وعديدهم إلى مدغرة**»[147].

---

[145]- الناصري، **الاستقصا**.ج9، ص. 67.

[146]- الوثائق الملكية، سجل 20310، بتاريخ 29 المحرم 1297هـ/ 1880م.

[147]- المشرفي، **الحلل البهية**، ص، 213./ ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج2، ص. 316.

وحول هذه الرحلة وعن مروره بالرتب وأهم المحطات التي توقف بها يخبرنا بذلك الخالدي (ت1908م) بواسطة قصيدة له تتكون من 605 بيتا، خص فيه الرتب بأبيات قال فيها[148]:

كَانَ مَقَامُنَا ثَلَاثَةَ أَيَّـــــــــامٍ بِقَصْرِ مَسْكِي مَحَطٌ بِهِ انْسِجَـامٌ

بِهِ انْتَهَى الزَّدْكي وَلَمْ يَبْقَى لَـــــهُ مِنَ المقَرِّ مَسْكَنٌ يُرَى لَـــــهُ

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وَمَشْيْنَا سَاعَتَيْـــــــنِ عَلَى قِسْمَيْنِ بِمَسِيرِ الرّقَتَيْـــنِ

خَيَّمَ مَوْلَانَا بِخَيْلٍ كَابِقـــــــــة بِقُصُورِ الرّتْبِ لَدَى الجَرَامْنَـــه

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا مِنْ غَيْرِ بَرْكَـــــــــةٍ وَقَصَدْنَا التَّخْيِيـمَ بالمعَارْكَـــه

وَسِتُ سَاعَاتٍ جُبْنَاهَا في المسِيـرِ مُجَنِّبِينَ الرَّتْبَ لِلسُّبُلِ العَسِيـــرِ

بالضّنك والسَوَاقِي مَاؤُهَـــا نَبَـعْ وَ اذْ أرْتُسِمَ سَبِيلُهُ اتُّبِـــــعْ

لاَ مَرْسَمَ بِهِ ولاَ عِمَـــــــارَة الَّا زَاوِية بِهَا اسْتِنَـــــــارَة

خَيَّمْنَا فَصِرْنَا بُعَيْدَ الزّرِيقَـــــاتِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ التَمَسْنَا البرَكَـــاتِ

بِهِ قُصُورٌ ذَاتُ رَحْبٍ وَفَضَـــــا وَأَهْلُهَا ذَوُا اعْتِنَاءٍ وَارْتِضَـــــا

من هذه الأخبار التي نقلتها الكتابات والوثائق المغربية وغيرها حول أخبار حركة السلطان مولاي الحسن إلى تافيلالت؛ نستشف تركيزها على إظهار نجاح السلطان في رحلته، وانقياد القبائل إليه ومظهر الإبتهاج العام والأفراح المتعددة التي قوبلت به هذه الحركة إلى المنطقة[149].

لكننا عندما ننتقل إلى بعض المصادر الأجنبية خصوصا من تلك التي عايشت المرحلة، بل كانت حاضرة في ركب حركة السلطان، نجدها تنقل لنا أخبارا هامة قد تساعدنا في تكوين تصور

[148]- خليل بن صالح الخالدي، **أرجوزة في مراحل الرحلة للأقاليم الصحراوية**، م خ ح، رقم 12035، الورقات، 11، 12.

[149]- أرنو، **زمن " المحلات" السلطانية**، ص. 61.

أقل ضبابية للمشهد الذي غَاب أو غُيِّب في المصادر المغربية، وفي مقدمة هذه الكتابات ما أورده الطبيب الفرنسي فرناند لينياريس Linarés والصحافي الانجليزي ولتر هاريس W.B Harris. فما نقلاه يبرز مدى خطورة الوضع بالمنطقة وعمق الأزمة التي كان يعيشها المخزن؛ نتيجة فقدان هيبته وسلطته، واقتصارها على مرحلة مؤقتة غالبا ما تتزامن مع حركة السلطان أو من يرسلهم، لكنها سرعان ما تختفي لترجع المنطقة إلى حالة الانفلات والتمرد والعصيان والحروب والنزاعات الداخلية، وخير دليل على ذلك قيام بعض أفراد آيت عطا بقتل 5 من عساكر المخزن بمنطقة قصر السوق، أعقبوها برسالة سريعة تبرؤوا فيها من المسؤولية عن ذلك، وأعلنوا نزولهم عند حكم السلطان، مع أنه لم يمضي على مغادرة السلطان أراضيهم إلا زمن قليل جدا[150].

وبالرجوع إلى ما دَوَّنه بعض هؤلاء الأجانب الذين رافقوا حرَكة السلطان أو التحقوا بها، ومنهم غابرييل دلبريل G.Delbrel، نجده كتب عن المنطقة حسب مشاهدته لها في زيارته هذه، لكنه لم يذكر لنا الشيء الكثير عن الرتب، فاقتصر على ذكر قصر المعاركة وسمى واحة الرتب كلها باسمه، وأرجع أهميته إلى إقامة عدد من الأمراء به، منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل ـ الذي كان قد بناه ـ إلى حين مجيء المستعمر الفرنسي[151].

بينما كان الطبيب لينياريس Linarès أكثر تعمقا وتدقيقا في وصف مراحل هذه الحركة[152]، مسجلا كل ذلك في الكتاب الذي ألفه تحت عنوان "**رحلة إلى تافيلالت بمعية**

---

[150]– رسالة قبيلة آيت عطا إلى السلطان سنة 1311هـ/ 1893م، الوثائق الملكية، سجل 20378، نسخة من خزانة مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني رقم، 145.

[151]– Delbrel, «**Notes sur le Tafilelt**», p. 206.

[152]– عبد القادر الخلادي، «مذكرة الدكتور لينياريس، عن رحلة جلالة الملك، مولاي الحسن الأول إلى تافيلالت»، **مجلة دعوة الحق**، ع5، السنة الرابعة عشر، ماي 1971م، من ص. 86، إلى ص. 91. تضمنت قراءة في الرحلة ورصدا للأخطار التي واجهها لينياريس والتي كادت تودي بحياته بعد الشك في أمره، كما تضمنت خريطة للمسار الذي مرت منه رحلة السلطان مولاي الحسن إلى تافيلالت ص. 90، وفيها يظهر جليا المسار الذي مر منه السلطان في مجال الرتب، والانعطاف الذي قام به بعد أن وصل إلى قصر الجرامنة وأولاد عيسى، حيث غير مساره نحو الهضبة (منبسط تماسينت) تاركا مجموعة من القصور دون المرور منها مثل: أولاد شاكر ومتجها صوب زاوية أوفوس، ليعود للمسار الطبيعي مرة أخرى والمعروف بطريق السلطان، بنزوله بقصور أولاد عميرة ثم الزريقات والمعاركة.

جلالة السلطان مولاي الحسن سنة 1893م"[153]. مخبرا فيه بتفاصيل متعددة، سنقتصر على ذكر ما تعلق منها بمجال الرتب، الذي مرت به محلة السلطان يوم السبت 4 نونبر 1893م، وأهم ما جاء عند لينارس بخصوص الرتب:

ـ تطرق إلى ما أسفر عنه الصراع بين من سماهم السكان البربر الأصليين ويقصد بهم آيت ازدك وقبائل آيت عطا الغزاة، فأشار مثلا إلى قصر بوسعيد وآيت يحي في الرتب الأعلى، وذكر أنهما كان للقبيلة الأولى قبل أن يزيلهما من أيديهم العطاويين، كما ذكر كذلك قصري زاوية أملكيس والجرامنة، وأشار إلى كونهما كانا عامرين بالشرفاء أما في زمانه فقد أصبحا تحت سيطرة العطاويين[154]؛

ـ بين أن القصور الواقعة على الضفة اليمنى لوادي زيز، الذي كان وقت وصولهم في حالة فيضان بعد الأمطار الغزيرة التي شهدتها المنطقة خلال ذلك اليوم، هي تحت سيطرة قبيلة آيت عطا[155]؛

ـ أشار كذلك إلى أهمية قصر المعاركة وتامعاركيت؛ باعتبار الأول دار للمخزن بالمنطقة كما عطف على ذكر قصر الدويرة وحدد سكانه من نسل الشريف مولاي هاشم[156]؛

ـ وقوفه على المشاحنات التي كانت تحدث بين القبائل حتى بحضور السلطان، الذي يبدو في نظره كان عاجزا عن اقناعهم بالتفاهم، كما عجز عن فرض سلطة المخزن التامة عليهم، وأشار لينارس إلى أن أقل نزاع كالمخاصمة الطفيفة بين الفيلالي والعطاوي قد تكون نقطة انطلاق لصراع

– وهي تضم 60 صفحة والفقرات التي تهم الرتب هي: ص ص. 44، 45.

[153]– Linarés, **Voyage au Tafilalet**, p. 44,45.

[154]– Ibid, p. 45.

[155]– Ibidem.

[156]– Ibidem.

مسلح تكون فيه الغلبة لعشيرة آيت عطا، لأنهم أكثر بسالة وأكثر انسجاما من عشيرة الفيلالي ولهذا كان يود نقل بعض الأسر العطاوية بعيدا نحو الجنوب للحد من قوتهم[157].

هذا الوضع الأخير هو ما ذكره الصحافي البريطاني ولتر هاريس W.B Harris الذي رافق محلة السلطان أيضا، من خلال حديثه عن استمرار المناوشات بين القبائل حتى في حضور السلطان وأثناء حَرْكَته، وموت عدد من الناس في صفوف الطرفين معا، قدر عددهم بخمسة عشر فردا. وسارع السلطان إلى حبس رؤساء الفتنة من كل طرف، ولكن استعماله لمثل هذه القوة جعله، يقع تحت ضغط رجال من أبناء القبائل التي ينتمي إليها السجناء، مما اضطره إلى تسريحهم في غضون أيام قليلة[158].

من كل ما سبق، نستنتج أن مجال الرتب ظل طيلة القرن التاسع عشر في حالة من الاضطراب والفوضى انعكست على أوضاعه وسكانه، وما كادت الأوضاع تستقر نسبيا في أواخر عهد مولاي الحسن الذي عين الكلاوي في منصب قائد تافيلالت عند عودته من زيز سنة 1893م لحراسة المنطقة، كما قال روس دان[159]. حتى عاد الاضطراب لهذا الإقليم من جديد بعد وفاة السلطان سنة 1894م، مما عمق ضعف المخزن بعده، خاصة مع اقتراب الخطر الفرنسي من تخوم تافيلالت والرتب، وتمركزه جنوده ببوذنيب على مشارف حدود الرتب الشرقية منذ سنة 1908م.

---

[157]- Linarés, **Voyage au Tafilalet**, p. 43, 48.

[158]- Walter Haris, **Tafilalet**, London, 1985, p. 287.

[159]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 199.

6 ـ الوضعية العامة بالرتب غداة الاحتلال الفرنسي للمنطقة 1900م ـ 1916م.

تسارعت التغيرات التي عرفها مجال الرتب سواء على المستوى البشري أو الثقافي أو الاقتصادي، مع نهاية القرن 19م، بعد استقرار القبائل العطاوية بالمجال، وذلك في خضم التحركات المتواصلة التي كانت تقوم بها هذه القبائل لصمان مصالحها من خلال الدخول لمزيد من القرى والمناطق التي كانت تحت سيطرة خصومها بالمجال قبائل آيت يفلمان، وما تبقى من قصور بأيدي الشرفاء والقبائل العربية، والعناصر ذات الأصول الإفريقية. لاسيما بشمال الرتب وبمجال مدغرة، هذا الأخير الذي يمكن اعتباره مجالا وحدا فاصلا بين نفوذ آيت عطا وآيت يافلمان؛ الحلفين المتصارعين والمتحاربين طيلة القرن13هـ/ 19م تقريبا. لكن صراعهما هذا سيعرف تحولات عميقة بعد أن برزت بشكل جلي النوايا الاستعمارية للفرنسيين المحتلين للجزائر في المغرب وأراضيه، مع ما صاحب ذلك من تضرر ساكنة الرتب بمختلف مكوناتهم بمن فيهم العطاويين، في ظل تراجع أو انقطاع مرور القوافل التجارية عبر هذه المنطقة، وبالتالي تقلص المداخيل التي كانوا يجنونها عن طريق خفر القوافل، أو ما يسمى "بالزطاطة"، وكذا تقلص مجالات الرعي والتنقل، التي يمكن أن يتحركوا فيها، أو يفكروا في السيطرة عليها.

هكذا تميزت المنطقة في مرحلة ما بعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894م؛ وعلى بعد أقل من سنة من زيارته لها في حَرْكته الأخيرة، وبعد أقل من سنتين على وفاة الزعيم الروحي للمجال ككل، محمد العربي الدرقاوي الكاوزي المدغري، بعدد من السمات والمميزات الأساسية، على رأسها بداية التحرك الفرنسي الفعلي لتنفيذ مخططاته الاستعمارية القديمة بالسيطرة على المغرب، مستفيدا من تواجده المبكر على تخومه الشرقية بالجزائر، لينطلق منها لتحقيق طموحاته الامبراطورية الإمبريالية، فكانت مناطق الجنوب الشرقي للمغرب بما في ذلك مناطق توات وتيميمون وبوذنيب من أوائل المناطق التي اقتحمتها جيوش المحتل قبل توقيع معاهدة الحماية سنة 1912م رغم وجود روابط تاريخية وأدلة كثيرة عن كونها جزءا أصيلا من التراب المغربي خاصة توات[160]، في وقت كان فيه المخزن ممثلا في ابا احماد وبعده السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ؛ لايزال يناور بما تبقى له من أوراق الدبلوماسية الدولية، القائمة أساسا على استغلال

[160]– خالد بن الصغير، **واحات التخوم وحدود المغرب الشرقية (1800م ـ 1903م)، وثائق وخرائط مختارة**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2013م، ص ص. 256، 262.

التناقضات وتضارب المصالح والأطماع بين مختلف القوى الإمبريالية الأوربية، ووسط هيجان شعبي مصحوب بفتن واضطرابات ما تكاد تختفي واحدة حتى تتولد عنها أو في محيطها أخرى، مما زاد في إرباك وإضعاف المغرب على كافة الأصعدة.

لكن بالمقابل كانت المناطق الفيلالية تعرف بدورها حراكا من نوع آخر؛ عنوانه وشعاره الأساسي حشد الهمم، وإعداد العدة لصد العدوان والدفاع عن حوزة الدين والوطن والأرض والقبيلة والمصالح وغيرها من مولدات الثورة والمقاومة التي كانت تشهدها المنطقة، فكان لمجال الرتب وأهله نصيب منها.

كثف الفرنسيون في هذه الأجواء من جهودهم الاستخباراتية والاستكشافية عن طريق مكاتب الاستعلامات التي كانت ترسل مزيدا من المخبرين لجمع ورصد كل ما عرفه المجال ويعرفه من تطورات[161]. هذا النشاط الذي لم تكن لتخفى عنا أهدافه الخبيثة، لكنه يبقى مهما جدا؛ لأنه وفر لنا مادة علمية ومعرفية هامة وموثقة، مكنتنا من الحصول على معلومات نادرة وفريدة عن واقع المنطقة وتطوراتها، وأهم العناصر وحتى الأفراد الأكثر تأثيرا فيها غداة الاحتلال الفرنسي للرتب، رغم ما يطبعها أحيانا من الاختلاف والتضارب، والمبالغة أو الاستنقاص من قيمة وأهمية البعض في أحيان أخرى، لكنها تبقى أساسية لكل باحث ودارس لتغطية جوانب من تاريخ المنطقة خلال المرحلة التي سبقت الاحتلال بقليل، وكذا طيلة فترة تواجده وتحكمه بها. وهذا ما سيجعلنا نقف كثيرا على ما كتبه بعضهم من معلومات عن منطقة الرتب سواء في الجانب الاقتصادي أو العسكري أو الاجتماعي أو غير ذلك.

سيتناول هذا المحور واقع منطقة الرتب منذ سنة 1894م إلى سنة 1916م من خلال ثلاث قضايا أساسية هي :

- النشاط الاستخباري والعسكري للفرنسيين وأعوانهم بالرتب؛
- نشاط زعماء المقاومة التعبوي والعسكري بالرتب؛
- تجليات المقاومة والخضوع للمستعمر بالرتب ما بين سنة 1912م وسنة 1916م.

---

[161]– جورج سبيلمان، **المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912م ـ 1956م**، ترجمة محمد المؤيد، مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، مطابع الرباط نت، ط1، 2014م، ص. 22.

6 ـ 1 ـ النشاط الاستخباري والعسكري للفرنسيين وأعوانهم بالرتب.

نظرا ليقين فرنسا بأن المواجهة العسكرية المباشرة مع المغاربة لن تكون في صالحها مهما عظمت أسلحتها، وكثر عدد جنودها، وتنوع وتطور عتادها، فقد واصلت ومنذ وقت مبكر الاعتماد على النشاط الاستخباراتي؛ الذي سعى لدراسة المناطق المستهدفة وجمع المعطيات المختلفة عنها، لاسيما ما تعلق بخيراتها وإمكانياتها العسكرية والتحصينية، أي القيام بمسح للقطر المغربي أرضا ورجالا وخيرات، بشكل واضح ومنهجي وبكثير من الدقة والتعمق والرصانة[162]، عبر تكثيف إرسال جواسيس يمتلكون خبرة وكفاءة وقدرة عالية على المغامرة، فتزايد نشاط هؤلاء، ليبلغ ذروته في الربع الأخير من القرن 19م[163]، بعد التطور الذي عرفته أعداد هؤلاء المخبرين، وكذا عدد مكاتب الاستعلامات التي أسستها فرنسا بالمغرب حيث بلغ عددها إلى غاية 1913م 64 مكتبا، 47 منها غرب المغرب و17 في شرقه، عمل فيها حوالي 194شخصا[164].

وقد استطاع عدد من هؤلاء أن يصل ويتجسس حتى على رأس الدولة المغربية وهو السلطان وحاشيته، مما يَسَّر لهم مهماتهم التجسسية. نذكر من هؤلاء علي باي عباسي، (Domingo Francisco Jordi Badía y Leblich) وفرناند جان ليناريس Linarés، وولتر بيرتون هاريسW.B Harrisوديفيريه Duveryer، وشارل دوفوكو Foucould، ولامارتنير La martinière وغيرهم كثير، من هؤلاء من سبق ذكره وأشرنا إلى أدواره بالمنطقة، كما عطفنا على أبرز المعلومات التي سجلها هؤلاء عن المجال الذي نحن بصدد دراسته، لكننا سنركز هنا على بعض من جاء منهم في الفترة الفاصلة ما بين وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894م، وتاريخ فرض الحماية على المغرب سنة 1912م، لنقف على أهم ما كتبوه حول منطقة

---

[162]- إبراهيم بوطالب، **البحث الكولونيالي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية حصيلة وتقويم، البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم** منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989م، ص ص. 115، 116.

[163]- محمد الشريف، «حولية إفريقيا الشمالية نموذجا لمصادر المعلومات الفرنسية حول دول المغرب العربي»، "**البحث العلمي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**" الرباط، 2001م، ع47، ص. 65.

[164]- Daniel Rivet, **Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc**, 1912 – 1925, L'Harmattan, Paris, 1990, p. 46, 47.

الرتب. وسنبدأ بالتقرير الذي أنجزه اليوتنان بيريو Lieutenant Berriou من مكتب الشؤون الأهلية بتاريخ 31 يناير 1903م بعد أن زار المنطقة.

ركز بيريوBerriou في تقريره على تقديم معلومات مختلفة حول مواطن تواجد قصور الرتب، وعدد منازلها وسكانها، فضلا عن الانتماءات العرقية والقبلية للساكنة[165]. فجاء تقريره كما يلي:

يوجد 39 قصرا بالرتب تضم 15000 نسمة في مساحة تقدر بحوالي 40 كلومتر مربع[166].

. في الجهة اليسرى:

ـ **قصر بوسعيد** : قصر متكون من 120 منزلا و680 ساكن، وهم الشرفاء من أسرة السلطان مولاي سليمان، واقبالة وآيت مناصف وبعض من آيت ازدك، وآيت مناصف؛

ـ **زاوية املكيس**: قصر من 150 منزلا و800 ساكن يتكونون من آيت خباش وبعض الشرفاء.

ـ **الجرامنة**: تتكون من قصرين واحد تم إنشاؤه سنة 1899م من قبل آيت خباش، ويضم حوالي 30 منزلا، أما القصر الآخر فيضم 70 منزلا، يسكنها الشرفاء، ومولاي مصطفى.(المقصود مولاي مصطفى بن الحنفي)؛

ـ **آيت شاكر**: يضم قصرين الأول لآيت امناصف، به 90 منزلا. والثاني هو القصر الأكبر به 120 منزلا، ويضم آيت اسفول؛

ـ **تدرين**: يسكنها الشرفاء وبها 25 منزلا؛

---

[165]- Berriou, **Notes sur l'Oued Ziz**, p. 127.

[166]- بالمقارنة مع عدد السكان اليوم، نجد أن عددهم بلغ في جماعة أوفوس برسم الاحصاء العام للسكن والسكنى لسنة 2014م حوالي 11610. وفي جماعة الرتب13461ساكن، أي أن مجموع الساكنة الرتبية بمفهومها القديم سنة 2014م بلغ 25071 نسمة. **نتائج الاحصاء العام للسكن والسكنى بالمغرب سنة 2014م المندوبية السامية للتخطيط.**

ـ **القصر الجديد**: يضم خمسة قصور يسكنها الشرفاء والحراطين مثل ما هو عليه حال زناقة بفكيك؛

ـ **أولاد اعميرة**: يضم 3 قصور الأول لآيت خباش، والثاني لآيت اسفول، والثالث لآيت امناصف، الأول به 30 منزلا، والآخرين 70 منزلا لكل واحد منهما؛

ـ **الربيت**: به 70 منزلا وهو مكتظ بالسكان المنتمين لآيت امناصف؛

ـ **زاوية ابن علي الكومي**: به حوالي 30 منزلا يسكنها أولاد سيدي علي الكومي، وهي عائلة صغيرة للمرابط المذكور؛

ـ **البطاطحة**: تضم 60 منزلا يسكنها آيت مناصف جزء من الحواطيش؛

ـ **الزاوية القديمة**: بها 120 منزلا يسكنها آيت امناصف وأولاد سيدي محمد بن عبد الصادق (شرفاء لكنهم ليسوا من عائلة السلطان)؛

ـ **الدويرة**: بها 300 منزل لآيت امناصف[167]؛

ـ **زاوية أوفوس**: تواجد على واد أوفوس وهو واد عميق وبه 120 منزلا من الشرفاء العلويين.

في الجهة اليمنى:

ـ **الكنز**: به 30 منزلا يسكنه الشرفاء وآيت خباش؛

ـ آيت **يحي**: بها 120 منزلا من آيت خباش؛

ـ **أولاد عيسى** لآيت امناصف؛

ـ **القصر الفوقاني**: به 30 منزلا لآيت امناصف؛

---

[167]- Berriou, **Notes sur l'Oued Ziz**, p. 127.

ـ **قصر الاحرار**: لآيت امناصف وبه 150 منزلا والاحرار والحراطين؛

ـ **الكارة**: وبها 70 منزلا لآيت امناصف؛

ـ **تاخيامت**: وبها آيت مناصف ويمتلكون 300 بندقية؛

ـ **الزريكات**: وبها 5 قصور في قصر القنطرة يوجد آيت خباش مع اقبالة وبعض الشرفاء وبه 1200 بندقية وسوق وأولاد ناصر لآيت مناصف والقصر الكبير لآيت مناصف؛

ـ **تمعاركيت** وهو لأولاد مولاي سليمان وآيت امناصف؛

ـ **المعاركة** وهو لآيت امناصف؛

زاوية سيدي احمد بن عبد الصادق: وهو قصر يسكنه المرابطون من الزاوية القديمة وآيت مناصف[168]؛

الزاوية الحمراء او الجديدة لآيت مناصف والمرابطين.

من هذه المعطيات التي قدمها لنا اليوتنان بيريو Lieutenant Berriou، نسجل عدم إشارته لتسليح القبائل والقصور، ماعدا قصر تاخيامت الذي أشار إلى امتلاكه حوالي 300 بندقية، وكذا قصر الزريكات الذي كان به 1200 بندقية[169]. فهل يتعلق الأمر بتوصيف للواقع كما هو خلال هذه المرحلة؟ أو أن الأمر يرتبط بعدم تركيز بيريو على جمع المعطيات المتعلقة بالتسليح، وهذا أمر مستبعد نظرا لكون المهمة الأصلية للمخبرين تنبني أساسا على جمع المعطيات حول التسليح والأفراد، من أجل تقدير الخطورة التي يمكن أن تتعرض لها جيوشهم عند أي مواجهة أو اقتحام لهذه القصور. أم أن الأمر يتعلق بعدم القدرة على معرفة المعطيات الدقيقة عن التسليح إلا في القصرين المذكورين؟

---

[168]- Berriou, « **Notes sur l'Oued Ziz**» , p. 127.

[169]- Ibidem.

هذه المعلومات المقدمة من بيريوBerriou تمكننا من جهة أخرى من الوقوف على التطور الذي عرفته التركيبة الاجتماعية لقصور الرتب قبل هذه المرحلة وبعدها، فمن خلال ما كتبه نجد تطابقا إلى حد ما فيما أشار له مع ما هو موجود في قصور الرتب اليوم، باستثناء التحول الذي عرفته بعض القصور مثل قصر تيدرين الذي أصبح يسكنه الآن خليط من العطاويين، أما تواجد الشرفاء به فمحدود. يضاف إلى ذلك اللبس في تحديد الانتماء القبلي لبعض القصور، لأنه مخالف تماما لما كان عليه الأمر في هذه القصور، مثل إشارته لسكان قصر الدويرة بأنهم من آيت امناصف، بينما كل المؤشرات والمعطيات التاريخية تؤكد أنهم من عرب الصباح والأشراف سابقا، وحتى في عصرنا الراهن.

ساهم كذلك ماركيز دي سيكونزاك Marquis de Segonzac إلى جانب بيريو Berriou بوضعنا في صورة منطقة الرتب مع مطلع القرن العشرين، إذ قدما لنا وصفا للقبائل العطاوية بها، معتبرا إياها قبائل قوية وغنية، لكنها كما قال متعجرفة ومخيفة لجيرانها، بل ومحتقرة لغيرها من القبائل بما فيهم أمازيغ الجبل[170]، وأشار سيكونزاك أيضا إلى غياب أي احترام لديهم لباقي العناصر، وإلى تحركاتهم المتواصلة التي تؤدي باستمرار إلى اختلاف المعلومات التي يجمعها المخبرون عن المناطق الواقعة في دائرة نفوذهم والمتاخمة لهم، مستعرضا في الوقت نفسه أسماء القصور الرتبية ذات الساكنة المنتمية إلى الفروع العطاوية، محددا عددها في حوالي 16 قصرا[171].

لكن كل هذه المعلومات التي قدمها لنا هؤلاء وغيرهم عن الرتب، لا يجب أن تنسينا الحذر الواجب في التعاطي معها، وضرورة بذل جهد أكبر لتمحيصها وتدقيقها، فهي نفسها لا تخلو من التناقض والاختلاف الصارخ أحيانا فيما بينها، على غرار ما قدمه لنا لوشاتليهLe chatelier

[170]- De Segonzac, **Au coeur de l'Atlas**, p. 492, 493.

[171]- Ibid, p. 494.

من معلومات حول المنطقة التي تشمل مدغرة والرتب، عبر تحديده العدد التقريبي للبنادق بالمنطقتين بحوالي: 10000 بندقية، وتقدير ساكنتهما بحوالي 100000 نسمة، وهو رقم بعيد جدا عن الواقع وعن ما قدمه غيره من المستكشفين الأجانب حول المنطقة[172].

زيادة على هذا العمل التجسسي الذي كانت تقوم به فرنسا بالمنطقة، نجدها تعمل أيضا على استمالة أبرز الشخصيات الوازنة إلى صفها، خاصة شيوخ القبائل ووجهاء القصور، في هذا الصدد أشار روس دان إلى قيام قيادة الجيش الفرنسي منذ سنة 1911م بمحادثات في بوذنيب مع ممثلي عرب الصباح، وآيت أمناصف، المنتمين إلى الرتب، والمتفرعين عن آيت خباش، عبر وساطة أحد شرفاء بوذنيب المدعو سيدي بن محمد، تضمنت نتيجة الاتفاق الوعد بإقرار السلم مقابل حرية الرعي والتجارة في المنطقة المراقبة من قبل الفرنسيين.

علق روس على هذا الاتفاق بالقول «**ويبدو أن آيت أوموناصف، كانوا هم أول مجموعة من آيت عطا التي تفاوضت بجدية مع الفرنسيين لأنهم لم يروا فائدة كبيرة في اتخاذ موقف عنيد مثل موقف أعمامهم آيت خباش.(و)كانوا يشكلون أصغر عشيرة في القبيلة، تتكون كلها تقريبا من السكان المستقرين الذين يتفاهمون بسهولة مع بوذنيب. ويظهر أن الجيش قام بالتعرف على واد زيز في ماي 1911م، واستقبل بترحاب من طرف سكان الرتب**»[173].

---

[172]- Alfrid Le Chatelier, **notes sur les villes et tribus du Maroc**, 1890, Tafilalt, Tizimi, Mdaghra, Rteb, p. 21,27.

- نقلا عن الزهيد علوي، **من سجلماسة إلى قصر السوق، الاستعمار ودوره في التحولات السياسية والاجتماعية بتافيلالت**، نشر مركز دراسة وتنمية المجالات الواحية الصحراوية – الجرف، مطبعة، Imprimerie, Youpub، مكناس، ط 1، 2016م، ص. 50.

[173]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 277.

مما يظهر الاختراق الكبير الذي حققه الفرنسيون، بخلق شرخ داخل ساكنة مجال الرتب، من خلال المزاوجة بين أسلوب الترهيب والترغيب، في دفع السكان للتخلي عن المشاركة في أي هجوم عليهم أو المقاطعة التجارية لهم، مع إعلانهم الاحترام والتقدير الكافي لهم.

تجلى هذا الأمر مثلا في الرسالة التهديدية التي وردت من الفرنسيين سنة 1912م إلى سكان قصر "اربيت" وتأمرهم «**بكف الجيوش وإرسال الأسواق وتهددهم في ترك ذلك**»[174] ومن أبرز الدلائل على ما حققه الفرنسيون في هذا المضمار؛ استمالتهم لأبرز شخصية كانت لها الزعامة داخل قبيلة آيت عطا الرتب ويتعلق الأمر بعلي احدا وإخوته، والذين كان لهم تأثر واضح على منطقة الرتب طيلة فترة الحماية، بعدما وُضِعُوا على رأس قيادتها الرسمية كما سنرى لاحقا[175].

استكملت بهذا تقريبا استعدادات الفرنسيين للانقضاض على المنطقة مع بداية القرن العشرين، لكن المسألة كانت مرتبطة بمجموعة من السياقات، تتجاوز ما هو محلي ووطني إلى ما هو خارجي، في إطار صراع النفوذ القائم آنذاك، خاصة بين فرنسا وانجلترا وألمانيا. فضلا عن عوامل أخرى في مقدمتها تصاعد عداء السكان للفرنسيين وأعوانهم. وهذا ما أرجأ احتلال المغرب والمنطقة إلى ما بعد سنة 1912م.

---

[174]- بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 51.

[175]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 153.

6 ـ 2 ـ نشاط زعماء المقاومة التعبوي والعسكري بالرتب ومحيطه.

لقد كانت مناطق وقصور الرتب معنية أكثر من غيرها من أراضي تافيلالت بالاستعداد لمواجهة الفرنسيين، والمشاركة بوضع خط دفاع متقدم لصدهم في مجالات سيطرتهم بالجزائر؛ قبل أن يصلوا هم إليها، بناء على فراسة قادة المجاهدين الذين لم يكن يساورهم أي شك في نوايا المحتل، بل كانوا على يقين أن هجومه على الرتب ومدغرة وعموم تافيلالت ليس إلا مسألة وقت، وأنه قادم لا محالة، ليقضي على ما تبقى لهم من موارد عيش متمثلة في خفر وخدمة القوافل التجارية، ورعي الماشية في هذه المناطق الصحراوية الواسعة التي ما فتئت تتقلص مساحتها يوما بعد يوما مع استقرار الفرنسيين بأرض الجزائر.

كل ذلك كان له دور أساسي بانخراط ساكنة الرتب بجل مكوناتها في ما يمكن أن نسميه بالحروب الاستباقية أو الاستنزاف المتبادل مع الفرنسيين، والتي دارت بسببها معارك ومواجهات عدة، في مناطق مختلفة وبعيدة عن الرتب بعشرات ومئات الكلومترات أحيانا، قبل أن يسقط هذا الأخير بيد المحتلين بشكل نهائي سنة 1916م.

تلك المواجهات والمعارك التي أطرها عدد من زعماء الجهاد المحليين، خاصة من أولئك الذين تربوا على يد الشيخ محمد العربي الدرقاوي المدغري، أمثال أحمد بن لحسن السبعي، ومولاي مصطفى بن الحنفي وابنه أبا سيدي، والذين حرصوا على تحريض الناس على الجهاد، لكن ما يؤسف له هو تهميش معظم المؤلفين في تاريخ المقاومة المغربية، وكذا المقررات المدرسية الوطنية لكثير من هؤلاء المقاومين المغمورين والجريئين، رغم أنهم سطروا في حروبهم بطولات وأمجاد عدة، وكانت لهم أدوار هامة وريادية في قيادة المقاومة الشعبية ضد المستعمر الذي ذاق على أيديهم المرارة والهزيمة في عدد من المواجهات والصِدامات[176].

[176]– امحمد احدى، **دراسات في تاريخ المغرب العميق، «المقاومة المسلحة بالمغرب (1900م ـ 1934م) ملاحظات عامة»**، مطبعة BJ PRINT، أكادير، ط1، 2012م، ص. 94.

تجلى هذا الدور التحريضي لهؤلاء، في العمل على جعل الساكنة الرتبية يقظة للمخاطر التي تتربص بها، مع تشجيعها على ضرورة الاستعداد المتواصل للجهاد والمشاركة فيه؛ بالانتقال لمواجهة الغزاة القادمين. فكان ذلك سببا في انخراط الرتبيين خاصة فروع قبيلة آيت عطا وعلى رأسهم الخباشيين بالرتب في الجهاد[177]، إلى جانب الشرفاء والحراطين وغيرهم من أبناء المنطقة، وهو الأمر الذي تم رصده بشكل جلي وواضح، بعدما وصلت الأخبار بإقدام فرنسا على احتلال إقليم توات سنة 1900م، حيث سارع أهالي تافيلالت إلى توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم، ثم عقدوا مؤتمرا عاما ضم قبائل هذه الجهات وزعمائها، قرروا على إثره المناداة بالجهاد ابتداء من آواخر عام 1317هـ /1900م.

وهذا ما تؤكده رسالة مؤرخة ب 22 ذي الحجة 1317هـ/ 1900م موجهة إلى الوصي على عرش المغرب آنذاك الوزير ابا حماد، من عامل الإقليم السداتي، يشير فيها إلى استعداد منطقة تافيلالت للدفاع عن عين صالح وقبائل ذوي منيع في توات مذكرا في الوقت نفسه بتناسي قبائل الإقليم المحلية للأحقاد التي كانت بينهم بقوله: «**وصاروا يجتمعون مع بعضهم ويتفاوضون فيما يكون عليه أمرهم(...) وقد اتفقوا على الهناء بينهم عامين وأنهم تائبون إلى الله فيما بينهم من العداوة وأنهم الآن إخوان وعدوهم هو الرومي الذي يقرب من اكلي**»[178].

يلفت انتباهنا في هذه الرسالة إشارتها إلى غياب بعض قبائل تافيلالت عن هذا الجمع الكبير، مثل آيت ازدك، وأهل الرتب، خاصة سيدي الحنفي وشرفاء الدويرة، رغم عودة الرسالة مرة أخرى لتذكر بمراسلة القبائل المذكورة من أجل الحضور لجمع آخر، تم فيه الدعوة للجهاد والرد على الفرنسيين بعد احتلالهم لتوات[179].

---

[177]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 283.

[178]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج2، ص. 25.

[179]- نفسه، ص ص. 31، 32.

وإذا كنا لا نعلم سبب غياب تلك القبائل المذكورة في جمعها الأول، فالأكيد أن ذلك لم يكن راجعا لموقف رافض لجهاد الفرنسيين، بدليل أن السلطان مولاي عبد العزيز وبعد أن أرسل المدني الكلاوي إلى المنطقة لإقناع أولئك المجتمعين بتافيلالت بضرورة عدم التسرع في الرد على الفرنسيين وترك الأمر للسلطان، مع ما كان لهذا الفعل المخزني من دور في فتور حماس السكان وتراخيهم، إلا أننا سرعان ما سجلنا مشاركة قبائل آيت عطا خاصة من كان منهم بالرتب وكذا حلفائهم قبيلة بني امحمد العربية في معركة "تيميمون" بإقليم توات يوم 18 فبراير سنة 1900م، والتي أشار فيها الفلالي إلى مشاركة علي احدا من آيت عطا الرتب ـ على رأس المهاجمين، وهو الذي سيصبح لاحقا بعد حوالي عقدين تقريبا قائدا على قصور الرتب كلها بعد فرض سيطرة الفرنسيين عليه[180].

بلغ عدد المشاركين من المغاربة في معركة "تيميمون" حوالي 500 محارب حسب روس دان[181] و1000حسب رسالة وزير الخارجية الفرنسية إلى الوزير الفرنسي المعتمد بطنجة بتاريخ 3مارس 1901م[182]، معظمهم من آيت خباش وبني امحمد، حيث قاموا بهجوم مفاجئ على الحامية الفرنسية في "تيميمون Timmimoun" بكورارة، التي حاولت رد الهجوم اعتمادا على مائة وستين من العسكريين الفرنسيين والجزائريين، فكانت النتيجة موت تسعة من الفرنسيين وجرح ثلاثة وعشرين آخرين، بينما استشهد من المغاربة حوالي مائة فرد، مع فشل الفرنسيين في متابعة المغيرين الذين تمكنوا من الانسحاب بنظام تام[183]. لكن رغم فداحة خسارة المهاجمين إلا أن أصداء معركة "تيميمون" انتشرت انتشارا كبيرا، مما ساهم في زرع الحماس وسط القبائل للقيام بجهاد الأعداء المحتلين. ويُورِدُ تاوشيخت أحد المواويل التي تغنى بها الخباشيون عند عودة المشاركين من معركة تيميمون:

---

[180]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 153.

[181]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 214.

[182]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج2، ص. 27.

[183]- استيتيتو، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات**، ص. 207./ دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 214.

تِلَّا تِينْمِيمُونْ تُوكْرْ مَا يَدَّاكْ إِيلاَّنْ،(تينميمون هي أم المعارك السابقة)

أَلْيمْتْ غَفْ وَيْدَّاكْ دْيَاغُولْنْ، (يانساء انذبن العائدين)

أَمَّا وَنَّا وَرْدْ إِيذِينْ، (أما الذين لم يرجعوا)

الجَنَّتْ أُكَنِّي أَيْلاَنْ، (فحسبهم الجنة) [184].

أما الفرنسيون فلم يكونوا راضين على ما حدث في "تيميمون"، وعلى الجرأة التي أظهرها المهاجمون في الانتقال من أماكن بعيدة بتافيلالت إلى أماكن تواجد الفرنسيين (توات)، لكن عدم الرضى هذا لم يقتصر عليهم، بل إن المخزن المغربي ممثلا في الكلاوي عبر أيضا عن امتعاضه الشديد مما وقع في "تيميمون" وعَدَّ ذلك «**تهورا لا يجر إلا العطب**» كما توضح رسالته الموجهة للسلطان مولاي عبد العزيز والمؤرخة ب 10ذي الحجة 1318هـ/ 1901م حيث قال فيها «**بعدما أطلعنا علم مولانا الشريف بالطائفة من الفرسان التي وجهنا لرد إخوانهم، ايت عطه وبني محمد الذين توجهوا لناحية توات،**(...)**تجددت أخبار متواترة بالوقائع الشنعاء التي وقعت بتيميمون من طرف بلاد توات بين آيت عطه وبني محمد مع النصارى.. و**(س)**نقوم على ساق الجد في رد من عسى أن يتشوف لشيء من هذا التهور الذي لا يجر إلا العطب**»[185].لكن هذا الموقف المتخاذل من قبل المخزن لم يفت في عضد المقاومين بتافيلالت والرتب بل إنهم واصلوا استعدادهم والانطلاق لضرب العدو في أماكن تواجده شرقا.

فغير بعيد عن واقعة "تيميمون" 1900م ستفرز لنا منطقة الرتب زعيمين كبيرين بصما بصمات واضحة في تاريخ مقاومة منطقة تافيلالت وهما مولاي مصطفى الحنفي وابنه مولاي عمرو، المعروف باسم أبّا سيدي[186]، وهما من أولاد الشريف سيدي الحنفي القاطن بعضهم

---

[184]– لحسن تاوشيخت، «القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش»، ضمن كتاب "**الأعراف بالبادية المغربية**"، تنسيق البيضاوية بلكامل، فاطمة مسدالي، حليمة بنكرعي، ثريا المرابط، سعيد البوزيدي، مطبعة دار السلام للطابعة والنشر والتوزيع الرباط،، ط1، 2004م، ص. 27.

[185]– المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج2، ص. 16.

[186]– بوكبوط، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار**، ص. 14.

بتيزيمي، والبعض الآخر بقصر الجرامنة بالرتب الأعلى. حيث كانت لجدهم منذ القدم مكانة مرموقة، بفضل الزوايا العديدة التي أقامها بواد الرتب وغيره؛ والتي كان لها إشعاع روحي وعلمي وديني واسع، مما زاد من مكانة الحنفيين وتدخلهم كوسطاء في النزاعات التي كانت تحدث بين فروع قبيلة آيت عطا خصوصا القاطنين منهم بالرتب[187].

وبالبحث في حياة مولاي المصطفى بن الحنفي الحسني العلوي، نجد أنه كان من الأتباع المخلصين للشيخ الدرقاوي قبل وفاته، واستمر كذلك إلى أن أصبح بدوره شيخا لأحد فروع الزاوية الدرقاوية بالرتب، وعرف بغيرته الكبيرة على حرمة البلاد، وحرية العباد، والدفاع عن الملة والمقدسات، تجسد ذلك في رسائل الاستنفار للجهاد التي كتبها ونشرها بين الناس[188]. على غرار ما فعله الشيخ محمد العربي الدرقاوي ومن بينها الرسالة التي أرسلها لبني مكلد سنة 1903م[189]. كما اشتغل بتأطير المجاهدين، ولفت انتباه القبائل إلى تحركات الفرنسيين على الحدود المغربية الجزائرية، لاسيما بعد احتلالهم لتوات، وتقدمهم نحو القنادسة، ورغبتهم في السيطرة على كير وواحاته[190]. هكذا كان شيخ الزاوية وكبير قصر الجرامنة بالرتب الواقعة في الحدود شمالا مع مدغرة؛ يرفع بنفسه راية الجهاد ضد العدو الفرنسي، ويقاتل أحيانا تحت راية إخوانه بالتخوم الفيلالية الجزائرية[191].

سجلت لنا المصادر والأبحاث أولى المعارك التي قادها آل الحنفي الرتبيين ضد الفرنسيين داخل قواعدهم المقامة بالجزائر وفي الحدود الشرقية للمغرب، نشير هنا لبعضها باقتضاب، لأن الذي يعنينا منها هو مساهمة أهل الرتب فيها:

---

[187]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 232،

[188]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 164.

[189]- المنوني، **يقظة المغرب**، ج1، ص ص. 353، 354. رسالة مولاي مصطفى الحنفي إلى قبيلة بني مكليد مؤرخة عند المنوني ب 1312هـ/ ولكنها كانت سنة 1321هـ/ 1903م. أنظر الملحق الوثائق رقم 4، ص.546.

[190]- استيتيتو، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات**، ص. 202.

[191]- عبد الله حمادي الإدريسي، **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس، سجلماسة ووريثتها تافيلالت تاريخا وامجادا وجهادا**، دار الكتاب العالمية بيروت، لبنان، 2016م، ص. 397.

ـ **معركة الزعفراني 30 يوليوز 1900**: أو معركة المنكار الصغرى. يرجح حمادي الإدريسي أن مولاي مصطفى بن الحنفي هو من تزعم معركة الزعفراني بالغرب الجزائري سنة 1318هـ/ 1900م. ووصفه بثالث السادة العلماء المشهورين الذين رفعوا راية الجهاد بالجنوب المغربي بتافيلالت ومدغرة والرتب وتيزيمي ضد الفرنسيين منذ احتلال توات[192].

ـ **معركة تاغيت**، حدثت ما بين 17 و20 غشت 1903م، في منطقة بني كومي التي كانت تظم مركز الحامية الفرنسية هناك "بتاغيت" ودارت بين الفرنسيين والمغاربة بقيادة مولاي مصطفى الحنفي وابنه ابا سيدي واللذين قاد حوالي 8000 مقاتل وخاضا معارك ضارية ضد الفرنسيين وأعوانهم[193]، ويبدو أن مولاي مصطفى كان على اتصال وتنسيق مع بوعمامة الذي زوده بعدد من المقاتلين[194]، لكن المعركة انتهت بتراجع المغاربة بعدما قتلوا تسعة فرنسيين وجرحوا 21 آخرين. بينما فقد المجاهدون حوالي 200 شهيد[195].

ـ **مواجهة المنكار**: وقعت يوم 2 شتنبر 1903م. وجاءت بعد المعركة الأولى وبالقرب منها، حيث هاجم فيها بعض المجاهدين المغاربة الذين كانوا ضمن صفوف المقاتلين الذين شاركوا مع الحنفي في المواجهة السابقة قافلة للفرنسيين بمنطقة "المنكار"، مما أسفر عن مقتل 26 شخصا، منهم ضابطان فرنسيان فضلا عن الاستيلاء على حمولة القافلة[196]. وهذا ما جعل الحاكم العام الفرنسي للجزائر جونارتM. Jonnart يراسل وزير الخارجية الفرنسية برسالتين الأولى بتاريخ 01 أكتوبر 1903م ، والثانية في 07 أكتوبر 1903م، يشرح فيهما مجريات وتطورات الأوضاع

---

[192]- نفسه، ص. 398.

[193]- Le Temps Paris, «**L'attaque de Taghit par les Berabers**», Quarante-troisième Année N° 15461, 15 Octobre 1903, p. 1, 2.

[194]- J.Canal, «**La Conquête du Sud-Oranais**, **L'Africain Hebdomadaire Intercolonil**», 1 Octobre 1933, 14e Année Nouvelle série – N° 185, p. 2.

[195]- محمد بوكبوط، «**ملاحم آيت خباش من 1900 إلى 1934، أعلى درجات المقاومة**»، ضمن كتاب، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، تنسيق محمد حمام وعبد الله صالح، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م، ص. 265.

[196]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 234.

في مواجهتي تاغيت والمنكار ومبرز الدور المركزي لمولاي مصطفى بالحنفي وابنه مولاي عمر كقائدين للمهاجمين القادمين من تافيلالت[197].

بعد هذين المقاومين سيبرز نجم المقاوم مولاي أحمد بن الحسن السبعي، الذي لم يكن غائبا عن كل المواجهات التي دارت بمنطقة تافيلالت والتخوم الحدودية قبل وفاته سنة 1917م، وكان له تأثير في مختلف قبائل المنطقة، وقد وقف المنوني والمنصوري على بعض أدواره الجهادية، كما كان الحال في "معركة المنكوب" يوم 16 أبريل 1908م. التي أعقبت احتلال الفرنسيين لهذا الموقع الموجود على بعد 138 كلم من بوذنيب، وبين الدور الذي قام به لتحريض قبائل: آيت ازدك وآيت سغروشن وآيت مرغاد وآيت خباش وآيت عطه وآيت يوسي وقبائل الصحراء كأولاد جرير، وأولاد الناصر، وبعض ذوي منيع، على المشاركة في هذه الحركة الجهادية نحو المنكوب. فاجتمع للسبعي حوالي 50 ألف مقاتل، خاض بهم هذه المعركة التي انتصر فيها بداية، لكن توقفه عن متابعة العدو سمح للأخير بمهاجمته من جديد وإلحاق الهزيمة به وقتل مئات المجاهدين[198]، وبعد هذه الهزيمة سارعت قصور زيز خاصة أهل الرتب بإرسال عدد كبير من المجاهدين بزعامة اباسيدي بن مولاي المصطفى وعلي يدير الخباشي نحو كير للانضمام إلى الحركة المجتمعة في بوذنيب، لكن القوات الفرنسية باغتتهم وشتت جمعهم[199]. مما شجع الفرنسيين على الزحف والوصول إلى بوذنيب واحتلالها.

جعل هذا التموقع الجديد للفرنسيين ببوذنيب؛ مناطق الرتب في مقدمة المناطق التي ستكون في مرمى المحتل، باعتبارها منطقة تماس مع بوذنيب التي سقطت أيضا بيد الفرنسيين سنة 1908م[200]، هذا الوضع جعل سكان الرتب يشعرون أكثر من أي وقت مضى بقرب وصول الخطر الذي ظل يهدد أراضيهم، فبدأ المجاهدون يأتون من كل جهات تافيلالت ويتجمعون وينظمون صفوفهم في أوفوس والرتب، بينما أتت مجموعات أخرى من الأطلس، واستقر الكل في

---

[197]- Ministère des affaires étrangères, Documents diplomatiques, **Affaires du Maroc**, **1901-1905**, Imprimerie Nationale, Paris, 1903, p. 108,109.

[198]- المنصوري، **كباء العنبر**، ص. 205./ المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج2، ص. 474.

[199]- بوكبوط، «مادة، أبا سيدي بن مولاي مصطفى بن الحنفي»، **موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، أعلام المقاومة المسلحة الأولى**، منشورات عكاظ، الرباط، ط2008، ج2، ص. 341.

[200]- احدى، **دراسات في تاريخ المغرب العميق، «محور المقاومة المسلحة بالمغرب (1900م ـ 1934م)»**، ص. 102.

تزكزاوت لمواجهة العدو الذي تمركز ببوذنيب[201]. وكان لا مفر من التفكير في الهجوم بدل انتظار وصول الفرنسيين.

هكذا وفي 7شتنبر 1908م، تجمع المقاومون وتقدموا نحو الجرف[202]، فضربوا حصارا شديدا على بوذنيب، التي أصبحت قاعدة عسكرية للمستعمر، ودخل الطرفان في مواجهة، تكبد خلالها المقاومون ومنهم مجاهدو الرتب خسائر فادحة في أرواحهم وعتادهم قدرت بالمئات، إلى جانب عدد كبير من الأسرى اللذين سقطوا في يد الجنرال أليكس[203].كل ذلك أدى إلى انهيار جبهة المقاومة والجهاد في مناطق بوذنيب وفتح الباب أمام الفرنسيين للسيطرة على مدغرة والرتب وبلاد عرب الصباح لاحقا[204].

في ظل كل ما كان يحدث بالمنطقة، ورغم كل المؤشرات والدلائل على شروع الفرنسيين في تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية، كان المخزن شبه غائب وظل يراهن على الدبلوماسية، كما توضح ذلك رسالة من السلطان إلى الحاج الطريس مؤرخة ب12 رجب عام 1329هـ/1911م، يخبره فيها بحالة الروع التي تعيشها المنطقة الصحراوية ولاسيما تافيلالت، التي بدأت تتململ بعد التحركات التي أقدم عليه الفرنسيون في الجهة الشرقية مذكرا إياه بمطالبته عمه مولاي الرشيد؛ خليفته على تافيلالت وسائر قبائل الصحراء بضرورة لزوم الهدوء والابتعاد عن أي صدام، ومطالبا الطريس في الوقت نفسه بالتواصل مع حاكم الجزائر الفرنسي من أجل عدم إثارة القبائل المغربية بأي تصرف يصعب معه إرساء الاستقرار وعدم الاشتباك[205].

كل هذا يؤشر إلى أن الفترة التي امتدت من وفاة السلطان مولاي الحسن إلى زمن فرض الحماية، كانت في الحقيقة فترة حراك شعبي بمناطق وواحات تافيلالت، بحكم تماسها المباشر مع المحتل

---

[201]– المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي المسلح**، ص. 19.

[202]– يقصد بالجرف المنطقة القريبة من بوعنان، وليس منطقة الجرف التي توجد بين مدينة تنجداد وأرفود.

[203]– محمد البكراوي، «كفاح البادية المغربية ضد الاستعمار الفرنسي: مقاومة الجنوب الشرقي المغربي نموذج(1908م ـ 1900م) »، ضمن كتاب: **البادية المغربية عبر التاريخ**، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص. 177.

[204]– بوكبوط، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار**، ص. 61.

[205]– الوثائق الملكية، **رسالة السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الطريس**، سجل رقم، 29179، نسخة من خزانة مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني، مؤرخة بسنة 1329هـ/ 1911م.

الفرنسي ووجوده على تخومها، مما جعل الوقائع والمواجهات حادة بينهما، بسبب احتضان الفيلاليين منذ وقت مبكر لكثير من قادة المجاهدين الجزائريين وانخراطهم بشكل مباشر في جهاده حتى داخل الجزائر المحتلة نفسها، مثل بوعمامة والشيخ عابدين الكنتي وغيرهما[206]، وسيزداد الأمر تفاقما بعد توقيع السلطان مولاي عبد الحفيظ لمعاهدة الحماية في 30 مارس سنة 1912م. لكن النشاط الدعوي ظل متواصلا رغم كل الانتكاسات والضربات التي تلقاها المجاهدون في عدد من المعارك والمواجهات مع الفرنسيين وأعوانهم.

تجسد استمرار هذا النشاط التحريضي في مرحلة ما بعد خضوع المخزن للفرنسيين مثلا؛ في قيام المجاهد أحمد بن الحسن السغروشني بجولة واسعة بالمنطقة شملت عددا من قصور الرتب ومدغرة وفزنا وغير ذلك من المناطق، بهدف تعبئتها من جديد وبث الحماس بين سكانها، لمواصلة الكفاح، وهو وإن لم يكن من أهل الرتب؛ إلا أن علاقته بأهلها كانت كبيرة كما يتضح من المخطوط الذي كتبه، عن جولته والذي ضمنه أسماء أهم القصور الرتبية التي عرج عليها في جولته هاته، وكذا الشخصيات المجاهدة التي التقاها، إضافة إلى إبرازه لبعض النتائج التي حققها من جولته[207].

وقد عمل الباحث عبد العزيز بلبكري على دراسة وتحقيق ما كتبه السبعي[208]، في مخطوطه حول هذه الجولة في كتاب وضع له عنوانا أسماه "**من وثائق المقاومة المسلحة المغربية: رحلة الحث على الجهاد**" هذه الرحلة التي انطلقت يوم 19 ذو الحجة من عام 1330هـ/29نونبر 1912م، تكمن أهميتها بالنسبة لموضوعنا، في تمكيننا من الوقوف على الجو العام الذي كان بالمنطقة، لاسيما وأن هذه الرحلة جاءت بعد توقيع المغرب معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م، كما مكنتنا من معرفة أهم الشخصيات الرتبية التي شهد المجاهد السبعي على مشاركتها واستعدادها للجهاد ضد الفرنسيين بالمناطق والقصور التي زارها، والمحطات التي توقف فيها أثناء رحلته هذه، لكننا سنقتصر على ذكر الشخصيات التي كانت تقيم بمجال الرتب، وعبرت عن دعمها واستعدادها لتلبية دعوة السبعي الجهادية كما يلخصها الجدول التالي[209].

---

[206]- محمد دحمان، مادة، **عابدين بن امحمد الكنتاوي**، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، أعلام المقاومة المسلحة الأولى، المجلد الثاني، منشورات عكاظ، الرباط، ط2008، ج2، ص ص، 421، 422. 423/ الإدريسي، **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس**، ص، ص. 415، 416. /

[207]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 7، ص ص. 173، 174.

[208]- أنظر ترجمته عند المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج 2، ص. 384.

[209]- بلبكري، **من وثائق المقاومة**، من ص. 48، إلى ص. 53.

الجدول رقم 10: أهم محطات توقف السبعي بالرتب لدعوة القبائل للجهاد.

اسم القصر ومدة الاقامة به	أهم الشخصيات التي التقاها	أبرز نتائج زيارة السبعي
أولاد شاكر (ليلة واحدة)	ـ مولاي مصطفى بن إبراهيم. ـ المقدم محمد فتحا العطاوي. ـ الأوديشو.	ـ تلقاه أهلها بالفرح والسرور والإطعام وأدى معهم صلاة الجمعة. ـ تسجيله امتلاك مولاي مصطفى بن إبراهيم لعدد من الكتب المخطوطة.
أقربوس (ليلة واحدة)		المبيت عند أهل هذا القصر.
القصر الجديد (أربعة أيام)	الشريف سيدي محمد العربي.	مكوثه بهذا القصر أربعة أيام رغم أنه لم يذكر لنا أي معلومات عن أنشطته به.
زاوية أملكيس (يوم وليلة)	ـ سيدي ابراهيم الكد الذي وصفه بشيخ آيت عطا أهل الوادي.	التفاوض مع سيدي ابراهيم في أمور الجهاد.
الجرامنة	مولاي مصطفى بن الحنفي اليوسفي.	ـ حفاوة استقبال أهل الجرامنة للسبعي. ـ مصاحبة مولاي مصطفى للسبعي من الجرامنة إلى الكارة.
الكارة (يوم واحد)	ـ الشريف مولاي يوسف وإخوته منهم مولاي محمد. ـ الشريف سيدي مولاي محمد اليعقوبي وسيدي لحسن شيخ البلد	ـ أشار السبعي إلى المكانة العلمية لمن ذكره بهذا القصر. ـ سجل توفرهم على كتب مخطوطة مهمة. ـ وصف شيخ البلد المسمى بسيدي لحسن بمحب الجهاد,
تخيمت (يومين)	سيدي علي بن محمد	ـ الاكتفاء بالحديث عن كرم الضيافة.
اربيت،	الطالب ابراهيم.	ـ فرح أهلها خصوصا الفقراء بالسبعي ومن معه.

(3 أيام)	سيدي الحسني وسيدي علي أعدي	ـ تزامن زيارة السبعي للقصر مع وصول رسالة تهديدية من الفرنسيين تأمره بكف الهجومات وتدعوهم إلى السماح بالمتاجرة وتحمل عواقب الامتناع عن ذلك. ـ حث السبعي أهل تخيامت على عدم الالتفات لهذا التهديد. ـ التقائه بسيدي محمد بن عبد الله[210] من شرفاء وعلماء مدغرة.
زاوية أحمد بن عبد الصادق	محمد أمنداس التجيتي	زيارة ضريح الشيخ أحمد بن عبد الصادق. استضافة البربر المقيمين بها للسبعي.
الدويرة	سيدي مولاي افضيل	الحديث عن حسن الضيافة فقط.

يتبين لنا مما كتبه السبعي عن يوميات رحلته، أن غالبية ساكنة الرتب، وكذا باقي المناطق المتواجدة على طول واد زيز الأعلى والأوسط والأسفل التي زارها، كانت في أعلى درجات حماسها لمواجهة المحتل القابع ببوذنيب منذ 1908م، وبعدما أصبح المجال مفتوحا أمامه وظل يتربص بالمنطقة وأهلها، ويتريث حتى يستطيع جمع أكبر قدر من المعلومات وبالتالي يعزز من استعداداته، فضلا عن دفع حركات المقاومة بالمنطقة إلى مزيد من الارتباك والصدام والتشتت، الذي لم تكن أيديه غائبة عن تأجيجه والمساهمة فيه؛ من خلال سعيه الدؤوب لاستمالة بعض أعيان منطقة الرتب وصولا إلى احتلالها سنة 1916م.

[210]– الفقيه سيدي محمد بن عبد الله البوعبدلاوي المدغري، عاش الجزء الأكبر من حياته خلال القرن 20م، وسكن مدة بمدينة دبدو الواقعة قرب وجدة، توفي ودفن بقصر سيدي أبي عبد الله بمدغرة تافيلالت. بلبكري، **من وثائق المقاومة**، ص. 52.

6 ـ 3 ـ تجليات المقاومة والخضوع للمستعمر بالرتب ما بين سنة 1912م وسنة 1916م.

انطلقنا في هذه المرحلة من سنة 1912م لأنها السنة التي وقع فيها السلطان مولاي عبد الحفيظ (1908م ـ 1912م) بنود معاهدة الحماية مع فرنسا، هذا الأمر سيحدث داخل الأوساط المغربية شرخا عميقا، بين من رفض الأمر واعتبر أن السلطان أجبر على التوقيع، وبين من أثر الخضوع والقبول بالأمر الواقع تحت عنوان طاعة ولي الأمر وعدم العصيان، في ظل هذا الوضع كان إقليم تافيلالت آنذاك يعتبر من الأقاليم التي يوجد فيها خليفة للسلطان ـ هو خلال هذه المرحلة مولاي الرشيد بن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام ـ والتي رفض معظم سكانها وأعيانها الخضوع وقبول معاهدة الحماية، وظلوا مصممين على مقاومته، فكان الإقليم ومن بينه الرتب بهذا المعنى متمردا. وهنا يؤكد البعض أن جل المغاربة خصوصا سكان الجبال والبوادي لم يكن ليفهموا معنى عقد الحماية، ولهذا نهضوا باسم الجهاد لمقاومة الجيوش الفرنسية في عدد من المراكز وخصوصا بالجبال الوعرة ومسكي وتافيلالت[211].

وأما اختيار سنة 1916م نهاية لهذه المرحلة، إنما جاء باعتبارها السنة التي تمكنت فيها فرنسا بعد معارك شرسة من بسط سيطرتها على هذا المجال، وإنهاء استقلاله، مع ما كان يعني كل ذلك من تحولات اجتماعية واقتصادية وتنظيمية. وهنا نتساءل عن المراحل التي قطعتها فرنسا لإخضاع مجالات تافيلالت وعلى رأسها منطقة الرتب، التي دارت على حدودها الشمالية والجنوبية أقوى معارك الجنوب الشرقي المغربي، وكانت ملجأ لعدد من المقاومين خلال المراحل الأولى لتوطين القوات الفرنسية به، والأرض التي تجمعت بها أو بالقرب منها كثير من قبائل المنطقة من تافيلالت الصغرى وتيزيمي والخنك ومدغرة وفركلة وغيرها لصد العدوان ونيل الشهادة. ونتساءل هنا عن كيفية مواجهة السكان لهذا الوضع؟ وأثر ذلك عليهم؟.

---

[211]– مولاي هاشم العلوي، «نبذة عن المقاومة»، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، ع16، دجنبر 1986م، مطبعة الرسالة، 1986م، الرباط، ص. 15.

قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة، لابد أن نشير في البداية إلى أن ما حقق للمحتل أغراضه في إخضاع المغرب والمغاربة؛ هو قدرته على استغلال حالة الضعف والتشتت والفوضى التي كان يعيشها المغاربة، واعتماده على ما سمي" بالتهدئة"، فهو كان يرى أنه بالإمكان «**تحقيق الانتصار العسكري بالقوة بفضل تفوق السلاح، إلا أن ذلك لن يكون إلا عابرا، بينما يتحقق الغزو النهائي المتعلق بالعقول والقلوب، بسلطة الذكاء والروح**»[212]، هكذا كان التقي بن رائد المقاومة الشيخ محمد العربي الدرقاوي من بين الذين استمالتهم فرنسا لجانبها، مما فت في عضد الساكنة والمقاومة وزاد من تشتتها، خاصة بعد أن عينه ليوطي قائدا على زيز بمنطقة مدغرة الرتب سنة 1915م، حتى قبل خضوعها وهو المنصب الذي ظل فيه إلى حين وفاته سنة 1935م[213]. وإن اقتصرت قيادته للرتب على الفترة ما بين 1916م و1921م، بعد تقسيم المستعمر منطقة قيادته السابقة إلى مجموعة من القيادات الأخرى.

هذا الأخير استطاع أن يستميل بدوره إلى صفوف الفرنسيين قائد الرتب علي احدى، الذي سيكلف بالإشراف على الرتب إلى حين وفاته سنة 1941م[214]، مما سهل على المحتلين اكتساح قصور ومجال واد الرتب كاملا، ودون أن ننسى تمكنهم من استدراج الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن مولاي الرشيد الذي خلف أباه بعد وفاته سنة 1913م، حيث تؤكد الدلائل على تعاونه مع المحتل، ويثني بعضها على خدماته كما يتبين من بعض تقارير المجالس الوزارية التي كانت تعقد بالرباط تحت وصاية الفرنسيين، ومنها مثلا المجلس الوزاري المنعقد بالرباط سنة 1915م[215]، في الوقت نفسه اكتفى المقاومون الذين أزيل عنهم الغطاء السياسي الذي كان يوفره لهم المخزن ولو شكليا قبل فترة الحماية، بمراقبة الوضع ورصد تحركات العدو وأعوانه، والاستعداد للمواجهات

---

[212]- Jean Paillard. Berriau (Colonel), «L'Officiers de renseignements au Maroc», **Action Française**. 21/10/1935.

[213]- السوسي، **المعسول**، ج 16، ص. 306.

[214]- عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية بمنطقة تافيلالت**، ص. 42.

[215]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب (النسخة العربية)**، ع134، بتاريخ 21 نونبر 1915م، ص. 452.

الحتمية القادمة معه، وهو ما يتماشى وما صرح به الجنرال كيوم المقيم العام الفرنسي بالمغرب من أنه «**لم تستسلم أية قبيلة دون مقاومة، بل إن بعضها لم يلق سلاحه حتى استنفذ كل وسائل الصراع، ولم تخضع أية قبيلة إلا هزمناها بأسلحتنا، واتسمت كل مرحلة من مراحل تقدمنا بالقتال، وكنا كلما توقفنا أنشأ المراكشيون (تطلق على المغاربة عامة) جبهة جديدة وشيدوا سلسلة من التحصينات، وكل هذا أرغم قواتنا سنوات طويلة، أن تقف موقف اليقظة والحذر معرضة للأخطار، وفي موقف عسكري مشين**»[216].

تزامن ذلك وإسناد القيادة العسكرية ببوذنيب لليوطنان كولونيل بول دوري Doury Paul في 11 يونيو 1915م، الذي كان يرى ضرورة التسريع باحتلال وإخضاع مجال مدغرة والرتب، حتى يتحقق هدف المستعمر في الربط بين بوذنيب ومكناس عبر الأطلس المتوسط واحتلال واحة تافيلالت بكاملها[217]، أو كما ذكر ذلك فوانو Voinot في كتابه من أن احتلال هذه المناطق سيمكنهم من تمديد مرتقب لنفوذهم وبالتالي ربط هذه الأخيرة بملوية في الشمال عبر قصبة المخزن[218]، في ظل كل هذه الأحداث والمستجدات سيشهد مجال الرتب ومحيطه مواجهات عسكرية حاسمة واحدة في "إفري" وثانية في "مسكي" شمالا والثالثة في "المعاضيد" جنوبا بعد اجتيازهم للمنطقة موضوع الدراسة.

انطلق المستعمر مبكرا في إطار خطته لتطويق مدغرة واقتحام واد الرتب، من بوذنيب باتجاه الشمال الشرقي للمنطقة بهدف السيطرة على منطقة كرامة وتالسينت سنة 1914م، وأقام مراكز عسكرية بها، ثم توج عمله هذا بالسيطرة على مركز الريش سنة 1916م، لتنزل قواته جنوبا عبر ممرات واد زيز مستهدفة منطقة الخنك ومدغرة أولا ثم الرتب لاحقا. في هذا الطريق وعند قصر "إفري بفم زعبل" وبالضبط يوم 30 ماي 1916م ستدور معركة غير متكافئة بين المحتلين

---

[216]- أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، طبعة 1999م، ج 4، ص. 213.

[217]- إبراهيم بوطالب، «مادة، دوري بول Doury Paul»، **معلمة المغرب**، ج12، ص. 4098.

[218]- Voinot Louis, **Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc**, Charies - Lavauzelle et Cle Editeurs Militaires, Paris, 1939, p. 242.

المدججين بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة، والقيادة العسكرية المخططة والخبيرة، وبين المقاومين الذين لم يكونوا يملكون إلا العزيمة والكرامة ورفض الخضوع، فضلا عن كون أغلبهم بدون خبرة عسكرية، إذ أنهم اجتمعوا من كل حدب وصوب خاصة من آيت ازدك، وآيت عطا(الرتب)، وآيت مرغاد، ومدغرة لمقارعة وثني المحتل عن التوغل في مجالاتهم[219]. مما جعل موازين القوى لصالح الفرنسيين، فتلقت بذلك حركة المقاومة بإفري هزيمة خطيرة قرب قصر إفري الواقع على بعد 35 كلم شمال مدينة الرشيدية الحالية[220]، رغم حرص القائد الزدكي علي والحاج الفركاني ـ الذي تولى زعامة الحركة ـ على أن تتحصن كل فرقة قبلية في موضع يخصص لها بمرتفعات زعبل الغربية أو الشرقية[221]. أعقبها فرض عقوبات وغرامات مالية ضخمة على قصور الخنك، كما أجبرت الجماعات السلالية لأهم القصور المشاركة على طلب الصفح عند الحاكم الفرنسي بالريش[222]. الهزيمة في هذه المعركة الأولى فتحت البوابة الشمالية لمدغرة والرتب أمام الفرنسيين، الذين استفادوا من تعاون مولاي التقي بن الشيخ محمد العربي الدرقاوي كما ذكرنا سابقا؛ وبعد أن فتح أمامهم أبواب زوايا أبيه الشيخ المجاهد ليجعلوا منها قواعد متقدمة لهم.

أما المعركة الثانية فهي معركة "مسكي" الشهيرة بالمنطقة، والتي ستدور رحاها على أرض مدغرة جنوبا وعلى حدود الرتب شمالا، وستشارك فيها أيضا جموع من القبائل المختلفة.

شكلت هذه معركة التي وقعت يوم 9 يوليوز سنة 1916م، بحق محطة مفصلية في تاريخ المنطقة عموما والرتب والساكنة على وجه الخصوص، وأصبح قدرها المحتوم في الخضوع للمحتل

---

[219]– زين العابدين العلوي، **المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني**، مشورات IDGL، الرباط 2009م، ج2، ص. 1./ وأنظر السوسي، **المعسول**، ج16، ص. 306.

[220]– امبارك مفلح، «مشاركة سكان تافيلالت في مواجهة الإستعمار»، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، ع26، دجنبر 1990م، مطبعة الأمنية، الرباط، ط 1990م، ص. 84.

[221]– تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك**، ص ص. 168، 169.

[222]– عبد الله تزلي، «رهان التصدي لقوات الاحتلال الفرنسي بوادي زيز الأوسط، وقعة إفري بالخنك الأعلى نموذجا، (30 ـ 31 ماي 1916م)»، ضمن "**أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة، عهد السلطان مولاي يوسف**"، 12 و11 نونبر 2005م، ص. 215.

أمرا واقعا، رغم ما بذل من جهد ودماء وأموال في سبيل منعه من السيطرة على المنطقة[223]، وهنا يسجل لنا التاريخ ويسطر مختلف المواقف البطولية التي أبان عنها أبناء الجنوب الشرقي عموما، فعلى الرغم من الدعوات المتكررة التي كان يتلقاها السكان باسم السلطان مولاي يوسف بالكف عن مواجهة الفرنسيين «**وأن لا جهاد دون إذن أمير**»[224]، إلا أن الساكنة مضت في طريقها للجهاد، مدعومة بعلماء المنطقة من أمثال مولاي مصطفى بن الحنفي وابنه ابا سيدي بن الحنفي ثم مولاي أحمد بن الحسن السبعي.

هكذا بلغ تعداد من شارك في هذه المواجهة حسب ما أورده فوانو ما بين 6000 و8000 مقاوم[225]، أما الجيش الفرنسي والمتعاونين معه من المغاربة والسينغاليين والجزائريين وغيرهم فبلغ عددهم حوالي 2000 فردا، وحسب جريدة السعادة لسان المستعمر آنذاك؛ فقد قام الفيلق الفرنسي على الساعة الثامنة والنصف صباحا بالهجوم على الضفة اليمنى لحركة المقاومة بمسكي، تمكنت على إثرها الجيوش الفرنسية بعد حوالي ثلاث ساعات من المواجهات الساخنة من حسم المعركة لصالحها، كما نجحت في إبعاد عناصر المقاومة الذين كانوا منتشرين هناك على مساحة تقدر بأربعة كيلومترات عن مجال مسكي[226]، لتسفر المعركة عن خسائر فادحة في صفوف المجاهدين فاقت 500 شهيد تناثرت أجسادهم الطاهرة على أرض مسكي وبين نخيلها، منهم مولاي عمر بن المصطفى بقصر الدويرة أوفوس ومحمد بن العرابي من قصر الزريقات وغيرهما[227]، إلى جانب قصف الفرنسيين لقصر مسكي وتحويله إلى أطلال، ورغم أن المستعمر أعلن أن خسائره في هذه المعركة كانت محدودة ولم تتعدى عشرة أفراد، إلا أن روايات بعض من عاشوا الأحداث أو نقلوا عن من شارك فيها، تؤكد أن خسائر المستعمر كانت كبيرة، وإنما يعزى الرقم

---

[223]- محمد بوكبوط، «البطحاء ـ كاوز: المعركة المنسية»، **مجلة الذاكرة الوطنية**، ع20، ط1، 2001م، ص. 30.

[224]- **جريدة السعادة**، ع727، 11 أبريل، 1914م، ص. 3.

[225]- Voinot, **Sur les traces**, p. 244.

[226]- **جريدة السعادة**، ع1278، ليومي 16 و17 يوليوز 1916م، ص. 1.

[227]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي المسلح في حلقات**، ص. 271.

الذي قدموه إلى كونهم لم يقوموا بإحصاء ضحاياهم من المرتزقة السينغاليين والجزائيين والتونسيين، وكذا ممن انحاش إلى جانبهم من المغاربة أنصار مولاي التقي بن الشيخ.

هذه الخسارة التي تلقتها المقاومة في مسكي دفعت بعض الجماعات من مدغرة وأوفوس كما يقول فوانوا لإعلان استسلامها بعد أن قدمت إلى معسكر الفرنسيين برحمة الله تعلن قبولها الدخول في طاعة ممثلي السلطان وضمنيا الدخول في طاعة الفرنسيين[228].

ولم يكن الإخوة احدا علي ولحسن من آيت عطا الرتب غائبين، وهم الذين آثروا التعاون مع الفرنسيين؛ الذين سيكافئونهم على ذلك بتخصيص منصب القيادة لعائلتهم بالرتب طيلة فترة التواجد الفرنسي بالمنطقة، وهنا يذكر لنا الفيلالي حكاية عن آيت حدا، وكيف كان تعاطيهم مع الفرنسيين وأعوانهم وعلى رأسهم التقي بن الشيخ محمد العربي الدرقاوي المدغري، وتعاطيهم مع المقاومة. ومما ذكره أنه وبعدما أقدم أحد أبناء قصر "أبو عام" والمسمى أحمد بن علي بن هاشم على قتل أحد أبناء التقي وجرح آخر، تعهد علي احدا بالثأر لحفيد الشيخ الدرقاوي، وهذا ما دفع كلا من علي احدا وأخيه لحسن، إلى أن يتوجها في ليلة من ليالي التجمع الكبير للمجاهدين بمسكي شهر يوليوز 1916م، وهم يستعدون لمواجهة الفرنسيين، إلى حيث مقر جماعة: أبو عام"، وبالضبط خيمة أحمد بن علي بن هاشم، التي كان لحسن احدا قد تعرف عليها، وحدد المكان الذي ينام فيه غريمهم المذكور، فوقفا عليه وهو نائم في الجانب الأيمن من الخيمة ممدا على ظهره وقد أثنى ساقيه والتف ببرنوسيه الأبيض، ولما حركه لحسن برجله وكشف عن وجهه قدح الزند حتى تحقق أنه هو، فلم يكن من علي احدا وقد كان مستعدا، إلا أنه أطلق عليه الرصاص من بندقيته في رأسه، ثم لاذا بالفرار خارج مخيم أهل أبي عام، الذي أدرك أهله أن الفاعل هم آيت احدا، بحكم ما كان يشاع ويذاع عن رغبتهم في الأخذ بالثأر لابن شيخهم[229]، مما يعبر بجلاء

---

[228]- Voinot, **Sur les traces**, p. 244.

[229]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص ص. 384، 385.

عن انقلاب في موقف عائلة احدا التي جاهدت المحتلين في "تيميمون" وغيرها إلى متعاونين مع الفرنسيين ضد المجاهدين بتافيلالت.

بالنتيجة التي آلت إليها معركة مسكي، كان سكان الرتب ومناصرو المقاومة منهم خاصة، في موقف صعب ولحظة مفصلية، وهم يعلمون أن أَقْدَام المحتل هي على مشارف قصورهم. وأن لا مفر لهم، ولا أسلحة أو مقاتلين جاهزين بعد هزيمة مسكي. موقف فيه من الصعوبة والحيرة والألم ما لا يستطيع تقديره إلا من عاش تلك المرحلة القاسية، بكل مشاهدها وظروفها وسياقاتها التي تجبر الإنسان على اجتراع المرارة والمذلة، وهو يجد نفسه مجبرا على قبول الاستسلام لعدو الدين والخضوع لشروطه من أجل حماية الأرواح والأعراض والممتلكات.

هذا ما تُحدثنا عنه إحدى البرقيات الفرنسية التي أشارت إلى أن أعيان وجماعات كل قصور الرتب قررت الذهاب إلى بوذنيب، وإعلان خضوعها للقوات الفرنسية مباشرة بعد معركة مسكي يوم 9 يوليوز 1916م، لولا تدخل الخليفة السلطاني بتافيلالت مولاي المهدي الذي طلب منهم التريث، فتم تأجيل الذهاب إلى يوم 20 يوليوز 1916م، لكن هذه المرة لم يشمل وفد أهل الرتب إلا 7 أفراد فقط، بعدما كان مقررا في البداية أن يشمل الوفد كل جماعات قصور الرتب[230]. مما يدل على أن لحظة الصدمة بدأت تزول عن بعض من كان يريد الذهاب لإعلان استسلامه في المرة الأولى، ليتراجعوا عن الذهاب إلى مقر قيادة الجيش الفرنسي "بزاوية رحمة الله" بعدما سمعوا أن الفرنسيين لن يعمدوا إلى قتل الناس أو تدمير القصور إذا لم يتعرض لهم أحد في مسار طريقهم عبر الرتب نحو تيزيمي وتافيلالت.

[230]- Télégramme Officiel de Territoire Bou Denîb à Subdivion Oujda, N° 700 R, 20Juillet 1916 Dossier Quotidiens Boudnib 1916, Carton 4MAL900/39, D.A.I.A.D.N.

لكن ما أن وصلت أخبار ما وقع في معركة مسكي إلى تافيلالت حتى سارع أهلها لإرسال كوكبة أخرى من المجاهدين، حيث قاد مولاي عبد الله شقيق الخليفة السلطان مولاي المهدي بن الرشيد بقيادة حوالي 10000 مجاهد انطلقوا من الريصاني يوم 6 نونبر 1916م صوب تراب مدغرة لتحريره من المحتل، ونصرة اخوانهم المجاهدين، لكن هذه الحركة رصدتها الطائرات الفرنسية قرب أوفوس (منطقة الرتب)، فأمطرتها بوابل من القذائف جوا، مع قصف مدفعي مكثف، شتت شملها فرجعت مذعورة، فتعقبها الكولونيل دوري إلى غاية المعاضيد قرب أرفود، لتقع بين الطرفين مواجهة أخرى يوم 16 نونبر 1916م، حصدت أرواح ما يزيد عن 600 مجاهد سقطوا في ساحة الشرف[231]. هذه الانتصارات التي حققها الفرنسيون على المقاومة بمدغرة والرتب وتافيلالت عموما لقيت استحسانا وتنويها من سلطات الحماية، وباسم السلطان تلقى بول دوري والخليفة مولاي المهدي التهنئة على ما حققاه من إنجازات[232].

سير الفرنسيين نحو تافيلالت وقبل الوصول إلى معركة المعاضيد التي ذكرناها سيتواصل بعد توقف بسيط، لتندفع بعد ذلك القوات الفرنسية باتجاه تافيلالت مكتسحة أولا قرى واد الرتب، ففي فاتح نونبر ستدخل هذه الأخيرة مناطق الرتب الأعلى والأوسط دون أي مقاومة تقريبا، حيث تشير الروايات إلى تمكن المتعاونين مع المحتل وآخرين من إقناع سكان قصور المنطقة بعدم جدوى المقاومة، وذلك بتنسيق بين التقي بن الشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي عين من قبل الفرنسيين كقائد على المنطقة التي تشمل واد زيز الأوسط، وكذا علي احدا الذي تخلى عن المقاومة، ودخل تحت حكم الفرنسيين مقابل توليه زعامة منطقة الرتب، لكن ما تحقق للفرنسيين من سهولة في السيطرة على قصور الرتب الأعلى والأوسط سيختلف في منطقة الرتب الأسفل التي أبدت قصورها المكونة من الزريكات والدويرة والمعاركة والزاوية القديمة والجديدة(...)مقاومة عنيفة

---

[231]- عبد الله استيتيتو، «**أهمية الرواية الشفوية والوثائق المحلية في مقاربة بعض الوقائع التاريخية بتافيلالت على عهد السلطان مولاي يوسف، إغتيال الحاكم أوستري نموذجا**»، ضمن أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة عشر، عهد السلطان مولاي يوسف، 12 و11 نونبر 2005م، ص. 123 ـ 124.

[232]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب النسخة العربية**، ع188، بتاريخ 04 دجنبر 1916م، ص ص. 930، 931.

للمحتل وأعوانه، اضطر معه الفرنسيون إلى استعمال أسلحتهم الفتاكة المتمثلة في الطائرات والمدافع فضلا عن سيطرتهم على المرتفعات المشرفة على القصور المذكورة، وقد سمت المصادر الفرنسية هذه المواجهات "**بمعركة أوفوس**"[233]، وأوردت أسماء بعض من جرحاها الذين حصلوا على أوسمة بسبب ذلك ومنهم Louis Auguste-Joseph الذي أصيب إصابة خطيرة بتاريخ 10 نونبر 1916م في هذه المعركة[234].

وبعد اجتياز الرتب والانتصار في معركة المعاضيد ثم الاستقرار في أرفود؛ حرصت القوات الفرنسية على ضمان استتباب الأوضاع بعموم منطقة الرتب، في إشارة منها إلى عدم تعويلها على القياد المحليين بالمنطقة، ولهذا كانت تقوم بين الفينة والأخرى بجولات عسكرية مثلما كان الأمر يوم 03 يناير 1917م بأرفود وأولاد عميرة حتى لا يتم استضعافها من المواطنين [235].

بهذا انتهت الفصول الأولى لمواجهات ملحمية سطر فيها كثير من الفلاليين عموما من مختلف المناطق والقبائل ومن ساندهم من مختلف الزوايا والزعامات بطولات ومواقف خالدة، وأكدوا بذلك روح الجهاد والصمود، والحَمِيّة التي تربوا عليها هم وأجدادهم، على الرغم من المواقف المتخاذلة التي ميزت ممارسات ومواقف البعض، والتي لم تعفيهم من التنكيل الذي عمد المستعمر وكبار أعوانه إلى فرضه على السكان بعد احتلال أراضيهم.

---

[233]-Historique des unités de la légion étrangère pendant la guerre 1914-1918, Maroc et Orient, **Historique du Bataillon Mixte Bou-Denib**,Oran, Imprimerie, D, Heintz et Fils, 1922, p. 44.

[234]- Journal Officiel de la République Française, Lois et décrets 1881-2015, date 11/07/1917, p. 5310.

[235]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 7، ص. 405.

7 . ردود أفعال الرتبيين وتطور علاقاتهم بالمقاومة والمحتلين ما بين 1916م و1956م.

كانت هذه المرحلة أيضا غنية بالأحداث والتطورات المتلاحقة، ومن دون شك فقد كان لكل ذلك انعكاسات واضحة على مجال الرتب وساكنة المنطقة، ولعل السمة المميزة لهذه المرحلة هو وقوع منطقة الرتب بين قوى متحاربة، الأولى باسم الجهاد وطرد المحتل، والثانية باسم الحفاظ على الأمن ومحاربة السيبة ومنع الخروج على سلطة المخزن وممثليه، هذا الوضع الذي عاشته منطقة الرتب هو ما فرض تقسيمها بدورها إلى مرحلتين متمايزتين: الأولى كانت ما بين1916م و1919م والثانية ما بين 1919م و1956م. فماذا عن الرتب في كل مرحلة من المرحلتين؟

7 ـ 1. **المرحلة الأولى ما بين 1916م ـ 1919م**:

شهدت منطقة الرتب خلال هذه المرحلة أحداثا مختلفة وأوضاعا قاسية كانت ناتجة بالأساس عن ما أسفر عنه تصاعد المقاومة بتافيلالت ضد الفرنسيين، حيث نجحت الأخيرة بقيادة مبارك بن الحسين التوزونيني ومساعده بلقاسم النكادي في إلحاق هزائم متوالية بالمحتلين، كان أخطرها ما تعرضوا له في معركة البطحاء سنة 1918م والتي سيكون لها ما بعدها.

فقبل هذه المعركة كانت الفيالق الفرنسية وبعد اكتساح مجال الرتب وتيزيمي وأرفود قد نجحت في الوصول إلى عمق تافيلالت سنة 1917م، بل وتمكنت من إقامة مركز عسكري لها بقصر "تيغمرت"، وضعت على رأسه أحد جواسيسها السابقين بالمنطقة يدعى أوستري Ostruyوالذي اشتهر بين الطلاب تحت اسم زَرْقْ العِينِينْ[236]، هنا تؤكد كثير من الروايات أن أوستري هذا كان يتنقل بين قصور تافيلالت الكثيرة مثل قصر اسْرْغِينْ بِالغَرْفَةْ (قرب الريصاني)وغيره كما تقمص صفة مُرَتِّب، وترصد لنا هذه الروايات أنه عاش أيضا في عدد من قصور الرتب، منها قصر الدويرة، بل لقد نجح في تولي إمامة قصر "تاخيامت" وتحفيظ الأطفال

[236]– استيتيتو، «**أهمية الرواية الشفوية والوثائق المحلية**»، ص. 128.

القرآن فترة من الزمن[237]. وكان بذلك أوستري يتقن اللغة العربية على عادة هؤلاء الجواسيس وضباط الشؤون الأهلية الذين كانوا يتلقون تكوينا لأزيد من 9 أشهر يتعرفون فيه على ما ينتظرهم والأهداف المتوخاة من إرسالهم، وعلى رأسها معرفة الخصائص الجغرافية الطبيعية والاقتصادية لإفريقيا الشمالية، وتاريخ العالم الإسلامي، الفقه الإسلامي، العادات الأمازيغية، القانون الإداري نظام الملكية العقارية(...)مع التركيز على معرفة اللغة العربية واللهجات البربرية[238]، وأصبح اوستري عارفا بالمجال وخصوصيات ساكنته التي عانت من غطرسته وتسلطه في الفترة القصيرة التي كان فيها حاكما للمنطقة.

في هذه الظرفية الحساسة كان قد وصل إلى المنطقة شاب قادم من منطقة سوس تعددت تسميته في المصادر والمراجع المختلفة، فلقب نفسه ب: "أويفروتين" ومعناه بالأمازيغية صاحب القول الفصل في المشاكل[239]، وعرف كما وصفه بذلك سبيلمان بقدراته الخارقة خاصة في مجال الشعوذة والسحر[240]، كما أدعى اعتمادا على ما أوردته جريدة السعادة التي سمته بالسملالي[241]، أنه مولاي امحمد بن السلطان مولاي الحسن المؤهل والأكثر أحقية بالحكم، فكان يحرض الناس على مواجهة المحتل بل ويراسل مختلف قبائل المغرب بذلك[242]. على عادة الزعماء الدرقاويين المحرضين على الجهاد، الذين يرى بعض الباحثين أن التوزونيني كان منهم[243]. هكذا قاد هذا

---

[237]- عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية**، ص. 25، نقل روايته عن الحاج علي أوساكى (اوشكوك) وهو من قصر تاخيامت بالرتب في مقابلة بتاريخ يوم 09 دجنبر 2003م. كما تشير لذلك الإحالة 38.

[238]- Goudard (Capitaine), **Le service des affaires indigènes du Maroc**, La Revue d'Infanterie, V, 86, Mars, 1935, p. 495.

[239]- عبد القادر بوراس، «**مادة التوزونيني مبارك بن الحسين**»، معلمة المغرب، ج8، ص. 2633.

[240]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 82.

[241]- **جريدة السعادة**، ع 1845، بتاريخ 9 دجنبر 1918.

[242]- Capitaine Coutard, «**Chronique Militaire Au Tafilalelt**», France-Maroc, Revue Mensuelle, Troisième Année – N°5, 15 Mai 1919, La Vie au Maroc Librairie Plon – Nourrit, Paris, p. 136, 138 – بوراس، مادة، «**التوزونيني بن مبارك بن الحسن**»، معلمة المغرب، ج8، ص. 2633.

[243]-المصطفى الريس، **مقاومة شيوخ الزوايا للوجود الاستعماري الفرنسي بالمغرب من خلال جريدة السعادة (1907م ـ 1920م)**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط 2015م، ص. 91.

الرجل المقاومة العسكرية الفيلالية حتى ضاق به الفرنسيون ذرعا، فوجهوا إليه الحملات تلوى الحملات، فكان يهزمها بالرغم من أنهم يستعينون عليه بحاميات الجزائر، وكان موسى وحمو(التوزونيني) كما سماه بن جلون يقود رجاله ببسالة فائقة"[244].

وتتويجا لمشروعه دبر التوزونيني خطة جريئة لقتل حاكم تيغمرت بتافيلالت الضابط اوستري يوم 3 يوليوز 1918م[245]، وهو الأمر الذي نجح فيه، مما أجج روح المقاومة ونزع بعض الخوف والرعب الذي كان يعتري كثيرا من الناس من مواجهة الفرنسيين، فحوصرت "تيغمرت" مقر قيادة الاحتلال بتافيلالت، وحاولت فرنسا مواجهة الوضع فكان أن زاد الأمر استفحالا، بعد أن لحقت بها هزيمة نكراء في معركة سميت بالبطحاء أو معركة كاوز كما يسميها الفرنسيون يوم 9 غشت 1918م[246]، فقدوا خلالها عشرات من ضباطهم وفرقة عسكرية كاملة من الجنود السينغاليين بلغ تعدادها ما يربو عن 1200من الجنود المرتزقة[247]، وليصبحوا مطاردين بالمنطقة، وهم في تراجع والمقاومون في أثرهم إلى أن وصلوا منطقة الدَّمْيَة(قرب إيردي) بين الرتب وتافيلالت بعد عناء شديد، فنزلوا وحصنوا معسكرهم بالمدافع تحصينا بليغا، في وقت كان مركزهم بتيغمرت محاصرا بالنكادي ومن معه يحاولون اقتحامه بالقوة، قبل أن ينجح الجيش الفرنسي في اقتحام هذا المركز عنوة وانقاد واخراج من فيه من العسكر، فغادر المكان حتى نزل بالدمية جنوب الرتب واستقر بعد ذلك بأرفود[248].

بهذا أرغم الفرنسيين على التراجع عن تافيلالت إلى أرفود، والتحصن قربه بجبل البليكوس[249]. متخذين وضعية الدفاع أمام توجه المقاومة لشن هجومات مضادة، بغية طرد المحتل واسترجاع

---

[244]- عبد المجيد بن جلون، **هذه مراكش**، مطبعة الرسالة، القاهرة مصر، ط1، 1949م، ص ص. 172، 173.

[245]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي المسلح**، ص. 69.

[246]- مولاي عبد الحميد الاسماعيلي العلوي، **تافيلالت العذراء وعيطة الغرباء، 1912م ـ 1932م**، مطبعة الجسور، وجدة، 2013م، ص. 25.

[247]- استيتيتو، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات**، ص. 320.

[248]- السوسي، **المعسول**، ج16، ص. 275.

[249]- سبيلمان، **آيت عطا وتهدئة آفلا ـن ـ درا**، ص. 83.

المناطق التي كان قد احتلها، كل هذا جعل من إخلاء الفرنسيين لتافيلالت كما أورد ذلك بول دوري حدثا أليما، وعنوانا على الإخفاق الواضح لسياسة ليوطي الذي حاول إخفاء "قضية تافيلالت" بعدما كادت أن تقضي على حياته المهنية وعلى عمله بالمغرب[250].

بعد معركة البطحاء كانت منطقة الرتب والمركز الاستعماري لقصر السوق الذي أقيم في قلب واحة مدغرة، والقواعد التي بدأ الفرنسيون بالتأسيس لها بالمنطقة بهدف تدبير وسائل التهدئة وإدارة السكان حديثي العهد بالاحتلال بالمنطقة الجنوبية الشرقية[251]، من المناطق الأساسية التي صمم التوزونيني على تحريرها وطرد الفرنسيين منها. مما سيجعلها مرة أخرى ساحة للمعارك الطاحنة بين المقاومة والاحتلال؛ بحكم موقعها خلال تلك الفترة كنقطة تماس واحتكاك مباشر بين الطرفين، وبعد الهجوم على أرفود وطرد الفرنسيين من قصور عرب الصباح، انتقلت جيوش التوزونيني صوب مناطق الشمال لتحريرها وإلحاقها بسلطانه.

لكن ابا سيدي بن التهامي ـ قائد قصر السوق بعد الاستقلال ـ في شهادته التي رواها للمختار السوسي يذكر أن التوزنيني وبعده ـ النكادي «**لم يكن مستوليا على الرتب وما إليه من أوفوس وإنما استولى على تافيلالت إلى "أنيفّ الى "حصية" و"تازارين" إلى "ساغرو" وكان "آيت خباش" من** "آيت **عطة**" و"آيت **حمو**" و"**آيت مرغاد**" **والقاطنين في "غريس" هم خاصته وشيعته وجيشه**»[252]. لكن ذلك لم يمنع من انخراط عدد من سكان الرتب في العمل الجهادي الذي انطلق من تافيلالت، فالسوسي يذكر لنا أيضا نقلا عن ابن الخليفة السلطاني بتافيلالت مولاي مهدي بن الرشيد، أنه أثناء هروبه مع أسرته ووالده من تافيلالت الصغرى نحو أرفود كان يتعقبهم رجال المقاومة فلجؤوا إلى جبل أرفود المعروف بالبليكوس، حيث كان الفرنسيون متمركزون في أعلى قمته. وإذ «**ذاك جاء شرفاء أهل الدويرة (بالرتب) إلى أرفود.**

---

[250] – Paul Doury, **Un échec occulté de Lyautey**. **L'affaire du Tafilalet** (**Maroc Oriental 1917–1918**), L'Harmattan, Paris, 2008, p. 319, 320, 321.

[251] – المولودي، **الثنائية الحضرية أرفود ـ الريصاني**، ص. 189.

[252] – السوسي، **المعسول**، ج16، ص ص. 354، 355.

فطلبوا منا أن ننزل عندهم، فقال أحد رفاق الوالد، إننا الآن في مخافة، فلا أمان لنا إلا مع هذا الجيش، فحين لم يلب الوالد طلبهم اقترحوا أن أذهب أنا معهم . فطاب نفسا بذلك . فنزلت عندهم أنا وخادم لي، فلم نشعر أن دخل أرباب مثوانا فيما دخل فيه الناس كلهم، وكانوا مع المسلمين المجاهدين، فيحين سمع النصارى بذلك أرسلوا إلى أهل الدويرة أن يردوني إليهم، قال: فاجتمع أهل (الرتب) أجمعون ببنادقهم، ليمكن لهم أن يوصلوني بأمان إلى أرفود ولكن لم يقدروا لكثرة من يتربصوننا في الطريق. وفي الليل تسربت إلى قصر آخر يسمى ربيت عند رجل أعرفه حيث بقيت يومين مستخفيا»[253].

يثير فينا هذا النص عددا من التساؤلات؛ حول سبب إصرار شرفاء الدويرة على استقدام الخليفة السلطاني الطريد وعائلته إلى منطقة الرتب، فهل يتعلق الأمر بالارتباط الأسري باعتبارهم أشراف؟ أم أنهم كانوا يتطلعون لاستغلال الوضع ونقل مركز قيادة تافيلالت إلى ربوعهم؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون التزاما منهم بسلطة المخزن والفرنسيين إما محابة لهم، أو خوفا من بطشهم؟ ولما لا يكون توجسهم من حركة التزونيني وشكهم في أهدافه ونواياه وراء ذلك؟ ما يزيد الأمر التباسا هو إشارة ابن الخليفة السلطاني مولاي مهدي الذي ذهب مع أولئك الشرفاء إلى الدويرة، حيث لاحظ تبدل مواقف السكان هناك وتسارعهم إلى الالتحاق بركاب مجاهدي المقاومة الفيلالية، مما جعله يحاول الرجوع إلى حيث والده بأرفود تحت حماية الفرنسيين، لكنه فشل في ذلك بسب كثرة المتربصين به من رجال المقاومة، وليعمد بعد فقدانه الأمان إلى الهروب والاختباء بقصر الربيت المجاور للدويرة في انتظار الفرصة والهروب إلى أرفود.

نستنتج من ذلك، أن روح المقاومة ظلت قائمة في نفوس ساكنة الرتب، وأنها كانت تتطلع إلى كل من ينادي بالجهاد، إن صدقا أو ادعاء، حتى بعد سيطرة الفرنسيين على أراضيهم ومولاة قائدها علي احدا المطلقة لهم، هكذا وجدنا بعضهم على رأس الجيوش التي كان يرسلها امبارك

[253]- السوسي، **المعسول**، ج16، ص. 355.

التوزنيني لمواجهة الفرنسيين وأعوانهم نذكر منهم الملقب ب "امبارك الأعور" من قصر عتبة الصديق بالقصر الجديد بالرتب الذي كلف باسترجاع مدغرة من أيدي الفرنسيين، وكان ممن حاصروها يوم عيد المولد النبوي الثاني عشر من ربيع الأول عام 1337هـ/ 1918م[254].

ما حققه التوزنيني من انتصارات باهرة على الفرنسيين جعلت ساكنة المنطقة عموما تتوالى عليه مبايعة له، فوفد عليه أهل مدغرة لكنه تعامل معهم بكل غلظة وأساء التصرف[255].بل وصل به الحد إلى سجن بعضهم، متهما إياهم بعدة تهم[256]، وهو نفس المصير الذي لقاه عدد من أهل الرتب حيث سجنهم كما تقول الروايات بقصر "أبو عام"[257] مما قد يفسر عدم انخراط منطقة الرتب بشكل كبير في حركته التي ستتواصل إلى سنة 1932م حتى بعد مقتل التوزونيني سنة 1919م، حيث تولى أبو القاسم النكادي القيادة مكانه.

في ظل هذا الوضع الجديد، وبعد هذه الانتصارات التي تحققت للتزونيني وأتباعه، بدأت فرنسا تشعر بالخطر الشديد الذي يتهددها، خاصة وأن نجاح الخطة الحربية التي اتخذتها الحملات العسكرية في أعالي ملوية وزيز، وكانت نتيجتها اتصال الحملات بعضها ببعض، وفتح الطريق بين مكناس وفاس وتافيلالت وبوذنيب[258]، أصبحت في مهب الريح بعد تجدد وتصاعد المقاومة، ونجاحها في جعل المراكز الاستعمارية التي شرعت فرنسا في إقامتها (بوذنيب، أرفود، قصر السوق، الريش...) شبه معزولة ومحاصرة[259]، ولم يستطيعوا أن يفهموا ويشرحوا أسباب هذا التعثر أمام

---

[254]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 7، ص. 435.

[255]- محمد المهدي بن العباس الناصري، **نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان، المنتمي الى سوس**. تقديم وتحقيق، خالد ناصر الدين، دار الأمان الرباط، ط1، 2016م. أنظر الصفحات، 204، 205، 206، 207.

[256]- السوسي، **المعسول**، ج 16، ص. 308.

[257]- **السهلاوي**، من أهل الزريكات، رواية شفوية.

[258]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب النسخة العربية**، ع216، بتاريخ 18 يونيو 1917م، ص. 483.

[259]- مولاي الحسن اخروش، «مقاومة تافيلالت للاستعمار الفرنسي، عهد السلطان مولاي يوسف (1912م ـ 1927م)»، **جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة، عهد السلطان مولاي يوسف**، 12 و11 نونبر 2005م، ص. 121.

خصم بدائي تضمن لهم قوة السلاح مسبقا تفوقا ساحقا عليه[260]، مما جعلهم يسارعون إلى استقدام تعزيزات أكبر من مراكز أخرى، ويستعدون لمواجهة الوضع، وهو ما اسفر عن حدوث معركة فاصلة بينهما سميت بمعركة مسكي الرجل[261]. أو معركة مسكي الثانية شمال الرتب، والتي حدثت يوم 15 يناير 1919م، وذلك أثناء عودة المقاومين من معاركهم قاصدين تافيلالت، ليجدوا أمامه جيوش العدو مرابطة قرب مسكي، وهنا وقعت حرب طاحنة دامت 3 أيام، انهزمت فيها جيوش المسلمين وتكبدت فيها المقاومة أزيد من 3000 شهيد[262]. لكن المقاومة مع ذلك كبدت فرنسا خسائر مهمة، أبرزها إصابة الجنرال بويميرو إصابة خطيرة ليأخذ القيادة مكانه الكولونيل مایاد. Mayade كما اضطر ليوطي المقيم العام بالمغرب والمسؤول العسكري الأرفع أن يسافر على وجه السرعة قاصدا بوذنيب ليقف بنفسه على العمليات الحربية الجارية هناك ولزيارة الجنرال الجريح[263].

وبعد أيام قليلة من هزيمة المقاومين في معركة مسكي الثانية حدثت معركة أخرى سميت بمعركة أملكيس يوم 20 يناير 1919م[264]، وذلك بعد تراجع عدد كبير من مجاهدي مسكي وتحصنهم بغابة قصر زاوية أملكيس بالرتب الأعلى قرب مسكي، لكن ماهي إلا مدة حتى لحق بهم المحتل الفرنسي، فاستشهد فيها عدد كبيرا من المجاهدين، ولا زالت منطقة زاوية أملكيس تضم مقبرة ينسب المدفونون فيها لأهل عرب الصباح/تيزيمي[265].

---

[260]– أوغسطين ليون كيوم، **البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912م ـ 1933م)**، ترجمة وتقديم، محمد العروصي، مطبعة work Bureau بني ملال، ط1، 2016م، ص. 25.

[261]– نشير هنا إلى أن عددا من الكتابات تختلف في تسمية معركة مسكي فهناك من يسمي المعركة الأولى التي وقعت بتاريخ 9 يوليوز1916م بمسكي الرجل، وهناك من يطلق هذه التسمية على معركة مسكي الثانية والتي وقعت بتاريخ 15 يناير 1919م، مع الاختلاف أيضا في شرح تسمية الرجل، بين من يربطها بخسارة وتصميم المقاومين على عدم التراجع مما كان يدفعهم إلى ربط ارجلهم بالحبال حتى لا يدب الفزع فيهم ويفروا من ساحة الوغى، وبين من يربط ذلك بالمعطى الطبيعي المتمثل في شكل المنطقة التي وقعت فيها المعركة قرب مسكي والتي تشبه الرجل.

[262]– المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي المسلح**، ص. 208.

[263]– **جريدة السعادة**، ع 1867، بتاريخ 20 يناير، 1919م.

[264]– **Historique du Bataillon**, p. 55.

[265]– **عبد الرحمان الخلطي** (ولد سنة 1936م بزاوية أملكيس) رواية شفهية، أجريت معه المقابلة يوم 15/ 02/ 2020م.

بنهاية معركة مسكي الثانية سنة 1919م يمكن القول، إن عهد المواجهات الضخمة بمنطقة تافيلالت والتي تقوم بالاعتماد على الجيوش المنظمة انتهى، وأن عهد التمرد المسلح المعلن بالرتب وغيرها من المناطق بدأ يتوارى، بعد أن أصبحت المنطقة خاضعة كليا لسلطة المحتل الفرنسي، يساعده في ذلك ممثلو المخزن الذين كان للمحتل دور بارز في اختيارهم، وفي مقدمتهم القائد التقي بن الشيخ محمد العربي الدرقاوي ثم القائد علي احدا وإخوته. والذين طبعوا تاريخ المنطقة بكثير من الأحداث والصور المخجلة والمؤلمة خلال فترة ترأسهم قيادة المناطق المذكورة، لدورهم الكبير في ترسيخ سلطة المحتل وإدارته ومؤسساته بالمنطقة، والمعاملة القاسية التي عاملوا بها ساكنة المنطقة، مما أرغم عدد من الأسر والأفراد على الهجرة بعيدا عن مسقط رأسهم، في حين صمم البعض على الاستمرار في مواجهة المحتل وأعوانه باعتماد أساليب جديدة في المقاومة هي أقرب إلى المقاومة السرية سواء منها السلمية أو المسلحة.

7 ـ 2 ـ المرحلة الثانية ما بين 1919م ـ 1956م.

اتسمت المرحلة الممتدة ما بين 1919م و1956م بنوع من الاستقرار بالمجال الرتبي عموما، لكن ذلك لا يعني غياب أي مقاومة أو مواجهة مع المستعمر وذيوله بالمنطقة، فالروايات ومجريات الأحداث وسياقاتها قمينة بأن تكشف لنا عن محطات لافتة، أكد فيها عدد من الرتبيين على أن روح المقاومة ورفض الاحتلال لم تندثر ولم تمت في قلوبهم، بل كان لعدد منهم مساهمات ومشاركات وازنة في درب التحدي والنضال وإن اختلفت طرقه وأساليبه، كما نرصد خلال هذه المرحلة محاولة المستعمر إعادة تنظيم المجتمع الرتبي من خلال إحداث مجموعة من التغييرات وإقامة عدد من المؤسسات والمشاريع في ميادين مختلفة مازالت آثارها ونتائجها قائمة إلى اليوم.

ففي ما يتعلق بالجانب الأول المتصل بالمقاومة، نسجل سعي المستعمر لفرض سلطته بالمجال ككل من خلال إقامة مركز عسكري حصين، بالمنطقة راع في اختياره عدد من الشروط الأمنية، حيث عمد إلى إنشائه في منحدر أو سفح لأحدى الهضاب المشرفة على منطقة التقاء واد زيز ووادي أوفوس ليشكل بذلك حزاما أمنيا طبيعيا يمنع تعرضه لأي هجوم جماعي كبير ومفاجئ، فكان بمثابة ثكنة عسكرية فريدة، شبهتها إحدى المصادر الفرنسية بالقلاع التي توجد في سورية وتطل على نهر العاصي نظرا لوقعها على منحدر يشرف على ملتقى وادي أوفوس وزيز[266].حيث تمركز بها لمدة قبل أن ينتقل إلى مكان قريبا جدا لكنه أقل انحدارا، يعرف اليوم بمركز أوفوس[267]. وقد كان هذا المركز–القلعة يعتبر من المراكز الاحتياطية للقوة المحتلة، ويقوم بمهمة تأمين المجال الأوسط لوادي زيز، ويتلقى بدوره الدعم من مركزي قصر السوق وأرفود، وكانت هذه الثكنة العسكرية تأوي حوالي 25 من القوات النظامية و65 من أفراد القوات الإضافية[268].

---

[266]- Cdt. F. G, «**La Route du Tafilalet**. **LA Vallée du Ziz**», La Terre Marcaine: Revue Illustrée, Casablanca, 1/ 07/ 1930, p. 2396.

[267]- مازالت بقايا تلك القلعة العسكرية ماثلة في الجهة اليسرى للطريق الوطنية رقم 13 حاليا باتجاه مدينة أرفود، على بعد أقل من كيلومتر واحد من مركز أوفوس.

[268]- تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت إزدك**، ص. 280. جدول مترجم عن الوثيقة الفرنسية التالية:

- S. H. A. T, 3H 1039: Col, Defrere, Com, du, Territoire de Midelt, au G, Freydenberg, Com, de la Région de Meknès, Plan de Défense du Territoire de Midelt n° 36/ 8/ 1927, Tableau II, p. 18.

إلى جانب ذلك كان الفرنسيون قد أقاموا بعد معركة البطحاء سنة 1918م، مركزا آخر بالقرب من قصر الزاوية الجديدة بالرتب الأسفل على الضفة اليسرى لوادي زيز عرف باسم مركز "عرق يعقوب"[269]، والذي ساهم بدور مهم في تأمين السد الذي أقيم بجواره، ورغم تمركز حوالي 60 عسكريا بهذا المركز إلا أن قدرته على التصدي لهجمات المقاومين كانت ضعيفة[270].

عمد المستعمر أيضا إلى إقامة أو استغلال أبراج للمراقبة على امتداد مرتفعات الرتب المشرفة على قصور وأماكن استقرار السكان بجوار ضفتي واد زيز في مجراه بالمنطقة من الشمال إلى الجنوب، خصوصا أن معالم عدم الخضوع التام لدى السكان كانت واضحة أمام المتحكمين بالقرار العسكري بالمنطقة، وهو ما تدل عليه تلك المواجهات التي قامت بين الطرفين من حين لآخر، لاسيما وأن خطر المقاومة الفيلالية ظل قائما، فضلا عن سعي أبي القاسم النكادي المتواصل لبسط نفوذه في عدد من المناطق، معتمدا أسلوب تحريض القبائل والسكان ضد المستعمر وأعوانه، ولم يتوقف إلا بعد القبض عليه ونفيه إلى قرية عيون سيدي ملوك شرق المغرب[271]. وإن كانت المعلومات حول مقاومته ما بين 1918م و1932م عامة ومحدودة وأحيانا غامضة[272].

ورغم كل الترتيبات الأمنية التي اتخذها المستعمر وأعوانه بالرتب إلا أن ذلك لم يمنع من حدوث مواجهات كان أبرزها تلك المعارك التي قامت بين الأهالي والمحتل وأعوانه والتي ما زالت الروايات الشفهية تذكرها ووثقت لها بعض المصادر سواء المغربية أو الأجنبية، مثل معركة عرفت

---

[269]- Ministre de la guerre état- Major de l'Armée _ service Historique, **Les armées françaises dans la Grande guerre**. Tome IX, 9, Troisième Volume, Les Opérations au Maroc, Paris, 1939, p. 157, 182.

[270]- S. H. A. T. 3H 1039: Col. Defrere, Com. du, Territoire de Midelt, p. 18.

[271]- علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة السابعة، 2010م، ص. 114.

[272]- بوكبوط، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار**، ص. 93.

محليا "بالخزان"[273] نسبة إلى اسم شعبة بالمنطقة بالقرب من قصر الزاوية الصادقية، والتي دارت فيها هذه المواجهة بين المقاومين من جهة والفرنسيين وأعوانهم من جهة أخرى، وسقط فيها خلق كثير، وقد أرخت لها المصادر الفرنسية المختلفة ب20 أكتوبر 1928م[274].

تبرز حدة المواجهة بين الطرفين خلال هذه المعركة في إشارات عدد من الصحف الفرنسية لها، وفي ذكر بعض أسبابها والمتمثلة فيما كان يتعرض له الفرنسيون من مواجهات وغارات بالمنطقة[275]، بينما ذكرت إحدى الجرائد أن المهاجمين أو ما أسمتهم بِقُطَّاعِ الطرق هاجموا القوات المحتلة بمجال أوفوس لكنها تصدت لهم[276]، في حين ذكرت بعض الدراسات المحلية أن هذه المواجهة عرفت بحادثة الجير أو جير الغسلة، ونجمت عن إقدام المقاومين على قتل عدد من الفرنسيين وأعوانهم، مما حدى بهؤلاء إلى إعدام عدد من الأشخاص بعد اتهامهم وتحميلهم المسؤولية عما وقع، ومنهم عسو نايت السعيد، وهو من العائلات المهمة بقصر آيت اسفول بآيت عميرة وبحوزة أسرته بعض ظهائر التوقير من المخزن[277]، كما ذكر من الذين استشهدوا في هذه الواقعة شخص اسمه بوتمزغوت[278].

---

[273]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 388. أورد الفلالي اسم "**معركة الخزان**" لكنه أرخ تاريخها بسنة 1916م وهذا يبين أن الأمر يتعلق بمعركة سابقة حملت ربما نفس الإسم على الصعيد المحلي، أو قد يكون هناك خلط في التسمية وخاصة أنه أردف كلامه بقوله أن الفرنسيين بعد انتهاء هذه المعركة قاموا بإعدامات ميدانية أعقبوها بجمع ذوي الشهداء أمام أجسادهم وأمرهم بترديد كلمة أنا فرحان، وهذه الرواية تنطبق على قام به الفرنسيون حسب الروايات في "**معركة الخزان**" المؤرخة ب 20 أكتوبر سنة 1928م.

[274]- **Archives de la guerre**, volume mis à jour à la date du 9 mai 1932, Charles- Lavauzelle et Cie (Paris) 1932, p. 195.

[275]- **Les Annales coloniales**: organe de la "France coloniale moderne" Vingt –neuvième Année – N° 160, Lundi Soir, 29 Octobre 1928, p. 2.

[276]- **L'Œuvre** Paris, N° 4776, Dimanche 28 Octobre, 1928, p. 2.

[277]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 94.

[278]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي المسلح**، ص. 302.

وتشير الروايات المحلية إلى أن هذه المعركة الدموية لم تتوقف إلا بدخول الصادقيين أتباع الزاوية الصادقية بالرتب، بين الجموع المتقاتلة بسلاههم البيضاء، وبذلك أسهموا في حقن ما تبقى من الدماء التي كانت في عمومها بين أبناء المنطقة من الموالين أو المعارضين للاستعمار[279].

واذا كانت معلوماتنا قليلة عن حركات المقاومة وأنشطتها بمجال الرتب، بعد تراجع المقاومة المسلحة عقب معركة صاغرو سنة 1933م، فإننا مع ذلك نسجل ورود أسماء عدد من المقاومين من قصور الرتب المختلفة ضمن صفوف جيش التحرير، كما توضح سجلات أسماء هؤلاء ونذكر من بينهم:

جدول رقم 11 : قائمة بأسماء بعض أبناء الرتب من قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير[280].

اسم المقاوم	القصر الذي ينتمي له	رقمه الترتيبي
محمد بابا حاج	ربيت	508091
ابراهيم بنكرين	حدد مكان اقامته بقصر حنابو أرفود.	510678
محمد عمراوي	الكارة	510933
م. الشريف فضيلي	الدويرة	512799
سيدي عمي حبيض	الدويرة	518005
م أحمد فضيلي	الدويرة	518210
يوسف بوسيف	تخيامت	519599
م المهدي البلغيتي	الدويرة	519605
محمد واسعيد	اولاد عميرة	519607
محمد قديري	الدويرة	519619
ابراهيم سعبول	الزاوية الجديدة	519622
المداني بوصحابة	الدويرة	519762
محمد السهلي	(ادرج ضمن أعضاء المقاومة وجيش التحرير لكن عنوانه أشار إلى أولاد الزهرة عرب الصباح أرفود)	522403

[279]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 89.

[280]– **إحصاء عام لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1992م، ص ص. 82 ، 105، 107، 123، 169، 184،185، 209. **متحف المقاومة وجيش التحرير بالرشيدية** جدارية بأسماء أعضاء جيش التحرير المغربي المنتمين لإقليم الرشيدية، قائمة مقاومي قيادة أوفوس. أنظر الملحق الوثائقي رقم5 ص. 547.

انخراط بعض أبناء الرتب ضمن صفوف جيش التحرير جاء بفضل الاتصالات التي بدأها قادة هذا الأخير بمختلف جهات المغرب، فتم الاتصال بمناضلي الريصاني بواسطة الحاج بريك الفلالي، ليكلفهم بدوره بالاتصال بمقاومي باقي المناطق ومن بينهم مقاوموا منطقة أوفوس وعلى رأسهم مولاي الزهيد وحبيض عمي بن بابا[281]، حيث تحمل كل واحد منهما المسؤولية عن خلية من الخليتين اللتين تم إنشاؤهما لقيادة المقاومة بمجال الرتب/ أوفوس[282]. وقد كان لمولاي الزهيد دور مهم في الحصول على بعض الأسلحة لفائدة المقاومة بفضل علاقته المميزة مع عدي أوبيهي، واستغلاله لعلاقة هذا الأخيرة المتوترة بالفرنسيين الذين اقدموا على عزله عن مركز القيادة بموطنه كراندو والريش، لكي يحصل منه على معلومات حول المخابئ السرية للأسلحة والذخيرة[283]. كما وردت أسماء أخرى من أهل الرتب/أوفوس، انخرطت في العمل الجهادي ضد المحتل خاصة بعد نفي محمد الخامس سنة 1953م[284]، حيث قامت بأعمال بطولية ضد مصالح المستعمر وأفراده والمتعاونين معه، لكن أمر بعض هذه الخلايا أكتشف سنة 1955م فاعتقل العديد منهم على رأسهم أربعة من قصر السوق واثنان من أوفوس، وثمانية وعشرون من أرفود[285].

لكن بالمقابل سجلت لنا عدد من الروايات الشفهية المحلية، وكذا بعض المصادر الفرنسية المختلفة مواقف ومحطات لمشاركة عدد من أهل الرتب إلى جانب المحتلين في أحداث عسكرية مختلفة، رغم أن كثير منهم كانوا مكرهين على المشاركة[286]، وتجلت هذه المشاركات في بعض المواجهات سواء بمجال تافيلالت أو خارجه، ففي عملية احتلال قصر أولاد الزهراء على بعد

---

[281]- رشيدة مدغري علوي، **مسار كفاح المقاوم زين العابدين الحبيب بلعباس العلوي**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 1، 2010م، ص ص. 55، 56.

[282]- مدغري، **مسار كفاح المقاوم زين العابدين**، ص. **60.**

[283]- نفسه، ص. 65.

[284]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج11، ص ص. 530، 531.

[285]- أحمد المحرر، «**المقاومة في إقليم الرشيدية**»، ضمن مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 8، يونيو 1984م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1998م، ص. 52.

[286]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج8، ص. 270.

7كلم من أرفود جنوبا مثلا في ماي 1930م، كان شيخ الرتب آنذاك علي احدا من الذين شاركوا على رأس مجموعة من البراطيزة الرتبيين التابعين له في عملية الاحتلال هذه[287].

كما كان لعلي احدا أيضا دور مهم في معركة "بوكافر" سنة 1933م، إلى جانب الفرنسيين، ففضلا عن مشاركته مع فرقته في العمليات ضد المقاومين في هذه المعركة ضمن كتيبة زيز الصحراوية، كان له دور مهم في التواصل مع بعض الفروع العطاوية المقاومة بغية إقناعهم بضرورة الاستسلام وبعدم جدوى المقاومة، خصوصا من فرع آيت انبكي التي ينتمي إليها وهو ما توج باستسلام عدد من أسر هذه القبيلة بصاغرو[288]، فضلا عن تعرض علي احدى نفسه للإصابة في المواجهات التي حدثت في بوكافر، نقل على إثرها إلى الرتب حسب بعض الروايات الشفهية لأهل المنطقة[289]. ودون أن نغفل كذلك عن إلحاق عدد من أفراد سكان الرتب ضمن فرق الكوم العسكري الذين نقلوا لجبهات المواجهة بأوروبا إبان الحرب العالمية الثانية[290]، حيث كان بعضهم بالرتب يحصل على راتب من فرنسا لمشاركته في هذه الحرب[291].

هذا من الناحية العسكرية لكن بالموازاة مع كل ذلك أدخلت فرنسا على منطقة الرتب مجموعة من التغيرات، وأنشأت به عددا من المؤسسات مازال بعضها قائما ويمارس نفس الأدوار التي أسس من أجلها زمن الاستعمار، وإن اختلفت الغايات والوسائل.

---

[287]- Rapport politique Mensuel Période du 21 Avril au 20 Mai 1930, de Territoire du Sud, N° 1891/A.I.S. 12Juin 1930. Dossier Tafilalet, Carton 14 MA/ 900/ 215, Série Meknès, A. D. N. p. 10.

[288]-جورج سبيلمان، **آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا**، ترجمة وتقديم احمد احدى، BJ PRINT، أكادير، ط2، 2011م، ص. 182، 191.

[289]- رواية **السهلاوي**، من أهل الزريقات.

[290]- **الكوم**: لفظة أصلها(القوم) أطلقها الجزائريون على الجنود المحاربين واستعملها الفرنسيون كاسم على عدد من الفرق العسكرية، عبد الحق المريني، **مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من الحسن الأول إلى عصر جلالة الحسن الثاني**، دار المناهل للطباعة والنشر 1996م، ص. 190.

[291]- **رواية يوسف المخزن** (63سنة)، بتاريخ 12 مارس 2019م، ذكر فيها مشاركة والده ضمن من ذهب أو أجبر على الذهاب من منطقة الرتب إلى أوروبا في الحرب العالمية الثانية ما بين 1939م ـ 1945م، كما ذكر حصوله على راتب محدود ظل يتقاضاه إلى حين وفاته. أنظر الملحق الوثائقي رقم 6، ص. 548.

على المستوى الإداري، حرص المستعمر على إدخال نمط التسيير الإداري العصري في طريقته للتدبير اليومي لشؤون المناطق التي تم إخضاعها، وانسجاما مع مقتضيات بنود الحماية، التي نصت على الاحتفاظ بأجهزة الحكم التقليدية المغربية، المتمثلة أساسا بالقياد والشيوخ في المناطق القروية، في مقابل تطويرها وإعادة تنظيمها، ثم إقامة أجهزة إدارية فرنسية موازية لمراقبة الجهاز المخزني المحلي، عمل الفرنسيون أولا على ربط مسؤولية المناطق التي تم إخضاعها بعموم تافيلالت ومنها الرتب الذي سيطر عليه منذ 1916م، بمركز قيادته ببوذنيب آنذاك، وكانت هذه الأخيرة بدورها تابعة لمركز قيادة الحدود الشرقية الجزائرية المغربية، خاصة وأنها صنفت منذ البداية من الجهات العسكرية بالمغرب، وتعزز ذلك بصدور مرسوم مقيمي في 11دجنبر 1923م يؤكد هذه الوضعية[292]، حيث كان ليوطي يعتبر تهدئة تافيلالت على رأس أولوياته بهذه الجهة وصرح قائلا «**حقيقة أن تافيلالت حاليا في أيدينا بالشكل الذي يمكننا من الآن فصاعدا تأمين كل البلاد الواقعة في شرق ملوية وزيز وتافيلالت حتى المنطقة الحدودية مع الجزائر، القضايا المطروحة أمام التهدئة وأما سيطرتنا على المنطقة قد حسمت**»[293].ولهذا حرصت القوات الفرنسية على إخضاع المنطقة بشكل مرحلي أي السيطرة عليها جزءا بعد جزء، وكلما تم إخضاع مركز من المراكز اتخذت فيه قاعدة عسكرية وجعلت على رأس قيادته ضابطا عسكريا[294].

---

[292]– يحيا عبد الكبير، **تقسيم التراب والسياسة الجهوية بالمغرب نحو اعتماد جهوية سياسية**، مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الرباط، 2010م، ص ص. 64، 65.

[293]- Daniel Rivet, **Lyautey et l'institution du protectorat**, T 2, p. 66.

[294]– محمد الفلاح العلوي، «الجنوب الشرقي المغربي بين المقاومة والعمل الوطني منطقة تافيلالت نموذجا»، **ندوة "المقاومة المغربية في الجنوب الشرقي"** أكتوبر 1998، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير 2000، ص. 72.

كل ذلك، يبين ما عرفه مجال الرتب من إجراءات على مستوى التنظيم الإداري، فقد عمد الفرنسيون إلى إنشاء مكتب خاص بالشؤون الأهلية بالمنطقة على غرار المناطق المجاورة مثل أرفود جنوب الرتب وقصر السوق شماله، فاستحدث مركز أوفوس في 1920م ـ 1921م، وحظي بمركز للشؤون الأهلية، ثم حذف لسنوات قبل أن يتم إعادته مجددا في شتنبر 1948م، تولى رئاسة هذا المركز ضباط برتب عسكرية مختلفة، وكان خاضعا وتابعا لمكتب الشؤون الأهلية بأرفود، هذا الأخير كان يتولى منذ وقت مبكر مراقبة قصور وادي زيز من الرتب إلى أرفود قبل بسط السيطرة على تافيلالت[295]. كما عكس ذلك القرار الوزاري الصادر في 21 أبريل 1927م[296]، وقد توالى على قيادته عدد من المسؤولين الفرنسيين يوضح الجدول التالي أسماءهم وفترة توليهم مسؤولية الأشراف على هذا المركز:

[295]- Lucien Saint, «**La vie Administrative L'organisation du territoire Sud de Meknès**», Les Annales coloniales: organe de la France coloniale moderne, Trentième Année, N° 106, 8/ 7/1929, Paris, p. 2.

[296]- Revue Algérienne, Tunisienne et Marocaine de législation et de jurisprudence/ publiée par la Faculté de droit d'Alger, 3° et 4° Lois, Decrets, Arretes, ETC, (Algérir, Tunisie et Maroc), Tome 44, Année 1928, p. 10.

جدول **رقم 12: لائحة الضباط الفرنسيين الذين تعاقبوا على رئاسة مركز أوفوس**[297].

الرتبة	الاسم	تولى المهمة	
		من	إلى
اليوتنان	De TOURNEFIRE	09 نونبر1926م	ـــــ
اليوتنان	LACOMME	ـــــ	04 يولوز 1929م
اليوتنان	CHAUVIN	04 يولوز 1929م	06 دجنبر 1929م
اليوتنان	De CHAPPEDELAINE	22 نونبر 1929م	19 دجنبر1929م
اليوتنان	LACOMME	06 نونبر 1930م	16 دجنبر 1930م
السوليوتنان	DAUTREMANT	16 دجنبر 1930م	ـــــ
اليوتنان	VAULONT	منذ نونبر 1948م	24 أبريل 1950م
اليوتنان	LAVOIGNAT	29 دجنبر1950م	أبريل 1953م
الكابتان	DEFOUR Jacques	16 أبريل 1953م	16 فبراير 1955م
الكابتان	SALKIN	26 يوليوز 1955م	24 شتنبر 1955م
الكابتان	RINJONNEAU	20 فبراير 1956م	ـــــ

[297]- Affectation et Mutation Survenues dans le Personnel d' Autorité Au Cours de l' Année 1953, dans le Territoire du Tafilalet, Année 1953, N° 4 / IJCT/C, 29 Janvier 1954, Dossier Territoire du Tafilalet, de Fin d' Année 1953, Carton 1MA/ 285/389, Série D.I, A.D.N.

- Rapport politique Mensuel Période du 21 Juin au 21 Juillet 1929, de Territoire du Sud. Dossier Tafilalet 1929-1939 Carton 14 MA/ 900/ 215, Série Meknès. A. D. N.

- Rapport politique Mensuel Période du 21 Novembre au 20 Décembre 1930, de Territoire du Sud. Dossier Tafilalet 1930, Carton 14 MA/ 900/ 215, Série Meknès. A. D. N. p. 1.

- Rapport politique Mensuel Période du 21 Novembre au 21 Décembre 1929, de Territoire du Sud. Dossier Tafilalet 1929- 1939, Carton 14 MA/ 900/ 215, Série Meknès. A. D. N. p. 2.

-عوني، **التحولات الادارية**، ص.123.

وبسبب التغييرات التي كانت تعرفها إدارة المجال من حين لآخر فقد كان مثلا اليوتنان ألبي ALBY الذي شغل منصب المساعد الأول لرئيس مكتب دائرة أرفود ينوب أحيانا عن رئيسي مركزي الجرف وأوفوس[298].

في الوقت نفسه وتماشيا مع فلسفة نظام الحماية نجد المحتل الفرنسي قد عمل على الاحتفاظ بتمثيلية القصور في تدبير شأنها المحلي من خلال اختيار شيوخها، لكن تدخلاته لم تكن غائبة من خلال فرض حصولهم على ظهائر التعيين من السلطان حتى يكتسبوا مشروعية تمثيلية، كما حرص على تعيين من ساعدوه في عملياته للسيطرة على المنطقة وإخضاع أهلها إن سلما أو حربا، فعلى الرغم من أن المستعمر حرص على إبعاد شيوخ القبائل العطاوية عن منصب القيادة إلا أن قائد الرتب علي احدا كان استثناء[299]، نظرا لأدواره المتعددة في عدد من محطات لإخضاع المنطقة والجنوب الشرقي عموما، مما زاد من مكانته لدى الفرنسيين.

هكذا نجد هؤلاء وبعدما كانوا جعلوا منطقة الرتب في البداية تحت حكم مولاي التقي بن الشيخ محمد العربي الدرقاوي ما بين سنة 1916م و1921م بعد أن عينوه قائدا على زيز، حصروا قيادته بعد ذلك على منطقة مدغرة التي لا تزيد قصورها على اثنين وثلاثين قصرا[300]، ليكلف علي احدا (ولد بأولاد شاكر حوالي1890م) بآيت عطا الرتب ما بين 1920م و1941م، هذا الأخير ومنذ إنشاء مركز أوفوس 1920م ـ 1921م عين شيخا على آيت امناصف وشرفاء الرتب، وأضيفت له آيت خباش سنة 1923م، ليعين خليفة على كل الرتب في 29 فبراير 1932م وبعد ذلك عين بظهير عام 1933م قائدا لآيت عطا بأوفوس الرتب إقليم

---

[298]- عوني، **التحولات الإدارية**، ص. 129.

[299]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 122.

[300]- **المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية(المذهب المالكي والعرف البربري والقانون الاسرائيلي**، ع3، السنة الأولى، بتاريخ ـ 1936م ـ 1935م، الباب الثامن، ص. 6.

تافيلالت، واستمر كذلك إلى أن توفي بمنزله في فنكيك[301] قرب أوفوس يوم 1941/8/20م[302]. بعد وقت قصير من توشيح محمد الخامس له أثناء زيارته للمنطقة في 25 ماي 1941م بوسام الدولة العلوية[303]

استمر أمر تسيير قيادة الرتب بيد أفراد أسرة احدا رغم وفاة علي احدا، إذ تولى تدبير المنطقة أخوه يوسف احدا والمعروف باسم "ابا ايشو"، والذي شغل منصب قائد على الرتب لعشر سنوات ما بين سنة 1941م و1951م بعد تعيينه رسميا بموجب ظهير 29 أبريل 1942م، لكن السلطة الحقيقية كانت بيد خليفته وابن أخيه. إبراهيم بن علي احدا الذي عين قائدا على أوفوس منذ 1951م إلى حين زوال الاحتلال الفرنسي[304].

شارك إبراهيم هذا إلى جانب ممثلي السلطة الاستعمارية في إدارة شؤون مجال الرتب، حيث كان يتحكم في إدارة 3121كانون/ أسرة أي ما مجموعه 14255 فردا تقريبا، موزعين على ست مشيخات، شهدت في فبراير 1951م عملية اختيار شيوخها السنويين، وهم لحسن احدى شيخا على آيت خباش وباها بن مولاي علي آيت اسفول وامحمد اوحسيني على آيت أومناصف، وامحمد اوعلي الحواطيش والسيد محمد بن التهامي على الشرفاء، وأخيرا البشير بن أحمد شيخا على الزريقات[305] وقد كان هؤلاء الشيوخ يتعرضون أحيان لمعاقبة سلطات الحماية إن

---

[301]– منطقة على بعد حوالي 5كلم شمال مركز أوفوس، حيث يوجد منزل احدى وأبناؤه بشكل منعزل ويشبه قلعة حصينة على منحدر مجاور للطريق الوطنية رقم 13جهة اليسار باتجاه مدينة الرشيدية.

[302]–الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 153.

[303]- Le petit Marocain, « **Le Triomphal Voyage de S. M. le Sultan Au Tafilalet**», 29e année N° 7148, Lundi 26 Mai 1941, p. 2.

[304]– عوني، **التحولات الادارية**، ص. 42.

[305] - Capitaine Salkin, «**Chef du Poste d' Aoufous au Chef du Cercle d'Erfoud**», Rapport N° 416 A.I.A. 12 Aout 1955, Dossier Fiche de Tribu des Ait Atta du Rteb, Carton 14 MA/900/ 275, Série Meknès, A.D.N.

هم عارضوا سياستها أو خالفوا القوانين المنظمة، على غرار ما فعلته مع شيخ آيت خباش الرتب "علي واسو" الذي تمت معاقبته بمئة فرنك غرامة على سوء ممارسته لوظيفته[306].

استمر نظام المشيخة حتى بعد رحيل المستعمر، لكنه تجمع في خمس مشيخات كبرى، نلخصها في الجدول التالي:

جدول رقم 13: **توزيع أهم القصور على المشيخات في قيادة أوفوس/ الرتب**[307].

المشيخة الفوقانية	المشيخة الوسطى	مشيخة الكارة	المشيخة السفلى	مشيخة الزريقات
زاوية أملكيس، الجرامنة، زويوية. زوالة. أولاد شاكر، أولاد عيسى	أوفوس المركز. آيت خباش آيت سفول زاوية أوفوس ربيت	قصر الجديد تاخيامت. الكارة	ـ الزاوية الجديدة البلاغمة ـ الدويرة المعاركة ـ تمعاركيت ـ الزاوية القديمة البطاطحة	الزريقات: القنطرة أولاد ناصر الحارة الرحبة القصبة

ووعيا من المحتل بخصوصيات ساكنة الرتب وبتقسيماتها القبلية، حرص على ضمان استمرار التوازن القبلي منذ بداية احتلاله للمنطقة، فكانت مسؤولية القائد علي احدا في البداية محصورة في العطاويين من آيت اومناصف، إلى جانب الشرفاء. بينما أسندت مهمة العطاويين الرتبيين الخباشيين إلى أحد شيوخهم، قبل أن يتم عزل هذا الأخير لتمنح لعلي احدا قيادة المجال ككل من جديد، كما حافظ المستعمر على تمثيل قصور المنطقة من خلال حضور ممثلين لها في تركيبة ما سماه بجماعة قبيلة آيت عطا وشرفاء الرتب (زيز)، والتي أحدثت بموجب الباب السابع من قرار

[306]- Rapport Trimestriel, 2° Trim, 1938 de Cercle d'Erfoud ou Territoire de Tafilalet, N° 965, p. 27 Juin 1938, Carton 14 MA/900/ 284, Série Meknès, A.D.N.

[307]- وثيقة توزيع المشيخات بقيادة أوفوس، إقليم الرشيدية. 1996م.

وزاري صادر بتاريخ 20 يناير 1928م وضمت 14 عضوا وكانت تابعة لدائرة بوذنيب[308]، لكنها سرعان ما أصبحت بعد إعادة تنظيم تراب الجنوب وتقسيمه إلى 3 دوائر هي كراندو، وبوذنيب، وأرفود تابعة لهذا الأخير، وتقلص عدد أفراد الجماعة إلى 13 عضوا، طبقا لقرار وزاري صادر 7 فبراير 1930م[309]. ورغم التغييرات التي قام بها الفرنسيون في تنظيم المجال ككل إلا أن تركيبة جماعة آيت عطا والشرفاء والقبالة بالرطب(الرتب) ظلت تابعة لدائرة أرفود وحافظت على نفس عدد أعضائها في حدود 13 عضوا[310]، وذلك إلى حين بزوغ فجر الاستقلال حيث أعيد تنظيم الأقاليم بالمغرب فاستمر مجال أوفوس تابعا لدائرة ارفود، ضمن إقليم قصر السوق لكن عدد أفراد جماعته ارتفع إلى 21 عضوا[311].

ومع بزوغ فجر الاستقلال عرف التدبير الإداري بعد التغيرات بعد رحيل ممثلي المؤسسات الاستعمارية تدريجيا، وسينتهي معها حكم أسرة آيت احدا وتوليها لمنصب القيادية بأوفوس، بعد أن تم تعيين إحدى الشخصيات الوطنية المنتمية لجيش التحرير، وذات المواقف البطولية على رأس قيادة أوفوس/ الرتب في 10 فبراير 1956م وهو مولاي الزهيد بن محمد العلوي والمولود بقصر الجديد بالرتب الأوسط[312].

---

[308]- **الجريدة الرسمية للحماية الفرنسية بالمغرب (النسخة العربية)**، ع **799**، بتاريخ 14 فبراير 1928م، ص. 418.

[309]- نفسه، ع **910**، بتاريخ 4 أبريل 1930م، ص. 822.

[310]- نفسه، أنظر، ع **1061**، بتاريخ 24 فبراير 1933م، ص. 312./ ع **1233** بتاريخ 12 يونيو 1936م ص. 818./ ع **2118** بتاريخ 20 ماي 1953م، ص. 1985.

[311]- نفسه، ع **2458**، بتاريخ 4 دجنبر 1959م، ص. 3423.

[312]- عوني، **التحولات الإدارية**، ص. 43.

أما على المستوى الاقتصادي، فقد تجلت أهم التغيرات التي عرفها مجال الرتب إبان الفترة الاستعمارية في تحويل المحتل لمركز التجارة بالمنطقة من قصر الزريقات الذي كان يحتضن الأسواق الأسبوعية الثلاثة التي كانت تعقد بالمنطقة قبل الفترة الاستعمارية، كما ترصد لنا ذلك عدد من المصادر التي أشارت دائما إلى أهمية سوق الزريكات وأهمية السلع التي كانت تباع فيه[313]، وما يبرز أهميته أكثر أنه كان يعقد ثلاث مرات في الأسبوع أيام الثلاثاء والخميس والجمعة[314]، فضلا عن تجمع عدد مهم من الحرف به[315]، لكن هذا السوق بأيامه الثلاث التي كانت تعقد فيه نقل إلى المركز المحدث بأوفوس بعد أن أجبر الناس على الانتقال إلى هذا الأخير، من أجل القيام بعملياتهم التجارية المختلفة، حيث أصبح بمثابة سوق جامع لقصور وقبائل المنطقة إلى اليوم.

وفي إطار التحكم الاقتصادي الذي سعى له المستعمر من خلال إحداث شركات الاحتياط الأهلية التي كانت تقدم قروضا للفلاحين، وتسهر على تأطير الفلاحين وغير ذلك من المهام التي تخطت المجال الفلاحي إلى المشاركة في إقامة مؤسسات خدماتية[316]، فقد تم سنة 1928م إحداث الشركة الأهلية الاحتياطية ببوذنيب مركزها بوذنيب وتضم سبعة فروع؛ منها فرع لآيت عطة وشرفاء الرتب بزيز[317].

ثم تحولت تبعية هذا الفرع سنة 1930م إلى الشركة الأهلية الاحتياطية بتراب الجنوب التي مركزها بقصر السوق، وتشمل أيضا سبعة فروع منها فرع أوفوس المشتمل على قصور وادي زيز (عمالة الرتب العالي والأسفل)، كما جاء في الباب الثاني من مرسوم إحداث الشركة المذكورة[318]. وبعد إعادة تسمية هذه الأخيرة سنة 1934م بالشركة الأهلية الاحتياطية لتراب تافيلالت؛ أصبح فرع هذه الشركة بآيت عطة وشرفاء الرتب فرعا من الفروع التابعة لأرفود الشركة الأم المحدثة

---

[313]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[314]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 58.

[315]- Daguin F, «**Aux confins du Tafilelt en 1923**», Revue philomathique de Bordeaux et du Sud-Ouest. 35 année N°1, Janvier-Mars, Bordeaux,1932, p. 23.

[316]- ثامر عزام حامد سليم الدليمي، **الإدارة الفرنسية في المغرب 1939 ـ 1956م**، مطبعة، دار غيذاء، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص. 43.

[317]- الجريدة الرسمية **للحماية الفرنسية بالمغرب النسخة العربية**، ع **812**، بتاريخ 15 ماي 1928م، ص. 1492.

[318]- نفسه، ع **904**، بتاريخ 21 فبراير 1930م، ص. 450.

والتي استمر مركزها بقصر السوق[319]، ثم عدلت أيضا سنة 1937م[320]. وبعد ذلك حُلَّتْ شركات الاحتياط بتافيلالت وعوضت بأربع شركات جديدة[321]، منها واحدة بأرفود، الذي قسمت شركته إلى 7 فروع منها فرع الرطب ويضم كما ورد في الجريدة الرسمية "**آيت عطة والشرفاء والمرابطيين للرطب**"[322].

أدخل المستعمر أيضا تغييرات جوهرية في مجال الرتب بعد أن أقدم على تحويل مسار الطريق التجاري القديم المار وسط قصور الرتب ووسط الحقول والغابة إلى محاداة السفوح الجبلية والهضبية البارزة على طول الطريق ما بين أرفود وقصر بوسعيد[323]، حتى يتجنب الهجومات المفاجئة التي قد يتعرض لها بجانب الطريق، أو انقطاع الطريق نتيجة فيضانات واد زيز، حيث شرع في السنوات الأولى من عشرينيات القرن الماضي في شق طريق جديد وعصري (الطريق الوطنية رقم 21 سابقا رقم 13 حاليا) أصبح معه التنقل ميسرا ومختصرا جدا من مكناس إلى حدود أرفود مرورا بمناطق عدة منها الرتب[324]، الأمر الذي سمح ويسر تنقل العربات سواء الخاصة بنقل البضائع أو الأفراد والجنود. وسهل في الوقت نفسه محاولة الفرنسيين الاستفادة واستغلال خيرات المنطقة، ممثلة أساسا في مادة الفحم التي عمل على استخراجها[325].

لم يكن الشأن التعليمي بالرتب خارج إطار اهتمام المستعمر باعتباره أداة ووسيلة لمحاربة التعليم التقليدي الذي دأب عموم المغاربة على تلقيه بالمساجد والزوايا وداخل البيوت، هكذا رأت النور أول مدرسة ابتدائية إسلامية بأوفوس سنة 1943م، بالمركز الجديد " أوفوس" الذي أنشأه المستعمر بقلب مجال الرتب بجوار قصور أولاد عميرة، وكانت إدارة هذه المدرسة مسندة إلى أحد

---

[319]- نفسه، ع **1139**، بتاريخ 24 غشت 1934م، ص. 1157.

[320]- ج ر،(**النسخة العربية**)، ع **1239**، بتاريخ 6 غشت 1937م، ص. 1335.

[321]- نفسه، ع **1826**، بتاريخ 24 أكتوبر 1947م، ص. 1348.

[322]- نفسه، ع **1965**، بتاريخ 23 يونيو 1950م، ص. 1291.

[323]- Colonel Puissant, «**Construction par service du génie de la route de Ziz de Boua sidi a Erfoud**», Revue du Génie Militaire; Paraissant tout les mois, 38e Année – Tome LXVII – Juillet 1930, P. 475.

[324]- Vidalon(G), Rapport sans n° daté en 1929, adressé au Général Nieger, In S.H.A.T, 3H, 118.

[325]- Le petit Marocain, 34e année N° 9312, Samedi 25 Mai, Casablanca, 1946, p. 1.

الفرنسيين، هو برواسن بول Paul Broissand والذي ظل يسيرها طيلة الفترة ما بين 1943م و1952م قبل أن يحل محله طايلر روجي Roger Thealler كمدير جديد بها خلال الفترة ما بين 1952 و1957م[326].

وما زالت ذاكرة بعض شيوخ الرتب ممن درسوا بهذه المدارس، تذكر أسماء بعض من درس بها حيث كان معظمهم في البداية من الأجانب قبل أن يتم مغربة أطرها وطاقمها تدريجيا، وممن دَرَّس بها المدير الثاني لها طايلر روجي Roger Thealler ومولي جون Jean Moulie وجبير روجRoger Jauber والأنيسة جسيتسان جينين Jeannine Jestin، ومن المغاربة نذكر سنديجي محمد[327].

لم يقتصر إحداث المدارس على مركز أوفوس بل امتد إنشاؤها إلى قصور آخرى يبينها الجدول التالي:

جدول رقم 14:عدد تلاميذ مدارس منطقة أوفوس/ الرتب للموسم الدراسي 1952م ـ 1953م[328].

مدرسة	عدد التلاميذ
أوفوس	95
زاوية أملكيس	52
أولاد عيسى	35
أولاد شاكر	95
القصر الجديد	61
الزاوية القديمة	95
الزاوية الجديدة	51
الزريقات	88
الدويرة	50

[326]- Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'Instruction Publique, **Livre d'orde l'école**, Editions A .Moynier et Cle, Casablanca, 1950.p. 6.

[327]- **Archives de l'école primaire d'Aufouss**, Registre Matricule de l'école primaire musulmane
d'Aufouss, Ecole mixte,Ridigé par Mr .Thealler Roger, en date du 1 janvier 1947.

[328]- Protectorat de la République Française au Maroc, p. 23, 25, 45, 65.

بناءً على الأرقام الواردة في الجدول السابق، يتبين الأعداد المهمة من أبناء الرتب التي غدت تلج التعليم العصري في المدارس التي أقيمت إبان الفترة الاستعمارية، بعد أن وصل عددهم إلى 622 تلميذا، دون إغفال إنشاء أقسام خاصة بالفتيات في الموسم الدراسي 1953م ـ 1954م.

هكذا رصدنا على امتداد المرحلة التي خضع فيها المجال للسيطرة الفرنسية المباشرة ما بين 1916م ـ 1956م أن منطقة الرتب وساكنته عموما، واجهت المستعمر بكل ما أتيت من قوة، ولم تخضع إلا بعد معارك فاصلة، كان لهم فيها بصمات واضحة وعرفت بعدها المنطقة تغيرات مهمة وعميقة سواء من الناحية العسكرية أو الادارية أو الاقتصادية، كما أن معظم المصالح والمؤسسات الصحية والتعليمية والقضائية التي أقيمت بها ظلت تابعة لمراقبة دائرة أرفود وتحت إشرافها المباشر، مع إجماع مختلف الصحف والكتابات الأجنبية التي تطرقت للمنطقة على وصفها بالجمال الطبيعي[329]. وقد جاءت هذه المرحلة استمرارا لما عرفه الرتب طيلة القرن التاسع عشر من تغيرات داخلية توجت بالسيطرة العطاوية، التي أنهت هيمنة القبائل العربية المعقلية والأسر الشريفة على هذا المجال التي امتدت منذ نهاية العصر الوسيط وطيلة الفترة الحديثة، إلى أن وصل الفرنسيون وأخضعوا الجميع لسيطرتهم، وأنهوا بذلك الصراعات التي لم تنقطع بهذا المجال سواء بين القبائل أو بين هذه الأخيرة والمخزن.

[329]- René Janon, «**Le Résident Général Lucien Saint est Arrivé a Erfoud**, **Au Seuil du Tafilalet**», L'Echo d'Alger: journal républicain du matin, Alger, 21e Année – N° 8144, 26 /01/ 1932, p. 1.

الباب الثالث: الحياة الاجتماعية والأنشطة الإنتاجية والخصائص العمرانية بالرتب.

الفصل الأول:

العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية، وتطوراتها بمجال الرتب.

الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية وتطوراتها بمجال الرتب.

تدفعنا مختلف التطورات والتحولات التي مرت منها منطقة الرتب؛ وما صاحب كل ذلك من انعكاسات على مختلف المجالات، إلى محاولة تتبع ما ميز هذا المجال وساكنته من تطورات اجتماعية متنوعة ومتوالية، نظرا للتباين والاختلاف الكبير في خصوصيات المجموعات البشرية التي تعاقبت أو تعايشت مع غيرها أثناء استقرارها بمنطقة الرتب، سواء على المستوى الثقافي لهذه المجموعات، وكذا خصوصياتها الدينية، وطبيعة تنظيمها الداخلي، إلى جانب درجة تأثيرها على بعضها البعض وعلى محيطها، بدء من المقارنة بين نمطي العيش اللذين قامت على أساسهما حياة ساكنة المنطقة، مهما اختلفت عصبيتها القبلية أو العرقية، والتي لم تحد على نمطي الاستقرار والترحال وأحيانا المزاوجة بينهما، أو ما يسميهم البعض بأنصاف الرحل.

رافق كل ذلك تطور وتحول مهم ومستمر في طبيعة التنظيم الاجتماعي، والمؤسسات الساهرة على ضبط شؤون المجتمع، وحل مشاكله وقضاياه المتجددة والمتطورة، ليس نتيجة التحركات القبلية الداخلية المتعاقبة فحسب؛ لكن أيضا نتيجة خضوع المجال برمته لقوة استعمارية خارجية أجنبية فرضت تغيرات عميقة في أسلوب حياة سكانه، وكذا في طريقة تدبير وتسيير شؤونه.

هذا دون إغفال ضرورة الوقوف على ما اشتهر به المجال في فترات مختلفة من عطاء فكري وثقافي، مازالت بقاياه وأثره واضحة وجلية من خلال مختلف الانتاجات الفكرية المحفوظة في بعض الخزائن داخل البلاد وخارجها، فضلا عن أعلام لم يلق معظمهما الاهتمام والتعريف الكافي من قبل معظم الدارسين والمهتمين بشؤون المنطقة الثقافية والدينية، والتي سنعمل على إماطة اللثام عن البعض منها، وإبراز أهم أدوارها وأعمالها، دون أن ننسى التعريف بأشهر الزوايا والأعراف التي أثرت ووجهت حياة وسلوك عدد من الساكنة، وكان لها مساهمة فعالة وأساسية في المحافظة على كثير من القيم والمثل والطقوس والتقاليد التي ورثتها وتناقلتها الساكنة الرتبية جيلا بعد جيل.

1- نمط حياة سكان الرتب بين الاستقرار والترحال وانعكاساته.

يلفت انتباهنا بمجال الرتب/ أوفوس وجود أسر ما تزال تعتمد في أسلوب حياتها على الترحال والتنقل بالمجال ومحيطه وإن كانت بأعداد قليلة[1]، لكن البحث في هذه القضية وبالاعتماد على بعض المؤشرات التاريخية الواردة في عدد من المصادر والمراجع المختلفة، وما عُرفت به حياة العناصر القبلية التي وجدت أو عاشت في هذا المجال، يبرز بوضوح أن هذا النمط من العيش قديم بالمنطقة، بل إنه كان الأساس والطاغي على نمط حياة السكان قبل تحولهم نحو الاستقرار، وهذا ما يفرض علينا ضرورة الوقوف على هذين النمطين للتمييز بينهما ورصد خصوصياتهما.

فمما لاشك فيه أن المجال الذي نحن بصدد دراسته والوقوف على ما ميز حياة ساكنته، وما طبعت به هذه الحياة من خصوصيات على رأسها تأثيره في حياة مختلف القبائل التي عاشت فيه، عرف تحول معظمهم تدريجيا من حياة الترحال والتنقل إلى حياة الاستقرار منذ وقت مبكر، ومن الاعتماد على النشاط الرعوي، وعلى ما يسمى بالانتجاع والرعي، إلى ممارسة النشاط الزراعي والاهتمام بالغراسة، إلى جانب اعتمادهم على أسلوب تربية المواشي في الحظائر[2].

هذا الأسلوب في العيش كان له دور وتأثير بالغ على جوانب متعددة من حياتهم، والنظم والتشريعات التي اعتمدوها في تدبير شؤونهم اليومية، هكذا رصدنا على امتداد المرحلة التاريخية التي تغطيها دراستنا حركة مد جزر بين حياة الترحال والاستقرار، كما رصدنا أنه كلما اقتربت القبائل المستوطنة للرتب من الاستئناس بحياة الاستقرار إلا وجاء زحف وتحرك جديد لقوى رحلية جديدة[3]، سرعان ما تتحول بدورها إلى حياة الاستقرار، وهو ما يتماشى إلى حد بعيد مع النظرة التي ترى أن حياة الاستقرار وما ترمز له من دعة وراحة غالبا ما قد تكون سببا في فقدان القبيلة

---

[1]- وقفت على وجود هذه الفئة من الرحل بالمجال المدروس أثناء مشاركتي في عملية الإحصاء العام للسكان والسكنى، الذي أجري بالمغرب سنة 2014م، كمراقب لهذه العملية بجزء من قيادة أوفوس(جماعتي أوفوس والرتب).

[2]-لحسن تاوشيخت، «**القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش**»، ص. 24.

[3]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 62.

لروحها العصبية الجامعة، وتبعث على الخلاف والفرقة والخمول وبالتالي تهييئ ضمنيا لميلاد قوة جديدة تمتلك ما كانت تمتلكه القبيلة المستقرة قبل ضعفها.

وإذا ما نحن حاولنا إسقاط هذه القواعد التي ذكرنا على الرتب؛ نجد أن هذا المجال وبعد أن استقرت به عناصر بشرية لا تتفق مختلف المصادر والدراسات على تحديد هويتها وفي تحديد ظروف وزمان استقرارها، قبل أن تتضح معالم هذه الوضعية مع قدوم القبائل العربية منذ القرن7هـ/ 13م، كانت قبائل رحلية بالأساس، أغلبها قادمة من الشرق بكل حمولتها الثقافية وطباعها وعاداتها وتقاليدها، وما رصده الوزان ومارمول فيما كتباه عن الرتب[4]؛ يبرز بوضوح غلبة طابع البداوة على هذه القبائل وعزوفها عن الاستقرار وميلها إلى التنقل الدائم، معتمدة على القوة الضاربة لها بفضل فروسية أبناء القبائل والطباع الحربية والخشونة التي امتلكوها واستطاعوا بها فرض سيطرتهم على القبائل المستقرة بالمجال.

فلا خلاف بين الباحثين في قضية الرحل والمستقرين، من أن مجال تافيلالت عموما ظل مجالا لتنقل قبائل الرحل عبر التاريخ إلى حين تأسيس الدولة المدرارية وبناء مدينة سجلماسة[5]، وحتى بعد بناء هذه الأخيرة لم يكن سكانها يعرفون الاستقرار، فهم في ترحال دائم، ولهم إلمام تام بجغرافية المنطقة التي تستعصي على كل أجنبي عنها[6]. لكن التساؤل ظل حول من كان له الأسبقية في الاستقرار؟ لنجد الاتجاه الطاغي في الجواب على هذا السؤال؛ يرجح أسبقية العناصر السوداء من الزنوج والاثيوبيين[7]، حيث يرى البعض أن ممارسة أنشطة الاستقرار بهذه المناطق رُبِطَت

---

[4]– الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص ص. 124، 123./ مارمول، **إفريقيا**، ج. 3، ص. 187.

[5]– إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص ص. 114، 115.

[6]– الامراني، **التحولات المجتمعية وتطور الدولة**، ص ص. 31، 32.

[7]– سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص ص. 24، 25. يرى سبيلمان أن هذه العنصر المستقر بداية في هذا المجال كان يمثل" **فئة دنيا رغم كونه ليس أقل أهمية، لأنه يساهم بقسط وافر في الحياة الاقتصادية للبلاد، ويتكون من سكان مستقرين يطلق عليهم حسب المناطق دراوة وركاكة وفيلالة وأيضا قبالة، وهذه التسمية الأخيرة أكثرهم شمولية، وينقسمون حسب أصولهم إلى طبقتين مختلفتين: الأحرار والحراطين فالأحرار هم عرب أو أمازيغ مستقرون غير منضوين في قبائل ويعيشون في قصور، أما الحراطين فهم زنوج أو مولدون مستقرون بدورهم يختلطون بالأحرار، وينحدرون في أغلبهم من العبيد المستوردين قديما من السودان أو السنغال، ولكنه ليس مستبعدا أن يكون عدد منهم آخر ممثلي العنصر الأثيوبي القديم الزنجي الشكل، الذي يبدو أنه أول من سكن البلاد**". ص. 25.

بإحدى العناصر الساكنة في المنطقة ومنها العنصر الأسود المسمى بالحراطين، بينما كان العنصر الأبيض بالرتب متنقلا، وارتبطت حياته بالرعي في مختلف الفترات، وانتمى هذا الأخير إلى عناصر بشرية متنوعة، فهناك الزناتيون والعنصر المعقيلي وبعض قبائل آيت عطا في الفترات اللاحقة، والذين عززوا وضعيتهم بقوانين تضمن تفوق هؤلاء الرحل على باقي العناصر[8]، لدرجة جعلتنا نذهب إلى كون الرتب كان يعيش نتيجة ذلك ما يمكن أن نسميه بالتراتبية الاجتماعية أو الطبقية، التي جعلت الحراطين في وضعية وسط بين العبيد والأحرار، وهي ناتجة أساسا ليس عن ارتقاء اجتماعي؛ بل هي نتيجة لاسترقاق مجموعة بشرية كانت مستقرة في هذه المنطقة الواحية؛ استعبدت واستغلت من قبل البدو والرحل الذين دخلوا الواحات عموما، وبما أنهم لم يكونوا عبيدا في الأصل، فإن القادمين الجدد وضعوهم في هذه المرتبة الاجتماعية الوسطى بين العبودية والحرية[9].

نجد تبعا لذلك؛ أن معظم المقارنات بين الرحل والمستقرين تربط بين ثنائيتين متضادتين ربط القوة بالرحل، والضعف بالمستقرين، في هذا الصدد يبين البير عياش «**أن ثمة مواجهة تاريخية بين كتلتين قبليتين متباينتين من حيث نمط عيشهما وهما قبائل الرحل وقبائل المستقرين، مبرزا أن الكتلة الأولى تتميز بقوتها وشراستها نظرا لطبيعة عيشها، ولذلك فإنها ظلت دوما ترنو للسيطرة على المناطق الخصبة، كما كانت الواحات في المجال الصحراوي هدفا لها، فظلت تشن عليها الهجوم بعد الآخر، إلى أن استطاعت فرض نفسها عليها، وهو الأمر الذي كان يدفع سكان الواحات إلى طلب الحماية من طرف قبائل أخرى ذات قوة مشهودة، إلا أن الأمر سرعان ما انتهى في الأخير إلى نتائج لم تكن في حسبان المجتمع الواحي، ونعني بذلك هيمنة القبائل الرحل على القبائل المستقرة واخضاعها بل استعبادها**

[8] - Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 268, 269

[9] - أعفيف، **توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات**، ص. 83.

إلى درجة أن القبائل الأصل تحولت في مناطق كثيرة إلى مجرد "خماسين" داخل اراضيهم»[10].

كل ذلك يبرز لنا أن هذه المنطقة كانت تسكنها إلى جانب مجتمع المستقرين هذا بتراتبيته «**قبائل رحل بربرية وعربية تربطهم بالمستقرين علاقات تبادل عادية، وحينما تضطرب هذه العلاقات بسبب الجفاف أو بعض الأزمات الأخرى، يفرض الرحل حمايتهم على المستقرين مقابل ما يحتاجون إليه من ضروريات العيش مثل الحبوب والتمر، وحينما يتعدى احتياج الرحل القدر الذي يستطيع المستقرون توفيره يحل الرحل محل المستقرون في الأرض، ويتقهقر هؤلاء إلى حالة اقتصادية واجتماعية مشابهة لحالة الحراطين، فيسمى هؤلاء المستقرون المتقهقرون ((حراطين))، كذلك لا يتميزون إلا بلفظة البيض التي تلحق بهذه التسمية (الحراطين البيض) »**[11].

والجدير بالذكر هو أن القبيلة الواحدة قد تكون تعتمد في بداياتها على حياة الاستقرار لكن الظروف المختلفة قد تقود القبيلة أو جزءا منها، وفي أحيان كثيرة بمعية قبائل أخرى إلى التحول نحو حياة الترحال، فمناطق جبل صاغرو مثلا حيث يقع قصر إغرم امزدار موطن نواة الاتحادية العطاوية التي تأسست برعاية عبد الله حساين ولي زاوية تامصلوحت، استقطبت مجموعة من القبائل الرحل ذوي الأصول الصنهاجية[12]. حيث استقروا به بعضا من الزمن، ليتحولوا من جديد إلى حياة الترحال ويتمددوا في مجالات عدة منها الرتب، وهذا ما يجعلنا نذهب إلى أن القبيلة الواحدة قد تنتقل من حياة الترحال إلى الاستقرار ثم تعود إلى الترحال، وهكذا دواليك تبعا لمجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

---

[10]- عياش، **المغرب والاستعمار**، ص. 264.

[11]- مزين، «**تافيلالت مهد الدولة العلوية**»، ج4، ص. 19.

[12]- السبتي، **بين الزطاط وقاطع الطريق**، ص. 267.

كما أن الظروف المناخية كان لها غالبا أبعد الأثر في معظم التحركات القبلية التي عرفها المغرب، وفيما يمكن أن يحدث من تعايش أو مواجهات بين الرحل والمستقرين، فالسنوات المطيرة غالبا ما تتميز بالهناء، لكن السنوات الجافة لاسيما عند تواليها لأعوام؛ كثيرا ما تؤثر سلبا على الطرفين المستقرين والرحل أو أنصاف الرحل، هؤلاء الذين يعتمدون أساسا على الرعي؛ ويمتاز نمط عيشهم بالقلة وشظف العيش؛ وغالبا ما تقذفهم مجالاتهم بالصحاري وهوامشها بأعدادهم الهائلة نحو واحات السكان المستقرين، الذين يصبحون تحت رحمتهم واستغلالهم، ليتحول أولئك الرحل إلى مستقرين بعد تعبهم من حياة الترحال، ويأسهم من انتهاء فترات الجفاف الطويلة، وموت الماشية المتواصل[13].

وإذا كان المعقليون وغيرهم من القبائل العربية الرحل قذفتهم مناطق المشرق الاسلامي البعيدة نحو الشمال الإفريقي عموما ومناطق المغرب المختلفة لاسيما نحو مناطق الجنوب الشرقي ومنها الرتب التي بقيت تستقبل هجرات متوالية من الشرق[14]، فإن جبال صاغرو وبسبب الظروف نفسها تقريبا قذفت كذلك بقبائل الحلف العطاوي الرحل نحو واحات تافيلالت والرتب وغيرهما. هكذا نجد أن القبائل الرعوية استولت على كثير من المناطق سواء باستخدام أسلوب الترهيب أحيانا، أو حتى بالمصاهرة الصريحة في أحيان أخرى، كما كانت تغيير باستمرار على القصور المتواجدة على طول أودية غريس وزيز وكير وغيرهم. هذه الوضعية المتأزمة بين الرحل والمجموعات الواحية في الجنوب الشرقي نتجت أساسا كما سبق وأن ذكرنا عن اختلال التوازن بين السكان والموارد الاقتصادية، بالإضافة إلى طول فترات الجفاف في ظل اقتصاد يتسم بالندرة، الشيء الذي جعل هذه المجموعات والغارات التي كانت تنظمها هذه القبائل تعتبر نشاطا اقتصاديا إضافيا كغيره من الأنشطة الاقتصادية التي تمارسها من رعي للأغنام وتجارة القوافل[15]، وهو ما يجعلنا نقول أن

---

[13]- احدى، «**القبائل الأمازيغية بالجنوب الشرقي المغربي**»، ص. 141.

[14]- ابن منصور، **القبائل المغربية**، ج1، ص. 273.

[15]- الحادك، **جوانب من مواقف الزوايا الدرقاوية**، ص. 62.

حياة المستقرين بالرتب تميزت بغياب الاستقرار إجمالا، نظرا لتوالي التحولات بفعل استمرار التحركات القبلية لقرون عدة، مما كان يؤثر بشكل قوي على نمط عيشهم وطبيعة حياتهم وكذا علاقاتهم.

هكذا نجد أن المجال المدروس ارتبط تاريخه بمجموعة من التحركات القبلية المتواصلة على امتداد المراحل التي نحن بصدد دراستها، مما جعل كل تحول أو موجة جديدة من التحرك القبلي تعيد رسم معالم المجال على كافة المستويات، وتصيب بنياته بتغيرات جوهرية قد تقطع تدريجيا مع ما سبقها، مما غيب عنا كثيرا من المعطيات والأخبار، وأحدث أحيانا قطيعة في التراكم المعرفي عن المنطقة، بشكل واضح ومتسلسل، نظرا لهذه التحولات الطارئة والمتعاقبة، لاسيما وأن هذه التنقلات المستمرة، وغير المنتظمة أحيانا قد تؤدي إلى عودة انتشار حياة البداوة، وتراجع مظاهر حياة الاستقرار، بل من الممكن أن يترتب عنها تحول في نمط العيش أيضا[16]. وإن كنا نرصد إجمالا وبشكل واضح موجتين بشريتين حطت رحالها تدريجيا بالرتب وهما القبائل العربية والقبائل العطاوية دون أن نلغي وجود موجات سابقة تنوعت الإشارات والتلميحات غير المباشرة إليها.

ففيما يخص القبائل العربية التي استوطنت الرتب وكان لها دور في توسيع عملية الإعمار به، ببناء عدد من القصور إلى جانب تلك القصور الأخرى المفترض أو المحتمل وجودها قبل مجيئهم كما سبق وأشرنا؛ امتازت حياتها بعدد من الخصوصيات التي انعكست بلا شك على الرتب وساكنته، خصوصا من الذين كانوا به قبل وصولهم إليه، فلقد أشار الوزان بكل وضوح إلى الوضعية التي كان يعيشها سكان قصور الرتب الكثيرة العدد زمانه (ق10هـ/ 16م) قائلا: «**والسكان خاضعون للاعراب، بخلاء جدا وجبناء، لا يقدر مائة من خيرة فرسانهم على مجابهة عشرة من فرسان الأعراب**(الذين كانوا يخيمون بمناطق متاخمة لمكان استقرار السكان

[16]- أحمد عمالك، «أزمة (1071 ـ 1072) وأثرها على أوضاع المغرب في أثناء قيام المولى رشيد»، ضمن **أعمال الدورة الأولى، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية**، ص. 226.

بالرتب)، **يخدمون أراضيهم لهؤلاء الأعراب كما لو كانوا عبيدا لهم**»[17]. وهذا يبين أن الأعراب الذين يتحدث عنهم الوزان هم عرب المناهبة أو المنبات إحدى فروع القبائل العربية المعقلية، والتي يبرز أنها كانت تتنقل في الصحاري المجاورة للرتب، كما يبدو حالة الضعف الشديد التي كان يعيشها السكان المستقرون بالرتب آنذاك، لدرجة أن فارسا واحدا من هذه القبائل العربية كان تعجز أمامه 10 من سكان الرتب المستقرين، وهذا ما جعل الوزان يصفهم بالضعف والجبن والبخل أيضا.

نفس الملاحظات السابقة سجلها أيضا مارمول مؤكدا على أن الرتب «**توجد به عدة قرى ومداشر يسكنها قوم من البرابر ينتمون إلى قبائل آيت غريس، لكنهم لا يتحدثون بلهجة الغريسيين، علاوة على ذلك، يتصفون بالبخل والخوف والجبن، حتى لو اجتمع مائة رجل منهم، لا يستطيعون أن يغلبوا عشرة رجال من الأعراب، وهذا ما يشجع الأعراب على استعبادهم واستخدامهم بالمجال في الأشغال الفلاحية وغيرها**»[18]. هنا انفرد مارمول بتحديد انتماء جزء من السكان الذين كانوا بالرتب إلى البرابر وإلى قبائل آيت غريس، وإن كانوا لا يتكلمون بلهجة الغريسيين، ولعل هذا ما جعل بن محمد القسطاني يذهب في رصده لتحركات القبائل العربية المعقلية إلى أنه وأثناء اجتياح هذه الأخيرة للواحات الجنوبية خلال الفترة المرينية دفعت القبائل الأمازيغية التي كان بعضها مستقرا بالمناطق التي تعرضت للغزو والاجتياح، إلى الانتقال من الزراعة إلى الترحال، الأمر الذي جعله يميز بين ما أسماه أمازيغ ما قبل المعقل وما بعده[19].

ويكمل مارمول قوله بتحديده لأعداد أفراد القبائل العربية المترددة على الرتب بقوله «**يطل ـ الرتب ـ من جهته الشرقية على جبل جذب أما في غربه فلا توجد إلا منطقة رملية يحط فيها**

---

[17]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص ص. 124، 123.

[18]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 154.

[19]- قسطاني، **الواحات المغربية قبل الاستعمار**، ص. 66.

أعراب أولاد المنبهي البالغ عددهم ألفي نسمة كلما عادوا من ليبيا، فينصبون الخيم، ويتحينون الفرص لابتزاز أهالي الإقليم، إذا ما تبين لهم أن السلطات الحاكمة غير قادرة على منعهم من ذلك»[20].

يبدو واضحا من كل ذلك ما كان لهذه القبائل العربية الرحل من سطوة على مجالات ما وراء جبال الأطلس بإقليم سجلماسة وبالرتب على وجه التحديد، ويتجلى ذلك في استمرار فرضهم الإتاوات الباهظة على القبائل الأخرى خاصة من المستقرين حتى بعد تعاظم قوة السعديين، وذلك بفضل تحالفهم مع هؤلاء، وبفضل الإمدادات التي كانوا يقدمونها للحكام السعديين وقبلهم للحكام المرينيين، الذين تعاونوا مع هؤلاء الأعراب وتنازلوا لهم على مناطق عدة استنزفوا أهلها بالإتاوات[21]. ولم يقتصر هذا الأمر على الأمازيغ في المنطقة بل إنهم أحيانا استحوذوا على قبائل عربية أقل منهم بطشا وثراء، فأخضعوها لنفوذهم، هكذا استقرت الفروع القبلية العربية بالواحات الخصبة ومنها الرتب، وتوارثوا الأراضي الجماعية، وتبنوا أسلوب حياة البرابر، لكن أهم نشاط تجاري عندهم، إلى جانب ما ذكرنا اقتصر على سبي العبيد من بلاد السودان وبيعهم في عدة مدن[22].

كل ذلك، جعل هؤلاء الأعراب يؤثرون بشكل كبير على التجارة الصحراوية خاصة في الطريق الرابط بين سجلماسة وفاس والمارة من الرتب، كما تسببوا في تراجعها نظرا لأعمال النهب وقطع الطرقات التي كانوا يقيمون بها أحيانا أو بسبب الإتاوات الباهظة التي كانت تدفع لهم مقابل تأمين

---

[20]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 154

[21]- Abdellah Laroui, **l'histoire du Maghreb un essaie de synthèse**, François Maspero Paris 1970, p. 196.

[22]- مارمول، **إفريقيا**، ج. 3، ص. 187.

القوافل وعدم نهبها[23]. الأمر الذي جعلهم أصحاب السلطة بهذه المجالات؛ يملكون مطلق الحرية في التصرف بها، خاصة بعد الضعف الشديد الذي أصبح عليه المرينيون وخلفائهم الوطاسيون[24].

ولعل القبائل العربية المعقلية بدأت تستأنس شيئا فشيئا بحياة الاستقرار بمجال الرتب، وتتخلى شيئا فشيئا عن الترحال والتنقل خاصة بعد انهيار الدولة السعدية، لكنها ما كادت تتأقلم مع وضعها الجديد حتى انطلقت موجات جديدة لزحف قبلي جديد قادم هذه المرة من جبال الأطلس الصغير، حيث بدأت احتكاكاته بالمجال تبرز منذ القرن11هـ/ 17م، يتعلق الأمر بالقبائل العطاوية التي وصلت بدورها للرتب وفاقت قوتها ونفوذها غيرها من القبائل العربية المستقرة به إلى جانب الفئات الاجتماعية الأخرى، من حراطين ويهود بل وحتى الأشراف أنفسهم[25].

وقد خص الفرنسي جورج سبيلمان قبائل آيت عطا وتحركاتها بدراسات مختلفة أهمها دراسة بعنوان "**آيت عطا الصحراء وتهدئة إفلا ن درا**" تناولت جوانب من تاريخها ونشأتها ومكونات حلفها، فضلا عن رصد مظاهر حياتها، وعلاقاتها المتشعبة، لكن ما يثير الانتباه هو ربطه حياة معظم هؤلاء العطاويين بنمط الترحال، وإن وقف بدوره في المرحلة التي تزامنت مع وجود المحتل الفرنسي وتغلغله في البلاد على توجه عناصر كثير من فروع هذه القبيلة نحو حياة الاستقرار، ومن بين أهم ما رصده سبيلمان بخصوص آيت عطا نذكر:

. ربط سبب تأسيس اتحادية آيت عطا في القرن السادس عشر؛ بمواجهة ورفع النير العربي، كما أبرز أهمية الوحدة بين القبائل العطاوية في نجاحها وتحقيقها لهذا الهدف، وبين أنها طالما بقيت مهددة ظلت صلبة ومقاتلة[26].

---

[23]- Meunie, **Le Maroc Saharien**, T1, p. 67.

[24]- دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ص. 12.

[25]- المعزوزي والعلوي، **الكفاح المغربي**، ص. 100.

[26]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 35.

- إبرازه أن مقام العطاويين في مناطق شبه صحراوية، حيث الحياة قاسية جدا، وإدراكهم في ذات الوقت لمهانتهم السابقة وقوتهم الحالية، أثر في رد فعلهم العنيف ضد أسياد تلك المناطق من القبائل العربية[27].

- وسمه لمعظم قبيلة آيت عطا بالرعاة، مع ملاحظة ميلهم وتوجههم للاستقرار، لأن ذلك حسب رأيه بات مفروضا عليهم في كثير من الحالات بفعل الظروف السياسية أو الوسط الجغرافي[28].

ما تلمسه سبيلمان من ميل هذه القبائل نحو الاستقرار، هو ما عبر عنه روس إ دان من خلال إشارته إلى أن فروع آيت عطا التي تسكن في منطقة أسفل وادي زيز خاصة من فرع آيت خباش، كانوا ينتقلون بأغنامهم وجمالهم في منطقة واسعة شرق تافيلالت وغربها وجنوبها، كما كانوا يسكنون في الخيام على طول السنة، رغم أن آيت عطا الآخرون خاصة من آيت امناصف يسكنون في الغالب في القصور خلال شهور فصل الشتاء، ورغم ذلك فالفرعين معا والذين ينتميان إلى خمس آيت انبكي كانوا يختلطون ويسيطرون على منطقة الرتب، على بعد بضعة كيلومترات شمال تافيلالت. وتقترب حياة هذين الفرعين من النمط العام لحياة آيت عطا، فتسكن الديار كل سنة أو جزء منها، وينتقل أولئك الذين يغادرون قراهم في الربيع والصيف نحو الغرب من زيز في اتجاه وادي غريس الأوسط وجبل صاغرو[29].

إجمالا نجد أن سكان الرتب عاشوا ثنائية الاستقرار والترحال، مع غلبة النمط الأخير على ساكنتها خاصة من العطاويين، وذلك إلى حدود نهاية القرن 19م، باعتبارهم مثلوا آخر الموجات القبلية وصولا للرتب، وهو ما عزز وجود هذا النمط واستمرار آثره ومظاهره إلى اليوم، قبل أن تساهم عدة عوامل في توجه غالبيتهم نحو نمط الاستقرار، الذي كان يتم بكل سلاسة، مع سرعة في التأقلم مع هذا النمط المخالف لما نشأوا عليه وتربوا في ظله[30]، في تزامن مع التدخل الاستعماري الفرنسي الذي قَطَّعَ أوصال المجالات الرعوية التي كانت تحت نفوذهم.

---

[27]- نفسه، ص. 29. أفرد سبيلمان الصفحات من ص. 30، إلى ص. 35. في كتابه هذا للوقوف على عدة خصائص ومميزات لحياة القبائل العطاوية وعاداتها وتقاليدها وسلوك أفرادها.

[28]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 51.

[29]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي**، ص. 77.

[30]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 31.

2 – علاقات الصراع والتعاون بين قصور الرتب والمجالات المحيطة بها.

تُخَلِّفُ دراسة مجال الرتب وتتبع تطوراته السياسية والاجتماعية انطباعا خاصا لدى الدارس لها؛ تجعله يسم تاريخ المنطقة إجمالا بالطابع الحربي، وبالصراعات التي ما تكاد تنتهي حتى تنطلق من جديد، بل إن نشأة قرى المجال وتوسعها نفسها حسب البعض؛ كان أحد إفرازات الصراعات والحروب التي اتخذ بعضها البعد القبلي، والبعض الآخر البعد الاقتصادي، وفي كثير من الأحيان كانت الحروب البينية الداخلية حاضرة بقوة، الأمر الذي يمكن أن نستشفه من خلال بعض المصادر، على الرغم من محدودية المعلومات التي تقدمها لنا، لكن رغم ذلك يمكننا بالاعتماد على الروايات الشفهية أن نكتب عشرات بل ومئات الصفحات عن هذه المواجهات الداخلية، التي عند الاستماع إلى أصحابها ومحاولة تركيبها وترتيبها يستعصي على الباحث الخروج بتصور واضح عن أسبابها وأطرافها ونتائجها، بل ويزداد الأمر صعوبة بسبب الخلط الذي يطبع كثير منها، سواء في تحديد الفترات الزمنية لها، أو الأطراف المشاركة أو المتحالفة فيها، وغيرها من المعلومات الأخرى. لكننا يمكن أن نميز في هذا الصدد بين علاقات تعاون وحروب خارج المجال بين ساكنة الرتب أو جزء منها، وبين قوى مجاورة للمجال، وعلاقات أخرى بين أبناء وقصور المجال نفسه، والتي عُقِدَتْ على إثرها تحالفات وتم بسببها وضع اتفاقيات جمعت فيما بينهم، أو بين بعضهم ضد البعض الآخر. هكذا يمكننا تقسيم هذه العلاقات إلى قسمين رئيسيين:

ـ**علاقات خارجية:** لم تتضح معالم هذه العلاقات إلا في العهد العلوي، أما قبل ذلك فيقتصر ما نعرف عنها، على تلك المعلومات المتعلقة بالسيطرة والابتزاز الذي مارسته القبائل العربية على السكان المستقرين قبلهم، حيث يبدو بناء على إشارات بعض المصادر ضعف مقاومة هؤلاء وخضوعهم[31]، وبالتالي فإن هؤلاء الأعراب وقبل سيطرتهم على المستقرين بالرتب ـ حيث كانوا خلال هذه المرحلة بمثابة قوة خارجية ـ ظلوا يتنقلون بعيدا عن المجال ويعودون إليه مجبرين

[31]– الوزان، **وصف افريقيا**، ج 2، ص ص. 124، 123.

سكان الرتب على الخضوع لهم والقيام بخدمتهم[32]، هذه القبائل وبعد أن استقرت بالمجال، واستقر إلى جانبهم عدد من الأشراف وغيرهم، وجدنا بعضها يدخل في ما يمكن تسميته بالتكتلات والأحلاف التي تزامنت ونشأة الدولة العلوية، فقصر أولاد عيسى تحت قيادة أسرة ال مغفر وجدناه مثلا يساند ويوالي الدلائيين[33]، الذين بدورهم تدخلوا لتركيز نفوذهم بالمجال الرتبي عبر تكريس تبعية هذا القصر لهم، وهو ما أدخلهم ضمنيا في عداء ومواجهة مع القصور الرتبية الأخرى المناوئة لوجودهم والداعمة للعلويين، ولا شك أن اصطفاف الرتبيين بين قوتين خارجيتين قد انعكس أيضا في مواجهتهما والحروب بين المعسكرين لاسيما في معركة القاعة وبعدها[34]، وهنا وجدنا إشارات إلى انضمام قبائل عربية كانت مستقرة بالرتب خاصة دخيسة؛ إلى جانب العلويين في المرحلة الأولى للدولة العلوية، إذا كانوا من الداعمين للسلطان مولاي امحمد والمحاربين معه[35].

أما بعد هذه المرحلة فنرصد أيضا أن الرتب بقبائله العربية وأسره الشريفة قد عاش تحت رحمة التهديد الخارجي، الذي مثلته قبائل آيت عطا، ويبدو جليا أن القبائل والأسر الرتبية آنذاك كانت عاجزة وغير قادرة أو جاهزة أو متحدة لصد تلك الهجمات، بدليل استنجادها الدائم بالمخزن، الذي تدخل أكثر من مرة لمساندتهم في مواجهة ما يتعرضون له من الطامعين في أرضهم وخيراتهم، عبر حَرْكات متوالية منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل، لكن أهم هذه الحرْكات هي تلك التي قام بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1198هـ/ 1783م، وتوجت بطرد العطاويين من قصور الرتب[36]. وإن كانت نتائجها قصيرة المدى، لأن بعض القصور الرتبية نفسها سرعان ما استنجدت واستدعت العطاويين للمجال مرة أخرى مع بداية العقد الثالث من القرن 19م، في إطار تصفية حسابتها وصراعاتها الداخلية، مقابل حصول هؤلاء على أراض ومجال نفوذ جيرانهم

---

[32]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 154.

[33]- ابن العياشي، **زهر البستان**، ص. 109.

[34]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 13.

[35]- الريفي، **زهرة الأكم**، ص. 124.

[36]- الزياني، **البستان**، ص. 418./ الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 239.

من القصور المستهدفة بالرتب، وبالتالي أسست من جديد لسيطرة خارجية على هذا الأخير، لم تستنكف معه القبائل العطاوية من مواصلة تحركاتها الأمر الذي كان ولابد أن يدخلها في مواجهات مع أطراف أخرى[37].

بعد هذه المرحلة بدأنا نعتبر العطاويين سكان للرتب، وبالتالي تحولوا من قوة خارجية قادمة من خارج المجال إلى قوة داخلية مستقرة به، لكن كان عليهم أيضا أو على جزء منهم الاتحاد ضد خصوم وأعداء جدد، وخوض مواجهات وحروب ضد عدد من القبائل والقصور المتاخمة لحدود الرتب وفي مقدمتها تلك القبائل المنتمية لحلف آيت يفلمان التي ناصبتهم العداء وحاربتهم في واحات تافيلالت ودرعة وغيرها[38]، فبعد مرحلة من وصول العطاويين للرتب استطاعت معه بعض فروعها القبلية تثبيت أقدامها بعدد كبير من القصور، والحصول على مساحات مهمة من الأراضي والأشجار المثمرة داخل المجال، ستتراجع الروح الاندفاعية لديهم نتيجة اصطدامهم بقوتين مهمتين، على حدود الرتب شمالا وجنوبا وهما:

ـ **قبائل عرب الصباح المعقلية**، كانت هذه القبائل قد استقرت جنوب الرتب بواحات المعاضيد وتيزيمي والجرف وفزنة/ فزنا، مع ما كان لها من نفوذ وامتداد داخل القسم الجنوبي بالرتب الأسفل، لاسيما بقصر الدويرة ذو الساكنة العربية المعقلية والشرفاء، وكذا بعض القصور الرتبية الأخرى التي استطاع العطاويون السيطرة عليها مثل البطاطحة والمعاركة، وهذا ما حتم حدوث مواجهات دامية بين الطرفين، لاسيما وأن قصر الدويرة لقي دعما متواصلا من إخوانه عرب الصباح مما مكنه من الصمود في وجه العطاويين ووقف زحفهم جنوبا، وما يبرز عمق الصراع وضراوته لجوء عرب الصباح إلى إقامة أبراج مراقبة متقدمة، أو إصلاح القديم منها ووضع حراس مسلحين داخلها في الحدود مع الرتب، بل تشير بعض الدراسات إلى أن أحد قصور المعاضيد ويسمى البروج تمت إقامته في أقصى شمال مجال عرب الصباح بمحاذاة تراب الرتب، واتخذ نمطا

[37]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 340.

[38]- البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة**، ص. 103.

معماريا عسكريا بفضل أبراجه العالية التي منها أخذ تسميته، كان الهدف منه أساسا مراقبة تحركات العطاويين، والتحصن به عند المواجهات بين الطرفين[39]، لكن تساوي موازن القوة بين عرب الصباح والعطاويين في هذه المنطقة أرغم طرفين مهمين داخل كل تكتل وهما قبيلة آيت خباش العطاوية والمعاضيد المعقلية، على توقيع صلح بينهما في ربيع الثاني 1322هـ/يونيو 1904، تضمن شروطا متبادلة، لكن أسلوبه تميز بالعامية في عدد من كلماته، ومن أهم الشروط التي جاءت في هذا الاتفاق:

ـ من قتل أحد فلا يهرب إلا القاتل وحده ولا يسكن في قبيلته سواء كان معضادي أو خباشي بل يسكن في بلد آخر، ولا يطلب فيه أحد سوى القاتل؛

ـ وإن قدر الله على أحد من المعاضيد وقتل أحدا فيسكن عند آيت خباش وحده حد القصر الذي يسكن فيه أي يخرج لمزرعته ولا يزيد عليها. وإن قتل خباشي خباشي فيسكن بالمعاضيد ولا يزيد عليها كذلك؛

ـ وإن نقز العدو من آيت المعاضيد ودخل لبلد آيت خباش واتبعوه المعاضيد أثره ووجدوه عند آيت خباش فيرد آيت خباش من نهب العدو، وإن لم يجدوه فيحلف أهل البلاد بخمسة رجال ما علموا به، وإن نقز الخباشي ودخل بالقصر فيرد المعاضيد ما نهب لهم، وإن لم يجدوه فيحلف المعاضيد ما علموا به؛

ـ وإن قامت الحركة عند آيت يفلمان؛ فيخبرون أهل المعاضيد آيت خباش بخمسة عشرة يوما، وإن قامت حركة آيت عطا فيخبرون آيت خباش أهل المعاضيد بخمسة عشر يوما قبلها. والبيع والشراء يكون فيه الشريعة المحمدية وإن افترقت الحركة فترجع كل طاطة لطاطتها.»[40].

---

[39]– سعيد عبيدي، **العمارة العسكرية بقصور تافيلالت**، ص. 245.

[40]– مبارك الطايعي، **البنيات الزراعية والبنيات الاجتماعية، وأفق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية، واحة تافيلالت نموذجا**، أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية أكدال ـ الرباط، الموسم الجامعي، 2007م ـ 2008م، ج 2، ص. 392. أنظر الملحق الوثائق رقم 7، ص. 547.

هذا الاتفاق يقدم لنا صورا عن الأوضاع التي طبعت المنطقة خلال تلك المرحلة من جهة، كما يبرز لنا موازن القوى بين الطرفين، إلى جانب تحديده للولاءات القبلية لمختلف العناصر والأطراف، وكيفية التعامل في عدد من القضايا والحالات الطارئة المشتركة بين الخباشين بالرتب وأهل المعاضيد (المكابر، العبادلة، التغيان).

ـ **قبائل آيت يافلمان:** في شمال الرتب كان لوجود بعض القصور والعناصر المنتمية لآيت إزدك[41] أحد مكونات اتحادية آيت يافلمان التي تأسست منذ القرن11هـ/ 17م متضمنة عناصر قبلية كبيرة وقوية، منها آيت مرغاد، آيت ازدك، آيت حديدو[42]. بقصور الرتب الشمالية (الجرامنة، بوسعيد، ازوالة...) إلى جانب هيمنة العناصر العربية والشريفة بمدغرة شمالا، أثر في عرقلة وإيقاف تحرك عطاوي الرتب في هذا القسم المتاخم لهم. ذلك أن قبيلة آيت إزدك كانت خلال هذه الفترة في الطريق إلى الاستقرار التام بعد مرحلة من الترحال، وكان الرتب من المجالات التي حط بها الزدكيون رحالهم منذ وقت مبكر سابق على وصول العطاويين إليه في القرن 19م[43]، مما جعل الرتب مجالا للتنافس العطاوي الزدكي، والتسابق المحموم الذي تمكن فيه العطاويون من الدخول إلى واحة الرتب وطرد الزدكيين من بعض قصورها، والتطلع لمواصلة التقدم شمالا، في الوقت الذي كانت فيه واحات زيز بما فيها الرتب تعج بعناصر بشرية من أصول ملونة، أمازيغية، عربية ويهودية[44].

ولا ننسى في هذا المضمار أن الحلف العطاوي والسابق زمنا في التأسيس على حلف آيت يفلمان؛ ضم في البداية مكونات قبلية أصبحت لاحقا هي ركيزة هذا الحلف الأخير المعادي لهم،

---

[41]- **آيت ازدك**: قبيلة كبرى من قبائل صنهاجة آيت يافلمان وقد ورد ذكره منذ القرن السادس الهجري عند البيدق الصنهاجي، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب** ص ص. 54، 55. وهم يقولون بأن أصولهم تنحدر من آيت عطا، ولكنهم انفصلوا عنهم منذ القدم بسبب الحروب، وتعاقدوا مع إخوانهم آيت وافلا، ومع آيت عيسى بوحمار الذين يقطنون وادي كير وما يليه، ومع آيت صغروشن، وهذا التعاقد هو الذي تمخض عنه حلف آيت يافلمان بعد ذلك.

[42]- Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 291.

[43]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي**، ص. 38.

[44]- تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك**، ص. 53.

والناتج عن جاذبية الشمال التي طغت على الحلف منذ تأسيسه، ثم ضغط آيت عطا على مراعي شرق الأطلس الكبير، والرغبة بالتحرك في ذلك الاتجاه. وهذا ما أدى إلى تضارب المصالح بين المكونات الأولى للقبيلة العطاوية، فكان رد الفعل من المجموعة القبلية المسْتَهْدَفَةُ مجالات استقرارها متوقعا؛ بعد أن عمدت للانشقاق عن التحالف العطاوي، بدأ ذلك بانسحاب آيت حديدو والذين كانوا يستوطنون الجزء الأعلى من حوض غريس. ثم حذا حذوهم آيت مرغاد. واستمر الأمر إلى أن تكونت اتحادية آيت افلمان خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، والتي ضمت أيضا قبائل منها آيت احيا وعرب الصباح[45]. ليدخل الحلفين في مواجهات متعددة سمتها الأساسية تحالف اليفلمانيين مع المخزن العلوي، الذي ينسب له البعض الفضل في تأسيس هذا الحلف الأخير[46]، إلى جانب عدد من قبائل تافيلالت العربية ضد العطاويين، وليكرسوا حسب معظم الباحثين والمؤرخين تصنيف المنطقة بسبب المواجهات المتواصلة بينهما، ضمن ما اصطلح عليه بلاد السيبة، في مقابل بلاد المخزن[47].

ومن أبرز المعارك التي احتفظت لنا المصادر ببعض المعلومات عنها نذكر معركة تلوين سنة 1882/ 1883م، والتي جسدت بحق قمة الصراع العطاوي اليافلماني، بالنظر إلى أسبابها المتمثلة أساسا في التنافس الحاد بين الحلفين للحصول على مكاسب اقتصادية جددة، وفي الرغبة الجامحة لدى العطاويين للتحكم في هذا المجال الإستراتيجي الواقع على واد غريس في الشمال الغربي للرتب، وبالنظر أيضا إلى عدد المشاركين فيها من الطرفين، وكذا إلى نتائجها الكبيرة وما خلفته من القتلى وجرحى وغير ذلك من الخسائر والنتائج التي كان لها ما بعدها[48]. خصوصا وأنها تزامنت وما كان يعرفه المغرب من عجز للمخزن عن تتبع مجريات الأمور بهذه المناطق، أو التدخل

---

[45]- السبتي، **بين الزطاط وقاطع الطريق**، ص. 268.

[46]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 36.

[47]- Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, p. 4, 5.

[48]- دوفوكو، **التعرف على المغرب**، ص. 305./ Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P.265.

لضبط الأوضاع، كما تزامنت أيضا وتنامي الضغوط التي كان يمارسها الفرنسيون المحتلون للجزائر على القبائل التي كانت تنتشر في المجالات الحدودية.

تخبرنا الطبونميا المحلية أيضا عن جوانب من هذه الصراعات التي خاضها العطاويون مع غيرهم، يتمثل ذلك في منطقة تسمى شعبة اللحم بشمال الرتب، فبناء على الروايات الشفهية المتداولة يرجح أن سبب تسمية هذه الشعبة "بشعبة اللحم" أو "شعبة الروح"؛ هو أن آيت عطا كانوا يغيرون على منطقة مسكي المحادية للرتب شمالا، فاستنجد أهل قصر قصبة تازناقت (مسكي) بقبيلة آيت عيسى المقيمين شرق الرتب باتجاه بوذنيب، فوقعت بين هؤلاء والعطاويين وقعة عظيمة سقطت على إثرها عدة رقاب بهذه الشعبة فسميت هذه المنطقة نتيجة لذلك بشعبة اللحم[49]. كل هذا يبين حجم الصراع الذي كان يخوضه العطاويون المقيمون بالرتب ضد القوى التي كانت تقف أمام طموحاتهم وأحلامهم ومصالحهم الاقتصادية.

يضاف إلى ما سبق ذكره انخراط العطاويين الرتبيين في المواجهات التي كان يخوضها الحلف العطاوي ككل ضد غيره، بدليل ما أورده سبيلمان من احتفاظ فرع آيت انبكي المقيمين بقصر تاخيامت بالرتب الأوسط بعلم خاص بهم، كان من الأعلام التي ترفع في المواجهات التي يخوضها الحلف العطاوي مجتمعا ضد غيره، مع العلم أن العطاويين كان لهم علم أحمر (أي علم آيت عطا) يحتفظ به في اغرم امزدر بصاغرو، ولا يخرج إلا عندما تكون حركة آيت عطا قد اجتمعت كلها رافعين أعلامهم. ولكن آيت أونبكي كان لهم علم خاص بهم، أخضر اللون حسب البعض، وأزرق حسب آخرين، وعند المواجهات كان يتم حمل واحد من هذه الأعلام من قبل آيت اونبكي بتخيامت (منطقة الرتب)، والآخر من قبل آيت يحي أوموسى من آيت اومناصف[50].

---

[49]- عبد اللوي، **مدغرة**، هامش، رقم 88، ج1، ص. 202. لابد من الإشارة هنا إلى أن موقع شعبة اللحم ورد في خريطة داستوك بالقرب من قصر الجديد في الحدود مع قصر أولاد شاكر، وعند سؤالنا لبعض شيوخ المنطقة عن سبب هذه التسمية ذكروا أنها كانت مكانا لتصفية الحسابات بين المتخاصمين، وقطع الطريق على العابرين، وفيه كانت تراق الدماء بين المتخاصمين.

[50]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، هامش، 25، ص. 37.

ـ **علاقات داخلية**: كثيرة هي القضايا التي فرضت دخول قصور الرتب على امتداد تاريخ تعميرها في علاقات مختلفة؛ تراوحت بين الود والتعاون والتعاضد أحيانا، وبين الصراع والتنافس والمواجهة في أحيان أخرى، وإن كان ما عثرنا عليه من معلومات يبقى محدودا، بالمقارنة مع ما يمكن أن يكون جمع بين هذه القصور من علاقات عديدة ومتنوعة.

فلا شك أن التقارب الجغرافي الكبير بين القصور الرتبية حتم وجود علاقات مباشرة بينها، فالرتب ضم في الحقيقة ثلاث تجمعات كبرى تكاد أبنيتها تكون متلاصقة ومتقاربة خاصة بمنطقة الرتب الأوسط، مما كان يعني أن وجود علاقات متنوعة ومتداخلة أمرا لا مناص منه، خاصة وأن إقامتها هذه القصور على مجرى واد زيز الذي يرجع له الفضل الرئيسي في تكوين هذا المجال عبر ملايين السنين، جعل القصور هناك تنتظم فيما يصطلح عليه قصور سافلة الوادي وعاليته، وبالتالي طرح مسألة حق الانتفاع بالماء ودرجته بين كل قصر والقصر الأعلى أو الأسفل منه، مما أدى لكثير من الخلافات التي كانت محور تدخل بعض الفقهاء للفصل فيها ووضع قواعد لها[51]، خصوصا وأن هذه القصور كانت مضطرة أحيانا للتنسيق بينها في عملية المراقبة وتنظيف مجاري السواقي المشتركة وغيرها، لكن هذه التدخلات لم تكن تنجح أحيانا مما كان يدخل القصور في مواجهات دامية خاصة في الفترات الجافة[52]، والأكيد أن بعض هذه المواجهات بلغ درجة من الخطورة جعلت العياشي عند مروره بالرتب يتحدث عن ما أسماه بالفتنة العظيمة بعد «**أن حاصر أحد الفريقين الآخر، واستعانوا بأمير البلد، وقطعوا لهم مئتين من النخل**»[53]، كما أن الخلافات الدائمة بينها هو ما جعلها تبحث بشكل مستمر عن مساندين وحلفاء في خضم المواجهات البينية، الأمر الذي سيؤدي إلى ترحيل وتهجير عدد من السكان بل قصورا بأكملها[54]، ليحل مكانهم سكان آخرون هم العطاويون الذين دخلوا بدورهم في مواجهات وحروب أهلية

---

[51]- التهامي، **الأدوية الرواقي**، ص. 70.

[52]- Meunie, **Le Maroc Saharien**, T1, p. 336.

[53]- العياشي، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، ج1، ص. 71.

[54]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 379.

دامية، تحالفت فيها مكوناتهم القبلية أحيانا مع بعض القصور التي حافظت على استقلالها، لأن العطاويين عموما وبعد تحقيق أهدافهم الحربية، تواجهوا فيما بينهم بكل ضراوة، الواحدة ضد الأخرى، فتخاصمت آيت أونير وآيت إيسفول وآيت إيعزا مع آيت واحليم الذين حظوا قديما بمكانة بارزة[55]، وانعكس هذا الصدام على كافة مكوناته بمختلف المجالات التي سيطروا عليها.

في هذا الإطار، ينقل لنا أحد أبناء الرتب ـ وهو آمحمد أحدى، والذي كان لأسرته مكانة مرموقة وسط المكونات العطاوية ـ روايات نقلها عن بعض أفراد أسرته وعدد من شيوخ المنطقة تحكي عن صراعات داخلية بين القبائل العطاوية بالرتب، والتي تشير إلى أنه وبعد نزول هذه الأخيرة بالمجال المدروس منذ سنة 1822م، "بتاخيامت" بالرتب الأوسط؛ وأمام ضعف الموارد بشكل شبه دائم فقد نشبت حروب أهلية بين آيت عطا أنفسهم لأسباب اقتصادية أساسية؛ لكون الرتب منطقة استراتجية مهمة لها امكانيات اقتصادية رفيعة، بفعل مرور قوافل التجار منها، قادمة من جميع مناطق المغرب والسودان متجهة نحو سجلماسة القريبة، وبما أن الرتب كان مسيطرا عليه من قبل هؤلاء فقد فرضوا ضريبة تسمى(**تيكا**) على التجار، كما كانوا يقومون بدور الزطاطة بمصاحبة القوافل والتجار إلى سجلماسة والقصور المجاورة أو خارج المجال، وبذلك أصبح للحوض أهمية كبرى تجني من خلاله قبائل "آيت انبكي" القاطنة فيه أرباحا هائلة، حسدتهم عليها قبيلة آيت ايعزى القاطنة "بأمغا"[56] فلجأت هذه الأخيرة إلى خفض ضريبة "تيكا" في الطرق المارة من مجالها، مما جعل التجار يفضلون المرور عبر منطقة "امغا" الواقعة غرب الرتب مرورا "بتاردا"[57] وبذلك قامت مواجهات بين الطرفين انتهت بطرد آيت ايعزى من الرتب، وطرد آيت أونبيي من"أمغا". ومثل تلك الصراعات نشأ صراع آخر بين آيت "انبيي(انبكي) وآيت واحليم حول مسألة الضرائب، وكيفية فرضها على قصور الزريكات وأولاد عيسى فكان كل طرف من الطرفين

---

[55]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 37.

[56]- **أمغا**: منطقة تقع غرب منطقة الرتب باتجاه الجرف.

[57]- **تاردا**: اسم يطلق على منطقة واسعة في الشمال الغربي لمجال الرتب باتجاه منطقة غريس (كلميمة).

له وجهة نظر معينة، فاستفحل الصراع وأدى إلى صدامهما في منطقة "ايردي" جنوب الرتب في معركة يقال لها "تاوريرت نغفاون" أي تل الرؤوس، لكون آيت واحليم القاطنين بكثرة في تافيلالت جاؤوا لمساعدة إخوانهم المحاصرين في الرتب، فتلاقى الطرفان في المعركة المذكورة مما خلف خسائر بشرية فادحة وانتهى الصراع بانتصار آيت اونبيي وبذلك أصبحوا سادة واحة الرتب، ليبدأ صراع آخر بين آيت اونبيي أنفسهم، أي بين القبيلتين الأساسيتين المكونة لها وهما: آيت خباش وآيت أومناصف، وكان على رأس القبيلة الأولى أحماد اعمرو وعلى رأس الثانية "علي احساين عيني" وكان من المحتمل أن يستمر الصراع إلا أن معركة مسكي سنة 1916م ضد الفرنسيين، حالت دون اصطدام الطرفين[58].

كما ذكر الألماني شودت عند حديثه عن بعض قرى الرتب، أن هناك ثلاث قرى منها يسكنها الشرفاء الأولى هي بوسعيد وزاوية أملكيس، وقال أن كلاهما مملوكان لأيت ازدك الذين أجبروا على الخضوع للعطاويين حتى لا يفقدوا حقولهم ومنازلهم، وفي حالة النزاع فإنهم يظلون محايدين، ومع ذلك يوجد خراب في قصر الجرامنة قد يوحي بالصراع والمواجهة بين الطرفين[59]. كما أنه وعند حديثه عن آيت عطا قال "**بأنها تشكل قبيلة محاربة وفاتحة، وهي أقوى قبيلة في الصحراء، أنهم جنس جيد من الرجال الذين يتبعون شيخهم (يقصد الشيخ سيدي محمد العربي الكاوزي المدغري الدرقاوي) ومستعدون دائما للاستجابة لنداءاته للدفاع عن أرضهم ضد أي تهديد أجنبي. بالإضافة إلى ذلك توصلوا فيما بينهم إلى اتفاق يمنعون بموجبه أنفسهم بموجب عقوبات صارمة، من إثارة قلق القوافل التي تمر من واحة الرتب، حتى أصبح بإمكان الفرد أن يسافر بمفرده ليلا ونهارا بين بوسعيد والدويرة بأمان**"[60].

---

[58]- امحمد احدى، **دراسة تاريخية لحوض وادي زيز الأوسط**، ص ص. 14، 15/ **أحماد بورمضان**، (84 سنة). **راوية شفهية**، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08 فبراير 2020م.

[59]- Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P. 253.

[60]- Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P. 265.

وبالرجوع إلى التصميم العمراني لبعض القصور، نجده بدوره يعكس أيضا جوانب من الخلافات بين هذه القصور التي استولى عليها العطاويون، حيث أحدثوا في هذه التصاميم بعض التغييرات عكست عمق الصراع الداخلي بينهم، فقصر أولاد شاكر مثلا يقدم لنا نموذجا عن الحرب الأهلية التي دارت بين قبائل آيت أنبكي، فقد انقسم قصر أولاد شاكر إلى ثلاثة قصور مستقلة وهي "آيت اغف" الذي انفرد به آيت يحي وموسى، وقصر "أقربوس" الأقدم كان تحت سيطرة آيت اسفول، ثم قصر تيدرين الذي كان من نصيب آيت ايسفول أيضا، والقصور الثلاثة مجتمعة تسمى قصور آيت شاكر نسبة إلى أولاد شاكر المطرودين نحو أعالي واد كير[61].

بهذا يتبين حجم التداخل والتباين الذي كان بين السكان بالرتب سواء خلال فترة السيطرة المعقلية أو السيطرة العطاوية، لكن السمة الأساسية لها هي الاستمرارية، مع تحول حليف الأمس إلى عدو اليوم، وربما يتحول عدو الأمس إلى حليف اليوم، في ظل تباين واختلاف موازن القوى، وتعدد المتدخلين في محاولة السيطرة وضبط المجال أو حتى الاستيلاء عليه مع وصول المحتل الفرنسي.

[61]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 94.

3 – التنظيم الاجتماعي بقصور الرتب ومؤسساته.

تثير قضية تنظيم المجال الرتبي وتدبير ساكنته لشؤونه عددا من الأسئلة المهمة، المتعلقة بكيفية تدبير السكان لأمورهم الحياتية اليومية وقضاياهم الخلافية، هل كانت بدورها دخيلة مع كل مسيطر جديد؟ أم أنها كانت تأخذ بما هو قائم قبلها؟ أم هل يمكن القول بأن عنصر التأثير والتأثر كان حاضرا بينها؟ ثم ما أبرز الخصوصيات التي ميزت طريقة تدبير مختلف القوى القبلية لهذا المجال؟

لعل ما يدفعنا لطرح هذه الأسئلة كون هذا المجال والمغرب عموما، عرف مع دخول المستعمر فرض نظامين متباينين على مستوى التقاضي، بناء على ما أسماه تباين الطبائع والعوائد التي ميزت هذه المناطق بين ساكنة عربية وأخرى أمازيغية وسيعمد لإعادة تنظيم المجال على كافة المستويات وفق تصوره[62].

فيما يخص التسيير الإداري للرتب، أول ما يبرز أمامنا هو كون هذا الأخير وعلى امتداد تاريخه ظل تابعا لسجلماسة، وأحد مكونات إقليمها الرئيسية ومحورا استراتيجيا لمرور القوافل التجارية[63]، لكن شكل ودرجة هذه التبعية بقي من الجوانب الغامضة وغير الواضحة، فبينما نجد أحيانا إشارات على قيام أحد الأفراد بتسيير المجال ككل، من خلال تسميته بأمير الرتب[64]، نجد أحيانا أخرى إشارات على تعيين قياد خاصين ببعض قصور المنطقة[65]، بل يمكن الذهاب إلى أن إنشاء مولاي إسماعيل لقصر المعاركة بالرتب الأسفل كان الهدف منه ليس إيواء بعض الأمراء من

---

[62]- **الجريدة الرسمية، للحماية الفرنسية بالمغرب** (النسخة العربية)، ع 73، لسنة 1914م، ص. 407./ ع 478، لسنة 1922م، ص. 758.

[63]- مارمول، **افريقيا**، ج 3، ص. 152.

[64]- العياشي، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، ج1، ص. 27.

[65]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي**، ج1، ص. 240.

أبنائه فحسب، وإنما ليكون هذا القصر مركز قيادة لهذا المجال، خاصة وأنه أسسه لأبنه مولاي الشريف الذي كان خليفته على درعة مدة طويلة[66].

أما على مستوى التقاضي فنجد اختلافا في تسميتهم القضاة الذين يكلفون بالتحكيم بين الناس، فتارة يتم مخاطبتهم كقضاة لسجلماسة عامة[67]، وتارة أخرى يتم الاقتصار على وصف المكلف بالمهمة بتسمية "قاضي الرتب ومدغرة" معا[68]، أو "قاضي الرتب" بشكل خاص[69]. مما يبرز أن القاضي الواحد كان يكلف أحيان بأكثر من مجال، على غرار التهامي الشاكري وحفيده عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي وغيرهما[70]. كما يمكن أن يكلف بالرتب وحده مثلما كان حال القاضي مولاي محمد بن عبد الله[71].

الغموض نفسه نجده أيضا على المستوى السياسي، فرغم وجود عبارات تشير إلى شخصيات حاكمة للرتب أو واد الرتب بشكل مستقل، والتي لم تتضح بشكل واضح إلا مع المستعمر الذي عين أحد الشيوخ العطاويين على رأس قيادة أوفوس/ الرتب[72]، إلا أننا لم نكن نجد قبل هذه المرحلة المذكورة ما يبين شكل هذا الحكم وامتداده ومهامه، وهل يقتصر الأمر على قصور بعينها؟ أم أن الأمر لم يكن يتجاوز السلطة الإسمية، مما جعل هذه القصور الرتبية تبدو مثل قصور شبه مستقلة بعضها عن البعض الآخر، بالرغم من الطابع القبلي المميز للرتب، والذي جعل مرمول يعتبر هذا الأخير من المناطق التي تعرف نظاما جماعيا[73].

---

[66]- عمالك، «**الحضور المخزني بوادي درعة**»، ص. 64.

[67]- عبد الرحمان بن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط ، 1962م، ج2، ص. 27، 28.

[68]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**،ج2، ص. 46.

[69]- أبو القاسم الزياني، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تحقيق وتقديم، عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص. 119.

[70]- الزكي، **الشجرة الزكية**، ص. 79.

[71]- الوثائق الملكية، سجل رقم، 20309، **رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القاضي مولاي عبد الهادي**، بتاريخ 25 رمضان، 1264هـ/ 1848م.

[72]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 191.

[73]- مارمول، **إفريقيا**، ج1، ص. 43.

وما يزيد الأمر غموضا هو وجود عدد من الروايات والوثائق التي تتحدث عن اتفاقات ثنائية بين القصور المختلفة بالرتب من جهة، وبين هذه الأخيرة وجيرانها، وهذه الاتفاقيات الثنائية، توحي بغياب أو ضعف سلطة المخزن بالمنطقة، فضلا عن دور بعض الزعامات الدينية المحلية، التي كثيرا ما أشارت المصادر إلى تدخلها للفصل بين القصور المتخاصمة كما كان حال أسرة آل الحنفي بالرتب الأعلى[74].

ما يمكن تسجيله إذن فيما يخص التنظيم الإداري بالرتب؛ هو أنه خلال فترة السيطرة المعقلية كانت عدد من القصور تعيش وضعية شبه مستقلة، لاسيما وأن عددا منها كان خاصا بفرع من فروع القبيلة الأم، وهذا ما جعل بعضها يحمل أسماء قبلية مثل الجرامنة والبطاطحة والبلاغمة وبني احسن أولاد عميرة وغيرها، مما يجعلنا نذهب إلى أن هذه القصور كانت تعتمد في تدبير شؤونها على جهاز إداري محلي داخلي، يمتاز بسيادة شبه مطلقة في اتخاذ قرارته دون التنسيق مع غيره، خصوصا أن المصادر ما فتأت تشير إلى خصومات بينية متواصلة بين قصور الرتب، مما يشير إلى ضعف أو غياب سلطة خاصة بكل المجال تسهر على تدبير شؤونه، وهو ما دعا أحد الباحثين[75] في مقاربته لمفهوم القبيلة عموما للقول بأن هذه الأخيرة مثلت بالنسبة لجل المغاربة إطارا للتنظيم الاجتماعي. فالفرد كان ينتمي إلى قبيلة معينة وعلى هذا الأساس كان يصنف من قبل سكان باقي القبائل أو من قبل الإدارة المخزنية. وكان سكان كل قبيلة واعين بأن انتماءهم إلى مجموعة محددة لا يقوم على أساس سلالي، بل على ضرورة التساكن والتآزر الذي كان يقوى مع مرور الزمن، الأمر الذي جعل القبيلة حية ومتطورة ولم تكن في وقت من الأوقات بنية جامدة أو مغلقة، بل كانت تستقبل كل قادم جديد قبل أن يربط مصيره بمصيرها[76]. وبالتالي فالروابط القبلية كانت موجودة بين الأفراد داخل القصر الواحد، لكنها تبدأ بالضعف والتلاشي كلما خرج الفرد من قصره إلى مكان أخرى.

---

[74]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 319.

[75]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص. 23.

[76]- نفسه.

في عهد السيطرة المعقلية على الرتب أيضا يمكن الذهاب إلى أن السلطة كانت متوارثة، والسلطة تكون بيد شيخ القبيلة الذي يرثها عن أسلافه داخل القصر الذي ينتمي إليه، ذلك أن تكتل السكان فيما بينهم حسب روس إ دان داخل القصر في شكل تجمعات أبوية، تختلف بشكل كبير حسب الفئة الاجتماعية المعنية والقرابة العائلية؛ جعلها لا تمتد في العديد من القرى خارج الأسوار، كما أن الفرد يعرف بنسبه الخاص داخل القصر الواحد وليس داخل قبيلة معينة. وفي بعض الحالات، يمكن للفرد أن ينسب إلى لفيف خاص من القصور، أو إلى منطقة، مثلما كان عليه الحال في الرتب[77].

ولهذا لطالما ذكرت لنا المصادر مثلا سيادة أسرة آل مغفر بأولاد عيسى بالرتب الأعلى طيلة الفترة التي سبقت وجود العطاويين، وغالبا ما كانت تعمم تسميته لتصفه بأمير واد الرتب أو الشيخ كما جاء في الاتفاق الذي عقده مولاي امحمد بن الشريف مع الدلائيين[78]. لكن الواقع حسب ما ورد، يدفعنا إلى القول بانحصار سلطته بقصره وإن ذكرته بعض المصادر كأمير للرتب.

وبما أن معظم القصور الرتبية كانت تضم في الغالب ساكنة تنتمي إلى المكون القبلي أو العائلي نفسه، فإن ذلك زاد من النزعة الاستقلالية لمعظم القصور مهما تقاربت أو حتى تداخلت أبنيتها، لاسيما وأن عددا منها كان خاصا بالأسر الشريفة كما كان الحال بقصر أولاد عميرة وقصر بوحميد وغيرهما، ممن استوطنتها الفروع الشريفة الأولى من أبناء عبد الرحمان أبو البركات[79]، ونظرا لخصوصياتها وإحساسها بتميزها ومكانتها التي جعلت هؤلاء محط تقدير واحترام من معظم

---

[77]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي**، ص. 44.

[78]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 13.

[79]- أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة الامنية الرباط، ط1، 2008م، ص. 78.

السكان[80]، على غرار باقي شرفاء تافيلالت، فقد كانت تعيش داخل قصورها بشكل شبه مستقل في تدبيرها شؤونها الداخلية.

ومع ذلك يمكننا الوقوف على بعض القضايا التي فرضت على هذه القصور البحث عن آليات تدبير مشترك لحل بعض الخلافات بينها مثل مشكل الماء وتدبير شؤونه، وهو ما سنتطرق له في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية بالرتب، فضلا عن التنسيق بينها أحيانا لمواجهة الأخطار الخارجية لاسيما الحلف العطاوي المتاخم لحدودهم وبالجوار من أراضيهم، من خلال الدخول في تحالفات والاستنجاد بحلفائهم وبالمخزن أحيان لمواجهة مختلف التحديات.

لكن مع وصول العطاويين للرتب سيظهر تدبير جديد ومختلف للمنطقة يزاوج بين الاستقلال الداخلي واحترام السلطة العليا للقبيلة في عدد من القضايا، مع ما تميز به العطاويون من عدم خضوع للمخزن، حيث أبدوا اتجاهه دائما تمسكا شرسا بالاستقلال[81]، بل واشتهروا بمقولة تنم عن نزعة الاستقلال ورفض الخضوع مفادها«**وُحَقْ دَادَا عَطَّا الْمَعْطَا مَا يَتَّعْطَا وَاخَّا يْوَلِّي جْبَلْ صَاغْرُو وْطَا**»[82]. هذا ما جعلهم في الرتب يعيشون نظاما أشبه بالحكم الذاتي ضمن "الكونفدرالية العطاوية" المنتشرة في معظم واحات الجنوب الشرقي المغربي والتي تأسست كما وسبق أن ذكرنا منذ القرن10هـ/ 16م، برعاية مؤسس زاوية تامصلوحت الشيخ عبد الله بن حساين الأمغاري وبقيادة أحد تلامذته الملقب دادا عطا جد الاتحادية[83]. وما ميز الرتب مع سيطرتهم عليه، هو أن أهم خمس قبلي عطاوي استقر بالرتب هو من أسماه تاوشيخت بجماعة «**آيت أُونْبْكِي نَوْ أوْفُوسْ/ آيْتْ عَطَّا نْرْتْبَاتْ**»: والتي تشمل تسع عشائر ذات تمثيلية سياسية هي:

---

[80]- جرمان مويط، **المغرب في مطلع العهد العلوي (1659 . 1682) تاريخ مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل**، ترجمة حسن أميلي، دفاتر البحث العلمي، رقم 20، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015م، ص. 23.

[81]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 31.

[82]- نفسه، ص. 33.

[83]- الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، ص. 229.

آيت اسفول، آيت يحي أوموسى، آيت لخلف، إحطوشن، آيت بورك، إيلحيان، آيت عمرو، آيت تغلة، وإيزولاين[84].

ويكشف دان أن المجموعات التي لها قرابة عائلية داخل الخمس، قد تسكن في أجزاء منفصلة انفصالا بعيدا في أرض القبيلة، فنجد مثلا عشائر وسلالات آيت أونبكي سواء منها آيت خباش أو آيت اومناصف لم تكن تستقر في الرتب فقط، ولكنها تسكن كذلك قرب درعة السفلى وفي وادي دادس بعيدا عن سفوح الأطلس الكبير. وقد يوجد في كثير من الأحيان شعور بالاندماج ضمن أعضاء تَاقْبِيلْتْ، أكثر مما هو في الخمس نفسه[85].

من هنا نستنتج أن القبائل العطاوية بالرتب ظلت بطريقة أو بأخرى مرتبطة بعناصر من نفس الخمس وبمركز القبيلة الأم بإغرم امزدار. وهذا ما يجعلنا ننطلق في محاولتنا التَّعَرُّف على طريقة تدبير العناصر العطاوية بالرتب لشؤونها، أو في ارتباطها مع باقي مكونات الحلف العطاوي سلما وحربا من المستوى المحلي إلى مستوى الاتحادية.

على المستوى المحلي:(**الرتب/ أوفوس**) بالاعتماد على عدد من المصادر والدراسات المهتمة بموضوع تنظيم العطاويين وتدبيرهم للمجال، وكذا القوانين العرفية التي توفر لنا مادة لا غنى عنها لفهم فلسفة العطاويين وطريقة تنظيمهم لحياتهم ومجال نفوذهم، فبالرجوع إليها يتبين لنا مدى تأثير البعد القبلي وطريقة توزيع هذه القبائل وفروعها على كل ذلك[86]. وتلخص لنا الخطاطة

---

[84]- تاوشيخت، «**القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش**»، ص. 37.

[85]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي**، ص ص. 78، 79.

[86]- **الفلالي، التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، أنظر، ج 8، من ص. 237 إلى ص. 262. خصص هذه الصفحات لاستعراض أهم مكونات الأخماس العطاوية فذكر منهم خمس آيت اسفول وبه 4 فروع منها آيت حمي ومنهم آيت امناصف، آيت بودتود موطنهم بالرتب أوفوس زيز، ص. 249، كما ذكر من خمس آيت علوان فرع آيت سيدي ومنهم آيت امناصف، وكذا فرع آيت ونزار ومنهم آيت امناصف وهم أيضا من الرحل الذين سيطروا على الرتب بعد وفاة السلطان مولاي سليمان، ص. 252، خمس آيت اونكي بفرعيه آيت خباش و آيت اوناصف التي استقرت مختلف فروعها في الرتب ص. 258./ أنظر كذلك سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، من ص، 61 إلى ص. 81.

التالية، تفرعات أهم خمس استقر بالرتب والمتمثل في خمس آيت انبكي وهم آيت خباش وآيت آمناصف:

الخطاطة رقم 3: النموذج الانقسامي لآيت خباش[87].



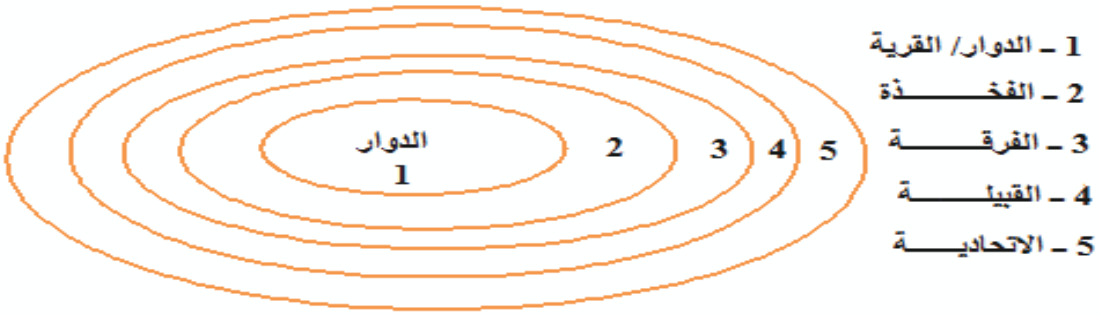
هذه الخطاطة توضح لنا تفرعات آيت عطا؛ لكنها تركز على خمس آيت انبكي المتكون من فرعين أساسيين هما: آيت خباش الذين كانوا يشاركون في تعيين الشيخ العام لقبيلة آيت عطا كل سنة، ثم آيت امناصف وهؤلاء يعتبرون في نظر المؤرخين من صنهاجة الطبقة الثانية والثالثة عندهم، وحسب العرف الذي تعارفوا عليه، وإلى غاية بداية العقد الثالث من القرن العشرين كانت أعدادهم في أوفوس الرتب فقط تقدر بحوالي ستمائة أسرة أو تزيد قليلا[88].

على مستوى الاتحادية (المستوى الغير المحلي): هنا نجد أن طبيعة التنظيم ارتبطت بالسلطة الروحية والقبلية العليا، المتمثلة بباقي مكونات القبيلة العطاوية خاصة من الفروع الأخرى التي انتشرت في مختلف واحات الجنوب الشرقي، حيث حاولت الأخماس العطاوية الحفاظ على

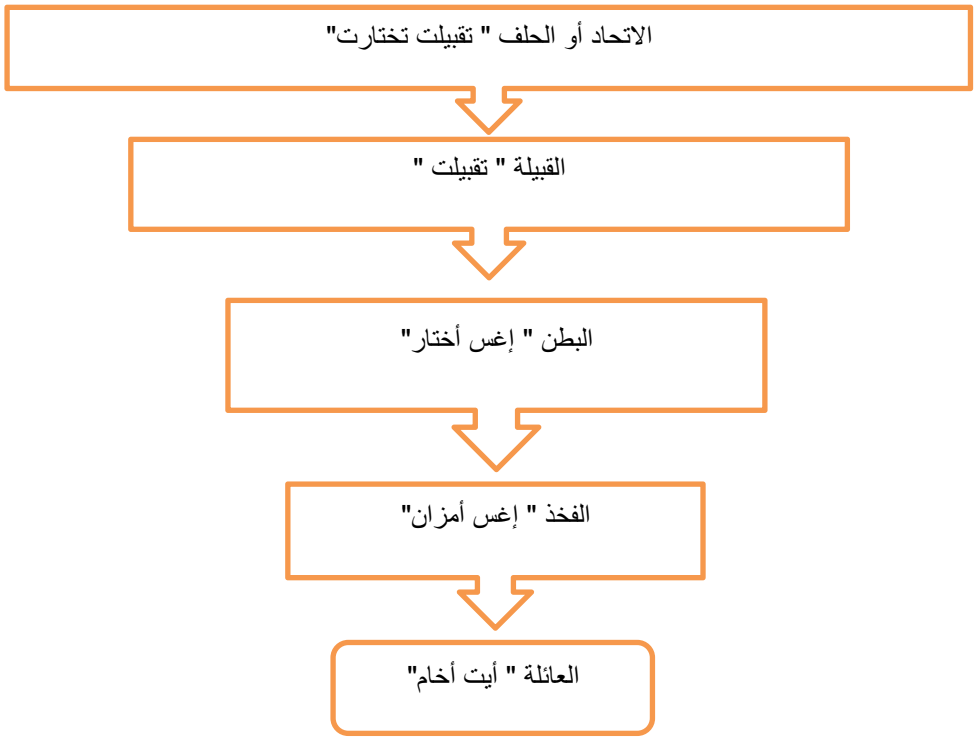
[87]- دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي**، ص. 80.

[88]- الفلالي، **التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، ج8، ص. 258.

روابط تجمعها ضمن مواثيق مختلفة، تبدو فيه السلطة وكأنها تسير بشكل عمودي ضمن حلقات، تجعل سلطة تحتوي سلطة أخرى كما يوضح النموذج التالي[89]:



ويقدم لنا الشكل التالي أيضا نموذجا للتركيبة القبلية للخمس العطاوي وتسلسل الروابط داخله[90].



انطلاقا من الخطاطتين نستنتج أن العطاويين بالرتب بقدر ما كان لهم حرية في تدبير أمورهم داخل القصور الرتبية بقدر ما حافظوا على الروابط التي جمعتهم مع باقي مكونات حلفهم، ولعل

[89]- مبارك الطايعي، «البنيات الاجتماعية للمجتمع المغربي في الأدبيات الكولونيالية والأنجلوساكسونية»، ضمن **مجلة عالم الفكر**، المجلد 41، أبريل ـ يونيو2013م، ص. 263.

[90]- تاوشيخت، «**السلطة والمجتمع بتافيلالت في عهد السلطان مولاي يوسف**»، ص. 23.

أبرز تجليات ذلك، مشاركتهم في اختيار الشيخ العام أو "أمغار" الذي يوافق مبدئيا عندهم 17 مارس من كل سنة بحيث يجتمع ممثلي القبائل سواء عند ضريح دادا عطا أو داخل الأرض المحرمة بتفراوت نايت عطا بالقرب من إغرم امزدار، وتارة في تازرين، وأحيانا في الأطلس الكبير، ويحضر هذه العملية ممثلي جميع الأخماس وجماعة من شرفاء مولاي عبد الله بن احساين بزاوية تامصلوحت[91]، والذين كان فرع آيت أونير بالرتب يقدمون لهم إيتاوة عينية[92].

وحتى لا نقع في الخلط نتيجة ورود تسمية شيخ آيت عطا في عدد من المصادر والدراسات، وجب أن نميز بين منصبين رئيسيين: شيخ القبيلة (أَمْغَارْ نْتَقْبِيلْتْ) وهو منصب يتناوب عليه بشكل خاص أعيان الأفخاذ المكونة لكل قبيلة، وهم من يسمون لديهم (إِدَّا بَابْ نُومُورْ)، وهذا المنصب له مكانة هامة باعتبار الأدوار والمسؤوليات التي يتولاها صاحبه خلال فترة انتدابه للمشيخة، أي خلال سنة واحدة عادة، إلا إذا حدث ما يحول دون ذلك. ثم منصب الشيخ الأعلى أو العام (أَمْغَارْ نُوفْلاَّ) الذي يتولى السلطة العليا عند آيت عطا، ويُختار هو أيضا بالتناوب ضمن شيوخ القبيلة وليس مباشرة، ولمدة لا تتجاوز كذلك سنة واحدة إلا في حالات حدوث ما يستوجب استمراره كالهجمات المخزنية وبعض الأحداث الطارئة[93].

لكن الروابط بين الرتبيين العطاويين لم تقتصر على أبناء القبيلة الكبرى بل امتدت إلى غيرهم؛ وارتبط هؤلاء بمواثيق مع عناصر قبلية أخرى بعضها عربي، ومن أشهر المواثيق التي عقدها العطاويون سواء بينهم أو مع غيرهم نذكر:

---

[91]- تاوشيخت، «**القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش**»، ص. 38.

[92]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 90 .

[93]- زايد ابليهي، **اتحادية آيت عطا من النشأة إلى معركة بوغافر**، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، بني ملال، ط1، 2016م، ص. 70.

- **تافركانت**: ومن أمثلتها تافركانت بين آيت خباش وآيت امحمد والتي تمت كما يقول سبيلمان بعد اجتماع كبير صب فيه حليب نساء آيت خباش في إناء مع حليب نساء بني امحمد، فشرب كل واحد من الأعيان الحاضرين قليلا من ذلك المزيج، وبعد ذلك دفن الإناء في المكان نفسه الذي تم فيه هذا التعاقد[94]. هذا النوع من التعاقد هو في الحقيقة نوع من مواثيق عدم الاعتداء والصداقة، أكثر منه معاهدات وتحالفات بين الطرفين.

- **تاضا**: تعني الرضاعة، وتحيل على طقس تبادل الرضع بين نساء الطرفين، دليلا على أخوتهم في الرضاعة، وهو أقل خطورة من تافركانت التي تمثل عهدا ذا طابع مقدس يفرض منع الزواج بين الأفراد المتحدين عبر هذه الصلة[95].

نخلص إذن إلى كون العطاويين بالرتب على مستوى التدبير زاوجوا بين تدبير داخلي وآخر خارجي، لكنه مخالف عما كان سابقا من تدبير في تسيير شؤون الرتب زمن سيطرة القبائل العربية، لكونه قد يقحم المجال وأهله في مواجهات خارجة عن حدوده ومجاله، نظرا للروابط التي جمعت بين العطاويين، والتي حتمت التآزر والتعاضد بينهم في مختلف مناطق تحركهم أو المناطق التي يتعرضون فيها للتهديد من جيرانهم.

---

[94]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 43.

[95]- نفسه، ص ص. 42، 43.

4- الرتبيون بين أحكام الشريعة والأعراف القبلية.

بديهي أن يمثل مجال الرتب إحدى المناطق المغربية التي تميزت بنسيجها المجتمعي المتنوع على المستوى اللغوي والعرقي، بفعل توالي المراحل التاريخية التي جعلته محط استقطاب لعدد من المكونات والقبائل على امتداد تاريخه، كما كان من المناطق التي عرفت تغيرات جذرية في التركيبة الاجتماعية في فترات متأخرة جدا سبقت الاحتلال الفرنسي بعقود قليلة فقط، وتزامن بعضها مع وجوده، بل إن المستعمر الفرنسي عند وصوله إلى المجال كانت إرهاصات وآثر التحول الذي عرفه بادية ومازالت مستمرة، ولم تتبلور وتستقر بعد بشكل نهائي، تمثل ذلك بنجاح العطاويين في التحكم بمعظم الرتب، ليطبعوا تاريخه بعدد من المؤثرات الثقافية والاجتماعية والتنظيمية المتميزة التي استقطبوها معهم عند قدومهم للمنطقة، مما خلق تمايزا واضحا داخل المجال بين أغلبية أمازيغية عطاوية، وأقلية عربية متنوعة.

هذا الوضع أدى في مراحل لاحقة إلى تباين في طريقة تدبير الشؤون اليومية، خاصة ما تعلق بالفصل في القضايا والخلافات البينية، مما جعل المنطقة تعيش أحيانا بين نمطين من التشريع يتقاطعان في كثير من أحكامهما وطريقة تدبيرها ويختلفان في بعضها، نتيجة المرجعية المعتمدة في حل هذه القضايا بين الشرع والعرف، إلى درجة التداخل بينهما أحيانا، رغم كون السكان في البوادي يؤثرون لأسباب موضوعية اتباع أعرافهم المخالفة أحيانا للنص الشرعي الصريح في قضايا معينة[96]، وهو ما كان محور أسئلة فقهية منذ وقت مبكرة سابق حتى على وجود الاحتلال الفرنسي، فقد سئل صاحب الأجوبة الدرعية في باب أفعال العامة؛ مثلا عن قوم من أهل البادية أعرضوا عن أحكام الشريعة وتركوها إلى أحكام وعادات وعقوبات بالمال جعلوها بينهم، فكانوا يقضون بها، أيكفرون بذلك أم لا؟ فأجاب لا ولكنهم عصاة[97]. ولهذا ارتبط العُرْفُ بالقبائل

---

[96]- أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ـ 1912)**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2011م، ص. 399.

[97]- محمد بن محمد بن ناصر الدرعي(ق 11هـ)، **الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية**، م م و، د1111، ص. 56.

أمازيغية أساسا، أو ما يصطلحون عليه اسم "تِعْقِدِينْ" كتسمية خاصة بأمازيغ المناطق الجنوبية الشرقية من العطاويين واليافلمانيين[98]، بينما ارتبط الشرع بالقبائل العربية بالرتب وإن كانوا بدورهم لا يطبقون كل أحكامه وتحضر أعراف متنوعة في حل كثير من قضاياهم الخلافية، كما أن الملاحظ هو حرص العطاويين على حضور الفقهاء في كتابة بعض أعرافهم وتكليفهم بكتابتها، وهذا ما يبعث على التساؤل حول ذلك، هل لأن العطاويين لم يكونوا في معظمهم يعرفون الكتابة التي كان الفقهاء وطلبتهم أهل الاختصاص بها؟ أم لأنهم كانوا يحرصون على إعطاء قدسية دينية لهذه الأعراف؟ هذا التفسير الثاني هو ما نرجحه بدليل حضور مبدأ اشتراط "الحلف" أو "الحلُوف" في روضات إحدى صلحاء المنطقة في عدد من البنود التي سنأتي على ذكر بعضها، هذه الثنائية بين اعتماد الشرع أو العرف/ أزرف[99]، هو ما بررت به سلطات الاستعمار تكريسها تقسيم المجتمع المغربي في التعاطي مع الشأن القضائي؛ بين ما أسمته بلاد العرف وبلاد الشرع، وذلك عبر إقامتها لمؤسسات رسمية تقوم على هذا المبدأ من التمايز.

---

[98]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، انظر الهامش ص، 74. /انظر أيضا تعريفه في **معلمة المغرب**، ج8، ص. 2710.

[99]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **الحلل البهية**، يعرف المشرفي العرف أو أزرف قائلا" **لازال غالب أحوال عامة هؤلاء[القبائل] المذكورين بهذا الجبل، ومن يليهم شرقا إلى قبيلة بني وراين من القبائل البربرية، ومن جاورهم من العرب، على منهاج الجاهلية وسننها، غير أهل السوس الأقصى فإنهم مخالفون لهم، جانحون لإقامة شرائع الدين وسننه .فمن ذلك عرفهم المختص بهم في الأحكام المسمى لديهم بأزرف: ويعنون بها الحكم المقابل للشرع، فيقولون: ما حُكْم الشرع في هذه النازلة؟ وما حكم أَزْرَفْ فيها؟ كما يقولون للمتحاكمين: تَزَارَفُوا. أي تحاكموا به. ولغتهم هذه، توافق اللغة العربية في هذا المعنى من حيث التقدم والزيادة. وفي القاموس: زرف إليه تقدم، وأزرف الرجل تقدم، وزرف في الكلام زاد فيه فيكون وجه تسمية الحاكم بأزرف لديهم من زيادته في الكلام عند حكمه على ما هو مشروع أو من تقدمه إلى الحكم بالعقل، وهم في ذلك كما هم عليه قبائل عمالة وجدة من اللف والميعاد، وقد تقدم كيفيته وكيفية أزرف، أن يتقدم في كل قبيلة واحد أو أكثر من عقلائهم المتمهرين في الأحكام العقلية المألوفة لديهم، المضبوطة القواعد، بتواتر الحكام عليها، وقد مرت عليه نوازلها، وتكررت لديه وقائعها مع ما يكون عليه من الأمانة من (عدم) أخذ الرشوة وقبولها، فتقصده القبائل، ويرحلون إليه في مهماتهم من كل(ناحية) حين يشتهر بمعرفة الحكم والأمانة وجودة الرأي، وإن حكم حاكم في قضية ولم يرض المحكوم عليه بذلك يذهب لحاكم ثاني وثالث، وهو المنتهى. ويقدمون حكمه على حكم الشارع صلوات الله عليه، فإن من طلب خصمه للشريعة بأن يقول: أنا أدعوك للشرع المطاع، وأجابه خصمه بأن يطلبه للحق بأن يقول: وأنا أدعوك للحق، يعني به أزرف، فكل من سمع ذلك يأمر بتقديم دعوة الحق عندهم على الشرع، ولا يلتفت لمدعيه، ولا يلزم المدعي للحق إجابته، فإذا جلس الخصمان بين يدي الحاكم بأزرف، أمر كلا منهما– قبل سماع دعواهما– بإعطاء ضامن فيما يجب عليه، إن حكم عليه بشيء أو رهن يكفي للتوثق به ثم يقول كل منهما كلامه، ويحكم بينهم بما يراه من القوانين المعتادة[لديه] اللائقة بتلك النازلة. وكثير أحكامه ما جاء في الدماء، وخفر الذمة، والسرقة، ونهب المحصنات، وما شاكل ذلك من الجرائم**"ج2، ص. 133.

هذه الأعراف بلغة العطاويين تسمى "آزْرْفْ": وغالبا ما كان يحتفظ بالعرف في القبائل بالرواية الشفهية، لكن قد يجتمع الأعيان أحيانا ويُمْلُونَ نصا على فقيه، وغالبا ما يدققون هذا الشرح القانوني بتعليقات تقترب من حيث شكلها وطبيعتها كما يقول سبيلمان من حيثيات حكم صادر عن محاكم فرنسا[100].

أما بول زايس فيقول «**أن العرف يتوارث بين الأجيال بالسماع بدون كتابة في بربر تمازران، وبالكتابة في قبائل الشلح، ولما كانت لغة البربر تناسى أهلها الكتابة منذ قرون فإن المعاملات فيما بينهم إنما تنعقد مشافهة بمحضر أناس الجماعة الذين يوثق بهم لأجل تنفيذ الاتفاقات والعقود**»[101].

ومن أشهر الأعراف التي كان يحتكم إليها حتى قبل الفترة الاستعمارية وحظيت بدراسات مهمة، مكنتنا من الوقوف على جوانب من الفلسفة والأسس التي تبنى عليها في تحديد مضامينها والجزاءات الواردة فيها؛ نجد **أعراف قصر الجارة** بالرتب الأوسط التي حظيت بدراسة من قبل العربي مزين، ثم **أعراف قصر تدرين** بالرتب الأعلى، والتي قام بدراستها امحمد احدى، وطالما أنها منشورة في إصدارات للكاتبين فسنكتفي بالإحالة عليها، لكننا في الوقت نفسه سنحاول المقارنة بين العرفين معا، للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما، نظرا للتقارب الجغرافي بين القصرين بمجال الرتب، إلى جانب كونهما عرفين لقبائل عطاوية استوطنت المجال في الوقت نفسه، مع الإشارة إلى أن كثيرا من بنود قصر تدرين أخذت عن عرف قصر الكارة الذي أخذ بدوره عن قصر تاخيامت[102]، رغم أن كل عرف يمثل فرعا من فروع قبيلة آيت انبكي، فعرف تاخيامت هو لآيت خباش الرتب، وعرف الكارة هو لآيت أمناصف الرتب، فهل هناك تشابه بينهما؟ أم أن البيئة والواقع الاجتماعي الذي وجدته هذه القبائل العطاوية عند وصولها إلى الرتب؛ دفعها إلى تكييف بعض أعرافها مع هذا الوسط؟

---

[100]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 25.

[101]- بول زايس، «المحاكم الوطنية(الشرعية والمخزنية والعرفية والإسرائيلية)» تعريب عبد الرحمان بيري، ضمن **المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية(المذهب المالكي والعرف البربري والقانون الإسرائيلي)، الباب الثاني في المذاهب**، ع1، السنة الأولى بتاريخ 1935م، ص. 4.

[102]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 17.

جدول رقم 15: **مقارنة بين أعراف الكارة وأعراف قصر تدرين بالرتب**[103].

موضوع المقارنة	عناصر الاختلاف بين عرف الكارة وعرف تدرين
من حيث العدد	عدد بنود عرف الكارة هو 401 عرفا، بينما لا يتجاوز عددها 301 بندا في عرف قصر تيدرين.
في تقديم العرف	أشارت ديباجة عرف قصر الكارة إلى أن بنوده منقولة من الشروط القديمة دون أن يسميها بينما نصت ديباجة عرف تدرين على أن بنوده منقولة كاملة من عرف قصر الكارة لكن مرجعية كلا العرفين هي أعراف قصر تاخيامت طبقا لما ورد في البند 358 من عرف الكارة والبند 282 من عرف تدرين حيث جاء فيهما: «**وأما ما لم نجده من الأحكام في شروطنا، فإننا نرجع إلى تخيامت**».
البند1.	العقوبات بشأن السارق في العرفين متشابهة لكن المضاف هو تحديد مكان "الحلوف" (أداء اليمين) بحيث أضاف عرف تدرين الحلف بضريح السيد الحاج بنطلحة المتواجد قرب القصر.
البند رقم 23.	حصر من يحق لهم شراء الأرض أو غيرها فيمن ينتسبون إلى قبيلة آيت عطا، والشرفاء أهل مولاي عبد الله بن احساين. لكن عرف قصر الكارة تضمن اسما آخر هو مولاي امحمد الدراوي.
البند 29.	اختلف في تحديد الأماكن والحدود التي تعتمد لتحديد العقوبة في جريمة اللواط.
البند 36.	ذكر في عقوبة من تخلف عن حراسة الأبواب،أنه يعطي موزونة في عرف الكارة، وكرش فضة نهارا، ونصف مثقال ليلا في عرف تدرين، لكن قيمتهما المالية متشابهة.
من البند 42 إلى البند 46.	هذه البنود الواردة في عرف الكارة، لا وجود لها في عرف تدرين، نظرا لتعلقها بأمور خاصة بالكارة ترتبط بحرمة المنازل ومعصرة القصر وغيرها.
البند 93 الكارة البند86 تدرين.	عرف الكارة لم يشترط في هذا البند المتعلق بالمجروح في الخصام الذهاب لأي ضريح، أما عرف تدرين ففرض على من قال للشيخ "أن فلان جرحني بكذا" أن يذهب ويقبل السيد الحاج بنطلحة.

[103]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، للاطلاع على بنود العقدين أنظر، من ص. 41 إلى ص. 94. ثم
- Mezzine, **Le Tafilalet**, p,105 - 181.

البند 103الكارة البند 94 تدرين.	عُرْف الكارة نص على أن يحلف كل من غدر بأحد خمس حَلْفَاتْ بمولاي امحمد بن علي، لكن عرف تدرين لم ينص على الحلف بهذا الضريح بل بالجرف بلاترمت[104].
البند 106الكارة البند 97 تدرين.	عرف الكارة حدد الحدود التي يجب أن لا يتخطاها من قتل أحدا من أفراد البلاد، وهي مخالفة للحدود المنصوص عليها في عرف تدرين، لأنها ترتبط بمجال محلي خاص بكل منهما.
البند 119 الكارة البند111 تدرين.	نص بالحلف على من ادعى على أحد بأكل الأمانة بمولاي امحمد بن علي. في حين نص عرف تدرين على الحلف بالسيد بن طلحة.
البند 133 و134 في عرف الكارة.	نص البند 133 على" من كسر السد للساقية، أو كسرها في مروس، فعليه قنطار لكل واحد وفي البند 134 نص على أن من كسر الساقية لأحد في نوبته بمائة مثقال ومضمونهما غير وارد في عرف تدرين.
من البند 137 إلى البند 145.	هذه البنود موجودة في عرف الكارة وتتعلق أساسا بالرعي والاحتطاب، لكن لاوجود لمضمونها في عرف تدرين مما قد يوحي بغياب أو ضعف نشاط الرعي عند سكان القصر.
بنود مختلفة.	في البند 159 الكارة المتعلق بجزاء من خرط الزيتون فحدد ب عشرين مثقال، والبند 160 حدد من لقط في الغلة نصافه ريال، وأن لقطه في غير الغلة نصافه مثقال، البند 161 قضى بخمسة مثاقيل على من سرق شيئا خارج البلد، والبند 162 قضى على من سرق من الجنان بعشرين مثقالا. أما في عرف تدرين البند 141 المتعلق بخرط الزيتون فقضى بأربع ريالات والبند 142 من لقط نصف ريال وفي غير الغلة مثقال، والبند 142 من سرق خارج البلد ريال وفي الجنان 4 ريالات، وعموما نسجل اعتماد الريال عند أهل تدرين أكثر من المثقال وفي البند 147 نص على أن من نزع شيئا قليلا، واحدة أو اثنتين من رمان أو غيره لكن خارج الجنان، فليس عليه شيء غير واردة في عرف الكارة.
البند 180 الكارة.	ونصه "**وأما من أكل في كرشه في النوادر فنصافه مثقال**" لكنه غير موجودة في عرف تيدرين.

[104]- **تِرَمْتْ**، لفظة تعني بالأمازيغية الأجل، وتستعمل أيضا في المسائل المتعلقة بتنظيم الري بالواحات ويشار إليها ـ تِرَمْتْ نْ- وامان. احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 45.

بنود مختلفة.	البنود من رقم161 إلى البند 194 في عرف الكارة، لا وجود لها، في عرف تدرين لأن معظمها يتعلق بمجال الكارة وبخصوصيات هذا القصر في أمور ترتبط بالأنشطة الفلاحية والماء وغيرها من القضايا.
البند 174 تدرين.	نص على أن من اشترى أو باع البيض لليهود فنصافه مثقال، هذا البند لاوجود له في عرف الكارة، وقد علق احدى على ذلك بالقول: «**إن هذا لا يمكن تفسيره إلا بالدور المشبوه الذي لعبته هذه الفئة في تعاملها مع الفرنسيين بالمناطق الشرقية المحتلة بالجزائر وبلدة بوذنيب المجاورة سنة 1908م**»، مما يفسر غياب هذا البند في عرف الكارة[105].
البند 231 الكارة البند181 تدرين.	من الإشارات التي تبين على أن قصر تاخيامت وأعرافه كانت مرجع العطاويين في الرتب، ما ورد في العرفين المشار إليهما وهذا نصه، «**أهل أزرف فإن الشيخ ينقرهم (يختارهم) من أرباع البلد، فإن اتفقوا على الذي اجتمعوا عليه فنعم، وإن لم يتفقوا فينقر أيضا عشرة أخرى، فإن اتفقوا فنعم، وإن لم يتفقوا، فيحسب الجميع فثلثان، تغلب الثلث، وإن افترقوا الثلثان على نصفين، فيقدمون لأهل تخيامت فإن أفروهم بما كان يقتل الحق عندهم فنعم، وإن لم يفروهم فإنهم يقدمون للشيخ آيت مناصف فإنه يفريهم بما يقتل به الحق عنده، وإن افترقوا له الناس فالنصف الذي حاز عليه الشيخ هو المعمول به**».
بنود مختلفة.	البند رقم 232 و 233 و234 و235 بعرف الكارة المتعلق بقضايا النخيل والبهائم لاوجود له في عرف تدرين، وكذلك البنود من 238 إلى 241 في عرف الكارة لاوجود لها في عرف تدرين.
البند242 الكارة البند185 تدرين.	عرف الكارة لم يشر إلى اليهود حيث اكتفى بالقول، «**وكذلك من أدخل بسلعته فنصافه خمسة مثاقيل**» أما عرف تدرين فذكرهم «**وأما اليهود إن دخلوا النوادر في وقت الخريف بسلعة فنصافه** ريال».
بنود مختلفة	البند رقم 248 و249 و250 (ترتبط بالغرامات المفروضة في حالة خرق أطفال

[105]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، هامش 4 ص. 74.

	القصر لبعض القوانين المرتبطة بجمع الحطب...) والبند 253 و254 و255(ترتبط بالبيع والغرس) في عرف الكارة لاوجود لها في عرف تدرين لكونها خاصة أو إضافية.
البند 269 الكارة البند 206تدرين.	الحلف عند أهل الكارة يكون في ضريح مولاي امحمد بن علي، أما في عرف تدرين فيحلف أهلها في سيدي بن طلحة.
بنود مختلفة	البند 299 من عرف قصر الكارة المتعلق بحق ملكية ما يوجد بجوار السواقي، لا وجود له في تدرين، وكذا البند 301(يتعلق بملكية النّوَادِيرْ) و303 (يتعلق بأجرة البواب)والبند 312(يتعلق بجمع البلح) والبند 320 و321 و322 و323 (تتعلق بشؤون الفلاحة) والبند 333 (يتعلق ببناء القناطر على السواقي) والبند 345 (تعلق بجمع التمر في الغابة) والبند 352 و355 والبند 361 و363 و367 و368 و369 و382 و383 (تتعلق هذه البنود بعدد من الأحكام في مخالفات عدة) من عرف الكارة، لاوجود لها في عرف تدرين.
البند 315 الكارة البند248تيدرين.	أوجب عرف الكارة على الشيخ عند اكمال مشيخته، اختيار خمسة رجال من كل ربع لمحاسبته، وأما عرف تدرين فنص على أن الشيخ حين يكمل مشيخته ينقر بباب مرات "اِمْنْكَاسْ" ويحاسبوه حتى تصفى ذمته، فحسابهم جائز.
بنود مختلفة.	انتهت البنود الأولى بالبند رقم 385 في عرف الكارة و301 في عرف تدرين اضيفت لها لا حقا بنودا أخرى غير أنه تمت إضافة ثلاثة بنود في عرف تدرين، و16 بندا في عرف الكارة هذه الأخيرة ضمت أحكاما إضافية لا وجود لها في عرف تدرين.

نستنتج من خلال المقارنة بين العرفين، مدى التشابه الكبير في الأحكام وطريقة التنظيم بين عطاويي قصر الكارة وإخوانهم في قصر تدرين، لكن ذلك لم يمنع من حضور تأثير للمجال الجغرافي الخاص بالرتب؛ في فرض وجود اختلافات بين العرفين في بعض القضايا؛ لعل أبرزها تلك المعروفة فيهما بـ "الحْلُوفْ" (أداء اليمين)، حيث فُرض الحِلْفَ بأضرحة صالحين بكلا القصرين؛ وذلك بأن يعتمد كل قصر على الولي الصالح الأقرب إليه، واعتباره المكان المقدس الذي يخصص لأهل القصر من أجل "الحْلُوفْ"، فحدد أهل تدرين ضريح سيدي بنطلحة، بينما حدد أهل الكارة ضريح مولاي الشريف أو سيدي محمد بن بوعلي، وما يبين تأثير المجال أيضا ودوره في

وجود اختلاف بين العرفين؛ هو وجود بنود عدة لم ينقلها أهل تدرين عن أهل الكارة، لكونها خاصة بظروف مجال هؤلاء، والمختلف أحيانا عما هو موجود عندهم. لكن القانون العرفي لقبائل آيت عطا بالرتب يمتاز بشموليته ووضوحه، ويتجلى ذلك في عدة مستويات، نذكر منها التقنين المحكم لقوانين اختيار شيخ القبيلة، كما أن سلطة شيخ القبيلة على مستوى القصر أو الشيخ لم تكن تزيد على سلطة غيره، لكون السلطة تداولية تمنع استبداد خُمْسٍ من الأخماس بالسلطة، وتكون مشيخة القبيلة بالتداول بين الأَخْمَاسْ الرئيسية في الاتحادية، فضلا عن كون القرارات المصيرية تتخذ بالأغلبية في حالة الاختلاف[106].

إلى جانب كل ذلك؛ فهذه الأعراف بناء على مضامينها لا تمثل وسيلة للتقاضي وفض النزاعات فحسب، بل هي في جوهرها تعبير دقيق ومطابق للتطور الذي تعرفه الجماعة، وانعكاس لتصورتها حول عالمها، وكذا لطبيعة العلاقات التي يجب أن تحكم الأفراد ضمن مجتمعهم وقبيلتهم[107].

وبالبحث عن شكل وطريقة تفعيل هذه الأعراف بشكل رسمي ومؤسساتي في الفترة الاستعمارية؛ يذكر لنا سبيلمان أن أوفوس ضمت المحكمة العرفية لآيت عطا، والتي كانت تنظر في قضايا أفخاذ آيت عطا الرتب من آيت اونبكي وآيت اسفول، وتخضع لإشراف مكتب الشؤون الأهلية بأرفود، وأضاف قائلا «**وحدها محكمة آيت عطا الرتب، الأقدم من بين هذه المحاكم أنشأت بقرار وزاري بتاريخ 15 شتنبر 1934م، أما الأخرى فإنها لا تزال محط تجريب، وإن كان يبدو من الآن أن التجربة مقنعة، بل نعتزم في المستقبل القريب نسبيا تأسيس**

---

[106] –Ilahiane, **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, p. 124, 125.

[107]– امحمد احدى، **دراسات في تاريخ المغرب العميق، مقال** «الانسان والبيئة بواحات الجنوب الشرقي المغربي من خلال الوثائق والأعراف المحلية» ضمن أعمال ندوة، "**البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وافاق تنموية: منطقة درعة نموذجا**"- منشورات المعهد الملكي الأمازيغية الرباط - 2005م، ط1، 2012م، مطبعة BJ PRINT أكادير، ص. 197.

محكمة استئناف عرفية بإغرم أمازدار (صاغرو) حيث مقر محكمة آيت عطا العليا في الماضي»[108].

وقد كان التقاضي يتم أحيانا في المحاكم العرفية على درجتين؛ الدرجة الابتدائية والدرجة الاستئنافية. ومن خلال تصفحنا لبعض أعداد الجريدة الرسمية للمغرب زمن الحماية الفرنسية، أمكننا رصد وتتبع جوانب من التطور الذي عرفه الجهاز العرفي القضائي بالمغرب، ومن ضمنه مجال الرتب الذي يهمنا، فكما هو معلوم حسب ما ورد في المجلة المختصة بالمحاكم الوطنية(الشرعية والمخزنية والعرفية والإسرائيلية) زمن الاستعمار الفرنسي للمغرب أن "المحاكم العرفية وقع إنشاؤها في القبائل المسترسلة مع العوائد والأعراف بمقتضى الظهير بتاريخ 11 شتنبر 1914م، وهذه القبائل كانت قبل الحماية تعرف ببلاد السيبة، أي القبائل التي لا تجري فيها أحكام المخزن، وكان افتتاح عملية إدخالها لطاعة المخزن في مارس 1912م وانتهت في شهر ماي 1934م، لذلك كانت أنظمتها قريبة العهد، وهذه المحاكم تقسم إلى قسمين جنائية ومدنية، وقبل الحماية كانت هذه القبائل عبارة عن طوائف مستقلة يجري فيها فصل الدعاوي على مقتضى العرف الموروث بينهم على مر العصور، أما العقوبات العرفية فتتولى إصدارها الجماعة، التي هي السلطة الحاكمة في القبيلة، والمكونة أساسا من الأعيان ومن "أمغار" الذي هو رئيس الجماعة[109].

أما المستعمر، فقد عمل على تقنين هذه الأعراف، وإضفاء طابع المشروعية عليها بشكل تدريجي، بحيث أصدر قرارا وزاريا بتاريخ 28 دجنبر 1934م حدد فيه كل نوع من أنواع القضايا المعروضة على المحاكم العرفية، والمبالغ المالية التي يتم دفعها عن كل قضية[110]، وتم تحديدها بقرار

---

[108]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 123.

[109]- زايس، **المحاكم الوطنية(الشرعية والمخزنية والعرفية والإسرائيلية)**، ص. 4.

[110]- ج ر، (**النسخة العربية**)، ع **1157**، لسنة 1934م، ص ص. 1870، 1871، 1872.

آخر بتاريخ 16 أبريل 1954م[111]، كما صدر قبل ذلك قرار وزاري بتاريخ 11أكتوبر 1935م حدد تعريفة أجور الرسوم والصوائر العدلية لدى المحاكم العرفية[112].

وفي ما يتعلق بالرتب وجدنا أن القرار الصادر سنة 1914م والمتعلق **ببعض الإجراءات المتخذة في تصنيف المناطق ذات العوائد البربرية**[113]؛ اكتفى بذكر بعض القبائل المشمولة بالقرار، لم تكن منطقة الرتب من بينها طبعا، لأنها كانت آنذاك خارج السيطرة الفرنسية الرسمية، لكنه سيتبعه بقرار وزاري سنة 1934م والمتعلق بضبط الأمور الراجعة لاختصاص المحاكم العرفية، وقواعد المرافعة لديها في تنظيم شؤون تلك المحاكم، حيث حدد عدد فصول المحاكم العرفية الابتدائية والاستئنافية في 23 فصلا، كما بين طريقة تركيبتها، وذكر أن المحكمة العرفية الابتدائية تتكون من أعضاء ومندوب مخزني وكاتب[114].

ظهر بعد ذلك اسم الرتب في قرار وزاري صادر بتاريخ 16 شتنبر1934م، متعلق بتعيين مراكز المحاكم العرفية الابتدائية والاستئنافية وكذلك تركيبها ومناطق اختصاصها، حيث أعلن عن إنشاء المحكمة العرفية الابتدائية ب**آيت** عطا بأرفود مركزها أوفوس وعدد أعضائها الرسميين 9، وعدد النواب 5، أما القبائل والفخذات التي هي في مجال اختصاص هذه المحكمة فهم **آيت** عطة بالرتب وقبالة بالزريكات.

ونظرا لكون المحكمة العرفية الاستئنافية لآيت عطا بالجنوب الشرقي خلال هذه المرحلة لم تكن قد رأت النور بعد؛ فقد أسندت للمحكمة العرفية الاستئنافية بقصر السوق، والتي ضمت ستة أعضاء رسميين، وأربعة نواب لهم مهمة النظر لاستئناف قضايا جميع القبائل المدرجة في جملة القبائل العرفية الموجودة بتراب تافيلالت[115]، غير أن الأمر لم يطل إذ بعد ست سنوات أي سنة

---

[111]- ج ر، (**النسخة العربية**)، ع 2164، لسنة 1954م، من ص ص. 1150، 1151.

[112]- نقسه، ع **1198**، لسنة 1935م، ص. 1586.

[113]- نفسه، ع **73**، لسنة 1914م، ص. 407.

[114]- نفسه، ع **1120**، يوم 13 أبريل، 1934م، ص ص. 476، 477، 478.

[115]- نفسه، ع **1152**، يوم 23 نونبر، 1934م، ص ص. 1689، 1690.

1940م سيصدر قرار استثنى فيه قبائل آيت عطا بالرتب وتافيلالت ومناطق أخرى من إشراف المحكمة العرفية الاستئنافية لقصر السوق، بعد أن تم تأسيس المحكمة العرفية الاستئنافية بإغرم أمزدار بجبل صاغرو التابع لتراب ورزازات، والتي ضمت في عضويتها سبعة أعضاء رسميين وستة نواب وتكلفت بالنظر في القضايا المستأنفة لجميع قبائل آيت عطة سواء المستقرة بتراب ورزازات أو **آيت** عطة الرك والحاسية و**آيت** اسفول لمسيسي التي توجد بتافيلالت[116].

هذه المحكمة الاستئنافية بإغرم أمزدار كانت بمثابة محكمة عليا، بحيث تختلف عن محكمة القبيلة في تشكيلها، إذ يترأسها وجوبا الشيخ العام لآيت عطا، وتتركب من جماعة عدد أفرادها ستة، ويسمون (آيت أزرف) أي أهل الحق، يتم استبدالهم مرة أو مرتين بأعضاء آخرين، أو في حالة عدم الاتفاق على حكم من الأحكام إرضاء للطرف غير المقتنع بالحكم، أو من أجل التمحيص والتدقيق في الدعوة، ولا يتدخل الشيخ العام بصفته مشرفا أعلى على الجلسات إلا عند استعصاء الأمر[117]، لكن سجلنا إجراء تغيير في عدد أعضاء هذه المحكمة بعد رفعهم إلى ثمانية أعضاء رسميين وثمانية من نوابهم[118].

لكن بالعودة إلى المحكمة العرفية بالرتب، نجد أن الفترة الفاصلة ما بين إحداثها سنة 1934م وتاريخ الاستيلاء الفرنسي على المنطقة، تطرح أمامنا عدة تساؤلات، حول تدبير الشأن القضائي بالرتب إبان هذه الفترة الفاصلة، وعن الأسس والمرجعيات القضائية المعتمدة خلالها، ومن خلال العودة إلى الروايات الشفهية وما كتبه بعض الباحثين، وجدنا أن الفرنسيين وبعد احتلالهم للرتب؛ اعتمدوا فيه نظاما قضائيا منطلقا من الشرعية كما تذكر لنا الروايات، في هذا الصدد، أنه تم تنصيب قاضي اسمه محمد بن الشريف وهو من مدغرة، وبعده القاضي سيدي أحمد بن الحاج علي، ثم أخوه حماني بن الحاج علي وهما من الزريقات، وبعدها طالب آيت عطا من

---

[116]- ج ر، (**النسخة العربية**)، ع **1422**، يوم 26 يناير 1940م، ص. 101.

[117]- ابليهي، **اتحادية آيت عطا**، ص. 74.

[118]- ج ر، (**النسخة العربية**)، ع **2140**، بتاريخ 30 اكتوبر 1953، ص. 3561.

الفرنسيين العودة إلى التحاكم بأزرف الذي ورثوه، وبالفعل يؤكد الأرشيف الفرنسي هذه الرواية الشفهية حول اعتماد القضاء الشرعي لفترة وجيزة في الرتب بعد احتلاله، ويذكر أن من الشخصيات التي اسندت لها مهمة قضاء الرتب" سيدي محمد بن شنل بن أحمد[119] الذي تولى المنصب ما بين سنتي 1923وسنة 1925[120].

ويمكننا من خلال عدد من الوثائق التي يحتفظ بها الأهالي، رصد عدد من القضايا التي كانت تتدخل فيها هذه المحكمة العرفية الخاصة بآيت عطا بالرتب، والتي تبرز أهميتها من حيث العدد وكذا المداخيل التي كانت تدرها، كما يوضح الجدول التالي.

جدول رقم 16: نموذج لتطور نشاط المحكمة العرفية بأوفوس خلال سنتي 1952م و1953م[121].

مكتب المراقبة	المحاكم العرفية	عدد المقيمين	عقود موثقة بكل الاصناف		الدعاوي المرفوعة		ايرادات تكاليف العقود والتقاضي بالفرنك		مجموع التعويضات لأتعاب المندوبين	
			1952	1953	1952	1953	1952	1953	1952	1953
أوفوس	آيت عطا أرفود	9000	1999	1888	409	413	496283	550680	311040	362720

تختلف عدد من المعطيات المرتبطة بالمحكمة العرفية لأوفوس من سنة لآخرى كما وضح الجدول السابق، ومن ذلك أيضا ما أشارت له وثيقة في الأرشيف الديبلوماسي الفرنسي والتي ذكرت أن الأحكام التي أصدرها الخليفة ابراهيم احدى سنة 1950 وصلت إلى 647 حكما، لكنها تراجعت إلى 287 حكما سنة 1951م[122].

---

[119]- **سيدي محمد بن شنل**، ولد سنة 1894م بقصر سيدي بوعبد الله في مدغرة، والتحق بالقرويين لإتمام دراسته ثم عمل فقيها لمدة 30 سنة في الرتب، قبل أن يعين قاضيا عليها، وفي سنة 1930م عينه وزير العدلية لممارسة مهنة عدل.

[120]- عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية بمنطقة تافيلالت**، ص ص. 160، 161.

[121]- نفسه، ص. 170.

[122]-ابتسام تملاين، **آثار الاحتلال الفرنسي لتافيلالت: دراسة في البنيات السياسية والاجتماعية وتحولاتها**. منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة أصكوم، القنيطرة، الطبعة الأولى 2019م، ص. 399. أوردت تملاين وثائق عن المحكمة العرفية بأوفوس في كتابها جاءت عندها كما يلي: الوثيقة رقم 33، ص. 512. متعلقة بالأمازيغ والحراطين بالرتب الذين يعملون وفق العرف بينما الشرفاء يعملون بمقتضى الشريعة الإسلامية/ الوثقية رقم 34. ص. 513. موضوعها رسالة بتاريخ 16 أكتوبر 1952م بعث بها اليوتنان لفواني(Lavoignat) رئيس مركز أوفوس إلى رئيس دائرة أرفود حول رغبة القبيلة أن يكون أعضاء الجماعة ضد القائد يوسف احدى/ الوثيقة رقم 35. ص. 514. تشير إلى أنشطة المحكمة وتعرض لبعض الأحكام الصادرة عن الخليفة ابراهيم احدى.

لكن نشاط هذه المحكمة العرفية بالرتب وغيرها من المحاكم العرفية بالمغرب توقف مع حصول المغرب على استقلاله، إذ كانت أولى الإجراءات التي اتخذت مباشرة بعد رحيل المستعمر؛ هي إصدار ظهير 7 مارس 1956م والقاضي بإلغاء القسم الجنائي العرفي، وبعده ظهير 14 أبريل سنة 1956م الذي أحدث المحاكم العادية لتحل محل المحاكم العرفية، وأيضا ظهير 25 غشت سنة 1956م القاضي بإحداث محاكم على رأسها حكام مفوضين في دائرة نفوذ المحاكم العرفية، ولربما كانت هذه الاجراءات بما اتسمت به من ارتجالية وسرعة وراء انفجار الاحتجاجات بمنطقة تافيلالت والريف[123].

بهذا نجد أن القبائل العطاوية بالرتب احتكمت في خلافتها إلى أعرافها المتوارثة أما غيرهم من باقي الساكنة والمكونين أساسا من العرب والشرفاء فقد ظل التقاضي بينهما يخضع للشرع، ويبث فيه كذلك قاض معين، يحضر أيام الأسواق الأسبوعية الثلاث بالمنطقة، وهذا القاضي بدوره كان تابعا لقاضي أرفود، الذي ترفع له قضايا المنطقة الخلافية حيث نجد ختمه على عدد من الأحكام الصادرة وكذا الاتفاقيات المبرمة بين المتخاصمين[124].

[123]– محمد عمالك، «الأعراف والهوية: رصد لتراجع مكانة ووظيفة الأعراف الأمازيغية»، ضمن كتاب "**القانون والمجتمع بالمغرب**"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2005م، ص. 126.

[124]– الأوفوسي، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، آخر صفحة في المخطوط.

5 – تجليات الحياة الدينية والفكرية بالرتب.

إذا كان من بين أهداف هذا البحث هو استكشاف ما امتازت به بعض المناطق والمجالات الريفية والشبه المنعزلة ببلادنا على كافة المستويات، والتي كان الباحثون ومازالوا غالبا ما يواجهون فيها صعوبات على مستوى البحث بسبب الإهمال وعدم الاهتمام الذي كان يطالها سابقا، نتيجة سيطرة الحواضر على غيرها في مختلف المجالات والميادين، وهذا ما يؤدي إلى إغفال جوانب مهمة من تاريخ الهوامش، التي إذا قمنا ببحوث جادة وحاولنا جمعها والبحث عن نقط الالتقاء فيها، سيتضح لنا جليا ما كان لهذه الأخيرة من أدوار مهمة ومؤثرة في رسم معالم كثير من المحطات والأحداث التاريخية البارزة، بل إن كثيرا من التطورات التي عرفتها الحواضر الكبرى بالمغرب كان منطلقها وأساسها من هذه المناطق.

يدفعنا هذا إلى محاولة إيلاء أهمية كبرى للمجالات الريفية أو القروية ومنها الرتب، من خلال التركيز في هذا المحور على الجانب الديني والفكري والثقافي، وكذا أهم الأدوار والزعامات والشخصيات التي عُرفت واشتهرت وأثرت في حياة سكان قصور الرتب وتافيلالت والمغرب عموما، فضلا عن رصد أهم الزوايا التي احتضنتها المنطقة، أو كان لها تأثير سواء على المستوى المحلي أو الوطني وربما أبعد من ذلك.

نستخلص من خلال استقرائنا للمادة المصدرية التي تطرقت لمنطقة الرتب على محدوديتها، مدى الحضور الوازن لأعلام تصدروا المجتمع الرتبي؛ من أهل العلم والولاية والصلاح، والذين تجاوز صيتهم مجال الرتب إلى غيره من المجالات الأخرى، بفضل ما خلفوه لنا من تراث فكري وثقافي غني، مازال بعضه محفوظا وراسخا ومتجليا في حياة كثير من سكان المجال، كما يمكننا أن نستشف من خلال هذه المصادر أن مجال الرتب بحكم ما عرفه من تغيير في تركيبته الاجتماعية لاسيما في القرن13هـ/ 19م خاصة بعد وصول العطاويين، عاش خلال هذا العصر مرحلة ضعف الإنتاج الفكري، وذلك بالنظر إلى كون معظم العطاويين رحل بالأساس، ولهذا لم يكونوا في

غالبهم يرسلون أبناءهم للتعلم في المساجد والزوايا الكثيرة بالمنطقة في المراحل الأولى لاستقرارهم بالرتب، مما جعلهم في الغالب أميين ولا يعرفون عن الدين إلا القليل حسب سبيلمان[125]، عكس التأثير القوي والبين الذي استطاعت القبائل العربية قبلهم أن تفرضه، بعد سيطرتها على مناطق سجلماسة الواسعة وطول فترة استقرارها بها[126]، حيث نجحت في تعريب كثير من الأمازيغ وذلك من خلال إعطاء الأولوية لتدريس اللغة العربية وتعليمها، وتشجيع أبناء الأمازيغ على الإقبال عليها والتمكن من كتابتها والحديث بها[127]. تعزز ذلك بإقامة عدد من الزوايا بالرتب، كانت منارات علمية ومحطات استقطاب لطلبة العلم من المنطقة وخارجها، وعلى رأسها الزاوية الصادقية بقصر الزاوية القديمة بالرتب الأسفل وغيرها، إلى جانب بروز فقهاء وعلماء كانوا وإلى وقت قريب وجهة كثير من طلبة العلم بالمغرب، فقد ذكر المختار السوسي مثلا أن الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الغرمي الجراري رحل إلى تافيلالت والرتب، وأخذ عن أعيان المنطقة ومنهم سيدي الطالب علي الزريقي الذي كان ذائع الصيت في علم القراءات[128].

لكن رموز المعرفة والعلم والورع التي كانت تستوطن مجال الرتب وامتازت بعطائها. وكانت محط استقطاب للكثيرين داخل المغرب وخارجه، طوى كثيرا منها الإهمال والنسيان. وهذا ما دفعنا للبحث عن أبرز هؤلاء، وعن أهم إنتاجاتهم ومساهمتهم وكذا بعض مواقفهم، دون أن نغفل أن بعضهم وإن اشتهروا في حواضر أخرى، لكن مرحلة نشأتهم وتلقيهم وبنائهم الفكري كان منطلقها من هذا المجال، الذي نحاول إماطة اللثام عنه قدر الإمكان، وفي المقابل نجد أن بعض الشخصيات إنما برزت واشتهرت في هذا المجال وإن كانت أصولها تعود إلى مناطق أخرى، ولعل بعضا منها كان لها أحيانا أدوار أساسية وبشكل مباشر في إنشاء عدد من قصور الرتب، أو كان لها مساهمات

---

[125]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 56.

[126] -Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 194,195.

[127]- عبد الله استيتيتو، «المدارس العلمية العتيقة في تافيلالت: أدوارها العلمية وخلفياتها التاريخية»، ضمن كتاب "**المدارس العتيقة بالمغرب دور القبائل في التدبير والتمويل**"، تنسيق محمد آيت حمزة ومبارك آيت عدي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2015م، ص. 143.

[128]- السوسي، **المعسول**، ج18، ص. 94.

كبيرة وتأثير بارز في حياة الناس هناك، بفضل قيمتها الروحية، مما جعل قبورهم وأضرحتهم بعد وفاتهم عاملا مهما في تعمير محيط مقاماتهم أو الأماكن التي ارتبطت بذكراهم، ومن ثم بروز قرى وتوسعها نتيجة هذا العامل.

وفي بحثنا عن هذه الشخصيات رصدنا انتماء غالبية من اشتهروا بالعلم وطلبه بالرتب إلى فروع الأسرة العلوية من الشرفاء المستقرين بالمنطقة، ولعل ذلك راجع ربما إلى الاهتمام الذي كان يُولِيهِ الشرفاء للعلم ولتوريثه لأبنائهم، انسجاما مع الأدوار التي كان يقوم بها بعضهم وسط التجمعات التي يعيشون بين أهلها، وربما يرجع ذلك إلى اهتمامهم أكثر من غيرهم بتوثيق العلماء من الشرفاء دون غيرهم، خاصة ونحن نعلم أن عددا من السلاطين العلويين كانوا يرسلون عطاياهم لبني عمومتهم من الأشراف، مما كان يعني ضرورة ضبطهم وتسجيلهم وإحصائهم، لكن ذلك غيب عنا معرفة كثير من العلماء من غير الشرفاء بالرتب، ومثال ذلك مخطوطة بالخزانة الحسنية ترجع إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله[129]، تقدم لنا معلومات إحصائية هامة عن هؤلاء الشرفاء بالرتب، وجاء فيها ذكر للأشراف الفقهاء والطلبة والبصرى والمقعدين وأصحاب الأعذار بكل من مدغرة والرتب والخنك[130]، وعددت هذه المخطوطة من الفقهاء الشرفاء بالرتب ثلاثة منهم، بأولاد شاكر مولاي محمد بن حفيد، وبالقصر الجديد مولاي عبد الله الصديق، وبأولاد عميرة مولاي الفضيل بن علي[131].

أما الطلبة الشرفاء بمجموع الرتب فَحُدد عددهم خلال هذه المرحلة ب61 طالبا، موزعين كما يلي: من الدويرة 4، والبلاغمة 7، ومن أهل صوصو بأولاد عميرة 11، ومن أولاد سيدي

---

[129]- مجهول، **دفتر فقهاء الأشراف والطلبة أولاد مولاي علي الشريف**، م خ ح، رقم 107. أنظر ورقة 35.

[130]- نفسه، ورقة 36.

[131]- نفسه، ورقة 39.

بوحميد 1، ومن الشرفاء الأمراني بصوصو واحدا، ومن القصر الجديد 18، ومن ديار الشرفاء3، ومن أولاد شاكر 15، ومن الجرامنة واحد.[132].

انطلاقا من هذه المعطيات، يتبين لنا أولا استيطان الشرفاء في جل قصور الرتب تقريبا، واهتمامهم بالجانب العلمي، إلى جانب وجود طلبة للعلم في هذا المجال على محدودية الأرقام المقدمة وتواضعها، لكن ذلك يتوافق ومحدودية ساكنة المنطقة خلال هذه المرحلة السابقة على دخول العطاويين واستقرارهم بالرتب بأعداد وافرة، لكن الأكيد أيضا هو وجود عناصر غير شريفة ضمن الفقهاء والطلبة بالرتب لم تهتم بهم الاحصائيات المذكورة، وهذا ما يحول دون تمكننا من رصد الواقع الثقافي والديني بالمنطقة بدقة وبطريقة أوضح.

ومما يبرز لنا اهتمام بعض الرتبيين والفلاليين عموما بالعلم وتحصيله، ما ذكره الزكي العلوي عن مولاي عبد الواحد بن حمادي بن عبد الواحد بن محرز، أحد وزراء مولاي اسماعيل من كونه «**صرف همته في اقتناء الكتب وشرائها ولم يوجد في تركته غيرها**»[133]، وما يعزز ما أوردناه أيضا هو أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، كان له خمسة عشر ذكرا، كلهم أقرأهم القرآن العظيم، وعلمهم العلم، وألبسهم ملابس التقوى، وبعثهم لسجلماسة ليتأدبوا بآداب أبناء عمهم، ويعرفون إخوانهم ويعرفوا بحقوقهم[134]. فكان أن استقر بالمجال بعض منهم في فترات متفرقة سبق وأن أشرنا إلى أسماء بعضهم، وهو ما ساهم في جعل المنطقة تزخر بعدد من الخزانات كانت تكتنز مئات المخطوطات، بعضها تم الكشف عنه وبعضها تعرض للضياع، بينما مازال البعض منها متفرقا بيد عدد من الأفراد والأسر.

---

[132]- مجهول، **دفتر فقهاء الأشراف**. ورقة 73، 74.

[133]- الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ورقة171.

[134]- نفسه، ورقة 175.

بعض هذه المخطوطات التي حفظها بعض أهل الرتب، كان لعدد منها دور في الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ المغرب على غرار مخطوطة الأنوار الحسنية، التي أشار محققها عبد الكريم الفلالي إلى كونها الأقدم في التعريف بنسب الشرفاء العلويين، وذكر أنها كانت في ملكية يوسف احدا، الساكن بأولاد شاكر بالرتب، سلمها له سنة 1960م ابنه الكولونيل محمد احدا عامل إقليم ورزازات سابقا، كما أشار إلى أن هذا الكتاب كان سببا بل من العوامل القوية التي دفعت مولاي إسماعيل إلى إنشاء ديوان الأشراف سنة 1123هـ/ 1711م، على غرار ما أنشأه أبو العباس أحمد المنصور السعدي[135].

ومازال الباحثون المهتمون يكشفون كل مرة عن مخطوطات نادرة موجودة عند بعض سكان الرتب على غرار مخطوطة فريدة، عُثر عليها عند إحدى الأسر بقصور أولاد شاكر التابع لمنطقة أوفوس، كتبها الناسخ الفيلالي الشريف مولاي المختار بن الحسن المدني الجديدي بقصر تزكزوت بالسفالات، وهي عبارة عن مجموع يضم كتابين في العقيدة: الأول مبتور المقدمة، والثاني ينسب لمحمد بن عمر بن عبد العزيز ابن ابي محلي(1080هـ/ 1669م)، عنوانه المبتدع القول في التوحيد، وثالث عبارة عن كتاب في الأدعية والأذكار، ورابع كتاب في الرقائق هو" تنبيه الغافلين" لنصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي[136]. فضلا عن تواتر الروايات الشفهية حول خزانات عدة بمختلف زوايا الرتب، لكن بعضها تعرض للضياع خاصة بعد فيضانات سنة 1965م.

ساهمت بعض من هذه المخطوطات التي تم العثور عليها أو على نسخ منها في مناطق أخرى كذلك، في تعريفنا ببعض القضايا التي كانت تعيشها المنطقة، والتي كانت بمثابة نوازل طارئة احتاجت إلى فتاوي واجتهادات فقهية، أبانت عما كان يضطلع به علماء المنطقة من معين علمي

---

[135]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 11.

[136]- حسن امحرزي، **خزانات التراث المخطوط والوثائق بواحة تافيلالت الكبرى: بين الاستثمار ورد الاعتبار**، أطروحة لنيل الدكتورة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز فاس سايس، السنة الجامعية، 2017م ـ 2018م، ج1، من ص. 349، إلى ص. 353.

كبيرا وواسع، بل وكانت مرجعا في حل العديد من القضايا المماثلة في مناطق أخرى، ومن أبرز القضايا التي أثارت نقاشا دينيا وثقافيا عميقا بمنطقة الرتب، هي تلك المتعلقة بشرعية ما أخذه العطاويون من أراضي وممتلكات المنطقة، وفي جواز البيع والشراء معهم. في هذا الصدد نورد نماذج لهذه القضايا على سبيل المثال لا الحصر، فقد سئل أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي عن المال الذي سيطرت عليه آيت عطا وأعوانهم من قبيلة دخيسة وذوي منيع وغيرهم فأجاب «**وأما مسألة ما ذكرتم فإني لا أتصور حقيقة حالهم والحكم على الشيء فرع من تصوره، وقد كنت استثقلت الكلام مثله خشية أن يسمعه من لا يفهمه، فينزله في غير محله على حسب ما يتوهمه، لكني أخصك بكلام، تفهم إن شاء الله منه المطلوب وهو أن الأصل في أموال المسلمين حرمة أخذها بغير طيب خاطر أصاحبها، وأما أخذه إغارة على من هو بيده من ظالم مثله لنفسه لا لِيَصْرِفَه إلى حيث يجب فحرام، لاسيما إن كان لا يتوصل إليه إلا بسفك الدماء وهتك المحارم، ولكنه لا يحرم على من تحققت فيه المقدمات الثلاث من استغراق الدمة بالتباعات، وكونها لمن ايس معرفته، وكون الأخذ من ذو النصر وبشرط أن يكون المأخوذ قدر حظ الأخذ**»[137].

ووصل الأمر عند البعض إلى التساؤل عن جواز شهادة أفراد القبيلة إذا كانوا مِمَن اغتصبوا أراضي وممتلكات غيرهم، في هذا الاطار أجاب الفقيه علي بن أحمد الزريقي عن هذا السؤال بالقول « **الحمد لله، من تأمل شهادة اللفيف[138] الواقعة من برابر الجارة بالرتب على غيرهم من أهل القصر الجديد، علم قطعا أنها خالية عن درجة الاعتبار، إذ من المعلوم المقرر الذي كالشمس أو أظهر، أن العدالة حق لله فلا يجوز تركها، إذ العدل يجتنب الكبائر ويتقي في الغالب الصغائر، عاطفا على المبطلات وبتجارة بأرض حرب وسكنى مغصوبة، من**

[137]– ابن المصطفى، **فتح القدوس، م خ ح**، رقم 12579، ورقة 22.

[138]– اللفيف ما اجتمع من الناس قبائل متنوعة أو من الأخلاط.

القواعد لا يثبت الفرع والأصل باطل فلا يثبت المسبب والسبب غير حاصل. وعلى هذا فلا تجوز شهادتهم على غيرهم، بل على أنفسهم بعضهم بعضا فقط»[139].

ومن القضايا الأخرى التي كانت محط جدل باستمرار، هي مسألة ثبوت الهلال من عدمه ففي إحدى النوازل المتعلقة بثبوت رؤية شهر عيد سنة 1319هـ/ 1902م وقع حلاف بين الفقيه مولاي علي بن المصطفى المدغري وبعض الطلبة الرتبيين من أولاد عميرة قال: «وقد أخبرت أن بعض الطلبة بأولاد عميرة زعم أن هلال هذا العيد، الذي نحن فيه المتمم سنة 1319هـ/ 1902م، لا يثبت بما نقل إلينا بالاستفاضة عن أهل مدغرة حرسها الله وأمنها، من النداء وقع به في سوقهم على أعين الناس، وقد كنت كتبت بذلك لبعض الطلبة الأحبة في الله من الأئمة الراتبين في هذا الوادي، أعني وادي الرتب، ولم أسمع أن أحدهم أنكر ذلك بل اعتمدوه وثبت به عندهم ما سمعوا قبله، ولما وصل كتابنا لهذا الزاعم أنكره كل الإنكار، وقال أنه لا يصدر حتى من الصغار فضلا عمن يظن بهم العلم من الرجال الكبار، ولما رأيت العامي عنه يزيده إجراء وأنه ممن اتخذ الخوض في المقام افتراء واجتراء، قلت أن النداء إذا وقع بسوق مدغرة أو بسجلماسة بأن العيد هو يوم كذا أو أن الشهر أوله كذا مثلا؛ إنما يكون بعد الثبوت عند القاضي، وهذا أمر مشاهد في المحلية بالعيان، وعادة ثابتة على مر الأزمان المتطاولة، والوقائع المتعددة بحيث أجمع الناس إذا سمعوا المنادي بذلك، لا يتطرق إلى أذهانهم شك ولا احتمال في الثبوت بموجبه لدى من يجب له ذلك، ولا تجد فقيها أو عاميا يسأل عن موجب الثبوت من حيث الثبوت وعدمه، وما ذلك إلا لما تقرر عندهم من العادة المذكورة»[140].

تلكم اذن لمحة مختصرة عن واقع الرتب وأهمية العطاء العلمي به، وبعض من القضايا التي كانت محورا لانشغالات فقهاء وعلماء المنطقة، لكن هذا المجال كان عموما كما سنوضح في المحور الموالي موطنا ومحتضنا للعديد من القضاة والعلماء وغيرهم ممن كان لهم اسهامات متعددة في تاريخ الدولة المغربية.

---

[139]- عبد العزيز بلبكري، **بعض مظاهر علاقات المغرب التاريخية مع بلدان افريقيا جنوب الصحراء خلال التاريخ الحديث والمعاصر من خلال مخطوط: "نوازل مولاي أحمد بن الحبيب"**، دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز فاس، الموسم الجامعي 2005م ـ 2006م، ص. 122.

[140]- بلبكري، **بعض مظاهر علاقات المغرب التاريخية**، ص، 110.

6 ـ أبرز علماء وأولياء الرتب وإسهاماتهم في الحياة الثقافية والفكرية.

اعتاد أغلب الباحثين والدارسين في تناولهم لموضوع الحياة الفكرية والثقافية والدينية بالمنطقة، دراسة هذا الجانب ضمن الإطار الجغرافي الشامل لمجال تافيلالت الكبرى، مما جعل نصيب منطقة الرتب من الاهتمام محدودا عند البحث في الرموز والشخصيات التي اشتهرت في هذه الميادين، أو في ذكر من كان لهم أثر علمية واضحة وكبيرة من أهله، فغالبا ما كان حظهم من الاهتمام ضعيفا جدا إلى منعدم في جل الكتابات، ولهذا السبب سنركز في هذا الفصل على ذكر أبرزهم بمجال الرتب فقط، وإن كنا نؤكد أن من سنذكرهم منهم إنما هو غيض من فيض من انتموا إلى الرتب، من أولئك العلماء والفقهاء الذين كان لهم تأثير وشهرة كبيرة لم تخطئها أقلام من كتبوا وتناولوا تاريخ الدولة المغربية، خاصة في الفترة العلوية، ولن نعتمد في إيرادهم على الترتيب الكرونولوجي بل سنعمد إلى ترتيبهم تبعا لمواطن شهرتهم بمناطق الرتب الثلاث:

الرتب الأعلى: تميزت هذه المنطقة ومنذ وقت مبكر باستقرار عدد من العلماء والفقهاء وكذا الشعراء، الذين حفظت لنا المصادر المخطوطة – والتي مازال أغلبها دون تحقيق–، جملة من إنتاجاتهم وأدوارهم المتميزة خلال الفترات والمراحل التاريخية التي عاشوها، وعلى رأس هؤلاء بعض شرفاء أولاد شاكر من ذرية عثمان بن الطاهر بن مولاي الحسن بن أبي الجمال يوسف بن مولاي علي الشريف[141]، والذين توارثوا العلم ومهمة القضاء والإفتاء أبا عن جد ليس بالرتب ومدغرة وسجلماسة فحسب، ولكن أيضا في عدد من حواضر المغرب الكبرى خاصة بمدينة فاس، فكان عثمان بن طاهر عارفا مقبلا على عبادة مولاه إلى أن لقي ربه[142]، كما كان كذلك ابنه إبراهيم وحفيده عثمان بن إبراهيم وبعدهما الشريف بن عثمان بن إبراهيم من خيار الناس علما وورعا وانشغالا بذكر الله[143] بل كان هذا الأخير صاحب تأليف خاصة في موضوع الأنساب[144]،

---

[141]– أحمد الشباني الادريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، مكتبة علوم النسب، ط1، 1987م، ص. 97.

[142]– محمد الزكي بن هاشم العلوي المدغري، **الشجرة الزكية**، م خ ح، رقم، 11423، ص. 79.

[143]– هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**، م خ ح، رقم 12495، ورقة 88.

[144]– الزكي، **الشجرة الزكية**، م خ ح، رقم، 10904، ص ص. 79، 80.

اعتمد على بعضها حفيده الآتي الترجمة في كتابة تأليف له حول الأنساب العلوية، وفي ذلك يقول:

مِنْ كِتَابِ جَدِّنَا الحِبْرِ العَفِيفِ نُجَيْلَ عُثْمَانَ يُسَمَّى الشَّرِيفُ[145]

وفي بيت آخر قال: ثُمَّ الشَّرِيفُ العَالِمِ العَلَّامَـــــةُ جَدَّ المؤَلِّفِ اعْتَبِرْ كَلَامَـــــهُ[146]

وفي ما يلي نعرض لأبرز الشخصيات من هذه الأسرة ومن غيرها ممن كان لهم مساهمات علمية، وأثر وتأثير واضح وبارز بالرتب وغيره ونذكر منهم:

التهامي الشاكري: نجد سلسلة نسبه في الأرجوزة التي ألفها بنفسه حول الأنساب العلوية[147]، وقد عرفه حافظي في تحقيقه لكتاب صاحب الترجمة المعنون ب "**الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**" بأنه هو التهامي بن عبد الله بن الشريف بن عثمان بن إبراهيم بن عثمان بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف، من شرفاء أولاد شاكر بالرتب، إحدى مناطق تافيلالت، وينسب إليها تحت اسم الشاكري. حيث يظهر ذلك بتوقيعه لأجوبته بعبارة: وكتب عبد الله محمد التهامي بن عبد الله الشاكري[148]، ذكره الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي وقال عنه «**كان علامة مشاركا، محققا في جميع علوم العربية والمنطق والحساب والفرائض والميقات والتعديل متبحرا في التفسير والحديث والتصوف والأصول، أقعد أهل عصره بمعرفة الفقه، مستحضرا للنوازل، مشاركا في الفتوي والأحكام، شاعرا، ورعا زاهدا**»[149]. وممن أخذ عنهم التهامي نجد الشيخ مرتضى الحسيني الواسطي، والذي

---

[145]- التهامي، **أرجوزة في الانساب العلوية**، م خ ح، رقم 4777، ورقة 1.

[146]- نفسه، ورقة 12.

[147]- نفسه، ورقة 1، 13.

[148]- التهامي، **الادوية الرواقي**، ص. 9.

[149]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**،ج2، ص. 46.

أجازه بجميع مروياته في سائر الفنون، مما أهله لتولي الفتيا والقضاء بمدغرة والرتب، كما انتهت إليه الرياسة فيهما[150].

وقد كان التهامي الشاكري من العلماء العاملين وله تأليف عديدة[151]، كما كانت له شهرة ومكانة كبيرة في عصره، فوصفه الفضيلي ب «**العالم العلامة المشارك النفاعة الناظم الناثر ذو التأليف العديدة والتقاييد المفيدة**، وقال إنه **كان إماما حافظا، نظم جمع الجوامع، وله تأليف، تولى خطة القضاء والفتوى فركب مطية العدل وسلك سبيل أهل الفضل، أخذ العلم عن شيوخ عديدة وعمدته الشيخ الإمام سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي**[152]. **كما كان من تلاميذ الشيخ محمد مرتضى الزبيدي**[153]، **توفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة 1210هـ الموافق ليوم 19 نونبر سنة1795م**»[154]. مخلفا وراءه إنتاجات وكتابات في ميادين مختلفة، شكل بعضها بالنسبة لنا مصدرا مهما وغنيا، في الوقوف على بعض التطورات والأوضاع بمجال الرتب وغيره في الزمن الذي عاش فيه، خصوصا وأنه تزامن وبداية التحول الذي عرفه هذا المجال على كافة المستويات التي سبقت الإشارة إلى أهمها في المحور الخاص بالتطورات السياسية، ونستعرض عددا من إنتاجاته المتنوعة المحفوظة ببعض الخزانات في الجدول التالي:

---

[150]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**،ج2، ص. 46.

[151]- ابن المصطفى، **فتح القدوس، م خ ح**، رقم 12579، ورقة 5.

[152]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1. ص. 298./ الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، 148، ص. 183.

[153]- عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1982م، ج2، ص. 541.

[154]- حافظي، مادة، **الشاكري التهامي**، معلمة المغرب، ج15، ص. 5244.

جدول 17رقم: أهم إنتاجات التهامي بن عبد الله الشاكري (نسبة إلى قصر أولاد شاكر بالرتب) [155].

عنوان المنتوج الفكري	مصدره
ـ أرجوزة في الفروع العلوية، أو نظم اليواقيت الحسن في أبناء سيدنا الحسن.	ـ م خ ح، تحت رقم: 4777/ 838/ 12018/ 12305/ 13925.
ـ أرجوزة تلخيص المفتاح أو فتوحة الفتاح مواهبا ملخص المفتاح.	ـ ضمن مجموع رقم 2893 م خ ح.
ـ نظم سبل الفلاحة لمن اراد الحكم في الملاحة موضوعه كراء المملحات.	ـ م م و، رقم 278د.
ـ أجوبة فقهية في مسائل أصولية وكلامية ومنطقية ونحوية.	ـ ضمن مجموع م خ ح.رقم 2893.
ـ أبيات متلوة بشرحها في قسمة الكسر.	ـ م م و، رقم 278 د.
ـ أبيات ستة في علم الحساب والفلك والتوقيت مع شرحها.	ـ مخطوط الخزانة الحسنية 2893.
ـ نظم من ثلاثة أبيات في تركة رسول الله صلى الله عليه.	ـ م خ ح 289، م م و، رقم 278د.
ـ فتوى في المختصر في باب الاستحقاق منه أو المجهول الحكم.	ـ بخط يده م خ ح 2893.
ـ تخميس همزية البوصيري ألفها بإشارة من الولي الصالح سيدي الطيب الدرعي.	ـ م خ ح 2893.
ـ قصيدة في رثاء الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي.	ـ م خ ح 2893.
ـ وقصيدة يرثي فيها فرسا للسلطان مولاي اليزيد (1790 ـ 1792) نظمها بطلب من السلطان المذكور.	ـ م خ .ح 2893.
ـ قصائد في زيارة بعض المزارات كمزار الولي الصالح سيدي أبو نعامة: أبو عبد الله محمد، ومزار الولي العلامة مولاي عبد الله بن علي بن طاهر.	ـ م خ ح 2893.
ـ شرح أبيات في الحساب.	ـ م خ ح 2893.
ـ الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي.	ـ م خ ح، 2893، 6066، 12467.

[155]– تم الاعتماد في إعداد هذا الجدول على ما أورده حسن حافظي من خلال تعريفه لمؤلفات التهامي الشاكري في تحقيقه لمخطوط الأدوية الرواقي، ص ص. 12، 13. وكذا الاطلاع المباشر على هذه المخطوطات في الخزانة الحسنية وخزانة المكتبة الوطنية بالرباط.

-**عبد الهادي بن عبد الله الحسني بن التهامي الشاكري**، من أشهر شخصيات عصر السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام[156]، والذي صاهره بتزويجه من ابنته الأميرة لالة خديجة، أخت السلطان محمد بن عبد الرحمان، وأمهما لالة حليمة ابنة السلطان مولاي سليمان[157]، وعبد الهادي هو من شرفاء أولاد شاكر بالرتب من بيت قديم في العلم والعمل، ولد بأولاد شاكر ونشأ في حجر جده مولاي التهامي، ولازمه في جل الفنون المتداولة، ولما توفي جده ارتحل إلى فاس وأخذ عن جميع الأعلام بها، كالشيخ أبي محمد عبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران وغيرهما[158]، ذكره صاحب كتاب الإعلام، وسماه بالحسني العلوي السجلماسي المدغري، مما يبرز أن الكثيرين كانوا يلحقون العلماء من أهل الرتب وغيرهم بمدغرة التي كان لها ولأهلها شهرة كبيرة ،كما نسب عبد الهادي خطأ إلى عبد الرحمان العلوي، والصواب أنه ابن عبد الله العلوي[159]. أما صاحب الشرب المحتضر فوصفه بقوله «**شيخنا الشريف المنيف، العالم العلامة الغطريف، شيخ الإسلام، وقدوة ذوي الاستسلام، المحدث النوازلي النحرير، المهاب المسن البركة، الفاضل الشهاب، قاضي الجماعة بحضرة فاس ونواحيها، وبركتها وحبرها ومفتيها؛ النور البادیا، من شرفاء أولاد شاكر بالرتب، وهم من العلويين اليوسفيين، كان رحمه الله بصيرا بالمذهب وفروعه، ضابطا لقواعده، عارفا بصناعة الأحكام، جماعا للدواوين متبحرا في معرفة أسماء الكتب، كلفا بالمطالعة، من بيت قديم في العلم والعمل**»[160]، وهو أحد الأئمة

---

[156]- عباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 2002م، ج8، من ص. 505 إلى ص. 508./ حجي، **أعلام المغرب**، ج8، ص. 2605.

[157]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ص. 290.

[158]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**،ج2، ص. 45.

[159]- السملالي، **الاعلام بمن حل بمراكش**، ج8، ص. 505.

[160]- جعفر بن إدريس الكتاني، **الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين اهل القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص ص. 76، 77.

المعتبرين، والأعلام المشهورين، مشارك في عدة علوم، فصيح اللسان، صحيح النظر، قوي الحجة، حافظ متقن[161].

في حين قال عنه صاحب السلوة أنه كان رحمه الله عظيم الحرمة، شديد المهابة، يخضع لمهابته أكابر الرؤساء فمن دونهم، وكان يخاطب، السلطان وحواشه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته ورياسة الفتوى قبل ولايته، ولي خطة القضاء بسجلماسة ونواحيها، ووليها بفاس مرتين، المرة الأولى في عاشر جمادى الأولى سنة أربعين ومئتين وألف 1240هـ/ 1824م بعد عزل الفقيه سيدي محمد بن ابراهيم الدكالي، ثم آخر في سادس ربيع الأول عام 1247هـ/1831م، وولي بعده سيدي العربي بن الهاشمي الزرهوني، ثم ورد الخبر بعزله من مكناسة ثاني عشر شعبان العام المذكور[162]، وولي الشيخ العلامة المحرر النوازلي الشيخ علي التسولي، وعين قضاء فاس للمرة الثانية عام 1250هـ/ 1835م لما أعفي الشيخ التسولي المذكور، وبقي بها إلى أن توفي[163].

وذكر عباس بن إبراهيم أنه قرأ في ديوان الوزير ابن إدريس عدة قصائد تحدث فيها عن عبد الهادي، منها قصيدة اشتملت على ثمانية وسبعين بيتا مطلعها[164].

ما للهدى والعلم والارشاد إلا الرضى مولاي عبد الهادي

و قصيدة أخرى تضم سبعين بيتا:

أُهْدِي سَلاَمًا حُفَّ بِالإِسْعَادِ مُتَضَمِّخاً بِالمسْكِ أَوْ بِالحَادِي

وقال يخاطبه حين وشى به فاسق عنده ونال من عرضه:

قَاضِي الجَمَاعَةِ كَـــــمْ ذَا تَجْنِي بِغَيْرِ جَنَّاتِـــــــــكَ

---

[161]- عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، **معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة او المدهش المطرب**، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص. 116.

[162]- الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1، ص ص. 123، 124./ حافظي، **مادة الشاكري عبد الهادي**، معلمة المغرب، ج15، ص. 5245.

[163]- الكتاني، **الشرب المحتضر**، ص. 62.

[164]- السملالي، **الأعلام بمن حل بمراكش من الأعلام**، ج 8، ص ص. 507، 508.

تبرز أهمية هذه الشخصية أيضا فيما أوردته كثير من المخطوطات والمصادر والوثائق المتوفرة في الخزانة الحسنية، ومديرية الوثائق وغيرهما؛ من رسائل متنوعة المواضيع متبادلة بين عبد الهادي والسلطان مولاي عبد الرحمان، سواء أثناء توليه لمهمة القضاء بالحاضرة الفاسية أو السجلماسية[165]، وهي رسائل متعددة المواضيع، لكنها تبرز ما كان لهذا الرجل من مكانة عند السلطان، وعلى كون عبد الهادي كان ملجأ السلطان ومستشاره في كثير من القضايا لاسيما المتعلقة بالشؤون الدينية[166]. بل وكلف بالإشراف على الفقهاء الساهرين بدورهم على تعليم الطلاب بجامع القرويين وتوجيههم[167]. لكنه لم يسلم من النقد أحيانا على يد البعض كما حدث مع الكنسوسي، وهذا ما جعل المشرفي يفرد لعبد الهادي ترجمة خاصة إجلالا وإكبارا وتوقيرا له يرد فيها على الكنسوسي صاحب كتاب الجيش العرمرم[168].

تميزت مسيرة هذه الشخصية أيضا بعدد من الأحداث التي ارتبطت بما عرفه المغرب من تحولات متسارعة طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، فبسبب الصراع بين الودايا والسلطان مولاي عبد الرحمان؛ الذي استطاع أن يفلت منهم بعد محاصرتهم له مدة من الزمن، وبعد أن جمع جيشا لمحاربتهم من جديد وحاصرهم بفاس سنة1243هـ/1827م، وطالت المواجهات بينهم، ليضطر الطرفان معا إلى الاتفاق بينهما على الصلح، لكن الودايا اشترطوا عزل القاضي مولاي عبد الهادي وهو ما قبله السلطان على مضد[169].

---

[165]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج 5، صفحات. 124، 125، 126، 128.

[166]- عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية بالرباط،1938م، نموذج لرسالة السلطان مولاي عبد الرحمان، إلى القاضي عبد الهادي، والمؤرخة ب12 محرم 1261هـ/ 21 يناير1845م، من ص. 79 إلى ص. 82./ ونفس الرسالة وردت أيضا في كتاب آخر: مولاي عبد الرحمان بن زيدان، **النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية**، تحقيق مصطفى الشابي، المطبعة الملكية الرباط، 2016م، من ص. 184، إلى ص. 188.

[167]- مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 1995م، ص. 99.

[168]- العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سيء الظن الكنسوس**، دراسة وتحقيق (إلى نهاية الترجمة الرابعة) عبد الحق شرف، دكتوراه الدولة في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، سنة 2010م ـ 2011م. ص. 115.

[169]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج5، ص. 39.

وفي عام 1246هـ/ 1830م عندما ثارت الودايا ضد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام من جديد، بعدما فعله زعماؤها وعلى رأسهم الحاج الطالب بن جلول الفاسي، والذي أوقع بين السلطان والودايا بما دسه من الدسائس، مما جعل هؤلاء يقدمون على شق عصا الطاعة واحتجاز السلطان، فلم يجد من يؤازره غير قاضيه وابن عمه مولاي عبد الهادي ووزيره أبي عبد الله محمد بن إدريس العمراوي[170]، مما يبرز المكانة التي كان يحظى بها عند السلطان وحنق خصوم السلطان عليه. هذه المكانة تخطت حدود المغرب لتصل إلى أقطار عدة ومنها الجزائر، حيث نجد مثلا الأمير عبد القادر يراسل عبد الهادي العلوي قاضي فاس آنذاك[171]، مخاطبا إياه بالشيخ الإمام عالم الأعلام، ليستفتيه في مدى جواز قتال من انضم من أتباعه إلى جانب الفرنسيين وعدد من المسائل والنوازل الفقهية، وهي قضايا أجاب عنها في رسالة مؤرخة بسنة 1256هـ/ 1840م، والتي ينم مضمونها عن مدى موسوعيته ورزانته وتفقهه في مسائل الدين، والقدرة على الافتاء في نوازل العصر المستجدة التي عايشها[172].

وبحكم انتمائه إلى مجال الرتب وتعيينه قاضيا عليه، كما وسبقت الإشارة إلى ذلك، وكما ورد أيضا عند الزياني الذي قال في حقه أبيات منها[173]:

وَقَاضِي سِجِلماَسّة أَعْنِي الهَادِي فَخَيْرُهُ شَاعَ فِي كُلِّ نَـــادِي

وَقَاضِي الرَّتْبِ فِي وَقْتِنَا الجَلِيـــل لَيْسَ لَهُ فِي ظَاهِرِ الحَقِّ خَلِيـــل

فقد حرص على نقل ما كان يواجهه أهل سجلماسة عامة ومنطقة الرتب بالخصوص جراء سيطرة قبائل آيت عطا على قصور المنطقة، وهذا ما يبرز في الرسالة الجوابية التي تلقاها من

---

[170]- ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، ج5، ص. 34.

[171]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 194.

[172]- محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، المطبعة التجارية، الاسكندرية، مصر، طبعة 1903م، ج1، من ص. 251 إلى ص. 254.

[173]- الزياني، **جمهرة التيجان**، ص. 119.

السلطان مولاي عبد الرحمان عندما كان قاضيا على سجلماسة وما ولاها، حيث طلب فيها منه الصبر والتريث، إلى أن تسنح الظروف له بالتدخل وتصحيح الوضع ومعاقبة المعتدين[174].

توفي مولاي عبد الهادي سنة 1272هـ/1856م[175]، مخلفا وراءه ابنه أبا العلاء إدريس الذي اشتهر بكونه عالما مشاركا في كثير من الفنون العلمية، ماهرا في علم السيرة النبوية، مولعا بجمع الكتب حيث جمع مكتبة عظيمة، وكان كريم الأخلاق محسنا للفقراء وله مخطوطة "**رحلة إلى بيت الله الحرام**"[176]، وهي رحلته الأولى سنة1283هـ/1867م، توفي أبو العلاء في شهر محرم سنة 1331هـ/1912م بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[177]. كما خلف عبد الهادي وراءه إرثا علميا كبيرا نذكر بعضا منه:

جدول رقم 18: أبرز الإنتاجات العلمية لعبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشاكري[178].

عنوان المخطوط	مكان تصنيفه ورقه
. مخطوط أجوبة فقهية.	. ضمن مجموع، م خ ح رقم، 12018.
. مخطوط تنوير الفكر بكلام الفحول على لوامع تيسير الوصول إلى جامع الأصول (لأبن الديبع الشيباني).	. م خ ح، رقم 801 و2515 و9401.
. شرح تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول.	. م خ ح، رقم، 11978.
. امتاع الأسماع ببسط ما أشار إليه مولانا الإمام في خطبة حجة الوداع.	. م خ ح، رقم، 990.
. منظومة في الترسل بآل البيت.	. م خ ح، رقم، 12495.

[174]- الوثائق الملكية، **رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى القاضي مولاي عبد الهادي**، سجل 19612، بتاريخ 16 ذي الحجة، 1248هـ/ 1833م. أنظر الملحق الوثائقي رقم 8، ص. 551.

[175]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 1، ص ص. 299، 300.

[176]- أبو العلاء إدريس، **رحلة إلى بيت الله الحرام**، م خ ح، رقم 11509./ م م و، رقم 1115د.

[177]- يوسف المرعشي، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر**، المجلد الأول، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 2006م، ص. 224./ قدم الفضلي تعريفا مستفيضا لكل من عبد الهادي الشاكري، وابنه أبو العلاء إدريس. أنظر: **الدرر البهية**، ج1، من ص. 299. إلى ص. 301.

[178]- قمت بمعاينة هذه المخطوطات بالخزانة الحسنية قصد استنباط أو استخراج ماله علاقة بمجال الدراسة.

أبو عثمان سعيد المنداسي: هو **سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي السجلماسي أبو عثمان**، المنداسي الأصل التلمساني الدار والمنشأ، أديب وشاعر، وأحد أعيان القرن الحادي عشر الهجري، درس اللغة وآدابها وعلم الكلام وأصول الشريعة في تلمسان، وقد غادرها في عهد عثمان باشا 1060هـ/1650م عقب مذبحة عنيفة شهدها هناك، قام خلالها العثمانيون بالهجوم على بعض الأعيان فقتلوهم وهدموا ديارهم وسبوا نساءهم، فاتصل أبو عثمان سعيد بسلاطين المغرب وعاش تحت كنفهم بسجلماسة، ونال الحظوة لدى السلطان مولاي إسماعيل بعد توليه الحكم سنة 1082هـ/ 1672م. وقد ربط صاحب معلمة المدن والقبائل اسمه بالرتب الذي كان به كما قال مدفنه[179]، غير أن البعض الآخر قال بوفاته بتلمسان مثل بُكُوشَةْ وغيره[180]، لكن ذلك يناقض ما ورد عند أبو راس الناصر المعسكري والفاسي والجراري وغيرهم فهم يرجحون أنه توجه إلى تافيلالت جنوب المغرب، وتوفي ودفن بالرتب[181]. إضافة إلى كون بعض المصادر المغربية أوردت إقدام السلطان سيدي محمد بن عبد الله على إقامة ضريح على قبره[182].

وقد اشتهر المنداسي بشكل أساسي بصناعة الملحون، فكانت قصيدة المعروفة بالعقيقة أو العقيقية التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، من أبرز ما نظمه سنة 1677م، ومما عرف عن المنداسي هو أنه عاصر سلاطين الدولة العلوية في المرحلة الأولى لها، ونال منهم عطايا كثيرة جراء ما كان ينظمه من قصائد في مدحهم وذم أعدائهم، فالمصادر المختلفة تذكر أن السلطان مولاي امحمد بن الشريف منح المنداسي الأديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر الموزون والملحون أبي عثمان سعيد التلمساني نحو 25 رطلا من خالص الذهب جائزة له على مدحه

---

[179]– عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة التصوف الإسلامي**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2001م، ج1، ص. 110./ بنعبد الله، **معلمة المدن والقبائل**، ملحق 2، ص. 5.

[180]– حفناوي، **الرحلات الحجازية المغاربية**، ص. 389.

[181]– محمد أبو راس الناصر المعسكري، **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، تحقيق وتقديم أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر 2007م، ص. 8.

[182]– الناصري، **الاستقصا**، ج 8، ص. 69./ ج7، ص. 31.

إياه[183]. كما ذكر الريفي أن الفقيه الأديب المنداسي في وقعة صاغرو سنة 1089هـ/ 1678م بين مولاي إسماعيل، وقبيلة آيت عطا التي تحالفت مع إخوة السلطان الثائرين وهم أحمد بن محرز ومولاي هاشم ومولاي الحران أنشد قصيدة على لسان السلطان يقول أولها.

تَأَهَّبْ لِيَوْمِ حَرْبٍ فَالحَرْبُ عِيدٌ لَنَا وَعَلَيْكُمْ مِحْنَةٌ وَوَعِيدٌ[184]

كل ذلك جعل أشعاره وقصائده تحظى بنصيب وافر من الاهتمام منذ وقت مبكر خاصة قصيدة العقيقة[185]، ومما كتبه المنداسي أو من الذين كتبوا حول ما أنتجه نذكر:

ـ المعسكري أحمد بن سحنون الراشدي عنوانه" الأزهار الشقيقة المتواضعة بعرف العقيقة"[186].(أنجز هذا العمل ما بين سنة 1200هـ/1786م. و1202هـ/1788م)

ـ محمد أبو راس الناصر المعسكري[187]، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق وتقديم أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر 2007م.

ـ المصطفى ايدوز، قراءة في الشعر الشعبي الملحون من خلال ديوان سعيد المنداسي، أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب الشعبي الملحون، وحدة البحث والتكوين في الثقافة الشعبية، تحت إشراف د محمد بلاجي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، 2001 ـ 2000 (مرقونة في جزء واحد)

---

[183]– محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، 426.

[184]– الريفي، **زهرة الأكم**، ص ص. 163، 164.

[185]– تضم الخزنات الوطنية وغيرها مخطوطات مهمة عن انتاجات المنداسي نذكر منها، **أشعار من فن الملحون**، ضمن م خ ح، رقم 10305، **وقصيدة زجلية في نكبة تلمسان**، م خ ح، رقم 179. **وقصيدة قافية في مدح بعض أئمة الحديث** ، م خ ح، رقم 13938 و2182.

[186]– المعسكري، **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، ص. 9.

[187]– هو الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعروف بأبي راس الناصر. ولد بنواحي معسكر سنة 1115هـ / 1733م. تتلمذ على يد علماء كثيرين أبرزهم الشيخ عبد القادر المشرفي المعسكري. وحجه إلى البقاع المقدسة مرتين في 1204هـ/1790م، و1226هـ/ 1812م، مكنه من معرفة البلدان العربية الإسلامية بعلمائها وإنتاجها الفكري، أخيرا استقر في مدينة معسكر حيث تولى القضاء والتدريس حتى وفاته سنة 1238هـ/ 1822م. دفن في معسكر و ضريحه معروف في حي باب علي باسم سيدي بوراس.

محمد بكوشة: تقديم وتحقيق، ديوان سعيد المنداسي" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (بدون تاريخ الطبع ولا اسم المطبعة).

ـ سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي، القصيدة العقيقة، م خ م و م م ر، رقم 1656د، (ضمن مجموع)

وقد أثار تحديد تاريخ وفاته اختلافا بين المصادر، وإن كانت جميعها تؤكد على أنه عمر طويلا، ويذكر صاحب معلمة الملحون أن المنداسي توفي سنة 1150هـ/1737م بعد أن بلغ من العمر100عام أو جاوزها[188].

ـ **مولاي عمر بن الحنفي**: قال عنه الفضيلي: هو الشريف الصالح ذو المآثر العظام، والمفاخر الفخام ،كان رحمه الله من أجود الأجواد وسادة الأفراد تصدى لإطعام، واقراء الضيفان والإصلاح بين الناس والنفع لهم والذب عن المظلومين، ورفد ذوي الحاجات والمضطرين، وكان يتنقل بين تيزيمي وقصر الجرامنة[189]، هذا القصر الأخير مازال يحتفظ لهذا الرجل بالتقدير والاحترام حتى بعد وفاته، وتذكر روايات الأهالي أنه كان يقيم أحيانا بأحد الكهوف المجاورة للمنطقة، يعرف إلى اليوم بكهف مولاي عمر، ويربطون شخصه بعدد من الكرامات والخوارق، منها هذا الكهف نفسه حيث يشيرون إلى رسم يشبه اليد في سقفه ينسبونه إلى يد مولاي عمر الذي أمسك صخرة ضخمة عند سقوطها فرسمت يده بها، وقد ترك بعد وفاته أربعة أولاد، ودفن حيث بني على قبره، وكان يزار ويقام له موسم صيفي كل سنة، حيث استمر هذا الموسم إلى أواخر ثمانينيات القرن الماضي، وقد كانت تزوره الطوائف الدينية الطرقية: الجيلالية والعيساوية وغيرها والتي تحج إليه من مناطق مختلفة في لون غنائي إنشادي[190].

---

[188]– محمد الفاسي، **معلمة الملحون**، القسم الثاني، (تراجم شعراء الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربيةّ، مطبعة أطلال العربية، الرباط، 1992م، ص ص. من 252 إلى 256./ واحيحي، **سجلماسة، تافيلالت من اندراس المدينة**، ج 2، ص. 360.

[189]– الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 319.

[190]– اشبرو، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت**، ص. 9.

مولاي مصطفى بن الحنفي: هو الشريف مولاي مصطفى بن الحنفي بن أبي بكر الحسني العلوي المحمدي، سليل أسرة شريفة عريقة كانت تقطن قصري الشلالفة والجرامنة بالرتب[191]، ولد بمنطقة الرتب وتلقى تعليمه الديني في تافيلالت، كما كان من الأتباع المخلصين لمولاي محمد العربي الدرقاوي شيخ الزاوية الدرقاوية بمدغرة، إلى أن صار بدوره شيخا لأحد فروعها في الرتب[192]، ويذكر معاصره الفضيلي أنه قام مقام أخيه مولاي عمر وأقتفى أثره في أفعاله وسائر أحواله ولازال على حالته من إكرام النزيل والصنع الجميل لكل وضيع وجليل[193]، وصفه كذلك روس دان بالرجل المحترم جدا وبالزاهد الوسيط الخبير وبأنه عمل على تنظيم المقاومة منذ سنة1900م[194]، فاشتهر بفضل أدواره البطولية في مواجهة المحتل قبل احتلال المغرب وخلاله، ويرجح حمادي الإدريسي أنه هو من تزعم معركة الزعفراني بالغرب الجزائري سنة 1318هـ/ 1900م. كما وصفه بثالث السادة العلماء المشهورين الذين رفعوا راية الجهاد ضد العدو الفرنسي بالجنوب المغربي بتافيلالت ومدغرة والرتب وتيزيمي[195]، وكان ممن تزعم معركة تاغيت ببني كومي ببشار بالجنوب الغربي الجزائري حاليا ما بين 17 و20 غشت 1321هـ/ 1903م[196]. وعند وصول المحتل إلى مجال الرتب وتافيلالت لم يدخر جهدا في مواجهته وتحريض الناس على جهاده، يدل على ذلك رسائله التي كان يبعثها لمختلف القبائل حاثا إياها على الاستعداد والنفير العام للجهاد[197]. كما كان المجاهد احماد بن لحسن السبعي ممن أثنى عليه وعلى دوره وثباته وحسن استقباله له أثناء مروره بزاويته، في إطار رحلته لحث القبائل الفيلالية على الجهاد[198]، إضافة إلى

---

[191]- محمد بوكبوط، مادة، **مصطفى بن الحنفي**، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، أعلام المقاومة المسلحة الأولى، المجلد الثاني، منشورات عكاظ، الرباط، ط2008، ج2، ص. 343.

[192]- استيتيتو، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات**، ص. 202.

[193]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 319.

[194]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 32.

[195]- الإدريسي، **قاعدة المغرب الأقصى**، ص، 397 .

[196]- Lieutenant Audun. «**Le Tourisme dans la région de Colomb- Béchar**», Les Amis du Sahara, Organe de l'Association Les Amis du Sahara, Bulletin Trimestriel, Avril 1935, N° 15 à Alger, p.103.

[197]- المنوني، **يقظة المغرب**، ج1، ص ص. 353، 354. رسالة مولاي مصطفى الحنفي إلى قبيلة بني مكليد مؤرخة عند المنوني ب 1312هـ/ 1895م ولكنها كانت سنة 1321هـ/ 1903م.

[198]- بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 50.

وقوفه بجانب المقاومة الفيلالية التي تزعمها مبارك التوزنيني، وفي هذا الصدد يذكر الفيلالي أن الحنفي هو الذي قتل المتعاون القائد عمر الحمزوي وخرب دار بهي والد عدي أوبهي قائد كراندوا بالقرب من الريش، أثناء هجوم المقاومين على المحتل وأعوانه سنة 1919[199].

عمر بن مصطفى بن الحنفي هو مولاي عمرو بن مولاي المصطفى بن الحنفي المعروف ب ابّا سيدي وهو كذلك من شرفاء قصر الجرامنة بالرتب، اشتهر بالصلاح وكانت أدواره الجهادية والقيادية بارزة وشارك في معظم معارك الجنوب الشرقي قبل احتلال الرتب وبعده[200]. خاصة بمعركة تاغيت وتيميمون والمنكار والمنكوب وغير ذلك من المعارك[201] التي تطرقنا لها. وصفت إحدى الجرائد الفرنسية مولاي عمرو أو كما سمته مولاي اعمر بعدو للمسيحين، وحددته كزعيم وقائد لمعركة تاغيت، وينوب عنه علي اودير زعيم ايت عطا[202]. حيث كان مولاي عمر بن المصطفى يقود عملية التفاوض مع شيوخ هذه القصور المحيطة بتاغيت من أجل ضمان مساندتهم أو على الأقل ضمان حيادها[203]، وقد ظل مولاي عمر ثابتا على جهاده للمحتل حتى بعد تراجع المقاومة المسلحة لكن عند ذهابه إحدى المرات إلى فاس مع الثوار، وشى به أحد أفراد عرب الصباح للفرنسيين الذين ألقوا عليه القبض بأحد فنادق المدينة فأوذي كثيرا[204]، حيث حقن بحقنة أصابته بالشلل، وأرجع إلى تافيلالت وأقام بقصر أولاد عيسى وكان يحمل على النعش ويطاف به في القصور ليشحد الهمم ويدعو للتمرد، مخلفا قولة مأثورة بالعامية " **الحمد لله؛ الكلاب كَنْخَلْعُوكُمْ وَاحْنَا تَنْتَرْفْدُوا عْلَى النَّعْشْ**" مما كان يضايق المحتل وأعوانه بالمنطقة، فأرجعوه لقصر الجرامنة حيث مات مقعدا مخلفا ورائه تاريخيا طويلا من المقاومة والنضال[205].

---

[199]- الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب**، ج7، ص. 209.

[200]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص ص. 232. 272.

[201]- محمد بوكبوط، مادة، **با سيدي بن مولاي مصطفى بن الحنفي**، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، أعلام المقاومة، م س، ج2، ص. 341.

[202]- La Revue de Paris, **L'attaque de Taghit**, **Aout 1903**. Dixième Année, Tome Cinquième, Septembre – Octobre 1903, Paris 1903, p. 702.

[203]- Ibid, p. 708, 709.

[204]- بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص، 50. نشير هنا إلى أن رواية بلبكري التي نقلها عن أحد شيوخ المنطقة، ربطت هذه الحادثة بمولاي مصطفى بن الحنفي، لكن بحثنا قادنا إلى الاستماع لعدد من الروايات التي ربطت هذه الواقعة بمولاي عمر بن مصطفى بن الحنفي.

[205]- اشبرو، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت**، ص. 27، 28.

الرتب الأوسط: عرف هذا المجال بروز شخصيات عالمة واختص كثير منهم بمسؤوليات لدى المخزن العلوي منها القضاء، وإمارة ركب الحج السجلماسي، فضلا عن مناصب وأدوار أخرى غير رسمية ونذكر منهم:

مولاي عمر بن هاشم السجلماسي الحسني، هو ابن محمد فتحا بن بوعلي بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف، من قصر أولاد عميرة بالرتب الأوسط، عرف بكثرة تردده إلى بلاد الحجاز، حيث حج تبعا للروايات الشفهية 36 مرة[206]. وإن كان صاحب مطالع الزهراء يؤكد هو أيضا تردده على البقاع المشَرَّفَةِ مرات كثيرة، كأمير لركب الحج السجلماسي، لكنه لم يحدد عدد هذه المرات[207]. وتبرز أهمية هذه الشخصية أولا في كونها كانت معاصرة لعهد السلطان مولاي إسماعيل، حيث يذكر لنا التازي أن مولاي عمر كان ينقل رسائل من أمير مكة إلى السلطان مولاي إسماعيل، وأنه عندما قصد تلك البقاع الأمير مولاي المعتصم نجل السلطان مولاي إسماعيل رفقة الأميرة ست الملك عام 1101هـ/1689م، يصحبهما أبو علي الحسن اليوسي، حدث أن وقعت ألفة بين مولاي عمر بن هاشم العلوي ابن عم السلطان مولاي إسماعيل، وبين الشريف أحمد بن غالب، الذي اغتنم هذه الفرصة ليحمل مولاي عمر عددا من الرسائل للسلطان المغربي، الذي كان يتقبل هذه الخطابات ويجيب عنها، ولكن أجوبته اقتصرت على رد السلام[208].

أما الأهمية الثانية لهذه الشخصية فتبرز في تكليفها بإمارة ركب الحج السجلماسي، حيث ذكر أحمد بن عبد القادر القادري الحسني في رحلته المسماة بـ "نسمة الأس"، أنه لما قفل راجعا من الحج سنة 1101هـ/ 1689م ونزل بطرابلس في رابع عشر شعبان 1101هـ /17 ماي 1689م لقي الركب السجلماسي وأن هذا الركب كان له أميران أحدهما مولاي عمر بن هاشم

---

[206]– الأوفوسي، **مخطوط خاص في نسب شرفاء زاوية أوفوس، (زاوية مولاي عمر بن هاشم)**، ص. 2.

[207]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 151.

[208]– عبد الهادي التازي، «في التاريخ الدولي للمغرب، رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة (بداية القرن 12 هـ، أواخر القرن 17م»، **مجلة دعوة الحق**، ع 282، شعبان 1411هـ/ مارس 1991م، ص. 139، 140.

الحسني السجلماسي، والآخر الحاج محمد الحسيني[209]، كما التقى في نفس المكان مع الركب القادم من فاس ومعهم العلامة الحسن اليوسي(ت 1102هـ/1690م)، وابنه الذي وصف مولاي عمر بن هاشم في رحلته الحجية بقوله «**واجتمعنا بالركب السجلماسي، ووجدناهم نازلين بها، وكبيرهم مولاي عمر بن هاشم، ونعم الرجل**»[210]. كما أثنى على دور مولاي عمر وعلى خبرته بطريق الحج ومعرفته بالمخاطر التي توجد به، وقد وصف المترجم له بكونه كان رحيما بالحجاج في السعة والضيق، يشبع الجائع ويكسي العاري، ويدفع العدو عن الحجاج[211]، كما كان يصحب معه عادة في حجه عددا كبيرا من الناس؛ يحملهم وينفق عليهم في سبيل الله[212]، فضلا عن بعض من أهله خصوصا زوجه الشريفة، وذكر صاحب مطالع الزهراء أن مولاي عمر كان له عيال بطيبة وعيال ببلده سجلماسة[213]، وإليه ينسب تأسيس الزاوية التي تحمل اسمه ببلاد الرتب/ أوفوس وهي زاوية مولاي عمر بن هاشم أو "زاوية أوفوس" كما أصبحت تعرف اليوم، والتي كانت تشكل معبرا أساسيا لركب الحجاج، وكذا للقوافل المتجهة شرقا نحو تلمسان[214].

توفي مولاي عمر بن هاشم سنة 1101 هـ/ 1689م أو في السنة التي بعدها، حسب ما تشير له الرسالة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل إلى أمير مكة والمدينة سعد بن زيد إثر توليته أميرا سنة 1102هـ /1690م، إذ جاء في مضمونها ما يدل على وفاته من خلال العبارة التالية: «**ولقد كان ابن عمنا مولاي عمر بن هاشم رحمه الله أيام قدومه للحجاز تعارف معه(يعني شريف مكة أحمد بن غالب) واصطحبا وعمل معه خيرا كثيرا**» وعليه تكون سنة1101هـ/ 1689م هي آخر سنة تَأَمَّرَ فيها عمر بن هاشم على الركب السجلماسي، وأنه

---

[209]– أحمد بن عبد القادر بن علي القادري الحسني، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، م خ ح، رقم 8787، ورقة 65.

[210]– أبو علي الحسن اليوسي، **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد المجيد خيالي، مطبعة التومي، سلا 2017م، ص. 58./ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 2، ص. 305.

[211]– أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 71.

[212]– الأوفوسي، **شجرة نسب شرفاء زاوية أوفوس**، ص. 2.

[213]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص ص. 151، 152.

[214]– صوصي، «**زاوية مولاي عمر**»، ص. 70.

توفي في تلك الحجة أو بعدها بقليل، لكن قبل تاريخ مراسلة مولاي إسماعيل. لأمير مكة المشار إليها أعلاه. وقد خلفه في إمارة الركب السجلماسي ابنه حفيد بن عمر[215]. وتذكر المصادر أن وفاة عمر بن هاشم كانت بالحجاز وأنه دفن هناك[216].

مولاي حفيد بن عمر: عرفه صاحب الشجرة الشماء بقوله «**الشريف الجليل ذي القدر العلي وشيخ الركب النبوي مولانا حفيد بن عمر بن هاشم**»[217]، وهو خليفة أبيه والوارث له حسا ومعنى، والمستبد بدعوته والحائز لرضاه، كان رضي الله عنه شريفا جليلا له همة عالية محبا للخير وأهله ماشيا على طريقة أبيه ومتبعا لأثره، حج خمسا وعشرين مرة، توفي بقصر أولاد عميرة بالرتب الأوسط، ودفن بضريح جد جد أبيه مولاي محمد بن بوعلي، مخلفا وراءه سبعة أولاد كلهم بررة أنجاد وهم مولاي الشريف، ومولاي السعيد، ومولاي المداني، مولاي المهدي، ومولاي عبد الله، وسيدي محمد، ثم مولاي الحسن[218]، ومما ذكره المنوني عنه أنه وقف على قصيدة في وصف المشاهد بمكة والمدينة المنورة، منسوبة للشريف مولاي حفيد بن عمر بن هاشم العلوي أحد أشياخ الركب السجلماسي[219]. وهذا ما جعل الزكي يقول عن هذا الأخير بأنه أمير ركب الحج وله في إمارته مآثر حسنة[220].

وقد تطرقت لهاتين الشخصيتين السابقتين وبعض من أبنائهما وحفدتهما أرجوزة قدمت لنا معلومات مهمة وجامعة عنهم وعن جوانب من حياتهم وذريتهم وأماكن استقرارهم ومما جاء فيها:

---

[215]– محمد المنوني، **من حديث الركب المغربي**، مطبعة المخزن، تطوان 1953م، ص. 34.

[216]– حسن حافظي، مادة. "السجلماسي الحسني عمر"، **معلمة المغرب**، ج15، ص ص. 4933، 4934.

[217]– محمد الزكي بن هاشم، **الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء**، م خ ح، رقم 10904، ورقة81.

[218]– الأوفوسي، **شجرة نسب شرفاء زاوية أوفوس**، ص. 6.

[219]– المنوني، **من حديث الركب المغربي**، ص. 22.

[220]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 197.

باب في ذكر أولاد سيدي محمد بن يوسف بن علي الشريف.

فَابَنِي مُحَمَّدٍ حِصْنَ صُصُـــــــوا إِمَارَةَ الرَّكْبِ بِهَا قَدْ خُصِّصُـــوا

وَلَهُمْ حِصْنٌ بِأَرْضِ تِيزِيمِـــــــي دَارَ الشَّرِيفِ اسْمُهُ فَضْلُهُ اعْـلَـــمِ

وَفِي بْلَاغْمَةَ وَالدَّوِيـــــــــرَة قَدْ سَكَنُوا ثُمَّ بَنُوا عُمَـيْـــــرَةَ

حِصْن لَهُمْ بِهَا كَذَا بِذَرْعَـــــــة سَكَنَ بَعْضُهُمْ وَكُنْ ذَا فِطْنَـــــةٍ

وَمِنْ بَنِي أَبِي عَلِيٍّ مَن ظَعَـــــنَ لِمِصْر فَاَس وبِهِ فَاعْلَم قَطَـــنَ

بَلَدَ أَوْفُوسَ اشْتَرَوْا وَحَبَّسَـــــهُ عُمَرُ ذُو المِجْدِ إِلَهِي فَاحْرُسْـــهُ

جَعَلَ مَا حَبَّسَهُ لابْنِ السَّبِيـــــل فاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ يَا بَرُّ جَلِيـــل

مِنْهُمْ أَمِيرُ الرَّكْبِ لِلبَيْتِ المجِيـــدِ عُمَرُ ذُو المجْدِ وَالرَّأيِ الرَّشِيـــدِ

وَهُوَّ اشْتَرَى دَارَيْنِ بِالمدِينَـــــــةِ مِنْ رَبِّنَا لِطَيْبَةَ الأَمِينَـــــــة

الأَمْنُ وَالرِّضَى كَذَلِكَ السَّـــلَام ثُمَّ لِرَبِّهَا عَلَى مَرِّ الـــــــدَّوَام

احْدَاهُمَا جَارَةُ مَقْعَدِ الكِـــــرَام بَنِي الحُسَيْنِ فَاسْمَعُوا هَذَا الكَـــلَام

بِالحَارَةِ الأُخْرَى وَهِيَّ بَيْنَ البَقِيعِ وَبَيْنَ رَوْضَةِ امَامِنَا الشَّفِيـــــعِ

وَبِنْتُ صِنْوِهِ الزَّكِيَّةُ اشْتَـــــرَتْ نَخْلاً بِجذع الشَّيْخِ ثُمَّ حَبَّسَـــتْ

وَعَلَى ذَا الأَمِيرُ نَجْلُهُ حَفِيـــــدُ فَهُوَّ فِي القَوْلِ وَفِي الفِعْلِ رَشِيـــدُ

وَمِنْهُمْ عبْدُ الالَهِ ابْنُ الفَقِيـــــهِ مُحَمَّدٍ كَذَاكَ أَحْمَدَ النَّبِيـــــــهِ

يَنْمِي إِلَى الطَّيِّبِ ثُمَّ قَاسِـــــمُ ابْنُ ابِي بَكْرٍ الرِضَى العَالِـــــمُ

عَبْدُ الإِلَهِ ابْنُ المبَارَكِ اللَّبِيـــــبِ مِنْهُمْ كَذَا عَبْدُ الإِلَهِ النَّجِيـــب

سَلِيلُ عَبْدِ المومِن الزَّكِـــــــي فَهُوَّ مِنْ ذا النَّسَبِ العَلِـــــي

وَمِنْهُمْ الشَّرِيفُ نَجْلُ عُمَـــــــــرَا بَيْتَ الإِلَهِ حَجَّ وَالعِلْمَ قَـــــــــرَا

وَصِنْوُهُ مُحَمَّدٌ قَدْ وَلَـــــــــــدَ بِطَيْبَةَ وَهُوَّ بِهَا قَدْ مُجِـــــــــــدَا

وَبُوصَة بِهَا أَبُوهُمَا اشْتَـــــــــرَى وَحَائِطًا بِالشَّيْخِ بِالحَقِّ جَـــــــــرا[221]

ـ **السجلماسي الحسني، محمد الأمين بن جعفر**. عرفه الفضيلي بقوله هو سيدي محمد الأمين بن جعفر بن حفيد بن هاشم بن الشريف بن محمد فتحا بن أبي علي بن محمد بن يوسف بن علي الشريف[222]، وهو فاضل من أهل آيت الرتب بتافيلالت، منٍ آثاره فهرسة تقع في عدة كراريس[223]. امتاز بليونته ورجاحة عقله كما كان ذا خبرة واسعة في علم الحساب والتنجيم[224]، وعلم الأزباج والجداول، إلى جانب إلمامه بالفقه، واطلاعه على كتب التصوف وتقربه من أهله، فضلا عن مجالسته للمساكن، كما كان ألين الناس جانبا ولأهل الشر مجانبا يميل للخمول ويتحمل ثقل الكل[225]، صاهر السلطان مولاي سليمان بابنته السيدة عائشة، ولم تزده مصاهرة أميره وقته إلا تواضعا[226].

ذكره الكنسوسي بالاسم والوصف: وقال فيه الفقيه الشريف البركة سيدي الأمين بن جعفر الحسني الرتبي، ووصفه محقق الكتاب بالزيزي الحسني من العلويين اليوسفيين، قدم من زيز إلى فاس واستوطنها إلى أن توفي بها سنة 1259هـ/1843م، ودفن خارج باب الفتوح. كما وصفه صاحب السلوة بالخطيب الشريف سيدي محمد الأمين الزيزي العلوي اليوسفي الفقيه الأريب الخطيب، المدرس الصالح، البركة الناصح، قدم رحمه الله من زيز إلى فاس واستوطنها، وأخذ عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج ومن في طبقته، واتصل بالعارف بالله أبي العباس أحمد

---

[221]– هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**، م خ ح، رقم 12495، ورقة 86.

[222]– الفضيلي، **الدرر البهية**، ج 1، ص. 316.

[223]– ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ص. 219.

[224]– الزكي، **الشجرة الشماء**، ورقة81.

[225]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 197.

[226]– الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 316.

التيجاني[227]، وفي كتابه الجيش العرمرم أشار إلى أن الأمين بن جعفر كان ضمن وفد الحجيج الذي ذهب رفقة مولاي إبراهيم بن السلطان مولاي سليمان والتقى بالسلطان سعود بمكة[228]. كما كان خطيب المدرسة العنانية ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب[229]. وذكر عبد الحي الكتاني أنه كان ينتمي للطريقة النقشبندية[230]. بناء على ما جاء عند الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن العباس بن الحسن بن محمد بن يس الجازولي السوسي، الذي أشار إلى أخذه الطريقة النقشبندية بعد تلقيه «**إجازة من شيخه عالم الشرفاء وشريف العلماء سيدي الأمين بن مولانا جعفر بن حفيد زين العابدين العلوي الحسني السجلماسي الصوصي قاطن أولاد عميرة بالرتب**»[231].

سيدي هدي بن محمد العلوي: هو مولاي المهدي المعروف بسيدي هدي بن محمد بن الزين بن العابد بن هاشم بن الشريف بن محمد فتحا بن أبي علي بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف العلوي الحسني، ويدعى الشيخ، ولد بأرفود كما قال حجي، لكن المقصود هو دائرة أرفود لأنه ولد بأوفوس[232]، وليس بأرفود الذي لم يشرع في بنائه إلا في الفترة الاستعمارية سنة 1918م، وكانت ولادته عام 1160هـ/ 1747م، له أحوال وتذكر له كرامات وإليه تنسب الطريقة الهداوية بالمغرب، التي لها أتباع إلى الآن. ولهم اعتقاد غريب وسلوك عجيب، لا يتزوجون،

---

[227]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج2، ص. 401.

[228]- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 291.

[229]- حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج8، ص. 2566.

[230]- الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**،ج2، ص. 1161.

[231]- محمد بن العباس بن الحسن بن ياسين الجازولي السوسي، **المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية**، م خ ح، رقم 9979، ورقة 14.

[232]- تذكر بعض الروايات المحلية بزاوية أوفوس أن مولاي المهدي أو سيدي قد اختفى بعد نزاع مع أخيه مولاي الأمين بعد أن دخل في جرة كبيرة، لازالت موجودة إلى اليوم بدار زاوية مولاي عمر بن هاشم بقصر زاوية أوفوس، وتشكل قبلة لزيارة الزاوية من عدد من الأفراد، حسب ما ذكره عمر صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 83. لكن ما يبعث على التساؤل هو أن الأوفوسي، في مخطوطه **الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ص. 20. ذكر أن مولاي المهدي أو سيدي هدي هو ابن عبد الله بن حفيد بن عمر بن هاشم عكس ما ذكره الفضيلي وغيره وإن كنا نرجح ما ذكره هذا الأخير بحكم أسبقيته واهتمامه بعلم الأنساب العلوية.

وليس لهم مأوى خاص إلى غير ذلك من الأحوال[233]، كما كان له ارتباط بالزاوية الريسونية بتازروت وهذا ما يفسر مرابطته بهذه القبيلة، وهنا يلفت انتباهنا اختلاف المؤرخين لحياته بين الذهاب إلى وصفه بالصلاح على غرار ما قال به الفاطمي الصقلي واصفا إياه بالسيد الفاضل، الولي الشهير، أشهر من أن يعرف به، ولايته مقطوع بها عند الخاص والعام، كراماته أوضح من الشمس، له أتباع لا يحصون، كل أتباعه يستعملون الدخان والحشيشة، وقال بأن الشيخ هدي عرض أتباعه على النبي صلى الله عليه وسلم فقبلهم على تلك الحالة[234].

الأمر نفسه في الثناء عليه ومدحه تكرر مع صاحب الدرر البهية حيث قال عنه «**كان رضي الله عنه قوي الحال، كثير الأحوال، ذا كرامات وأسرار، وعلامات وأنوار، قصده الناس للزيارة في حياته وبعد مماته، وتوجه لزيارته الأولياء الأكابر، أخبرني بعض الصالحين الأخيار أن الولي الصالح سيدي علي بن أحمد دفين وزان قصده للزيارة، فلما قرب من محله وهو وقتئذ بالغابة، ومستقره شجرة جوفاء، وجه رسوله مستأذنا في اتيانه إليه، فأجاب الرسول قائلا: ارجع إلى صاحبك سيدي علي وقل له: يرجع من حيث وفد، لئلا تحترق شمعته بهذه النار. فلما رجع الرسول لسيدي علي وأخبره قال، سمعنا وأطعنا**»[235].

لكن ما ذكره الصقلي والفضيلي لا يعدو أن يكون جزء بسيطا عما عرف عن هذه الشخصية يتناقض مع ما تداولته الروايات والكتابات المختلفة التي يصل بعضها إلى حد اتهامه بالفسق وغيره كما فعل عبد الحفيظ الفاسي الذي قال فيه «**الشيخ السيد. لم يكن من ذوي السلوك وأرباب التعاليم والمبادئ، مجذوبا، كان مصطلما كان معتوها أو مجنونا. ساقط**

---

[233]- عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع- عام ثمانية وتسعين ومائة وألف**، تحقيق، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م، ج1، ص، 99./ حجي، **أعلام المغرب**، ج 8، ص. 2476.

[234]- محمد الفاطمي الصقلي، **ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر(وفيات الصقلي)**، تقديم وتحقيق أحمد العراقي، مطبعة أنفو برانت، فاس، ط2001م، ص. 81، 82.

[235]- الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 316.

التكليف. أما أتباعه فهم طائفة من المبتدعة الساقطين المتشردين الكسالى الوسخين القدرين. أما طريقتهم، فهي مبنية على أكل الحشيش وشرب الكيف في السبسي وهي ليس طرق الصوفية حسب تعبيره»[236].

كما اعتبر إبراهيم حركات «**أن أشهر شخصية بين المجذوبين حظيت بشعبية غريبة منذ القرن 13 هـ/ 19م هو هدي بن عمر الفلالي والذي عرف ب ((سيدي هدي)) وادعى أتباعه أنه من السلالة الإدريسية. ورد على قبيلة بني عروس بالشمال واتصل بشيخ زاوية تازروت وهو الولي محمد بن علي الريسوني ثم اتخذ لنفسه خلوة أصبحت مدفنه عند موته في 19 محرم 1219هـ/ 1804م وكان في حياته لا يحلق شعر رأسه ولحيته ويدخن النارجيلة، وقد ظل سيدي هدي، غريبا لا يبحث عنه أحد من أسرته حيا وميتا، ثم حدث أن توارد على خلوته بعد موته عدد من دكالة والشياظمة وعبدة وغيرهم، فاستقروا بها ولبسوا المرقعات وتعاطوا التدخين وعاشوا بفضل صلات القرى المجاورة إلى أن أصبحت لهم سلطة وكونوا موارد كبيرة من زوار سيدي هدي وكانوا لا يتزوجون، ومن تزوج غادر سلك الطريقة، ولهم مقدم يسير أمورهم بصرامة، وقد تمت تصفية زاوية سيدي هدي على يد جيش التحرير سنة 1956م. وكان أصحاب سيدي هدي من الأميين، ولهم ذكر خاص ويوقدون النيران حول ضريح الشيخ يقرعون الطبول أثناء الذكر. وكانت لهم مراكز تجمع بكل من القصر الكبير والغرب وطنجة»**[237].

هكذا نجد أن مختلف الدراسات والأبحاث تباينت مواقفها في تحديد مكانة الرجل لكنها تتفق على ربط الطريقة الهداوية المنتشرة بالمغرب بهذه الشخصية الفيلالية الرتبية التي حملت أسماء

---

[236]– أحمد إيشرخان، «طائفة هداوة وحقيقتها بالمغرب، من خلال تقييد مخطوط للشيخ عبد الحفيظ الفاسي»، ضمن كتاب، "**التراث الصوفي المغربي، دراسات في بعض قضاياه ومعالمه وأعلامه**"، تنسيق محمد العمراني، مطبعة آنفو برانت، فاس، ط1، 2019، ص. 316.

[237]– حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 3، ص. 556./ علال ركوك، **مادة هدي**، معلمة المغرب، ج22، ص. 7496./ نشر لعلال بحراوي مقال بعنوان الطوائف الدينية بالمغرب، طائفة هداوة، جريدة الاتحاد الاشتراكي، يوم 24 غشت 2014م.

متعددة والقاب يتجانس معناها مع مظهرها، أي موافقة الظاهر للاسم، فهو "مول الدربالة" و"مول الخواتم" و" مول الطبول"، "مول الدعدوع" و"صاحب المرقعة" وهناك أسماء مرتبطة بمكان سكناه مثل: " مول خميس بني عروس" و"مول الواد الخضر"، وهو أيضا "مُولْ السَّبْسِي والمطْوي" ومُولْ الدعوة" أي صاحب الدعوة المستجابة، "لا يطاف بساحته" فهو" مول القْنَادْلْ الضَّاوْيَةْ" ومُولْ السْيُوفْ الماضْيَةْ[238].

وفي ما يخص زاوية سيدي هدي نجد مثلا أوجيست موليراس،Auguste Mouliras، يعترف في البداية أنه لم يستطع معرفة تاريخ الرجل والزمن الذي عاش فيه وأن ما أورده عنه لا يعدو أن يكون روايات شفهية يطغى على معظمها الطابع الأسطوري، (ومن أخطائها ربط زمن ابا هدي أو سيدي هدي بزمان مولاي عبد السلام بن مشيش، رغم أن بينهما زمنا طويلا) لكنه بالمقابل تناول بالتحليل مميزات هذه الزاوية أي زاوية سيدي هدي وأتباعها سواء من حيث سلوكياتهم الشاذة وحياتهم الغامضة والغريبة، فضلا عن عدد من الأساطير التي ترتبط بهذه الشخصية وأتباعها[239].

أما في الجزء الأول من كتابه فقد عرف أوجيست الشخص الهداوي «**بأنه جوال متسول، مخبول بفعل الكيف، ويتجول عاري الرأس حاملا في يده حربة، كما يرتدي بعض الأسمال تخفي عورته بالكاد ويضع مسبحة بعنقه ومحفظة صغيرة بجانبه، مليئة بالكيف وبداخلها غليون طيني صغير، وهو يزور مختلف الأولياء ويقتات من الأطعمة التي يأتي بها الزوار الأوفياء، إلى قبور الصلحاء، بل يقدم نفسه كحارس لهذه الأضرحة، صانعا أحيانا، بعض**

[238]- إيشرخان، «**طائفة هداوة وحقيقتها بالمغرب**»، ص. 302.

[239]- أوجيست موليراس، **المغرب المجهول، الجزء الثاني، اكتشاف جبالة**، ترجمة وتقديم، عز الدين الخطابي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007م، من ص. 164 إلى ص. 176.

الحلويات التي يهديها إلى الجمهور الحاضر، وهو يظل مشدوها باستمرار، بفعل دخان الكيف. إنه باختصار كسول مقرف، يمارس أحقر المهن وهي: طفيلي الأضرحة»[240]. ونظرا لما كان للطائفة الهداوية وأتباعها من أدوار وحضور قوي في عدد من الأحداث بمنطقة الشمال على وجه الخصوص، فقد حظيت باهتمام عدد من الدارسين ومنهم روني برونيل R. Brunel الذي خصها بكتاب مهم، تطرق فيه لعدد من الجوانب المتعلقة بهذه الطائفة وشيخها أبا هدي[241]، الذي توفي يوم الخميس 26 ذي الحجة 1219هـ/مارس 1805م وبعد موته دفن بقبيلة بني عروس من جبل العلم قرب ضريح المولى عبد السلام بن مشيش فَجُعِلَتْ عليه قبة وصار يزار إلى الآن[242].

هكذا استطاع سيدي هدي أو أبا هدي أن يصنع لنفسه تاريخا خاصا سواء في حياته أو حتى بعد مماته، ولئن كانت منطقة الرتب لا تحتفظ لنا إلا بالقليل عن ما كان من أحواله قبل انتقاله منها إلى الشمال، إلا أن المصادر ذكرته بالتلميح والتصريح أحيانا، فالضعيف ذكر أن مولاي سلامة بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله التقى به في مقره ببني عروس[243]. وزار السلطان مولاي الحسن ضريحه حينما كان بشمال المغرب.

---

[240]- أوجيست موليراس، **المغرب المجهول، الجزء الأول، إكتشاف الريف**، ترجمة وتقديم، عز الدين الخطابي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007م، ص. 161.

[241]- René Brunel, **Le Monachisme**, **errant dans l'islam**, **Sidi Heddi et les Heddawa**, Maisonneuve et Larose, Paris, 2001.

[242]- ابن سودة، **إتحاف المطالع**،ج1، ص. 99./ حجي، **أعلام المغرب**، ج 8، ص. 2476. نشير هنا إلى أن الفاطمي في كتابه، **ذكر من انتشر**، ص.82، أرخ لوفاة سيدي هدي بسنة 1190هـ/1776م وهو أمر غير صحيح بدليل الإشارات التاريخية المختلفة عن لقائه مع شخصيات مختلفة بعد هذا التاريخ.

[243]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 242.

الفضيل بن علي السجلماسي الحسني: وهو الفضيل بن علي بن عمر بن هاشم بن الشريف بن محمد فتحا بن أبي علي من قصر أولاد عميرة، ذكره الفضيلي في الفرع السابع من فروع مولاي يوسف بن مولاي علي الشريف وحلاه بالفقيه العالم النحرير[244]، كما وصفه صاحب الشجرة الشماء بالقاضي الفقيه الورع[245]، أخذ عن أعيان علماء عصره ببلده خصوصا أحمد بن عبد العزيز الهلالي؛ وهو عمدته وقد أجازه بإجازة تشهد على معين علمه[246]، عارفا بأمور القضاء حسن السيرة فقيها عاقلا لبيبا، ولاه أمير وقته سيدي محمد بن عبد الله قضاء بلده بالرتب، فأقام فيها قاضيا مدة من السنين على كبر سنه، سالم الحواس لينا في فصال الناس قوالا بالحق إلى أن توفاه الله[247].

ذكره ابن زيدان في سلسلة من أخذ عنهم الأمير العالم مولاي العباس بن السلطان عبد الرحمان بن هشام دلائل الخيرات[248]، وذُكِر من ضمن فقهاء الرتب بقصر أولاد عميرة الذين شملهم إحصاء الشرفاء زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الله[249]. كما كان له فضل تقريض مخطوط الأدوية الرواقي للتهامي الشاكري، وحلى هذا الأخير بأوصاف غاية في التقدير والتبجيل حيث قال فيه «**شيخنا العالم العلامة، الدراكة الفهامة، شريف الأشراف، ومعدن الجود ومحمود الأوصاف**»[250]، وعليه يكون الفضيل من معاصري التهامي، وهذا ما يجعل تاريخ وفاته بعد وفاة التهامي سنة 1210هـ / 1795م[251].

---

[244]- الفضيلي، **الدرر**، ج1، ص. 315، 316.

[245]- الزكي، **الشجرة الشماء**، م خ ح، رقم 10904، ورقة 81./ محمد العمراوي السجلماسي، **المعجم الوجيز في تراجم نخبة من علماء سجلماسة ووادي زيز**، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 1435هـ/ 2014م، ص. 359.

[246]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج2، ص. 875.

[247]- الزكي **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ورقة 197.

[248]- ابن زيدان، **اتحاف أعلام الناس**، ج5 ص. 494.

[249]- مجهول، **دفتر فقهاء الأشراف**، ورقة 39.

[250]- التهامي، **الأدوية الرواقي**، ص.77.

[251]- حافظي، مادة. «الفضيل»، **معلمة المغرب**، ج15، ص. 4934.

الرتب الأسفل: ساهم هذا المجال الرتبي بدوره في إفراز واحتضان ثلة من العلماء والفقهاء والشخصيات، التي تجاوز صيتها البعد المحلي إلى ما هو وطني وعالمي، ولازال لبعضهم حضور قوي بالمجال رغم مرور مئات وعشرات العقود على وفاتهم، بفضل أدوارهم وزواياهم وأتباعهم الذين توارثوا علمهم وطرقهم جيلا بعد جيل ونذكر منهم.

ـ **محمد بن عبد الرحمان**: هو محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمان بن إدريس بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بمنطقة جرجرة شرق الجزائر العاصمة، وكان كثير التنقلات لكنه سيستقر في ريعان شبابه بقصر الزريكات بالرتب الأسفل، حيث لقي من أهلها التقدير والاحترام والمكانة الرفيعة، فأقام بينهم عددا غير قليل من السنين، يعلمهم الكتاب والسنة ويؤمهم في الصلاة، ثم تزوج من إحدى بناتهم والتي أنجبت له إبنه الوحيد عبدالله، وبعد ذلك قرر الرحيل عن الزريكات متوجها إلى منطقة بوذنيب ليستقر بمنطقة السهلي المعروفة هناك[252]، لكن تأثيره كان كبيرا في ساكنة الرتب عموما لاسيما سكان الزريقات، ومازالت عدد من الأسر ممن ينتسبون له بهذا القصر تحمل اسم السهلي أو السهلاوي وتنتسب إلى هذا الشيخ الذي كان يلقب بمول السهلي[253].

---

[252]– مهاجر أحمد البوشيخي الصديقي الإدريسي، **ومضات على الطريقة الشيخية في شروح على تانية سليل الدوحة الصديقية المسماة "الياقوتة" في التصوف لقدوة الاسلام وطلعة الأنام القطب الامام والغوث الهمام، العارف بالله محيي الدين الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي البكري الصادقي الهاشمي المالكي المغربي المدعو سيدي الشيخ، رضي الله عنه، توفي عام 1025هـ/ 1616م، ط1، 2011 ـ 2012م**، ص. 235، 236.

[253]– عرفه نابليون لاكروا Lacroix Napoléon في ترجمته لرحلة الألماني جاكوب شودت بأنه " شخصية مقدسة، عاشت في القرن السادس عشر وهوسيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبو حفص عمرو بن يحي بن سليمان، المعروف باسم مول السهلي وشفيع السهلي، كان حوله عدد من التلاميذ الذي شكلوا أساس زاويته، التي سميت زاوية مول السهلي أشهر تلاميذه كان سيدي الشيخ الذي أمضى سبع سنوات معه في تعميق مذهبه الصوفي، وهو مذهب أحد أساتذة مول السهلي المسمى سيدي أحمد بن يوسف الملياني، الذي انتشر مذهبه في جزء من المغرب العربي، ومن بين تلاميذه الآخرين يجب أن نذكر أحمد بن موسى الحسني صاحب زاوية كرزاز وغيره. وقد كان قصر السهلي يدعى سابقا "الصعب" وتقول الأسطورة أنه عندما جاء سيدي محمد بن عبد الرحمان ليستقر هناك قال: سنجعل الأمر سهلا ومنذ تلك اللحظة، أخذ القصر اسم "السهلي"، الزاوية التي مازالت موجودة، قادته الحاليون كما قال لاكروا (أي سنة 1901) هم سيدي العربي وشقيقه سيدي التقي بن سيدي الحاج المكي من نسل سيدي محمد بن عبد الرحمان"

- Schaudt, «**Voyages au Maroc**», P. 242.

كما كان له دور في تعظيم ضريح أحد الأشخاص المدفونين بالزريكات وهو عبد الرحمان بن محمد إذ عندما عزم على الرحيل؛ عظم ذلك على أهل الزريقات وألحوا عليه في البقاء بينهم، وقالوا له إذا تركتنا فمن سيكون ولينا وشيخنا وعمدة أرضنا في العلم والسلوك والتربية، فأشار إلى قبر كان أمامه قائلا: صاحب هذا القبر هو عمدتكم ووليكم وصاحب أرضكم، فلما أشار لهم بذلك ارتاحت نفوسهم بعض الشيء، وأجمعوا على إقامة بناء عليه، وكان أن بعض الفضوليين أرادوا أن يعرفوا حقيقة ما في القبر فنبشوه، وكانت مفاجأتهم كبيرة لما وجدوا فيه رجلا يتلألأ وجهه نورا، ولازال جسده على حاله وكأنه دفن لتوه، ولما شاهدوا تلك الكرامة رجعوا إلى الشيخ وسألوه عن اسم الشيخ صاحب الضريح الذي عينه لهم، فقال لهم اسمه عبد الرحمان بن محمد فبقوا على تقديره وتعظيمه وزيارته، تبركا به والتماسا لبركة شيخهم سيدي امحمد الذي أشار لهم بذلك. ولا زال ضريح هذا الشيخ مقصدا للزوار وذوي الحاجات لحد الآن.

ذكره الشيخ محمد القسنطيني الغزالي وقال أن الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمان رحمه الله ورضي عنه كان ركنا كبيرا من تلامذة الإمام الجازولي قبل أن يأخذ عن سيدي أحمد بن يوسف المليانى، وذكر حسب أحد التقاييد أنه توفي عن عمر عالية جدا يوم الأربعاء وسط النهار فاتح شعبان سنة 972هـ/ 1565م[254]. لكن مريديه عبد القادر السماحي المتوفي سنة 1025هـ/1616م المعروف بسيدي الشيخ مؤسس الطريقة الشيخية الشاذلية يذكر تاريخا آخر لوفاة محمد بن عبد الرحمان وهو سنة 968هـ/ 1562م[255].

[254]- عبد الرحمان بن العربي السماحي، **المنن في مناقب: سيدي محمد بن عبد الرحمان دفين السهلي رضي الله عنه**، مؤسسة الندوي وجدة، طبعة 2010م، صفحات. 10، 11، 12، 17، 18، 29.

[255]- الإدريسي، **ومضات على الطريقة الشيخية**، ص. 236.

ـ **الشيخ علي الكومي**: أبو الحسن علي شيخ زروقي الطريقة وذائع الصيت بالمنطقة، وقد أشار صاحب "**أهل الصدقية**" إلى أن سيدي علي الكُومي بضم الكاف المعقودة دفين قصر "ربيت" (قرب البطاطحة بالرتب الأسفل) هو شيخ أبو العباس أحمد بن عبد الصادق دفين البطاطحة من الرتب وقد أخذ عنه[256]، أما طريقة التصوف فقد أخذها عن عدد من المشاييخ في مقدمتهم الولي الصالح عبد العزيز بن عبد الحليم المدفون بمقبرة ابو عام بالريصاني الذي كان من مشاييخ الصوفية ومن أهل مقام التربية[257]،

وتعتبر مختلف المصادر والمراجع علي الكومي شيخا للولي أحمد بن عبد الصادق، رغم أننا نجد في كتاب التقاط الدرر اسم محمد الكومي[258] المنسوب إلى بني كومي[259]، دفين القليعة وليس علي الكومي الرتبي[260]. أما وفاته فيؤرخ لها بسنة 1036هـ/ 1626م[261]. ولازال ضريحه اليوم محاطا ببعض السكان القاطنين حوله.

---

[256]– المهدي بن احمد الفاسي، **تحفة أهل الصدقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية، أو تحفة أهل التصديق بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية من أهل الطريق**، م خ ح، رقم 6525، ورقة. 23، 25.

[257]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، ورقة. 5.

[258]– **محمد بن سعيد الكومي**، صوفي زروقي ينسب إلى بني كومي الواقعة جنوب شرق تافيلالت توفي سنة 1026هـ/ 1617م، ودفن بالقليعة بفاس(انظر ابو عبد الله محمد بن عيشون الشراط (ت 1109هـ/ 1697م)، **الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية، محمد الخامس بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص. 227.

[259]– **بني كومي**: عرف بها الوزان في كتابه، **وصف إفريقيا**، ج2 ص. 231. بكونها دائرة أخرى على وادي كير، نخلها كثير جدا، وسكانها فقراء يزاولون بفاس كل أنواع المهن الحقيرة. يجمعون ارباحهم في سنة ويشترون بها فرسا يسوقونه إلى بلادهم ثم يبيعونه إلى التجار الذاهبين إلى بلاد السودان. وفي هذه الدائرة ثمانية قصور صغيرة وأكثر من خمسة عشر قرية بعيدة عن سجلماسة بنحو مائة وخمسين ميلا إلى جهة الجنوب الشرقي، علق المترجم: بني كومي على بعد نحو 250 كلم جنوب شرق تافيلالت على نحو 20 كلم طول زوزفانة ـ وادي كير. لقد اضمحلت خمسة من بين القصور الثمانية التي ذكرها المؤلف وعوضت بأخرى، منها تغيت المشهور بألوانه الساحرة.

[260]– القادري، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر**،ج1، ص. 138.

[261]– الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج1، ص. 138./ محمد المنالي الزبادي الفاسي، **سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية**، تحقيق عبد الحي اليملاحي، نشر جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي تطوان، المغرب، طبعة 2012م، ص. 269.

ـ **الولي الصالح أبو العباس أحمد بن عبد الصادق السجلماسي**: أشهر وأبرز شخصية عرفها مجال الرتب وتناولتها العديد من المصادر التاريخية، وأحمد بن عبد الصادق حسب ما ورد في اللوحة الرخامية التي نقش عليها نسبه، ووضعت على جدران ضريحه، هو الشيخ مولاي أحمد بن عبد الصادق بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن مسعود بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن محمد بن داوود بن عبد الله الصبغ بن الحارث بن فهر بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن عبد الله بن محمد الباقر بن زين العابدين بن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وهذه شجرته الشريفة[262]. وإن كان محقق كتاب التقاط الدرر هاشم قاسمي شكك في دقة هذا النسب قائلا أن الشيخ أحمد بن عبد الصادق «**من عرب "دليم" إلا أن حفدته توجد عندهم "شجرة نسب" يحتفظون بها بالزاوية الصادقية بالرتب(الزاوية القديمة) ويلاحظ أن هذه الشجرة ترفع نسبه إلى الفرع "الحسني" من آل البيت عن طريق جعفر الصادق، وهذه الشجرة يمكن انتقادها شكلا ومضمونا[263]. وهو ما ذكرته إحدى مصادر أيضا من أن أحمد بن عبد الصادق من عرب ادليم**»[264].

ولد الشيخ أحمد بن عبد الصادق ببلدة تسمى فركلة والتي تبعد عن مدينة الرشيدية حاليا بتافيلالت بحوالي 80 كلم، ثم انتقل منها في فجر صباه إلى وادي الرتب لطلب العلم والمعرفة، وتقول الرواية الشفهية بأن الشيخ رحل إلى قرية "أموكر" ناحية كرامة التي تبعد بحوالي 60 كلم عن مدينة الريش، ورحل بعدها إلى قصر الجديد بمدغرة وتزوج بها، ثم انتقل إلى قصر الجديد بالرتب قرب " أولاد شاكر" لينتقل بعد ذلك لأخذ طريق القوم ما بين قصر" البلاغمة" و"ربيت" حيث يوجد الشيخ الكومي، وهو شيخه في الطريقة الزروقية الشاذلية. وبعدما تمكن من استيعاب الطريقة الشاذلية على يد شيخه المذكور. انتقل ابن عبد الصادق إلى قصر "البطاطحة" المقام في الضفة

---

[262]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 20. كما أورد في ص. 22. صورة للوحة التي تشير إلى نسب الشيخ، وفي ص. 172. أورد وثيقة رسمية مصادق عليها من قاضي أرفود سنة 1948م، توثق النسب الشريف لأحمد بن عبد الصادق.

[263]– القادري، **التقاط الدرر**، ص. 138.

[264]– عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص. 162.

اليسرى لواد زيز، أو وادي الرتب حسب التسمية المحلية، والذي كانت تسكنه فروع من قبيلة عرب الصباح قبل آيت عطا، وبالقرب من هذا القصر أسس زاويته المشهورة. كما صاهر عرب صباح بتيزيمي، وشرفاء مدغرة وقبيلة البطاطحة بالرتب[265].

وقد أوردت المصادر جملة من المشايخ الذين أخذ عنهم ابن عبد الصادق ومنهم إلى جانب سيدي علي الكومي عبد العزيز بن عبد الحليم دفين تافيلالت بن أبي الطيب دفين ميسور[266]، عن سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زرهون، عن سيدي أحمد بن يوسف الراشيدي، عن الشيخ زروق. وصاحب الترجمة شهير الذكر كثير الأتباع، معلوم الولاية، وكراماته شائعة في أهل بلده وغيرهم[267]، وتوفي سنة 1065هـ/ 1655م، أو سنة 1066هـ/ 1656م[268]، ودفن بقصر البطاطحة[269].

---

[265]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، في حوار أجراه مؤلفا كتاب الزاوية الصادقية، مع أحمد بن عبد الله الصادقي أحد أبناء الزاوية الصادقية ص. 23./ قدم لنا أيضا صاحب **فتح القدوس** معلومات مهمة عن علاقة ابن عبد الصادق والشيخ عبد الله بن علي بن طاهر، ودور هذا الأخير في حياة وتحركات أحمد ومما قاله **عنه: الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الصادق المدفون بالرتب، هو الذي كان سبب انتقاله من أحوال الدنيا إلى أحوال أهل الآخرة، وكان وصيا عليه من قبل أبيه كما سمعته من المرابطين أحفاده، ويحكى أنهما كان بفضاء من الأرض يقال له إردي بين واد الرتب وبين تزم (تزيمي) أعلى سجلماسة، فحانت الصلاة فقال له الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر أطلب لنا الماء للوضوء يا ابن عبد الصادق، فقام رضي الله عنه فضرب بحريته الأرض فخرج الماء من الحجارة هناك قدر أنية وضوء، فتوضئا مع من كان معهما من الأصحاب، وبقي ذلك الماء في تلك الحجارة إلى الآن، ثم قال الشيخ: أين جهة القبلة؟ فأشار بيده إلى ناحية القبلة، فانشقت الجبال حتى ظهرت لهما الكعبة فقال الشيخ أبو محمد أنت فقيه منيع، ويحكى أنه هو الذي أمره بالانتقال من القصر الجديد بالرتب إلى بلد يقال لها لبططح (لبطاطحة) أسفل الرتب، قد قال له وَسِّعْ على أولاد أخي مولاي عبد الواحد بن علي بن طاهر يوَسِّع الله عليك، فقال له يا سيدي إلى أين؟ فقال له صل الظهر في القصر الجديد، وانزل على واد الرتب، وفي أي مكان غربت لك الشمس فتلك بلدك أنزل بها، ففعل ما أمره به، فغربت له الشمس ببلد لَبْطَطْحْ فنزل بها وبنى فيها زريبة وانتهى حاله فيها رضي الله عنه إلى أن توفي ودفن بها. وبقي نسله هناك إلى الأن"** مولاي علي بن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 25، 26.

[266]- **أبو الطيب الميسوري**، هو نزيل ميسور من بلاد ملوية، من أهل الفضل والصلاح والديانة، متصف بأحوال الهداية والاستقامة، له نية صالحة، وظهرت دلائل ولايته، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، **دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، المغرب، الرباط، ط2، 1977م، ص. 87.

[266]- القادري، **نشر المثاني**، ج 2، ص. 77./ محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2006م، ج 1، ص ص. 78، 79.

[268]- العمراوي، **المعجم الوجيز**، ص. 64./ محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج 4، ص. 1463.

[269]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج1، ص. 140.

نبغ أحمد بن عبد الصادق في علوم عديدة حيث فاق أقرانه. لما وهبه الله من صفاء الذهن وسرعة الادراك والتفوق في الحفظ. كما كان عالما زاهدا منقطعا للخير، شهير الذكر، كثير الأتباع، له شهرة عظيمة بالمغرب، وله كرامات. مما جعله محط تقدير وتبجيل من كافة علماء عصره واللاحقين عليه[270]، وخصصوا له قصائد في مدحه والثناء عليه ومنهم اليوسي الذي ذكر أنه التقاه بزاويته[271]، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي[272]، الذي وصفه أثناء مروره بزاويته ووقوفه على ضريحه سنة 1150هـ/ 1737م «**بقطب السالكين، ومنقذ الهالكين، الصالح الصادق، سيدي أحمد بن عبد الصادق نفعنا الله به**»[273].

وبعد الشيخ المؤسس اشتهر عدد من أبنائه وحفدته سواء بالرتب أو في مختلف الزوايا التي كان أساس تأسيسها السير على منوال الطريقة الصادقية وشيخها، ولكثرتهم سنقتصر على ذكر بعض من اشتهر منهم وارتبطت حياتهم أو جزء منها بمجال الرتب وعلى رأسهم:

. عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصادق: من أعلام القرن 12هـ/ 18م. يعرف بالشيخ عبد الكريم مول العنبة، وهو ثالث شيوخ الزاوية الصادقية بالرتب بعد والده عبد الله وجده أحمد بن عبد الصادق، عرف بالورع وخدمة ركب الحجيج الفلالي على عادة شَيْخَيْ الزاوية السابقين، حيث كان يرافق الركب من قصر الدويرة إلى حدود نهاية مجال الرتب عند منطقة إيردي (قرب عين العاطي)[274]، وقد وصفه الزبادي بقوله «**الشيخ العارف بالله، الكامل الواصل ذي الكرامات الظاهرة، والخوارق الباهرة**»[275]. اشتهر عبد الكريم شهرة كبيرة حتى خارج مجال

---

[270]- الإفراني، **صفوة من انتشر**، ص ص. 220، 340.

[271]- اليوسي، **المحاضرات**، ص. 672.

[272]- أحمد بن عبد العزيز الهلالي، "**ديوان الهيلالي**" قصيدة يتوسل فيها بأحمد ابن عبد الصادق، م خ ح، رقم 158، ص ص. 330، 331، 332./ أحمد بن عبد العزيز، **قصيدة قافية في مدح أحمد بن عبد الصادق الرتبي**، م خ ح، 12245.

[273]- الهلالي، **التوجه لبيت الله الحرام**، ص. 91.

[274]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 55.

[275]- الزبادي، **سلوك الطريق الوارية**، ص. 270، 271.

الرتب، حيث كان له زاوية بتوات سميت بزاوية الحاج عبد الكريم، وقد دفن بعد وفاته قرب قصر الزاوية القديمة بالرتب[276]. كما أن أدواره في الصلح بين المتخاصمين عديدة، وهو ما أشار له أحمد بن عبد العزيز في إحدى القصائد، بقوله عن عبد الكريم:

كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ خَمَدَتْ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا شَبَّتْ سمر تَتَلَظَّى وَبَـــــــوَارِقُ

وَحَوَادِثُ كُفِيَّتْ بِهِ وَتَهُـــــــولُ لَوْلَا شَابَتْ مِنْهُ سُودٌ مفَـــــــارِقُ[277].

ولازالت بعض الروايات المتوارثة تتحدث عن دوره في توحيد مجموعة من قصور منطقة كلميمة بغريس ضمت قصور آيت حَمَّادِي، وآيت وْكْرَانْ، وآيت الدَّاوَا الصُّورْ، وآيت تِيسْرِيتْ(...)حيث دعاهم إلى نبذ الفرقة والاتحاد من أجل صد هجومات الأعداء، خصوصا وأن المنطقة كانت مسرحا لعدد من المواجهات بين حلف آيت يفلمان وآيت عطا، وكانت ثمرة جهوده هي الاتفاق بينهم على بناء قصر جامع لازال قائما إلى اليوم، ويحمل اسم رجلين من أهل المنطقة كلفا ببناء أبراج وأسوار القصر، أحدهما اسمه عثمان، والثاني اسمه يحي ولذا سمي القصر ب"آيت يحي وعثمان"[278].

ومما هو مأثور عن الشيخ اهتمامه بجمع الكتب والسهر على حث مريده على خطها ومنها مخطوطة:"**حديقة الأزهار**" للوزير الغساني[279]، مكتوبة بأمر الشيخ عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصادق السجلماسي الرتبي، وهي مؤرخة بعام 1133هـ/ 1720م[280].

---

[276]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص ص. 55، 56.

[277]– الهلالي، **قصيدة في مدح أحمد بن عبد الصادق**، م خ ح، ضمن مجموع رقم 13942، ورقة 86.

[278]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص ص. 88، 89.

[279]– أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الوزير، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.

[280]– محمد المنوني، «الوراقة في العصر العلوي الأول»، "**مجلة دعوة الحق**"، ع 162، سنة 1975م.

ـ **المهدي الفلالي**: هو الشيخ أبو محمد المهدي بن عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصادق المعروف ب"**سيدي المهدي مول البلاد**" رابع شيوخ الزاوية الصادقية ومؤسس قصر الزاوية الجديدة بالضفة اليمنى لوادي زيز وبها دفن حيث يوجد ضريحه[281]، ذكره الزبادي فيمن لقيه بفاس سنة 1182هـ/ 1767م وأثنى عليه وعلى علمه، ومما يدل على القيمة العلمية لهذا الشيخ هو إقدام الزبادي على مدارسة بعض مؤلفاته معه مثل كتابيه **"دوحة البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان"**[282].

ـ **السهلي بن العروسي**: وصفه صاحب السلوة بأنه الفقير المرابط الأجل الخير الناسك الأفضل، المحب الصادق الكامل، المتجرد المتقشف الخامل، ابن الولي الصالح سيدي الحاج العروسي ابن الشيخ الولي الكفيف سيدي بوزيان ابن الشيخ الكامل سيدي أحمد بن عبد الصادق الرتبي[283]، ممن يشار إليه بالخير والصلاح والدين[284]، لقيه الزبادي وصاحبه نحو 16 سنة، ووصفه «**بالفقير المرابط الخير، الناسك الذاكر، المحب الصادق، المتجرد المتقشف الخامل، وبأنه كان شاكرا صابرا ذاكرا، منزها عن كل قيل وقال، ولا تراه إلا ذاكرا الله تعالى، ولا تراه شاكيا قط، في الغلاء ولا رخاء ولا من برودة ولا حرارة، ولا من قلة قط، وإن كان في غاية الاحتياج، من كثرة صمته وصبره وحيائه، ورفع همته عن الخلق، حتى لا يكون جوابه عن سائله عن حاله إلا بخير وعلى خير. هذه كانت حاله رحمه الله وعليها توفي**» عاش عازبا، يأوي في بيت المدرسة الرشيدية (نسبة إلى السلطان مولاي الرشيد العلوي وهي مدرسة الشراطين حاليا بفاس)، رحمة الله عليه[285]، توفي بفاس سنة 1198هـ/1783م ودفن بمطرح الجنة قرب القباب خارج باب الفتوح أحد أبواب المدينة المذكورة[286].

---

[281]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص ص. 30 ،57.

[282]– الزبادي، **سلوك الطريق الوارية**، ص. 271.

[283]– الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج2، ص. 319.

[284]– العمراوي، **المعجم الوجيز**، ص. 362./ حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج8، ص. 2428.

[285]– الزبادي، **سلوك الطريق الوارية**، ص. 271.

[286]– ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج1، ص. 57./ الكتاني، **سلوة الانفاس**، ج 2، ص. 281، 282.

ـ محمد الهاشمي الرّتبي: عرفه خير الدين الزركلي، بأبي عبد الله محمد الهاشمي بن علي بن أحمد الرتبي الفلالي الصدّيقي من علماء الحديث بالمغرب[287]. ذُكِر ممن أخذوا عن الشيخ أبو عمر عثمان الموسوي (ت 1238هـ/1822م)[288] وغيره، جمع له تلميذه التهامي بن رحمون "فهرسة" لشيوخه سماها "**الفتح الوهبي فيما أجاز الحاج الهاشمي الرتبي**" وصف فيها شيخه «**بالمتواضع في التعلم والتعليم، والمتحلي بالإنصاف والتسليم، العلامة المحقق، الفهامة المدقق، المدرس في سائر العلوم، السابق في ميادين المنطوق والمفهوم**»[289] توفي الهاشمي سنة 1240هـ/ 1824م[290].

ـ محمد الزين بن محمد الإدريسي: هو القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إدريس الفلالي الرتبي المدعو الزين وصفه صاحب السلوة ب «**الفقيه النبيه الحيي النزيه، العالم الأرضى، السميدع المنضى، كان رحمه الله فقيها نبيلا، مدرسا جميلا، يدرس النحو والفقه وغيرهما بمسجد القرويين وكان هينا لينا، خاملا متواضعا**»[291]. كما كان علامة مشاركا، ولي في آخر عمره قضاء فاس الجديد مدة، وتوفي بها يوم الجمعة مهل جمادى الأولى سنة1301هـ/1884م، عن نيف وخمسين سنة ودفن بالقباب[292].

كما نجد في الرتب الأسفل عددا مهما من العلماء حفلت كثيرا من المصادر بأخبارهم وغالبا ما ينسبون إلى قصر الدويرة. لكن وجب التمييز في تسمية الدْورِي التي حملها عدد من

---

[287]– خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار الملايين، ط15، 2002م، ج8، ص. 67.

[288]– محمد أبي راس الناصر المعسكري، **الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، في علم الصيد**، دراسة وتحقيق حمدادو بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2010م، ص. 83./ محمد أبي راس الناصر المعسكري (ت 1238هـ/ 1823م)، **اسماع الأصم وشفاء السقم في الامثال والحكم**، دراسة وتحقيق حمدادو بن عمر وبوسلاح فايزة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2018م، ص. 23.

[289]– التهامي محمد بن أحمد بن رحمون، **الفتح الوهبي فيمن أجاز لسيدي الحاج الهاشمي الرتبي**./ مخطوط المكتبة الوطنية الرباط، ك 1362. ذكره ابن سودة في دليل مؤرخي المغرب، ص. 208.

[290]– ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ج1، ص. 135.

[291]– الكتاني، **سلوة الانفاس**، ج3، ص. 99.

[292]– ابن سودة، **اتحاف المطالع**، القسم الثاني ج1، ص. 286.

العلماء بين فرقتين على ما ذكر حجي«**فرقة شرفاء من جبل العلم لهم شهرة أهل معاش حرفة وجاه، وفرقة من سجلماسة من محل هناك يقال له الدويرة، وهم أمويون من نسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما رأيت ذلك في حجج بيدهم منهم: الحاج المدني الدوري الذي كان أمينا بمرسى الدار البيضاء، أيام الحسن الأول والحاج قاسم الدويري من أمناء بيت المال (الأقواس) بمكناس عام هـ1305**»[293]. ونذكر منهم أيضا:

عبد الرحمان الفيلالي الدويري: (توفي عام 1280هـ/ 1863م) الشريف العالم، قرأ على ابن عبد الواحد الدويري وطبقته، وبسببه استوطن مراكش وقصر عليه الأحكام، وتزوج السيدة مريم بنت السلطان عبد الرحمان وكان فاضلا جوادا، ولم يترك مالا ومات عن غير عقب رحمه الله[294].

محمد بن عبد الواحد الدويري السجلماسي: هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الواحد السجلماسي الدويري الفقيه العلامة المدرس الفهامة قاضي مراكش[295]،كان فقيها عالما مفتيا، أخذ العلم عن شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي، وعن

---

[293]- حجي، **مادة الدويري**، معلمة المغرب، ج12، ص. 4118.

[294]- السملالي، **الإعلام بمن حل بمراكش**، ج8، ص. 143./ تاوشيخت، «**الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت**»، ص. 35.

[295]- جعفر بن ادريس الكتاني الحسني، **مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب**، تحقيق هشام بن محمد حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ج1، ص. 38.

القاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي وغيرهما[296]، كما أخذ عنه جماعة من العلماء خاصة منهم جعفر الكتاني.

وقد تولى قضاء صفرو ثم قضاء مراكش على عهد السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان، ثم تولى بعد سنة 1289هـ/ 1872م القضاء بآسفي ثم أعفى منه[297]، ورجع إلى فاس ومكث فيها إلى أن تغمده الله برحمته في 8 ربيع الأول عام 1302هـ/ 28 دجنبر 1884م ودفن بزاوية سيدي الملاحفي بفاس[298]، ومما يسجل لهذه الشخصية هو موقفها الحازم من توقيع الصلح بين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان والاسبان، بعد احتلالهم لتطوان[299].

ونورد فيما يلي جدولا ملخصا لبعض من وردت إشارات عنهم من العلماء بالرتب حسب ما توصلنا إليه في بحثنا بالمنطقة ومحيطها مع التأكيد على أننا كلما عمقنا البحث كلما برز لنا عدد آخر منهم.

---

[296]- الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج1، ص. 289./ **السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش من الأعلام** ج7، ص ص. 52، 53.

[297]- ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ج1، ص. 288./ حجي، مادة: **الدويري، محمد بن عبد الواحد العثماني**، معلمة المغرب، ج12، ص. 4118.

[298]- حجي، **موسوعة أعلام المغرب**، ج8، ص. 2617. / لحسن تاوشيخت، «الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت، خلال عهد الدولة العلوية (القرنين 18م ـ 19م) »، ضمن "**أعمال ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر تكريما لروح السلطان المولى محمد الأول**"، أيام 9، 10، 11 دجنبر 1993م، كلية الآداب وحدة سلسلة ندوات 3 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1995م، ص. 36.

[299]- بخصوص قبول المغرب للدعيرة الحربية وقبول الصلح مع إسبانيا زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عقب هزيمة المغرب في معركة تطوان سنة 1859م، ومختلف المواقف التي بدرت من العلماء أنظر: أحمد العماري، **نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار المغرب نموذجا**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا الولايات المتحدة، ط1، 1997م، ص ص. 274، 275./ المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ص ص. 335، 336.

جدول رقم 19: بعض أشهر العلماء الذين ارتبط ذكرهم بمجال الرتب.

اسم الشخص	أبرز ما ذكر عنه	المصدر
مولاي عبد الكريم بن علي بن طاهر.	ـ كان من العلماء فلما توفي دفن بمقبرة أولاد شاكر بالرتب.	مولاي علي بن المصطفى فتح القدوس، م خ ح، رقم 12579، ورقة. 5.
محمد بن عبد الرحمان بن قاسم.	ـ هو حفيد مولاي محمد فتحا بن علي بن طاهر قد استوطن نسله بديار الشرفاء وزاوية الحجر قرب أولاد شاكر بالرتب وكان فيهم علماء وأولياء فمنهم الامام العالم الهمام قاضي الجماعة بفاس سيدنا ومولانا محمد بن عبد الرحمان بن قاسم ومنهم عمه مولاي هاشم بن الصديق[300].	مولاي علي بن المصطفى، **فتح القدوس القاهر**، م خ ح، رقم. 12579، ورقة. 6.
الفقيه مولاي الطيب بن علي.	ـ من ذرية عبد الله بن الطاهر كان رحمه الله من أورع خلق الله ومن أعلم خلق الله في وقته نور التقوى على وجهه يلوح ومسك المعرفة من ذاته الشريفة يفوح كان رضي الله عنه راتبا في مسجد الزاوية الصادقية.	أنساب العلويين بسجلماسة، م خ ح رقم 11997، مولاي هاشم بن الغالي العلوي ورقة 16.
الفقيه علي بن عبد الكريم الزريقي	ـ هو عامل حسن خامل، كان أخذ عن علماء تافيلالت وكان لا يزال حيا عام1920م، في سن 80 سنة. ـ سماه العمراوي بأحد أئمة التجويد بتافيلالت.	ـ السوسي، **المعسول**، ج18، ص، 95. **المعجم الوجيز**، ص.347.
علي بن أحمد بن عبد الرزاق.	ـ الفاسي أصلا الزريكي منشأ وداراً، له الدر المصون في الرد على كل منكر منتون في مجلد ضخم، فرغ منه يوم الخميس 12 جمادى الثانية، عام 1304هـ/ 1887م توفي أوائل القرن الربع عشر.	العمراوي، **المعجم الوجيز في علماء زيز**، ص، 348. ـ معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين.
محمد بن قاسم بن عبد الله بن	من أعلام ق 13هـ اشتهر بعلمه وورعه.	– الصادقي، **الزاوية الصادقية**، ص، 59.

[300]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، ورقة 6.

أحمد بن عبد الصادق	وصفه الكردودي، السميدع الأصيل النبيل الشريف البركة الأرفع صاحب الجنان الرفيع.	- الكردودي، **قصيدة في تهنئة محمد بن قاسم**، م خ ح، 13762، ورقة، 2.
مولاي هاشم بن احمد بن محمد بن عبد الواحد	- هو صاحب أرجوزة تعرض فيها لنسب الشرفاء الطاهر ومجدهم الباهر والحق أصاغرهم بأكابرهم وصفه ابن حمدون بالعالم العامل. وذكر الفضيلي أنه توفي سنة 1227هـ/ 1812م أو 1228هـ/ 1813م.	- ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب** ص، 255. الأشراف، ج2، ص، 41. - الفضيلي، الدرر البهية، ج1، ص. 143.
أبو العلاء مولاي ادريس بن عبد الرحمان	- هو أبو العلاء مولاي ادريس بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد المدعو مولاي بن علي بن عمر، كان اماما عالما مشاركا متفننا في سائر العلوم مفتيا خطيبا عارفا بالمعقول والمنقول(...)وعلم الكيمياء وله في الجداول اليد الطولى له العناية التامة في التدريس اختصر المعيار في سفرين وتأليف في صلاة التسبيح حاجا لبيت الله الحرام اقبلت عليه الدنيا وقلبها جوادا وأفناها في طاعة ربع وافرغ علومه في ابنه سيدي محمد الشافعي وتبعه في سائر افعاله وجميع محامده تولى القضاء بواد الرتب وأحسن السيرة وساس الناس بأحسن سياسة مات يوم مات والالسن تثني عليه.	الزكي، **مطالع الزهراء**، ص، 219.

هذه إذن جملة من المعطيات عن العلماء والأولياء الرتبيين أو الذين ارتبط تاريخهم أو جزء من حياتهم بالرتب، والذين خصصناهم بالتعريف، لكن نظرا لكثرتهم وقلة المادة المصدرية المرتبطة بعدد منهم، فقد اكتفينا بهذه النخبة منهم، مع التأكيد مرة أخرى أن مجال الرتب كان غنيا بنخبه العالمة وانتاجه العلمي الكبير.

7 – أهم الزوايا والمزارات بالرتب وتأثيرها في حياة السكان بالمنطقة وخارجها.

طبيعي أن يتساءل الباحث في موضوع الرتب عن مدى انتشار الزوايا واتباعها بهذا المجال، نظرا لحضور تسمية زاوية في تركيبة تسمية جملة من قصور المنطقة، فضلا عن كون الفترة التي بدأ فيها مجال الرتب يبرز في بعض الأحداث تميزت بتزايد انتشار الزوايا والطرق الصوفية بمختلف مسمياتها، إلى جانب ما عرفته المرحلة التاريخية من مآسي ونكبات كان لها أبلغ الأثر في التأثير على فكر الساكنة واعتقاداتها.

هذا الحضور الملفت للزوايا تناولته بعض الدراسات والتي عددت لنا أهم الزوايا التي كانت منتشرة بالمنطقة، فسبيلمان خص بالذكر منها تلك التي كان يزورها آيت عطا بالرتب، ومنها الزاوية العلوية لمولاي مصطفى بن الحنفي بالجرامنة، والزاوية العلوية بأوفوس، وللاصافية بالكنز، والصدقيون بالزاوية الحمراء الجديدة بالرتب[301]. كما نجد كذلك عددا من الزوايا الأخرى بعضها لازال نشاطه مستمرا وقائما، وبعضها توقف ولم يعد لها أي نشاط؛ إلا إذا استثنينا احتضان بعضها لعدد من المناسبات السنوية مثل عيد المولد النبوي وبعض المناسبات الأخرى الخاصة.

هذه الزوايا غالبا ما توجد بها عدد من الأضرحة، لولي أو أولياء شكلوا مقصدا للزيارة عند البعض إما للتوسل بهم والتماس بركتهم، وبعض منها لممارسة طقوس وعادات تقترب أحيانا من الشعوذة والزندقة، وسنعرض في هذا المحور لأهم الزوايا والمزارات والأضرحة بالقصور الرتبية مع تعريف بأصحابها بناء على ما توصلنا له من معلومات مكتوبة وشفهية، وقبل أن نعرض للخريطة الدينية بالمنطقة سنعرج على ذكر أهم الزوايا بالمنطقة مع العلم أن معظمها ترتبط بإحدى الشخصيات ذات المكانة العلمية والاعتبارية التي سبق أن ذكرنها ويأتي على رأسها:

---

[301]– سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، بتصرف، ص. 56.

الزاوية الصادقية: وينسب تأسيسها إلى الولي الصالح أحمد بن عبد الصادق وبهذا يكون تاريخ تأسيسها هو القرن 11هـ/ 17م[302]، نشأت هذه الزاوية بمنطقة الرتب كامتداد للطريقة الجازولية، حيث أقامت مقرها قرب قصر البطاطحة بالضفة اليسرى لوادي زيز، قبل أن ينقل نشاطها إلى الضفة اليمنى بعد تأسيس قصر الزاوية الجديدة[303].

وقد أسس الشيخ بن عبد الصادق زاويته مستنبطا طريقته من شيخه علي الكومي، الذي يمتد سنده في الطريقة إلى الشاذلية الزروقية، وسمى الزبادي أتباع الطريقة الصادقية بالطائفة الفلالية، وقال بأنهم «**الفقراء المحبون المداحون للنبي صلى الله عليه وسلم، المغرقون في بحر محبته، وفي الصلاة والسلام عليه، والمداومة عليها ليلا ونهارا وفرحا وحزنا، لأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي ذكرهم وغذاؤهم، وعليها رقصهم، وهي دأبهم وديدنهم وسيرتهم، وبها يسيرون وعليها يعتكفون؛ كبيرهم وصغيرهم، وألفوها ولم يألفوا غيرها، حتى سكنت في قلوبهم، وامتزجت بدمائهم وفي لحومهم، وهي طريقة شيخهم**»[304]، الذي بفضله أصبحت منطقة الرتب من المراكز الهامة بالمغرب لهذه الطريقة، ومنه انطلق إشعاعها إلى منطقة تافيلالت الكبرى ومنطقة توات وإلى العديد من الحواضر والبوادي المغربية[305].

نجد فروعا لهذه الزاوية بعدد من المدن المغربية منها الزاوية الصادقية بفاس التي نشأت على أنقاض دار ابن غازي (ت 919 هـ/1513م) بحومة البليدة[306]. وزاوية أخرى كانت فيما قبل خربة فاشتراها أصحاب الشيخ بن عبد الصادق نزيل الرتب سنة1201هـ/1786م وبنوا فيها زاويتهم الكائنة بباب النقبة وبها دفن محمد بن عمر بن المهدي بن عبد الكريم الصادقي أحد

---

[302]- أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، **السفر الصوفي، ضمن الإجازة الأيوبية في ذكر مشيخة العلم والأسانيد إلى الطرق الصوفية**، جمع أسامة بن جعفر بن محمد الناصر الكتاني، الزمزمي بن محمد المنتصر الكتاني، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، 2005م، ص. 43.

[303]- الأوفوسي، **مادة: «أوفوس»، معلمة المغرب**، ج3، ص. 903./ الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، صفحات. 7، 8، 20.

[304]- الزبادي، **سلوك الطريق**، ص. 269.

[305]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص ص. 16، 17.

[306]- الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج2، ص. 890.

أحفاد بن عبد الصادق[307]. مما يدل أن الصادقيين حرصوا على نشر طريقتهم خاصة بعاصمة الدولة آنذك مدينة فاس، الأمر نفسه نجده في مكناس حيث توجد زاوية لهم بحومة التوتة بالقرب من مسجد التوتة، ثم بمدينة مراكش وغيرها من المدن الأخرى[308].

لم يقتصر انتشار هذه الطريقة على المدن بل امتد ليشمل عددا من المناطق خاصة بتافيلالت وبدرعة، ففي هذه الأخيرة أورد لنا البوزيدي عددا من الزوايا التي تنتمي إلى الطريقة الصادقية ومنها: زاوية المجدوب بواحة ترناتة، وزاوية سيدي صالح القديمة وزاوية سيدي صالح الجديدة بواحة كتاوة والمحاميد[309]. أما بتافيلالت فقد ذكر تاوشيخت أن زاوية عمار بزيز الأسفل والتي أسست على يد الشريف الادريسي المراكشي الأصل العلامة الزاهد الشيخ سيدي الساسي، جد شرفاء قصر عمار كانت تابعة للزاوية الدرقاوية بفاس ولزاوية سيدي أحمد بن عبد الصادق بأوفوس، وكانت زاوية عمار مشهورة جدا إذ كانت تعرف عدة زيارات وتستقبل عدة هدايا وعطاءات من لدن مريدها وخاصة منهم ذوي منيع، وأولاد جرير وآيت خباش[310]. ويشارك اتباع الصادقيين في إحياء ذكرى المولد النبوي بعدد من قصور المجال الرتبي كما في الزريقات يوم 12 ربيع الأول وأولاد عيسى يوم 19 ربيع الأول من كل سنة وغيرهما.

ما يبرز أيضا أهمية هذه الزاوية هو وجود فروع لها أيضا تنتشر خارج المغرب كما هو الحال في الجزائر وحتى تونس، ففي منطقة توات بالجزائر مثلا ينتشر أتباع هذه الطريقة بل وما زال هؤلاء أكثر تشبثا بتعاليم الشيخ ويقيمون له موسما سنويا[311].

---

[307]– عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، **إتحاف المطالع بوفايات أعلام القرن الثالث عشر والرابع** ضمن **موسوعة أعلام المغرب** الجزء السابع، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، ص. 2437.

[308]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 36.

[309]– البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي**، ص ص. 327، 328.

[310]– تاوشيخت، «**السلطة والمجتمع بتافيلالت في عهد السلطان مولاي يوسف**»، ص. 16.

[311]– الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 36.

هذا الانتشار الواسع للطريقة الصادقية واتباعها لم يغب عما رصدته سلطات الحماية الفرنسية عقب الاحصاء الذي أنجزته سنة 1939م حول الزوايا وأتباعها، فنجد حسب سبيلمان أن الزاوية الصادقية احتلت الرتبة 11 من بين 23 زاوية شملها الاحصاء، بمجموع مريدين بلغ عددهم2607 من الذكور فقط، موزعين كما يلي: 6 بالقنيطرة، 11 بتازة، 16 بالدار البيضاء، 29 بمراكش، 34 بالأطلس المتوسط، 44 بالحدود المغربية الجزائرية 67 بالرباط، 160 بفاس، 223 بمكناس، 2017 بتافيلالت[312]. هذه الأرقام شملت المقيمين منهم في المدن أساسا، لكنها تختلف عما كان عليه الوضع قبل هذا حيث كانت الطائفة الصادقية هي الطائفة الثامنة[313]حسب بيان ترتيب الطوائف الصوفية بالمغرب[314].

وتتجلى أهمية الزاوية الصادقية الأم بالرتب إضافة إلى ما سبق ذكره في أدوارها الطلائعية لحل عدد من القضايا والصراعات بالمنطقة سبق الإشارة إلى بعضها، منها مثلا دورها في الاتحاد بين الفروع القبلية المتساكنة ب "قصر آيت يحي أو عثمان"، بحيث اتحد أهل هذا القصر الضخم المتكون من مجموعة من القصيرات (تامارست، تيط أوكوز، تيعوانين، مكمان،...) تحت وصاية ومباركة الزاوية الصادقية[315]، كما أن أدوارها في إكرام الحجيج والضيوف من الأهمية والقيمة ما جعل العديد من المؤرخين والشعراء وأصحاب الرحلات الحجية وغيرها، يثنون على أهل هذه الزاوية وشيوخها والسكان المحيطين بها، فوصف العياشي وصوله إلى هذه الزاوية قائلا«**ونزلنا بزاوية سيدي أحمد بن عبد الصادق، فتلقانا ولده سيدي بن عبد الله بالبر والتعظيم، والترحيب والتكريم**»[316]. كما وصف الهلالي الزاوية وخدمتها للحجيج بالقول «**فرحنا لزاوية قطب**

---

[312]- D.G. Spillman; **Esquisse d'histoire religieuse du Maroc**, Paris, 1951, p. 118, 122.

[313]- محمد بن محمد المسفوي ابن المؤقت المراكشي، **الرحلة المراكشية، أو مرآة المساوي الوقتية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م، ج1، ص. 148.

[314]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 45.

[315]- قسطاني، **الواحات المغربية قبل الاستعمار**، ص. 48.

[316]- العياشي، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، ج1، ص. 71.

السالكين ومنقد الهالكين، الصالح الصادق سيدي أحمد بن عبد الصادق(...)فأحسنوا ضيافتنا غاية الإحسان وأسدوا إلينا من البر ما يكل عن وصفه اللسان، زادهم الله كل خير ووقاهم كل ضير»[317]، هذه الوظيفة ظلت مستمرة رغم انقطاع ركب الحج بعد الاستعمار الأجنبي للشمال الإفريقي، وما عرفه الرتب من تغير على مستوى التركيبة الاجتماعية والبشرية لمختلف القصور الرتبية بما فيها قصري الزاوية القديمة والجديدة، يدل على ذلك ثناء السبعي عليها وعلى أهلها عند مروره بها سنة 1912م قائلا «**ونزلنا على أهل زاوية الولي الصالح سيدنا ومولانا أحمد بن عبد الصادق فأضافنا البربر القاطنين فيها، ومن جملتهم محمد أمنداس التجيتي، كان استوطن عندهم من قديم، وهو الذي أنزلنا داره، فمن الغد ذهبت لزيارة الضريح المذكور**»[318].

كل ذلك جعل زاوية أحمد بن عبد الصادق وشيخها تحظى بالتوقير والاحترام حتى بعد دخول العطاويين للرتب وهجرة كثير من أهله، إلا أن العطاويين حافظوا لهذه الزاوية وشيوخها على المكانة والتوقير اللازمين، بل خصوها ببعض عطاياهم، كما ورد مثلا في البند 45 من عرف الكارة ومضمنه «**وأما الزيت فيعطى منها لفقيه القبيلة قدحة، ولأهل سيدي بن عبد الصادق اثنان من الأعشار**»[319]، أما علاقة الزاوية وشيوخها بالمخزن العلوي فتميزت عموما بالود والتوقير سواء في الفترات التي سبقت احتلال المغرب أو إبانه، يبرز ذلك جليا من خلال مجموعة من ظهائر التوقير والاحترام التي تلقاها شيوخ هذه الزوايا من قبل السلاطين العلويين[320]، إضافة إلى

---

[317]- الهلالي، **التوجه لبيت الله الحرام**، ص. 91.

[318]- بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 53.

[319]- Mezzine. **Le Tafilalet**, p. 142.

[320]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 75. يمكن الاطلاع على نسخ مصورة من ظهائر توقير السلاطين العلويين لشيوخ الزاوية الصادقية ضمن ملحق نفس الكتاب، من ص. 175 إلى ص. 195.

أنها كانت من المناطق التي زارها السلطان مولاي الحسن في حركته نحو تافيلالت سنة 1893م[321]، قصد التبرك بصلحائها وصلة أهلها وفي هذا يقول الخالدي:

خَيَّمْنَا فَصِرْنَا بُعَيْدَ الزّرِيقَـــــــاتِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ التَمَسْنَا البرَكَـــــاتِ

بِهِ قُصُورٌ ذَاتُ رَحْبٍ وَفَضَـــــــا وَأَهْلُهَا ذَوُا اعْتِنَاءٍ وَارْتِضَـــــــا[322]

كما يذكر أن السلطان قدم لهذه الزاوية نسخة من شجرة جدهم أحمد بن عبد الصادق على لوحة نحاسية مزخرفة تم تثبيتها بضريحه بالزاوية القديمة[323]. لكن هذه الزاوية تعرضت للهدم على إثر فيضان واد زيز المدمر سنة 1965م ولم يبق منها اليوم إلا الضريح الخاص بالشيخ بن عبد الصادق، وهو الوضع نفسه الذي توجد عليه مجموعة أخرى من الأضرحة الخاصة بعدد من الشيوخ والأولياء والصلحاء ومنهم كما وضح الجدول التالية:

[321]- Linarés, **Voyage au Tafilalet**, p. 45.

[322]- الخالدي، **أرجوزة في مراحل الرحلة**، الورقة12.

[323]- الصادقي والمهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 75.

جدول رقم 20 : أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأسفل.

اسم الولي أو صاحب الضريح	القصر أو المكان	بعض المصادر والمراجع أو الروايات التي أشارت له(ا)
أبو حفص عمر	البلاغمة	"ومنهم الشريف المجذوب الغائب في محبة المحبوب أبو حفص عمر نزيل البلاغمة، لا يرى أبدا صاحيا تأتيه الناس للزيارة من سائر النواحي، فيدعو لأقوام ويدعو على آخرين، فانتفع منه خلق كثير وتضرر به جم غفير، وكان يطلب الفتوحات من الزوار، فمن أعطاه شيئا ظهر له أثر ذلك في الحين؛ من دفع مصيبة أو بلية، ومن مَنَعَهُ أصابته في الحين رَزِيَّة، لأنه والله أعلم كان يرى ذلك غيبا رضي الله عنه ذكر في المطالع وغيرها، وبالجملة فالرجل كبير الشأن، توفي ببلده رضي الله عنه، ولازال قبره مزارا إلى الآن[324]. وقال عنه الزكي: ومنهم يعني من بني عبد الله بن محمد شرفاء البلاغمة بواد الرتب منهم الولي الأشهر مولانا عمر بن مولانا أحمد كان مجذوبا غائبا دعاؤه مستجاب فكم من أقوام هلكوا بسطوته، تهابه اللصوص وتذعن له الخصوص[325]. في السياق نفسه أشار علي بن المصطفى إلى استقرار أحد فروع أولاد مولاي محمد بن مولاي علي الشريف بقصر البلاغمة، وإليهم ينتسب مولاي عمر بن مولاي أحمد المجدوب الغائب المستجاب الدعاء، ويصف كرامته بالقول «**فكم من قوم ربحوا بدعوته وكم من قوم هلكوا بسطوته، تهابه اللصوص وتدعن إليه الخصوص**»[326].

[324]– الفضيلي، **الدرر البهية**، ج1، ص. 146.

[325]– الزكي، **الشجرة الشماء**، ص. 26.

[326]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 26./ الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 223.

		وربما هو من عرفه الزبادي، وسماه أبو حفص مولاي عمر بن أحمد السجلماسي المحمدي الحسني[327].
أبو القاسم بن عبد الله بن امحمد	تاخيامت	هو سيدي أبو القاسم بن عبد الله بن امحمد بن عبد الرحمان، دفين قصر تخيامت قرب أوفوس، وله بها مزار هناك، وسيدي بلقاسم هذا حفيد سيدي امحمد بن عبد الرحمان وأحد أبناء سيدي عبد الله رحمهم الله[328].
عبد الرحمان بن محمد	الزريقات	غير معروف النسب، لكن الشيخ محمد بن عبد الرحمان مول السهلي سابق الترجمة هو من أشار لأهل الزريقات بولايته وصلاحه ولازال مدفنه إلى اليوم محج الكثيرين خاصة في عيد المولد النبوي[329].
سيدي محمد بن الحسن بن المداني	الزريقات	سيدي محمد بن الحسن بن المداني بن أحمد بن حفيد بن مولاي عمر بن هاشم، فقد كان شريفا مباركا خيرا دينا وقد ظهرت له كرمات عديدة فكان الناس يتبركون به ويقصدونه للزيارة وقد عاش ما يزيد على مئة سنة وهو مدفون بالزريقة رحمه الله[330].
أبو عمران موسى بن عبد الله بن ميمون الدويري	الدويرة	يسمى أيضا بميمون الرتبي من الشيوخ الذي كان لأبي سالم العياشي اتصال بهم وهو من شيوخه حسبما جاء في الثغر ومن أجل تلامذة عبد الله بن طاهر الحسني[331].

[327]– الزبادي، **سلوك الطريق**، ص ص. 395، 396.

[328]– السماحي، **المنن في مناقب**، ص. 30.

[329]– نفسه، ص. 29.

[330]– الأوفوسي، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ص. 15.

[331]– عبد الله بنصر علوي، «من شخصيات الزاوية العياشية(أبو سالم العياشي) 1»، "**مجلة دعوة الحق**"، ع 248، ماي 1985.

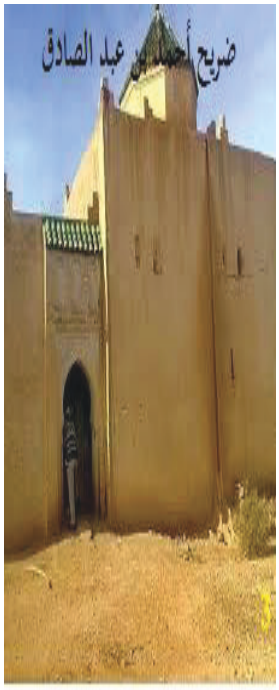
مولاي هاشم بن الشريف	الدويرة	هو مولاي هاشم بن الشريف بن علي وشقيق الملوك الثلاثة الأوائل للدولة العلوية(مولاي امحمد، مولاي الرشيد، مولاي إسماعيل)، ارتبط ذكره بمنطقة الرتب بعد أن فشل في الثورة التي شارك فيها ضد أخيه السلطان مولاي اسمياعيل، واستقر بقصر الدويرة ولازال نسله بها موجودا كما أن ضريحه لازال قائما بهذا القصر، حيث كان محجا لعدد من الناس. وعرف بالصلاح[332]
سيدي ابراهيم	المعاركة	كان قبره بمسجد القصر لكنه نقل إلى مقبرة القصر بعد ذلك.
جبرين بن موسى	تمعاركت	اشتهر بالصلاح والورع، والزهد والعلم وقد كان له ضريح خاص لكنه تعرض للانهيار.
سيدي بوفراس	المعاركة	هو حسب الروايات التي استقيناها من أهل المنطقة محمد بن الشريف بن السلطان إسماعيل، ذكر اسمه في جملة من الرحالات الأجنبية (داستيك ص. 363.365)، ولصلاحه وورعه وحبه للجهاد وأهله خصص له ضريح خاص به بقصر المعاركة.
سيدي حجاج	المعاركة	هو إدريس بن الشريف، ويعرف بالولي الصالح سيدي حجاج. وضريحه ملاصق لضريح سيدي بوفراس. وذكرت له كرامات متعددة، مثلت لدى روايها دليل على ما كان للرجل من ورع وتقوى.

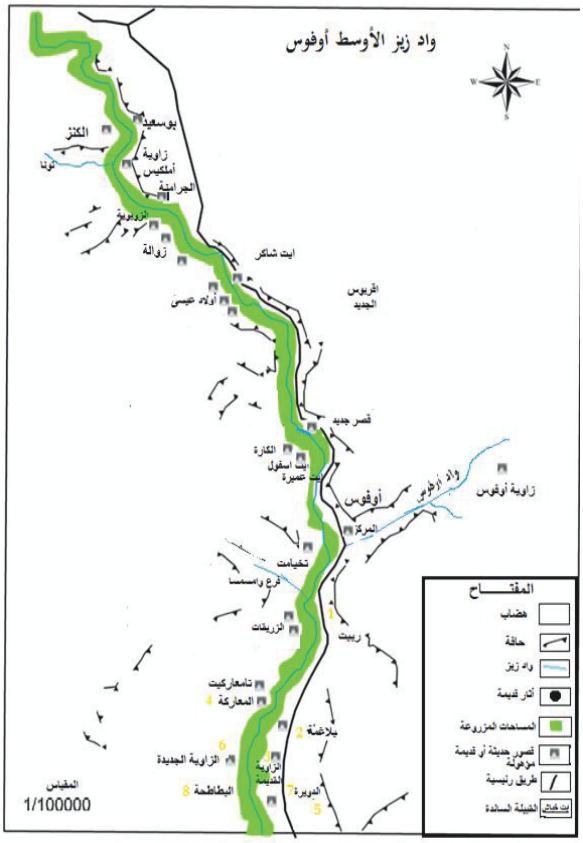
[332]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج2، ص، 27./ الإفراني، **نزهة الحادي**، ص 298, / الناصري، **الاستقصا**، ج 7، ص، 60./ هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة** 83./ هاشمي، **قصر الدويرة**، ص. 44، 46.

خريطة رقم 6: أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأسفل.

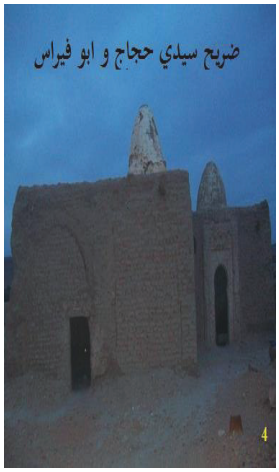


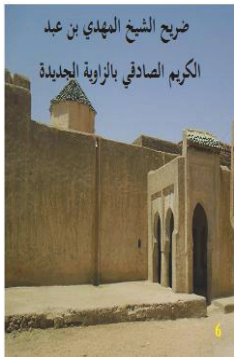
















الصور شخصية مأخوذة سنة 2019م، وبعضها من مصادر مختلفة

زاوية مولاي عمر بن هاشم: تقع هذه الزاوية في قلب منطقة الرتب وذلك في الجزء الأوسط منه، على ضفة أحد أهم روافد واد زيز والمسمى واد أوفوس، وتبعد عن الطريق الوطنية رقم 13 وأوفوس المركز الإداري للمنطقة بحوالي 7كلم، وينسب تأسيسها إلى جد الشرفاء هناك، مولاي عمر بن هاشم المشهور بصاحب 36حجة[333]، وتذكر كثير من الروايات أن هذا الأخير كان قد اشترى هذه المنطقة التي توجد بها زاوية مولاي عمر بن هاشم، والتي تعرف اليوم باسم زاوية أوفوس من قبيلة دخيسة العربية، وحبسها على ابن السبيل وهو ما تؤكده أبيات من أرجوزة لمولاي هاشم بن أحمد بن محمد، يقول فيها:

بلد أوفوس اشتروا وحبســـــــه عمر ذو المجد إلهي فاحرسه

جعل ما حبسه لابن السبيـــــل فاغفر له اللهم يا بر جليـل[334]

هذه الزاوية لم تحظ باهتمام كاف من المهتمين بالحقل الديني وقضاياه، كما غاب ذكرها في جل المصادر التاريخية نظرا أولا لحداثة نشأتها، وبحكم موقعها المنعزل نسبيا والذي يبعد عن الطريق التجاري الرابط بين فاس وتافيلالت ـ والمعروف بطريق السلطان ـ والذي يمر بجانب كل القصور الرتبية باستثناء زاوية أوفوس، هذه الأخيرة كان السلطان مولاي الحسن قد مر من طريقها اضطرارا في طريقه نحو تافيلالت، والذي تزامن مع فيضانات واد زيز، مما أجبره على الانعطاف بعيدا عن طريق السلطان عندما وصل إلى قصر الجرامنة، ليصعد نحو الهضبة الممتدة ويصل إلى زاوية أوفوس قبل أن يعود إلى طريق السلطان مرة أخرى وبالضبط بمجال قصر أولاد عميرة[335]، وهنا قدم لنا الخالدي وصفا مقتضبا لمحال هذه الزاوية قائلا:

---

[333]– الأوفوسي، **مادة أوفوس، معلمة المغرب**، ج3، ص. 903.

[334]– هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**، م خ ح، رقم 12495، ورقة 86.

[335]– Linarés, **Voyage au Tafilalet**, p. 45.

وَسِتُ سَاعَاتٍ جُبْنَاهَا فِي المسِيـرِ مُجَنِّبِينَ الرَّتْبَ لِلسُّبُلِ العَسِيـــــرِ

بالضّنك والسَوَاقِي مَاؤُهَـــــا نَبَـعْ وَ اذْ أرْتُسِمَ سَبِيلُهُ اتُّبِـــــــــعْ

لاَ مَرْسَمَ بِهِ ولاَ عِمَـــــــــــارَة الَّا زَاوِية بِهَا اسْتِنَـــــــــــارَة[336].

وهذا يثبت أن هذه الزاوية حافظت على استمرارها رغم أن المهمة الرئيسية التي أراد مؤسسها مولاي عمر بن هاشم أن تقوم بها قد توارت بشكل كبير في ظل العديد من المتغيرات المحلية والوطنية وغيرها، لكنها ظلت من أهم الزوايا الموجودة بالرتب كما أشار إلى ذلك سبيلمان[337]، ولعل ما يمز هذه الزاوية بالمقارنة مع باقي الزوايا الأخرى هي أنها مثلت نموذجا للزاوية الدار بتافيلالت، نظرا لحيثيات تأسيسها ولخصوصياتها المتميزة المتمثلة أساسا في عدم استقرار الشيخ المؤسس بها أو بجوارها[338]، كما أنها كانت ملجأ لحفدة هذا الأخير والذين كانوا يقطنون بقصر أولاد عميرة غداة إحتكتاك العطاويين بهم، قبل أن ينتقلوا إلى هذه الزاوية ويبنوا بجوارها قصرا يأويهم من محنة التشرد والفاقة[339]،كما عمدوا إلى استغلال الأراضي المحبسة بالزاوية لصالحهم مع المحافظة على الأدوار التي من أجلها أسس جدهم مولاي عمر بن هاشم هذه الزاوية، من خلال تخصيص مجال من الأرض خاص بالزاوية، يجمع محصوله من التمر والزرع ويختزن بدار الزاوية القائمة البناء بحصن البلد، ويطعم منه كل من حضرها من أبناء السبيل، والزاوية لازالت قبلة كثير من الطوائف والطرق الصوفية بالمنطقة وغيرها، مثل الصادقية والعيساوية التي دأبت على تنظيم حضرتها سنويا بهذه الزاوية، لكن كل ذلك توقف اليوم ولم يبق من مواسم الزاوية إلا الموسم المسمى "دردبة" الذي تنظمه مجموعة كناوة بالرتب ومدغرة[340].

---

[336]- الخالدي، **أرجوزة في مراحل الرحلة**، الورقة 12.

[337]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، بتصرف، ص. 56.

[338]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 69.

[339]- الأوفوسي، مخطوط، **الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ص. 20.

[340]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، صفحات. 82، 83،84.

جدول رقم 21 : أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأوسط.

اسم الولي أو صاحب الضريح	القصر أو المكان	بعض المصادر والمراجع أو الروايات التي أشارت له(ا)
مولاي مهدي بن محمد بن الحفيد	زاوية أوفوس	هو مولاي مهدي بن محمد بن الحفيد بن أحمد بن الحبيب بن أحمد بن حفيد بن مولاي عمر بن هاشم، هو مجذوب الحال له كرامات كثيرة دفن بدار الزاوية بجوار الجرة المنسوبة لمؤسس الطائفة الهداوية. في ستينيات القرن العشرين[341].
مولا ي الشريف	قصر الجديد	هو من نسل مولاي عبد الواحد بن طاهر الذي استوطن نسله بالقصر الجديد بالرتب وهو السيد الشريف محمد بن عبد الواحد بن طاهر كان عالما عاملا، ذو أذكار له دين وصحة ويقين تصوف له تلاميذ من الرجال والنساء وبه يحلف أهل قصر الجديد بالرتب في الحقوق المالية وغيرها[342]، يوجد قبر مولاي الشريف بقصر "الجديد" على بعد ستة كيلومترات جنوب قصر تيدرين، وهو من الشرفاء العلويين بهذا القصر. ويعتبر قبره من الأماكن المقدسة عند سكان واحة الرتب نظرا للدور التحكيمي الهام الذي قام به هذا الشريف في حياته[343].
مولاي امحمد بن بوعلي	أولاد عميرة	هو جد مولاي عمر بن هاشم ودفن بجانبه أيضا مولاي الحفيد بن عمر بن هاشم سابق الترجمة[344].

[341]– صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 84.

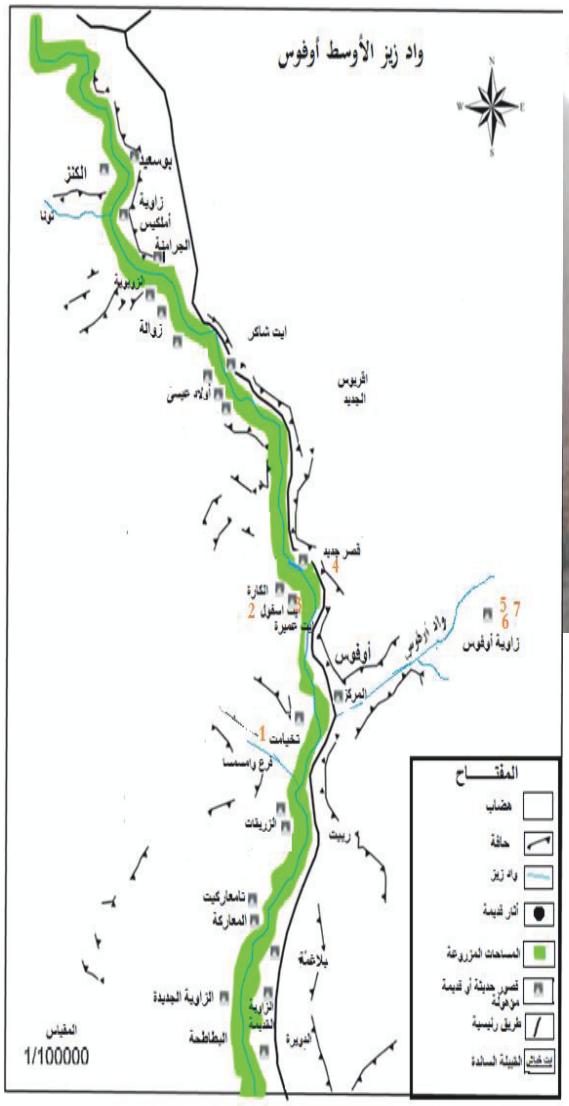
[342]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، ورقة 6.

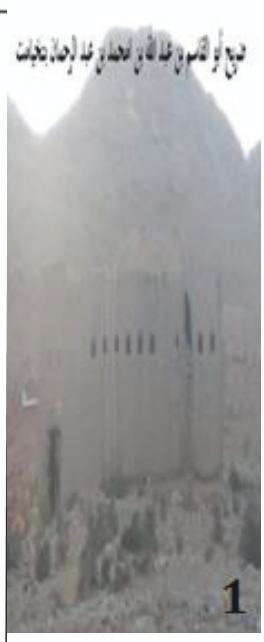
[343]– احدى، **أعراف الجنوب**، ص. 43.

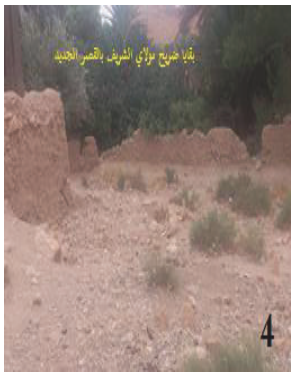
[344]– الأوفوسي، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ص. 6.

خريطة رقم 7 : أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأوسط.

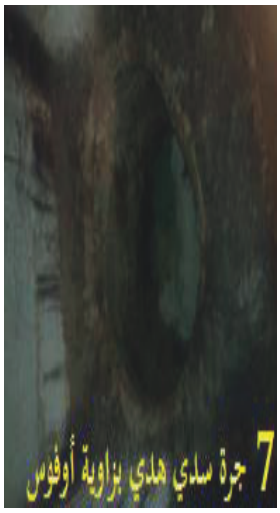
















صور خاصة التقطت سنة 2019م

زاوية مولاي مصطفى بالحنفي: تقع هذه الزاوية بالرتب الأعلى بقصر الجرامنة وينسب تأسيسها إلى أسرة ال الحنفي الذائعة الصيت بالمنطقة، وكانت من الزوايا التي عدد سبيلمان وجودها بالرتب مسميا إياها ب"**الزاوية العلوية لمولاي مصطفى بن الحنفي بالجرامنة**"[345]، كما قدم لنا روس دان إشارة مهمة حولها مبينا أن جد مولاي مصطفى بن الحنفي هو مؤسس هذه الزاوية وزوايا أخرى في عدد من قصور زيز، وأبرز الدور الذي ساهمت به هذه الزوايا وشيخها في التحكيم بين قبائل المنطقة من العرب والأمازيغ، خاصة دوره كوسيط بين العطاويين أنفسهم في نزاعهم حول البساتين والنخيل، ووقف أيضا على التراجع الذي عرفته هذه الزوايا مع بروز الزاوية الدرقاوية بالمنطقة وشيخها محمد العربي الدرقاوي المدغري، وأنها لم تعد لنشاطها وبروز دورها إلا بعد وفاة هذا الأخير وتراجع مكانة زاويته وأدوارها[346]، ويذكر المنوني أن طريقة مولاي مصطفى كانت القادرية السنية[347].

وإلى جانب دور هذه الزواية حظي عدد من الأولياء بهذا المجال بتقدير كبير وكانت أضرحتهم محجا لعدد من الناس الذين كانوا يؤمنون ببركته من دفن بهذه الزوايا، فلا ينقطعون عن زيارتها وإحياء المواسم السنوية تيمننا بذكرى ساكنيها، ومن أهم الأضرحة التي اشتهرت بهذه المنطقة نذكر:

---

[345]- سبيلمان، **آيت عطا الصحراء**، ص. 56.

[346]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 232.

[347]- المنوني، **مظاهر يقظة المغرب**، ج1، ص. 353.

جدول رقم 22 : أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأعلى.

اسم الولي أو صاحب الضريح	القصر أو المكان	بعض المصادر والمراجع أو الروايات التي أشارت له(ا)
لالة صفية	الكنز	"أشار اشبرو إلى لالة شريف بنت عبد القادر بن عمر الطاهري، من قصر سيدي أبي عبد الله بمدغرة، استقرت أسرتها بزاوية أملكيس و يقال لهم أهل تلكريمة وجدتها هي لالة الصافية بنت علي من أولياء الله وقبرها يزار بقصر الكنز بجماعة مدغرة[348].
سيدي عباس بن محمد	زاوية أملكيس	تقول الروايات الشفهية أنه كان مرابطا من أولياء الله الصالحين وقبره داخل المقبرة القديمة بزاوية أملكيس، حيث بنيت عليه غرفة لازال البعض يزورها قصد التبرك، وينبغي أن نشير في هذا الصدد إلى أن رولفس في رحلته سمى قصر زاوية أملكيس باسم زاوية سيدي بلعباس[349]، إلى جانب تأسيس بعض أبناء هذا القصر لزاوية سموها بالزاوية العباسية.
مولاي عمر بن الحنفي	الجرامنة	من أهم أولياء الرتب اشتهر بكرامته وأدواره في الإصلاح بين المتخاصمين وله روضة كانت تزار ويقام له فيها موسم صيفي كل سنة، تزوره الطوائف الدينية الطرقية: الجيلالية والعيساوية وغيرها التي تحج إليه من مناطق مختلفة[350].
مصطفى بن الحنفي	الجرامنة	سبق التطرق له والتعريف به ضمن مشاهير أولياء الرتب، وعند الحديث عن مقاومته للمستعمر الفرنسي.

[348]– اشبرو، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت**، ص. 167، 168.

[349]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 243.

[350]– اشبرو، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت**، ص. 9.

سيدي عيسى		أبرز شخصية مقدسة في قصر ازوالة ويقيم له السكان موسما خاصا في 20 غشت من كل سنة يسمى موسم الصادقات، وارتبطت كرامة سيدي عيسى بسقوط المطر أو جريان واد زيز، ولهذا كانوا يذبحون له عجل أسود اللون، ثم يوزعون لحمه بينهم.
ال الحكايزي	ازوالة	أسرة ال الحجازي وباللغة المحلية آيت بلحكايزي" لهم ضريح أو روضة غير مسقفة بمقبرة ازوالة تضم رفات أوائلهم الذين حسب الذاكرة الشعبية يرفضون السقف حيث أن أهل البلد سقفوا الروضة مرارا بالنهار وبمرور الليل يجدونها مهدومة صباحا، وتسمى بروضة سيدي بلحكايزي، كان سيدي لحبيب مجذوبا ووليا من الأولياء[351].
سيدي بنطلحة	أولاد عيسى	لم نتوصل إلى معرفة حقيقة هذه الشخصية رغم شهرتها، وكل ما هو متداول لا يعدو أن يكون روايات شفهية تضفي على قبر هذا الولي القدسية والقدرات الخارقة، لكن الأغرب هما ما يعتقده الناس بكل من قصري أولاد عيسى وأولاد شاكر، فيقال أن سكان القصرين تنازعوا جثمان الرجل عند موته أيهما يدفنه بقصره وكلما دفن بقصر إلا وأتى الآخرون وأخذوا جثمانه ليلا ودفنوه بقصرهم، إلى أن رأى أحدهما هذا الشيخ في المنام وطلب منهم أن يدفن عكازه بقصر وجسده في قصر فدفن عكازه بن طلحة بقصر أولاد عيسى، حيث يقام له موسم سنوي ضخم بعد أسبوع من ذكرى عيد المولد النبوي في 19 ربيع الأول من كل سنة ودفن جسده بأولاد شاكر.
عتاق الدراري	أولاد شاكر	يقع بجانب قصر اقربوس بأولاد شاكر، ويربطه البعض بكرامة رجوع الحليب إلى ثدي الأم في حالة النقصان أو الانقطاع. وقبره يقع بقرب ضريح الشيخ عبد الكريم بن طاهر الذي سبق ذكره.

[351]– اشبرو، **سلسلة المعلمة**، ص. 185.

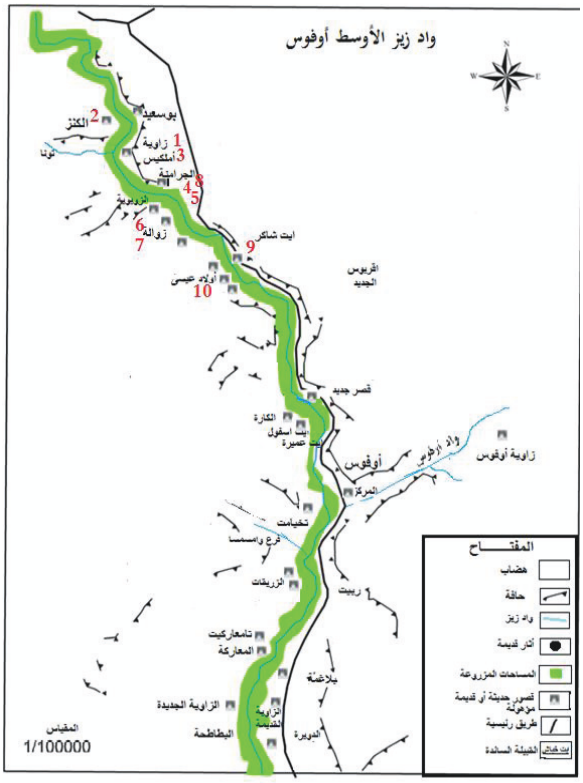
خريطة رقم 8 : أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأعلى.



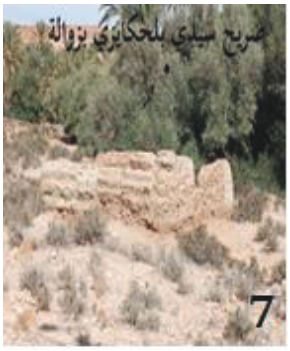




















الصور خاصة والتقطت سنة 2019م

وسنقتصر في هذا الفصل على ذكر هذه الزوايا الثلاث التي تمثل كل واحدة منها جزءا من مجال الرتب (الزاوية الحنفية بالرتب الأعلى، وزاوية مولاي عمر بن هاشم بالرتب الأوسط، والزاوية الصادقية بالرتب الأسفل) مع التأكيد على غنى المجال بعدد من الطرق والزوايا الأخرى خاصة الدرقاوية التي تغلغلت في مختلف قصور الرتب ومثلها عدد من المريدين نذكر منهم بأولاد شاكر محمد بن العربي، وبأولاد عيسى عبد الله بن العربي، وبقصر اربيت محمد أوراغ وبالزريقات علي أوراغ وغيرهم[352]. كما تنتشر الطريقة العيساوية والجيلالية بكثرة في مختلف القصور الرتبية.

نستنتج مما سبق ذكره أن منطقة الرتب كانت مساهمة بشكل فعال في الميدان الفكري والديني، وأنها استقطبت علماء وفقهاء وأنتجت موارد فكرية غنية تخطى اشعاعها المنطقة والمغرب، وأن ما تم الكشف عنه لا يعدو أن يكون مجرد جزء بسيط مما اضطلع به أهل الرتب من انتاج مهم في هذا الميدان.

[352]- الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب**، ج7، ص. 58.

الفصل الثاني: النظم الانتاجية والعمران بالرتب في المرحلتين الحديثة والمعاصرة.

الفصل الثاني: النظم الإنتاجية والعمران بالرتب في المرحلتين الحديثة والمعاصرة.

لعل أبرز القضايا التي تفاعل معها الإنسان تأثيرا وتأثرا، وكان لها بلا شك دور بارز في مختلف التطورات التي مر بها داخل محيطه؛ هي تلك القضايا المتعلقة بالماء والأرض، وما يرتبط بهما من أنشطة إنتاجية مختلفة، انعكست أيضا في عمرانه وإعماره والسمات التي ميزت طريقة وفلسفة بنائه وعيشه.

وطبيعي أن نتساءل في معرض تناولنا لمجال الرتب وما عرفه على امتداد تاريخه من تطورات، عن الثابت والمتغير في علاقة المكونات القبلية، وحتى الأفراد الذين ارتبطوا بمجال الرتب بالأرض والماء، لاسيما القضايا المتعلقة بطبيعة الملكية وطرق التدبير والاستغلال التي اعتمدوها، في ظل الندرة والخصاص الذي تميز به هذا المجال، سواء فيما يخص الأراضي الزراعية أو الموارد المائية. فالأسئلة البديهية التي قد تتبادر إلى ذهن الدارس للمجال والمهتم بالتحولات التي عرفها هي: ما مصير الأراضي الفلاحية والمساحات المستغلة بالرتب، مع توالي التطورات السياسية والمجتمعية التي كانت تحدث فيه على امتداد قرون، خصوصا في القرن 19م، الذي تميز بتغيير واسع في البنية والتركيبة الاجتماعية نتيجة استقرار العطاويين به؟ وما أثر ذلك في تحديد طبيعة الملكية وكذا طريقة الاستغلال؟

يطرح نفس السؤال كذلك في ما يرتبط بملكية القصور ذاتها بمنازلها وكل مرافقها، بسبب ما كانت تعرفه هذه الأخيرة من تغير لساكنتها مع كل وصول لعناصر قبلية جديدة، لتحل محل عناصر أخرى سابقة، فهل كان لاختلاف العناصر البشرية التي مرت أو استقرت بمناطق الرتب أثر في البناء ومواده وتصميمه؟ وكيف كان يتم توزيع الدور والمنازل بين السكان في القصور سواء تلك التي يتم الحصول أو الاستيلاء عليها؟ وما الذي بقي من معالم هذه القصور القديمة التي ترمز لذلك الماضي بكل حمولته التاريخية وقيمه ومبادئه وأفكاره؟

1 – النظم الانتاجية: الأرض، الماء، المنتوجات

1 – 1 تطورات ملكية الأرض بمنطقة الرتب وخصائصه

يبدو ونحن بصدد البحث في موضوع الأرض بمجال الرتب؛ أننا وإلى غاية ورود الإشارات الأولى الواضحة عن الاستقرار البشري بالمنطقة[1]، أمام افتراضات تنطلق من كون المجال وإلى غاية نهاية الفترة الوسيطية لم يكن مؤهلا لممارسة نشاط فلاحي واسع، لكون المناطق الواقعة شرق أو غرب منطقة الرتب جرداء وقاحلة، فضلا عن انحصار المجال الصالح للاستغلال في شريط ضيق على امتداد ضفتي واد زيز بهذه المنطقة[2]، إلى جانب التهديد المستمر الذي كانت تشكله فيضانات هذا الوادي[3].

ومن المحتمل جدا أن تكون المساحات التي كان يتم استغلالها في النشاط الزراعي أضيق بكثير مما هي عليه اليوم، قبل أن يساهم توالي فيضان واد زيز وغيره من العوامل عبر مئات السنين في توسعه بشكل تدريجي لكنه يبقى محدودا جدا، مما أضعف وأخر الاستقرار البشري وممارسات النشاط الزراعي بشكل كبير[4]. وهذا ما يمكن أن يطرح مسألة كيفية ملكية الأرض بمنطقة الرتب، فالتطورات التي عرفتها سجلماسة مع ضعف الدولة المرينية وبالتالي سقوط المدينة وتشتت سكانها، على القصور والمناطق المجاورة وحتى البعيدة، قاد بعضهم في مسعاهم للتحكم في الموارد المائية إلى تتبع مجرى واد زيز باتجاه الشمال، ليستقر بعضهم بالرتب على شكل تجمعات قبلية، مما سمح لهم بالعمل جماعة لاستصلاح الأراضي وتأهيلها للاستغلال وهكذا رويدا رويدا بدأت المساحات تتسع وقضايا ملكيتها واستغللها تطرح بين القبائل وكذا الأفراد.

---

[1]– الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 124، 123.

[2]– مارمول، **افريقيا**، ج3، ص ص. 154، 155.

[3]– يكفي هنا أن نشير إلى الفيضان المدمر الذي عرفته المناطق والقصور المشرفة على ضفتي واد زيز سنة 1965م في منطقتي جريانه الوسطى والسفلى، والذي أدى إلى دمار أجزاء من قصور كثيرة بالرتب مثل زوالة، الزريكات، المعاركة، الزاوية القديمة (...)، كما تسبب في جَرْفِ مناطق مهمة، من المساحات المزروعة. تزلي، «**جوانب من المسألة المائية بزيز الأوسط**» ص. 37./ عبد اللوي، **مدغرة**، ج1، ص. 170.

[4]– أنظر الأشكال والرسوم رقم1، ص. 25،

يضاف إلى ذلك أن الصراعات المختلفة كانت تدفع بعضهم إلى التخلي عن هذه الأراضي التي استصلحوها وملكوها والانتقال إلى أماكن أكثر اتساعا وتوفرا على الشروط التي توافق بين التطور العددي لهم، وتزايد حاجياتهم الغذائية، وبالتالي قد تستولي أو تستوطن قبائل وأفراد جدد على هذه الأراضي والمجالات التي تركها غيرهم، أو تشتريها منهم، ولنا في ما ذكره ابن خلدون من أن قبائل زناتة تركت مواطنها وقصورها بالصحراء فاستوطنها المعقليون خير مثال على ذلك[5]. لأنها ورثت ضمنا أراضيها التي كانت تستغلها في تلبية بعض حاجياتها.

كما تذكر بعض الروايات إرغام بعض سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب عددا من القبائل على مغادرة مجالاتها لأسباب مختلفة، أو قد تستدعيها السلطة الحاكمة للاستقرار بأماكن لتضمن مساندتها ودعمها، على غرار انتقال عرب دخيسة وكذا بني الحْسن وغيرهما من مجالاتها التي كانت بزيز نحو مناطق جديدة[6]، وقد تقوم هذه القبائل أثناء مغادرتها ببيع أراضيها إلى عناصر أو أفراد جدد، مثل ما حدث في القرن 17م مع مولاي عمر بن هاشم، الذي اشترى أراضي بلد أوفوس من عرب دخيسة وحبسها لابن السبيل، مما يفسر لنا وضعية الملكية التي توجد عليها الأراضي الزراعية اليوم بزاوية أوفوس[7].

نستنتج بناء على ما أوردناه آنفا أن معظم الأراضي كانت ملكيتها في البداية جماعية، أي في ملك تلك القبائل التي كانت دائمة التنقل والحركة بالمجال الرتبي، مما كان يمنع أو لا يشجع أغلب الأفراد للتوجه نحو الملكية الخاصة، طالما أنهم يعيشون حياة الترحال، لكن هذا الوضع كان مؤقتا، فمع بداية القرن 16م عثرنا على إشارات مهمة لحضور الملكية الخاصة بالرتب، إذ يشير الوزان إلى توفر المنطقة على بساتين عديدة في ملك فرسان العرب، كان يشتغل فيها السكان السابقون على قدوم هؤلاء وسيطرتهم على منطقة الرتب وكأنهم عبيد[8].

---

[5]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج6، ص ص. 77، 78.

[6]- المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**، ص ص. 29، 30.

[7]- هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة**، م خ ح، رقم 12495، ورقة 86./ صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 76.

[8]- الوزان، **وصف افريقيا**، ج2، ص ص. 124، 123./ حميد تيتاو، محمد لطيف، **ملامح من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال أمثالها، مساهمة مساهمة في تدوين الأمثال الأمازيغية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م، ص. 20.

اتضحت وتطورت الملكية الخاصة تدريجا حيث وجدنا السلاطين العلويين يعمدون إلى شراء أراضي بالرتب ويوثقون ملكيتها، ولازالت عدد من هذه الأراضي معلومة إلى اليوم، خصوصا بقصر المعاركة، حيث يستفيد من مداخيلها بعض المنتمين للأسرة العلوية، ومن أمثلة اهتمام السلاطين العلويين في امتلاك أراضي زراعية بالرتب لأسباب مختلفة؛ نذكر ما قام به السلطان مولاي إسماعيل الذي قام بإرسال عدد كبير من أولاده إلى مناطق وقصور سجلماسة[9] بلغ عددهم مئة وخمسة ولدا، وبنى لكل واحد منهم قصرا أو دارا، وأعطاهم نخلا وأرضا للحراثة والفلاحة، ومماليك يقومون لهم بخدمة أصلهم وحراثة أراضيهم في الشتاء والصيف[10]، فكانت منطقة الرتب من الأماكن التي استقر بها أحد أبناء السلطان مولاي اسماعيل وهو مولاي الشريف، حيث بنى له في الجزء الأسفل من الرتب قصرا سمي بالمعاركة[11]، كما اشترى له مساحة من الأراضي الزراعية قدرت بخمسين تاكورة[12].

قام بعده حفيده سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل باقتناء أملاك أحد شرفاء الدويرة من أولاد أحمد بن يوسف بما قيمته 6000 مثقال[13]، أما السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام فقد أقدم بدوره على شراء عدد من الأراضي الزراعية بالرتب، خاصة تلك التي كانت في ملكية أبناء عمومته والذين كان بعضهم يرغب في ترك منطقة الرتب بعد سيطرة قبائل آيت عطا على معظم أراضيه وقصوره[14]، كما يمكن أن نربط بين رغبة السلطان نفسه في توسيع ممتلكاته بالرتب، لاسيما

---

[9]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 387.

[10]- الناصري، **الاستقصا**، ج 4، ص. 102.

[11]- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص، 387./ تاوشيخت، «**القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت**»، ص. 127/ الزكي، **الشجرة الشماء**، م خ ح، رقم 10904، ورقة 46.

[12]- **التاكورة**: هي وحدة لقياس مساحة الأراضي التي تستوفي زراعة قنطار من الحبوب وتقاس بالأوتاد والوتد بدوره يطلق على كل شجرة من النخيل أو الزيتون. وتضم التاكورة، 73 وتد وهناك من الشجر ما يقاس بوتدين أو أكثر حسب جودة الشجرة، وهذا ما يطرح إشكال في تحديد حجم التاكورة الذي يختلف بين الأرض الجرداء والأرض التي تضم أشجار متمرة.

[13]- مجهول، **لائحة الشرفاء العلويين السجلماسيين**، م خ ح رقم 12543، ورقة 16.

[14]- رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى أحد خدامه مؤرخة بسنة 1268هـ/ 1852م، يأمره بشراء أملاك ابن عمه عبد الله بن سليمان بالمعاركة. انظر نص الرسالة في الملحق الوثائقي رقم 3، ص. 552.

أنه أسكن عددا من أبنائه بهذه المنطقة، وما يبين توجهه لشراء أراضي مهمة بها، ما يقدمه لنا كناش بالخزانة الحسنية من جرد لأملاك هذا السلطان. وَمِنْ عَدَدِ أوراقه البالغة 62 ورقة، وما يضمه بين طياته من عشرات الرسوم يتضح لنا أهمية وكبر حجم الأراضي التي امتلكها السلطان مولاي عبد الرحمان بالرتب[15]. هذه الأراضي ظل يتوارثها حفدة السلاطين الذين كانوا يستغلونها وهو ما وثقه روني كايي في زيارته لقصر المعاركة حيث ذكر أن أحد الأمراء سمح له بالتجول في أراضيه الزراعية المنتشرة بالمنطقة، كما قدم له بعض من منتوجاتها المهمة مثل العنب والتين[16].

يمكننا كذلك أن نستشف الكثير عن واقع ملكية الأراضي الزراعية بالرتب والمشاكل التي كانت تطرحها، فضلا عن معرفة الوضعية الإنتاجية، وطبيعة المشاكل والعلاقات الاجتماعية التي كانت تعرفها المنطقة مثل قضايا الإرث وغيره، من خلال كتب النوازل والفقه، ومنها مخطوط مهم يضم عددا من الأجوبة الفقهية التي رَدَّ بها الفقيه الرتبي التهامي الشاكري على مجوعة من الأسئلة التي كانت ترد عليه من أهل المنطقة، وهي تتوزع إلى مجموعة من القضايا بعضها يرتبط بالعلاقات الأسرية وأخرى بقضايا الملكية والإرث والسقي وغيرها[17].

يسترعي انتباهنا أيضا في مسألة الأرض وملكيتها وطريقة تدبيرها بالرتب، صغر مساحة المجال المستغل فلاحيا، بمختلف قصور المجال كما سبق وأن ذكرنا، لانحصاره في مساحة ضيقة على امتدادا ضفتي واد زيز من الشمال إلى الجنوب، في المنحدر الذي انشأه هذا الأخير وسط الهضبة الممتدة بالمنطقة خلال العصور والأزمنة التاريخية السابقة، ويتراوح عرضه أحيانا بين بضعة أمتار وأقل من 5

---

[15]- **أملاك المعاركة في عصر السلطان عبد الرحمان بن هشام(1238هـ ـ 1276هـ/ 1822م ـ 1859م)، عن الفترة الممتدة ما بين(1264هـ ـ 1273هـ/ 1848م ـ 1857م)**" م خ ح، الكناشة رقم 23. أنظر نسخ من رسوم أملاك هذا السلطان في الملحق الوثائقي رقم 9، ص. (النموذج 1 و2) ،552، 553.

[16]- Caillié, **Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale**, P. 95

[17]- التهامي الشاكري، **أجوبة فقهية**، م خ ح، ضمن مجموع رقم، 2893.

كلم، لكن أغلبها يقل عن كيلومتر واحد[18]، هذا الوضع كان له بلا شك أثر في حدوث عدد من الصراعات التي شهدتها المنطقة، ليس بين القصور والقبائل المختلفة والمتعددة وسط الرتب وحسب؛ بل وحتى داخل الأسرة الواحدة، التي تصبح في وضعية صعبة عند كل محاولة لتقسيم الإرث من الأرض وحصص الماء، مما قد يحولها بسبب ذلك إلى ما يشبه الأراضي المجهرية. وإجمالا يمكن أن نميز في طبيعة ملكية الأراضي بالرتب بين أنواع مختلفة. فالمساحة الاجمالية للمجال موضوع الدراسة تصل إلى 2990كيلو متر مربع[19] منها حوالي 3253 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة والتي يمكن تقسيمها تبعا لطبيعة الملكية إلى أنواع يوضح الجدول التالي:

جدول رقم 23 : توزيع ملكية الأراضي الزراعية بالرتب[20].

الصنف	أراضي الملك	أراضي الحبوس	أراضي الجموع	المجموع
المساحة الاجمالية بالهكتار	2938	250	65	3253
النسبة %	90	8	2	100

بناء على ما أوردناه من معطيات في هذا الجدول، يظهر لنا جليا هيمنة أراضي الملك الخاص على باقي الأنواع الأخرى فيما يخص توزيع ملكية الأراضي الزراعية بالرتب، لكن نسب توزيع هذه المساحة بين الجماعتين المكونتين للرتب اليوم يظهر اختلافا واضحا بينهما كما هو وارد في الجدول التالي:

[18]- ميوسي، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار**، ص ص. 30، 31.

[19]- Agence urbaine d'Errachidia. **Etude …de Rteb**, p. 9.

[20]- وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت، فرع أوفوس سنة 1996.

جدول رقم 24: مقارنة بين مساحة الأراضي الزراعية في جماعتي الرتب وأوفوس[21].

الصنف	أراضي الملك	أراضي الحبوس	أراضي الجموع	المجموع
نصيب جماعة الرتب بالهكتار	1817	55	65	2017
النسبة %	94,1	2,7	3,2	100
نصيب جماعة أوفوس بالهكتار	1041	195	0	1236
النسبة %	82	16	4	100

الملاحظة المسجلة انطلاقا من هذا الجدول، تتعلق بتمركز معظم الأراضي الزراعية بجماعة الرتب، رغم أن مساحتها الاجمالية هي أقل من مساحة جارتها أوفوس في الشمال، وهذا يمكن تفسيره بضيق المجال الزراعي بهذه الأخيرة، نظرا للكتل الصخرية المتصلة على امتداد ضفتي واد زيز، في جريانه بالقسم الشمالي والأوسط لمجال الدراسة، عكس الرتب الأسفل الذي يمتاز بتباعد هذه الكتل وتقطعها واختفائها كلما اتجهنا جنوبا، مما سمح لوادي زيز ورواسبه من توفير مجال زراعي أوسع[22]. يضاف لذلك ملاحظة أخرى أساسية تتعلق بهيمنة الملكية الخاصة للأرض على باقي أنواع الملكيات الأخرى حيث تمثل ما يقارب 90% من مجموع المساحة الزراعية بالمجال، وهي وضعية قديمة تعكسها المعطيات الحالية التي تعززها وثائق الملكية والبيع وكذا تقسيم التركة بين أفراد العائلة لهذه الأراضي[23]، ويقدم الجدول التالي معطيات تقريبية عن عدد قطع الأراضي الخاصة "التاكورة" بقصور الرتب:

[21]- وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت، فرع أوفوس، سنة 1996.

[22]- ميوسي، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار**، ص. 30.

[23]- أنظر نماذج لوثائق الملكية وبيع الأراضي بالرتب في الملحق الوثائقي رقم 10 (النموذج 1 و2)، ص ص. 554، 556.

جدول رقم 25: توزيع عدد قطع التاكورة بقصور منطقة الرتب/ أوفوس [24].

القصر	مساحة أراضي الملك بالتاكورة
زوالة	50
أولاد عيسى	210
أولاد شاكر	175
قصر الجديد	348
الكارة	145
زاوية أوفوس	-
أولاد عميرة	240
الزريقات	330
اربيت	137
الزاوية الجديدة	150
الزاوية القديمة	246
بلاغمة	250
الدويرة	400
البطاطحة	72
المجموع	2753

نجد إلى جانب هذه المساحات من الأراضي الزراعية؛ أن المنطقة تمتلك جماعاتها السلالية المختلفة مساحات مهمة وكبيرة كانت تستغل أساسا في الرعي، الذي كان أحد أبرز الأنشطة الاقتصادية التي عرف بها السكان هناك نظرا لطبيعة عيشها القائم على الترحال، وهو ما يتماشى مع اعتماد الرعي المتنقل كنشاط اقتصادي لهم، ولطالما كانت محط صراع دائم بين قصور المنطقة حول حدودها، وملكيتها، ويبين الجدول التالي تسمية وتوزيع مساحات الأراضي الجماعية في منطقة الرتب/ أوفوس والتي ترجع ملكية هذه القصور والمجموعات القبلية لها إلى فترات تاريخية سابقة:

[24]- إحصاء ميداني قام به كل زقوري أحمد وصالحي هاشمي سنة 2000م في بحثهما وقدماه لي مشكورين.

جدول رقم 26: توزيع مساحة أراضي الجموع المستغلة في الرعي بالرتب/ أوفوس[25]:

تسمية الأرض	الجماعة السلالية المالكة لها	مساحتها بالهكتار
التبريدية وتنونت وتمدلالت	الجماعتين السلالتين لقصر جديد وأولاد شاكر	26550
أراضي تقرارت	الجرامنة وزاوية أملكيس	8150
أراضي امراير	زاوية أوفوس	28550
أراضي أزرار	زاوية أوفوس وربيت	33200
أراضي فم زرزف	الدويرة	31100
أراضي حفرة حمادي	الزاوية الجديدة	20850

يبدو من معطيات هذا الجدول أن الجماعات السلالية للرتب/ أوفوس تمتلك أراضي جماعية شاسعة، لكن بالمعاينة ومن خلال بعض المعلومات التي استقيناها من الجهات المختصة بتدبير الملك الجماعي بالمنطقة، نسجل أن الساكنة لا تستفيد كثير من هذه الأراضي، نتيجة نقص الموارد المائية أولا، ثم بسبب عدم التفاهم والصراعات التي كانت تحدث بين الجماعات حول الحدود بينها، وكذا بين أفراد الجماعة الواحدة حول كيفية الاستغلال ومن يحق له ذلك، وهذا ما منع استغلالها بالشكل الأمثل[26].

ولعل المميز في منطقة الرتب هو ما كان لشيوخ المنطقة من دور في غرس الكثير من القيم الدينية بين الساكنة مما جعلنا نجد كثير من هؤلاء ورغبة منهم في الأجر والثواب؛ يعملون على تحبيس جزء من أملاكهم ووقفها على المساجد ولخدمة الناس وعابري السبيل، ويكفي أن نذكر نموذج زاوية أوفوس التي اشرى أرضها مولاي هاشم بن عمر منذ القرن 17م، وحبس أرضها لخدمة الحجيج وأبن السبيل[27]، ورغم التغيرات التي عرفتها ملكية أراضي هذه الزاوية منذ القرن 19م بعد انتقال حفدة هذا الشيخ لاستقرار بهذه الزاوية غداة وصول العطاويين إلى مناطقهم ومن

---

[25]- **وثائق قيادة أوفوس**، توزيع مساحة الأراضي الجماعية بقيادة أوفوس سنة 2000.

[26]- الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 148.

[27]- هاشم بن أحمد بن محمد، **القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**، م خ ح، رقم 12495، ورقة86.

ثم انتقالهم بعيدا عن مناطق استقرارهم الأولى بالرتب بقصر أولاد عميرة، إلا أن الزاوية ما زالت تمتلك أراضي محبسة عليها[28]، ويبقى الجزء الأكبر من الأرض في ملكية الجماعة، بحيث يعاد تقسيمه كل أربع سنوات وفق ضوابط معينة. لكن الأمر لا يقتصر على زاوية أوفوس بل نجد أيضا أراضي أخرى مهمة وواسعة محبسة على الزاوية الجديدة بالرتب الأسفل، وكذا عدد من مساجد المنطقة وتبلغ مساحتها حوالي 108 هكتار 49 آر 81 سنتيار[29] :

جدول رقم 27: توزيع عدد قطع التكورات المحبسة بالرتب/ أوفوس[30].

أراضي الأحباس	مساحتها بالتاكورة	النسبة المائوية
أراضي الأحباس التابعة للوزارة	337	76.94
أراضي المساجد	8	1.83
أراضي الزوايا	92	21
أراضي مكة	1	0.23
المجموع	438	100

يتبين لنا من الجداول السابقة والمتعلقة بملكية الأراضي بمجال الرتب مدى تنوعها، لكن تنوع التركيبة الاجتماعية لمختلف القصور الرتبية، جعل قضية ملكية الأراضي بالمنطقة مصدر صراع دائم، تزايدت حدته وتجلياته بعد نهاية الحقبة الاستعمارية، ذلك أن استمرار النزعة القبلية وروح الاقصاء لدى بعض المكونات الاجتماعية؛ أوصل النزاع في عدد من المرات إلى المحاكم، وهذا ما جعل الأراضي الجماعية بالمغرب عموما تثير الكثير من المشاكل، ودفع البعض لاعتبرها إحدى بقايا "السيبة" وانقسام البلاد[31]. وما الخلافات حول ملكية الأرض بمنطقة الرتب إلا نموذج لها. ذلك أن قضية ملكية الأرض لاسيما الجماعية طرحت أكثر من مشكل بين السكان.

---

[28]- الأوفوسي، **الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ص. 20.

[29]- وثائق نظارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرشيدية، قسم الأملاك الحبسية، د ت.

[30]- نفسه.

[31]- نجيب بودربالة، **القانون بين القبيلة والأمة والدولة جدلية التشريع: العرف، الشريعة والقانون**، ترجمة محمد زرنين، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2015م، ص. 254.

وبالنظر إلى خلفيات الصراع وتحليل عوامل الاختلاف، يتضح جليا أن المشكل في عمقه ذو جذور تاريخية تعود إلى قرون خلت، وأعراف توارثت وتجدرت في عقلية كثير من أبناء المنطقة، ومصالح تناقضت وتباينت.

فقد شهد وضعية ملكية الأرض بالرتب تغيرات جذرية خلال القرن 19م، منذ وصول العطاويين إلى هناك، لأن تحالفهم أو توقفهم عن المواجهة مع بعض القصور؛ كان رهينا بما يمنحه هؤلاء لهم من أراضي وممتلكات، أو بما يحصلون عليه أحيانا بالقوة بعد كل مواجهات مع غيرهم، فيسيطرون بذلك على أراضي ومساكن مختلفة[32]، فالعطاويون حسب روس دان كما قال وإن بنوع من التحامل، لم ينظروا قط إلى الفلاحين من عرب وأمازيغ من بين القبائل الأخرى، وبيض وسود على أنهم متساوون معهم اجتماعيا أو سياسيا، فهم يحتقرون الجميع نظرا لبسالتهم الحربية وروحهم الجماعية القبلية، وحدة إحساسهم بالتفوق الاجتماعي على الحضر العرب والحراطين، ولا يترددون في استعمال القوة بطريقة أو أخرى عندما يريدون اشتراكا كبيرا في موارد العيش أكثر مما كان يحصلون عليه عادة عن طريق المبادلة[33].

وتذكر لنا المصادر وبعض الدراسات المختلفة أن العطاويين كانوا يضعون مسألة الأرض في مقدمة أهدافهم، وتحتل ملكيتها عندهم درجة تصل إلى حد التقديس، إذ كان لهم تنظيم خاص في توزيع هذه الأراضي إلى جانب استغلالهم لحقوق الماء، كما كانت بعض القصور أو القبائل تلجأ إليهم للحصول على حمايتهم لمنتوجاتها أو محصولها مقابل حصة معينة من المنتوج الزراعي أو من خلال منحهم أراضي جماعية[34].

---

[32]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 87.

[33]- نفسه، ص. 90.

[34]- Niclausse. **Les Ait Atta du Sahara**, p. 9, 10.

وكان آيت عطا يقسمون أراضيهم فيما بينهم بالتساوي اعتمادا على القرعة "إيلان" فبعد تقسيم الحصص إلى خمسة يأخذ الخمس الأول المكون من آيت أونير وأيت ولال حصة كاملة، ثم توزع 5/4 الباقية إلى خمس حصص يأخذ منها ايت اسفول وايت علوان الخمس، وتحول 5/4 الباقية إلى خمس حصص جديدة، يأخذ منها آيت اونبكي الخمسين، وتمنح 5/3 الباقية آيت وحليم وأيت إعزى على شكل 3 و2 لكل منهم، وهكذا تعطي العملية الحسابية ما مجموعه 625 حصة كانت توزع كما يلي: 125 لأيت أونير وآيت ولال 100 لآيت إيسفول 160 لأيت أونبكي 144 لأيت وحليم 96 لآيت إعزى، وتتم في الوقت نفسه أو لاحقا عملية توزيع كل حصة على العشائر المكونة لكل خمس، ثم على العائلات داخل كل عشيرة، وهناك ثلاث أنواع أخرى للملكية: الأول مشاع لا يقبل البيع ولا القسمة ويسمى "أَكْدَالْ نْتَقْبِيلْتْ" ويستغل خاصة كمراعي جماعية، الثاني يسمى "حرمال" وهو عبارة عن ملكية خاصة بالفرد أو العائلة ولكنها نادرة، وتأتي عن طريق الوراثة أو الشراء من قبائل أخرى تتمتع بحق الملكية الخاصة، أما النوع الثالث يدعى" تكورت" وهو عبارة عن حصة من الأرض الصالحة للزراعة ذات مساحة متشابهة (حوالي1آر) وتستفيد كل تكورت من حقها من مياه السقي التي يتم توزيعها بنظام بين المالكين ليلا نهارا وحسب أيام الأسبوع[35].

هذه الأخيرة أو ما يصطلح عليه "تاكورت: (جمعه تيكورا) تستعمل بالعديد من المناطق الأمازيغية بالمغرب منذ القدم(...)معيار لتقسيم المياه والأراضي الزراعية والرعوية بين العائلات الأصلية لقصورهم، ويقتضي هذا النظام توزيع مياه الخطارات وكذا الأراضي على العائلات الأصلية التي شاركت في الحصول عليها، مع الأخذ بعين الاعتبار مساحة الأرض وطبيعة التربة ونقط الماء، لهذا نجدهم يوزعون الأراضي الزراعية التابعة لقصورهم إلى ثلاثة مناطق، تمتد كلها على شكل عمودي على طول المجرى المائي: منطقة أعلى وأخرى في الوسط، وثالثة سافلة، بمعنى أن كل عائلة أصلية حصلت في البداية على ثلاثة مزارع أو أشرطة زراعية، واحدة في كل جزء من الأجزاء

[35]- تاوشيخت، «**القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش**»، ص. 42.

الثلاثة، حيث يمتد كل شريط أو ما يساوي عندهم ب "تَاشْرْوِيطْ" من ضفة الواد إلى خارج الواحة ويحده من اليمين واليسار أشرطة " تِيكُورَا " أو العائلات الأخرى"[36]، هذا العرف في تقسيم الأرض نجد أثره بالرتب، حيث أن المالك لأرض إذا أراد توسيع مساحة أرضه أو استغلال مجال إضافي كان يعمد إلى التوجه نحو الأراضي الغير المستصلحة باتجاه سفح الهضبة المشرف على الوادي الذي يقابل مباشرة أرضه فيستغله حسب قدرته.

ومن الواضح أن مسألة الأرض احتلت مكانة مهمة عند العطاويين ولهذا عملوا على حماية الأراضي التي سيطروا عليها، ومنع انتقال ملكية خارج أبناء القبيلة الذكور، ولهذا تضمنت تشريعاتهم العرفية بنودا تغلق الطرق التي من شأنها أن تخول لغير المنتمين للقبيلة الحصول على أراضيهم، كما تحرم وتجرم كل من حاول ذلك، لا عن طريق التبني فحسب، بل إن زواج العطاوية من شخص خارج القبيلة يمنعها من الإرث وامتلاك الأرض، إذ تنال نصيبها نقدا[37].

حِرْصُ العطاويين على امتلاك الأرض وصيانة هذه الملكية من كل دخيل عنهم؛ حتى ولو كان ممن سبقهم في الاستقرار بقصور الرتب، سيتواصل أيضا خلال المرحلة الاستعمارية وبعدها. بل لم يدخروا جهدا في الترافع هذه المرة عنها في مختلف محاكم المنطقة والمغرب، من أجل منع غيرهم من مشاركتهم حق الاستفادة أو استغلال الأراضي التابعة للجْمَاعَةْ وكمثال على ذلك نذكر:

ما حدث بأحد قصور أولاد شاكر حيث اجتمع حراطين قصر آيت إغف سنة 1963وقرروا رفض الخماسة التي كانوا يقومون بها منذ زمن طويل، وكرستها الأعراف التي جلبها العطاويون معهم، لكن بتجريد هؤلاء من قوتهم وأسلحته خلال فترة الاستعمار وبعد رحيل هذا الأخير، وتغير موازين القوى بعد تحسن الأوضاع المادية لكثير من الحراطين، مكن هؤلاء من المطالبة بحقهم

---

[36]- امحمد مهدان، «المصطلحات الخاصة بتوزيع الماء عند قبائل آيت عطا بالجنوب المغربي»، ضمن كتاب "**المصطلحات الجغرافية الأمازيغية**"، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011، ص ص. 136، 137.

[37]- استيتيتو، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا**، ص. 196.

في عضوية الجماعة، وبعد صراع مرير بلغ أوجه في المحاكم التي رفعت أمامها هذه القضايا، حيث احتج عطاويوا قصر ايت اغف بأن لا شرعية لتمثيلية الحراطين في الجماعة الخاصة بقصرهم، مستندين في ذلك على الادعاء؛ بكون الفرد الذي لا يملك أرضا، لا يمكن أن يحرسها [38]. وبالتالي ربطوا بين امتلاك الأرض، والحق في التمثيلية داخل الجماعة، وهو ما لم يكن متاحا للحراطين الذين لم يكن لهم أملاك كافية خلال تلك المرحلة.

أما بقصر ربيت، فالجماعة أثناء توزيع الأراضي الجماعية، أقصت جماعة من الحراطين من حق الاستفادة، رغم أن عدد منهم امتلك أراضي زراعية خاصة، واستقر قديما جدا بهذا القصر، وأحتج أعضاء جماعة ربيت وهم من العطاويين بكون امتلاك الأرض عبر الاقتناء لا يمنح مشروعية المطالبة بحق الاستفادة من الأراضي غير المزروعة (الحدب). لأن الحراطين في اعتقاد الجماعة، اشتروا أراضي زراعية وليس غيرها، وبالتالي فالحق يرجع إلى البائع الذي ينتمي لأيت عطا مما يفرض على الحراطين اقتناء الأرض لتسدحاجاتهم، وبالتالي فلا حق لهم في الأرض التي يطالبون بالمشاركة في قسمتها[39].

نخلص من كل ما تقدم أن ملكية الأرض بمجال الرتب متنوعة ومتباينة المساحة، بين مختلف قصور المنطقة وجماعتها، إلى جانب تعرضها إلى تطورات متلاحقة غيرت من تسمية مالكها، وكذا طريقة توزيعها وانتظامها، مما جعل الأرض وما يرتبط بها من أكبر المشاكل وأكثرها تعقيدا، وهو ما تسبب أحيانا في اضطرابات بين السكان وحال دون استغلال أجزاء من هذه الأراضي بما قد يعود بالنفع على المنطقة وأهلها.

[38]- كبيري، **التحولات السكنية بزيز الأوسط**، ص. 134.

[39]- نفسه، ص. 140.

1 ـ 2 – قضايا الماء بالرتب وأثره على أوضاع السكان.

بحكم موقع منطقة الرتب في الجنوب الشرقي للمغرب ذو الطبيعة الصحراوية، فقد كان للموارد المائية تأثير كبير في حياة السكان وفي استقرارهم وحروبهم، في ابتهاجهم وحزنهم، في تكاثفهم وخصومتهم. لدرجة جعلت من الماء ملكية مستقلة، وأساسا لتوترات اجتماعية عنيفة أحيانا[40]، نظرا لمحدودية الموارد المائية بالمنطقة فضلا عن وجود أطماع دائمة للتحكم في هذا المورد الحيوي والهام، وهو ما أكده الفرنسي كلاريوند Clariond من خلال الدراسة الميدانية التي أنجزها حول تافيلالت عموما في الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث أبرز أن الماء بالمنطقة «**كان سيفا ذا حدين، فمن جهة فهو منبع للخير، ومن جهة أخرى فهو مصدر للشر، لأن نذرته كانت تجعل المناطق التي يتوفر فيها مستهدفة من قبل القبائل التي تتواجد بها مياه شحيحة**»[41]، وهو ما قد يمثل إحدى العوامل التي تفسر الزحف المتوالي الذي تعرضت له منطقة تافيلالت عموما، والرتب على وجه الخصوص، من طرف قبائل مختلفة.

هذا الوضع الذي ذكرنا جعلنا نربط بين أماكن وجود المياه ومصادرها، وبعض التحولات والتحركات التي شهدها المجال خلال مراحل تاريخية مختلفة[42]، وهو ما فسر لنا ضعف إعمار معظم المجالات التي كان يضمها إقليم سجلماسة، خاصة تلك البعيدة عن هذه الموارد المائية، قبل أن تنهار المدينة وتدب الخلافات الطاحنة بين المكونات العربية التي كانت تسيطر عليها مع نهاية العصر الوسيط، وتبرز أيضا فكرة قبائل أولاد حسين العربية المعقلية في تعمير منطقة عرب الصباح وتيزيمي الواقعة بين الرتب وتافيلالت الصغرى، لاستفادة من مياه واد زيز قبل أن تصل إلى إخوتهم الأعداء عرب العمارنة والمنبات بسجلماسة[43]، كل هذا يجعلنا نذهب إلى أن توجه هذه القبائل

---

[40]- Mezzine, **Le Tafilalet**, Pp. 266, 267.

[41]- Louis Clariond, «**le problème de l'eau ou Tisimmiet ou Tafilalet**», B. E .M, N°17,1937, Pp. 237, 240.

[42]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 20.

[43]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 310، 311.

الأخيرة لتعمير مناطق الرتب شمال مدينة سجلماسة وتيزيمي، جاء بفكرة الصعود أكثر صوب المناطق التي يمر منها واد زيز شمالا، قبل أن تقل مياهه ويضعف صبيبه، فكان أن عَمَّرَ عرب المنبات والعمارنة مجال الرتب، ليتحكموا ويستفيدوا بدورهم من مياه زيز قبل وصولها إلى عرب أولاد حسين بتيزيمي[44]، ولا ربما أيضا أن الاحساس بالمخاطر نتيجة التوسع الذي قامت به هذه القبائل الأخيرة والاقتراب من حدود الرتب جعل بعض السكان المستوطنين قديما بالمجال يستشعرون الخطر ويبحثون عن من يحميهم، فكان من الطبيعي أن يبحثوا أولا عن أعداء من يهددهم قصد التحالف معهم أو الاستعانة بهم، من أجل حصار قبائل أولاد حسين، وهذا ما قد يفسر لنا السطوة التي كانت لقبائل المنبات والعمارنة على مجالات الرتب[45]، لكن الصراع حول الماء والأرض والمرعى سيحتدم أكثر مع صول القبائل العطاوية إلى سهول مناطق الجنوب الشرقي.

إذ يشير روس إ دان إلى كون تافيلالت شكلت مجلبة لهذه الأخيرة نظرا لتوفرها على احتياطات مائية هائلة، ناهيك عن كونها تتوفر على أكبر الأنهار الصحراوية مثل زيز وغريس[46]، مما جعل الماء ونذرته بالمجال، يعتبر أحد العوامل الحاسمة التي دفعت ايت عطا للتوسع والانتشار بحثا عنه وتأمينا لحاجياتها منه، خاصة في فصل الصيف الذي تبلغ فيه درجة الحرارة أقصاها[47]، كما اضطر العطاويون في محاولتهم للتأقلم مع شح المياه ونذرتها، إلى وضع وتكيف أعراف ملائمة منعا للخلافات بينهم وسدا للمشاحنات القبلية، خصوصا وأن قضية الماء قضية يومية تتصف بطابع الديمومة، لذا فآيت عطا استشعروا خطورة المشاكل الناجمة عنها ما دامت غير ظرفية، ولهذا جعلوا الجزاءات صارمة والغرامات مرتفعة في حق كل من خرق القوانين الخاصة بالسقي[48].

---

[44]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 310، 311.

[45]- الوزان، **إفريقيا**، ج1، ص. 45.

[46]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص ص. 31، 32.

[47]- سبيلمان، **ايت عطا الصحراء**، ص. 20.

[48]- نفسه، ص. 93.

- M, Nahlil. **Azerf du Ksar de Taouz**, dons les archives Berbers Alkalam Rabat 1984, p. 187.

ونظرا لأهمية هاته المادة، باعتبارها أساسا للحياة، فهي كانت على الدوام مصدر مشاكل بالنسبة للسكان[49]، وكانت منبعا للخلافات بين القبائل حتى بعد استقرارها خصوصا بين أهل العالية والسافلة[50]، وبما أن مجال الرتب كان يقع في زيز الأوسط، فإن منطقة زيز الأسفل كانت تعاني من حين للأخر ندرة المياه الواصلة إليها عبر واد زيز، بسبب ما كان يقدم عليه أهل زيز الأوسط وفي مقدمتهم سكان منطقة الرتب من إقامة للسدود التقليدية في الفترات الجافة (لاسيما في فصل الصيف)، أو ما يعرف محليا ب"أكوك"، وهي سدود يتم إنشاؤها اعتمادا على الحجارة والأعشاب، لنقل مياهها عبر سواقي خاصة بكل قصر أو مجموعة قصور نحو الأراضي الزراعية الخاصة بهذه الأخيرة، ويصل طول بعضها إلى عدة كيلومترات مثل ساقية ايت شاكر الممتدة على مسافة 16 كيلومتر، ومنها تتفرع قنوات صغيرة تعرف محليا ب "المصاريف" لسقي الحقول والبساتين بنوع من النظام. ومن واجب القصور المستفيدة حمايتها وصيانتها تَعَهُّدُهَا بالكنس، كلما تطلب الأمر ذلك، خصوصا في فترة ما بعد الفيضانات[51].

هذه السدود التي كان يقيمها سكان الرتب، ساهمت في الحد من منسوب المياه التي تصل إلى مناطق عرب الصباح وتيزيمي وتافيلالت، خصوصا في الفترات الجافة بل تضررت منها أحيانا حتى قصور الرتب الأسفل مثل البطاطحة[52]. مما قد يعزز الربط بين الضرر الذي لحق مدينة سجلماسة نفسها، وبين تعمير الرتب وتزايد استغلال ساكنته للمياه المحدودة المنهمرة من عين مسكي والتي تصب في واد زيز خصوصا في بعض الفترات[53].

---

[49]- Meunié, **Le Maroc Saharien**, T1, p. 336.

[50]- محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، (من ق6 إلى 9هـ/ 12 ـ 15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، مطبعة المعارف الحديدة، الرباط، 1999م، ص ص. 360، 361.

[51]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 87.

[52]- ابن المصطفى، **فتح القدوس**، ص. 48.

[53]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 90.

تأتي العين المسماة طوطو أجلف والتي تعني بلغة الأمازيغ "عين الذهب" أو العين الذهبية" أو ما يعرف اليوم بعين مسكي، في مقدمة الموارد المائية الرئيسية لقصور الرتب بشكل خاص طيلة السنة ، لكن مياهها تبقى غير كافية، لاسيما في فصل الصيف، ولطالما ورد ذكرها وعَدُّ مزاها في عدد من المصادر والكتابات التاريخية، فاعتبرها البكري أحد موارد واد زيز المائية الرئيسية، ولمناطق سجلماسة[54]، وعد ابن أبي محلي قطع أهل الرتب صبيب مياهها من الوصول إلى سافلة زيز أحد أسباب دمار مدينة سجلماسة بعد تغويرهم لمياهها[55].

وفي التقرير الذي كتبه المتيوي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله حول تافيلالت اعتبر فيه عين مسكي المسمات آنذاك طوط اكلف مصدرا مهما للمياه العذبة، وتحدث عن وفرتها وقدرتها على تشغيل المطاحن ودورها في ري أشجار النخيل والفواكه[56].

تحدثت في نفس الأمر مختلف التقارير التي كتبها بعض الأجانب الذي استطلعوا أوضاع المنطقة قبل الفترة الاستعمارية، ومنهم بيرو Berriou الذي أشار إلى كون منطقة الرتب لا تسقيها فعليا مياه واد زيز بشكل دقيق، بل أيضا مياه عين مسكي الوفيرة المسماة "عين تيط كلف"، والتي تغذي قصور شمال الرتب أما قصور الجنوب فتسقيها عيون واد أوفوس ولهذا فقصور وادي أوفوس أقل ندرة في ما يخص المياه مقارنة مع قصور مدغرة رغم كونها في عالية الوادي[57].

من كل ذلك نستنتج أهمية هذه العين بالنسبة لقصور الرتب العليا، وكذا أهمية المياه ودورها في الاستقرار، الأمر الذي جعل امتلاك حق الانتفاع بالماء أو امتلاك مصادره كالعيون من صميم اهتمام السكان بالرتب منذ فترات سابقة، وتذكر لنا الروايات الشفهية أيضا أن شريف قصر

---

[54]- البكري، **المسالك والمماليك**، تحقيق جمال طلبة، 2003م. ج2، ص. 333

[55]- عبد المجيد القدوري، **ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته، الاصليت الخريت**، منشورات عكاظ، الرباط، 1991م، ص، 23. /عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 9.

[56]- Georges S. Colin, «**voyage de Fès au Tafilalt**», p. **7**.

[57]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127

الدويرة بالرتب مولاي هاشم بن الشريف، لم يرضيه شراء ابن عمه مولاي عمر بن هاشم القاطن بأولاد عميرة لبلاد أوفوس (أراضي زاوية أوفوس)، فذهب إلى عرب دخيسة وقدم نفسه لشراء الماء منهم، بزعم أن هذا الأخير إنما اشترى منهم الأرض بدون الماء، واستطاع إقناعهم بذلك، فاضطر مولاي عمر إلى شراء الماء من ابن عمه مقابل سرج ذهب[58].

وبالعودة إلى التهامي الشاكري نجده كذلك يتحدث عن عين مسكي، وسماها "طوط وكلف" وقال عنها عين عظيمة نبعت من جبل ليس ملكا لأحد، فصار ماؤها غير متملك لأحد من أهل زيز[59]، وما يبرز أهمية الماء في حياة أهل الرتب ودوره وتأثيره في العلاقات التي جمعت بين السكان، هو إقدام التهامي على كتابة مخطوط أسماه **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، ويذكر محقق الكتاب أن السبب في تأليفه، جاء جوابا من هذا الفقيه على سؤال ورد عليه من سكان قريتين إحداهما فوق الأخرى وللقريتين ساقية مرفوعة من واد جار بماء العيون وماء السيل، وكان يسقى من ماء تلك الساقية جميع أصول أهل القريتين، الأعلى ثم الأسفل فالأسفل، ولم يقع بينهما قسم في الماء ولا سمع بوقوعه[60]، ومن المرجح أن يكون الأمر متعلقا بقريتين في مجال الرتب، بحكم استقرار التهامي بقصر أولاد شاكر، فضلا عن كون القضايا المتناولة في المخطوط هي من صميم القضايا اليومية التي كانت تعيشها ساكنة المنطقة، بل إن أثرها وتجلياتها ما زالت قائمة إلى اليوم، ومن خلال ما تناوله في معرض إجابته عن السؤال يتضح لنا طبيعة المشاكل التي كان تطرحها مسألة استغلال المياه والحقوق المرتبطة به، ومن بين ما تناوله ما يوضحه الجدول التالي:

---

[58]- صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 76.

[59]- الشاكري، **الأدوية الرواقي**، م خ م و م م ر، رقم د278، ورقة 60.

[60]- التهامي الشاكري، **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، تحقيق، حافظي، ص. 16.

جدول رقم 28 : أجوبة التهامي الشاكري على بعض القضايا المتعلقة بماء واد زيز.

قضايا الماء المطروحة	أهم مواقف التهامي بشأنها
الماء المتملك والماء غير الممتلك،	. حدد كيفية امتلاك الماء إما بحفر بئر، أو خروج نبع عين، أو سيل مطر أو ماء واصل إلى ملكه من ماء سد أو ساقية[61].
ملكية الماء الجاري في بطون الأودية	. اعتبر أن ماء واد زيز وماء السواقي التي تستمد مياهها منه غير متملك لأحد، ولا تجوز القسمة فيه[62].
حكم واد زيز حكم مهزور ومذينيب (هما اسمين لواديين بالمدينة المنورة)	ونص الحكم يقضي بأن يسقي الأعلى فالأعلى " وعليه فلا يسقي أهل غرس إلا بما فضل عن أهل زيز ولا يسقي أهل مدغرة إلا بما فضل عن أهل الخنق، ولا يسقي أهل الرتب الأسفلون إلا بما فضل عن أهل الرتب الأعلون، ولا يسقي أهل سجلماسة إلا بما فضل عن أهل الرتب الأعلون، وهكذا الحكم فيما بين كل حومة وفيما بين بعضهم بعضا وبه جرى العمل[63].
بعض أقوال الفقهاء في الماء المباح.	ملخص أقوالهم الإجماع على حق ساكنة القصور العالية في الانتفاع من مياه الوادي الجارية، ولاحق لأهل السافلة بالمطالبة بالقسمة[64].
مجرد الانتفاع بالماء لا يوجب تملكه، ولو طالت مدة الحيازة.	وضح التهامي أن قصور السافلة ليس من حقها المطالبة بقسمة ماء الوادي الجاري مع أهل العالية، بحجة مشاركتهم في كنس الساقية أو إصلاح السد ولو طالت المدة[65].
ماء واد زيز غير متملك.	أعتبر فيه أن واد زيز غير متملك، وأن السواقي المحمولة منه، ماؤها مرفوع منه فحكمها حكمه وأنه لا يكون متملك لاحد أو لقرية، وعليه اعتبر أن لاحق لأهل القرية السفلى في طلب قسمة الماء مع القرية العليا[66].

[61]- التهامي الشاكري، **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، تحقيق، حافظي، ص ص. 51، 52.

[62]- نفسه، ص ص. 54، 55.

[63]- نفسه، ص ص. 58، 59.

[64]- نفسه، ص ص. 60، 64.

[65]- نفسه، ص ص. 68، 69.

[66]- نفسه، ص. 70.

يبدو جليا من خلال الجدول أن مشاكل الماء كانت معقدة ومتجددة، كما أنها كانت عنوانا لنوازل فقهية متعددة تصدى، للإفتاء بشأنها ثلة من العلماء والفقهاء، كان من بينهم التهامي الشاكري الذي تتلمذ على يد أحمد بن عبد العزيز الهلالي، صاحب عدد كبير من الفتوى المتعلقة بقضايا الماء خاصة مياه واد زيز[67].

وبما أن موضوع الماء والقضايا والصراعات أو التحالفات التي يكون هو أحد العوامل الرئيسية فيها، فإن بعض القضايا المرتبطة به يحتاج توضيحها والوقوف على جوانبها المتشعبة إلى أكثر من فصل أو حتى باب، ولهذا فإننا سنقتصر على بعض الأمثلة المرتبطة بالماء بمنطقة الرتب، وسنتطرق إلى نماذج من الخلافات التي كانت تحدث بين قصور الرتب الأعلى، مما حدى بهم إلى الاتفاق بينهم على تحديد عدد أيام الاستفادة من السقي المسموح به لكل قصر، في محاولة لرأب الصدع بينهم.

توضح لنا بعض الوثائق الرسمية أو الاتفاقيات المبرمة بين بعض قصور الرتب، مركزية الماء وأثره في تحديد طبيعة العلاقات التي ربطت بين هذه الأخيرة، بل إننا نجد غالبا بين كل قصرين متجاورين صراعات وخلافات تتكرر من حين لآخر حول الماء، وهذا ما تعكسه بعض الاتفاقيات التي حاول الساهرون عليها إيجاد حلول للخلافات البينية، وسنقتصر على نموذجين أحدهما من الرتب الأعلى والآخر بالرتب الأوسط، وفي هذا الصدد سنتحدث عن الاتفاق الذي وقع بين قصري الكارة وتاخيامت حول تقسيم المياه والضوابط التي حددت من أجل التزام الطرفين بها وكذا العقوبات المترتبة عن الخروقات المحتمل وقوعها. ومن أهم ما جاء في الاتفاقية:

«اقتضى نظرهم ورأيهم (أعيان القصر) في الحسم بين أهل الجارة وتخيمت المتنازعون في الساقية المشتركة بينهم، وأنه لا تبقى بلا شيخ فيحكم عليها شيخ تخيمت ثلاثة أشهر، ومن الجارة يحكمها شيخ منهم ثلاثة أشهر، وحد الحكم حدود غابة أولاد عميرة وتخيمت

[67]- التهامي الشاكري، **الأدوية الرواقي**، ص ص. 71، 72.

إلى السد، ومن ترك بها أمقان يلزمه مثقالا، ومن ربطها بالتراب اليابس يلزمه ريالا وكل قبيلة، ويشتركون جميعا في أمر السد، والشيخ هو الذي يحكم في حفر الساقية والحفر للطين الجاري المجلوب، وحيث يُعْلِمُ الشيخ الخدمة فكل من تخلف يعطي مثقالا ويتداركوا خدمته التي فتته، وإن تضاربا اثنان في الساقية فيعطي كل من هما مثقالا، ومن قال مني للحق فيعطي ريالا، وأما السد فيشتركون في خدمته أولا بهم حتى يتخبط بالحجارة ويقسمونه أنصافا لخدمة الساقية، وأما الماء فهو انصافا لأهل تخيمت خمسة أيام سواء خاوية أو عامرة، ولأهل الجارة خمسة أيام، أواخر المحرم 1344هـ/ يوليوز1925م»[68].

أما النموذج الثاني من الاتفاقيات بين قصور الرتب، فيتعلق بتقسيم مياه الساقية الصالحية الواقعة بالرتب الأعلى[69]، وتهم أساسا قصر ازوالة وبعض القصور المجاورة له مثل زاوية أملكيس ويرجع تاريخه إلى 03 يونيو1947م، ومما جاء فيه:

بعد الحمد لله «**إعلان بالحكم بقصر آيت يحيى ازوالة" وقع الحكم بعد موافقة قبيلة جماعة ايت عطة بقبيلة الرتب المعينون للمعرفة والبصر. إن ماء الساقية الصالحية مقسوم على تسعة أيام من فيهم المذكورة لأهل بوسعيد وأهل الكنز، يومين بلياليهما. ومنه لأهل زاوية أملكيس خمسة أيام بلياليهم، ونهار بغير ليل ومنه لأهل آيت يحي ازوالة يوم واحد بليله وليلة بغير نهار، وشيخ الساقية المذكورة، يكون مرجعه ازوالة بعد موافقة أهل زاوية أملكيس وأهل آيت يحي (ازوالة) على تمييزه وتعيينه وهو الضامن بجميع شون الساقية المذكورة. حرر بتاريخ 3 جوان سنة 1947م** »[70].

---

[68]– أحمد الحمداوي، **منطقة الرتب في تاريخ تافيلالت الحديث**، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، الموسم الجامعي، 1991م ـ 1992م، ص. 57. وثيقة الاتفاق بين بعض قصري الكارة وتخيامت حول توزيع مياه الساقية المشتركة بينهما سنة 1925م. **أنظر نص الاتفاقية في الملحق الوثائقي رقم 11**، ص. 557.

[69] –Ilahiane, **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, Pp. 203, 204.

[70]– وثيقة الاتفاق بين بعض قصور الرتب الأعلى حول توزيع مياه الساقية الصالحية سنة 1947م، **أنظر نسخة من الوثيقة في الملحق الوثائقي رقم 12**، ص. **558**.

نسجل انطلاقا من هاتين الوثيقتين عمق الخلافات التي كانت بين القصور الرتبية، وما كان ينتج عن ذلك من خصومات وأحيانا صراعات دامية تطلبت البحث عن حلول لها، والملاحظة الثانية أن كلا الاتفاقيتين قد وقعتا بين ممثلي تلك القصور في أشهر فصل الصيف، مما يعكس أثر تناقص منسوب المياه في تأجيج الصراعات وفي عدم التزام بعض أفراد كل قصر بالمدد المحددة لهم للسقي أحيانا.

الخاصية المميزة لقصور الرتب هي أن النشاط الزراعي بها سقوي بالأساس والماء متوفر طيلة السنة تقريبا وهو ما جعل سكانها لا يطورون كثيرا من أساليبهم في السقي حيث ظلوا محافظين على أساليب تقليدية توارثوها عبر الزمن، لكن مشكل الماء كان يطرح في بعض الفترات التي توالت فيها سنوات الجفاف، لاسيما وأن تساقطات المنطقة تتسم بعدم الانتظام فضلا عن قلتها، وهذا ما حدا بمختلف القصور الرتبية إلى إقامة سواقي إما خاصة بكل قصر أو مشتركة أحيانا بين أكثر من قصر، ويوضح الجدول التالي أسماء أهم السواقي بالرتب والقصور المستفيدة منها.

الجدول رقم 29: أهم السواقي والسدود التقليدية، وتوزيع أيام السقي بين القصور بمجال الرتب[71].

اسم الساقية	موقع السد التحويلي	القصور المستفيدة	المساحة المسقية بالتاكورة	المجموعات السلالية	دورة الماء
الصالحية	الكنز	زاوية أملكيس زويوية	147	ايت خباش	5أيام / 7 2أيام / 7
اليحياوية	زاوية أملكيس	زويوية	40	ايت خباش	7أيام / 7
الجرمونية	بوسعيد	زاوية أملكيس الجرامنة	147	ايت خباش	4أيام / 7 3أيام / 7
الشاكرية	زاوية أملكيس	أولاد شاكر الجرامنة	196	ايت خباش+ الشرفاء	6أيام/ 8 2 أيام/ 8

[71]- ميوسي، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار**، ص. 298، بتصرف.

العيساوية	زويوية	أولاد عيسى	196	ايت يحي اموسى	7أيام / 7
الغرياتية	أولاد شاكر	قصر جديد اولاد شاكر	236	ايت اخلف+ الشرفاء	5أيام / 7 2أيام / 7
التاخيامية	قصر جديد	الكارة تاخيامت	196	ايت اخلف+ الشرفاء+ايت خباش	4أيام/ 8 4 أيام/ 8
العميرية	قصر جديد	أولاد عميرة	196	ايت اخلف	7أيام / 7
الزريكية القديمة	تاخيامت	الزريكات	196	ايت خباش	7أيام / 7
الزريكية الجديدة	تاخيامت	الزريكات تامعاركيت	196	ايت خباش+ الحواطيش	5أيام / 7 2أيام / 7
الربيتية	تاخيامت	ربيت	140	ايت اخلف	7أيام / 7
البلاغمية	ربيت	بلاغمة الزاوية القديمة	206	الحواطيش+ الشرفاء	6أيام / 9 3أيام / 9
المعاركية	الزريكات	المعاركة تمعاركيت	196	الحواطيش + ايت اسفول	4أيام / 7 3أيام / 7
المازوزية	البلاغمة	الزاوية القديمة البطاطحة	184	الحواطيش+ الشرفاء	13أيام/15 2أيام / 15
البطاحية	البطاطحة	لبطاطحة الزاوية القديمة الدويرة	78	الحواطيش+ الشرفاء	3أيام / 13 2أيام / 13 8أيام / 13
الزاوية الجديدة	الزاوية الجديدة	الزاوية الجديدة	176	الحواطيش	7أيام / 7
الدويرية	الدويرة	الدويرة	400	الشرفاء	7أيام / 7
زاوية أوفوس ليسرية	زاوية أوفوس ليسرية	زاوية أوفوس ليسرية	49	ايت اسفول+ الشرفاء	7أيام / 7
زاوية أوفوس ليمنية	زاوية أوفوس ليمنية	زاوية أوفوس ليمنية			7أيام / 7

يبين هذا الجدول أن كل قصور الرتب تربطها بالضرورة علاقات فيما بينها، بحكم ما يفرضه استغلال الماء المشترك عبر السواقي التي تم إحداثها وبعضها يرجع إلى قرون خلت[72]، وبقدر ما كانت مصدرا أحيانا لمشاحنات ومواجهة حادة وثقت لها بعض المصادر خصوصا في الفترة الاستعمارية، كما وثقت لها كذا ملفات المحاكم التي كانت مسرحا لمرافعات مستمرة لم تستطع وضع حد لهذه المشاكل، مما قاد بعض الأطراف أحيانا إلى محاكمات انتهت بهم في السجن، بسبب الصراع حول توزيع مياه السواقي بل وأحيانا أدى إلى تدخل القوات المخزنية، لمنع تطور الأوضاع كما حدث بين قصور الزريكات وتخيامت[73]. فإنها كانت في الوقت نفسه تفرض عليها ضرورة التعاون من أجل كنس هذه السواقي، وتحديد وجبات كل طرف في هذه العملية وهي التي تعرف بالتويزة[74]، حيث كان دور الجْمَاعَة حاضرا في هذه العملية، فنجدها مثلا تسهر على تحديد مشاركة السكان في أعمال السخرة ذات المنفعة العامة، كتهيئة سواقي محلية مثل ساقية "غياتة" كما أبرمت الجماعات المعنية اتفاقا لاستغلال ماء الساقية "الدويرية" وبينت كيفية توزيع واستغلال مائها، وأودعوا هذا العقد لدى المحكمة العرفية،[75] كما كان للجْمَاعَةْ أيضا دور مركزي في الفصل

---

[72]- أنظر مثلا تسمية الساقية القديمة والجديدة بقصر الزريقات في الوثيقة المؤرخة بسنة 1696م وثيقة وصية أحد سكان الزريقات بخصوص ممتلكاته، **الملحق الوثائقي رقم 10** النموذج رقم 1، ص ص. 554، 555.).

[73]- **رواية السهلاوي**، من أهل الزريكات.

[74]- **التويزة**، في الأصل كلمة أمازيغية تعني: حمل أو ساعد على حمل شيء ثقيل، وهي تطلق على العمل التطوعي بين السكان، على إثره يقوم مجموعة من الأفراد بمساعدة الضعفاء داخل القبيلة أو الدوار والذين لا يستطيعون القيام بشؤونهم وتوفير احتياجاتهم، وبه أصبحت التويزة عمل تضامني بين السكان لمساعدة بعضهم البعض، وتكون أيضا من أجل خدمة المصلحة العامة المشتركة للسكان، والقيام ببعض العمال التي تتطلب التعاون مثل تمرير الطرق والسواقي، استغلها المخزن فيما بعد من أجل تشغيل السكان بدون مقابل، رحمة بورقية، **مادة التويزة**، معلمة المغرب، ج8، ص ص. 2652، 2653.

[75]- Rapport de Synthèse Sur l' Activité des Djemaa au cours du Deuxième Semestre 1951, de Colonel Parlange, Chef de Territoire du Tafilalet à la Région de Meknès,N°8365 MK/2, 12 Décembre 1951, Dossier Jamaas Administrative 1953, Carton 14 MA/900/ 262, Série Meknès, A.D.N.

بين مجموعة من القصور المتصارعة حول الماء على غرار قيام إحدى جماعات الرتب سنة 1947م بتسوية خلافات تقاسم الماء بين قصري البطاطحة والزاوية الجديدة، وهذه التسوية تم إيداعها في عقد لدى المحكمة العرفية في الرتب[76].

وإجمالا كان من واجب القصور المستفيدة من تلك السواقي حمايتها وصيانتها، وتعهدها بالكنس أو ما يعرف محليا "بالفريسط" كلما تطلب الأمر ذلك، خصوصا في فترة ما بعد الفيضانات[77]، هذه العملية كانت المشاركة فيها شرطا أساسيا لكي تستفيد القصور من مياه السواقي المختلفة، وهذا ما حتم بدوره الاتفاق بين القصور حول هذه العملية فوجدنا مثلا سكان قصر جديد الواقع على بعد سبع كيلومترات جنوب أولاد شاكر لهم حصة من ساقية هذا القصر الأخير، لكن ذلك كان مقابل قيامهم بأعمال الكنس والتهيئة، فهذا التوزيع الدقيق للمياه والذي استمر حتى الوقت الراهن تم الحسم فيه منذ سنة 1931م، وذلك بعد فترة نقص وشح المياه التي ميزت السنوات الممتدة من 1929م إلى 1931م وغالبا ما كانت المساحة الزراعية للقصر هي من يحدد حصته قي عملية الكنس[78].

ورغم مرور الزمن وما عرفته الحياة المعاصرة من تطورات متسارعة، وما حدث من تغيرات جوهرية في طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي يزاولها سكان الرتب، والمتميزة أساسا بتراجع اعتماد السكان على الأنشطة الفلاحية إلا أن قضايا الماء مازالت حاضرة دائما، ومازالت تثير من حين لأخر خلافات قوية بين السكان، مما يبرز أن الماء لازال يحظى بمكانة كبيرة في اهتمام الساكنة الرتبية.

---

[76]- Rapport de Synthèse Sur l' Activité des Djemaa au cours du Deuxième Semestre 1951.

[77]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 87.

[78]- ميوسي، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار**، ص. 299.

1- 3 - مظاهر الحياة الانتاجية بالرتب.

تميزت الأنشطة الانتاجية بمجال الرتب بمحدوديتها مقارنة بعدد من المجالات المحيطة، بالنظر إلى الخصوصيات الطبيعية التي تميز بها المجال، مما جعل الرتبيين على اختلاف انتماءاتهم وعبر مختلف المحطات التاريخية يحرصون على تنويع مواردهم الانتاجية، فعمدوا في البداية إلى استغلال ما هو متوفر من أراضي صالحة للزراعة على امتداد ضفتي واد زيز بالرغم من ضيقها وصغر مساحتها، واهتموا أساسا بغراسة أشجار النخيل لما لهذه الأخيرة من خصوصيات تتلاءم والظروف المناخية الجافة بالمنطقة، كما اهتموا منذ وقت مبكر بغراسة أشجار الزيتون والرمان وغير ذلك[79].

ونظرا للتحولات المناخية التي عرفتها الجهات الواقعة جنوب الأطلس الكبير عموما، فقد حدثت هجرات سكانية من الجهات المتضررة بالجفاف إلى جهات أقل تضررا. مما سمح بظهور مناطق صغيرة معزولة تركز فيها نشاط الحياة الزراعية، وتكونت فيها الواحات، وهذا ما سمح بنشأة حياة زراعية مسقية بأساليب ابتكرها هؤلاء لتناسب ظروف حياتهم الاجتماعية، أو نقلوها عن غيرهم، كما ساهمت طرق التجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء في جلب أنواع مختلفة من السكان، تميزوا بإتقانهم للنشاط الزراعي وتحمل مشاقه، ومشاق التنقل المتواصل لرعي الماشية[80]. التي كان يمتلك منها الرتبيون أعدادا مهمة على ما يبدو من إشارة ليوسي في رسالته للسلطان مولاي إسماعيل[81].

وفي رحلة روني كايي وعند حديثه عن الرتب؛ وصف لنا جانبا من مظاهر النشاط الزراعي بالرتب وأهم منتوجاته بعد أن تجول في بساتين منطقة المعَازَكَةْ رفقة أحد الأمراء العلويين المقيمين بها قائلا «**يتدفق تيار جميل يخصب الأرض المحيطة به، يعرف مالكوا العقارات كيفية**

---

[79]- شفيق، «**حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ**»، ص. 69.

[80]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى** ، ج2، ص. 314.

[81]- القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ج1، ص. 211.

الاستفادة من هذا المورد، وهذه الأراضي الصغيرة يغرس فيها أصحابها منتوجات مختلفة مثل القمح والذرة وتوجد أعداد مهمة من أشجار النخيل والتين»[82].

ممارسة النشاط الزراعي بمجال الرتب كانت تقوم أساسا على العمل العائلي المشترك عن طريق تقاسم الأدوار وهو ما لا يختلف عما هو متعارف عليه في مختلف مناطق الواحات المغربية، كما أن النشاط الفلاحي بالمنطقة كان يحترم ضوابط إنتاجية طيلة السنة، حيث كان كل شهر من أشهر السنة أو فترة من فتراتها مخصصا للقيام بعمليات إنتاجية فلاحية معينة كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم 30: تنظيم الموسم الفلاحي السنوي بمنطقة الرتب[83].

يناير	فبر اير	مارس وابريل	مايو	يونيو	يوليوز	شتنبر	أكتوبر	نونبر	دجنبر
جني الزيتون	تسميد الحقول وزراعة البصل	تلقيح (تَأْبِيرْ/ الذْكَّارْ) النخيل وقطف الفول	درس الفول وحصاد الشعير	درس الشعير وزرع الدرة	حصاد ودرس القمح	قطف الذرة	جني التمور	حرث الارض	اسقاط الزيتون.

ما يستنتج من واقع الانتاج الزراعي بالرتب هو محدوديته وأحيانا عدم قدرته على سد حاجيات ساكنة المنطقة، وهذا ما يفسر أحيانا لجوء العطاويين لوضع تشريعات تحرم وتمنع بيع مجموعة من المنتوجات خارج بلاد آيت عطا حرصا على توفير حاجياتهم الضرورية. سواء تلك التي تتعلق بعلف المواشي كالتبن أو التي تهم الإنسان مثل التمور، وكذا "ذكار" التمر الذي يستعمل لتلقيح النخيل[84]. وذلك حتى في السنوات التي يكون فيها إنتاج التمر وفيرا، غير أن سعر تمر

[82]- Caillié, **Journal d'un voyage à Temboctou**, T 3, p. 95, 96.

[83]- يتقارب تنظيم الموسم الفلاحي بالرتب مع تنظيمه بمدغرة أنظر، عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج2، ص. 66./ الهاشمي، **قصر الدويرة**، ص ص. 56، 57.

[84] -Mezzine. **Le Tafilalet**. P. 344, 345.

الرتب في الأسواق كان أقل من غيره، وإن كان أحد المخطوطات يذكر صاحبه «**أن الناس كانوا يسألون هل هذه التمر تمر الرتب أو لا؟ فتباع بثمن رخيص ولا يرغب فيها أحد، وتباع الأخرى بمثليها إلى غير ذلك**»[85]. مُرْجِعاً سبب ذلك إلى ما يعتبره البعض من كون تمر الرتب لا يجوز شراؤه باعتباره تمرا مغصوبا من أصحابه، إلا أن ذلك يرجع أساسا حسب فهمنا لضعف جودة تمر هذه المنطقة، والذي هو أقل جودة من مثيله في عموم مناطق تافيلالت، نظرا لتعرضه للتلف جراء تأخر نضجه، بسبب ما سبق ذكره من كثافة للنخيل وتقاربه وتداخل جريده، ولتموقع أراضي الرتب في قعر واد زيز بين مرتفعين لا يسمحان للنخيل بتلقي الكميات الكافية من أشعة الشمس اللازمة لنضج التمور، وما يعزز كلامنا هو أن رخص أسعار المنطقة ليس وليد فترة السيطرة العطاوية على المنطقة، بل إننا نجد نماذج لذلك حتى قبل هذه الفترة بكثير. حيث تخبرنا المصادر التاريخية والدراسات المختلفة عن وجود تباين في الأسعار التي كانت تباع بها بعض المنتوجات داخل مجال تافيلالت الكبرى[86]، فيذكر لنا عبد الله بن عمر العياشي، مثلا «**أن التمر في مفتتح سنة 1073هـ/ 1662م كانت تباع خرصا في سجلماسة بعشرين لصحفة[87] واحدة، وفي الرتب بعشرة مثاقيل. وأما في هذه الساعة (ق 12هـ/18م) ففي بلادنا نهايتها عشر موزونة للدزة[88] (يتحدث عن الصوف)، وفي سجلماسة قالوا بلغت إلى أربع وعشرين للدزة، وفي الرتب أربعة عشر موزونة**»[89].

يختلف الإنتاج الفلاحي بمجال الرتب من منطقة إلى أخرى، إذ كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب إلا وكان الإنتاج أكبر وأوفر، نظرا لاتساع الأراضي الزراعية لهذا المجال الأخير، وربما يعكس

---

[85]- مولاي هاشم بن الغالي العلوي، **أنساب العلويين بسجلماسة**، م خ ح، رقم 11997، ورقة 3.

[86]- أحمد عمالك، «**أزمة (1071 ـ 1072) وأثرها على أوضاع المغرب**»، ص. 226.

[87]- حوالي 60 مدا أي ما يعادل خمسة قناطر من الحبوب.

[88]- ما تنتجه الشاة الواحدة من صوف عند دَزِّ صوفها في آخر العام.

[89]- مولاي عبد الهادي محمدي، **المجتمع القبلي ودور الزوايا بالحوض الأعلى لوادي زيز من القرن 8هـ/14م إلى القرن 13 هـ/19م مع دراسة وتحقيق مخطوط الإحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش لعبد الله بن عمر العياشي المتوفي سنة 1169هـ نص القسم الثاني من كتاب الإحيا والانتعاش**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، الموسم الجامعي 2002م ـ 2003م ج2، ص. 120.

لنا إلزام السلطان سيدي محمد بن عبد الله عند قدومه إلى تافيلالت سنة1197هـ/ 1783م بعض قصور الرتب دون غيرها بدفع كمية من الزرع إشارات لذلك، فقد أخذ اثني عشر قنطار من الزرع فرضها على أهل الزريكات والدويرة والبلاغمة وأولاد رحو، وقبض من الزريكات قبل ذلك ما يزيد على قنطارين آخرين[90]، وهذه القصور تقع في الرتب الأسفل. كل ذلك يبين أن الرتب على محدودية مداخله وإنتاجه ربما تحمل جزءا من نفقات تموين حملات السلطان بتافيلالت أو أنهم كانوا يساهمون ولو بجزء يسير في مداخل الدولة إن طوعا أو كرها. وهذا ما يجعلنا نستنتج بأن النشاط الفلاحي عموما بالرتب لم يكن بإمكانه استيعاب وتوفير حاجيات السكان بالمنطقة وهو ما حتم عليهم البحث عن موارد أخرى وعلى رأسها النشاط التجاري.

على المستوى التجاري منح الموقع المتميز لمجال الرتب على الممر التقليدي التاريخي للقوافل التجارية المتنقلة ذهابا وإيابا بين فاس ومناطق الشمال بالمغرب ومدينة سجلماسة ومنها إلى بلاد السودان، قصور هذا المجال وساكنته عدة امتيازات أهلتهم للمساهمة بأدوار مختلفة في عملية التبادلات التجارية بين تلك المناطق، ومعلوم أن تسمية الرتب نفسها كما سبق أن وضحنا في الباب الأول ترجع حسب عدد من الدارسين إلى المهمة التي كانت تقوم بها هذه المنطقة وساكنتها لاستخلاص الضرائب وحقوق المرور مقابل تأمينها للقوافل وتوفير حاجياتها[91]. فمرحلة الدولة المرينية التي نرجح تعمير منطقة الرتب في عهدها بشكل أوسع، تمكنت فيه هذه الأخيرة إلى حد كبير من السيطرة على طرق القوافل في القرن 7هـ/ 13م، بعد أن نجحت في إشراك القبائل المستقرة بالجنوب في عملية المبادلات التجارية، عن طريق تقريب الزعامات القبلية بإقطاعها جبايات بعض المناطق، أو السماح لها بالاستفادة من مستحقات المرور[92]، وليس مستبعدا أن تكون بعض هذه القبائل العربية التي كانت بالمنطقة منها، مثل قبائل بني حسن أو دخيسة وغيرهما.

---

[90]- الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ص. 185.

[91]- القاسمي،«**مدغرة: مركز واحي معرفي وحضاري وامتداده في تاريخ المغرب الوسيط والحديث**»، ص. 107.

[92]- مصطفى نشاط، «المغرب المريني وأزمة القرن 14م/ 8هـ النقدية»، "**مجلة أمل**"، ع3، السنة الأولى، 1993م، ص. 7.

وبالنظر إلى ضيق المجال الزراعي بالمنطقة وضعف مردوده بشكل لم يكن يسمح بعيش ساكنة ذات كثافة عالية، وتطور مستمر في أعدادها، فقد فرض ذلك على الرتبيين البحث عن موارد أخرى توفر مداخيل تسمح لهم بالعيش والاستقرار داخل هذا المجال، وباستنطاقنا لما حوته مظان بعض المصادر التاريخية عن النشاط التجاري بالرتب، وجدنا إشارات مهمة تبين تعاطي عدد من الأفراد والأسر الرتبية للتجارة، وبربط علاقات تجارية بينها وبين مجموعة من المناطق الأخرى، فذكر لنا أحد المخطوطات بعض شرفاء أولاد عبيد بالرتب؛ ووصفهم بكونهم جماعة أكثر تجارتهم تتجه إلى بلاد السودان وأن لهم أموال لها بال[93]، وإلى جانب هؤلاء نجد أيضا بعض إخوانهم بقصبة البلاغمة بموضع يسمى باربيت وهم أولاد السيد محمد بن عبد الله الذين كانت عادتهم التجارة مع بلاد السودان كمثل إخوانهم أولاد عبيد[94]، وذكر مصدر آخر أن عبد الواحد المكنى أبا الغيث كان له ستة أولاد منهم سيدي محمد وأولاده بالدويرة أسفل الرتب، وبأخنوس وبتردالت (تبردلت) اتوات، وهبة الله وأولاده بتدكلت قرب السودان، ثم مولاي يوسف البركة وأولاده بمالي من توات، مما برز معه انتشار أفراد الأسرة الواحدة في مناطق متباعدة، لكنها تمارس أنشطة تجارية مختلفة، وهذا ما قد يفسر لنا وجود علاقات تجارية بين الرتب والمناطق التي استقروا بها هؤلاء الشرفاء[95].

ظلت التجارة إذن أحد الموارد التي اعتمد عليها بعض سكان الرتب على امتداد فترات تاريخية طويلة، لكن اضطراب الأوضاع بالمغرب عموما خلال القرن التاسع عشر، وما صحبه من دخول العطاويين وتحكمهم في ممرات القوافل التجارية بمناطق الجنوب الشرقي للمغرب، وفي خضم تواصل الحروب الطاحنة بين هؤلاء وغيرهم من القبائل والعناصر المعادية لهم، أثر كل ذلك سلبا على التجارة والتنقل بالمنطقة، بل إن المخزن وجد نفسه عاجزا؛ ليس عن ضمان أمن الطريق للناس بل حتى لنفسه أحيانا، وتبرز رسالة بعثها السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد ما كان

---

[93]- مجهول، **تقييد في ذكر بعض شرفاء سجلماسة**، م خ ح، رقم 4905، ورقة 23.

[94]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص ص. 28، 58.

[95]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الاشراف**، ج2، ص. 33،34.

يتعرض له أمن الطريق جراء سيطرة القبائل عليه، ففي هذه الرسالة يخبره بتوصله بما أرسله له من أخبار، مفادها عدم تمكنه من إرسال وتوجيه ألفي مثقال إلى بني عمومته الأشراف بعموم تافيلالت، لعدم توفر الأمن في الطريق بين فاس وهذه الأخيرة[96].

جعل هذا الوضع أصحاب القوافل والعابرين من هذه المناطق يبحثون عن ضمانات للمرور، وعلى من يسهر على حمايتهم، فكان العطاويون أكثر وأنسب من يقوم بهذه المهمة، لاسيما وأنهم كانوا عارفين بالطرق ومخاطرها بفعل حياة الترحال الدائم التي ألفوها، واهتمامهم برعي قطعان المواشي عن طريق التنقل الدائم من مكان إلى مكان آخر بحثا عن الماء والكلأ، وهو ما جعل عددا منهم يتعاطى لما عرف بالزطاطة، عن طريق خفارة القوافل والأشخاص مسافرين أو تجار، بل وحتى الحجاج أحيانا، في هذ الصدد يورد صاحب الرحلة الناصرية الكبرى قصة حول هذا الدور، من خلال خفر عطاويين لرجل مقابل مثقالين ليبلغاه إلى ركب الحجيج، بعد أن انطلق هذا الأخير وتركه في مكان معين[97].

فما عرفه المغرب من أوضاع سياسية متوترة، حَوّل مهمة الزطاطة إلى مؤسسة حقيقية بالبلاد، وجعل منها موردا ماليا مهما، لما كانت تدره من مداخيل كثيرة[98]. ذلك أن القوافل كانت تدفع الزطاطة، لكل قبيلة تمر من أراضيها على امتداد الطريق، لتفادي التحرش أو الهجوم عليها، مقابل التزام هذه القبائل بتوفير الزّطَاطَةْ، من خلال مرافقة مجموعة صغيرة من الرجال المسلحين للقافلة إلى نهاية أراضي القبيلة، ثم تتكفل القبيلة الأخرى الموالية بمهمة الزطاطة، وغالبا ما كانت تختلف القيمة المالية للزطاطة، تبعا لعدد الدواب المحملة في القافلة، وقيمة المواد المحملة، وظروف الأمن في الطريق[99].

---

[96]- مديرية الوثائق الملكية، **رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ولده سيدي محمد**، مؤرخة في محرم الحرام 1263هـ/1847م. سجل 19153، توجد نسخة منها في، م ب د ع ر، تحت رقم، 119.

[97]- الناصري، **الرحلة الناصرية الكبرى**، ج1، ص. 184.

[98]- ادموند دوتي، **الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء 2014م، ص ص. 7، 51.

[99]- دان، **المجتمع والمقاومة**، ص. 131.

توحي لنا ـ في ما يخص هذا الموضوع ـ تسمية أحد الأماكن في حدود الرتب الشمالية قرب مسكي، أي في الحد بين مجال نهاية نفوذ قبيلة أيت ازدك وبداية نفوذ ايت عطا والمعروفة "بِكْدْيَةْ الزْطَاَطَةْ بأهمية وحضور هذه الوظيفة بالمنطقة عموما، تلك المهمة كانت غالبا تدر مداخيل كبيرة على الذين يتعاطون لها، بمن فيهم عدد من الصلحاء الذين كانوا يمنحون بعض المسافرين رسائل تعتبر بمثابة جواز مرور لحامليها، نظرا للتوقير والاحترام الذي كان يحظى به هؤلاء عند القبائل التي يمرون منها، على غرار ما ذكره رولفس أثناء مرور بقصر الدويرة بالرتب الأسفل، حيث هاجم العطاويون القافلة التي كان بها، لكن ما أن أراهم التوصيات التي كان يحملها من شريف وزان آنذاك حتى سمحوا له ولمرافقيه بالمرور[100].

نسجل من هذا الموقف أن عملية خدمة القوافل التجارية، إلى جانب مهمة الزطاطة كانت من الموارد التي اعتمد عليها الرتبيون خصوصا من العطاويين للحصول على مواد مالية، ويبدو أن التحالفات التي كانت بين القبائل جعلتهم يضعون حدودا لمجالات نفوذهم، ويعمدون إلى تقاسم الأدوار في ما بينهم، فنجد أن القبائل العطاوية سيطرت على جزء واسع من مجال المغرب شبه الصحراوي وبسطت مراقبتها على طريق تافيلالت درعة. بينما كانت قبيلة آيت ازدك (من اتحادية آيت يافلمان) تراقب "تيزي ن تالغمت" والطريق التي تربط هذا الممر بقصور الرتب بتافيلالت، وهي طريق تمتد على مسافة تتجاوز مائة وخمسين كيلومتر، كما أن العطاويين ورغم سطوتهم على العناصر القبلية الأخرى بتافيلالت، إلا أنهم في بعض الحالات اتفقوا معهم على تقسيم العمل، ففي أواخر القرن التاسع عشر مثلا وعلى المحور الرابط بين تافيلالت وتوات، كان أفراد قبيلة بني امحمد يحترفون التجارة وتنظيم النقل القوافلي، بينما كان حُمَاتُهم آيت خباش(من آيت عطا)يوفرون الجمال والخفر[101].

[100]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 249.

[101]- السبتي، **بين الزطاط وقاطع الطريق**، ص. 269.

وتشير معظم الروايات المتوارثة بين ساكنة الرتب إلى أن فروع القبائل العطاوية دخلت فيما بينها أحيانا في مواجهات دامية بسبب قيمة الزطاطة والضرائب التي تفرض على القصور الخاضعة وكذا قوافل المرور، فقبائل آيت عطا بالرتب كانت تفرض ضريبة تسميها "تَكَّا" مقابل ضمان الأمن والخفر بالمجال، مما مكنهم من الحصول على أموال كبيرة، وهو ما لم يرضي إخوانه العطاويين من ايت إعزا المقيمين بمنطقة "أمْغَا"، ولسحب البساط من الأوائل قام هؤلاء بتخفيض قيمة "تيكا"، الأمر الذي جعل كثيرا من التجار يغيرون طريقهم ويمرون "بِأَمْغَا" عبر تاردة لانخفاض الضرائب في هذا الطريق لكن ذلك تسبب في نشوب حروب بين الطرفين انتهت بطرد الخباشيين للمنتمين لأيت إيعزا من مجال الرتب وكذا طرد هؤلاء للأفراد قبيلة ايت انبكي(ايت امناصف+ أيت خباش) من مجالهم. ولم يقتصر الخلاف على مسألة الضرائب على القوافل، بل امتد الخلاف أيضا إلى مسألة ما كان يفرض على القبائل الخاضعة من غرامات والتزامات، وكذا على بعض القصور بالرتب مثل قصور الزريكات وأولاد عيسى حيث اختلف العطاويون من فرعي آيت انبكي آيت واحليم حول القيمة المالية التي سيفرضونها عليهم، وهذا ما تسبب في حدوث مواجهة بين الطرفين في معركة تل الرؤوس أو ما يعرف ب"تاوريرت نغفان"[102].

هكذا شكل مجال الرتب أحد المناطق التي كانت معبرا لمرور القوافل التجارية، كما كان قصر الدويرة في القرن 19م من المحطات التي تتوقف فيها القوافل التجارية القادمة من فاس باتجاه تافيلالت وسوقها الشهير أبو عام[103]. حيث أشارت موني إلى أن التجار في رحلتهم من بلاد السودان باتجاه مدينة فاس والشمال عموما عبر سجلماسة يمرون بمجال الرتب مشيرة إلى قصر الدويرة وكذا القصر الجديد مما يبرز أهمية الرتب في عملية الربط التجارية هذه كمحطة من محطاتها الأساسية[104].

---

[102]- احدى، **دراسة تاريخية لحوض وادي زيز الأوسط، ((منطقة أوفوس))**، ص ص. 14، 15./ **أحماد بورمضان**، (84 سنة). **راوية شفهية**، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08 فبراير 2020م.

[103]- لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج1، ص. 599.

[104]- Meunie, **Le Maroc Saharien**, p.128.

ورغم محدودية المعلومات التي تم جمعنها عن التجارة بمنطقة الرتب، إلا أنها تبرز توفرها على أسواق أسبوعية صنفت ضمن الأسواق المتوسطة بعموم تافيلالت، رغم انحصارها في قصر الزريكات أساسا، قبل أن يتم نقل مكان انعقاد السوق نحو مركز أوفوس زمن الاحتلال الفرنسي[105]، وتؤكد مختلف التقارير الأجنبية وجود سوق بالزريكات، إذ وطنه داستوك على الخريطة التي رسمها للرتب سنة 1859م[106] وتحدث عنه رولفس وأشار إلى استقرار حوالي 200 عائلة يهودية بالمنطقة، وما استقرار اليهود بهذه الكثافة بالزريكات إلا دليل على الأهمية التجارية التي كان يحظى بها سوقها[107]، واعتبر بيرو هذا السوق من الأسواق المشهورة جدا مما جعله محجا للرحل قصد بيع بضائعهم المختلفة للمستقرين واقتناء حاجياتهم من المواد المحلية هناك[108]، وما يعزز مكانة هذا السوق هو انعقاده ثلاث مرات في الأسبوع أيام الثلاثاء، والخميس، والأحد قبل الفترة الاستعمارية[109].

وحتى بعد حصول المغرب على الإستقلال تواصل تنظيم هذه الأسواق الثلاثة نفسها بمركز أوفوس، وكان تجار الرتب وسكان أوفوس والرتب والزريكات والزاوية والدويرة يرتبطون طيلة المرحلة الاستعمارية بسوق الريصاني أكثر من سوق مركز قصر السوق(الرشيدية) رغم قرب المسافة بينهما[110]. أما المجالات البعيدة فقد كان لتجار الرتب أيضا ارتباط بها كما هو حال أسواق فاس، وكذا أسواق المناطق الغربية للجزائر[111]، حيث عمل المستعمر منذ وقت مبكر على ضمان

---

[105]- عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية**، ص ص. 319، 350.

[106]- Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb 1859-1861**», p. 431.

[107]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 249.

[108]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p.127.

[109]- سبيلمان، **ايت عطا الصحراء**، ص. 58.

[110]- أحمد الشرقاوي، «تطور تنظيم المجال بتافيلالت في عهد الحماية من سنة 1927 إلى سنة 1956»، ضمن "**ندوة علماء تافيلالت وأدباءها وفنانيها وقبائلها وجيش التحرير في مقاومة الاستعمار**" (24 و25 أبريل 2013م)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، تنسيق أحمد البابيي وأخرين، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015م، ص. 81.

[111]- سبيلمان، **ايت عطا الصحراء**، ص. 187.

استمرار المبادلات التجارية بين المناطق التي يحتلها في الجزائر، والمناطق التي كان يستهدفها. إلى الحد الذي دفعه إلى تهديد سكان الرتب ودعوتهم إلى عدم مقاطعة تجارته وبضائعه حتى قبل احتلال المنطقة[112].

أما الحرف التقليدية المتوارثة فكانت بدورها محدودة وتركزت أساسا في قصر أولاد عيسى الذي اشهر بصناعة الفخار والأواني الطينية، ومازالت عدد من الأسر بهذا القصر تحمل تسمية قدار وقدارة، كما نجد أن إحدى قصبات مجال أولاد عيسى كانت تسمى قصبة الحدادة[113] في إشارة إلى المهنة التي عرف بها أهلها. وإلى جانب هذين القصرين، عرفت قصور رتبية أخرى مثل الزاوية الجديدة واربيت والمعاركة بصناعة الأواني الفخارية نظرا لتوفرها على تربة مناسبة جعلت بعض السكان يتعاطون هذه المهنة[114]، في حين استفاد قصر الزريكات من استقرار عدد من اليهود به، والذين بلا شك كان لهم دور في تعليم عدد من الحرف والمهن لكثير من أبناء هذا القصر، خاصة ما تعلق بصناعة الحلي والأدوات الفلاحية المختلفة، ولم يقصر الأمر على هذه الحرف المذكورة بل انتشرت كذلك بالمنطقة صناعة منتوجات مختلفة من مادة القصب[115].

يبرز لنا ما تم رصده، الحيوية التي تمتع بها مجال الرتب، والتنوع الذي طبع أنشطته الانتاجية، على امتداد تاريخه، كما يبرز لنا مظاهر انعكاس التحولات الاجتماعية والسياسية على طبيعة هذه الأنشطة، والتي كانت تعكس قدرة الانسان الرتب على التأقلم مع هذه التحولات والتغيرات المتلاحقة.

---

[112]- بليكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 27.

[113]- Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb 1859-1861**», p. 431.

[114]- بوعصب، **مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين**، ص. 69.

[115]- عوني، **التحولات الإدارية والاقتصادية**، ص ص. 244، 250./ رواية **سالم عبد الصادق**، من الزريكات.

2 – القصر مفهومه وأنواعه بواحة الرتب.

لم يحظ الجانب العمراني في غالبية الدراسات المنجزة حول المنطقة أو غيرها باهتمام كبير من طرف معظم الدارسين والمهتمين، لأنهم يركزون في بحوثهم أساسا على الوثائق المكتوبة، وفي غيابها يحاولون الاعتماد أحيانا على ما تحمله ذاكرة بعض الشيوخ من أخبار وأحداث، رغم ما تطرحه رواياتهم من إشكاليات تتعلق أساسا بدرجة مصداقيتها، لكنهم نادرا ما يلجؤون إلى العمران من أجل استنطاقه بمنهج علمي، لا يقتصر على الوصف وحسب، لكنه يذهب أبعد من ذلك من خلال استقراء ما تتضمنه أشكال وتصاميم ومكونات هذه القصور، وكذا مواقعها ومواضعها وتطور تسمياتها(...) من مؤشرات ومعلومات، يمكن أن تساهم في فهم تصور الإنسان لذاته ومحيطه من خلالها، وإدراك علاقات الود والتآزر أو العداوة والمواجهة التي ربطت السكان فيما بينهم داخل القصر الواحد، أو مع القصور المجاورة. وفي رصد مظاهر التباين والمساواة، الغنى والفقر، الانفتاح والانغلاق بينها إلى غير ذلك.

في هذا السياق لا ندعي أننا سنقوم بهذا العمل في بحثنا هذا المتعلق بمنطقة الرتب وقصورها، لكننا سنعمل على إثارة قضايا مرتبطة بالعمران بهذا المجال في أفق مزيد من البحث، وإشراك مهتمين وباحثين أخرين في هذا العمل الذي يتطلب جهدا كبيرا وتكوينا متخصصا، ولعلنا نجد في عمران الرتب المتميز بتعدد قصوره، وتنوع خصائص ومميزات بنائه كثيرا من المؤشرات والمعلومات التي توضح لنا جانب من تاريخ هذه المنطقة.

هكذا سنتناول في هذا الجانب المتعلق بعمران المنطقة وقصورها ثلاثة قضايا رئيسة هي: القصر مفهومه وأنواعه بواحة الرتب، ثم المواد الأساسية المستعملة في بناء القصور الرتبية وأهم مرافقها، مع التعريف بأهم القصور الرتبية، وذكر بعض خصائصها.

2 ـ 1 التعريف بالقصر والقصبة وأنواع القصور بالرتب.

يسترعي انتباهنا ونحن نبحث في تاريخ ومجتمع منطقة الرتب، استعمال السكان لتسميات متعددة عند تحديد أماكن استقرارهم، لكن أبرزها تسمية قصر، وكذلك تسمية قصبة باللغة العربية، و"إغرم" باللغة الأمازيغية. لكن في محاولة التمييز بين مناطق التجمع السكني التي يطلقونها على قصر أو قصبة، وجدنا تداخلا كبيرا فقد نجد الشخص الواحد يستعمل التسميتين معا، في نعته المكان نفسه. وهذا ما دفعنا إلى محاولة البحث في التسميات المشار لها، من أجل فهم دلالاتها والتمييز بينها:

ـ **القصر**: هذه التسمية عربية، وهي بمعنى المنزل، وسمي كذلك لأنه تُقْصَرُ فِيهِ الحُرَّمْ، أي تحبس، وجمعه قصور[116]، وقد اشتهرت واحات الجنوب الشرقي وانفردت بتسمية القصور التي يقارب عددها 950 قصرا[117]، منها حوالي 40 بمنطقة الرتب قائمة[118]، وما يضاهي هذا العدد من القصور المندرسة أو الآيلة للسقوط، وغالبا ما ينظر إلى مفهوم القصر محليا بكونه قرية مجمعة محصنة[119]، وبكونه يمثل مؤسسة عبرت لفترة طويلة من الزمن عن مرحلة معينة من تاريخ واقتصاد منطقة تافيلالت، باعتباره شكل مركز الاستقرار الأول، وعلى أساسه تطورت الحياة في مرحلة لاحقة[120]، ويرجع بعض الباحثين أصل القصر إلى فترات قديمة مستدلين على ذلك بالنقوش الصخرية والآثار التي يعثر عليها في أماكن عديدة، والتي تؤكد بشكل كبير على قدم الاستقرار وكذا المستوى الحضري الذي وصلت إليه المنطقة[121].

---

[116]– ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص. 10.

[117]– محمد جرير، «بعض المظاهر من تحولات العالم القروي بواحات تافيلالت الكبرى»، **المجال والمجتمع المغربي بالواحات المغربية**، سلسلة الندوات، جامعة المولاي إسماعيل كلية الاداب والعلوم الإنسانية مكناس، 1993، ع 6، ص ص. 51، 52.

[118]–كبيري، **التحولات السكنية بزيز الأوسط**، ص. 131.

[119]– Joly Fernand, «**Promenade dans les palmeraies et les Oisis**», confluent, juin– Juillet 1960, N° 8, p. 408.

[120] – Montagne Robert, **villages et kasabas bérbères**,**Tableau de la vie sociale des bérbères**, **sédentaires dans le sud du Maroc**, Felix Alcon, Paris, 1930, p. 125.

[121]– لحسن تاوشيخت، «العمارة العلوية بتافيلالت خلال عهد المولى اسماعيل» **جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية**، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1990م، ص. 178.

ولم تتم إقامة كثير من القصور دفعة واحدة بل عبر مراحل، إذ كان بعضها في البداية عبارة عن مجموعة قصور صغيرة تتفق لتبني قصرا دفاعيا كبيرا في مرحلة الإحساس بالخطر، أو قد تنتج هذه القصور عن تفتت مدينة وتحولها إلى قصورا[122]، على غرار ما حدث بسجلماسة التي توزع سكانها بعد انهيارها، وانتشروا عبر المجاري المائية مقيمين مساكن جديد ومتعددة بالمنطقة، لكنهم ناقلوا واستخدموا فيها عددا من مواصفات العمارة التي تميزت بها مدينة سجماسة، مما جعل معظم القصور المتواجدة بالرتب وتيزيمي والجرف ومدغرة وتافيلالت الصغرى، متشابهة إلى حد كبير فيما يخص شكلها وعددا من خصائصها، فما من شك أن المجال القروي لسجلماسة تأثر بفن المعمار الصحراوي لاسيما ما تعلق باستخدام مواد معينة، مثل التراب والطوب والتبن كمواد أساسية في البناء مثلا[123]. وهي المميزات التي نقلها معهم من قاموا ببناء المدينة، والمسْتَلْهَمَةُ عدد من خصائصها من مدن الشرق. على حد تشبيه ابن حوقل لعمران سجلماسة وأبنيتها بمباني مدينة الكوفة بالعراق[124].

فقد تواصل نقل المؤثرات العمراني المشرقية إلى المغرب عندما جاءت قبائل المعقل العربية والتي شغلت مجالات تافيلالت ومنها الرتب منذ القرنين 7هـ و8هـ/ 13م و14م، وبسطت نفوذها مع مطلع العصور الحديثة على سفوح جبال الأطلس الكبير الشرقي، ووجدت بعض القصور قائمة[125]، لكن المؤكد أن هذه القصور ستعرف تطورا واتساعا، لكون عرب المعقل هؤلاء نقلوا معهم مقومات هذا النمط السكني من مناطق استقرارهم الأولى[126]، ولعل ما يؤكد ذلك هو أن عملية التسوير ظهرت مع بوادر دخول قبائل بني معقل للمنطقة خاصة، وللمغرب بصفة عامة[127].

---

[122]- الفسطاني، "**الواحات المغربية قبل الاستعمار غريس نموذجا**"، ص. 35.

[123]- إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص. 20.

[124]-ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص. 90.

[125]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 116.

[126]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 117.

[127]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص. 307.

القصبة: هي من التسميات الشائعة الاستعمال في الدلالة على مكان تجمع السكان، وهي تعرف بأنها تلك البناية المحصنة بأسوار متينة، حيث تقابلها كلمة القلعة الشائعة الاستعمال في الشرق العربي[128]، وللقصر والقصبة في منطقة الرتب مفهومان متقاربان ومتداخلان، لدرجة يصعب التمييز بينهما، لكن قاسمهما المشترك يتجلى في التحصين. فغالبا ما يقترن بناء القصبة بما هو دفاعي محض، مما يجعلها تتماهى مع الأشكال الطبوغرافية للمنطقة التي بنيت فيها[129]، وقد تكون القصبة عبارة عن جانب أقل أهمية داخل مجال معين، تخصص لسكنى القبائل التي يصعب إسكانها داخل المدينة لأسباب مختلفة[130]، أو قد تجد هي نفسها مشكلة في التعايش مع عناصر أخرى مثلما هو شأن العطاويين الذين كانوا يسكنون في قصر الجرامنة بالرتب الأعلى لكنهم بعد مدة بنو مساكن خاصة ومحصنة داخل سور جامع أسموها الكْصِيرَةْ(بالكاف المعقودة) أو ما يسميه البعض بالجرامنة الصغيرة[131] تشبه في عدد من خصائصها شكل القصبات.

أما الدراسات الأثرية التي أجريت حول القصبات بالمغرب فأثبتت أنها كانت تتوفر على باب رئيسي واحد متميز وبارز، كما تحتوي على أبواب ثانوية مخفية تصلح في حالات الكوارث كمنافذ للهروب، وقد تستغل للتزويد بالمؤن والأسلحة بعيدا عن الأنظار[132] لكن ينبغي الإشارة إلى أن هذه القصبات اختلفت أحجامها وأشكالها ومواقعها تبعا للوظيفة الأساسية التي أسست لأجلها، وفي العهد العلوي ظهر نوع من القصبات أقل أهمية من الناحية المعمارية بهدف تأمين الطرق، حيث قام مولاي إسماعيل ببناء مجموعة من القصبات على طول المسالك الطرقية لحماية التجارة ورصد تحركات القبائل، ومن تم ضمان ولائها. وقد عدد ابن زيدان وأبو القاسم الزياني العديد منها

---

[128]- مينة المغاري، "**مادة القصبة**"، معلمة المغرب، ج19، ص. 6633.

[129]- نفسه، ص. 6633.

[130]- إسماعيل عثمان عثمان، **تاريخ العمارة الإسلامية** والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ج5، ص. 197.

[131]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[132]- المغاري، "**مادة القصبة** " معلمة المغرب ج19، ص. 6633.

إذ بلغ ما تم بناءه حسب ما أورداه، حوالي 76 قلعة أو قصبة[133] حظيت منطقة تافيلالت بنصيب منها، وهذا ما تمت ملامسته من خلال بحثنا عن القصبات الموجودة في تافيلالت والتي ترجع إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل. وتذهب عدد من الروايات المحلية إلى أن قصبةً مازالت بعض معالمها شاخصة بمنطقة أولاد عيسى يرجع بنائها إلى عهد هذا السلطان، ومن خلال ما ورد في الخريطة التي رسمها داستوك للمنطقة نجده يسمي هذه القصبة بقصبة المخزن، ومن هنا لا يستبعد أن يكون ما تتناقله الروايات الشفهية صحيحا[134]. أما في منطقة الرتب الأوسط وبالضبط في منطقة "قْصَرْ جْدِيدْ" نعثر على عدد من التجمعات السكانية التي تنسب لهذا الأخير ومعظمها يحمل اسم قصبة ومنها: القصبة الفوقانية، القصبة التحتانية، قصبة بن علي، وقصبة مولاي الشريف. وهو ما يمكن أن يمثل مجوع قصبات يطلق عليه اسم القصابي.

تمثل تلك القصور والقصبات بالرتب اذن عنوانا لمنطقة مازالت تكتنز الكثير من الأسرار، كما أن التأمل في هندستها وطريقة وموضع ومواد بنائها، ستقودنا بلا شك للإجابة عن كثير من الأسئلة التي طرحت وما زالت مطروحة إلى اليوم خصوصا في ظل ندرة المادة المصدرية المكتوبة والتي يمكن الركون إليها.

أما من حيث تصنيف القصور بالرتب، فلن نتناول الجدل حول المعايير المعتمدة في عملية التصنيف هذه، نظرا لتعددها وتشعبها وصعوبة اعتماد تصنيف دون آخر[135]، لكننا نذهب إلى معيار واضح يقسم قصور المجال المدروس إلى ثلاثة أنواع رئيسية، أهمها القصور القَبَلِيَّةْ التي تسكنها قبائل معينة، وتجمع بين أفرادها أواصر القرابة العائلية، وهي حالة معظم قصور المنطقة خصوصا التي استوطنتها القبائل العطاوية مثل قصور: آيت اسفول، آيت اخلف، آيت اغف وغيرها، كما

[133]- الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب**، ج 4، ص. 146.

[134]- Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb**», p. 431.

[135]- عبيدي، **العمارة العسكرية بقصور تافيلالت دراسة تاريخية ومعمارية**، أنظر الفصل السادس من هذه الأطروحة، القصور الفيلالية وإشكالية التصنيف، من ص. 172، إلى ص. 195.

نجد كذلك قصور الزوايا التي كان لوجود الشيخ دور في تأسيسها سواء في حياته أو حتى بعد مماته، كما كان حال الزاوية القديمة بالرتب الأسفل وزاوية سيدي علي الكومي، وكذا زاوية مولاي عمر بالرتب الأوسط، ثم هناك القصور المخزنية التي كانت تقوم بمهمة تسييرية، أو كانت مكان لاستقرار حاكم المنطقة، مثل قصر المعاركة بالرتب الأسفل والذي كان أبرز نموذج لهذه القصور[136]. وبالتالي فإن هذا التقسيم ينطلق في تصنيفها؛ من تحديد المسؤول عن تأسيسها، فإذا كان المخزن هو المسؤول عن ذلك سميت بقصور مخزنية، وإذا كانت القبائل هي صاحبة الإنشاء أو التي قطنته سميت قصور قبلية، أما إذا كان ظهورها هو نتاج احتضانها للشيخ أو احتضان أتباع هذا الأخير صنفت كقصور زوايا[137].

ورغم تشابه قصور الرتب في مجموعة من الخصائص، إلا أننا يمكن أن نرصد اختلاف بين بعضها، فنجد منها من اختارت موضعا يوفر لها حماية طبيعة في عدد من الجهات، فنجدها بنيت في سافلة منحدر جبلي، مثلما هو حال قصور تاخيامت وقصر جديد وأولاد شاكر وغيرها، وبفضل هذه الحماية الطبيعية نجدها من الناحية العمرانية أقل تحصينا من مثيلتها الأخرى، التي أقيمت في مناطق منبسطة، مثلما هو حال معظم قصور الرتب الأسفل مثل الزريكات والمعاركة وبلاغمة والزاوية الجديدة والقديمة وغيرها من باقي القصور الأخرى، التي تطلب موقعها وموضعها المكشوف، ضرورة استحضار البعد الأمني في بنائها وحمايتها، من خلال أسوار وهندسة تساعدهم في صد الاعتداءات، والصمود أمام الحصار الذي قد يفرض عليها[138].

---

[136]– الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 115.

[137]– كبيري، **التحولات السكنية بزيز الأوسط**، ص. 5.

[138]– عبد الرحمان البلعشمي وإبراهيم ايت حساين وعبد اللطيف النحلي، **القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية**، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992م، ص. 115.

2 ـ 2 . تصميم القصر بالرتب ومكوناته الأساسية.

نكاد نجد تشابها إلى حد كبير بين مختلف قصور الرتب سواء من حيث الشكل والتصميم أو فيما يخص مكونات كل قصر، رغم أن هذا لا يمنع من وجود تباينات بين بعضها، نتيجة اختلاف الأسس والعادات والتقاليد التي كان يتشبع بها البعض دون الأخر، لكن القصر يتخذ عموما شكلا هندسيا خاصا، فهو عبارة عن تجمع سكني داخل بناية موحدة محاطة بسور ضخم تتخلله أبراج مربعة الشكل[139]، ولا يمكن النفاذ إليه إلا عبر باب محروس[140]، وهذه الأسوار عبارة عن سلسة متصلة من الجدران العالية، ذات ارتفاعات مختلفة بعض الشيء[141]، وغالبا ما تكون سميكة، يتراوح عرضها ما بين متر ومتين، أما علوها فما بين خمسة وعشرة أمتار[142] أما الأبراج فهي بناء مرتفع ينتمي إلى نسق المصطلح المعماري العسكري، ويشكل عنصرا دفاعيا[143]، ترجع أصوله إلى العصور المتأخرة للإمبراطورية الرومانية والبيزنطية[144].

أما داخل القصر فنجد العديد من المنازل التي تضم أسر وعائلات يجمعها تقارب وتشابه في أنماط العيش، وأيضا بعض الروابط الاجتماعية نظرا للأصول القبلية المتعددة والمتنوعة، والسكن التقليدي المنغلق، إذ يتوفر على مدخل رئيسي يعرف باسم (فم القصر)، وفي بعض القصور نجد مدخلا أو بابا ثانويا يعرف باسم ((الخراجية))[145] هذا الباب الرئيسي أو المدخل هو أهم جزء في هذا التصميم المعماري الفريد، ويكون غالبا قابلا للغلق والفتح بواسطة باب يصنع غالبا من

---

[139]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 115.

[140]- الميلود شاكر، ومحمد آيت حمزة، «**تقرير عن رحلة الى تافيلالت**»، مجلة جغرافية المغرب، سلسلة الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 6، 1982م، ص. 65.

[141]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 224.

[142]- شاكر وايت حمزة، «**تقرير عن رحلة إلى تافيلالت**»، ص. 65.

[143]- قاجة جمعة (أحمد)، **موسوعة فن العمارة الاسلامية**، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت لبنان،2001م، ص. 224.

[144]- القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى**، ج2، ص. 338.

[145]- محمد لمراني علوي، «المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، قصور مدينة الريصاني من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة» **ندوة "المعمار المبني بالتراب في حوض البحر الأبيض المتوسط"** جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، ع80، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، سنة 1999م، ص. 101.

الخشب، ومما لاشك فيه أن المسلمين كانوا قد برعوا في عمل الأبواب الخشبية والمغلفة ببعض المعادن. وتفننوا في تزيين كل جزء من أجزائها حتى صارت تحفا فنية رائعة[146].

نصل مباشرة بعد تجاوز المدخل الرئيسي إلى ساحة داخلية واسعة تشكل مركز القصر، حيث نجد المسجد ودار القبيلة والزقاق الرئيسي الذي تتفرع عنه باقي الأزقة والدروب. وغالبا ما تكون طويلة وشبه مظلمة، لأن السكان يعمدون لتسقيفها بهدف حماية القصر من العواصف الرملية وأشعة الشمس المحرقة. وللتمكن من استغلال مستواها العلوي للسكن. وتقوم هذه الأزقة بالربط بين أجزاء القصر فضلا عن دورها في تصريف مياه الأمطار، وتتفرع الأزقة الرئيسية إلى دروب تنفتح عليها أبواب المنازل[147] التي تتكون من عدة طوابق تصل أحيانا إلى ثلاثة. ومدخل الباب يفضي إلى ساحة صغيرة وسط المنزل مسقفة تسمى "السْكِيفَةْ" أو "السَّقِيفَةْ " وبها درج يؤدي إلى الطابق العلوي. وعبر هذه الأخيرة يتم المرور نحو ساحة مغلقة تصل إليها أشعة الشمس عبر فتحة في السقف. وتضم حجرتين واحدة للمواشي وأخرى للأدوات الفلاحية، أما الطابق العلوي فيخصص غالبا لسكن الأسرة. وتتوزع على جنابته الغرف، وعلى إحدى زواياه الأربع يبنى الدرج الثاني الذي يؤدي إلى طابق يضم غرفة أو غرفتين، ويسمى هذا الطابق "بالعلالي"[148]. أما المرافق الصحية بمعناها المتداول فهي شبه منعدمة داخل المنازل حيث يتم التخلص منها إما برميها وسط روث البهائم أو خارج المنزل وسط الحقول حيث تتحول إلى مادة عضوية ثم إلى سماد[149]، لكن مع ذلك كان يتم تخصيص مكان ضيق عموما تكون له فتحة في الأعلى، داخل مكان يتخذ تسميات منها . الميحاط. والكنيف(...).

---

[146]- عاصم رزق، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، ط1، 2000م، ص. 23.

[147]- ايت حمزة، "**مادة القصر**"، معلمة المغرب، ج 19، ص. 6638.

[148]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 117.

[149]- نفسه.

2 ـ 3 ـ المواد الأساسية المستعملة في البناء وأساليبه بالرتب.

إن أي قاطن أو عابر لمجال الرتب يلاحظ مدى التأثير الواضح والكبير للعوامل الطبيعية التضاريسية والمناخية في طبيعة المواد المستعملة، والشروط التي تحكمت في بناء وتشييد القصور والقصبات الرتبية، بشكل ساهم إلى حد كبير في تأقلم إنسان المنطقة مع ما هو موجود ومتاح في هذه البيئة الصحراوية، ذات الظروف المعيشية والسكنية الصعبة والقاسية، خصوصا فيما يتعلق بدرجة الحرارة المفرطة والعالية بهذه المنطقة، ولا يقتصر الاختلاف الواضح في درجة الحرارة على فصلي الصيف والشتاء، بل يظهر ذلك أيضا في الاختلاف الحراري بين الليل والنهار[150].

يفسر كل ذلك طبيعة النمط المعماري الذي ساد الواحات المغربية عموما، ومنها منطقة الرتب، ويبين مدى تأثير هذه العوامل على المواد المستعملة في عملية البناء حيث يتجلى هذا التأثير في كون معظم المواد المستعملة في عملية البناء بتافيلالت محلية، فقد أشار جل الباحثين في مجال العمارة إلى أن تنوع مواد البناء، التي تم استخدامها في العمارة ببلاد المغرب، مرده إلى ما وفرته المعطيات الطبيعية والبيئية من موارد، والتي يمكن ـ كما ذهب أحد الباحثين ـ ترتيبها حسب أهمية وكثرة استعمالها في عمليات البناء على النحو الآتي: التراب والمواد المصنعة منه، وتأتي بعده الحجارة والمواد المصنعة منها ثم الخشب والمعادن[151].

ـ **الطين**: يأتي في المقدمة إذ يعتبر مادة أساسية في البناء وذلك لكونه متوفر بكثرة وغير مكلف، بالإضافة إلى قدرته على مقاومة الحرارة وتكيفه مع المتغيرات المناخية[152]، فضلا عن ليونته وسهولة تشكله وانصياعه بيد البناء الذي يستطيع بواسطته تركيب الأحجام أو الأشكال التي

---

[150]– حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص ص. 45، 46.

[151]– حسن حافظي علوي، «مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الاعلان بأحكام البنيان لابن الرامي»، ضمن "**ندوة المعمار بالتراب في حوض البحر المتوسط**"، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ط1، ص. 52.

[152]– خزام عهد عفيف، «تاريخ العمارة الطينية في سوريا منطقة القلمون نموذجا»، "**المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط**"، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص ص. 17، 18.

يحتاجها في عمله، ووضعها في أي مكان بكل سهولة ومرونة. أما مصدره الأساسي فهو التراب الذي يعتمد لإعداد قوالب الطوب إذ أن التراب المستعمل في الطوب غالبا ما يستخرج في عين المكان، كما أن المادة الأولية لا تستعمل مباشرة في حالتها الطبيعية، بل تستخدم وتتحول مكوناتها الفيزيائية لضمان استقرار المادة عبر خلطها بمواد مخصبة نباتية أو معدنية، مما يقلل من عوامل التجفيف. ويستعمل الطين كمادة أولية للتبليط والتلحيم، أو يستخرج منه الطوب[153].

- **الطابية**: تعد الطابية مادة قديمة الاستعمال في البناء بالمنطقة، ولعل هذا ما جعل المتخصصين يضعون عمارة مناطق الجنوب عموما ضمن العمارة الترابية وإن كان تخصيص المنطقة بها غير مطلق، بدليل وجود هذا النوع في مناطق الأطلس والسهول، والهضاب الداخلية وحتى الشمال[154]، ويتم إعداد هذه الطابية ذات الشكل المستطيل بتهيئتها عن طريق عجن تراب يكون خال من الرمل والحصى، مع إضافة التبن الذي يكون غالبا من تبن الشعير، لأنه يكون مفروما جيدا ويخلط ويوضع في قالب خشبي مكون من فراغين، وتوضع بداخله العجينة، وتمدد باليد حتى يملئ الفراغ كله، ثم يسحب القالب وتترك على الأرض لكي تتعرض لأشعة الشمس حتى تجف جيدا.

بعد الحصول على "طبيات" صلبة يتم تجميع بعضها فوق بعض وتوضع قطعة بلاستكية فوقها وتغطى بالتراب، حتى تبقى متماسكة ومتجانسة إلى أن يتم استعمالها في البناء. حيث تستخدم في إنشاء الجدران والأقواس والقباب[155]، وفق قوالب ذات أشكال تختلف باختلاف استعمالاته من قالب صغير الحجم (18/ 10سنتمتر) وقالب متوسط الحجم (12/22سنتمتر) وقالب كبير الحجم (14/26سنتمتر)، ونشير إلى أن مقياس هذه الأحجام ليس ثابتا بل يمكن أن

---

[153]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 52.

[154]- عبد العزيز توري، **مادة «العمارة المغربية»**، معلمة المغرب، ج 18، ص. 6177.

[155]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 52.

يخضع للتعديل (2 سنتمتر) بصفة عامة وخاصة الجانب المتعلق بالطول وصانعه يسمى الطواب في اصطلاح مجتمع تافيلالت[156].

الحجارة، بعد الطوب والطين نجد الحجارة، التي تكون غالبا من الكرانيت الأسود، حيث تستعمل كقاعدة أساسية في بناء سور القصر على ارتفاع حوالي متر تحسبا لغمر فيضانات الأنهار[157]، حيث يشير البكري مثلا إلى أن سور سجلماسة بني بالطابية على أساس من الحجارة[158]، ومن المرجح إن مصدر الحجارة كان من الجبال المحيطة بالمنطقة[159]. فمجال الرتب يمتاز بتوفره على هذه المادة بشكل كبير ووفير مما جعل سكانه يعتمدون الحجارة بشكل رئيسي في بناء أساسات القصور لحماية الأسوار والقصور من مياه الفيضانات.

- **الخشب**. يأتي الخشب ضمن قائمة المواد المستعملة في بناء القصور والقصبات ككل، ومما لاشك فيه أن الأخشاب استخدمت بشكل أساسي في العمارة الإسلامية لتغطية الأسقف وإقامة القباب وتشيد العمائر[160]، وبما أن شجرة النخيل هي الأكثر انتشارا بالمنطقة فقد استغلت كثير من مكوناتها في البناء، الشيء الذي نلاحظه عند ملاحظة أسقف المنازل التقليدية المبنية بالطين، لنجد جذوع النخل حاضرة كدعامة أساسية تربط بين حائطين، وترفع بالتالي السقف، باعتبار النخيل الشجر الأساسي الذي تميزت به الواحات المغربية منذ وقت مبكر، خصوصا بتافيلالت، كما نجد الجريد حاضرا أيضا.

فكل من زار المنطقة إلا ويلاحظ هذه الخصوصية على غرار ما ذكره الأسير مويط في وصفه لتافيلالت من خلال مشاهدة أحد الأسرى الذين عاينوا المنطقة حيث أكد توفر أعداد كبيرة من

---

[156]- لمراني، «**المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت**»، ص. 107.

[157]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 112.

[158]- البكري، **المغرب في ذكر بلاد**، ص. 148.

[159]- عثمان، **تاريخ العمارة الاسلامية**، ج5، ص. 321.

[160]- نفسه.

أشجار النخيل التي تعطي تمرا جيدا، وتغطي ضفتي واد زيز[161] وهو الحال الذي مازال يميز منطقة الرتب إلى اليوم، دون إغفال استعمال أنواع أخرى من الأشجار كشجر الجوز وشجر اللوز والصفصاف والدفلى. لكن الاستعمال المتزايد أدى إلى تراجع الاعتماد على أشجار الحقول[162] وفرض جلبها من مناطق أبعد رغم التكلفة الباهظة.

- **الجبس والجص**: استعمال هاتن المادتين محدود جدا فالأول يستعمل في تكسية الواجهات الداخلية للجدران، بينما يستخدم الثاني في النقش والزخرفة.

- **القرمود الأخضر**: يتخذ صبغة وظيفية وزخرفية، ويستعمل في الشرفات الخاصة بالأبواب الرئيسية أو بالصحن أو بالرياض. كما يزين أحيان واجهة بعض الأضرحة.

أما طريقة البناء فنجد أن المساكن تبنى بالرتب كما هو متوارث باللوح وهو في الغالب عبارة عن لوحتين من خشب الصفصاف طول الواحدة منها مترا واحدا[163]، حيث يدك فيها خليط من الحصى والتراب والجير وترتفع الأسوار على قواعد متتابعة فنجد في الجدران أثر الأعمدة التي تشد الألواح وفق المساحة المطلوبة[164]، ولا يكاد يخلو قصر في المنطقة من هذه التقنية وذلك لمقاومتها الشديدة لكل المتغيرات المناخية.

وتسمى العملية التي تسفر عنها الطابية الرَّكْزُ وقد أورد ابن خلدون تعريفا واضحا وشاملا لهذه العملية ومنها البناء بالتراب خاصة قائلا: "**يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربع اذرع في ذراعين، فينصبان على أساس**

---

[161]- جرمان مويط، **رحلة الأسير مويط**، ترجمة محمد حجي، محمد الاخضر، قصة الأسير دن لويس كونزاليس البرتغالي، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، دار المناهل للطباعة والنشر، 1990م، ص. 100.

[162]- البلعشمي وآخرون، **القصور والقصبات**، ص. 259.

[163]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 113.

[164]- عبد اللوي، **مدغرة واد زيز**، ج1، ص. 53.

وقد بوعد بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران، ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكلس ويركز "بالمركاز" المعدة حتى ينعم ركزه وتختلط أجزاؤه ثم يزاد التراب حتى يصير جسما واحدا، ثم يعاد نصب الألواح كلها سطرا فوق سطر وينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب"[165]، وهذا ما يمكن ملاحظته في أسوار أغلب القصور المخزنية المشيدة بتافيلالت مثل قصر المعاركة، حيث يتم استعمال الحجارة الكبيرة بالإضافة إلى التراب والجبس، لكي تلتحم وتملأ الفراغات بالحصى والحجارة الصغيرة [166]، والجدار المبني بهذه الطريقة يكون عرضه عادة 50 سنتمتر غير أنه حين يصل ارتفاعه إلى مستوى ثلاثة أو أربعة أمتار يشرع العمل في السقف اعتمادا على أعمدة خشبية من الصفصاف أو خشب النخيل، ويوضع القصب أو جريد النخيل بعد تجريده من سعفه، فوق هذه الأعمدة ثم يغطي الكل بالتراب المبلل ويسمى باللساق، ثم يطمر بالتراب حتى يصل سمكه حوالي 20 سم، وتوضع فوقه طبقة غير سميكة من الطين[167]، حيث أن الطين والتبن يعتبران معادلة أساسية في العملية المعمارية المبنية بالتراب، نظرا لمتانتهما ومقاومتهما للتقلبات المناخية، إضافة إلى جانبها الجمالي[168].

---

[165]- ابن خلدون، **المقدمة**، دار القلم، بيروت، ط1، 1978م، ص. 407، 408.

[166]- تاوشيخت، **عمران سجلماسة**، ص. 434.

[167]- حافظي، **سجلماسة وإقليمها**، ص. 112.

[168]- لمراني، «**المعمار المبني بالتراب**»، ص. 113.

2 – 4 ـ تعريف بأهم القصور الرتبية وبعض خصائصها.

إذا انطلقنا من أوفوس، مركز منطقة الرتب منذ الفترة الاستعمارية شمالا أو جنوبا، على امتداد الطريق الوطنية رقم 13، نلاحظ تمركز مختلف قصوره غرب هذه الطريق باتجاه مدينة الرشيدية، حيث تتوزع على امتداد ضفتي واد زيز، لكننا نجد أن الجهة اليسرى لهذه الطريق لا تضم أي قصر عامر من القصور القديمة المعروفة باستثناء قصر زاوية أوفوس، وبعض الآثار القديمة التي ترتبط بمرحلة متقدمة جدا من تاريخ المنطقة[169]، وبعض المساكن العصرية أو الطينية الحديثة الإنشاء، كما هو حال منازل منطقة "تَزَّاوِيتْ" قرب أولاد شاكر وبعض المنشئات التي بدأ إنشاؤها مؤخرا على غرار مركز للدرك ومؤسسة تعليمية إعدادية قرب قصر الزاوية والدويرة، والمصالح الادارية والخدماتية والاقتصادية المحدودة، التي أقيمت بمركز أوفوس هناك منذ بداية القرن 20م، إلى جانب "القشلة" الفرنسة القديمة فوق سفح إحدى الهضاب المطلة على ملتقى واد أوفوس مع واد زيز، والتي لا يتجاوز عمر بنائها بضعة عقود. أما معظم القصور فأسست منذ أزمنة بعيدة، وبعضها لا يُعْرَفُ تاريخ مضبوط أو محدد لتأسيسها، كما أن تفسير سبب تسميتها غالبا ما يغيب حتى في الروايات الشفاهية المتداولة.

وسنبدأ في تناول هذا الجانب المتعلق بتقديم تعريف لأهم قصور المجال الرتبي بما يعرف بالقصور الخالية أو الخربة. والتي تنتشر آثارها في مواضع مختلفة، ويحمل بعضها أسماء ورد ذكرها في بعض المصادر، والبعض الآخر لم نعثر له على تسمية واضحة، فضلا عن ورود أسماء لقصور رتبية في هذه المصادر لكنها اختفت بسبب التغيير الذي مس التسميات.

تنتشر القصور الخالية في المجال الرتبي الأعلى والأوسط والأسفل بعدد من المناطق، في دلالة واضحة على قدم التعمير بالمنطقة من جهة، ومن جهة أخرى في إشارات لما عرفه هذا المجال من

[169] – أنظر الخريطة، رقم 4، ص. 152.

صراع وتدافع، ومن كوارث طبيعية مدمرة، خاصة تلك المرتبطة بفيضانات واد زيز المهولة أحيانا على امتداد تاريخه، وكانت بعض المنشآت العمرانية من أبرز ضحاياه.

وإذا انطلقنا من الرتب الأعلى في محاولة لرصد أهم هذه المنشآت القديمة، نجد في البداية آثار قرب زاوية أملكيس لما يعرف عند الساكنة هناك "بكصيرة النصارى"، ويختلف الكثيرون في تحديد تاريخها ويرجعها البعض إلى الفترة الرومانية[170]، كما نجد أثارا لأبراج منعزلة أقيمت في سطح الهضبة المشرفة على منحدر الوادي الذي أقيمت على طوله قصور الرتب، ويبدو جليا أنها كانت تستغل في مراقبة السكان وتحركاتهم ومراقبة الطريق.

أما بمنطقة أولاد شاكر فنجد أثارا كبيرة لقصر لم يبق منه إلا الأطلال، يعتقد أنه من بين أقدم القصور بالواحة. ويسميه السكان بالقصر الخالي، أو "إغرم إخلان"، وتفيدنا الروايات المحلية أن هذا القصر المجهول تاريخه؛ كان زاوية عامرة، هجرت الأفاعي سكانه لأنهم أهانوا أحد الأولياء، مما جعله يدعو عليهم بالخراب، فنالوا بذلك جزاءهم. وربما تحمل تسمية المجال الزراعي بقرب هذا القصر الخالي والذي يحمل اسم" دَاوْ الزَّاوِيتْ" أو تحت الزاوية إشارات لذلك[171].

يضاف إلى هذا وجود بقايا لآثار قصر صغير على تل قرب قصر أولاد عيسى، يعرف عنده الساكنة باسم "كْصِيرُّو" تختلف الروايات المحلية في شأنه، بين الادعاء بكونه كان قصرا ليهود سابقين بالمنطقة، وبين كونه مركزا للمراقبة أيام الاحتلال، وبين من يرجعه إلى عصور غابرة أو قديمة، كما نجد آثارا لقصبة المخزن التي أتى على أجزاء واسعة منها فيضان واد زيز لسنة 1965م.

ونجد بالرتب الأوسط، فضلا عن الأبراج المنعزلة المتعددة بالمنطقة، والتي يقع بعضها وسط حقول المنطقة، والمرتفعات المحيطة بها، آثارا كثيرة لعدد من القصور والقصبات المهدومة، قرب

---

[170]- Bassac, «**Note sur le Tafilalet**», p. 409.

[171]- احدى، **أعراف الجنوب**، ص. 60.

تاخيامت وكذلك في الضفة المقابلة لقصر جْدِيدْ، كما حال قصرين أحدهما يعرف باسم مْعْزُوزْ والآخر أولاد عَلْيَانْ[172].

أما بالقصر الجديد فنجد كذلك آثارا متعددة منها بقايا لقصر يعرف عند الساكنة بأولاد يَعْلَى، وعند سؤالنا لبعض السكان عن ماهية هذا القصر وسبب هدمه، أشروا إلى أنه كان موطن لأفرد ينتمون إلى أولاد يعلى، وأن هؤلاء منعوا يوما أحد الفقهاء من التوجه إلى أولاد شاكر لإمامة الناس هناك في صلاة الجمعة، إلا بعد أن يضرب لهم على الدف ويرقص أمامهم، فما كان من الفقيه إلا أن قام بالدعاء عليهم قائلا: «**هَادُو لْهَوْنِي بْالتْلَاهِي خْلِيهُمْ يَا إِلَاهِي**»، فدمر الله القصر بمن فيه، لكنهم لم يقدموا لنا تاريخا محددا أو تقريبيا لذلك[173].

وفي الضفة المقابلة لقصر الجديد نجد بقايا لأحد القصور المندرسة إلى جانب مقبرة القرية يعرف بالقصيرة أو مروس وهذه التسمية وجدناها في بعض الأراجيز والقصائد القديمة المتعلقة بالمنطقة[174]، لكن لم يبق من هذا القصر اليوم إلا بعض الأسوار والأطلال إلى جانب مقبرة واسعة كانت خاصة بدفن موتى هذا القصر، بعد أن تم إفراغه من سكانه وهدمه بالكامل لأن موقعه حسب بعض شيوخ المنطقة كان يشكل خطرا على القصور التي سكنها العطاويون في الضفة اليمنى لواد زيز حيث قصور تخيامت والكارة وغيرها، فأرغموا سكانه من الأشراف على مغادرة القصر وهدمه[175]. في حين ذكرت روايات أخرى أن شرفاء قصر الجديد دعوا سكان قصر امروس إلى الإنتقال للسكن بجوارهم حتى يزدادوا عدة وعتاد ويستطعوا مواجهة أطماع العطاويين المرابطين بقصري الكارة وتاخيامت، ورغم امتناع أهل قصر مروس إلا أن شرفاء قصر الجديد كانوا قد حسموا أمرهم في إجبارهم على ذلك من خلال إقدامهم على بناء قصر جامع سمي بالقصبة

---

[172]- مغار، «**المجال والفرجة بقصور الرتب بتافيلالت (تراث لامادي بقصر أولاد عميرة نموذجا)**»، ص. 60.

[173]- **ابا سيدي بن العربي الطاهري**، رواية شفهية أجريت معه، بتاريخ 15. 05. 2016م.

[174]- التهامي، **أرجوزة في الفروع العلوية**، ورقة 12.

[175]- **أحماد بورمضان**، (84 سنة)، **راوية شفهية**، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08 فبراير 2020م.

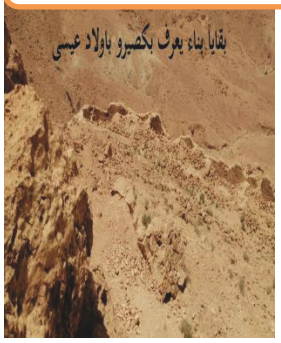
الفوقانية خصصت فيها مجموعة من الدور لهؤلاء، وهكذا تم الأمر وحتى لا يفكروا في العودة تم هدم القصر عن آخره.

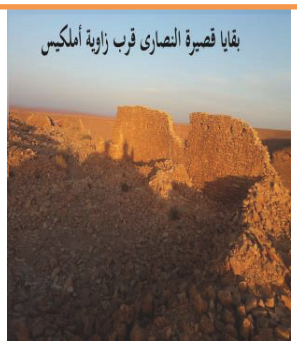
الوضع نفسه نجده أيضا في الرتب الأسفل الذي يضم اليوم قصور شبه مهجورة مثل البطاطحة، وقصور لم يبق منها إلا الاسم مثل الزاوية القديمة التي حافظت على ضريح الشيخ بن عبد الصادق بينما هدم ما تبقى منها، باستثناء بعض الأسوار، كما نجد كذلك آثارا لقصور كانت في وقت من الأوقات آهلة كما هو حال قصر الكارة القديمة، إلى جانب آثار لقصر يعرف باخلف بالقرب من سيدي علي الكومي، والظاهر أن التسمية أمازيغية[176]. دون أن نغفل عن عدد من القصور القديمة الأخرى التي أضحت شبه مهجورة، بعد تحول عدد من السكان للبناء العصري خارج أسوار هذه القصور مثل ما هو الأمر بالنسبة لقصري الزريكات والبلاغمة.

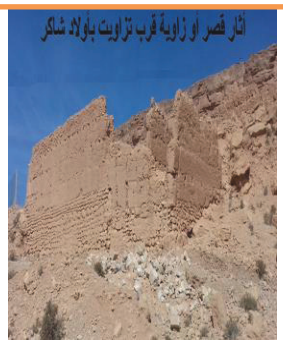
بهذا نستنتج أن المجال الرتبي غني بآثاره العمرانية المندرسة، التي لم نتمكن من الكشف عنها جميعها، لكن التطور العلمي وتوفر الوسائل كفيل بأن يساعدنا في معرفة بعض الأسرار. والعمل على إنجاز كتابة تاريخية أشمل عن المنطقة. خاصة ما يتعلق بالقصور التي لازالت قائمة بالمنطقة، أو تلك التي أخذت تسمية قصور سابقة عنها مما قد يوقع البعض في الخلط وعدم الدقة عند دراسة جوانب من تاريخ المنطقة وحياة سكانها.

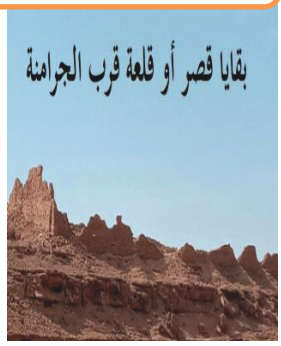
[176] – مغار، «**المجال والفرجة بقصور الرتب بتافيلالت (تراث لامادي بقصر أولاد عميرة نموذجا)**»، ص. 60.

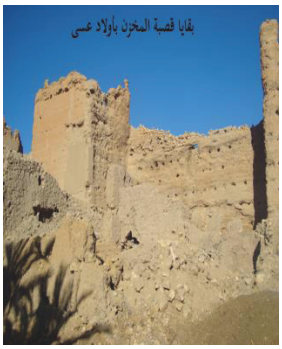
خريطة رقم 9 : مواقع وصور لأبرز الآثار القديمة أو المندرسة بمجال الرتب

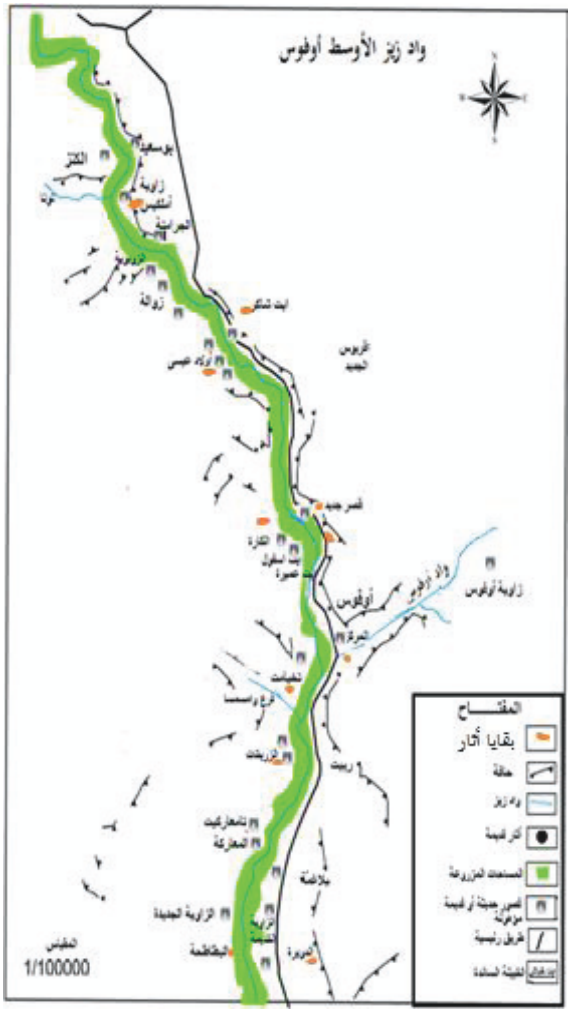




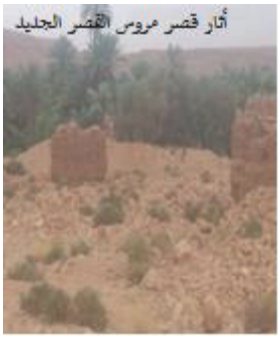




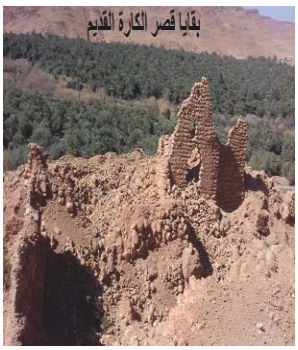


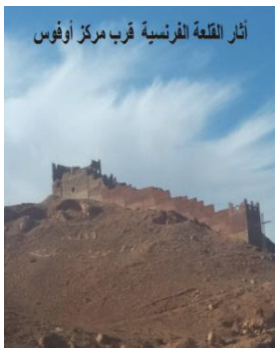


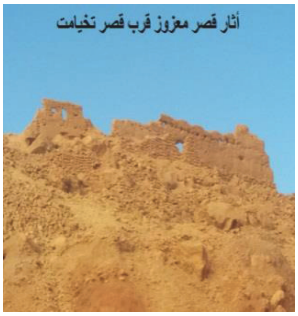




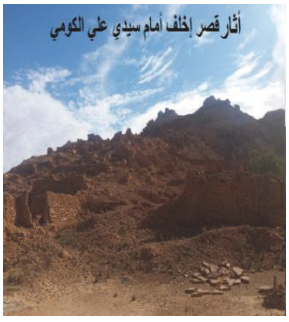












بعد هذه الإشارات التي ذكرناها حول القصور المندرسة والمهدومة ننتقل للتعريف بالقصور العامرة أو التي ما زالت أهلة كلها أو جزء منها بالسكان:

قصور الرتب الأعلى:

1 ـ **الْكَنْزْ**: يقع هذا القصر في القسم الشمالي من الرتب على الضفة اليمنى لوادي زيز، كانت تستقر به عدد من القبائل الزدكية [177]، وهو اليوم يعتبر من القصور التابعة لجماعة شرفاء مدغرة، بعدما كان سبقا ضمن مجال الرتب، حسب إشارات عدد من الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة في إطار أعمالهم التجسسية والاستكشافية.

أما الدلالة الإسمية لقصر الكنز فغير معروفة، فهناك رواية تربط هذه التسمية بكثرة الماء والعيون المائية الحية التي يتوفر عليها هذا القصر، بحيث لا يعرف خصاصا من الماء حتى في سنوات الجفاف، وتبعا لهذا سمي بالكنز. بينما ترجع رواية ثانية أصل هذه التسمية إلى مال يعتقد أنه كان مدفون بجبل بالمنطقة، وتستشهد على قولها هذا بالإشارة إلى صندوق مجسم رسمته الطبيعة بدقة متناهية على أحد الجبال التي توجد بمحاذاة القصر[178].

2 . بُوسْعِيدْ: يقع هذا القصر في القسم الشمالي من الرتب على ضفة وادي زيز، كانت تستقر به عدد من القبائل الزدكية مثله مثل قصر الكنز[179]، وهو اليوم يعتبر أيضا من القصور التابعة لجماعة شرفاء مدغرة، بعدما كان سابقا ضمن مجال الرتب، كما يشير لذلك عدد من الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة في إطار أعمالهم التجسسية كما ينتمي لمشيخة مسكي، وقد كانت تستقر به عدد من الأسر الزدكية[180].

---

[177]– تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك وآثاره العامة**، ص. 66.

[178]– رواية شفهية، **عبد الرحمان الخلطي**، (ولد سنة 1936م بزاوية أملكيس) أجريت معه المقابلة يوم 15/ 02/ 2020م.

[179]– تزلي، **الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك وآثاره العامة**، ص. 66.

[180]– Linarès, «**Voyage au Tafilalet**», p. 45.

3 ـ تُونَا. وهي منطقة سكنية شبه معزولة تقريبا في القسم الشمال الغربي للرتب، وتعني تسمية تونا البئر الذي يوجد به الماء على عمق قريب جدا لا يتجاوز مترا واحد، تبعا لهذا فإن هذا الاسم يخالف اللفظ الأمازيغي المعروف "بأنو" الذي يشير إلى البئر العميق والغائر، وقد سمي هذا القصر كذلك لوجود آبار كثيرة به وطريقة السقي تتم بواسطة الآبار. وللإشارة فقط فإن هذا القصر يوجد وراء جبل الزويوية، ورغم أنه يشكل تجمعا سكانيا لبعض الرحل، فلا نجد أية إشارة له على الخريطة الخاصة بالمجال[181].

4 ـ زَاوِيْةْ أَمْلْكِيسْ[182]. يصعب إيجاد تعريف موحد لتسمية هذا القصر أو الزاوية، نظرا لصعوبة ترجيح إحدى الروايات التي يتناقلها البعض، وإن اتفقت كلها على قدم تعمير هذا القصر، فهذه التسمية نجد ذكرا لما يشبهها عند البكري باسم ملكوس[183] في إشارة منه إلى المدرسة التي تخرج منها زعيم الدولة المرابطية عبد الله بن ياسين على يد شيخه واجاج اللمطي، وهنا يذهب البعض إلى أن هذه المدرسة كانت بأملكيس بواد الرتب بإقليم سجلماسة [184]، لكن التسمية لم يتم ذكرها عند بعض الرحالة المغاربة ممن وثقوا رحلاتهم، أما بعض الرحالة الأجانب فاقتصر حديثهم عنها بتسميتها باسم آخر هو زاوية سِيدِي بَلْعَبَّاسْ كما ذكر رولفس[185]، وكذلك هنري داستوك[186]، نسبة إلى أحد أولياء المنطقة المشهورين بهذا القصر. وعن سبب هذه التسمية بزاوية أملكيس نجد الروايات تقول بأن تسمية الزاوية ارتبطت بالقصر لأنه كان يستقبل كل سائل ولا يرده بل يكرمه ويستضيفه، ويوفر له ما يحتاجه من مأكل

---

[181]– رواية شفهية، **ابا سيدي عمري علوي** (مقدم المنطقة، 52 سنة) اجريت المقابلة معه بتاريخ 23/ 12/ 2016م.

[182]– Ilahiane, **The power of the dagger**, p. 116. .559 أنظر تصميم القصر في الملحق الوثائقي رقم ،13 ص.

[183]– أبو عبيد الله البكري، **كتاب المسالك والمماليك**، تحقيق أدريان فان ليوفن واندريفيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م. ج 2، ص. 859,

[184]– العلوي، «**أصول المغاربة، الأنساب البربرية وقيمتها**»، ص. 135.

[185]– Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 248.

[186]– Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb**», p. 431.

ومشرب وملبس، طيلة مدة إقامته بالقصر، في حين ربطوا تسمية أملكيس باسم بعض حقول المنطقة، والتي عثر فيها في زمن قديم جدا على أكياس من المال ومن هنا اشتقت هذه التسمية، وما يميز هذا القصر أنه يضم ساكنة متعددة الأعراق، وهو ما تعكسه تسميت أزقته ودروبه مثل زقاق الكدو، زقاق مولاي امحمد، زقاق الإمام[187].

5 ـ الجْرَامْنَةْ الكبرى: الجرامنة قصر من قصور واحة الرتب يسكنه خليط من الحراطين والشرفاء وكذا فرع من آيت خباش العطاوية، وهي تتكون من قصرين الأقدم هو الجرامنة الكبرى وكان يضم 70 منزلا يسكنها الشرفاء ومولاي مصطفى بن الحنفي[188]، أما تسمية الجرامنة فهي تحيلنا إلى أحد فروع ذوي منصور المعقلية التي غادرت المنطقة إسوة بقبائل بلاغمة والبطاطحة وأولاد عميرة بأسفل الواحة، ولم يبق منها إلا الأسماء[189].

فالجرامنة أو أولاد جرمون، بطن من قبيلة سفيان، وكانت فيهم رئاسة قبائل عبدة ومنهم جرمون بن عيسى المتوفى سنة 659هـ/ 1261م ثم كانون بن جرمون ثم يعقوب بن جرمون، وانتقلت الرئاسة إلى آل سفيان من فروع آل جرمون وبقيت فيهم إلى عهد المرينيين[190]، وقد كان آل سفيان يقطنون بأطراف أزمور في عهد أحمد المنصور السعدي، وكان هذا الأخير قد نقل أولاد بوعزيز من أزمور إلى أطرف أزغار على وادي بهت بسبب تمردهم، إلى أن توفي السلطان أحمد المنصور سنة 1012هـ/1603م فرجع أولاد بوعزيز لبلادهم قرب أزمور، وارتحل منه آل سفيان إلى الغرب فألفوا هناك قبيلتهم المسماة مختار، واستولوا على الحوض الغربي، وما زال خلافهم مع أهله الى الآن، ثم آلت الرئاسة إلى أسرة آل عامر، من فروع الجرامنة أيضا، وبقيت فيهم إلى عهد العلويين، وتجدر الإشارة إلى أن تسمية الجرامنة انتشرت داخل المغرب (جماعة زمران

---

[187]- **الخلطي**، (ولد سنة 1936م بزاوية أملكيس) رواية شفهية، أجريت معه المقابلة يوم 15/ 02/ 2020م.

[188]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[189]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 48.

[190]- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، ج7، ص ص. 38، 39، 90.

الشرقية بقلعة السراغنة) وخارجه(الجزائر، فلسطين، تونس...) في دليل على انتشار فروع هذه القبيلة العربية في مناطق مختلفة.

وتربط أغلب الروايات المحلية تسمية قصر الجرامنة بمعنى مجرى الماء، الذي تطورت تسميته إلى "الجرامنة" ولا يوجد تاريخ مضبوط لبناء هذا القصر، وإن كان البعض يؤكد على قدمه ويربطون تأسيسه بالعناصر الحرطانية القادمين من إفريقيا، حيث كانوا حسب معظم الروايات أول من أسس أقدم زقاق بالقصر يطلق عليه "زقاق أَبَرْدُزْ" وهو اسم أمازيغي حمله بعد دخول القبائل العطاوية إلى المجال. ثم جاء من بعدهم شرفاء فخذة الحنافي وهم شرفاء جاؤوا كذلك من تافيلالت، فبنوا الزقاق الذي بجوار المسجد القديم وسمي (بزقاق الجامع) ثم جاءت المرحلة التي جاء فيه شرفاء (فخذة العمري) وهؤلاء لم يأتوا إلى الجرامنة مباشرة من تافيلالت، حيث كان أول مكان استوطنوه بعد خروجهم من تافيلالت وبالضبط (تعرمت) هو قصر سيدي بوعبد الله بمدغرة، إلا أن اختلافهم مع بني عمومتهم (آل العزيزي) جعلهم يخرجون من مدغرة فذهب بعضهم إلى مالي بإفريقيا، فكان أهم نشاط عرفوا به هناك هو التجارة، والبعض الأخر اتجه نحو ضفاف وادي زيز، فاستقر جزء منهم بقصر زاوية أملكيس، والجزء الأخر وصل إلى قصر الجرامنة، فبنوا زقاقا سمي في ما بعد (تاقصبيت) ثم جاءت المرحلة التي بدأ فيها الأمازيغ يميلون إلى العيش في الواحات فبدأوا بالدخول إلى قصور واد زيز، فقاسموا سكان القصور العرب منازلهم وحقولهم، ومن الفخذات التي استقرت بالجرامنة الكبيرة، فخذة ايت عمر وفخذة ايت تغلا، وفخذة ايت بورك، وعاشوا في القصر مجتمعين لعدة سنوات بعد أن أبرم معهم أحد زعماء القصر وهو مولاي مصطفى بن الحنفي هدنة، غير أنهم استغلوا ذهابه إلى الحج فبنوا على أرض بعض الحقول المحادية للجرامنة قصرا مستقلا آخر، سمي بالجرامنة الصغيرة أو القصيرة[191].

[191]– رواية شفهية، **ابا سيدي عمري علوي** (مقدم المنطقة، 52 سنة) اجريت المقابلة معه بتاريخ 23/ 12/ 2016م.

6 ـ **الجْرَامْنَةْ الصْغِيرَةْ**: وتسمى القصيرة أو تغرمت، يرجع تأسيسها إلى سنة 1899م، من طرف آيت خباش وكان تضم في هذا التاريخ حوالي 30 منزلا[192]، حيث كان قصر الجرامنة الكبرى يضم خليطا سكانيا تعايش فيه الأمازيغ والعرب خاصة الشرفاء الذي كانت لأحد أفرادهم وهو مولاي المصطفى بن الحنفي السيادة والرياسة في القصر[193]، وفي إحدى السنوات قرر الأخير الذهاب إلى الحج؛ فاجتمع سكان القصر من الخباشين العطاويين واتفقوا على بناء قصر جامع خاص بهم، غير بعيد عن قصر الجرامنة، مبررين فعلهم هذا بتجنب تلك الصراعات التي كانت تحدث بين قبائل المنطقة[194]، حيث تقاسم هؤلاء الأمازيغ دروب القصر المحدث، وأعطي لكل أسرة درب، وتميز القصر بإحاطته بما يسمى بأحفير، وضم أبراجا عالية ونقوشا فضلا عن وجود كُوَّاتِ للمراقبة ومعرفة الدخلاء وغيرهم، وأماكن لإطلاق الرصاص لكن القصر اليوم أضحى شبه فارغ من السكان ويتعرض للهدم والانهيار بشكل متواصل[195].

7 ـ الزْوِوْيَةْ: وردت الإشارة إلى هذا القصر في بعض الخرائط باسم الزاوية وهذا خطأ، لأن أهل هذا القصر ينطقون الزاوية بالزويوية، للإشارة إلى اسم قصرهم، وقد جاء على صيغة التصغير ليدل على المساحة الصغيرة جدا التي يشغلها هذا القصر، ووقوعه في ركن الجبل. ولهذا فلا علاقة لهذا القصر بالمؤسسات الدينية التي تعرف بالزاوية، والزويوية هي قرية صغيرة كانت تضم حوالي 60 منزلا تقريبا، لكن الزويوية لم تكن في البداية سوى مكان لرعي أغنام القصور المجاورة.

8 ـ ازْوَالَةْ: أو إِيزُولاَيْنْ أَوْ آيْتْ إِيحْيَ: اسم هذا القصر مشتق من كلمة "تَازُولَيْتْ" التي تمثل اسم لتجمع سكاني يوجد على طريق أَنِّيفْ ناحية الريصاني، وقد سمي هذا القصر كذلك لأن أصل ساكنته الأولى كانت تَازُولَيْتْ، وتربط الروايات تسمية قصر ازوالة بما عرفه هذا الأخير من صراع قبلي شهدته هذه المنطقة، حيث كانت فيه قبيلة تسمى "اَيْتْ إِزْدِي" لكنهم سيواجهون

---

[192]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[193]- الإدريسي، **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس**، ص. 397.

[194]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[195]- انظر تصميم هذا القصر في الملحق الوثائقي رقم 15، ص. 561.

زحفا من قبيلة " أَيْتْ إحْيَ" والتي جاءت من قصر" تَزُولاَيْنْ" وهذا ما أدى إلى دخول الطرفين في مواجهات ومعارك دامية انتهت بانهزام أهل الأرض السابقين، ليستقر بها المهاجمون الجدد، ويعمدوا إلى فرض تسمية القصر باسم "ازْوَالَة" نسبة إلى الموطن الذي قدموا منه، وما زال السكان يروون أن إحدى المقابر بجوار القصر تضم رفات أفراد القبيلة المنهزمة والتي قتل أفرادها ودفنوا بهذا المكان[196]، لكن عددا من المصادر الأجنبية لم ترد اسم ازوالة في تسميتها لهذا القصر وساكنته بل ذكرته باسم آيت يحي كما ورد عند بيرو الذي ذكر وجود 120 منزلا بهذا القصر وحدد انتمائهم لفروع قبيلة آيت خباش[197]. الأمر نفسه نرصده في الخريطة التي رسمها داستوك، حيث سمى منطقة القصر بآيت ايحي[198].

9 ـ الرمالي: هي منطقة ليست بقصر جامع وإنما مكان لجأ إليه السكان من القصور المجاورة مثل زوالة والجرامنة وزاوية أملكيس بسبب الفيضانات المهولة التي عرفتها المنطقة سنة 1965م، وذلك على إثر هدم الكثير من المنازل والقصور أو أجزاء منها، مما حدى بالجماعة القروية لأوفوس إلى منح بعض هؤلاء السكان بقعا أرضية تصل مساحتها إلى حوالي 250 متر مربعا، ليتم تعمير هذه المنطقة الواقعة في الطريق الفرعية المتصلة بالطريقة الوطنية رقم 13 والرابطة بين قصر الجرامنة وقصر أولاد شاكر[199].

10. أَوْلَادْ شَاكْرْ: تتباين في شأنها الكثير من المعلومات، لكن أشهرها عند السكان هو ما يحاوله البعض من ربط هذا المعنى باللغة الأمازيغية واللهجات المحلية والتي ترجع أصل الكلمة إلى آيت شاكر، والتي يقصد بها " أْتْشْ تَاكْرْتْ" وتعني "قُمْ بِالأَكْلِ ثُم أسْرِقْ"، لكن هذا التفسير لا يستقيم في الحقيقة، لأن تسمية القصر كانت معروفة حسب الكثير من المصادر والدراسات بأولاد

---

[196]– رواية شفهية، **يوسف المخزن** (63سنة)، اجريت معه المقابلة بتاريخ 12 مارس 2019م.

[197]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[198]- Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb 1859–1861**», p. 431.

[199]– رواية شفهية، **ابا سيدي عمري علوي** (مقدم المنطقة، 52 سنة) اجريت المقابلة معه بتاريخ 23/ 12/ 2016م.

شاكر، ويرجع أصلها إلى الأمير المدراري محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله، الذي فر من الفاطميين بعد دخولهم عاصمة ملكه سجلماسة، واستقر وأسرته بهذا المكان، الذي حمل منذ تلك الفترة اسم عائلة هذا الأمير وسمي بأولاد شاكر[200]، أما تسميته بآيت شاكر فما هي إلا محاولة لتكيف الاسم مع التداول اللغوي عند القبائل الأمازيغية العطاوية التي استوطنت المجال. ورغم أن التسمية قد توحي للكثيرين بوجود قصر جامع واحد، لكنه واقع الأمر أنه عبارة عن تجمع لثلاثة قصور، برزت بتسمياتها، بعد الصدامات المتوالية بين قبائل آيت أنبكي، مما تسبب في انقسام قصر أولاد شاكر إلى ثلاثة قصور مستقلة وهي "ايت اغف" والذي انفرد به آيت يحي وموسى وقصر أقربوس الأقدم تحت سيطرة آيت اسفول وقصر تيدرين الذي كان من نصيب آيت ايسفول أيضا، والقصور الثلاثة مجتمعة تسمى قصور آيت شاكر نسبة إلى أولاد شاكر المطرودين نحو أعالي وادكير[201]، ونعرف بكل قصر على حدى:

10 . 1 آيْتْ إِغْفْ: هو قصر لقبيلة من القبائل الثالثة المشكلة لأولاد شاكر، والقبائل العطاوية بأولاد شاكر كانت تسكن مجتمعة في قصر أقربوس، وهذه القبائل هي: آيت خباش وآيت ايحي وآيت أوسفول وآيت أومغار، فنشأ نزاع بين آيت ايحي وآيت اسفول، انتهى بهزيمة آيت يحي التي تم طردها خارج أقربوس ليسكن هؤلاء في مكان باتجاه رأس الساقية، ومن هنا تشكل قصرين قصر أقربوس، وآيت اغف، التي تعني رأس الساقية[202].

10 . 2 أَقَرْبُوسْ: بعضهم يكتب أقربوس بأقربوص[203]. وهو من قصور الرتب الأعلى، وأحد القصور المكونة لأولاد شاكر، كما أنه أصل قصر أقربوس الواقع على وادي كير قرب قصر ملاحة، بعد أن انتقل إليه بعض ساكنته منذ حولي قرنين من الزمن بسبب الصراع مع آيت عطا الذين

---

[200]- القاسمي، **مجتمع المغرب الاقصى** ، ج2، ص. 368.

[201]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 94

[202]- رواية شفهية، **يوسف المخزن** (63سنة)، اجريت معه المقابلة بتاريخ 12 مارس 2019م.

[203]- الفلالي، **التاريخ السياسي**، ج7، ص. 173.

سيطروا على هذا القصر بالرتب[204]. وقد سمي هذا القصر بأقربوس حسب بعض الروايات، نسبة إلى تلك القطعة الحديدية التي يضع فيها الفرسان أرجلهم لامتطاء صهوة الجياد، ومنها اشتقت تسمية القصر بأقربوس، وحسب رواية أخرى لأحد السكان المحليين فإن مفردة أقربوس لها وجود واستعمال عند سكان الريف حيث يقصدون بها ألواح مراكب البحر[205].

10 . 3 تِيدْرِينْ/ تِدْرِينْ: هو قصر من قصور آيت شاكر بأعالي واحة الرتب على بعد 32 كلم جنوب شرق مدينة الرشيدية حاليا باتجاه مدينة أرفود ويقع بالجهة اليسرى لوادي زيز[206]، وتِدْرِينْ هي جمع تَدَّارْتْ كلمة مشتقة من الدار ويعتقد أن مساكن قصر تِدْرِينْ كانت متصلة بثقوب ليحمي بعضها البعض الآخر، ومحاطة بسور خارجي حديث بالمقارنة مع أسوار قصر أقربوس المجاور والأكثر قدما[207].

11 ـ تَخْبُوتْ: هو تجمع صغير مجاور لقصر تدرين واقربوس الجديد، وهو يدل على مساكن متواضعة ومتفرقة، والتسمية هي أمازيغية الأصل مما يدل على أنه تجمع سكاني حديث بني في المرحلة المعاصرة.

12 ـ أولاد عيسى: هو من القصور القديمة بالرتب، والوارد تسميته في عدد من المصادر التي أشرنا لها سابقا، نظرا للأهمية التي كانت له في التجارة الصحراوية العابرة للمنطقة، وتسمية أولاد عيسى ترجع إلى عشيرة أو عائلة تنتمي إلى عيسى بن يزيد الأسود أول أمير للإمارة الصفرية بسجلماسة[208]، وقد وردت نفس هذه التسمية في مقاطعة الجَرْفْ جنوب غرب الرتب، ويضم القصر ثلاث تجمعات سكانية هي:

---

[204]– بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 49.

[205]– رواية شفهية، **محمد موجان** (65سنة)، أجريت معه المقابلة بتاريخ 12 مارس 2019م.

[206]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 41.

[207]– نفسه، ص. 17.

[208]– الفلالي، **التاريخ السياسي للمغرب**، ج 2، ص. 108.

12 . 1. القَصْبَة والتي كانت ربما تسمى قديما قصبة الحدادة، وقد وردت هذه التسمية في الخريطة التي وضعها هنري داستوك[209]، وحسب الروايات الشفهية فإنها كانت ثكنة لجند مولاي إسماعيل، وتضم كتابات على جدرانها تستعصي قراءتها كما أن أبراجها سداسية الشكل وليست رباعية. ونجد عند داستوك في خريطته تسمية قصبة المخزن، مما يعزز صحة الرواية القائلة بكونها قصبة خاصة باستقرار جنود المخزن بالمنطقة زمن مولاي إسماعيل، وربما أن قصر الحدادة كان للسكان من الحراطين، والقصبة كانت للمخزن واستوطنوها بعد ذلك.

12 . 2 . القصر الوسطاني، أو القصر الكبير حسب تسمية السكان، والذي يعتبر حسب السكان المحليين القصر الأصلي لأولاد عيسى، وكان هذا الأخير وإلى حدود سنة 1898م يجمع بين ثلاث فئات اثنية أساسية، هم فئة الحراطين والأحرار أو المرابطين ثم أقلية من الشرفاء، ويعتبر "ايت علا" و"ايت مغفر" السكان الأصليين الأوائل لهذا القصر، مع غلبة عددية للحراطين الذين كانوا يمارسون ضغطا قويا على الأقلية المتكونة من الأحرار فاستعان هؤلاء بالعطاويين، وطردوا الحراطين مدة من الزمن من القصر الوسطاني، ليبني هؤلاء قصرا خاصا بهم بجوار القصر الأول[210].

12 . 3 . القصر السَّفْلَانِي: يوجد بجوار القصر الوسطاني، وهو حديث البناء إذ ترجع الروايات بناءه إلى سنة 1898م، وتسكنه أغلبية من الحراطين، وقد ساعدهم في بنائه عدد من حراطين زاوية أملكيس وأولاد عميرة، وتاخيامت وكذلك عناصر أمازيغية، وذلك في إطار التحالفات التي كانت تعرفها المنطقة زمن الصراعات القبلية التي عاشها المجال طيلة القرن 19م[211].

---

[209]- Dasutuge, «**Circonscriptions de Madagra et de L'ouad ER Rteb 1859-1861**», p. 431.

[210]- رواية شفهية **قدار محمد**، (74سنة) أحد سكان قصر أولاد عيسى، أجريت معه المقابلة بتاريخ 12 /5/ 2016م.

[211]- نفسه

الرتب الأوسط: يضم عدد من القصور والقصبات كما يضم المركز الاداري لواحة أوفوس ومعظم المؤسسات والمرافق العمومية، ومن أهم هذه القصور نذكر:

1ـ **القصر الجْدِيدْ**: يوجد القصر الجديد بالقسم الأوسط من منطقة أوفوس، وسكانه من الأشراف هم أحفاد عبد الرحمان أبو البركات، الذي هو الولد الأكبر لمحمد بن الحسن الداخل، وصنو لعلي الشريف مؤسس مجد العلويين بالمغرب[212]، وتقول روايات محلية أن قصر الجديد ارتبط ظهوره باستقرار الشريف مولاي عبد الواحد بن علي الذي اشترى هذه البلدة بخبزة، وهو كذلك من أقدم القصور تعميرا، ويضم عددا من القصبات يحمل بعضها أسماء أعلام بشرية ومنها: أولاد عبد الله والقصبة الفوقانية والتحتانية والوْسْطْ بقصباته المتعددة (مولاي السعيد، عتبة الصديق، مولاي بن علي، فم الحويش، مولاي الشريف)[213].

2 ـ تَاخْيَامْتْ: هو أول قصر استولى عليه العطاويون بالرتب غداة دخولهم للمنطقة في بداية القرن 13هـ/19م، كان يسمى قبل ذلك قصر بني احْسَنْ الذين هاجروا نحو ملوية العليا ونواحي سيدي يحي الغرب، وتذكر المصادر والأبحاث أن المرينيين شجعوا قبائل بني احسن على الهجرة من واد زيز إلى الشمال، عندما كلفوا هؤلاء بحفظ الأمن في الأطلس المتوسط، وجمع جباية المنطقة الممتدة من تافيلالت إلى تادلة[214]. هذا الأخير استمد شهرته بعد وصول العطاويين إليه، واستقرارهم به، وفيه حددوا أهم الأعراف التي كانوا يحتكمون إليها لحل مشاكلهم وقضاياهم، وجعلوها مرجعا لمختلف قوانين القصور الرتبية الأخرى مثل قصر تيدرين. مما جعل أعراف قصر تاخيامت مرجعا أساسيا لكل الأعراف العطاوية بالمنطقة، وهو ما يفسر اعتماده في جل قصور واحة الرتب[215].

---

[212]– الفلالي، **التاريخ السياسي الكبير**، ج7، ص. 39.

[213]– رواية شفهية، **ابا سيدي بن العربي الطاهري**،(**ولد سنة 1932م**)، أجريت معه المقابلة بتاريخ 15. 05. 2016م.

[214]– المنصور، **المغرب قبل الاستعمار**. ص ص. 29، .30.

[215]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

3 ـ الْكَارَة: تنطق بالكاف المعقودة، وهو قصر من قصور واحة الرتب على بعد 42 كلم جنوب شرق الرشيدية[216]، وهو أيضا من القصور التي اهتم بها العربي مزين في سياق دراسته للعرف الخاص بهم[217]، كما قدم لنا صورة لتصميم ذلك القصر على غلاف وبين طيات كتابه، بين فيه مدى دقة وتميز فن العمارة بالمنطقة[218]. ويبدو أن قصر الكارة الحالي، جاء بناؤه بعد أن تم هدم القصر الأول الذي يقع في مرتفع على الضفة اليسرى لواد زيز، وحسب بعض الروايات فإن تاريخ هدم القصر القديم يرجع إلى فترة الصراع العلوي الدلائي، ويذكر البعض أن انهزام مولاي امحمد بن الشريف مؤسس الدولة العلوية في معركة الكارة سنة 1646م[219]، اعقبه دمار هذا القصر، فتحول سكانه إلى الضفة اليمنى وبنو قصر الكارة الجديد[220].

4 ـ أَوْلاَدْ عْمِيرَةْ: تسمية أولاد عميرة من التسميات الأكثر تداولا بمجال الرتب عموما، وهي تشير إلى قصور قريبة من مركز أوفوس التي تضم آيت إسفول وآيت الخلف والقصيرة(وتعرف بِتِغْرَمْتْ نَايْتْ خَبَّاشْ). ومن المحتمل أن هذا القصر استمد اسمه من قبيلة العمارنة العربية المعقلية، وهي فرع من ذوي منصور من فرقة بني عامر التي كانت تسيطر على واحات زيز الأوسط إلى جانب المنابهة المعقليين[221]، والواضح أن تسمية أولاد عميرة هي تصغير للاسم المؤنث عمرة على عادة العرب، واستمد تسميته من قبيلة آل أو بني عميرة، وهي من القبائل العربية الأكثر انتشارا في مجالات واسعة من الجزيرة العربية والخليج[222]، وبعودتنا إلى بعض شيوخ زاوية أوفوس أو زاوية مولاي عمر بن هاشم لسؤالهم عن مواطنهم الأولى بأولاد عميرة، قبل انتقالهم منها مع مجيء العطاويين، هل كان الأمر يتعلق بثلاثة قصور أو بقصر واحد أضاف له العطاويون بعد ذلك قصورا أخرى؟ أجاب بعضهم أنهم كانوا يسكنون في قصر يسمى آيت الخلف، وهنا طرح أمامنا إشكال؛ حول كيف يكون قصرهم يحمل اسم قصر آيت الخلف وهذه التسمية هي لفرع من القبائل العطاوية، لكنهم يذكرون التسمية بأولاد الخلف، وهذا ما أحالنا على البحث في الموضوع،

---

[216]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 41.

[217]– Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 232, 233.

[218]– أنظر تصميم قصر الكارة في الملحق الوثائقي رقم 14، ص. 560. Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 135, 215.

[219]– ابن العياشي، **زهر البستان**، ص. 107.

[220]– **أحماد بورمضان**، (84 سنة). **راوية شفهية**، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08 فبراير 2020م.

[221]– الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص ص. 54، 55./ كربخال، **إفريقيا**، ج1، ص. 107./ عبد اللوي، **مدغرة** ، ج1، ص. 182.

[222]– مغار، «**المجال والفرجة بقصور الرتب بتافيلالت (تراث لامادي بقصر أولاد عميرة نموذجا)**»، ص. 60.

لنخلص أن أولاد اخلف هي تسمية لأحد القبائل العربية التي كانت تستوطن هذه المجالات منذ ما قبل استقرار العطاويين به[223]، والملاحظ أن القصور الثلاثة وإن كانت قديمة البناء إلا أن تسميتها الجديدة ارتبطت بوصول العطاويين، ولا أدل على ذلك من وجود إشارات على تسميات ربما ترتبط بهذه القصور، وأهمها تسمية قصبة مولاي علي بن حماد، التي وردت في عدد من المصادر خصوصا عند حديثها عن مولاي عمر ، والمشاكل التي واجهها مع أهل هذا القصر المجاور لقصر إقامته[224].

5 ـ زَاوِيَّةْ أَوْفُوسْ: من قصور الرتب الأوسط وهي تنتمي إلى جماعة أوفوس، وتقع على بعد حوالي 7 كلم شرق مركز هذه الجماعة[225] في موقع شبه منعزل إلى جانب منطقة الحواسي[226]، في الضفة اليسرى لوادي زيز على بعد حوالي 32 كلم شمال مدينة أرفود[227]. عرفت قديما باسم مؤسسها مولاي عمر بن هاشم الذي أسس زاويته بهذه المنطقة التي سبق وأن تطرقنا لها في الجزء المتعلق بأهم زوايا الرتب، وأشرنا إلى أن المؤسس اشترى هذا المجال من قبيلة دخيسة العربية[228]، ورغم المشكل الذي واجهه في البداية بعد إقدام ابن عمه مولاي هاشم على شراء ماء هذه المنطقة من القبيلة المذكورة، إلا أنه مقابل الحصول على الماء منح هذا الأخير سرجا من الذهب الخالص فامتلك بذلك الأرض والماء[229]، وأقام زاويته بهدف خدمة الحجاج والعابرين، كما ترك هناك عددا من العبيد لأداء هذه المهمة، لكن خلال القرن 13هـ/19م عرفت المنطقة تحولا كبيرا بعد أن وصل إلى هذه الزاوية عدد مهم من حفدة الشيخ المؤسس، قادمين من مواطنهم القديمة بقصور أولاد عميرة وغيرها بعد وصول العطاويين لمجال ومناطق سكناهم وأراضيهم[230]، هكذا شرعوا في

---

[223]– نفسه، ص. 61.

[224]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 30./ الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص. 179.

[225]– الأوفوسي، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس**، ورقة 29.

[226]– جماعة أوفوس، **المخطط الجماعي للجماعة القروية أوفوس 2008م ـ 2010م**، ص. 12.

[227]– ابن العربي، **كتاب المغرب**، ص. 149.

[228]– هاشم بن أحمد، **القصيدة المنورة**، الورقة 86.

[229]– صوصي، «**زاوية مولاي عمر بن هاشم**»، ص. 76.

[230]– الزكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ص ص. 195، 196.

بناء قصر جامع لهم، فتضاعف سكان الزاوية، وقد حدد الرحالة بيرو في رحلته الاستكشافية في مطلع القرن العشرين عدد منازل المنطقة ب 120 منزلا[231]، ورغم هذا التحول استمرت المنطقة في أداء مهمة الضيافة رغم تراجع عدد العابرين لها، وتوقف مرور قوافل ركب الحجيج، لكن مع ذلك ظل اشعاعها مستمرا، كما رصد لنا ذلك الخالدي في سياق وصفه لرحلة السلطان مولاي الحسن الأول والتي مرت من زاوية أوفوس[232].

6 ـ أَوْفُوسْ المركز: يرجع تأسيسه للفترة الاستعمارية، ويدخل تأسيسه ضمن استراتيجية المحتل الفرنسي لبناء مراكز حضرية تشكل نواة لإعادة تنظيم الحياة الاقتصادية والإدارية بالمجالات الرئيسية بالمنطقة، على غرار ما فعله مثلا عند تأسس مركز قصر السوق (الرشيدية) بمجال مدغرة والخنك، ومركز أرفود بتيزيمي وعرب الصباح[233]، لكنه لم يرقى إلى مستوى هذين المركزين الأخيرين نظرا لتأخر تأسيسه، ولاستقرار المحتل عند محاولة تركيز وجوده بالرتب في البداية بثكنة أو قلعة كان قد أسسها منذ 1918م[234]، ليدير منها شؤون المنطقة وذلك إلى غاية فترة ثلاثينيات القرن العشرين، قبل أن ينتقل إلى المركز الحالي المجاور للأول، بعد إنشائه لعدد من المرافق والإدارات بهذا المركز، الذي غدا محجا لساكنة الرتب ككل، خاصة وأن الأسواق الأسبوعية الثلاث التي كانت تعقد بالزريكات نقلت إليه، وكذا استقر به المركز الصحي والمدرسة الابتدائية، إلى جانب أماكن سكنى الفرنسيين الذين كانوا يشرفون على تسيير المنطقة، فأقيمت دار لرئيس مكتب الشؤون الأهلية و غيرها من المرافق[235]. أما تسمية أوفوس فتعني باللغة الأمازيغية اليد مع تحريف بسيط. ووجه التسمية تنطبق على الشعبة التي تقع بها زاوية أوفوس، حيث يجدها الصاعد من واحة أرفود متجها إلى الرشيدية عن يمينه. و فيما قبل كانت أوفوس تطلق على قصر الزاوية الكائن وسط الشعبة المشار إليها التي تبعد عن مقر سوق واحة الرتب ببضع كيلومترات شرقا.

---

[231]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[232]- الخالدي، **أرجوزة في مراحل الرحلة**، الورقة 12. - Linarés, **Voyage au Tafilalet**, p. 45.

[233]– **Historique du Bataillon**. **Depuis la Mobilisation**, Pp. 30, 52.

[234]- Cdt. F. G, «**La Route du Tafilalet**. **LA Vallée du Ziz**», p. 2396.

[235]- الأوفوسي، **مادة أَوْفُوسْ**، معلمة المغرب، ج3، ص. 903.

ـ **الرتب الأسفل**: من أهم المناطق بالرتب وأعلاها كثافة من حيث عدد السكان، ويضم مجموعة من القصور التي يرجع بناؤها إلى فترات قديمة، كما يضم في الوقت نفسه قصورا أخرى حديثة التأسيس، ومن أهمها نذكر:

1 ـ **الرْبِيتْ**: من القصور القديمة، ويقع في الرتب الأسفل على الضفة اليسرى لواد زيز. وهو مكتظ بالسكان المنتمين لآيت امناصف، حيث بلغ عدد منازل هذا القصر في مطلع القرن العشرين حوالي 70 منزلا[236].ويبدو أن أدواره كانت مهمة في التجارة العابرة للمنطقة، مما جعل الباحث احدى في محاولة لتأصيل التسمية يرجعها إلى كلمة الربا، وذكر أن سكان هذا القصر من اليهود كانوا مشهورين بإقراض الناس أموالا بفوائد ربوية، ومن عملهم هذا اشتق اسم قصر ارْبِيتْ[237]. كما كان ارْبِيتْ من القصور الأولى التي استوطنها الشرفاء العلويين حسبما يوضحه الظهير الذي أصدره مولاي إسماعيل سنة1085هـ/ 1674م ويمنح فيه شرفاء ارْبيتْ التوقير والاحترام[238]. واشتهر هؤلاء الشرفاء بتعاطيهم للتجارة[239]، لكن مع السيطرة العطاوية تغيرت طبيعة التركيبة السكانية لهذا القصر بعد أن تقاسمت فروع العطاويين منازله وأراضيه.

2 ـ **سِيدِي عْلِي الكُومِي** (بالكاف المعقودة): قصر سكني استمد تسميته من الشيخ سيدي علي الكومي الذي عاش فيه خلال القرن 11هـ/ 17م،حيث كان مقصدا للعديد من طلبة العلم، مما زاد في شهرة هذه المنطقة، وبعد وفاة الشيخ الكومي تحول قبره إلى مزار للعديد من المريدين، ولازال إلى اليوم يقام به موسم سنوي، وهو مجاور لقصر اربيت لدرجة أن بعض المصادر حددت مكان دفن الشيخ الكومي بقصر اربيت[240].

---

[236]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[237]- احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 35.

[238]- انظر الملحق الوثائقي رقم 2، ص. 543.

[239]- أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 28.

[240]- الفاسي، **تحفة أهل الصدقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، ورقة. 23، 25.

3 . البْلاَغْمَة: من القصور القديمة التعمير بالرتب، ولاشك أن التسمية لها ارتباط بالقبائل العربية المعقلية التي وصلت إلى المجال واستقرت به[241]، وبعد ذلك بدأت تستقر به عدد من الأسر الشريفة من أولاد سيدي أبي حميد[242]، وكان هؤلاء الشرفاء على غرار اخوتهم وبني عمومتهم في القصور المجاورة يهتمون بتعاطي التجارة داخل المنطقة وخارجها مستفيدين من موقع قصر البلاغمة المتميز على الطريق التجارية الرابطة بين فاس وسجلماسة ومن هذه الأخيرة نحو السودان[243]. لكن الأمر سرعان ما تغير بهذا القصر بعد استقرار العطاويين به ليشكلوا غالبية ساكنته، خاصة بعد أن غادره سكانه العرب السابقين إلى مناطق داخل المجال وخارجه، كما يتضح من الرسائل المتبادلة بين السلاطين وعمالهم على الإقليم[244].

4 ـ الزْرِيكَاتْ: الزريكات تنطق بالكاف المعقودة عند عموم ساكنة الرتب، لكنها كتبت عند البعض باسم الدريقات[245]، ونجد بعض المصادر تكتبها بصيغة الجمع "الزريقات"، باستخدام حرف القاف بدل الكاف المعقودة أو بصيغة المفرد أي الزريقة بالتاء المربوطة[246]، لكن أصحاب هذه الكتابات هم من أبناء المنطقة، وبعضهم من العلماء والفقهاء في اللغة، وتكرار ورودها في أكثر من مصدر بهذه الصيغة يجعلنا نتساءل، هل الزريقات بصيغة الجمع هي تطور للكلمة انطلاقا من الاسم المفرد؟ ثم أليس من الممكن أن يكون سكانها الأوائل من العرب الزرق الذين كانوا يتواجدون بالمغرب؟ كما ذكر مرمول عند حديثه عن المدينة التي أسمها "تافلالت" بقوله، «**تتاخم تفلالت صحراء الظهرة، أما الطريق الرابطة بينها وبين فاس، فإنها تمر عبر جبال الأطلس الكبير، كان كل من أعراب أولاد سليم والأعراب الزرق يتقاسمون سيطرتهم عليها**

---

[241]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

[242]– أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 114 ./ الفضيلي **الدرر البهية**، ج 1، ص. 114.

[243]– محمد الزكي بن هاشم، **الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء**، م خ ح، رقم 10904، ورقة 26./ أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، ص. 114 .

[244]– الوثائق الملكية، سجل19114، بتاريخ غرة ربيع الثاني، 1263هـ/ 1847م.

[245]– السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج2، ص. 27.

[246]– التهامي، **أرجوزة في الفروع العلوية**، ورقة 11.

فيما مضى حتى أنهم تمكنوا من تنصيب حاكم عليها من جانبهم»[247]، وهذا يشير إلى تردد قبيلة الأعراب الزرق على هذه المنطقة، ومن غير المستبعد أن تكون بعض الفروع أو العناصر من هذه القبيلة قد استوطنت هذه المنطقة، ومن ثم طغى اسم القبيلة عليها فحملت تسميتها بصيغة الجمع وسميت بالزريقات، على غرار باقي القبائل العربية الأخرى التي سميت قصور إقامتها باسمها، مثل قصري البلاغمة والبطاطحة والجرامنة، في حين يذهب البعض إلى افتراض أن يكون للتسمية علاقة بالخوارج المنتمين لمذهب الأزارقة، رغم أن مؤسسي الإمارة المدرارية هم من الخوارج الصفرية، ونسجل ملاحظة أخرى تتعلق بما ذكره رولفس من كون نساء الزريكات كن يرتدين "حايك" لونه أزرق[248]، مما يجعلنا نتساءل عن سبب اختيار هذا اللون وعلاقته بتسمية القصر. أما أهل الزريكات فيربطون تسمية منطقتهم بِبِرَكِ ماء لونها أزرق، مما جعلهم يشيرون لها بالزرقاء أو الزريقات، وتطورت التسمية لتلائم نطقهم فتحولت إلى الزريكات.

وقد تردد ذكر المنطقة في أكثر من مصدر بأنها أعظم بلد بالرتب كما في مخطوط مطالع الزهراء[249]. غير أن ما يجب أخذه بعين الاعتبار هو أن الزريقات بدورها في واقع الأمر عبارة عن مجموعة من القصور المتجاورة منها: القنطرة، أولاد ناصر، الحارة، الرحبة، القصبة. وتضم كلها عناصر متنوعة: عرب، شرفاء، مرابطين، حراطين، أمازيغ، كما كانت موطن تجارة منطقة الرتب، ففيها كانت تعقد أسواق المنطقة الثلاث لأيام الأحد والثلاثاء والخميس، قبل أن يتم نقلها إلى أوفوس مع مجيء المحتل، إلى جانب وقوف الرحالة الأجانب على ما امتازت به الزريكات من استقرار عدد من الأسر اليهودية، وتوفرها على عدد من المسلحين[250]، والجدير بالذكر أن تسمية الزريقات ليست خاصة بهذه الساكنة في المغرب، بل إننا نجد مجموعة من القبائل والأسر تحمل هذه التسمية نفسها خاصة بفلسطين والأردن وغيرهما.

---

[247]- مارمول، **إفريقيا**،ج3، ص. 156، 157.

[248]- Rohlfs, «**Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs**», p. 250.

[249]- الزاكي، **مطالع الزهراء**، م خ ح، رقم 148، ورقة 171.

[250]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

5 ـ البْطَاطْحَة: هو من قصور الرتب الأسفل القديمة التعمير بالمنطقة، يقع قرب الزاوية القديمة، استوطنته عدد من القبائل العربية المنتمية إلى فروع قبيلة ذوي منصور المعقلية[251]، وسمي في بعض المصادر باسم لَبْطَطْحْ في اشارة إلى المنطقة التي أقام فيها الولي الصالح أحمد ابن عبد الصادق قبل بناء هذا الأخير لزاويته[252]، مما حدى ببعض المصادر لتحديد مكان دفنه بهذا القصر[253]، وقد عرفت البطاطحة تحولا مهما بعد أن تغيرت ساكنته جذريا عند وصول العطاويين وهجرة أفراد قبيلة البطاطحة العربية، فاستوطنته فروع آيت مناصف خاصة من الحواطيش وبلغ عدد منازل القصر على ما ذكر بيرو حوالي 60 منزلا مع مطلع القرن العشرين[254]. وبحكم موقعه هذا في سافلة الرتب، كثيرا ما عانى من ندرة المياه بسبب السدود التي كانت تقيمها قصور العالية، وهو ما أدخل هذا القصر في الكثير من الصراعات[255]. ونظرا لتفرق سكانه من العرب فإننا نجد شبيها لهذه التسمية في بعض المناطق كما هو الحال بالنسبة لقصبة البطاطحة بمدينة فاس[256].

6 ـ الزَّاوْيَة القْدِيمَة: يرجع تأسيسها إلى القرن 11هـ/ 17م على يد الولي الصالح أحمد بن عبد الصادق، الذي اتخذها موطنا لسكناه، ولتعليم طلبته بعد استقراره بالمنطقة، فتحولت إلى زاوية مشهورة استقبلت العديد من موردي الشيخ ابن عبد الصادق وأبنائه وحفدته[257]، وبعد ذلك ونتيجة لكثرة سكانها بنى أحد هؤلاء الحفدة قصرا جديدا حمل تسمية الزاوية الجديدة، وكان القصر يضم في مطلع القرن العشرين حوالي 120 منزلا يقطن به العطاويون من آيت مناصف وعدد من حفدة الشيخ المؤسس[258]، لكن قصر الزاوية القديمة لم يعد له اليوم وجود بعد أن آتى فيضان واد

---

[251]– احدى، **أعراف الجنوب المغربي**، ص. 76.

[252]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، 12579، ورقة 25، 26.

[253]– الفاسي، **تحفة أهل الصدقية**، ورقة. 23، 25./ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج1، ص. 140.

[254]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

[255]– ابن المصطفى، **فتح القدوس**، م خ ح، ص. 48.

[256]– لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج1، ص. 236.

[257]– الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 28.

[258]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

زيز المدمر سنة 1965م على القصر كله، لينتقل سكانه ويبنوا مساكن لهم بدعم من الدولة بمحاذة الطريق الوطنية رقم 13[259].

7 ـ الزَّاوْيَة الجْدِيدَة: يقع قصر الزاوية الجديدة بجماعة الرتب بإقليم الرشيدية، على بعد ما يناهز 10 كلم من مركز قيادة أوفوس[260]، وهو عبارة عن تجمع سكاني جديد، أسسه الشيخ المهدي بن عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصادق السجلماسي الرتبي في أواخر القرن 12هـ/ 18م ويقع على الضفة اليمنى لواد زيز بالرتب[261]، أما على مستوى الشكل الهندسي فيتخذ القصر شكلا مربعا يتوسطه الزقاق الرئيسي الذي يصطلح عليه "المحج" الممتد من الشرق إلى الغرب، والذي تتفرع عنه عشر أزقة متعامدة معه، خمسة إلى الشمال وخمسة إلى الجنوب[262]،

8 ـ المْعَارْكَة: يقع هذا القصر على الضفة اليمنى لوادي زيز بالرتب الأسفل، يحده شرقا قصر البلاغمة، وغربا جبل المعاركة (أفردو الزريكات)، وشمالا قصر تَمْعَارْكِيتْ، وجنوبا قصر الزاوية الجديدة. وهو بموقعه هذا ينتمي إلى تافيلالت الكبرى، التي بنى فيها السلطان مولاي إسماعيل عددا من القصور المهمة، ومن بينها قصر المعاركة الذي أنشأه لإيواء ابنه مولاي الشريف، ثم أبي فارس ومولاي المامون من بعدهما، ويذهب البعض إلى أن بناء هذا القصر بهذه المنطقة من الرتب يدل على أن قصور المنطقة كانت آمنة ومسالمة للدولة العلوية، ولربما اختار العلويون موقع هذا القصر بالقرب من حرم الزاوية الصادقية المعروفة بحيادها واضطلاعها بمهمة الصلح[263].

أما سبب التسمية فالكلمة ترتبط بالمفهوم العسكري أو المواجهة، مما جعل أغلب الروايات فيما يخص هذه التسمية تنحصر في رأيين الأول يذهب إلى القول بأن اسم القصر اشتق من

---

[259]– الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 29.

[260]– عبد الواحد مهداوي الصادقي، «التنظيم العمراني والمعماري بقصور المغرب الشرقي قصر الزاوية الصادقية نموذجا». "**مجلة المناهل**"، العدد 98، ملف العدد، مدن وحواضر مغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2020م، ص. 235.

[261]– الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 44.

[262]– مهداوي، «**التنظيم العمراني والمعماري بقصور المغرب الشرقي**»، ص. 237.

[263]–الصادقي ومهداوي، **الزاوية الصادقية**، ص. 74.

المعارك الفقهية التي كانت تحدث بين أتباع بعض الزوايا في مسجد القصر، أما الرأي الثاني فيذهب إلى أن المكان الذي أقيم فيه القصر كان منطقة للصراع وتصفية الحسابات بين القصور المتجاورة[264]. ومن خلال الشواهد التي مازالت قائمة بنى القصر على مساحة واسعة[265]، واعتمدت في ذلك تقنيات ومواد جعلت هذا القصر يشكل نموذجا لروعة الفن العلوي المغربي وللعمارة الدفاعية كما يظهر من أبراجه المرتفعة وسوره الضخم[266] الذي حدد كايي عرضه ما بين 12 و14 قدما وذلك أثناء زيارته له سنة 1828م[267]، أما عند باب القصر الرئيسي فأول ما يسترعي انتباهك هو وجود كتابة في أعلى الباب، كتبت على الزليج وتضمنت أبيات شعرية وإشارات ضمنية إلى تاريخ بناء القصر، الذي يرجع إلى سنة1134هـ/ 1721م في عهد السلطان مولاي إسماعيل. وهذا نص تلك الأبيات[268]:

يَا نَاظِرًا هَذَا البِنَاءِ العَجِيبْ قِفْ وَسَلْ المَوْلَى الكَرِيمَ المجِيبْ

يَكْلَأُ مَوْلاَنَا الشَّرِيفُ كَمَا أَثَابَهُ فَضْلاً فَأَوْفَى نَصِيبْ

جَعَلَهُ فِي الخَيْرِ مَسْتَعْمَلاً وَخَصّهُ حَقاً بِقَلْبٍ مُنِيبْ

ابْنُ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ الَّذِي لَهُ المزَايَا وَالجَنَبُ الرَّحِيبْ

مَوْلَانَا إِسْمَاعِيلْ دَامَ لَهُ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ

شَيَّدَهُ فِي **شَمَمْ نَاجْ** وَالسَّعْدُ يَخْدُمُهُ وَعَيْشٌ خَصِيبْ[269].

---

[264]- عمراوي، **قصر المعاركة التاريخ والعمران**، ص. 14، 15. أنظر تصميم هذا القصر في الملحق الوثائقي رقم 16، ص. 562.

[265]- تاوشيخت، «**القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت**»، ص ص. 125، 126.

[266]- أنظر تصميم هذا القصر في الملحق الوثائقي رقم 16، ص. 562.

[267]- Caillié, **Journal d'un voyage à Temboctou**, p. 93.

[268]- Abd Elkader Chlkhoune, **Epigraphie monumentale des oratoires et palais du Sud-Est Marocain (15 -18 Siècles)** Thèse de doctorat en histoire de l'Art, Université de Toulouse le Mirail U.F.R, d'histoire, histoire de l'Art et Archéologie, 1995, Pp. 171-177

[269]- تاوشيخت، «**القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت**»، ص. 127.

هذه القصيدة إلى جانب أنها تضمنت معلومات عن مؤسس القصر ومدحته كما مدحت ابنه، فهي تضمنت أيضا في بيتها السادس كلمات هي عبارة عن ألغاز، يحتاج فكها إلى ضرورة الاعتماد على الطريقة التقليدية لحلها، انطلاقا من مقابل كل حرف من الحروف الأبجدية وعدد السنوات التي يمثلها وهي تقنية عرفت بحمارة الحساب أو حساب الجمل التي كانت معتمدة في عهد السلطان مولاي إسماعيل، كما يوضح ذلك الجدول التالي:

الجدول رقم 31: طريقة تحويل الحروف الأبجدية إلى سنوات بالتاريخ الهجري.

أ = 1	ب=2	ج=3	د=4	هـ=5	و=6	ز=7	ح=8	ط=9	ي=10
ك=20	ل=30	م=40	ن=50	ص=60	ع=70	ف=80	ض=90	ق=100	
ر=200	س=300	ت=400	ث=500	خ=600	ذ=700	ظ=800	غ= 900	ش=1000	

ولتحويل كلمة **شمم ناج** الواردة بالقصيدة إلى السنة التي توافقها نقوم بالعمليات التالية:

ش	م	م	ن	أ	ج
1000 سنة	40 سنة	40 سنة	50 سنة	1سنة	3 سنوات

وبجمع السنوات المحصل عليها نجد: **1721م/1134هـ** = 3 + 1 + 3 + 50 + 40 + 40 + 1000

9 ـ تَمْعَارْكِيتْ/ تَمْعَرْكِيتْ: من القصور الرتبية المهمة بالمجال ويبدو أن تسميته هي تصغير لاسم قصر المعاركة المجاور له، وحسب معظم الروايات فهذا القصر أقيم بهدف استقرار بعض الأمراء الذين كانوا يقيمون بقصر المعاركة على غرار أولاد الأمير مولاي سليمان وغيرهم، ليسكن إلى جانبهم العطاويون من آيت امناصف بعد سيطرتهم على معظم قصور الرتب[270].

[270]- Berriou, «**Notes sur l'Oued Ziz**», p. 127.

10- الدْوِيرَة: هو آخر قصور الرتب جنوبا، باتجاه منطقة إيردي، أما في شمالها فيوجد قصر الزاوية الجديدة، ويقع هذا القصر على الضفة اليسرى لواد زيز، لكن تسمية الدويرة لا تقتصر على الرتب فقط، بل يوجد مثيل لها في مناطق أخرى من المجالات الواحية المغربية منها درعة وغيرها[271]. واشتهر هذا القصر وزاد إعماره وعمرانه بفضل استقرار مولاي هاشم بن الشريف ـ شقيق سلاطين الدولة العلوية الثلاثة الأوائل ـ وأولاده وحفدته به[272]، ولم تظهر تسمية الدويرة إلا في العصر الحديث، بينما ظل في العصر الوسيط محسوبا على المجال الجغرافي للرتب ككل[273]، أما بناء قصر الدويرة القديم فكان على يسار ضفة وادي زيز.

وبالبحث عن الدلالة الاسمية للكلمة نجد أن "الدْوِيرَة" بتسكين الدال وفتح الراء هي تصغير لكلمة الدار، أي المنزل الصغير[274]. وقد تعددت الروايات حول هذه التسمية، حيث ترجع بعض الروايات ظهورها إلى القرن 11هـ/17م، حينما دخل مولاي هاشم بن الشريف إلى مجالها الجغرافي فارا من يهودي كان يريد قتله[275]، وفي رواية أخرى أنه جاء راحلا من قصر "أولاد ليمام"[276] ليستقر بهذه الأرض، فوجد بها رجلا اسمه سيدي موسى بن ميمون كان يشتغل راعيا للغنم، وعند علمه أنه من آل البيت استقبله أحسن استقبال، وآواه عنده، فلما رأى فيه الرجل الشجاع والعارف بما بينه وبين ربه زوجه بابنته، فأعطاه دارا صغيرة هي "دار البقر" ليسكن فيها، فتم إطلاق تسمية الدويرة على هذا المكان الذي تحول فيما بعد إلى قصر[277]. وفي رواية أخرى كان يسمى القصر ب "القصبة" ولم يكن بها معمار ولا منازل سوى دارا كانت تسمى بدار البقر،

---

[271]- بلبكري، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية**، ص. 53.

[272]- السلمي، **الاشراف على بعض من بفاس**، ج2، ص. 27./ محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، ص. 298,

[273]- الهاشمي، **قصر الدويرة**، ص. 18.

[274]- نفسه، ص. 38.

[275]- نفسه.

[276]- **أولاد ليمام**: أو الإمام أحد قصور جماعة بني أمحمد التابعة لقيادة الريصاني ويقع في الشمال بين قصر تاحسنونت وقصير الجير بالجماعة نفسها.

[277]- الهاشمي، **قصر الدويرة**، ص. 39.

فاستبدلت الناس تسمية القصبة بالدار ثم الدويرة فيما بعد للدلالة على صغر حجمها، وهذه الدار ـ حسب بعض الروايات ـ هي نفسها الزاوية التي تضم اليوم الرفات الطاهر لمولاي هاشم بن الشريف[278].

نخلص في هذا الفصل إلى التأكد على العلاقة المتلازمة بين الانسان الرتبي والأرض ودوره في توسيعها، وصراعه من أجل استغلالها وتوفير حاجياتها الضرورية من الموارد المائية اللازمة لها، حتى يتمكن من تلبية متطلباته المتزايدة من المواد الغذائية الضرورية، كما تبين لنا من خلال ما أوردناه في هذا الفصل تعدد القصور الرتبية، وبعض أبرز المعطيات المتعلقة ببنائها وتسميتها وتاريخها، وهو ما أظهر لنا مدى غنى وتنوع التراث المعماري بالرتب، الأمر الذي يفرض ضرورة الحفاظ عليه، وتكثيف البحث في مكوناته ومميزاته وخصائصه.

[278]- الهاشمي، **قصر الدويرة**، ص. 39.

خاتمـــــــــــــــــة

تميزت منطقة تافيلالت الكبرى بحضورها القوي في معظم المحطات البارزة من تاريخ بلادنا، ولم تغب أدوارها ومساهمات قبائلها وأبنائها في عدد من الأحداث التي صنع بعضها دولا عدة حكمت المغرب أو أجزاء منه، وهذا ما فرض ضرورة الغوص في تاريخ هذا المجال ومختلف المناطق التي تشكله، خاصة تلك التي أغفلت أو لم تنل حظها في عدد من الدراسات والأبحاث التي حاولت البحث في تاريخ هذا المجال ومنها مجال الرتب/ أوفوس.

ومن كل ما تم التطرق له في مختلف أبواب وفصول هذا البحث؛ نخلص إلى أن المجال الذي خصصنا بحثنا للنبش في تاريخه والوقوف على خصائصه ومميزاته، ساعدنا كثيرا في فهم واقع وخريطة مجال الرتب، وفي التعرف على بنياته الاجتماعية. كما مكنتنا بعض الوثائق والمخطوطات على قلتها وصعوبة الحصول عليها، من الوقوف على ما ميز مجال الرتب/ أوفوس من خصوصيات طبيعية منحته طابعا مميزا وفريدا بين المجالات المحيطة به، نظرا لانحصار استقرار سكانه في ضفتي واد زيز، وكأنه في مجال منغلق، عكس باقي المجالات التي تنفتح على محيطها. كما عرفنا أن مناخ الرتب ورغم تماهيه في كثير من الخصائص مع مناخ المنطقة العام، إلا أنه يمتاز بنوع من الاختلاف الذي يحمل من جهة ميزات تجعله أقل حدة وتطرفا من المجالات الأخرى خاصة في فصل الصيف، لكنه بالمقابل يعرف نوعا من الرطوبة المفرطة أحيانا، مما يتسبب في فساد تمور المنطقة وضعف جودتها، نظرا لضعف مدة التشميس والتي تبقى غير كافية في فصل الشتاء نظرا لكثافة وتقارب أشجار النخيل وهو ما ينتج عنه تظليل للأراضي وللأشجار النخيل الأقل طولا.

أما فيما يخص موقع الرتب فقد كان للمعطيات الطبيعية دور أساسي في هذا التحديد خصوصا في القسمين الشمالي والجنوبي، مع ما سجلناه من كون معظم الدراسات خلطت بين الاستقرار السكاني بجوار ضفتي الواد، وبين الموقع الذي يشغله المجال ككل، إذ ركز أغلبها على تحديد المجال تبعا للمعطى الأول.

تسمية الرتب كانت أيضا من القضايا التي تطرقنا إليها من خلال استعراضنا لعدد من الآراء حول معنى الكلمة ودلالاتها، وما يرتبط بها من تسميات عُرفت بها المنطقة في مختلف المحطات التاريخية، واستنتجنا مدى التنوع وعدم الاتفاق في تعريف كلمة الرتب، لكننا رجحنا ارتباطها بالمهمة التي كانت تقوم بها بعض العناصر البشرية لاستخلاص حقوق المرور والضرائب بهذه المنطقة منذ العصر المريني.

حاولنا كذلك التأصيل لساكنة المجال بالبحث عن مكوناتها، وكذا ظروف قدومها واستقرارها بالمنطقة، فضلا عن محاولتنا تقديم صورة عن توزيعها بتحديد مجالات الاختلاط، وكذا المجالات أو القصور التي طغت فيها عناصر على عناصر أخرى، دون أن نغفل أيضا رصد مظاهر التحول الذي عرفته التركيبة السكانية للرتب عموما وبعض القصور بشكل خاص خلال مختلف الفترات والمحطات التي عرف فيها المجال تحرك أو استقرار بعض المكونات القبلية الجديدة، وما كان لكل ذلك من أثر عليها.

أما فيما يتعلق بالشق التاريخي والسياسي، فعملنا على توضيح وفهم الظروف التي انتجت هذا المجال بساكنته، من خلال البحث عن جذور هذا التعمير وخلفياته، وخلصنا إلى أن تعمير الرتب يرجع أساسا إلى الحقبة المرينية، لكن الفترات اللاحقة شهدت تزايد أعددها، مما أهلها للمساهمة في صنع أحدات المنطقة وتاريخها، خصوصا في المرحلة العلوية؛ التي كانت بحق فترة تحولات متلاحقة ومتسارعة، عانى فيها سكان الرتب من صراعات مختلفة، كانوا جزءا منها وأحد المكونات الفاعلة فيها منذ بداية تأسيس الدولة العلوية، ثم أصبحوا ضحيتها نتيجة ضعف الدولة وتصاعد الاستهداف والصراع القبلي حول مناطق الموارد ٱتصادية الضرورية، الذي وصل منطقة الرتب، مع وصول العطاويين إلى هذا المجال، وتحكمهم فيه وبسط سيادتهم عليه وعلى من بقي من ساكنيه، وهو ما جعلنا ونحن نبحث في تاريخ هذا الأخير نرصد تحولات جذرية، سواء على مستوى الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو في طبيعة العلاقات التي ربطت بين العناصر المستقرة والمتنقلة بالمجال مع محيطه.

من جهة أخرى بينا كيف تعاطى السلاطين العلويون مع منطقة الرتب وشؤونها، وأبرزنا جوانب من العلاقات التي كانت لهم مع هذا المجال، ومختلف تدخلاتهم به سواء العسكرية منها أو العمرانية أوالاجتماعية أو الإقتصادية، وحاولنا استقصاء أبرز المعالم التي تؤرخ لهذه العلاقة من خلال الآثار المادية ممثلتا في قصر المعاركة مثلا، أو من خلال عدد من الرسائل السلطانية والمخزنية ذات الصلة بالرتب وأهله وشؤونه، فضلا عن عدد من أبناء السلاطين العلويين وحفدتهم الذين استقروا بالرتب بشكل مؤقت أو دائم.

مكننا البحث في موضوع الرتب كذلك من تتبع بعض الكتابات الأجنبية التي توالت خلال القرن 19م وأوائل القرن العشرين لمستكشفين وجواسيس، حيث كانت منطقة الرتب من المجالات التي قدموا عنها تقاريرهم، التي ضمت بين طياتها عددا من المعلومات عن الخصائص الطبيعية والعلاقات القبلية، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والشؤون الحربية، وغيرها من المعلومات، التي وفرت لنا مواد موثقة عن واقع المنطقة خلال تلك المراحل، وهي المواد التي حاولنا استنطاقها ومقاربتها من أجل معرفة مدى مطابقتها لما هو معروف، أو ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية لعدد من السكان، مع محاولتنا الالتزام بالحذر عند اعتماد هذه المعلومات بالنظر إلى الخلفيات الاستعمارية التي تحكمت فيما كتبوه ووثقوه.

وبما أن هدف هذه المواد التي كتبها أولئك الأجانب كان هو توفير معلومات استخباراتية لبلدانهم عن تلك المناطق التي استهدفوها بعملهم، فقد أفردنا في هذا البحث أيضا محاور أساسية عن مرحلة ما قبل الاحتلال الأجنبي للمنطقة وبعدها، حاولنا من خلال ذلك تلمس كيفية تعاطي ساكنة المنطقة مع تهديدات المحتل لهم، وحجم المقاومة التي أبدوها عند وصوله إليهم، ثم أبرز التطورات العسكرية التي شهدتها على امتداد المرحلة الاستعمارية، إلى جانب تحديد جوانب من التغييرات التي رافقت دخول وسيطرت المحتل على هذا المجال وأهله.

لم تغب مظاهر الحياة العلمية والدينية التي ميزت المنطقة عن اهتمامنا، من خلال عملنا على معرفة أهم وأبرز علمائها وأوليائها من خلال التعريف بهم أولا، ثم جرد أبرز انتاجاتهم، مع الإشارة إلى بعض من ذكرتهم المصادر، لكن المعلومات التي تم التوصل إليها عنهم تبقى محدودة وتحتاج إلى مزيد من البحث، في المتون والمظان خاصة المخطوطة منها والتي لازالت لم تنل حظها من التحقيق والتدقيق.

تطرقنا كذلك إلى بعض القضايا الفقهية الخاصة التي أظهرت تميز منطقة الرتب عن محيطها، كما وضحنا دور ومكانة بعض الزوايا ممن كانت ولا زالت لها شهرة داخل الرتب وخارجه. قبل أن تتقلص أدوارها وتتورى مع مجيء المحتل الفرنسي الذي استغل التنوع العرقي الذي ميز ساكنة الرتب، وأقر نظامين تشريعيين للتحكيم بين الناس أولهما القضاء الشرعي الذي تولى أمره فقهاء وعلماء بالمنطقة، وقضاء عرفي تميزت منطقة الرتب بأسبقيتها في تفعيله، بعد تأسيس أول محكمة عرفية بتافيلالت والتي كان مقرها مركز أوفوس.

في الوقت نفسه عمد المستعمر إلى إدخال تغيرات أخرى بالمجال ككل، عبر توطين عدد من المؤسسات الخدماتية بالمركز الجديد أوفوس، المحدث منذ وقت مبكر، مثل مصلحة الشون الأهلية، المحكمة العرفية، البريد، المركز الصحي، المدرسة الابتدائية، فضلا عن توطين المصالح الاقتصادية بتنظيم الأسواق الأسبوعية الثلاثة بمركز أوفوس عوضا عن قصر الزريقات.

الواقع العمراني بالرتب بدوره حظي بجانب من اهتمامنا، نظرا لما ميز المجال من تعدد في معالم قصوره وتباين عادات وتقاليد سكانه، وهو ما انعكس على واقع العمران بالمنطقة، وجعل بعضها يتميز بخصائص فريدة سواء على مستوى التصميم أو الهندسة أو التنظيم وغير ذلك. فضلا عن سعينا لتقدم تعريف بكل قصر على حدى؛ بالبحث في تاريخه وخلفيات تأسيسه وسبب تسميته.

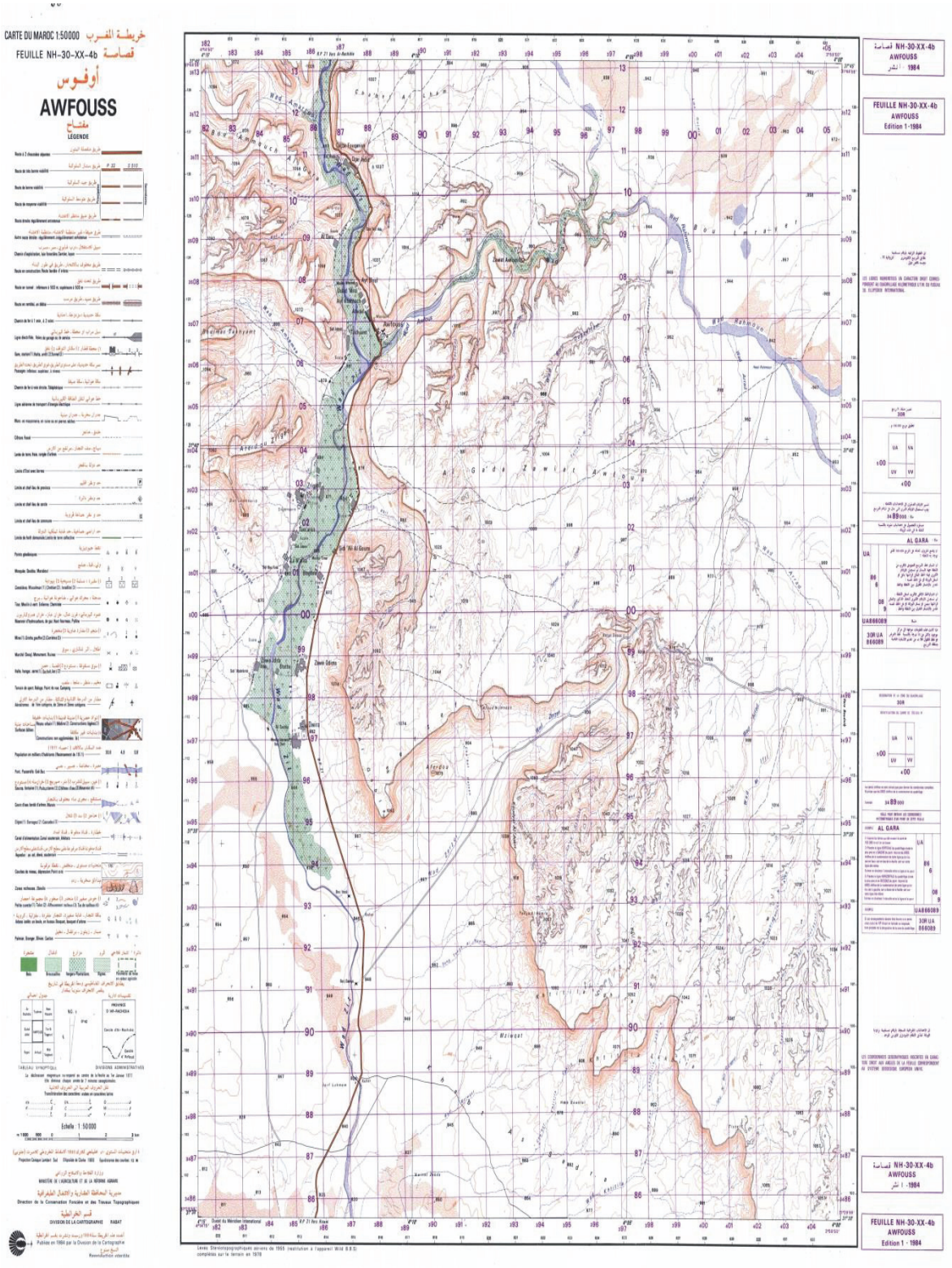
وبعد هذا كله وجب التأكيد على أن ما توصلنا إليه في عملنا هذا عن منطقة الرتب؛ لا يعدو أن يكون بداية لمزيد من البحث، وأن هذا العمل من شأنه أن يوفر أرضية للباحثين تحفز بعضهم

على التوجه لدراسة تاريخ قصور المنطقة الرتبية وساكنتها، بعدما كان غياب مصادر ومراجع خاصة بالمنطقة يدفع الباحثين، حتى من أبنائها، إلى تلمس مواضيع عن مناطق أخرى بعيدة لتوفرها على رصيد من الإنتاج العلمي والمعرفي عكس منطقة الرتب. وبقدر ما واجهتنا صعوبات جمة في الحصول على وثائق من عدد من المؤسسات الرسمية، إلا أن أهل المنطقة لا يدخرون جهدا في تقديم العون لكل باحث في تاريخ منطقتهم، وهذا من شأنهم أن يحفز الباحثين لمزيد من البحث في تاريخ المنطقة وساكنتها، خصوصا أنها مازالت منطقة خصبة لإنتاجات عملية في حقول معرفية عدة.

والله ولي التوفيق

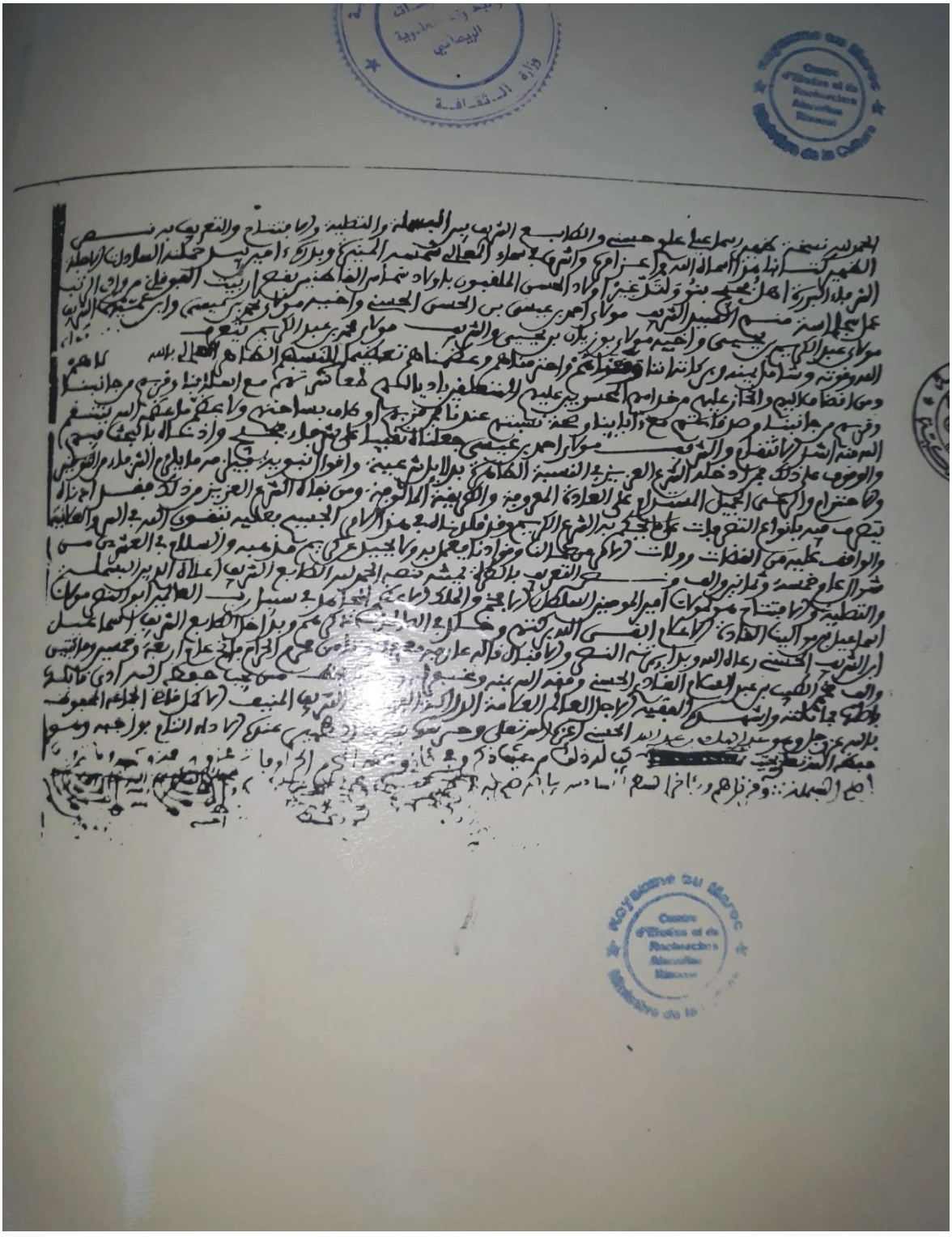
الملاحق

الملحق رقم1: خريطة مجال الرتب / أوفوس الطبيعية[1].



[1] - Carte du Maroc, 1:50000, Feuille NH-30-XX-4b, Aoufous. Edition, 1984.

الملحق رقم 2: ظهير السلطان مولاي إسماعيل لفائدة شرفاء كانوا ينتمون لقصر اربيت بالرتب الأسفل[2].

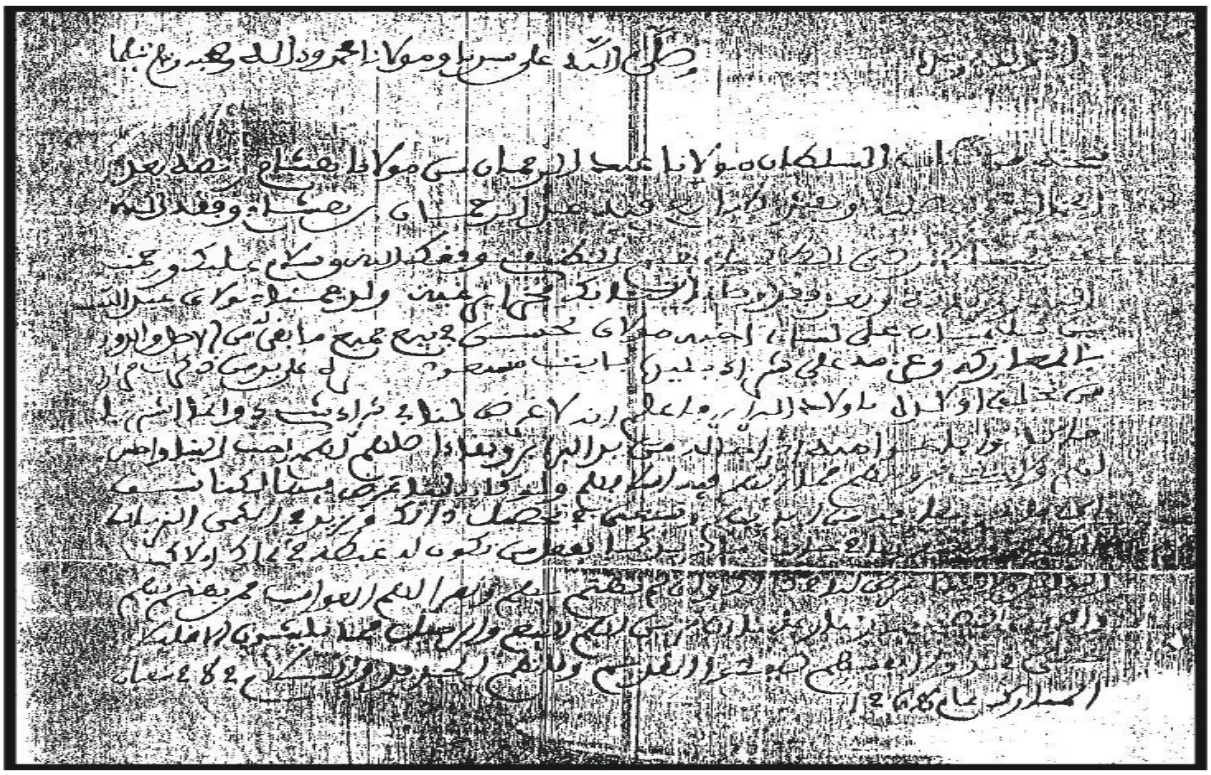


[2]– مديرية الوثائق الملكية، نسخة من ظهير سلطاني إسماعلي بتاريخ 1085هـ/ 1675م.

نص الظهير بالخط الاداري:

الحمد لله نسخة ظهير إسماعيلي علوي حسني والطابع الشريف بعد البسملة والتصلية والافتتاح والتعريف به نص الظهير كتابنا من اسماه الله وأعز أمره وأشرق في سماء المعالي شمسه المنيرة وبرره ءآمين حمله السادات الآجلة الشرفاء البررة أهل فجيج بنو ولتدغير أولاد الحسن الملقبون بأولاد شماس القاطنين بقصر اربيت الفوقاني من واد الرتب عمل سجلماسة منهم السيد الشريف مولاي احمد بن عيسى بن الحسن الحسني واخيه مولاي محمد بن عيسى وابن عميهما الشريف مولا عبد الكريم بن يحي واخيه مولاي بوزيان بن يحيى والشريف البركة مولاي محمد بن عبد الكريم (...) الله وقوته وشامل بمنه وبركاته اننا وقرناهم واحترمناهم وعظمناهم تعظيما لنسبهم الطاهر العالي بالله (...) ومن اتفاق اليهم وانحاز عليهم من خدامهم المحسوبين عليهم المتعلقين بأذيالهم معاشرتهم مع اسلافنا وقربهم من جانبنا وصدقاتهم مع ءابآئنا وصحة نسبهم عندنا فمن قربهم أو طاف بساحتهم ولا عظم ما عظمه الله ينتقم الله منه أشد الانتقام والشريف مولاي أحمد بن عيسى جعلناه نقيبا على شرفاء فجيج وأذناه بالبحث فيهم والوقوف على ذلك فمن أخله الشرع العزيز في النسبة الطاهرة بدلائل شرعية وأقوال نبوية فيلزمه ما يلزم الشرفاء من التوقير والاحترام والرعي الجميل المستدام على العادة المعروفة والطريقة المألوفة ومن نجاه الشرع العزيز من ذلك فقد ادناه يتصرف فيه بأنواع التصرفات على ما يحكم به الشرع الكريم وقد قلدناه في هذا الأمر الجسيم فعليه بتقوى الله في السر والعلانية والواقف عليه من القضاة وولاة الأمر من عمالنا وقوادنا يعمل به ولا يحيل عن كريم مذهبه والسلام في العشرين من شوال عام خمسة وثمانين والف ونص التعرف بالصرة (...) نصه الحمد لله الطابع الشريف أعلاه الدين البسملة والتصلية والافتتاح هو الموقع أمير المؤمنين السلطان الفخم اسماعيل بن موالينا القادة الأعلام ابقى الله بركتهم وخلد في الصالحات ذكرهم وبداخل الطابع الشريف اسماعيل ابن الشريف الحسني رعاه الله وبدائرته النصر والاقبال قاله عارفه معرفا به ثامن محرم الحرام فاتح عام أربعة وخمسن ومائتين وألف محمد الطيب بن عبد السلام القادري الحسني وفقه الله بمنه وغفر له وبعده بخط من يجب حفظه الله ادى قابلها بأصلها فماثلته واشهده الفقيه الأجل العالم العلامة(...) الفهامة الشريف المنيف الأكمل قاضي الجماعة المحفوظة بالله عز وجل وهو عبد الملك بن عبد الله الحسني أعزه الله تعالى وحرسها بثبوت الظهير عند الاداء التام بواجبه وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفي ثاني وعشر المحرم الحرام.

الملحق رقم 3: رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى أحد عماله بخصوص شراء املاك ابن عمه بالمعاركة[3].



قراءة الوثيقة بالخط الإداري

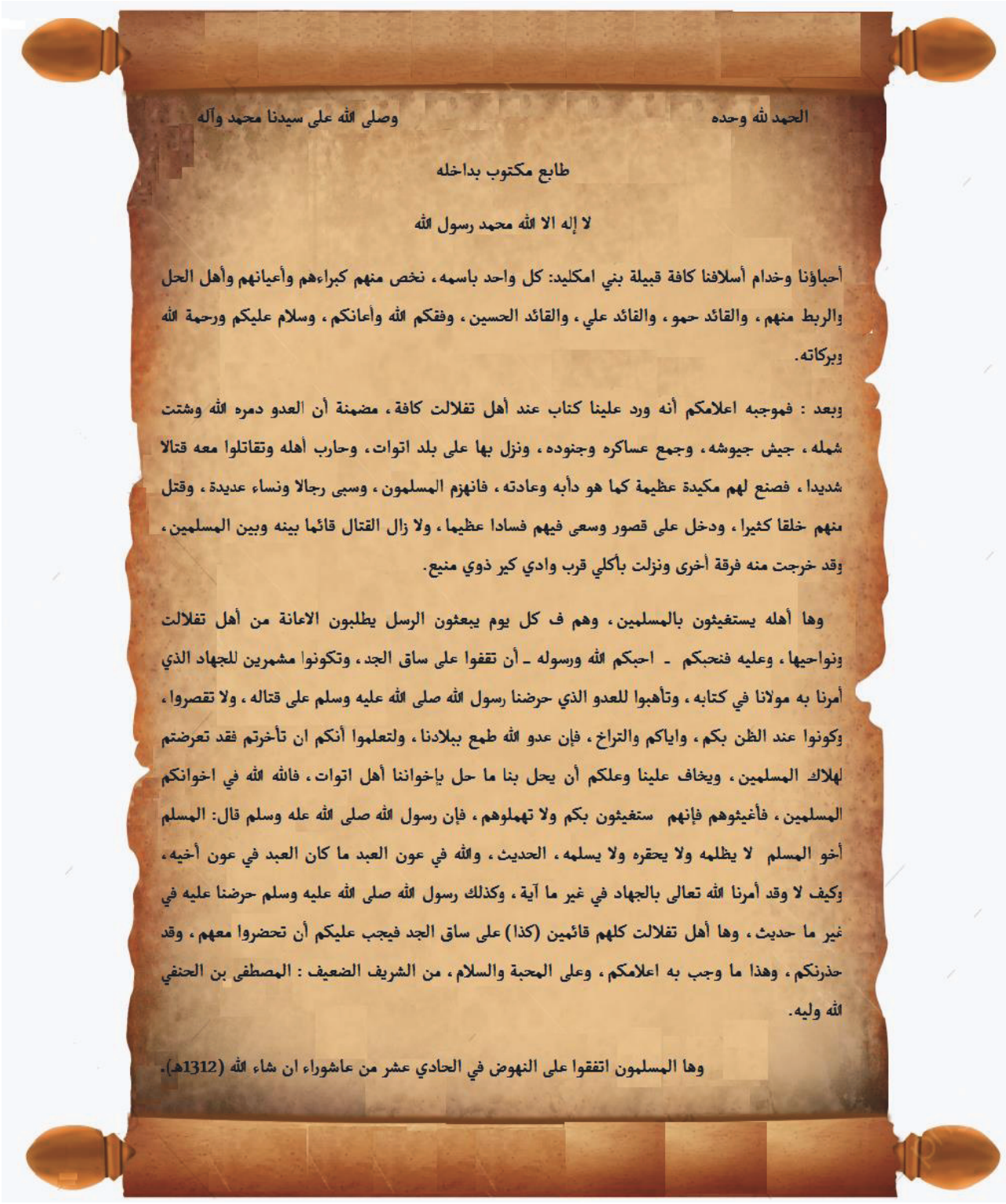
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واه وصحبه وسلم تسليما

نسخة من كتاب السلطان مولانا عبد الرحمان بن مولانا هشام ونصه بعد الحمد والتصلية ونقش طابع فيه عبد الرحمان بن هشام وفقه الله

خديمنا الأرضى الطالب إبراهيم النضيفي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا برغبة ولد عمنا مولاي عبد الله بن سليمان على لسان أخيه مولاي الحسن على بيع جميع ما تبقى له من الأصل والدور بالمعاركة وعزمه على شراء بليدة بآيت مسعود مدغرة على يد من ذكرت فرارا من تخلق أولاده بأولاد البرابر، فاعلم أنه لا غرض لنا في شراء شيء وإنما اشترينا ما كانوا باعوا منه إخراجا له من يد البرابر وبقاء أصلهم لهم أحب إلينا وأحسن لهم ولا ينبغي خروجهم مما تركهم فيه أسلافهم ولو كان لنا غرض فيها لكنا نسبق إلى ما يخرجها به من أيديهم ونسعى في تحصيل ذلك ونزيد في الثمن الزيادة الكثيرة ونعتبرها في جانب ما نريد كما يفعل من تكون له غبطة في تملك أملاك الناس ولا لنا ولا غرض لنا في ذلك وإن لم نتهم بهم ونقرأ لهم العواقب فمن يهتم بهم والدين النصيحة وعار علينا أن نزين لهم البيع والرحيل فيما يلبثون إلا القليل حتى يجدوا أنفسهم ضيعوا القديمة وفاتهم الجديد والسلام في 28 رمضان عام 1268هـ.

[3]- الحمداوي ، **منطقة الرتب في تاريخ تافيلالت الحديث**، ص. 56.

الملحق رقم 4: رسالة مولاي مصطفى بن الحنفي إلى قبيلة بني مكلد[4].



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طابع مكتوب بداخله

لا إله الا الله محمد رسول الله

أحباؤنا وخدام أسلافنا كافة قبيلة بني امكليد: كل واحد باسمه، نخص منهم كبراءهم وأعيانهم وأهل الحل والربط منهم، والقائد حمو، والقائد علي، والقائد الحسين، وفقكم الله وأعانكم، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فموجبه اعلامكم أنه ورد علينا كتاب عند أهل تفلالت كافة، مضمنة أن العدو دمره الله وشتت شمله، جيش جيوشه، وجمع عساكره وجنوده، ونزل بها على بلد اتوات، وحارب أهله وتقاتلوا معه قتالا شديدا، فصنع لهم مكيدة عظيمة كما هو دأبه وعادته، فانهزم المسلمون، وسبى رجالا ونساء عديدة، وقتل منهم خلقا كثيرا، ودخل على قصور وسعى فيهم فسادا عظيما، ولا زال القتال قائما بينه وبين المسلمين، وقد خرجت منه فرقة أخرى ونزلت بأكلي قرب وادي كير ذوي منيع.

وها أهله يستغيثون بالمسلمين، وهم ف كل يوم يبعثون الرسل يطلبون الاعانة من أهل تفلالت ونواحيها، وعليه فنحبكم - احبكم الله ورسوله - أن تقفوا على ساق الجد، وتكونوا مشمرين للجهاد الذي أمرنا به مولانا في كتابه، وتأهبوا للعدو الذي حرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتاله، ولا تقصروا، وكونوا عند الظن بكم، واياكم والتراخ، فإن عدو الله طمع ببلادنا، ولتعلموا أنكم ان تأخرتم فقد تعرضتم لهلاك المسلمين، ويخاف علينا وعلكم أن يحل بنا ما حل بإخواننا أهل اتوات، فالله الله في اخوانكم المسلمين، فأغيثوهم فإنهم ستغيثون بكم ولا تهملوهم، فإن رسول الله صلى الله عله وسلم قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه، الحديث، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وكيف لا وقد أمرنا الله تعالى بالجهاد في غير ما آية، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرضنا عليه في غير ما حديث، وها أهل تفلالت كلهم قائمين (كذا) على ساق الجد فيجب عليكم أن تحضروا معهم، وقد حذرنكم، وهذا ما وجب به اعلامكم، وعلى المحبة والسلام، من الشريف الضعيف : المصطفى بن الحنفي الله وليه.

وها المسلمون اتفقوا على النهوض في الحادي عشر من عاشوراء ان شاء الله (1312هـ).

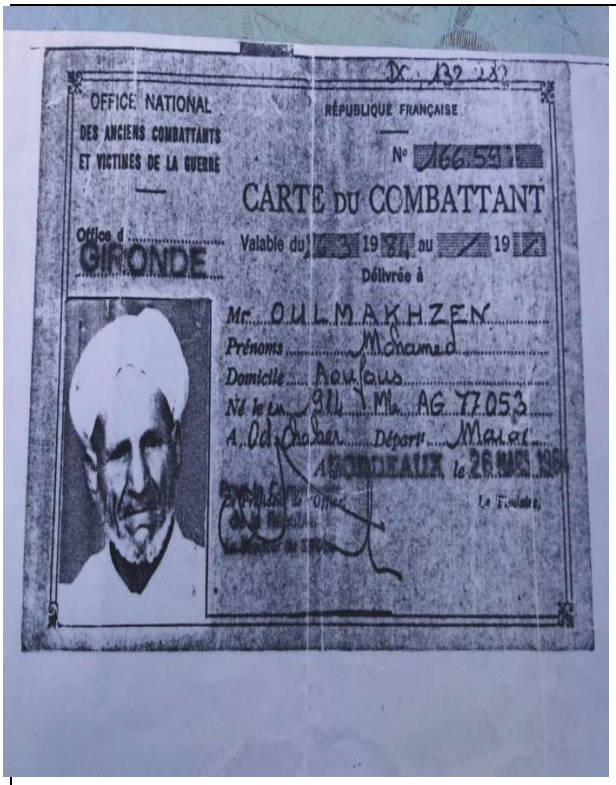
[4]- محمد المنوني، **يقظة المغرب**، ج1، ص ص. 353، 354. لابد من الإشارة إلى أن التاريخ الوارد في نص الرسالة والمحدد بسنة 1312هـ/ 1895م غير صحيح بل إن تاريخ الرسالة يرجع إلى سنة 1321هـ / 1903م.

الملحق رقم 5: صور لبعض أعضاء المقاومة وجيش التحرير بالمغرب من جماعة الرتب/ أوفوس [5].



[5] – التقطت هذه الصورة من إحدى اللوحات الجدارية المعروضة في متحف الذاكرة التاريخية للمقاومة وجيش التحرير بالرشيدية بتاريخ 3 أبريل 2019م.

الملحق رقم 6: نسخ وثائق عن محمد المخزن أحد أبناء الرتب الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية[6].


OFFICE NATIONAL
DES ANCIENS COMBATTANTS
ET VICTIMES DE LA GUERRE

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

CARTE DU COMBATTANT

Office d GIRONDE

Valable du 19 au 19

Délivrée à

Mr OULMAKHZEN

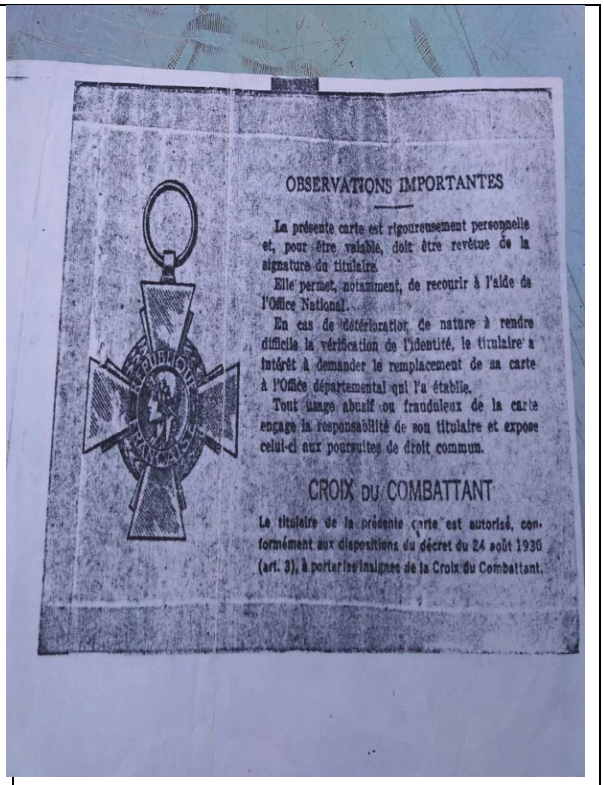
Prénoms Mohamed

Domicile Aoufous

Né le en 91[illegible] Ma AG 17.053

A Od Chaïr Départ Maroc

BORDEAUX, le 26 MARS 1964


OBSERVATIONS IMPORTANTES

La présente carte est rigoureusement personnelle et, pour être valable, doit être revêtue de la signature du titulaire.

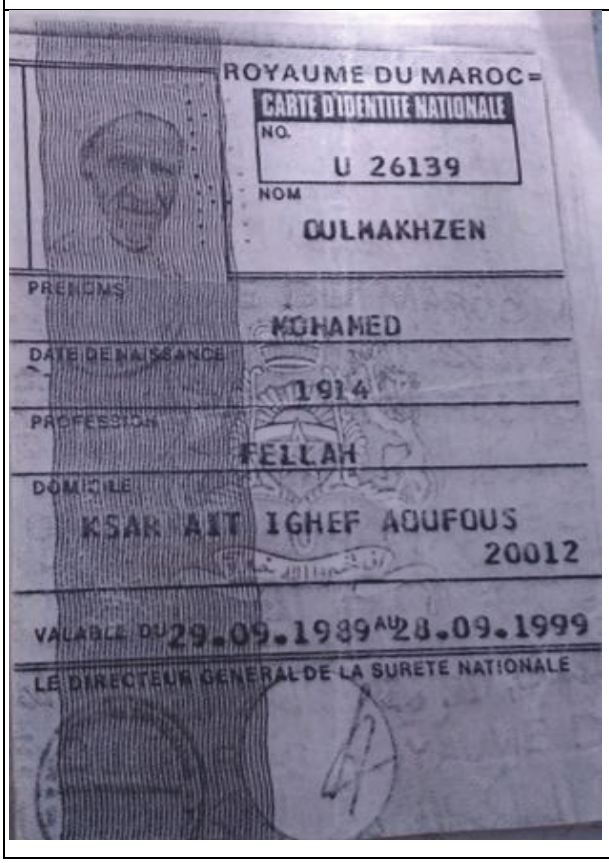
Elle permet, notamment, de recourir à l'aide de l'Office National.

En cas de détérioration de nature à rendre difficile la vérification de l'identité, le titulaire a intérêt à demander le remplacement de sa carte à l'Office départemental qui l'a établie.

Tout usage abusif ou frauduleux de la carte engage la responsabilité de son titulaire et expose celui-ci aux poursuites de droit commun.

CROIX DU COMBATTANT

Le titulaire de la présente carte est autorisé, conformément aux dispositions du décret du 24 août 1930 (art. 3), à porter les insignes de la Croix du Combattant.


ROYAUME DU MAROC

CARTE D'IDENTITE NATIONALE

NO. U 26139

NOM OULMAKHZEN

PRENOMS MOHAMED

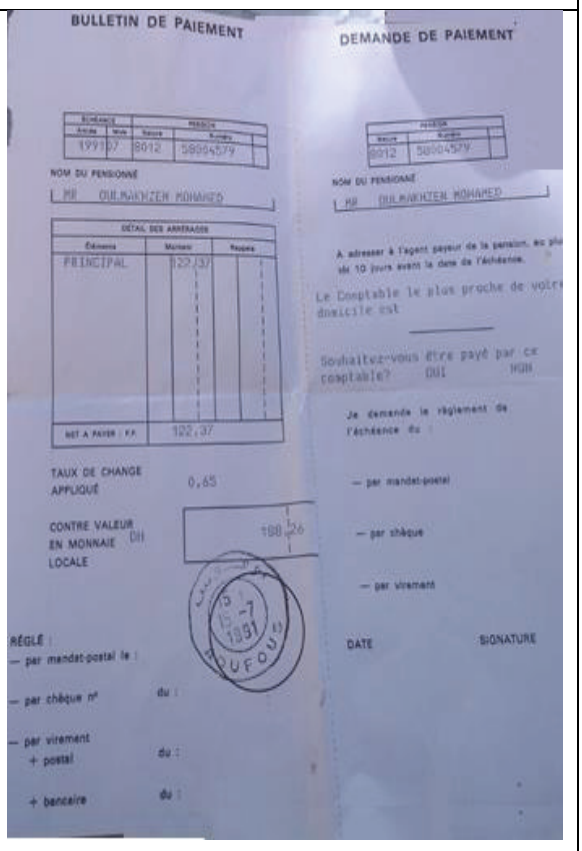
DATE DE NAISSANCE 1914

PROFESSION FELLAH

DOMICILE KSAR AIT IGHEF AOUFOUS 20012

VALABLE DU 29.09.1989 AU 28.09.1999

LE DIRECTEUR GENERAL DE LA SURETE NATIONALE


BULLETIN DE PAIEMENT

DEMANDE DE PAIEMENT

NOM DU PENSIONNÉ MR OULMAKHZEN MOHAMED

DÉTAIL DES ARRÉRAGES

PRINCIPAL 122,37

NET A PAYER : FF 122,37

TAUX DE CHANGE APPLIQUÉ 0,65

CONTRE VALEUR EN MONNAIE LOCALE DH 188,26

RÉGLÉ :

— par mandat-postal le :

— par chèque n° du :

— par virement

+ postal du :

+ bancaire du :

NOM DU PENSIONNÉ MR OULMAKHZEN MOHAMED

A adresser à l'agent payeur de la pension, au plus tôt 10 jours avant la date de l'échéance.

Le Comptable le plus proche de votre domicile est

Souhaitez-vous être payé par ce comptable? OUI NON

Je demande le règlement de l'échéance du :

— par mandat-postal

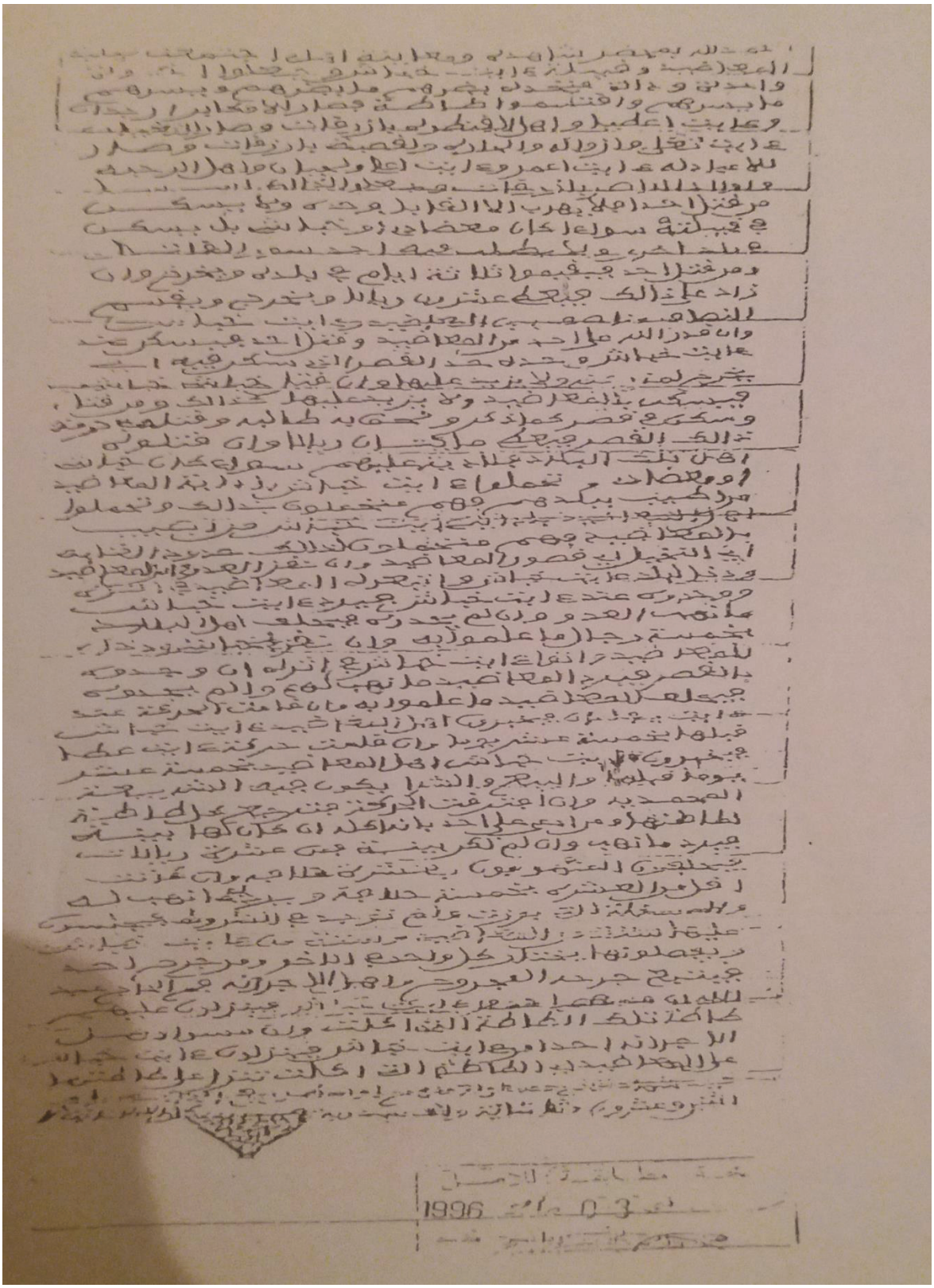
— par chèque

— par virement

DATE SIGNATURE

[6] – وثائق خاصة، في ملكية يوسف المخزن ابن المعني بهذه الوثائق والمقيم بأولاد شاكر بالرتب الأعلى.

الملحق رقم 7، نسخة من وثيقة الاتفاق بين قبيلة آيت عطا بالرتب وعرب الصباح بالمعاضيد[7].



[7]- الطايعي، **البنيات الزراعية والبنيات الاجتماعية**، ج 2، ص. 392.

نص الاتفاقية بالخط الإداري:

«الحمد لله بمحضر شاهده ومعاينة أهله، اجتمعت قبيلة المعاضيد وقبيلة آيت خباش، وجعلوا إخوة واحدة وعائلة متحدة يضرهم ما يضرهم ويسرهم ما يسرهم واقتسموا طاطة، فصار المْكَاْبْر(فرع من فروع قبيلة المعاضيد) لإزْجْدَالَنْ وآيت عطية وأهل القَنْطْرَةْ بالزيقات، وصار للتَّغْيَاْن(فرع من الفروع القبيلة بالمعاضيد) آيت تَغْلَةْ وازْوَالَةْ والجَارَةْ والقَصْبَةْ بازرقات وصار للعْبَادْلَةْ(فرع من فروع قبلية بالمعاضيد) آيت عَمْرْ وآيْتْ عْلي وإلْحْيَانْ وأهْلْ الرَّحْبَةْ وَأَوْلَادْ النَّاصْرْ بالزريقات وجعلوا لذلك أساسا:

ـ من قتل أحد فلا يهرب إلا القاتل وحده ولا يسكن في قبيلته سواء كان معضادي أو خباشي بل يسكن في بلد آخر، ولا يطلب فيه أحد سوى القاتل.

ـ ومن قتل أحدا فيقيموا ثلاثة أيام في بلده ويخرج وإن زاد على ذلك فيعطي عشرون ريالا ويخرج ويقسم النصاف نصفا بين المعاضيد وآيت خباش.

ـ وإن قدر الله على أحد من المعاضيد وقتل أحدا فيسكن عند آيت خباش وحده حد القصر الذي يسكن فيه أي يخرج لمزرعته ولا يزيد عليها. وإن قتل خباشي خباشي فيسكن بالمعاضيد ولا يزيد عليها كذلك.

ـ ومن قتل وسكن في القصر كما ذكر لحق به طالبه وقتله في حرمة ذلك القصر، فيعطي مئتان ريالا وإن قتلوه أهل تلك البلاد فلا دية عليهم سواء كان خباشي أو معضادي، وتحملوا آيت خباش آيت المعاضيد وتحملوا آيت المعاضيد آيت خباش من أصيب ببلدهم فهم متحملون بذلك حدود الغابة أي النخيل أي قصور المعاضيد.

ـ وإن نقز العدو من آيت المعاضيد ودخل لبلد آيت خباش واتبعوه المعاضيد أثره ووجدوه عند آيت خباش فيرد آيت خباش من نهب العدو وإن لم يجدوه فيحلف أهل البلاد بخمسة رجال ما علموا به، وإن نقز الخباشي ودخل بالقصر فيرد المعاضيد ما نهب لهم وإن لم يجدوه فيحلف المعاضيد ما علموا به.

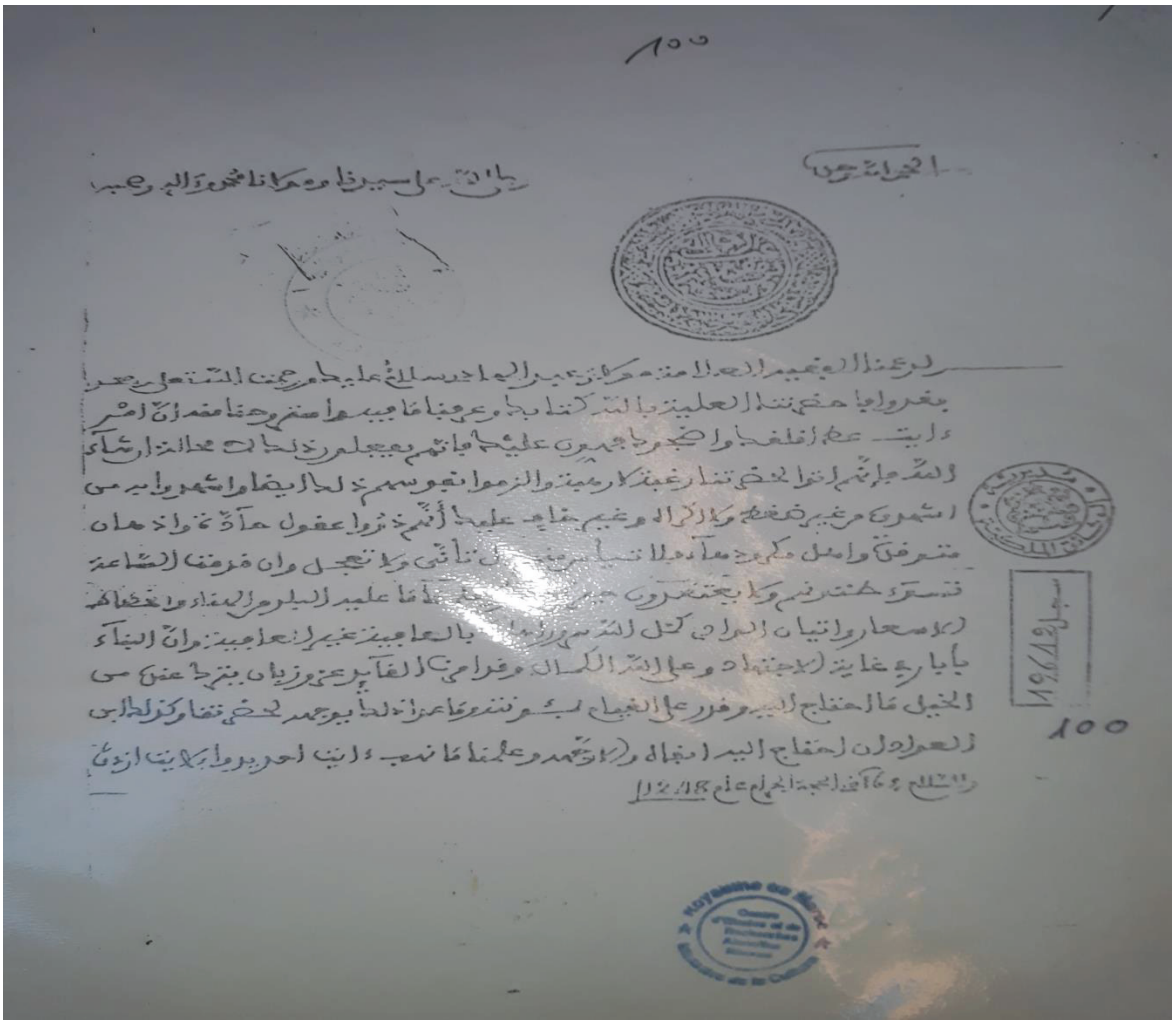
ـ وإن قامت الحركة عند آيت يفلمان فيخبرون أهل المعاضيد آيت خباش بخمسة عشرة يوما، وإن قامت حركة آيت عطا فيخبرون آيت خباش أهل المعاضيد بخمسة عشر يوما قبلها. والبيع والشراء يكون فيه الشريعة المحمدية وإن افترقت الحركة فترجع كل طاطة لطاطتها.

ـ ومن ادعى على أحد بأنه أكله فإن كان له بينة فيحلفون المنهوبون بعشرة حلافة وإن كان أقل من العشرة بخمسة حلافة ويرد له ما نهب له.

ـ والمسألة التي برزت ولم توجد في الشروط فيجلسون عليها ستة من المعاضيد وستة من آيت خباش ويفصلونها يختار كل واحد في الآخر ومن جرح أحد فيتبع جرحه المجروح وأهل الاجرانة عم الحاج عبد الله إن مسهما أحد من آيت خباش فينزلون عليهم طاطة تلك الطاطة التي أكلت وإن مسوا لأهل الأجرانة أحدا من آيت خباش فينزلون آيت خباش على المعاضيد أي الطاطة التي أكلت تنزل على طاطتها.

في شهادة من جمعوا منهم أوائل ربيع الثاني عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف عبد ربه (الامضاء كان الله له أمين»

الملحق رقم 8: رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى القاضي عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشاكري[8].



نص الرسالة بالخط الاداري: ولد عمنا سلام عليك ورحمة الله تعالى وبعد، فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما فيه،(...) إن أمر ءايت عط اقلقك وأضجرك فهون عليك، فإنهم يفعلون ذلك لا محالة إن شاء الله، فانهم أتوا لحضرتنا رغبة لا رهبة وألزموا نفوسهم ذلك أيضا وأشهدوا به من أشهدوا من غير ضغط ولا اكراه، وغير خاف عليك أنهم ذووا عقول حادة وأذهان متدفقة وأهل مكر ودهاء، فلا تيأس منهم بل تأنى ولا تعجل وإن قدمت الساعة تسوء ظنونهم ولا يعتقدون خيرا بعد، وعلمنا ما عليه البلد من الهناء وانحطاط الأسعار وإتيان الوادي كمل الله سرور أهلها بالعافية غير العافية، وأن البناء بأبار في غاية الاجتهاد وعلى الله الكمال وقد أمرنا القائد عزوز بأن يترك عنده من الخيل ما احتاج إليه وقرر على القيام بمؤنته وما عدا ذلك وجهه لحضرتنا وكذلك ابن العداد ان احتاج إله انجاه وإلا وجهه وعلمنا ما نهب ايت حددو وأيت ازدك. والسلام في 16 ذي الحجة الحرام عام 1248.

[8]- الوثائق الملكية، سجل 19612، بتاريخ 16 ذي الحجة، 1248هـ/ 1833م.

الملحق رقم 9: نسخ من رسوم شراء السلطان مولاي عبد الرحمان لأملاك بالرتب الأسفل[9].

(رقم 1)



[9]- نموذج من أملاك المعاركة في عصر السلطان عبد الرحمان بن هشام(1238هـ ـ 1276هـ/ 1822م ـ 1859م)، عن الفترة الممتدة ما بين(1264هـ ـ 1273هـ/ 1848م ـ 1857م)" م خ ح، الكناشة رقم 23.

(رقم 2)



الملحق رقم 10: نماذج من عقود تقسيم التركة وبيع وشراء الأراضي بالرتب.

نموذج رقم 1: وصية أحد سكان الزريكات حول ممتلكاته سنة 1696م[10].



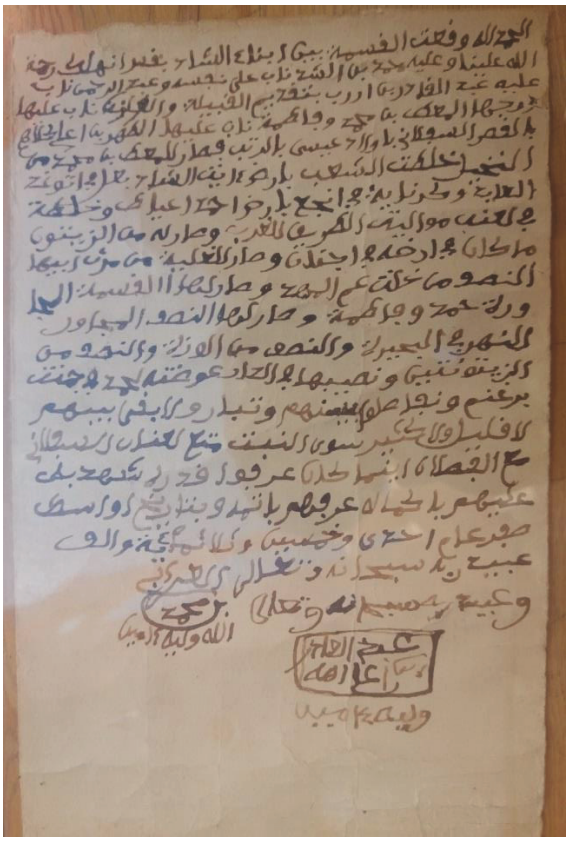
[10]- عمراوي، **قصر المعاركة**، ص. 134.

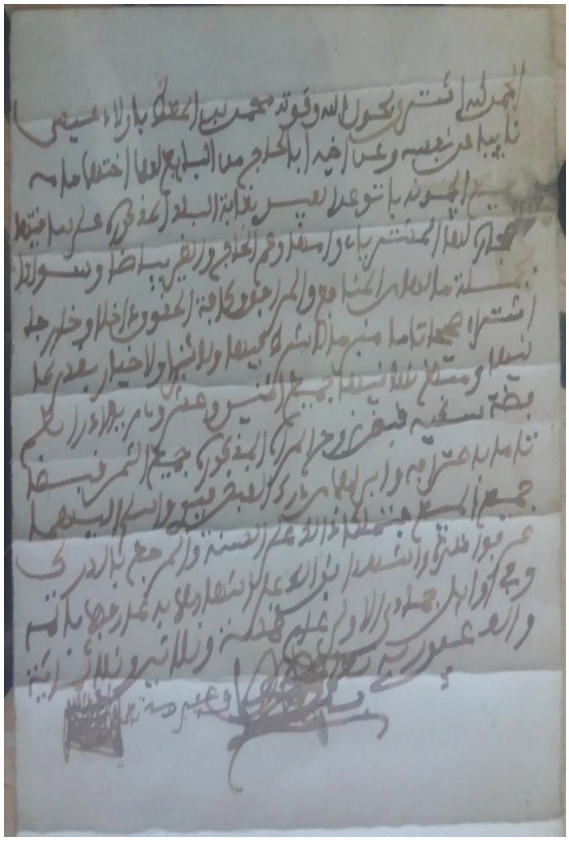
قراءة الوثيقة بالخط الإداري.

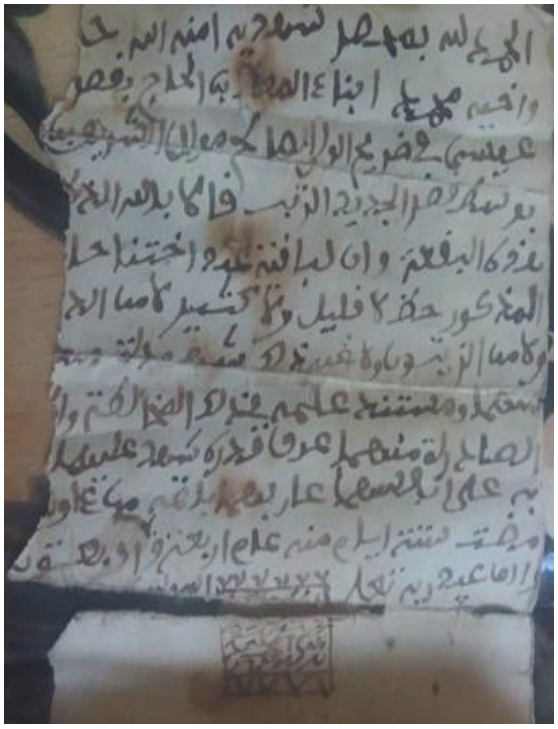
"الحمد لله، وهب عبد الله بن موسى الزريقي كل أبنائه الذكور دون الإناث، ثم على أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم، وهم عبد الرحمان الكابر في حجره وتحت ولاية نظره، وأحمد ومحمد البالغ في سنه المالك أمره نفسه، فمن ذلك جميع الملك المعروف عنهم بجنان فم القصر المشتمل على أرض ونخل وفسلان وأشجار قبليه زقاق شرقيه وأولاد عبد الكريم، وفيه ملك الطالب أحمد بن أبي الصغير مع ورثة محمد بن أكي غربيه ملك المكرم إبراهيم والغير ومع ذلك جميع الجنان الشهير باب يدير المشتمل على أرض ونخيل وفسلان قبيله زقاق مه ملك مسجد تخيمت، شرقيه زقاق وفيه ملك ورثة عبد الرحمان بن الغازي والغير وغربيه ملك العاجيين الغير، ومع ذلك جميع الملك الشهير بعريض قبليه ملك المكرم عبد الله بن المسعود شرقيه ساقية وفيه ملك السيد المحجوب بن عبد الكريم غربيه طريق ومع ذلك جميع الملك المعروف بالشمرة قبلها لك السيد عبد الحكيم بن أبي القاسم والغير شرقيها ملك المعلم أبي زيان بن العربي وفيها ملك الطالب عبد الرحمان بن الحاج غربيها ملك الشريف ومع ذلك رجلان من الماء الطالع بنوبة أولاد الغازي بالساقية القديمة ومع ذلك جميع رجل من الماء بنوبة أولاد عيسى ونصف رجل من ماء أولاد مومن ونصف رجل من النحلين بالساقية الجديدة ومع ذلك جميع الدار القائمة البناء سوى منها استثناه الواهب لسكناه فإن قدر الله بموته لحق بالهيبة الموجودة قبلها دار العاجين ودار أبي القاسم بن الحاج شرقيها دار السيد العربي بن عبد الكريم والسيد محمد بن زروق ومع الغير جنبها المسجد غربيها دار العاجيين ومع ذلك جميع الأرض البيضاء الشهيرة بالحجرة الكائنة بساقية الواد بالمزرعة قبلها ملك أولاد حمادي شرقيها ملك السيد العربي بن عبد الكريم بما اشتمل عليه ذلك من الأرض والنخيل والفسلان والأشجار الكائنة ذلك كله ببلد الزريقات بواد الرتب على سجلماسة ولبما ذلك من جملة المنافع والمرافق وكافة الحقوق داخلة وخارجة هبة (...) ذلك عن ماله (...) عن ملكه وصيره مالا وملكا للموهوب لهم قبل ذلك محمد بن الأب المذكور قبولا تاما وحاز لنفسه ولإخوانه بإسناد أبيه إليه ذلك وتوكيله عليه محازة تامة بمعاينة شهيديه بالطواف على ذلك موضعا موضعا بأرض الطوبة والجديدة كما يجب بذلك وجه الله العظيم وصلة الرحيم والله لا يضيع اجر من احسن عملا ولا يخيب لراجيه وناصره أملا وان من احتاجت من بنات صلبه تعيش مع إخوانها في الغلة فقط فإن هي استعانت بزوج أو غيره فلا شيء لها ولا لورثتها من بعدها عرفا قدره شهد به عليهما من أشهداه على انفسهما وعرف بهما وعرف ملكية الواهب لما وهب واستمرارها إلى عقد فيها هذه الهبة المذكورة وما بحال تم به الإشهاد أوائل رجب الفرد عام ثمان ومائة وألف عبد ربه ومحرره الحسن محمد اليماني لطف به الله أمين.

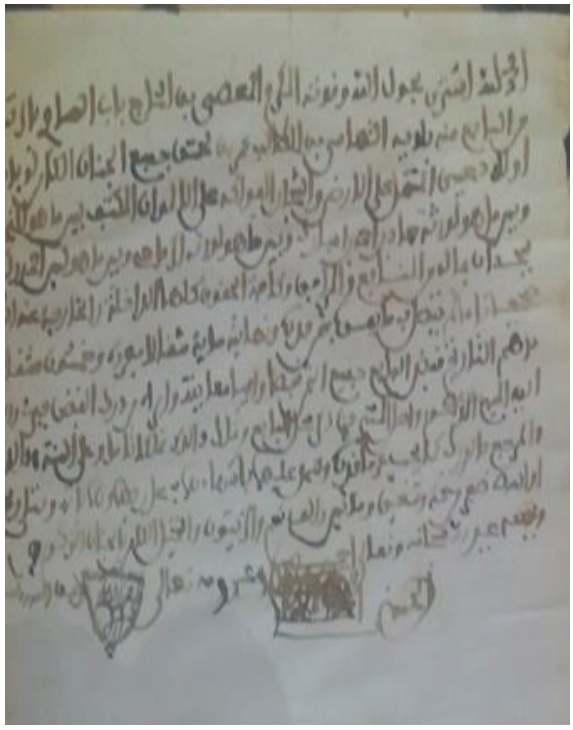
الحمد لله وحده واوقفنا المكرم محمد بن موسى على غلاة الملاك الموهوبة لهم من زرع وتمر مخزونة بيده أوائل ربيع النبوي صلى الله عليه وسلم عام تسع ومائة وألف عبيد ربه تعالى محرره الحسن بن محمد اليماني لطف به الله".

نموذج رقم 2: نسخ من عقود بيع وشراء بالرتب[11]









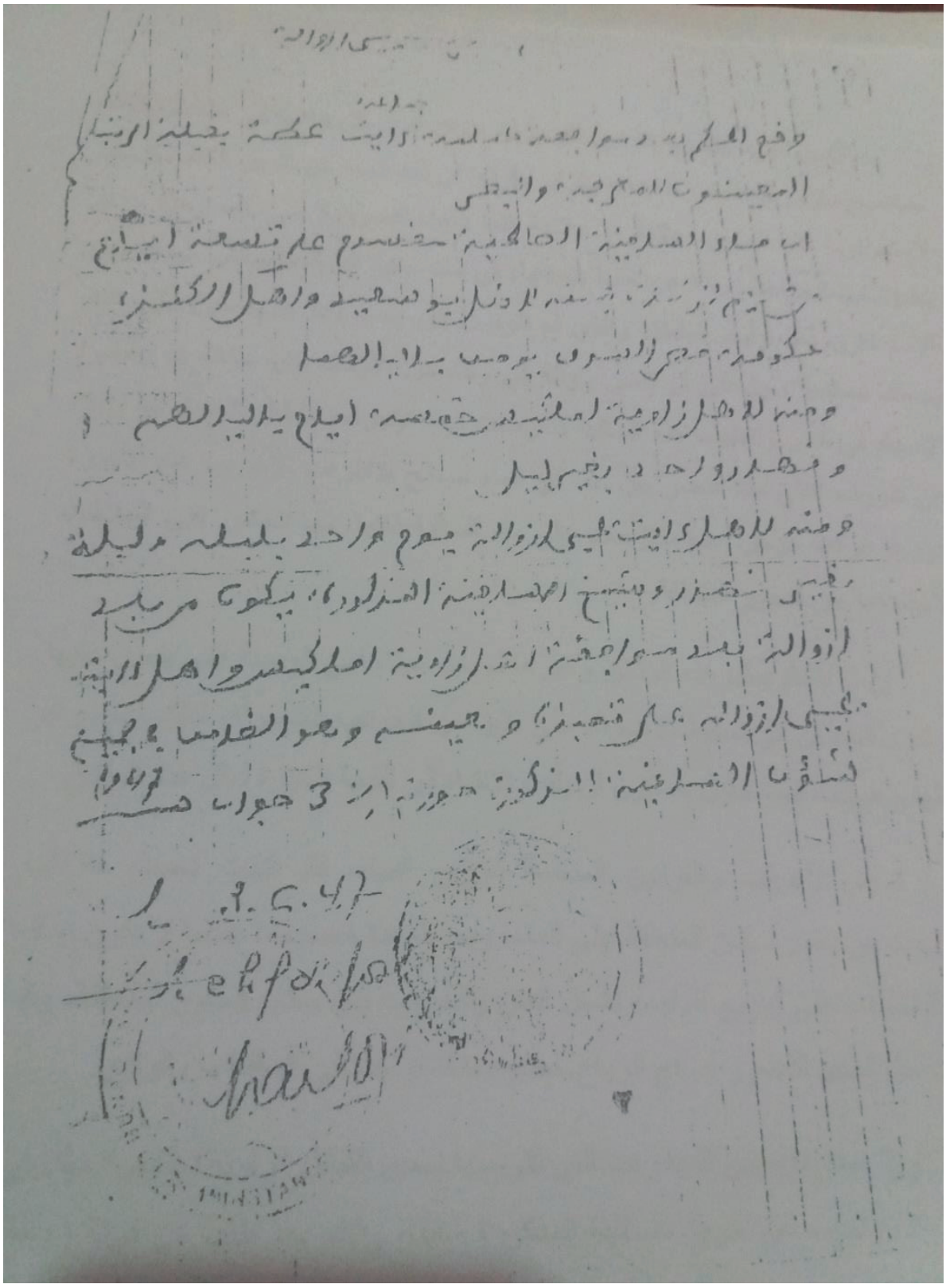
[11]– وثائق خاصة نستختها من مالكها.

الملحق رقم 11: نص اتفاقية تقسيم مياه الساقية المشتركة بين قصري الكارة وتاخيامت بالرتب الأسفل[12]

«احماد علي المختار والطالب السعيد الحسن بالبطاطحة وحماد أدها باربيت، واقتضى نظرهم ورأيهم في الحسم بين أهل الجارة وتخيمت المتنازعون في الساقية المشتركة بينهم وأنه لا تبقى بلا شيخ فيحكم عليها شيخ تخيمت ثلاثة أشهر، ومن الجارة يحكمها شيخ منهم ثلاثة أشهر، وحد الحكم حدود غابة أولاد عميرة وتخيمت إلى السد، ومن ترك بها أمقان يلزمه مثقالا، ومن ربطها بالتراب اليابس يلزمه ريالا وكل قبيلة، ويشتركون جميعا في أمر السد، والشيخ هو الذي يحكم في حفر الساقية والحفر للطين الجاري المجلوب، وحيث يُعْلِمُ الشيخ الخدمة فكل من تخلف يعطي مثقالا ويتداركوا خدمته التي فتته، وإن تضاربا اثنان في الساقية فيعطي كل من هما مثقالا، ومن قال مني للحق فيعطي ريالا، وأما السد فيشتركون في خدمته أولا بهم حتى يتخبط بالحجارة ويقسمونه أنصافا لخدمة الساقية، وأما الماء فهو انصافا لأهل تخيمت خمسة أيام سواء خاوية أو عامرة، ولأهل الجارة خمسة أيام كذلك الشيخ الذي كان أينما كان وما ينوب الساقية من الشعير في شرب هكوا يقتسمون أنصافا إن توافقوا على البيع مع أهل الزريقات، وإن اختلفوا معهم فيكسرونها امسمسة ويربطون عليها بعشرة ريال، وأهل تخيمت ضامنون في النصاف لأهل الجارة ولذلك شيخ الجارة، يشو وقسو وشيخ تخيمت الحسن نايت الحاجة وقبل ذلك ضياه في تاريخ أواخر المحرم فاتح أربعة وأربعين وثلاثة مئة وألف (يوليوز1925م) ثم إن الحكم وقع ممن ذك على من ذكر بأن حاكمهم وقتئذ الفسيان أغول ورفعت الشكوى لسيد افسيان[ ] على أن يشدد في سريقة الماء إن تمت بينهم فأقتضى نظره أن جعل بينهم كل من سرق الماء في أيام أهل تخيمت وأهل الجارة تلزمه أربعة ريال للفدان يعطيها على يده في اليد والنظر له بعد وكذلك من سرق الماء في أيام أهل الجارة من أهل تخمت مثل ذلك وقيده وثبته بينهم في نسختين 23 شعبان عام 1345هـ. (فبراير 1927م)».

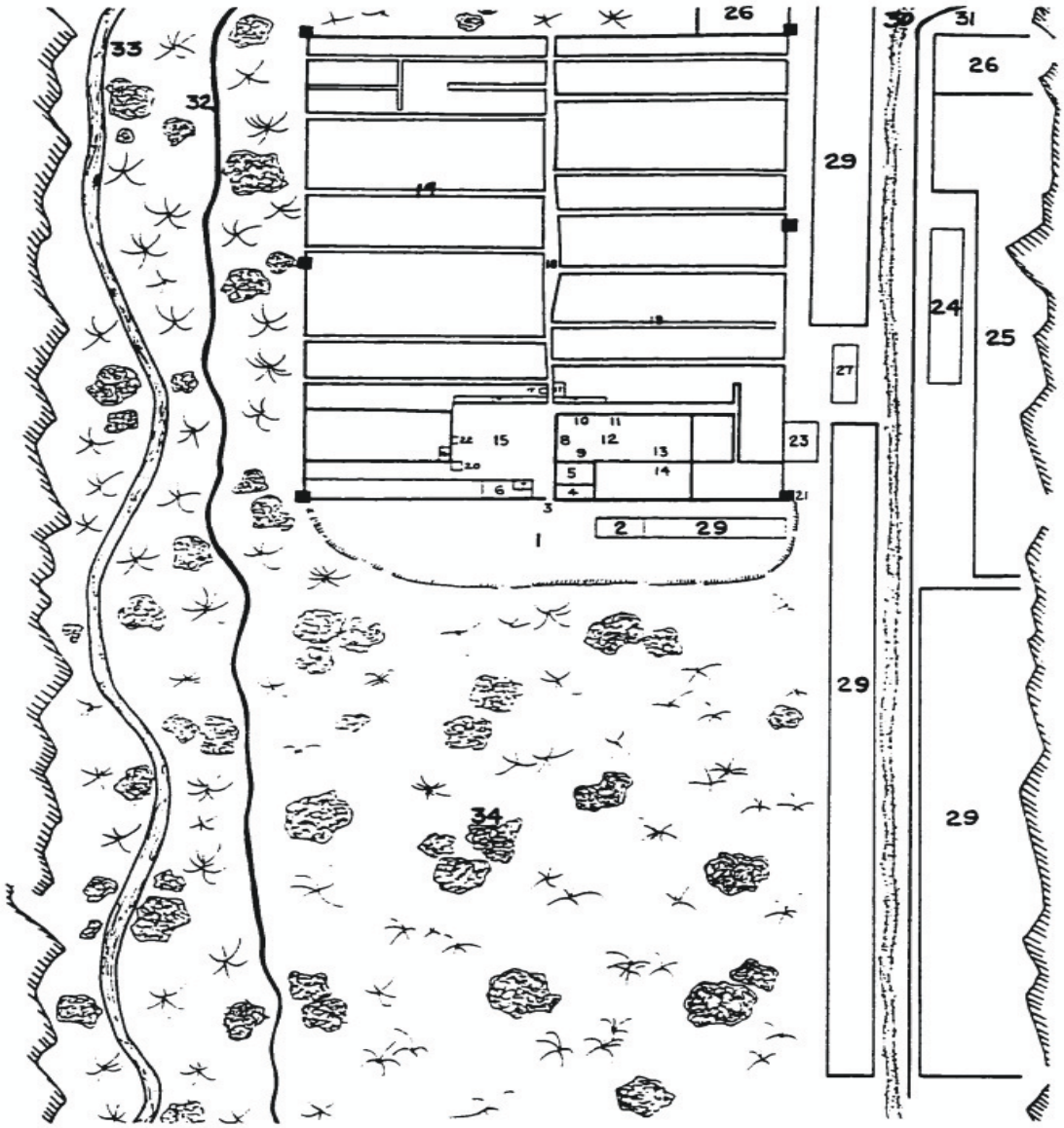
[12]- أحمد الحمداوي، **منطقة الرتب في تاريخ تافيلالت الحديث**، ص. 57.

الملحق رقم 12 : نسخة من الاتفاق حول تقسيم مياه الساقية الصالحية بين بعض قصور الرتب الأعلى سنة 1947م[13].



[13]- نسخة من وثيقة الاتفاق بين بعض قصور الرتب الأعلى حول توزيع مياه الساقية الصالحية سنة 1947م وقد أدرجنا نصها كاملا بالخط الإداري في متن هذا البحث، ص ص. 488، 489.

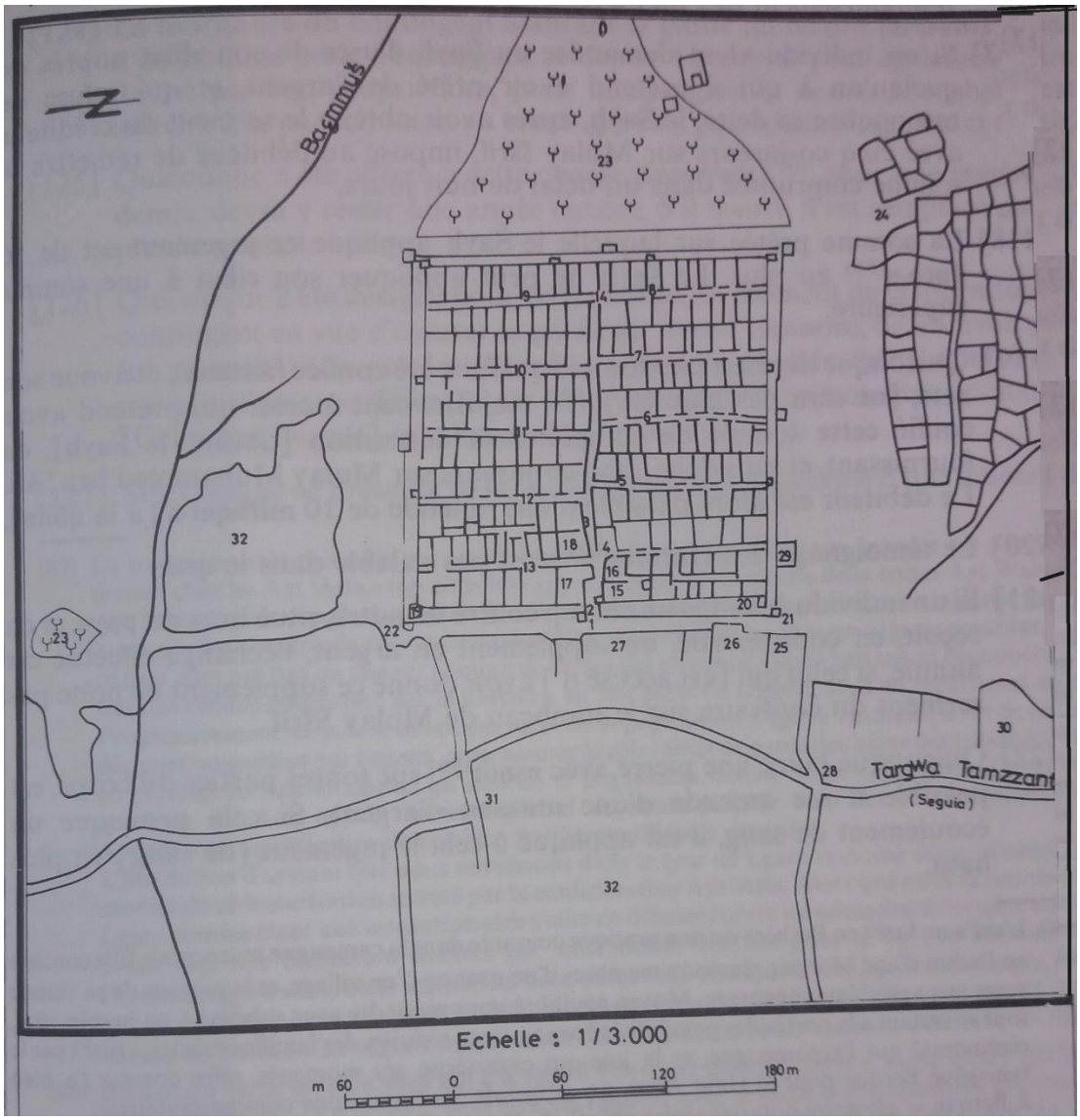
الملحق رقم 13: تصميم لقصر زاوية أملكيس بالرتب الأعلى[14].



1.إيمي نغرام أو الفناء الأمامي للقرية. 2. مكان مخصص لعلف الثور الجماعي للقبيلة. 3. الباب الرئيسي للقرية. 4. مكان حراسة الأبواب. 5. تمسريت/الغرفة الجماعية. خاصة باجتماع شيوخ القبيلة واستقبال الضيوف. 6. الارحبي أو مكان القوافل. 7. أهانوا / زنزانة القبيلة. 8. المسجد القديم. 9. غرفة الوضوء. 10. آخربيش/المدرسة القرآنيـــــة. 11. قاعة المسجد للعابرين 12. منطقة التطهير الخاصة بالمسجد. 13. غرفة الصلاة. 14. قناة تصريف مياه المسجد. 15. ساحة المسجد. 16. محل الحدادة. 17. متاجر للبيع. 18. الزقاق الكبير. 19. أزقة فرعية. 20. مكان الثور الجماعي. 21 أبراج المراقبة. 22. مكان تخزين جماعي. 23 معاصر الزيتون. الجماعي. 24. مكان خاص بالماشية. 25. أماكن الدرس. 26. المقابر. 27. المسجد الجديد. 28. مستوصف صحي.

[14]– Ilahiane, **The power of the dagger**, p. 116. 117 .

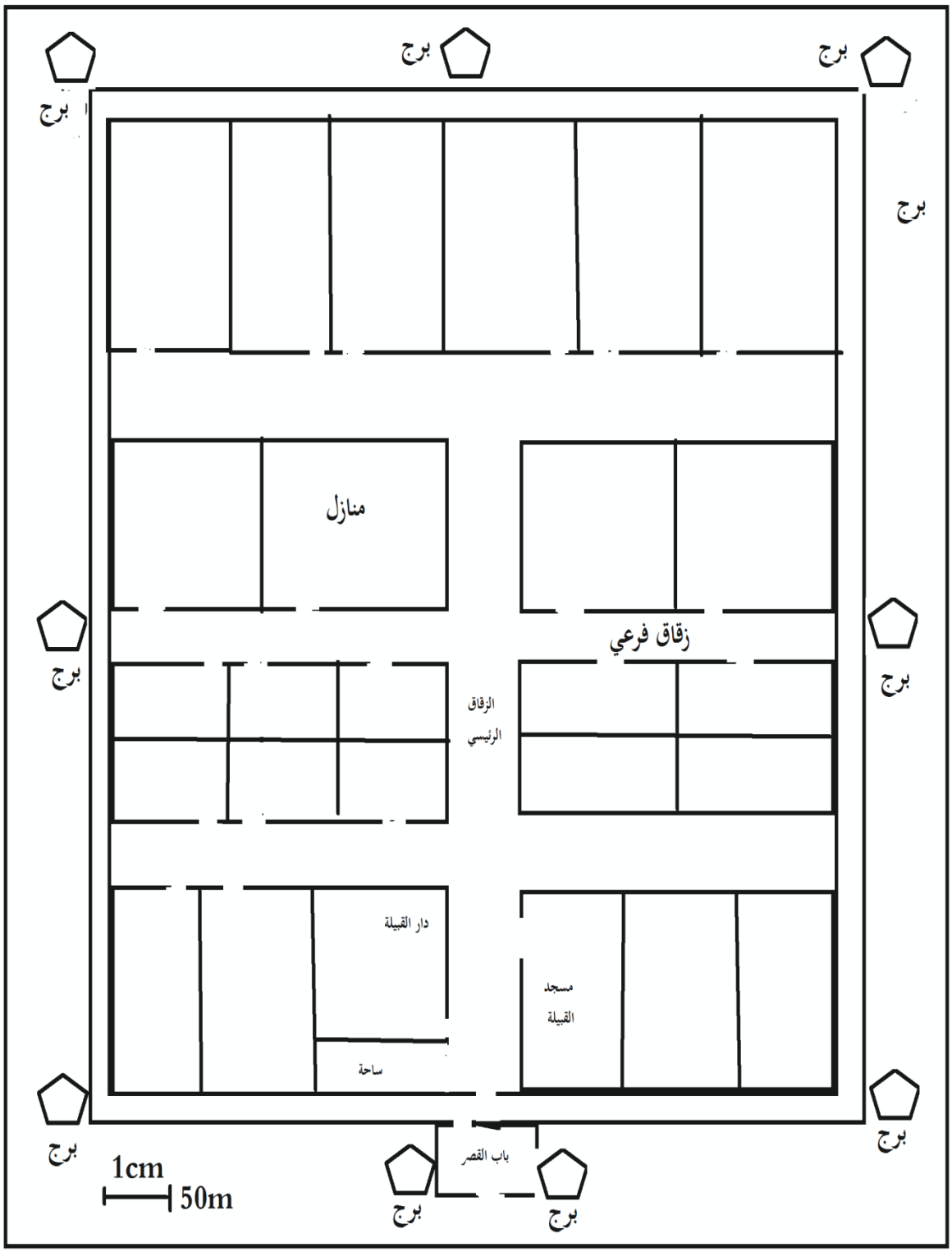
الملحق رقم 14: تصميم لقصر الكارة بالرتب الأوسط[15].



1.البوابة القديمة 2. المصرية. 3. الزقاق الكبير/ الفحل الكبير. 4.زقاق نقوارا. 5. زقاق بيت يحي اوموسى. 6. زقاق نايت تاغلا. 7.زقاق نايت اسفول. 8. زقاق لالة خيتي. 9. زقاق نايت تقات 10.زقاق نايت كرو. 11. زقاق نايت تاغلا 12زقاق نايت خردي. 13. زقاق نايت الجم 14. أموكي 15معصرة الزيتون. 16 الفندق الكبير. 17. مسجد. 18. فندق نايت تسلاتين. 19. برج عيسى احساين. 20.برج أيت اوجبور. 21. البرج الفوقاني. 22 البرج التحتاني. 23.مقبرة. 24. المناطق المسيطر عليها. 25جنينة نايت بدا. 26. جنان علي نايت حساين. 27.جنان بها نايت عدي. 28. منطقة اسوكم. 29.البوابة الجديدة. 30. جنان عمر ولد محمد اوعلي. 31. ممر. 32. بساتين النخيل

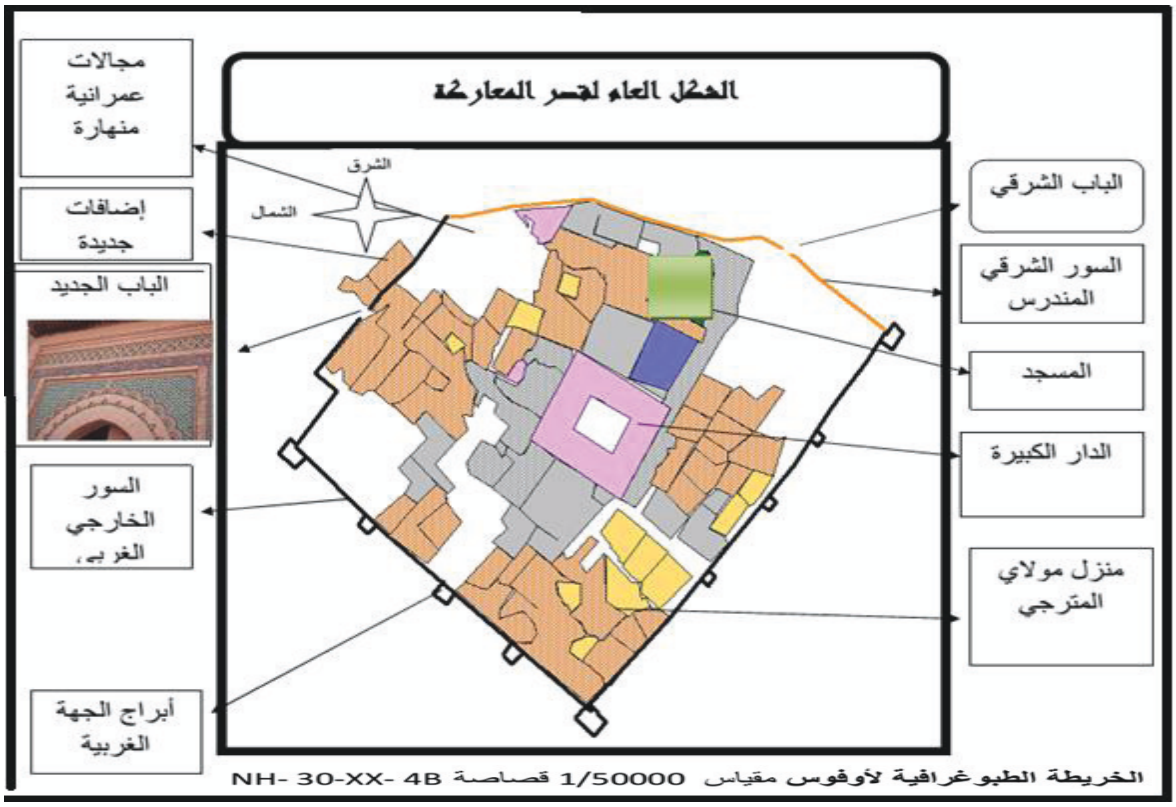
[15]– Mezzine, **Le Tafilalet**, p. 135, 215

الملحق رقم 15: تصميم لقصر الجرامنة الصغرى (الكصيرة بالكاف المعقودة) بالرتب الأعلى[16]

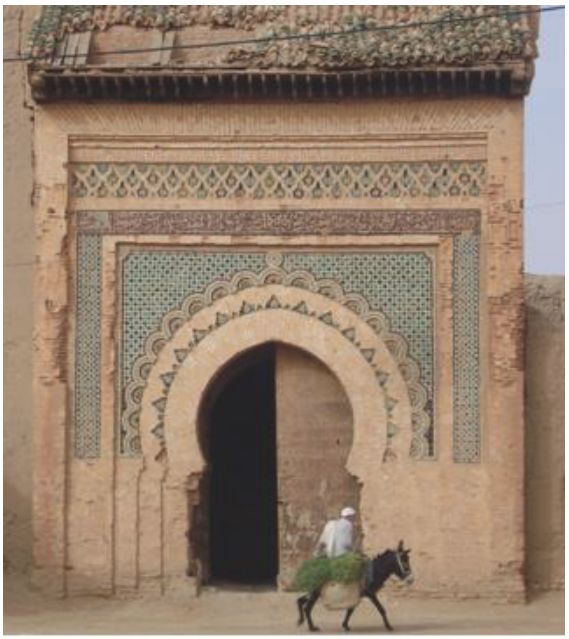


[16] – تصميم شخصي اعتمادا على المعاينة المباشرة.

الملحق رقم 16: تصميم لقصر المعاركة بالرتب الأسفل[17].



صورتان: الأولى ترجع لسنة 1929م[18]**، والثانية سنة 2012م لباب قصر المعاركة**

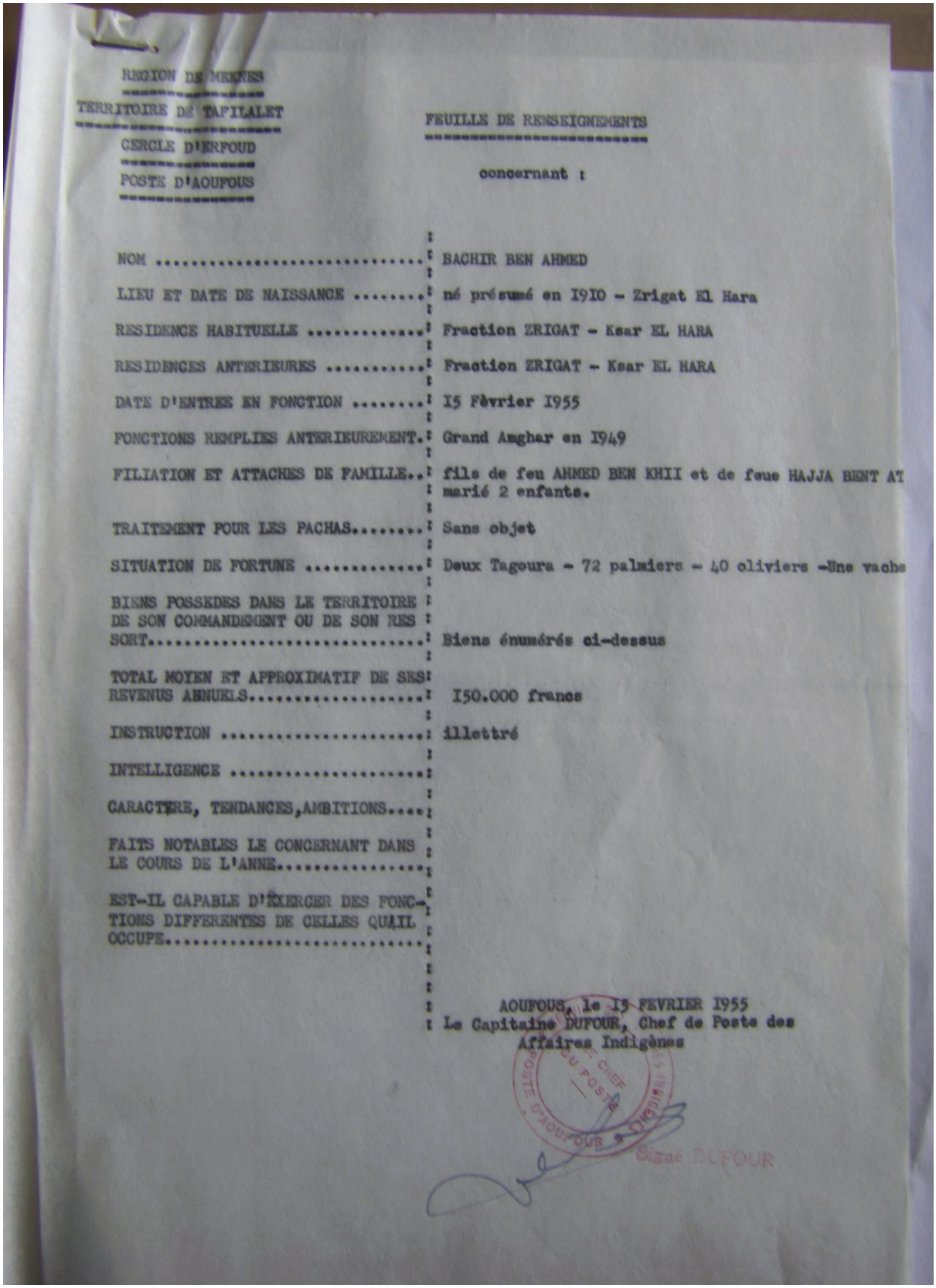



Porte du Ksar de Maarka.

[17]- عمراوي، **قصر المعاركة التاريخ والعمران**، ص. 48.

[18] -G Arys . **Examen de conscience**, L' Afrique du Nord Illustrée , 24[e] Année N° 403, 19/01/1929, p. 3.

الملحق 17رقم: بيان معلومات حول البشير بن أحمد شيخ الزريكات سنة 1955م.



REGION DE MEKNES

TERRITOIRE DE TAFILALET

CERCLE D'ERFOUD

POSTE D'AOUFOUS

FEUILLE DE RENSEIGNEMENTS

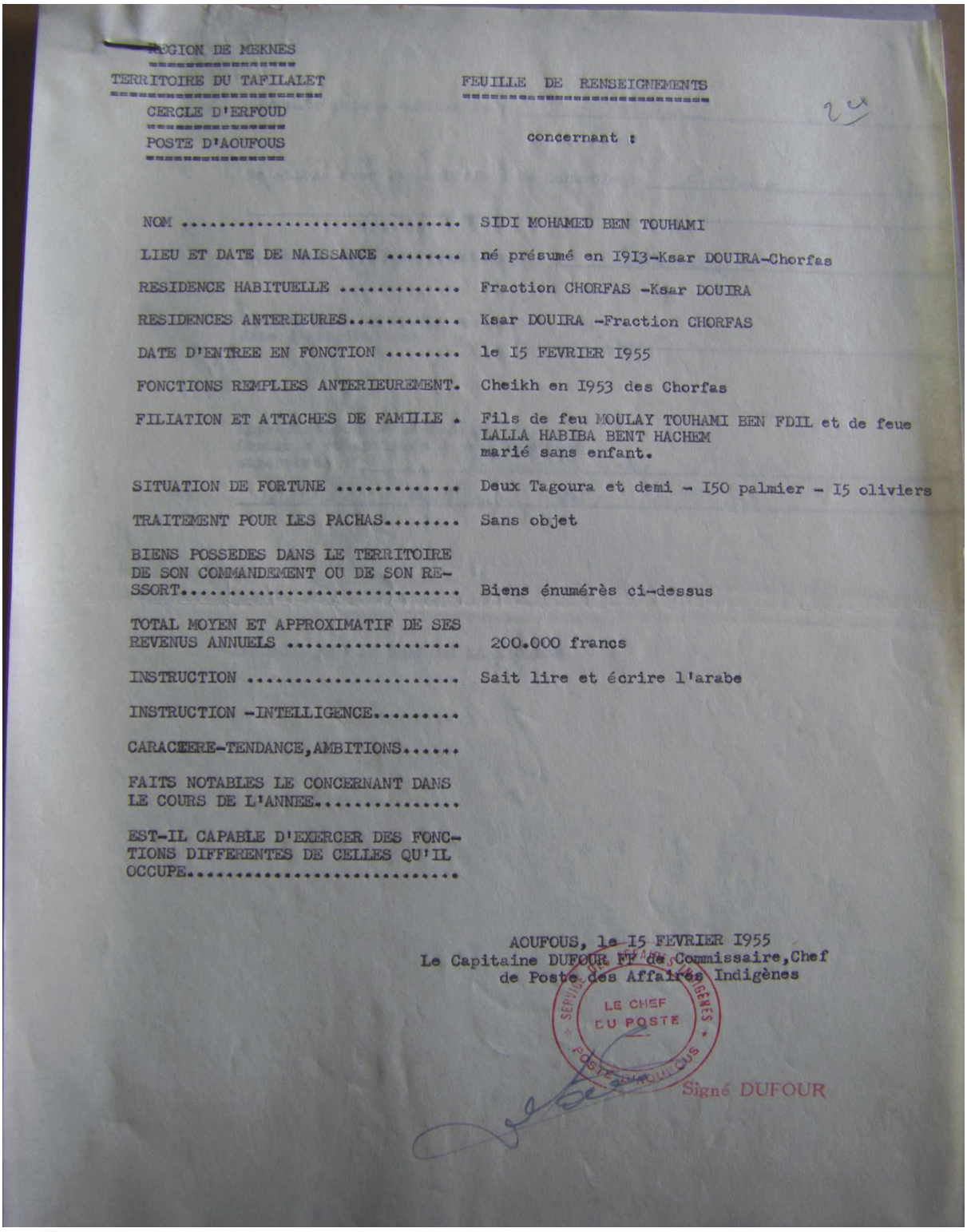
concernant :

NOM	BACHIR BEN AHMED
LIEU ET DATE DE NAISSANCE	né présumé en I9IO - Zrigat El Hara
RESIDENCE HABITUELLE	Fraction ZRIGAT - Ksar EL HARA
RESIDENCES ANTERIEURES	Fraction ZRIGAT - Ksar EL HARA
DATE D'ENTREE EN FONCTION	I5 Février I955
FONCTIONS REMPLIES ANTERIEUREMENT.	Grand Amghar en I949
FILIATION ET ATTACHES DE FAMILLE..	fils de feu AHMED BEN KHII et de feue HAJJA BENT AT marié 2 enfants.
TRAITEMENT POUR LES PACHAS.....	Sans objet
SITUATION DE FORTUNE	Deux Tagoura - 72 palmiers - 40 oliviers -Une vache
BIENS POSSEDES DANS LE TERRITOIRE DE SON COMMANDEMENT OU DE SON RESSORT.....	Biens énumérés ci-dessus
TOTAL MOYEN ET APPROXIMATIF DE SES REVENUS ANNUELS.....	I50.000 francs
INSTRUCTION	illettré
INTELLIGENCE	
CARACTERE, TENDANCES,AMBITIONS.....	
FAITS NOTABLES LE CONCERNANT DANS LE COURS DE L'ANNE.....	
EST-IL CAPABLE D'EXERCER DES FONCTIONS DIFFERENTES DE CELLES QU'IL OCCUPE.....	

AOUFOUS, le I5 FEVRIER I955
Le Capitaine DUFOUR, Chef de Poste des Affaires Indigènes

Signé DUFOUR

الملحق رقم 18 : بيان معلومات حول سيدي أحمد بن التهامي شيخ الدويرة سنة 1955م.



REGION DE MEKNES
TERRITOIRE DU TAFILALET
CERCLE D'ERFOUD
POSTE D'AOUFOUS

FEUILLE DE RENSEIGNEMENTS

concernant :

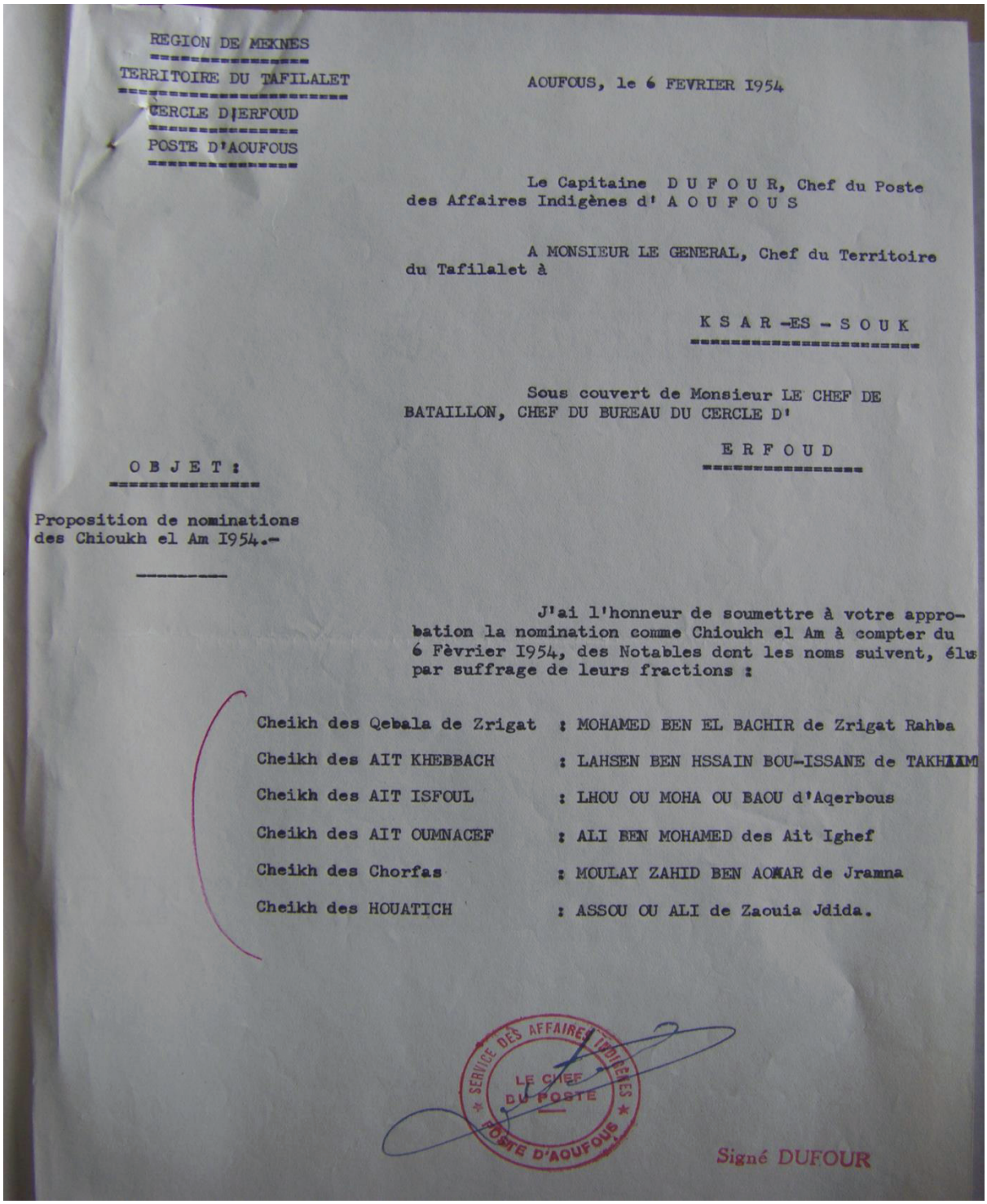
NOM	SIDI MOHAMED BEN TOUHAMI
LIEU ET DATE DE NAISSANCE	né présumé en 1913-Ksar DOUIRA-Chorfas
RESIDENCE HABITUELLE	Fraction CHORFAS -Ksar DOUIRA
RESIDENCES ANTERIEURES.....	Ksar DOUIRA -Fraction CHORFAS
DATE D'ENTREE EN FONCTION	le 15 FEVRIER 1955
FONCTIONS REMPLIES ANTERIEUREMENT.	Cheikh en 1953 des Chorfas
FILIATION ET ATTACHES DE FAMILLE .	Fils de feu MOULAY TOUHAMI BEN FDIL et de feue LALLA HABIBA BENT HACHEM marié sans enfant.
SITUATION DE FORTUNE	Deux Tagoura et demi - 150 palmier - 15 oliviers
TRAITEMENT POUR LES PACHAS.....	Sans objet
BIENS POSSEDES DANS LE TERRITOIRE DE SON COMMANDEMENT OU DE SON RESSORT.....	Biens énumérès ci-dessus
TOTAL MOYEN ET APPROXIMATIF DE SES REVENUS ANNUELS	200.000 francs
INSTRUCTION	Sait lire et écrire l'arabe
INSTRUCTION -INTELLIGENCE.....	
CARACTERE-TENDANCE,AMBITIONS.....	
FAITS NOTABLES LE CONCERNANT DANS LE COURS DE L'ANNEE.....	
EST-IL CAPABLE D'EXERCER DES FONCTIONS DIFFERENTES DE CELLES QU'IL OCCUPE.....	

AOUFOUS, le 15 FEVRIER 1955
Le Capitaine DUFOUR Fr de Commissaire,Chef
de Poste des Affaires Indigènes

SERVICE DES AFFAIRES INDIGENES
LE CHEF DU POSTE
POSTE D'AOUFOUS

Signé DUFOUR

الملحق رقم 19: تقرير لرئيس مركز الشؤون الأهلية بأوفوس، بأسماء الشيوخ الذين تم اعتمادهم على رأس جماعات الرتب سنة 1954م.



REGION DE MEKNES
TERRITOIRE DU TAFILALET
CERCLE D'ERFOUD
POSTE D'AOUFOUS

AOUFOUS, le 6 FEVRIER 1954

Le Capitaine D U F O U R, Chef du Poste des Affaires Indigènes d' A O U F O U S

A MONSIEUR LE GENERAL, Chef du Territoire du Tafilalet à

K S A R -ES - S O U K

Sous couvert de Monsieur LE CHEF DE BATAILLON, CHEF DU BUREAU DU CERCLE D'

E R F O U D

O B J E T :

Proposition de nominations des Chioukh el Am I954.-

J'ai l'honneur de soumettre à votre approbation la nomination comme Chioukh el Am à compter du 6 Fèvrier I954, des Notables dont les noms suivent, élus par suffrage de leurs fractions :

Cheikh des Qebala de Zrigat	: MOHAMED BEN EL BACHIR de Zrigat Rahba
Cheikh des AIT KHEBBACH	: LAHSEN BEN HSSAIN BOU-ISSANE de TAKHIAM
Cheikh des AIT ISFOUL	: LHOU OU MOHA OU BAOU d'Aqerbous
Cheikh des AIT OUMNACEF	: ALI BEN MOHAMED des Ait Ighef
Cheikh des Chorfas	: MOULAY ZAHID BEN AOMAR de Jramna
Cheikh des HOUATICH	: ASSOU OU ALI de Zaouia Jdida.

SERVICE DES AFFAIRES INDIGÈNES
LE CHEF DU POSTE
POSTE D'AOUFOUS

Signé DUFOUR

هذه الوثائق الثلاثة السابقة (الوثيقة 17، 18، 19) تسلماتها من الأستاذ عوني عبد الفتاح الذي أحضرها من الأرشيف الفرنسي، بمدينة نانت وهي تهم منطقة أوفوس زمن الإحتلال الفرنسي.

الملحق رقم 20، نسخة من ظهير سلطاني لتعيين علي موجان من أولاد شاكر بالرتب عضوا في مشيخة الجماعة[19].



(TRADUCTION)

GOUVERNEMENT CHÉRIFIEN

CHANCELLERIE DES ORDRES CHÉRIFIENS

DAHIR DE SATISFACTION

" Louange à Dieu seul ! Il n'y a de durable que son Empire "

Empreinte du Sceau du Sultan du Maroc

Avec La Grâce de Dieu et sa Puissance, Nous accordons le **Dahir de Satisfaction** *au Serviteur de Notre Majesté,*

SI ALI BEN MOHAMMED OU HASSAIN dit "ALI MOUJANE"

Membre du Tribunal Coutumier de 1re Instance des Ait Atta du Rteb-Oulad Chaker, ERFOUD

Qu'il le conserve comme témoignage de ses services appréciés et comme attestation de sa conduite méritoire.

Fait à Notre Capitale de Rabat le 8 Rebia II 1368(7 Février 1949)

Pour traduction conforme :

Rabat, le 28 FEV. 1949 194

Le Ministre Plénipotentiaire Honoraire,
Chancelier des Ordres Chérifiens,

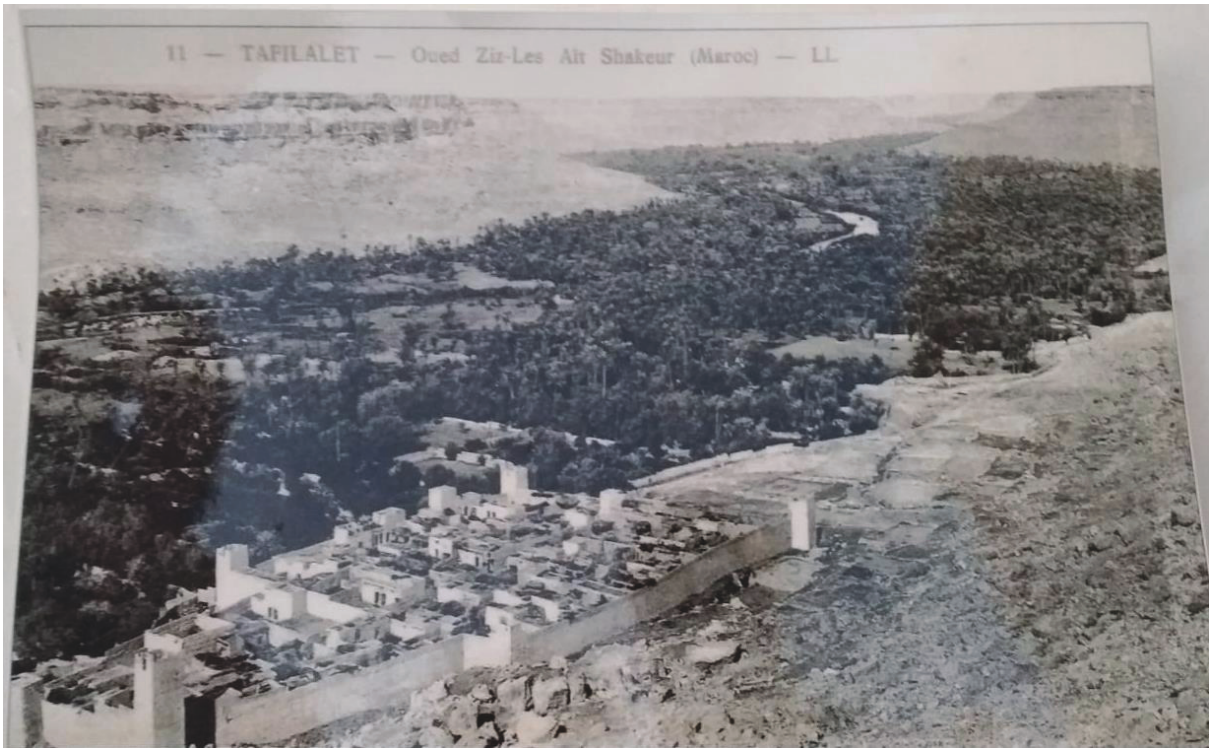
N°. 27.263

[19] – وثقة خاصة في ملكية أسرة موجان المقيمة بأولاد شاكر بالرتب الأعلى.

الملحق رقم 21، صورة من واحة أوفوس زمن الاستعمار[20].



الملحق رقم 22، صورة لقصر أولاد شاكر خلال المرحلة الاستعمارية.

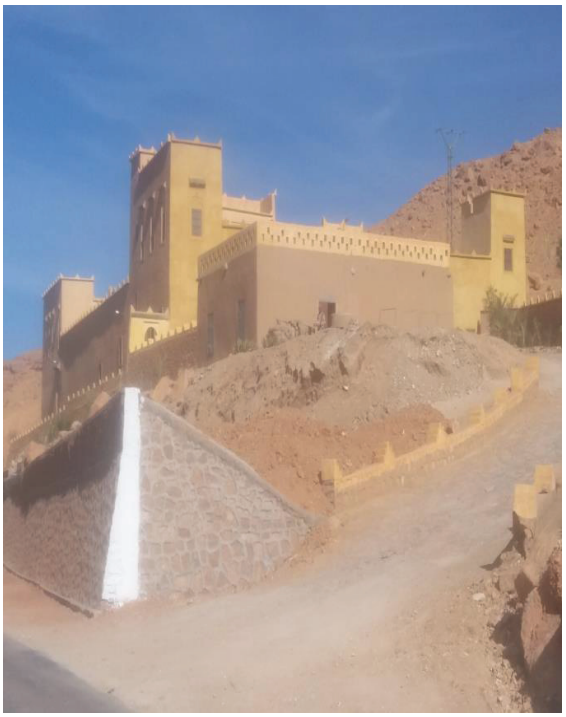


[20] – Aoufous, dans la vallée du Ziz (Tafilalet), Vues plongeantes prises e la falaise au dessus des des Kasbahs, Crédit photo Jacques Belin, Protectorat du Maroc-Archives e la Résidence générale.

الملحق رقم 23 ، صورة قائد الرتب على احدى[21].



الملحق رقم 24: صورتان لمنزل القائد يوسف احدى بمنطقة فنكيك بالرتب/ أوفوس[22].

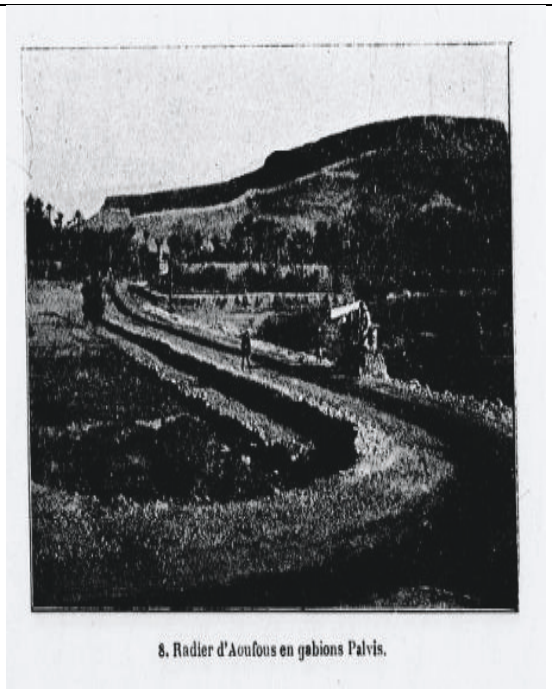




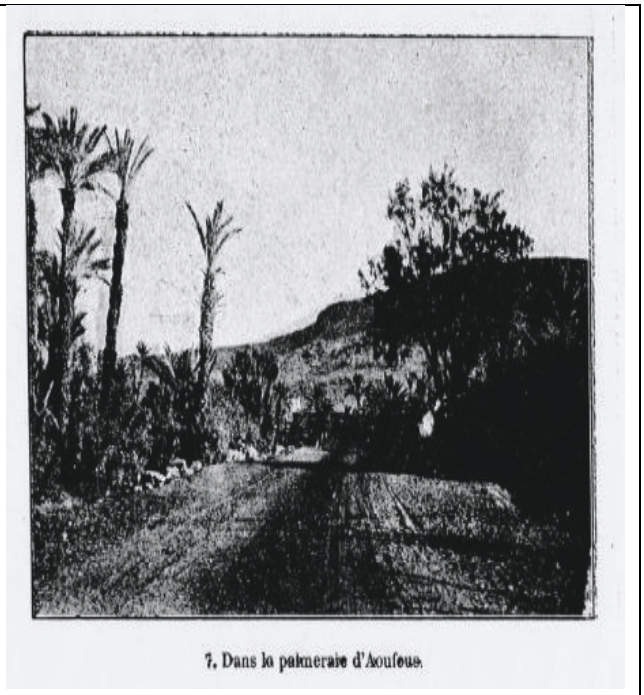
[21] – Le caïd d'Aoufous 28 Mars 1941, Protectorat du Maroc-Archives de la Résidence générale.

[22] – صور خاصة، التقطت سنة 2019م .

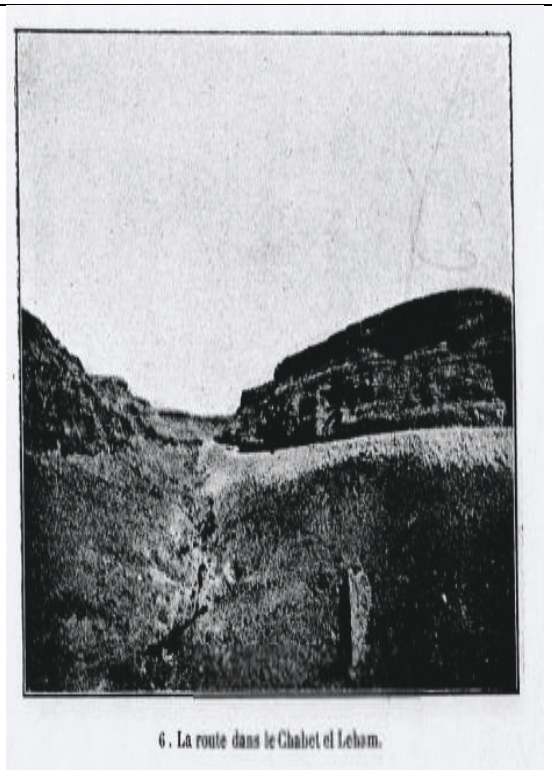
الملحق رقم 25، صور من إنجاز الطريق المعبدة بين وتافيلالت عند منطقة الرتب/ أوفوس[23].



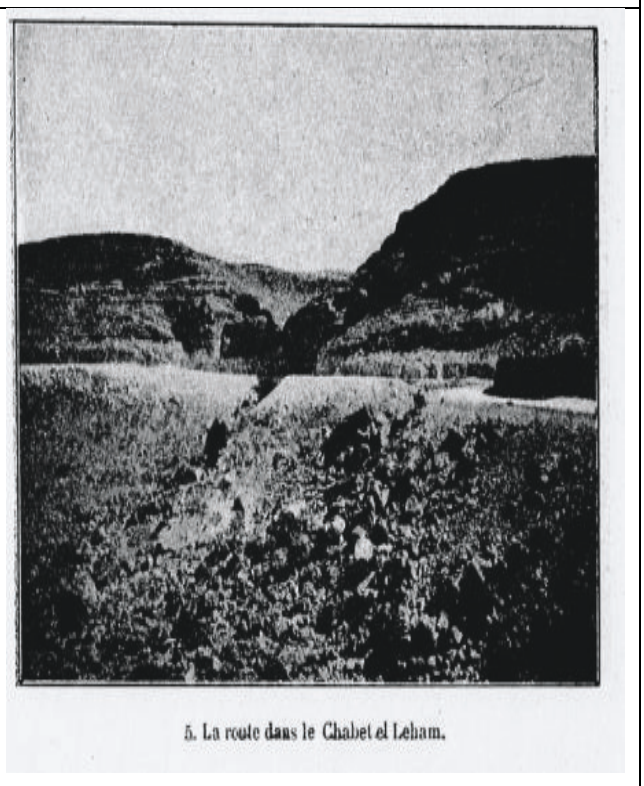
8. Radier d'Aoufous en gabions Palvis.



7. Dans le palmeraie d'Aoufous.



6. La route dans le Chabet el Leham.



5. La route dans le Chabet el Leham.

[23]- Colonel Puissant «**Construction par service du génie de la route de Ziz** », p. 475 - 487.

البيبليوغرافيا.

❖1 ـ الوثائق:

- وثائق الخزانة الحسنية بالرباط.
- وثائق المديرية الملكية بالرباط.
- وثائق خاصة.
- وثائق مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني.

❖ 2 ـ المخطوطات:

- ابن أبي محلي أحمد، **الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت**، م خ ح، الرباط، رقم 100.
- ابن السكاك المكناسي أبو عبد الله، **نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما وجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام**، مخطوطة، م م و، رقم د383.
- ابن المصطفى مولاي علي، **فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر**، م خ ح، رقم. 12579، ورقم 6140.
- ابن رحمون التهامي محمد بن أحمد، **الفتح الوهبي فيمن أجاز لسيدي الحاج الهاشمي الرتبي**، م م و، ك 1362.
- ابن عبد السلام العربي، **ذكر الخبر عن دولة شرفاء وملوكنا/ الدولة الشريفة الحسنية وذكر لمع من محاسنها ومفاخرها البهية**، م خ ح، رقم. 12018.
- أبو العلاء إدريس، **الابتسام عن دولة ابن هشام، وديوان العبر في أخبار أهل الثالث عشر**، م خ ح، رقم 12490.
- أبو العلاء إدريس، **رحلة إلى بيت الله الحرام**، م خ ح، رقم. 11509./ م م و، 1115د.
- الأوفوسي محمد بن أحمد بن الحبيب، **مخطوط الشجرة لشرفاء قصر زاوية أوفوس.(مخطوط خاص)**.
- بالغالي العلوي مولاي هاشم، **أنساب العلويين بسجلماسة**، م خ ح، رقم 11997.
- الجازولي السوسي محمد بن العباس بن الحسن بن ياسين، **المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية**، م خ ح، رقم 9979.
- الحسني هاشم بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن طاهر، **الجواهر في أولاد سيد الورى**، م خ ح، ضمن مجموع، رقم 4492.
- الحسني هاشم بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد، "**القصيدة المنورة في نسب الشرفاء البررة**" ضمن مجموع، م خ ح، رقم 12495.
- الحوات سليمان بن محمد، **البدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية**، م خ ح، رقم. 11104.

- الخالدي خليل بن صالح ، **أرجوزة في مراحل الرحلة للأقاليم الصحراوية**، م خ ح، رقم 12035.
- الدرعي محمد بن محمد بن ناصر، **الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية**، م م و، د1111.
- **رسائل الزياني للمولى عبد الرحمان العلوي**، م خ ح، رقم 11070.
- رسائل لأهل الزاوية الدلائية، **رسالة مولاي محمد بن الشريف إلى شيخ الزاوية الدلائية**، م خ ح، رقم 14056.
- الزكي العلوي بن هاشم، **مطالع الزهراء الجامعة لأسماء بني الزهراء**، م خ ح، 148.
- السلمي أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، **الدر المنتخب المستحسن من مآثر مولانا الحسن**، م خ ح، رقم 12184، ج6.
- الشاكري التهامي العلوي، **أرجوزة في الفروع العلوية**، ضمن م خ ح، رقم 4777.
- الغفاري عبد المالك بن عبد الرحمان بن سالم، **تأليف في بعض مداشر تافيلالت**، م خ ح، رقم 14065.
- الفاسي المهدي بن أحمد، **تحفة أهل الصدقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية، أو تحفة أهل التصديق بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية من أهل الطريق**، م خ ح، رقم 6525.
- الفركلي أبو حامد العربي بن عبد السلام، **نسب الشرفاء**، م خ ح، ضمن مجموع، رقمه. 4492.
- القادري الحسني أحمد بن عبد القادر بن علي، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، م خ ح، رقم 8787.
- الكردودي محمد بن عبد القادر، **الدر المنضد الفاخر، بما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**، م خ ح، رقم 11676.
- الكناشة رقم 23، بالخزانة الحسنية، **أملاك المعاركة في عصر السلطان عبد الرحمان بن هشام عن الفترة الممتدة ما بين 1264هـ ـ 1273هـ**.
- مجهول، **تقييد في ذكر بعض أشراف سجلماسة**، م خ ح، رقم، 4905.
- مجهول، **دفتر فقهاء الأشراف والطلبة أولاد مولاي عي الشريف**، م خ ح، رقم 107.
- المدغري محمد الزكي بن هاشم العلوي، **الشجرة الزكية**، م خ ح، رقم، 11423.
- المدغري محمد الزكي بن هاشم، **الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء**، م خ ح، رقم. 10904.
- الهلالي أحمد بن عبد العزيز، "**ديوان الهيلالي**" قصيدة يتوسل فيها بأحمد بن عبد الصادق، م خ ح، رقم 158.
- الهلالي أحمد بن عبد العزيز، **قصيدة قافية في مدح أحمد بن عبد الصادق الرتبي**، م خ ح، 12245./ م خ ح، ضمن مجموع رقم. 13942.

❖ 3 ـ المصادر:

- القران الكريم، رواية ورش.
- ابن أبي زرع علي الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، طبعة 1972م.
- ابن أبي زرع علي الفاسي، **الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية**. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- ابن الأحمر إسماعيل، **روضة النسرين في دولة ببني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1962م.
- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، **أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م.
- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
- ابن الخطيب لسان الدين، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 2002م.
- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف، **التشوف إلى رجال التصوف**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة دراسات وبحوث، ع22، ط 2، 1997م.
- ابن السكاك أبو عبد الله المكناسي، في كتابه **نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما وجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام**، تحقيق وضبط نزيهة المروني العلمي الادريسي، بدون تاريخ أو مكان الطبع.
- ابن السكاك أبو عبد الله المكناسي، **نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام**، تحقيق محمد ناجي بن عمر، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2018م.
- ابن القاضي أحمد المكناسي، **جذوة الاقتباس، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973م.
- ابن القاضي أحمد بن محمد، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، ج4، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
- ابن القاضي أحمد، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق محمد رزوق، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، سنة 1986م.
- ابن الوردي سراج الدين، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق، أنور محمود زناتي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008م.
- ابن حوقل محمد، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.
- ابن خلدون عبد الرحمان، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان**، ط2000م، جميع الأجزاء.
- ابن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م.

- ابن زيدان عبد الرحمان، **الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية بالرباط،1938م.
- ابن زيدان عبد الرحمان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.
- ابن زيدان عبد الرحمان، **العلائق السياسية للدولة المغربية**، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.
- ابن زيدان عبد الرحمان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف**، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة اديال، الدار البيضاء، ط 1، 1993.
- ابن زيدان عبد الرحمان، **النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية**، تحقيق مصطفى الشابي، المطبعة الملكية الرباط، 2016م.
- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع– عام ثمانية وتسعين ومائة وألف**، تحقيق، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م.
- ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط، **الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.
- ابن مرزوق محمد، **المسند الصحيح الحسن، في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1985م.
- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، إبن خرداذبة، **المسالك والممالك**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1889م.
- الإدريسي الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة عالم الكتب، بيروت، 1989م.
- الإصطخيري أبو القاسم، **المسالك والممالك**، تحقيق، محمد جابر عبد العالي الحيني، الإدارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1961م.
- الإفراني محمد الصغير، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م.
- الإفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- البكري أبو عبد الله، **المسالك والممالك**، حققه ووضع فهارسه، جمال طلبة، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، د ت ط،
- البكري أبو عبيد الله، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن واندريفيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.
- الجزائري محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، المطبعة التجارية، الاسكندرية، مصر، طبعة 1903م.
- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، مطبعة، بيروت 1971م.
- الحميري بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975م.
- الحوات أبو الربيع سليمان الشفشاوني، **ثمرة أنسي في التعريف بنفسي**، تحقيق عبد الحق الحيمر، سلسلة نصوص تراثية 2، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية، مطبعة الحداد يوسف إخوان (الهداية)، شفشاون 1996م.

- دوفوكو شارل، **التعرف على المغرب**، 1883م -1884م، ترجمة لمختار بلعربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط1، 1999م.
- دي طوريس دييكو، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع سلا، 1988م.
- **الرندي بن عباد، رسائل سياسية غير منشورة**، تحقق رشيد سلامي، ضمن كتاب **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م،
- الريفي عبد الكريم بن موسي، **زهرة الأكم**،(**مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل**) دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.
- الزبادي محمد المنالي الفاسي، **سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية**، تحقيق عبد الحي اليملاحي، نشر جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي تطوان، المغرب، طبعة 2012م،
- الزياني أبو القاسم، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف**، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني اقليم الرشيدية، المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1992م.
- الزياني أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور برا وبحر**، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفلالي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط2، 1991م.
- الزياني أبو القاسم، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة الامنية الرباط، ط1، 2008م.
- الزياني أبو القاسم، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تحقيق وتقديم، عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- سبيلمان جورج، **أيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا**، ترجمة وتقديم **امحمد احدى**، BJ PRINT، أكادير، ط2، 2011م.
- السلمي محمد الطالب بن الحاج، **الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف**، تحقيق جعفر بن الحاج السليمي، نشر انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، إيران، ط1، 2004م.
- السملالي عباس بن إبراهيم، **الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 2002م.
- السوسي المختار، **المعسول**، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1961م، الأجزاء، 5، 16، 18، 20.
- السوسي المختار، **إليغ قديما وحديثا**، هيأه للطبع وعلق عليه، محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط، 1966م.
- سيبلمان جورج، **ايت عطا الصحراء، وتهدئة آفلاً ـ ن ـ درا**، ترجمة وتعليق **محمد بوكبوط**، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 2007م.
- الشاكري الحسني التهامي بن عبد الله، **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، تحقيق حسن حافظي علوي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2001م.
- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، المغرب، الرباط، ط2، 1977م.

- الصقلي محمد الفاطمي، **ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر(وفيات الصقلي)**، تقديم وتحقيق أحمد العراقي، مطبعة أنفو برانت، فاس، ط2001م.
- الصنهاجي أبو بكر (البيدق)، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط1971م.
- الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي، **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، ط1، 1986م.
- الطنجي محمد بن عبد الله اللواتي، إبن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم ، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- العلوي أحمد بن عبد العزيز، **الأنوار الحسنية**، نشر وزارة الأنباء، مطبعة فضالة المحمدية، طبعة 1966م.
- العلوي المدغري محمد العربي، **رسالة الطريقة الدرقاوية في مقاومة التدخل الأجنبي في المغرب**، تقديم وتحقيق، مولاي عمر صوصي علوي، مطبعة أنفو- برانت، فاس، طبعة 2021م.
- عماد الدين إدريس، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، ط1، 1985م.
- العياشي عبد الله، **الرحلة العياشية 1661م ـ 1663م**، المجلد الأول، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي الامارات، ط1، 2006م.
- الغساني أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الوزير، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.
- الفاسي الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الاخضر، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط1، 1982م.
- الفاسي الفهري عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
- الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير، **معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة او المدهش المطرب**، صححه وخرج حواشيه وعلق عيه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م.
- الفشتالي عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، بدون تاريخ الطبع.
- الفضيلي مولاي إدريس، **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة، أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية، 1999م.
- الفيروزأبادي مجد الدين، **القاموس المحيط**، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2015م.
- القادري محمد بن الطيب، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
- القادري محمد بن الطيب، **نشر المثاني لأهل القرن الحاد عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب الرباط، ط1، 1977م، جميع الأجزاء.

- القبلي فاطمة خليل، **رسائل ابي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، جمع وتحقيق ودراسة، مطبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1981م.
- الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر، **السفر الصوفي، ضمن الإجازة الأيوبية في ذكر مشيخة العلم والأسانيد إلى الطرق الصوفية**، جمع أسامة بن جعفر بن محمد الناصر الكتاني، الزمزمي بن محمد المنتصر الكتاني، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، 2005م.
- الكتاني جعفر بن إدريس، **الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين اهل القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م.
- الكتاني جعفر بن ادريس، **مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب**، تحقيق هشام بن محمد حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.2013م.
- الكتاني عبد الحي، **فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1982م.
- الكتاني محمد بن جعفر، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق وفهرسة محمد حمزة بن علي الكتاني، عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004م.
- كربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، وآخرين، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1989م.
- الكنسوسي محمد بن أحمد، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 1994م.
- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 م.
- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل ذكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979م.
- مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق عبد الرحيم بن حادة، مطبعة دار تينمل، مراكش، ط1، 1994م.
- مجهول، **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005م.
- المرعشي يوسف، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر**، المجلد الأول، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 2006م.
- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المنتهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، ط1، 2005م.
- المعسكري محمد أبو راس الناصر، **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، تحقيق وتقديم أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر 2007م.
- المعسكري محمد أبي راس الناصر، **اسماع الأصم وشفاء السقم في الامثال والحكم**، دراسة وتحقيق حمدادو بن عمر وبوسلاح فايزة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2018م.
- المعسكري محمد أبي راس الناصر، **الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، في علم الصيد**، دراسة وتحقيق حمدادو بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2010م.

- المقدسي محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحرير وتقديم، شاكر لعيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة سيكو للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- المكناسي محمد بن العياشي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**، تحقيق ودراسة أحمد قدور، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013م.
- المنجور أحمد، **فهرسة أحمد المنجور**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة الفهارس (1) مطبعة دار المغرب، الرباط 1976م.
- المنصوري أحمد بن القاسم، **كباء العنبر، من عظماء زيان وأطلس البربر**، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الرباط ،2004م.
- موليراس أوجيست، **المغرب المجهول، الجزء الأول، اكتشاف الريف**، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007م.
- موليراس أوجيست، **المغرب المجهول، الجزء الثاني، اكتشاف جبالة**، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007م.
- مويط جرمان، **المغرب في مطلع العهد العلوي (1659 . 1682) تاريخ مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل**، ترجمة حسن أميلي، دفاتر البحث العلمي، رقم 20، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015م.
- مويط جرمان، **رحلة الأسير مويط**، ترجمة محمد حجي، محمد الاخضر، قصة الأسير دن لويس كونزاليس البرتغالي، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، دار المناهل للطباعة والنشر، 1990م.
- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، جميع الأجزاء، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.
- الناصري أحمد بن خالد، **طلعة المشتري في النسب الجعفري**، نشر المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، مطبعة سيرار، الدار البيضاء بدون تاريخ الطبع.
- الناصري محمد المهدي بن العباس، **نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان، المنتمي الى سوس**. تقديم وتحقيق خالد ناصر الدين، دار الأمان الرباط، ط1، 2016م.
- الناصري محمد بن عبد السلام، **الرحلة الناصرية الكبرى**، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2013م.
- الهلالي السجلماسي أبو العباس، **التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114هـ. 1175هـ)، دراسة وتحقيق محمد بوزيان بنعلي، مطبعة الجسور ، ط1، 2012م.
- الولالي أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب، **مباحث الأنوار في اخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1999م.
- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، **البلدان**، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
- اليوسي أبو علي الحسن، **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد المجيد خيالي، مطبعة التومي، سلا 2017م،
- اليوسي الحسن، **المحاضرات**، إعداد محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. سلسلة الأدب،1، الرباط 1975م.

❖ 4 ـ المراجع والدراسات العامة باللغة العربية:

- ✓ – أعفيف محمد، **توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 7، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م.
- ✓ ابليهي زايد، **اتحادية آيت عطا من النشأة إلى معركة بوغافر**، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، بني ملال ،ط1، 2016م.
- ✓ ابن الصغير خالد، **واحات التخوم وحدود المغرب الشرقية (1800م ـ 1903م)، وثائق وخرائط مختارة**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2013م.
- ✓ ابن العربي الصديق، **كتاب المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة النشر، دار الغرب الاسلامي، ط3، 1984م.
- ✓ ابن المؤقت المراكشي محمد بن محمد المسفوي، **الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.
- ✓ ابن الأعرج محمد السليماني، **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ**، الجزء الثاني، الكتاب الثاني، دراسة وتحقيق، عبد الرزاق بنواحي، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة أصكوم، القنيطرة، الطبعة الأولى 2020م.
- ✓ ابن جلون عبد المجيد، **هذه مراكش**، مطبعة الرسالة، القاهرة مصر، ط1، 1949م.
- ✓ ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- ✓ ابن عبود عبد السلام، **تاريخ المغرب**، دار الطباعة المغربية، تطوان، ط2، 1975م.
- ✓ ابن منصور عبد الوهاب، **القبائل المغربية**، ج1، مطبعة الرباط، 1968م.
- ✓ أبو ضيف مصطفى أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1986م.
- ✓ احدى امحمد، **أعراف الجنوب المغربي نموذج: عرف ايت عطا الرتب بوادي زيز**، سلسلة دفاتر الجنوب رقم 1 منشورات مختبر الأبحاث في المجتمعات الصحراوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، ط2، 2012م.
- ✓ احدى امحمد، **دراسات في تاريخ المغرب العميق**، مطبعة BJ PRINT، أكادير، ط1، 2012م.
- ✓ **إحصاء عام لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1992م.
- ✓ الإدريسي أحمد الشباني، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، مكتبة علوم النسب، ط1، 1987م.
- ✓ أرنو لويس، **زمن" المحلات" السلطانية، الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م و1912م**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، مطبعة إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 2002م.
- ✓ استيتيتو عبد الله، **التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل ايت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سلسلة الندوات والمناظرات رقم 27، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، طبعة 2011م.
- ✓ استيتيتو عبد الله، **دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط طبعة 2013م.
- ✓ إسماعيل عثمان عثمان، **تاريخ العمارة الإسلامية** والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1993م.

- ✓ الإسماعيلي العلوي مولاي عبد الحميد، **تافيلالت العذراء وعيطة الغرباء، 1912م ـ 1932م**، مطبعة الجسور، وجدة، 2013م.
- ✓ اشبرو مبارك، **سلسلة المعلمة في تراجم شعراء الملحون بتافيلالت المعروفين بالملاحنية، ج1**، مطبعة ميداكراف الرشيدية، ط1، 2016م.
- ✓ أعشي مصطفى، **نقائش معاهدات السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004م.
- ✓ أفا عمر، **النقود المغربية في القرن الثامن عشر أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس مع تحقيق رسالتين في النقود والأوزان لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م.
- ✓ أفا عمر، **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر سوس 1822 – 1906**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1988م.
- ✓ أوغسطين ليون كيوم، **البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912م ـ 1933م)**، ترجمة وتقديم محمد العروصي، مطبعة work Bureau بني ملال، ط1، 2016م.
- ✓ أيت الفقيه لحسن، **قيم السلم القبلي والعلاقات الوظيفية بجبال الأطلس الكبير الشرقي، دراسات–وثائق جديدة–نصوص**، مطبعة ,Horizongraph Errachidia، ط1، سنة 2021م.
- ✓ بشير عبد الرحمن، **اليهود في المغرب العربي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دار روتابرينت للطباعة، ط1، 2001م.
- ✓ بعلي حفناوي، **الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الأعلام في البلد الحرام: دراسة نقدية توثيقية ثقافية**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط 2018م.
- ✓ بلبكري عبد العزيز، **من رواد المقاومة المغربية بتافيلالت أواخر القرن 19م محمد العربي الدرقاوي المدغري: العالم والمجاهد ـ دراسة تاريخية وثائقية** ـ منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة NEGOCE COM، الرباط، ط1، 2018م.
- ✓ بلبكري عبد العزيز، **من وثائق المقاومة المسلحة المغربية: رحلة الحث على الجهاد**، نشر المندوبية السامية لقدماء المحاربين وجيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2016م.
- ✓ البلعشمي عبد الرحمان وايت حساين إبراهيم والنحلي عبد اللطيف، **القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية**، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992م.
- ✓ بنعبد الله عبد العزيز، **تاريخ المغرب. العصر القديم والعصر الوسيط**، مكتبة المعارف، الرباط بدون تاريخ الطبع.
- ✓ بنعبد الله عبد العزيز، **معلمة التصوف الاسلامي**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2001م.
- ✓ بنعبد الله عبد العزيز، **معلمة المدن والقبائل**، ملحق 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية، ط1977م.
- ✓ بنعدادة أسية، **الفكر الإصلاحي في عهد الحماية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2003م.
- ✓ بنفرحي السعيد، **اليهود في الأمثال العربية العامية والفصيحة**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرباط، 2013م.

- ✓ بودربالة نجيب، **القانون بين القبيلة والأمة والدولة جدلية التشريع: العرف، الشريعة والقانون**، ترجمة محمد زرنين، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2015م.
- ✓ البوزيدي أحمد، **التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 . مطلع القرن 20)** دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطية، 1994م.
- ✓ بوشعراء مصطفى، **علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني أحسن 1860م ـ 1912م**، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، ط1، 1996م.
- ✓ بوكبوط محمد، **السلطان سيدي محمد بن عبد الله في مواجهة أزمة المخزن والمجتمع(1757م ـ 1790م)**، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 59- مطبعة بني ازناسن، سلا، المغرب، 2015م.
- ✓ بوكبوط محمد، **مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار) (1938م ـ1880م) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى وادي نون**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.
- ✓ التازي سعود محمد، **الإلمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب قبل الاسلام**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006م.
- ✓ التازي سعود محمد، **صفحات من تاريخ المغرب القديم**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2008م.
- ✓ التازي عبد الهادي، **الأمثلة المغربية من خلال التعامل السياسي، ضمن الأمثال العامية في المغرب تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي**، ندوة لجنة التراث التابعة لأكاديمية المملكة المغربية بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث. الرباط 21 دجنبر 2001م.
- ✓ التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، 1986م،ج 3.
- ✓ تاوشيخت لحسن، **عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **المغربية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، سنة 2008م.
- ✓ تملاين ابتسام، **آثار الاحتلال الفرنسي لتافيلالت: دراسة في البنيات السياسية والاجتماعية وتحولاتها**. منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة أصكوم، القنيطرة، الطبعة الأولى 2019م.
- ✓ تيتاو حميد، لطيف محمد، **ملامح من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال أمثالها، مساهمة مساهمة في تدوين الأمثال الأمازيغية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003.
- ✓ تزلي عبد الله، "**الاحتلال الفرنسي لمنطقة آيت ازدك وآثاره العامة، (1908 ـ 1930)**، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1،سنة 2017م.
- ✓ التوفيق أحمد، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ـ 1912)**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2011م.
- ✓ **الجريدة الرسمية**، للحماية الفرنسية بالمغرب(النسخة العربية) + الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، أعداد مختلفة.
- ✓ الحادك قاسم، **جوانب من مواقف الزوايا الدرقاوية من الاحتلال الفرنسي(1881م ـ 1932م)**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م.
- ✓ حافظي علوي حسن، **دراسات صحراوية الماء والإبل والتجارة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014م.

- ✓ حافظي علوي حسن، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1997م.
- ✓ حامد سليم الدليمي ثامر عزام، **الإدارة الفرنسية في المغرب 1939 ـ 1956م**، مطبعة دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017.
- ✓ حجي محمد، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1988م.
- ✓ حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2002م.
- ✓ حمادي الإدريسي عبد الله، **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس، سجلماسة ووريثتها تافيلالت تاريخا وامجادا وجهادا**، دار الكتاب العالمية بيروت، لبنان، 2016م.
- ✓ حمادي الطيب محمد، **اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة (قورناثية)**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1994م.
- ✓ داود محمد، **تاريخ تطوان**، مراجعات وإضافات حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2010م.
- ✓ دوتي ادموند، **الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، ترجمة محمد ناجي بن عمر، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء 2014م.
- ✓ رزق عاصم، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، ط1، 2000م.
- ✓ روس إ دان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881م ـ 1912م**، ترجمة أحمد بوحسن، مراجعة عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة ـ الرباط ـ 2006م.
- ✓ الريس المصطفى، **مقاومة شيوخ الزوايا للوجود الاستعماري الفرنسي بالمغرب من خلال جريدة السعادة (1907م ـ 1920م)**، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط2015م.
- ✓ الزعفراني حاييم، **الف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ. ثقافة. دين**. ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الدار البيضاء 1987م.
- ✓ السبتي عبد الأحد، **الزطاط وقاطع الطريق: أمن طرق المغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2009م.
- ✓ سبيلمان جورج، **المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912م ـ 1956م**، ترجمة محمد المؤيد، مجلة أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، مطابع الرباط نت، ط1، 2014م.
- ✓ السماحي عبد الرحمان بن العربي، **المنن في مناقب: سيدي محمد بن عبد الرحمان دفين السهلي رضي الله عنه**. مؤسسة الندوي وجدة، طبعة 2010م.
- ✓ الشابي مصطفى، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 1995م.
- ✓ شفيق محمد، **المعجم العربي الأمازيغي**، إصدار أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، ط1، 1987م.
- ✓ شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ج 4، ط 1999م.
- ✓ شهبي عبد العزيز، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2007م.

- ✓ عبد الرازق محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1985م.
- ✓ عبد اللوي علوي أحمد، **مدغرة وادي زيز، اسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي، خلال العصر الحديث** نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م.
- ✓ العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، ط 5، 1996م.
- ✓ عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق بيروت، ط1، 1983م.
- ✓ علوي الزهيد، **من سجلماسة إلى قصر السوق، الاستعمار ودوره في التحولات السياسية والاجتماعية بتافيلالت**، نشر مركز دراسة وتنمية المجالات الواحية الصحراوية – الجرف، مطبعة، Imprimerie, Youpub، مكناس، ط1، 2016م.
- ✓ العلوي القاسمي هاشم، **مجتمع المغرب الاقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف العاشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995م.
- ✓ العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني**، منشورات IDGL الرباط 2009م.
- ✓ العماري أحمد، **نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار المغرب نموذجا**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا الولايات المتحدة، ط1، 1997م.
- ✓ العمراني محمد، **المغرب زمن العلويين الأوائل**، مطبعة الرباط نت، الرباط، ط1، 2013م
- ✓ العمراوي السجلماسي محمد، **المعجم الوجيز في تراجم نخبة من علماء سجلماسة ووادي زيز**، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 1435هـ/ 2014م.
- ✓ عياش البير، **المغرب والاستعمار: حصيلة السيطرة الفرنسية**، ترجمة عبد القادر الشاوي، ونور الدين سعودي، دار الخطابي للنشر والطباعة، الدار البيضاء، 1985م.
- ✓ عياش جرمان، **الوظيفة التحكيمية للمخزن، دراسات في تاريخ المغرب**، الشركة المغربية للناشرين المتحدثين، ط1، 1986م.
- ✓ الفاسي الفهري محمد، **قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، منشورات جمعية علوم الانسان، الرباط، 1962م.
- ✓ الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة السابعة، 2010م.
- ✓ الفاسي محمد، **معلمة الملحون**، القسم الثاني، تراجم شعراء الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربيةّ، مطبعة أطلال العربية، الرباط، 1992م.
- ✓ فتحة محمد، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي، (من ق6 إلى 9هـ/ 12 ـ 15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، مطبعة المعارف الحديدة، الرباط، 1999م.
- ✓ الفلالي عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب الكبير**، جميع الأجزاء، شركة تاس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006م.
- ✓ الفيومي أحمد بن محمد المقرئ، **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1987م.
- ✓ قسطاني بن محمد، **الواحات المغربية قبل الاستعمار " غريس نموذجا"**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات . رقم 3. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م.

- ✓ كنبيب محمد، **يهود المغرب 1912 ـ 1948**، ترجمة ادريس بنسعيد، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، طبعة 1998م.
- ✓ كوك ماك، **الروايات التاريخية لتأسيس سجلماسة وغانة**، تعريب وتعليق الحمداوي محمد، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1975م.
- ✓ لوطرنو روجي، **فاس قبل الحماية**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1987م.
- ✓ مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار بالاسكندرية، طبعة 1991م،
- ✓ محمود إسماعيل سلمى، **الصراع الاثني والمذهبي في المغرب الأقصى، في ضوء نظريات ابن خلدون**، رؤية للطباعة والنشر القاهرة، مصر، 2009م.
- ✓ مدغري علوي رشيدة، **مسار كفاح المقاوم زين العابدين الحبيب بلعباس العلوي**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2010م.
- ✓ المدلاوي محمد، **صورة المغرب في بعض المكتوبات العبرانية واليهودية**، شؤون مغربية، العدد 15، سنة 1997م.
- ✓ المريني عبد الحق، **مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من الحسن الأول إلى عصر جلالة الحسن الثاني** طبع وزارة الشؤون الثقافية، مركز الأبحاث والدراسات العلوية، دار المناهل، الرباط، 1996م.
- ✓ المعزوزي محمد والعابدي العلوي هاشم بن الحسن، **الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935**، مطبعة الأنباء، الرباط، 1987م
- ✓ المنصور محمد، **المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792م ـ 1822م**، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 2006م.
- ✓ المنوني محمد، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، ط2، 1985م.
- ✓ المنوني محمد، **من حديث الركب المغربي**، مطبعة المخزن، تطوان 1953م.
- ✓ المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط3، 2000م.
- ✓ مهاجر أحمد البوشيخي الصديقي الإدريسي، **ومضات على الطريقة الشيخية في شروح على تانية سليل الدوحة الصديقية المسماة "الياقوتة" في التصوف لقدوة الاسلام وطلعة الأنام القطب الامام والغوث الهمام، العارف بالله محيي الدين الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد السماحي البكري الصادقي الهاشمي المالكي المغربي المدعو سيدي الشيخ، رضي الله عنه، توفي عام 1025هـ/ 1616م**، ط1، 2011 ـ 2012م. د م ط.
- ✓ المهداوي عبد الواحد والصادقي حسن، **الزاوية الصادقية، التاريخ والمجال والمجتمع**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس ـ فاس، مطبعة أنفو برانت فاس، ط1،2017م.
- ✓ موسوعة **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، ط 2014م، جميع الأجزاء.
- ✓ النيسابوري أحمد بن محمد، "**مجمع الأمثال**"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، إيران، 1987م.
- ✓ الهاشمي رشيد، **قصر الدويرة أضواء على التاريخ والثقافة والتراث**، مطبعة ميدا كراف، الرشيدية، ط1، 2019م.
- ✓ يحيا عبد الكبير، **تقسيم التراب والسياسة الجهوية بالمغرب نحو اعتماد جهوية سياسية**، مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الرباط، 2010م.

❖ 5 ـ المراجع والدراسات باللغات الأجنبية:

- Alfrid Le Châtelier, **Notes sur les villes et tribus du Maroc**, 1890. Tafilalt, Tizimi, Mdaghra, Rteb.
- **Archives de la guerre**, volume mis à jour à la date du 9 mai 1932, Charles- Lavauzelle et Cie (Paris) 1932.
- Brunel René, **Le Monachisme**, **errant dans l'islam**, **Sidi Heddi et les Heddawa**, Maisonneuve et Larose, Paris, 2001.
- Caillié René, **Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale**: **précédé d'observations faites chez les Maures Braknas**, **les Nalous et d'autres peuples**, **pendant les années 1824**, **1825**, **1826**, **1827**, **1828**. T3, Imprimé par autorisation du Roi AL'imprimerie Royale, Paris. 1830.
- Capitaine Niclausse, **Les Ait Atta du Sahara**, Centre des Hautes Etudes Musulmanes Rabat, N° 2681, 1956.
- De Foucauld Charles, **Reconnaissances au Maroc 1883-1884**, Challemel, 1888.
- De Segonzac Marquis. **Au coeur de l'Atlas**, **mission au Maroc**, **1904-1905**. **Mis de Segonzac**. Emile Larose, Libraire- Editeur. Paris. 1910.
- Doury Paul, **Un échec occulté de Lyautey**. **L'affaire du Tafilalet (Maroc Oriental 1917-1918)**, L'Harmattan, Paris, 2008.
- Gautier E'mile-Félix, **Le Sahara**, Paris, 1913.
- **Grand Larousse de la langue française**, Tome 6, édition 1989.
- Hamet Ismaël, **Histoire du Maghreb**, Edition Ernest Leroux, Paris 1923.
- Hirschberg Hayyim Ze éb, **A History of The Jews in North Africa**, V1, From Antiquity to the Sixteenth Century, 1974.
- Historique des unités de la légion étrangère pendant la guerre 1914-1918, Maroc et Orient, **Historique du Bataillon Mixte Bou-Denib**,Oran, Imprimerie, D, Heintz et Fils, 1922.
- **Historique du Bataillon**. **Depuis la Mobilisation (2Aout 1914) jusqu' à la Signature de la Paix (28 Juin 1919)** – 8eRégiment de

Tirailleurs Tunisiens 3e Bataillon Marche, Imprimerie Typographique et Lithrographique L. Fouqué .ORAN. 1920.

- Isidore Derrien, **Le chemin de fer trans-saharien d'Oran au Touat**, **par Tlemcen et l'Oued Messaoura**. Adolphe Perrier. Imprir- E'DItecr Paris. 1879.
- Joly Fernand, **Etude sur le relief de Sud-Est Marocain**, Rabat imprimerie d'agdal, 1962, Travaux de l'institut Scientifique Chérifien, série géographie physique, N10, Université Paris Sorbonne, Thèse Doctorat d'Etat en Géographie, 1962.
- Laroui Abdellah, **l'histoire du Maghreb un essaie de synthèse**, François Maspero Paris 1970.
- Martin Alfred, Georges Paul, **Quatre Siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504-1902**, **au Maroc de 1894 à 1912**. F, Alcan, Paris. 1923.
- Massignon Louis, **Le Maroc dans les premières années du XVI siècle**, Alger, 1906.
- Meunie Djinn Jacques, **Le Maroc Saharien des origins à 1670**, Paris, 1982.
- Mezzine Larbi. **Le Tafilalet**. **Contribution à l'histoire du Maroc aux 17 et 18 Siècles**. Publication de la Faculté des Lettres et des Siennes Humaines - Rabat série thèses 13, imprimerie Najah et Jadida, Casablanca, 1987.
- Ministère des affaires étrangères, Documents diplomatiques, **Affaires du Maroc**, **1901-1905**, Imprimerie Nationale, Paris, 1903.
- Ministre de la guerre état- Major de l'Armée _ service Histoirique, **Les armées françaises dans la Grande guerre**. Tome IX, 9, Troisième Volume, Les Opérations au Maroc, Paris, 1939.
- Robert Montagne, **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la vie politique des berbères sédentaires (groupe chleul), Librairie Félix Alcan, Paris, 1930.

- Montagne Robert, **villages et kasabas bérbères**,**Tableau de la vie sociale des bérbères**, **sédentaires dans le sud du Maroc**, Felix Alcon, Paris, 1930.
- Nehlil Mohamed. **Azerf des Ait Izdeg**, **les archives berbères**, Publication du comité berbère du Rabat Tom 1978.
- Nordman Daniel. «**Les Expéditions de Moulay Hassan**», Hespéris Tamuda, Vol 19 Année 1980 - 1981 Edition Techniques Nord – Africaine, Rabat.
- Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'Instruction Publique, **Livre d'orde l'école**, Editions A .Moynier et Cle, Casablanca, 1950.
- Rivet Daniel, **Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc**, 1912 – 1925, L'Harmattan, Paris. 1990.
- Slousch Nahum, **Judeo–Hellenes et Judeo–Berbers**, **Recherches Sur les Origines des Juifs et du Judaisme en Afrique**, Paris 1909.
- Spillman Capitaine Georges, **Esquisse d'histoire religieuse du Maroc**, Paris, 1951.
- Terasse Henri, **histoire du Maroc des origins à l'établissemente du protectorat Francais**, Casablanca, 1950.
- Voinot Louis, **Pélerinages judéo – musulmans du Maroc**/ Institut des Hutes etudes Marocaines, notes et documents IV, editions Larose. Paris, 1948.
- Voinot Louis, **Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc**, Charies - Lavauzelle et Cle Editeurs Militaires Paris, 1939.
- Walter Haris. **Tafilalet**. London. 1985.

❖ 6 ـ المقالات والتقارير باللغة العربية:

- ✓ احدى امحمد، «**القبائل الأمازيغية بالجنوب الشرقي المغربي وعلاقتها بالمجال الصحراوي من القرن 16م إلى القرن 20م**» ضمن كتاب الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ نشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مطبعة المعارف الجديدة ـ الرباط، 2015م، (ص.141-151).
- ✓ احدى امحمد، «دراسات في تاريخ المغرب العميق، مقال الانسان والبيئة بواحات الجنوب الشرقي المغربي من خلال الوثائق والأعراف المحلية» ضمن أعمال ندوة، **البيئة بالمغرب معطيات تاريخية وافاق تنموية: منطقة درعة نموذجا**"ـ منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الرباط ـ 2005م، (ص. 197- 206).
- ✓ اخروش مولاي الحسن، «مقاومة تافيلالت للاستعمار الفرنسي، عهد السلطان مولاي يوسف (1912م ـ 1927م)» **أعمال الدورة الثالثة لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية، عهد السلطان مولاي يوسف**، 12 و11 نونبر 2005م، (ص. 117- 122).

- ✓ استيتيتو عبد الله، «المدارس العلمية العتيقة في تافيلالت: أدوارها العلمية وخلفياتها التاريخية»، ضمن كتاب **المدارس العتيقة بالمغرب دور القبائل في التدبير والتمويل**، تنسيق محمد ايت حمزة ومبارك أيت عدي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2015م، (ص. 127- 144).
- ✓ استيتيتو عبد الله، «أهمية الرواية الشفوية والوثائق المحلية في مقاربة بعض الوقائع التاريخية بتافيلالت على عهد السلطان مولاي يوسف، اغتيال الحاكم أوستري نموذجا»، ضمن **أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة عشر**، عهد السلطان مولاي يوسف، 12 و11 نونبر 2005م، (ص. 123-148).
- ✓ إيشرخان أحمد، «طائفة هداوة وحقيقتها بالمغرب، من خلال تقييد مخطوط للشيخ عبد الحفيظ الفاسي»، ضمن كتاب، **التراث الصوفي المغربي، دراسات في بعض قضاياه ومعالمه وأعلامه**، تنسيق محمد العمراني، مطبعة آنفو برانت، فاس، ط1، 2019، (ص. 293- 322).
- ✓ البكراوي محمد، «كفاح البادية المغربية ضد الاستعمار الفرنسي: مقاومة الجنوب الشرقي المغربي نموذج(1908م ـ 1900م)» ضمن كتاب **البادية المغربية عبر التاريخ**، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم 77، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999م، (ص. 185-196).
- ✓ بلكامل البيضاوية، بلفايدة عبد العزيز، «الجنوب المغربي في عصوره القديمة من خلال المصادر الاغريقية والرومانية»، **الدورة الأولى لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية 1989م**، (ص. 343- 368).
- ✓ بوراس عبد القادر، «اتحادية آيت عطا والعرف القبلي»، ضمن كتاب **الأعراف بالبادية المغربية**، تنسيق البيضاوية بلكامل، فاطمة مسدالي، حليمة بنكرعي، ثريا المرابط، سعيد البوزيدي، مطبعة دار السلام للطابعة والنشر والتوزيع الرباط، ط1، 2004م، (ص. 47-64).
- ✓ بوكبوط محمد، «ملاحم آيت خباش من 1900 إلى 1934، أعلى درجات المقاومة»، ضمن كتاب، **المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات**، تنسيق محمد حمام وعبد الله صالح، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م، (ص. 261-273).

- ✓ تاوشيخت لحسن، «السلطة والمجتمع بتافيلالت في عهد السلطان مولاي يوسف»، ضمن أعمال دورة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الرابعة عشر 10 ـ 11 نونبر سنة 2006م، حول **التحولات والاقتصادية الاجتماعية في عهد السلطان مولاي يوسف**، مركز البحوث والدراسات العلوية، مطبعة دار المناهل 2007م، (ص. 9- 25).
- ✓ تاوشيخت لحسن، «العمارة العلوية بتافيلالت خلال عهد المولى إسماعيل» **جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية** مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني دجنبر 1990م، (ص. 178-190).

- ✓ تاوشيخت لحسن، «القانون العرفي "أزرف" عند قبيلة آيت خباش»، ضمن كتاب **الأعراف بالبادية المغربية**، تنسيق البيضاوية بلكامل، فاطمة مسدالي، حليمة بنكرعي، ثريا المرابط، سعيد البوزيدي، مطبعة دار السلام للطابعة والنشر والتوزيع الرباط،، ط1، 2004م، (ص. 22-47).
- ✓ تاوشيخت لحسن، «القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت»، ضمن **أعمال ندوة السلطان مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة مولاي لإسماعيل مكناس**، مطبعة فضالة المحمدية 1995م، (ص. 109-141).
- ✓ تزلي عبد الله، «رهان التصدي لقوات الاحتلال الفرنسي بوادي زيز الأوسط، وقعة إفري بالخنك الأعلى نموذجا، (30 ـ 31 ماي 1916م)»، ضمن **أعمال ندوة جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة**، عهد السلطان مولاي يوسف، 12 و11 نونبر 2005م، (ص. 210-216).
- ✓ جرير محمد، «بعض المظاهر من تحولات العالم القروي بواحات تافيلالت الكبرى»، **ضمن ندوة المجال والمجتمع المغربي بالواحات المغربية**، جامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم6، 1993، (ص. 51-61).
- ✓ حافظي علوي حسن، «مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي» **ندوة المعمار بالتراب في حوض البحر المتوسط**، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ط1، (ص. 50 -91).
- ✓ الشرقاوي أحمد، «تطور تنظيم المجال بتافيلالت في عهد الحماية من سنة 1927 إلى سنة 1956»، ضمن **ندوة علماء تافيلالت وأدباءها وفنانيها وقبائلها وجيش التحرير في مقاومة الاستعمار** (24 و25 أبريل 2013م)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، تنسيق أحمد البابيي وآخرين، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2015م. (ص. 75 - 95).
- ✓ شفيق محمد، «حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ»، ضمن كتاب، **جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب**، إشراف محمد القبلي، مؤسسة الملك عبد العزيز أل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1997م، (ص. 59-73).
- ✓ صوصي علوي عمر، «زاوية مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي بمجال تافيلالت، نموذج العلاقة الزاوية ـ الدار بالإنسان والمجال». ضمن مؤلف **العمران والمجال والانسان في تاريخ المغرب** مؤلف جماعي تنسيق رحمون الحسين، الطاهر بلمهدي. ط2017م، (ص. 67-84).
- ✓ عمالك أحمد ، «أزمة (1071 ـ 1072) وأثرها على أوضاع المغرب في أثناء قيام المولى رشيد»، ضمن أعمال الدورة الأولى، حول **مصادر تاريخ الدولة العلوية الشريفة، المؤسسون الأولون للدولة العلوية الشريفة**، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، وزارة الثقافة، 1989. (ص. 217- 234).

- ✓ عمالك أحمد، «الأعراف والهوية: رصد لتراجع مكانة ووظيفة الأعراف الأمازيغية»، ضمن **كتاب القانون والمجتمع بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2005م. (ص. 115- 128).
- ✓ عمالك أحمد، «الحضور المخزني بوادي درعة في العصر العلوي الأول»، ضمن كتاب **حوض وادي درعة، ملتقى حضاري وفضاء للثقافة وإبداع**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، ط 1996،(ص. 55- 72).
- ✓ الكتاني يوسف، «المولى إسماعيل رائد تحرير الانسان من خلال تأسيس جيش عبيد البخاري»، ضمن **أعمال الدورة الأولى، لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية**، مطابع ميثاق، الرباط 1990م، (ص. 169- 180).

- ✓ لمراني علوي محمد، «التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر أخنوس من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة» ضمن **أعمال الدورة السابعة لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية**، مارس 1998م. (ص. 55 - 67).
- ✓ لمراني علوي محمد، «المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، قصور مدينة الريصاني من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة» **ندوة المعمار المبني بالتراب في حوض البحر الأبيض المتوسط جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات**، ع 80، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، سنة 1999م، (ص. 99-116).
- ✓ مزين العربي، «تافيلالت مهد الدولة العلوية»، ضمن **مذكرات من التراث المغربي**، تحت إشراف العربي الصقلي، ج4، الخزانة العامة والأرشيف الرباط، مطابع الأطلس، 1985م، (ص. 14- 25).
- ✓ مغار مولاي الحسن، «المجال والفرجة بقصور الرتب بتافيلالت (تراث لامادي بقصر أولاد عميرة نموذجا)»، ضمن مؤلف **واحات درعة تافيلالت، التراث والتنمية، التجليات والامتدادات وفرص التثمين، مساهمة في إبراز التاريخ الجهوي وحفظ الذاكرة**، إعداد وتنسيق عبد الرزاق السعيدي، نشر المديرية الجهوية لوزارة الثقافة درعة تافيلالت . الرشيدية، مطبعة إتيركوس الرشيدية، ط1، 2019م، (ص. 55- 85).
- ✓ مهدان امحمد، «المصطلحات الخاصة بتوزيع الماء عند قبائل آيت عطا بالجنوب المغربي»، ضمن كتاب **المصطلحات الجغرافية الأمازيغية**، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2011م، (ص. 133- 142).

- ✓ مهداوي عبد الواحد والصادقي حسن، «التنظيم العمراني والمعماري بقصور المغرب الشرقي قصر الزاوية الصادقية نموذجا». **مجلة المناهل**، العدد 98، ملف العدد، مدن وحواضر مغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2020م، (ص. 231-248).
- ✓ الميلود شاكر، آيت حمزة محمد، «تقرير عن رحلة إلى تافيلالت»، **مجلة جغرافية المغرب**، سلسلة الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 6، 1982م، (ص. 62-67).

❖ 7 ـ المجالات:

- **انبعاث أمة**، العدد 11، المطبعة الملكية 1966م./ والعدد 13، المطبعة الملكية 1968م.
- بنصر علوي عبد الله، «من شخصيات الزاوية العياشية (أبو سالم العياشي) 1»، **مجلة دعوة الحق**، العدد 248، ماي 1985، (ص. 88- 94).
- بوكبوط محمد، «البطحاء ـ كاوز: المعركة المنسية»، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 20، ط1، 2001م، (ص. 29-37).
- التازي عبد الهادي، «في التاريخ الدولي للمغرب، رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلي الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة (بداية القرن 12 هـ، أواخر القرن 17م»، **مجلة دعوة الحق**، العدد 282، شعبان 1411هـ/ مارس 1991م، (ص. 135- 143).
- تزلي عبد السلام، «جوانب من المسألة المائية بزيز الأوسط،(الرشيدية)» ضمن **مجلة تافيلالت**، العدد الأول، السنة الأولى، مطبعة تافيلالت، الرشيدية، 1999م، (ص. 35- 46).
- زايس بول، «المحاكم الوطنية(الشرعية والمخزنية والعرفية والإسرائيلية)» تعريب عبد الرحمان بيري، ضمن **المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية(المذهب المالكي والعرف البربري والقانون الإسرائيلي، الباب الثاني في المذاهب**، عدد 1، السنة الأولى بتاريخ 1935م.
- الشابي مصطفى، «عبد الرحمان بن زيدان مؤرخا سياسيا»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط**، جامعة محمد الخامس، ع 1 ـ 1984م، (ص. 135-147).
- الشريف محمد، «حولية إفريقيا الشمالية نموذجا لمصادر المعلومات الفرنسية حول دول المغرب العربي»، **البحث العلمي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الرباط، ع 47، سنة 2001، ،(ص. 65-88).
- الطايعي مبارك، «البنيات الاجتماعية للمجتمع المغربي في الأدبيات الكولونيالية والأنجلوساكسونية»، ضمن **مجلة عالم الفكر**، المجلد 41، أبريل ـ يونيو2013م، (ص. 263-286).
- العلوي التقي، «أصول المغاربة، القسم البربري دور الاتحاديات الأطلسية»، مجلة **البحث العلمي**، ع 23، منشورات جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط 1974م، (ص. 115- 134).
- العلوي التقي، «أصول المغاربة، القسم البربري: الأنساب البربرية وقيمتها»، مجلة **البحث العلمي**، ع 22، منشورات جامعة محمد الخامس سنة 1974م، (ص. 124- 145).
- العلوي القاسمي هاشم، «مدغرة: مركز واحي معرفي وحضاري وامتداده في تاريخ المغرب الوسيط والحديث»، **مجلة دفاتر تاريخية**، كلية الآداب ظهر المهراز فاس، ع1، مطبعة أنفو-برانت فاس، 2010م.(من ص 107 إلى ص 109).
- العلوي محمد أمين، «الملحون والتاريخ»، **مجلة فكر ونقد**، ع 60/ 59 ماي، يونيو 2004م، (ص. 63-83).
- العلوي مولاي هاشم، «نبذة عن المقاومة»، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، العدد السادس عشر، دجنبر 1986م، مطبعة الرسالة 1986م، الرباط، (ص. 14- 17).
- فجر مبارك، «اليهود بواحة زيز الكبرى»، **مجلة واحة تافيلالت**، العدد الأول 1999م، مطبعة تافيلالت، الرشيدية، 1999م، (ص. 30- 34).

- المحرر أحمد، «المقاومة في إقليم الرشيدية»، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، العدد الثامن، يونيو 1984م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1998م، (ص. 47- 53).
- مفلح أمبارك، «مشاركة سكان تافيلالت في مواجهة الاستعمار»، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، العدد السادس والعشرون، دجنبر 1990م، مطبعة الأمنية، الرباط، ط 1998م، (ص. 81- 88).
- المنوني محمد، «الوراقة في العصر العلوي الأول»، **مجلة دعوة الحق**، ع 162. سنة 1975،(ص. 80-92).
- نشاط مصطفى، «المغرب المريني وأزمة القرن 14م/ 8هـ النقدية»، **مجلة أمل**، ع3، السنة الأولى، 1993م، (ص. 4-19).

❖ 8 ـ المقالات والتقارير باللغات الأجنبية:

- Agence urbaine d'Errachidia, **Etude d'elaboration du plan de developpement de l'agglomertion de Rteb** – province d'Errachidia- rapport analyse diagnostic, 2016.
- Ahda M'Hamed, «Le droit coutumier des Ait Marghad de Ferkla (Sud-est marocain), **Revue Awal**, N° 32, édition des Sciences de l'Homme, Paris, 2005. (p, 127-137).
- Ahda M'Hamed, «Les juifs au Sud-Est marocain, le cas de Tafilalt», **Revue Qira'at**, N° 2-3 Mohamedia, 2005, (p, 20-26).
- **Archives de l'école primaire d'Aufouss**, Registre Matricule de l'école primaire musulmane d'Aufouss, Ecole mixte, Ridigé par Mr .Thealler Roger, en date du 1 janvier 1947.
- Astar Gaston, «Sur une faune de Rudistes du Crétacédes Plateaux Sahariens au sud de L'Atlas Marocain (Vallée de L'oued Ziz) Etude paléontologique», **Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de Toulouse** Fondée le 8 Aout 1866 Tom SOIXANTANE-UNIEME 3eTrimestre,Toulouse, 1931, (p, 345 – 356).
- Bassac. «Note sur le Tafilalet et sur le Ziz» **Bulletin de la Société de Gégraphie d' Alger et l' Afriue du Nord**, 3e trimester, 34° année 1929, (p, 403 – 413).
- Bernard Augustin et Joly, CH, **Le Tafilelt et Sidjilmassa**. France – Maroc. Revue Mensuelle. Deuxième Année – N° 7.Librairie Plon – Nourrit. Paris. 15 Juillet 1918.

- Berriou Lieutenant. «**Notes sur l'Oued Ziz**» .Renseignements coloniaux et documents publiés par le comté l' Afrique française organe du comité du Maroc. Paris . Année 1904 . N 5, (p, 125 –131)
- Camips. G. «Recherche sur les origines des cultivateurs noires du Sahara», **Vie Politique**, R,O,M, N° 7, T 3. 1 er Trimestre 1970.
- Capitaine Coutard. «Chronique militaire Au Tafilalelt». **France–Maroc**. **Revue Mensuelle**, Troisième Année – N°5. 15 Mai 1919. La Vie au Maroc Librairie Plon - Nourrit. Paris. (p, 136 -138).
- Cdt. F. G, «La Route du Tafilalet. LA Vallée du Ziz», **La Terre Marocaine**: revue illustrée, Casablanca, 1/ 07/ 1930, (p, 2393 -2397).
- Clariond Louis. «**Le problème de l'eau ou Tisimi et ou Tafilalet**». B.E.M, Vol, IV, N°17, 1937. (p, 237-240).
- Colonel Dastugue Le lientenant – Henri. «**Quelques Mots Au sujet de Tafilalet et de Sidjilmassa**». Bulletin de la Société de Géographie. Cinquième Série. T13. Janvier –Juin. Libraire de la Société, Paris. 1867, (p, 337 – 379)
- Colonel Puissant, «Construction par service du génie de la route de Ziz de Boua sidi a Erfoud», **Revue du Génie Militaire**, Paraissant tout les mois, 38e Année – Tome LXVII – Juillet 1930, (p, 475 – 487).
- Daguin, F, «Aux confins du Tafilelt en 1923», **Revue philomathique de Bordeaux et du Sud–Ouest**. 35 année N°1, Janvier-Mars, Bordeaux,1932. (p, 114 -127).
- Driss Saidi. «Plan de développement du centre d'Aoufous. Rapport de diagnostic». **Agence urbaine d'Errachidia**. Juillet 2010.
- Fernand Daguin, «**Sur une faune de Rudistes du Crétacédes Plateaux Sahariens au sud de L'Atlas Marocain (Vallée de L'oued Ziz), Description du gisement**», Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle de Toulouse Fondée le 8 Aout 1866 Tom SOIXANTANE-UNIEME 3eTrimestre,Toulouse, 1931, (p, 343 – 345).
- Fortin. J.C, «Rapporteur de la Question N°7, La nappe phréatique salér du Tafilalet», **Son Controle pour le Développement de la Mise**

Valeur, Royaume du Maroc, Centre National De Documentation, Service De Reprographie, Et Imprimerie Rabat, 1973. (p, 111 – 127)

- Frédéric de lachapelle, «Lexpedition de Suetonius Paulinuis dans le Sud-est du Maroc», **Hesperis Archives Berbères et Bulletin de l' institut des Hautes-ètudes Marocaines**, Tome, 19. Fascicules. I–II. Librairie La Rose, Paris. Année 1934. (p, 107-124).
- Gabriel Delbrel, «**Notes sur le Tafilalet**,**Bulletin de la Société de Géographie**», Paris 7eme série Tome XV, 3eme trimester, 1894, (p, 199- 227)
- Goudard (Capitaine). «Le service des affaires indigènes du Maroc». **La Revue d'Infanterie**. V. 86. Mars. 1935.
- J.Canal, «**La Conquête du Sud-Oranais**, **L'Africain Hebdomadaire Intercolonil**», 1 Octobre 1933, 14e Année Nouvelle série – N° 185.
- Jaques Meunié. «Hiérarchie sociale au Maroc présaharien», **Hespéris**, 45, 1958. (p, 239-266).
- Jean Paillard. Berriau (Colonel), «L'Officiers de renseignements au Maroc», **Action Française**. 21/10/1935.
- Joly Fernand, «**Promenade dans les palmeraies et les Oisis**», confluent, juin- Juillet 1960, N° 8.
- Journal Officiel de la République Française, Lois et décrets 1881-2015, date 11/07/1917.
- **Le petit Marocain**, «Le Triomphal Voyage de S. M. le Sultan Au Tafilalet», 29e année N° 7148, Lundi 26 Mai 1941.
- **Le petit Marocain**.34e année N° 9312, Samedi 25 Mai, Casablanca, 1946.
- **Le Temps Paris**, «L'attaque de Taghit par les Berabers», Quarante-troisième Année N° 15461, 15 Octobre 1903.
- **Les Annales coloniales**: organe de la "France coloniale moderne" Vingt –neuvième Année – N° 160, Lundi Soir, 29 Octobre 1928.
- Lieutenant Audun. Le Tourisme dans la région de Colomb- Béchar, Les Amis du Sahara, «**Organe de l'Association Les Amis du Sahara**», Bulletin Trimestriel, Avril 1935, N° 15 à Alger, (p, 81 -110)

- Linarès Ferdinand, «Voyage au Tafilalet avec S. M. Le Sultan, Moulay Hassan en 1893». **Extrait du bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc**, N°8 III et IV, 1932.
- **L'Œuvre** Paris, N° 4776, Dimanche 28 Octobre, 1928.
- Lucien Saint, «La vie Administrative L'organistion du territoire Sud de Meknès». **Les Annales coloniales**: **organe de la France coloniale moderne**. Trentième Année, N° 106, Paris, 8/ 7/1929.
- Mezzine Larbi. «Ta"Qqitt de Ayt Atman": Le recueil des règles de coutume d'un groupe de Qsur de la moyenne vallée de l'Oued Ziz», **Hespéris Tamuda**; Vol 19 Année 1980 - 1981 Edition Techniques. Nord – Africaine, Rabat.(p, 89-123)
- Rapport du Capitaine Salkin, **Chef du Poste d' Aoufous au Chef du Cercle d'Erfoud**, N° 416 A.I.A. 12 Aout 1955, Dossier Fiche de Tribu des Ait Atta du Rteb, Carton 14 MA/900/ 275, Série Meknès, A.D.N.
- Rapport politique Mensuel Période du 21 Avril au 20 Mai 1930, de Territoire du Sud, N° 1891/A.I.S. 12Juin 1930. Dossier Tafilalet, Carton 14 MA/ 900/ 215, Série Meknès, A. D. N.
- René Janon, «Le Résident Général Lucien Saint est Arrivé a Erfoud, Au Seuil du Tafilalet» **L'Echo d'Alger** : **journal républicain du matin**, Alger, 21e Année – N° 8144, 26 /01/ 1932.
- **Revue Algérienne**, Tunisienne et Marocaine de législation et de jurisprudence / publiée par la Faculté de droit d'Alger, 3° et 4° Lois, Decrets, Arretes, ETC. (Algérir, Tunisie et Maroc), Tome 44, Année 1928.
- Rohlfs Gerhard. «Le Tafilelt d'apres Gerhard Rohlfs». **Renseignements Coloniaux**, **et Documents Publies par Comité de L'Afrique Française**, et le comité du Maroc, Année. 1910,N° 8. (p, 243 -257).
- Schaudt Jakob, «Voyages au Maroc», Traduit de l'Allemand et annoté, Lacroix Napoléon, **Bulletin de la sociologie et de la géographie d'Aljer**, Documents sur le Nord-Ouest africain, Sixième Année, 3er Trimestre, 1901, Imprimerie Typographique et lithographique, S, Léon, Aljer, 1901,

- Séraphin Colin Georges. «Voyage de Fès au Tâfîlâlt en 1787». **La Revue de Géographie Marocaine publiée par la Société de Géographie du Maroc** 1934, (p, 3-8).
- Slousch Nahum, «**Etude sur l' histoire des juifs ou Maroc Archives Marocaines**». vol. VI. 1906. (p, 1-167).
- **Sur Le Front Marocain**, **Au Tafilalet** (**1916 – 1918**), L'Afrique française: bulletin mensuel du Comité de l'Afrique française et du Comité du Maroc, Paris Année 1918.
-

❖ 9 – البحوث والرسائل والأطروحات الجامعية باللغة العربية (غير منشورة):

- امحرزي حسن، **خزانات التراث المخطوط والوثائق بواحة تافيلالت الكبرى: بين الاستثمار ورد الاعتبار**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز فاس سايس، السنة الجامعية، 2017م ـ 2018م.(ثلاثه أجزاء)، (مرقونة).
- بلبكري عبد العزيز، **بعض مظاهر علاقات المغرب التاريخية مع بلدان افريقيا جنوب الصحراء خلال التاريخ الحديث والمعاصر من خلال مخطوط: "نوازل مولاي أحمد بن الحبيب"**، دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز فاس، الموسم الجامعي 2005م ـ 2006م،(مرقونة).
- بوعصب امبارك، **مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين. التاريخ والمعمار والإنقاذ**. أطروحة شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سايس، الموسم الجامعي، 2010م ـ 2011م، (مرقونة).
- حاتمي محمد، **الجماعات اليهودية المغربية والخيار الصعب بين نداء الصهيونية ورهانات المغرب المستقل 1948م ـ 1961م** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس سايس، 2006م ـ 2007م. (2 أجزاء) (مرقونة).
- حافظي علوي حسن، **واحات بلاد المغرب من القرن 4هـ / 10م إلى القرن 8هـ/14م**. أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، الموسم الجامعي 2004 ـ 2005.(ثلاثه أجزاء)، (**مرقونة**).
- الحمداوي أحمد، **منطقة الرتب في تاريخ تافيلالت الحديث**، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، الموسم الجامعي، 1991م ـ 1992م، (مرقونة).

- الطايعي مبارك، البنيات **الزراعية والبنيات الاجتماعية، وأفق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية، واحة تافيلالت نموذجا**، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية أكدال ـ الرباط، الموسم الجامعي 2007م ـ 2008م، (مرقونة).
- عبيدي سعيد، **العمارة العسكرية بقصور تافيلالت دراسة تاريخية ومعمارية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس سايس، برسم الموسم الجامعي، 2018م ـ 2019م. (مرقونة).
- عمراني زريفي محمد، **المقاييس في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، الموسم الجامعي 2005م ـ 2006م، (مرقونة).
- عمراوي عبد العالي، **قصر المعاركة التاريخ والعمران**، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس سايس، الموسم الجامعي 2012م ـ 2013م،(مرقونة).
- عوني عبد الفتاح، **التحولات الادارية والاقتصادية بمنطقة تافيلالت على عهد الحماية الفرنسية 1912م ـ 1956م، دائرة أرفود نموذجا**، أطروحة دكتوراه بكلية الآداب فاس سايس، 2018م ـ 2019م، (مرقونة).
- كبيري علوي مولاي هاشم، **التحولات السكنية بزيز الأوسط، انفجار القصور ومسلسل التمدين** أطروحة لنيل شهادة الدكتورة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز فاس. 2004م ـ 2005م. (مرقونة).
- محمدي مولاي عبد الهادي، **المجتمع القبلي ودور الزوايا بالحوض الأعلى لوادي زيز من القرن 8هـ/14م إلى القرن 13 هـ/19م، مع دراسة وتحقيق مخطوط الإحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش، لعبد الله بن عمر العياشي المتوفي سنة 1169هـ نص القسم الثاني من كتاب الإحيا والانتعاش**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، الموسم الجامعي 2002 ـ2003م. (مرقونة).
- المشرفي العربي بن عبد القادر بن علي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سيء الظن الكنسوس**، دراسة وتحقيق (إلى نهاية الترجمة الرابعة) عبد الحق شرف، دكتوراه الدولة في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، جامعة وهران، سنة 2010م ـ 2011م،(مرقونة).
- مليكي زهور، **إعداد المجال والتنمية الحضرية بمدينة الرشيدية**، أطروحة دكتوراه في الجغرافية، جامعة بن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، الموسم الجامعي، 2009م ـ 2010م، (مرقونة).
- المولودي محمد، **الثنائية الحضرية أرفود ـ الريصاني، البنيات والوظائف وتنظيم المجال الجهوي بتافيلالت**، بحث لنيل الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز، فاس. 2003م ـ 2004م، (2 أجزاء) (مرقونة).

- ميوسي محمد، **تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار، أداء الواحات بين المقاربتين المشهدية والشمولية: أي تنمية؟** أطروحة دكتوراه بجامعة محمد الخامس أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الموسم الجامعي 2001م ـ 2002م، (مرقونة).
- الهلالي أحمد بن عبد العزيز، **أبيات في ديوان الهلالي**، دراسة وتحقيق عبد الله الهمس، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس 1408هـ/ 1987م، (مرقونة).
- واحيحي سعيد، **سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور 796 هـ/ 1393م، إلى أواخر القرن 11 هـ/ 17م دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز، فاس. 2005م ـ 2006م، (مرقونة).

❖ 10 – البحوث والأطروحات الجامعية باللغات الأجنبية(غير منشورة):

- Chlkhoune Abd Elkader, **Epigraphie monumentale des oratoires et palais du Sud–Est Marocain (15 –18 Siècles)** Thèse de doctorat en histoire de l'Art, Université de Toulouse le Mirail U.F.R, d'histoire, histoire de l'Art et Archéologie 1995.
- Daoud Mohamed, la Moyenne vallée du Ziz: une Oasis entre tradition et modernisation, Thèse de doctorat d'Etat, Géographie humaine, Tome1,. Université Chouaïb Doukkali, Faculté des lettres et des Sciences humaines El Jadida Année universitaire 2000 – 2001.
- Ilahiane Hsain, **The power of the dagger**, **the seeds of the Koran**, **and the sweat of the ploughman**: **Ethnic stratification and agricultural intensification in the Ziz Valley**, **southeast Morocco**, A Dissertation Submitted to the Faculty of the Department of Anthropology In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy In the Graduate College The University of Arizona United States 1998.
- Lmoubariki Mohammed, **La résistance du Sud– Est Marocain à la Pénétration Française 1908–1934**, Edité par Haut Commissariat aux Anciens Résistants et Anciens Membres de l' Armée de Libération, Impression et realisation, Accomm, Kànitra,2020.

❖ 11- الروايات الشفهية:

- ✓ **بورمضان أحماد**، (84 سنة)، أجريت المقابلة معه بقصر تاخيامت بتاريخ 08/ 02/ 2020م.
- ✓ **الخلطي عبد الرحمان**، (84سنة) أحد سكان زاوية أملكيس، أجريت معه المقابلة بتاريخ، 15/ 02/ 2020م.
- ✓ **السهلاوي ابا سيدي بن العربي**، (78 سنة) من سكان قصر الزريكات، أجريت معه المقابلة في 06/ 04/ 2019م.
- ✓ **الطاهري علوي ابا سيدي بن العربي**، (**من مواليد سنة 1932م**)، قاطن بقصر القصبة الفوقانية قصر الجديد أوفوس، أجريت معه المقابلة بتاريخ 15/ 05/ 2016م.
- ✓ **عبد الصادق سالم**، (63سنة)، من المنتمين الزريكات أجريت معه المقابلة بتاريخ، 14/ 04/ 2017م.
- ✓ **عمري علوي ابا سيدي**، (مقدم منطقة الجرامنة، 52 سنة)، أجريت المقابلة معه بتاريخ، 23/ 12/ 2016م.
- ✓ **قدار محمد**، (74سنة)، أحد سكان قصر أولاد عيسى، أجريت معه المقابلة بتاريخ، 12 / 5/ 2016م.
- ✓ **المخزن يوسف**، (63سنة)، من سكان قصر أولاد شاكر، أجريت معه المقابلة بتاريخ 12/ 03/ 2019م.
- ✓ **موجان محمد**، (65سنة)، من سكان قصر أولاد شاكر، أجريت معه المقابلة بتاريخ 12/ 03/ 2019م.

الفهارس.

1 ـ فهرس الأعلام البشرية[24].

(أ)

ال الحكايزي: 456.

أبا الحسن المريني: 70. 71.

أبا العلاء إدريس بن عبد الهادي: 410.

أبا حسون السملالي: 204. 205.

أبا سعيد عثمان: 71. 183.

ابا سيدي بن التهامي: 327.

أبا علي عمر: 71. 183.

أبا محمد بن علي اليازوري: 178.

إبراهيم بن علي احدا: 342.

إبراهيم بن عثمان بن طاهر: 403.

إبراهيم يسمور الزدكي: 266. 267. 268. 269. 282. 290.

ابن عباد الرندي: 68. 73. 188. 189

ابن محلي: 34. 125. 129. 181. 186. 188. 201. 389. 477.

أبو الخطاب الزناتي الصفري: 165.

أبو الطيب الميسوري: 431.

أبو بكر الدلائي: 204.

أبو عمر عثمان الموسوي: 442.

أبو محمد المهدي بن عبد الكريم. 435.

أبي البركات. 130. 134. 135. 137. 139. 177. 199. 200. 523.

أبي الجمال يوسف: 130. 132. 136. 402.

أبي عبد الله محمد بن إدريس العمراوي. 409.

أبي محمد عبد القادر بن شقرون: 406.

الأثيوبيين: 84. 85. 352.

احماد بن لحسن السبعي: 304. 310. 312. 313. 314. 319. 414. 444.

أحمد المنصور: 70. 74. 116. 129. 194. 196. 197. 399. 516.

أحمد بن الحسين المتيوي: 228. 477.

أحمد بن عبد الصادق: 209. 214. 219. 300. 314. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 439. 441. 442. 443. 444. 445. 512. 530. 531.

أحمد بن عبد العزيز الهلالي: 214. 217. 218. 219. 222. 400. 404. 414. 426. 432. 443. 480.

أحمد بن غالب: 416. 417.

أخنوس: 92.

الإسكندر المقدوني.160

الإغريق. 84. 96. 155.

آل عمر المدغري. 128.

امبارك الأعور. 329.

الأمويون. 114. 163. 166.

الأمير عبد القادر: 273. 409.

أوستري: 324. 325. 326.

أولاد حسين: 123. 186. 474. 475.

أولاد عمران: 123

آيت إحي أوموسى: 144.

آيت اخلف. 144. 150. 151. 242. 257. 483. 500.

آيت مرغاد: 93. 247. 282. 283. 284. 289. 310. 318. 327. 365. 366.

آيت مسكور: 144.

آيت ولال: 143. 144. 147. 471.

آيت ومسعود: 144.

آيت يفلمان: 13. 225. 247. 266. 281. 282. 283. 284. 285. 289. 290. 295. 364. 366. 433. 550.

آيت يوسي: 149. 226. 250. 310.

آيت إرجدالن:144. 550.

آيت ازدك: 118. 119. 234. 243. 247. 253. 258. 265. 266. 282. 283. 289. 290 293. 298. 305. 310. 318. 365. 370. 492. 551.

آيت اسفول: 139. 144. 147. 148. 150. 257.151. 298. 299. 334. 342. 371. 377. 389. 392. 471. 483. 500. 520. 524.

آيت اعزا: 144. 493.

آيت الربع: 88. 144.

[24]– بعض الأعلام لم نضع صفحات ورودها لأنها تذكر على امتداد ورقات البحث مثل. **ايت عطا، الأمازيغ، مولاي إسماعيل، العرب، المعقل، اليهود، الشرفاء.**

أيت أومناصف: 144. 146. 147. 148. 150. 151. 242. 298. 299. 300. 301. 302. 341. 342. 360. 367. 370. 377. 378. 387. 393. 530. 533.
آيت أونير: 144. 147. 369. 380. 471.
آيت حديدو: 150 .247. 282. 283. 389. 365. 366.
آيت حسو: 144.
آيت حمو.144. 327.
آيت خليفا: 144. 147.
آيت سغروشن: 250. 310. 312.
آيت علوان: 120. 144. 147. 377. 471.
آيت عيسى: 144. 147. 365. 367.
ايت غريس: 45. 150. 357.
آيت لفرسي: 144. 147.

(ب)

بطليموس: 159.
بلقاسم النكادي: 324. 326. 327. 329. 333.
بلكين: 116. 117.
بن محمد بن مغفر: 209. 235.
بنطلحة: 385. 386. 388. 456.
بنو خزرون: 116.
بنو سليم: 179.
بنو هلال: 120. 121. 179.
بنو واسول: 92. 112. 115.
بني الزبير: 199. 203. 222.
بني امحمد: 263. 306. 381. 492. 534.
بني مدرار: 68. 91. 98. 99. 112. 113. 114. 116. 117. 120. 163. 164. 166. 167. 169. 172. 175. 176. 183. 352. 529.
بني وانودين: 116.
بني يفرن: 111. 116. 118. 164.
بوعمامة: 286. 309.
بول دوري: 317. 322. 327.

(ت)

التغيان: 365.
التقي بن الشيخ: 316. 318. 320. 322. 331. 341
التهامي بن رحمون: 435.
التوزونيني: 324. 325. 326. 327. 329.

(ج)

الجبابرة: 90. 220.
جوهر الصقلي: 114. 115. 166. 168.
الجيتول: 84. 85.

(ح)

الحاج الطريس: 311.
الحاج المدني الدوري: 436.
الحاج بريك الفلالي: 336.
الحاج قاسم الدويري: 436.
الحاج محمد الحسيني: 417.
حبيض عمي بن بابا: 336
الحران: 142. 213. 412.
الحسن الثاني: 52.
الحسن اليوسي: 60. 149. 210. 214. 250. 251. 252. 416. 417. 432.
الحكماوي: 93. 234. 255.
الحواطيش: 299. 342. 483. 530.

(خ)

خزرون بن فلفل: 117.
الخوارج: 3. 54. 164. 165. 187. 529.

(د)

دادا عطا: 140. 376. 380.
دخيسة: 126. 205. 210. 362. 400. 450. 462. 478. 489. 525.
الدرقاويين: 325.
الدلائيين: 198. 199. 203. 205. 206. 207. 208. 362. 375.

(ذ)

ذوي حسان: 122. 180.
ذوي عبيد الله: 122. 123. 180.
ذوي منصور: 122. 123. 124. 126. 180. 186. 524. 530.
ذوي منيع: 205. 266. 305. 310. 400. 442.

(ر)

الرومان. 44. 84. 96. 155. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 502. 510.

(ز)

الزناتيين: 84. 85. 86. 113. 116. 117. 118. 120. 121. 122. 164. 165. 190. 462.

زنوج: 85. 90. 113. 120. 352.

زيري بن عطية: 116. 117

(س)

ست الملك: 416.

السداتي: 305.

سعد بن زيد: 416. 417. 590.

سعيد بن عبد الله المنداسي: 67. 411. 412. 413.

سلامة بن محمد بن عبد الله. 230. 425.

سليمان بن عبد الرحمان بن سليمان: 274.

سمكو بن واسول: 92.

السملاليين: 198. 199. 203. 205.

السهلي بن العروسي: 434.

السيد الطيب: 206.

سيدي عباس بن محمد. 455.

سيدي عيسى: 456.

سيدي محمد بن عبد الرحمان: 273. 275. 278. 280. 315. 406. 437.

سيدي محمد ولد أبا هدي: 421. 423. 424. 425.

السينغاليين: 319. 320. 326.

(ش)

الشاكر لله: 68. 114. 115. 117. 166. 168. 169. 172. 256. 520.

الشبانات: 122.

الشريف سرور. 231.

شهرزاد. 230.

الشيخ زروق. 431.

الشيخ محمد بن عبد الرحمان. 427. 428. 447.

الشيخ مغفر: 199. 206. 207. 208. 209. 219. 235. 362. 375. 522. 382.

(ص)

الصباح: 12. 16. 28. 30. 32. 33. 40. 48. 52. 54. 57. 63. 65. 186. 192. 205. 224. 234. 236. 258. 282. 301. 302. 311. 327. 330. 335. 363. 364. 366. 415. 431. 474. 476. 526. 549.

صنهاجية: 118. 120. 164. 365. 378.

(ط)

طايلر روجي. 347.

الطيب بن كيران: 406.

(ع)

العبادلة. 365.

العباسيين: 114. 116. 122.

عبد الرحمان الفيلالي الدويري. 436.

عبد الرحمان بن سليمان: 274.

عبد الرحمان بن هشام. 244. 246. 254. 260. 270. 274. 406. 409. 463. 545.

عبد السلام بن مشيش: 231. 424. 425.

عبد السلام جسوس: 90. 211.

عبد العزيز بن عبد الحليم: 429. 431.

عبد القادر السماحي: 428.

عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصادق: 432.

عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي: 265. 373. 406. 410. 437. 551.

عبيد الله المهدي: 114.

عثمان باشا: 411.

العثمانيون: 411.

عسو نايت السعيد. 334.

علال بن حميدة: 227.

العلويون/ العلويين: 8. 93. 127. 129. 130. 131. 132. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 198. 201. 202. 203. 204. 209. 218. 220. 226. 233. 263. 266. 272. 299. 362. 397. 399. 406. 420. 438. 444. 452. 463. 486. 479. 516. 523. 527. 538.

علي الكومي: 277. 299. 429. 430. 431. 441. 512. 527.

عمر بن مصطفى (ابا سيدي): 415.
عيسى بن يزيد الأسود: 92. 112. 113. 120. 164. 165. 166. 168. 174. 521.

(ف)

الفاطيون: 68. 99. 114. 116. 120. 163. 166. 168. 179. 520. 526.

(ق)

قاسم الصريدي: 228. 235.

(ك)

كروان: 119. 215.
الكلاوي المدني: 142. 294. 306. 307.

(ل)

لالة حبيبة: 137. 214. 230. 237. 232. 233.
لالة خديجة بنت محمد بن عبد الله: 224. 265. 406.
لالة عائشة: 265..
للاصافية صفية: 440. 455.
لمتونة: 164.
لمنبات: 123. 180. 190. 197. 357. 474.
المأمون بن بوفيراس. 228. 273. 531.

(م)

محمد الأمين بن جعفر : 67. 264. 420. 421.
محمد الرتبي القلعي: 75.
محمد الزين بن محمد الإدريسي: 435.
محمد الشيخ الوطاسي: 97.
محمد الهاشمي الرّتبي: 435.
محمد أمنداس التجيتي: 314. 444.
محمد بن بوسلهام الميقاتي: 288
محمد بن عبد الواحد الدويري السجلماسي: 436.
محمد بن عربية: 216.
محمد فتحا العطاوي: 315.
المعتز بن الشاكر لله: 117.
المعز بن باديس. 120. 179.
المكابر: 365. 550.
المنابهة: 44. 124. 125. 185. 190. 357. 524.
مولاي إبراهيم بن سليمان: 236. 421.
عليليش: 211.
العمارنة: 123. 135. 180. 185. 186. 190. 474. 475. 524.
مولاي الحسن بن مولاي إسماعيل: 89. 216. 220. 225. 226.
مولاي مصطفى بن الحنفي: 131. 281. 298. 304. 308. 309. 313 .319. 414. 415. 440. 454. 455. 516. 517. 518. 546.
مولاي هاشم بن الشريف: 138. 142. 213. 293. 438. 448. 468. 478. 525. 534. 535.
مولود التغمرتي. 199.
مولاي الشريف بن اسماعيل: 137. 204. 373. 463.
مولاي الفضيل: 397. 426.
مولاي المعتصم بن مولاي إسماعيل: 416.
مولاي المهدي بن مولاي الرشيد: 316. 322.
مولاي حفيد بن عمر : 418. 452.
مولاي سليمان: 93. 137. 155. 173. 214. 223. 230. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 241. 246. 247. 248. 254. 255. 256. 265. 298. 300. 406. 420. 421.
مولاي عبد الله بن علي بن طاهر: 78. 129. 201. 405.
مولاي عبد الواحد بن طاهر: 196. 452
مولاي عثمان بن طاهر: 265. 402.
مولاي علي الشريف: 92. 132. 133. 134. 135. 199. 200. 225. 402. 523.
مولاي عمر بن الحنفي: 413. 455.
مولاي عمر بن هاشم : 78. 79. 131. 257. 264. 416. 417. 418. 450. 451. 452. 462. 478. 524. 525.
مولاي محرز بن الشريف: 138.
مولاي الرشيد الخليفة السلطاني: 311. 315.
مولاي الرشيد بن الشريف. 209. 210. 434. 448.
مولاي الزهيد: 336. 344.

(ي)

يوسف احدا: 342. 393. 399. 568.
يوسف بن تاشفين. 96.
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق: 72

2 ـ فهرس الأعلام الطبيعية[25].

(أ)

ابو عام:92 .100. 320. 329. 429. 493.

أبي حميد: 200.

أجلف: 55. 125. 158. 477.

أحداف: 52

أرفود: 16. 25. 32. 49. 52. 56. 58 .65. 78. 79. 100. 102. 106. 107. 108. 110. 157. 158. 311. 322. 323. 324 .326. 327. 328. 329. 332. 335. 336. 337. 339. 341. 344. 345. 346. 348. 389. 391. 393. 394. 421. 430. 521. 525. 526.

أزمور (قصر): 133. 264. أزمور منطقة: 516.

ازوالة: 50. 56. 57.. 103. 132. 150. 151. 257. 258. 265. 277. 343. 365. 456. 461. 467. 481. 525. 518. 519. 550.

إسبانيا: 68 .75. 76. 237. 246. 437.

اسرغين: 324.

اسرير: 206. 207.

إسلي: 246.

الأطلس الصغير: 148. 359.

الأطلس الكبير: 23. 25. 30. 33. 34. 37. 42. 43. 52. 53. 58. 118. 121. 146. 149. 162. 167. 366. 377. 380. 486. 498. 526.

اغرم امزدار: 148. 354. 377. 380. 392.

أغمات: 117. 118.

إفري: 324. 596.

إفريقيا: 1. 2. 38. 84. 85. 91. 95. 112. 120. 178. 179. 286. 295. 325. 355. 444. 486. 517.

اقربوس:50. 150. 257. 313. 371. 456. 520.

اكنيون. 148.

امغا: 369. 493.

املعب: 255.

أموكر: 430.

انجلتر: 247. 303.

الأندلس: 97. 114. 116. 117. 120. 163. 199.

أودغشت: 118.

أولاد الزهراء: 32. 336.

أولاد جبور: 233.

أولاد شاكر: 50. 56. 68. 114. 115. 116. 131. 132. 133. 134. 139. 150. 151. 165. 166. 168. 169. 201. 221. 222. 223. 254. 256. 257. 265. 277. 292. 298. 313. 341. 343. 347. 367. 371. 397. 398. 399. 402. 405. 406. 430. 438. 456. 458. 467. 468. 472. 476. 482. 483. 485. 501. 509. 510. 511. 519. 520. 521. 548. 566. 567.

أولاد عبد الله: 50. 523.

أولاد عبيد: 202. 203. 490.

أولاد عليان. 126. 511.

أولاد عميرة: 50. 56. 77. 79. 126. 131. 134. 135. 136. 150. 151, 192. 228. 255. 256. 257. 264. 277. 292. 299. 323. 334. 335. 346. 374. 375. 397. 401. 416. 418. 419. 421. 426. 450. 451. 452. 467. 469. 478. 480. 483. 516. 522. 524. 525. 557.

أولاد عيسى: 36. 50. 92. 94. 103. 105. 113. 120. 132. 133. 139. 150. 161. 165. 168. 199. 206. 207. 208. 219. 221. 222 .224. 226. 228. 235. 253. 254. 255. 258. 277. 292. 299. 343. 347. 362. 369. 375. 415. 442. 456. 458. 467. 483. 493. 495. 500. 510. 521. 522. 555.

أولاد منصور: 267.

أولاد ناصر: 51. 300. 343. 529.

أولاد يعلى: 511.

آيت اغف: 50. 139. 150. 151. 371. 472. 473. 500. 520.

[25]– بعض الأعلام لم نضع صفحات ورودها لأنها تذكر على امتداد ورقات البحث مثل. **أوفوس. الرتب. المغرب. فاس. سجلماسة. تافلالت. زيز. مدغرة**

آيت خباش(قصر): 253. 343. 524.
آيت سفول(قصر): 139. 257. 298. 299. 334. 500. 524.
آيت مسعود: 133. 264.
آيت يحي وعثمان: 433.
إيردي: 33. 46. 48. 51. 56. 71. 75. 76. 273. 326. 370. 432. 534.

(ب)

البطاطحة: 51. 126. 136. 150. 151. 192. 257. 258. 262. 263. 277. 299. 343. 363. 374. 429. 430. 431. 441. 467. 476. 483. 485. 512. 516. 529. 530. 557.
البلاغمة: 51. 126. 134. 135. 136. 137. 139. 150. 151. 192. 193, 203. 227. 257. 261. 262. 263. 343. 374. 419. 430. 446. 467. 483. 489. 490. 501. 512. 516. 528. 529. 531.
البليكوس: 326. 327.
بني احسن: 126. 174. 192. 193. 255. 374. 462. 523.
بني انصار: 75.
بني زروال: 135. 139. 200.
بني عثمان: 206.
بني يفوس: 78. 79.
بوحاميد:130. 133.
بوذنيب: 25. 30. 53. 106. 294. 295. 302. 310. 311. 314. 317. 321. 329. 330. 338. 344. 345. 367. 387. 427.
بوسعيد: 48. 50. 51. 71. 158. 265. 277. 293. 298. 346. 365. 370. 481. 482. 514.

(ت)

تابوعصامت: 100. 199. 203.
تاردا: 369. 493.
تاركة: 133. 174. 264.
تازنقت: 133. 367.
تاسجدالت: 115. 116. 168. 168. 169.
تاغيت: 309. 310. 414. 415.
الجرف: 43. 57. 158. 192. 255. 283. 341. 363.
تالسينت: 106. 317.
تامصلوحت: 140. 354. 376.
تاونات: 75.
تخبوت: 50. 151. 521.
تزارين: 88. 327.
تزكزاوت تزكزوت: 311. 399.
تسكدلت: 115.
تطوان: 229. 246. 274. 437.
تعرمت: 130. 131. 132. 133. 517.
تلمسان: 44. 67. 68. 161. 163. 273. 411. 417.
تلوين: 283. 284. 366.
تمعاركيت: 51. 300. 343. 483. 531. 533.
تنجداد: 106. 158. 311.
تنجيوت: 263.
توات: 85. 149. 266. 280. 288. 295. 305. 306. 307. 308. 309. 433. 441. 442. 490. 492. 578.
تودغة: 118.
توروك: 255.
تولال: 275
تونة: 50. 57.
تونس: 101. 115. 233. 320. 442. 517.
تيدرين/ تدرين: 15. 50. 56. 103. 150. 257. 298. 301. 371. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 452. 520. 521. 523.
تيزيمي: 19. 28. 30. 32. 43. 54. 100. 185. 186. 192. 197. 223. 224. 258. 273. 283. 308. 309. 315. 321. 324. 330. 363. 413. 422. 414. 419. 431. 474. 475. 476. 498. 526.
تيعلالين: 257.
تيغمرت: 324. 326.
تيميمون: 295. 306. 307. 321. 415.

(ج)

الجرامنة: 50. 56. 126. 131. 132. 133. 134. 139. 150. 151. 192. 201. 257. 281. 292. 293. 298. 308. 313. 343. 365. 370. 374. 398. 413. 414. 415. 440. 450. 454. 455. 468. 482. 499. 516. 517. 518. 519. 529. 561.

498. 521.
الجزائر: 23. 105. 122. 149. 237. 246. 274. 275. 281. 288. 295. 304. 306. 308. 309. 311. 312. 319. 326. 337. 338. 367. 387. 409. 412. 413. 414. 427. 442. 443. 494. 495. 517.

(ح)

الحارة: 51. 100. 133. 343. 419. 529.
الحجاز: 129. 179. 201. 209. 219. 231. 242. 265. 273. 416. 418.
حصية: 27.
حمو داود: 130. 132. 133.
الحواسي: 49. 525.

(خ)

الخنك/ الخنق: 40. 42. 43. 46. 63. 78. 101. 102. 129. 134. 164. 206. 207. 228. 235. 284. 315. 317. 318. 397. 479. 526.

(د)

الدار البيضاء: 412. 436. 443.
درعة: 14. 40. 42. 58. 64. 123. 141. 146. 149. 170. 171. 172. 175. 187. 213. 235. 242. 250. 251. 363. 373. 377. 442. 492. 534.
الدَّمْيَة: 326.
الدويرة: 15. 30. 33. 40. 48. 51. 54. 56. 92. 102. 136. 138. 150. 213. 226. 227. 235. 258. 277. 278. 293. 299. 301. 305. 314. 319. 322. 324. 327. 328. 343. 347. 363. 370. 397. 419. 432. 435. 436. 447. 448. 463. 467. 468. 478. 483. 489. 490. 492. 493. 494. 509. 534. 535. 564.
ديار الشرفاء: 131. 133. 398. 438.

(ر)

الرباط: 1. 193. 215. 220. 221. 263. 316. 443.
ربيت: 48. 51. 105. 106. 136. 137. 150. 151. 202. 257. 286. 299. 303. 313. 328. 335. 343. 429. 430. 458. 467. 468. 473. 483. 490. 495. 527. 543. 544.
الرحبة: 51. 343. 529. 550.
الرشيدية: 25. 26. 30. 32. 40. 42. 49. 52. 53. 58. 75. 78. 102. 172. 174. 192. 318. 325. 342. 430. 434. 469. 494. 509. 521. 524. 526. 531. 547.
الريش: 40. 52. 106. 159. 317. 318. 329. 336. 415. 430.
الريصاني: 1. 106. 322. 324. 336. 429. 494. 518. 534.

(ز)

الزاوية الجديدة: 51. 150. 151. 277. 333. 335. 343. 347. 434. 441. 467. 468. 469. 483. 485. 495. 501. 530. 531. 534.
الزاوية القديمة: 51. 136. 150. 151. 277. 299. 300. 322. 343. 347. 396. 430. 433. 444. 445. 461. 467. 483. 501. 512. 530.
زاوية أملكيس: 12. 30. 50. 56. 132. 150. 151. 158. 162. 257. 266. 277. 293. 298. 313. 330. 343. 347. 370. 455. 468. 481. 482. 510. 515. 516. 517. 519. 522 .
زاوية أوفوس:31. 33. 49. 50. 53. 55. 78. 79. 94. 103. 131. 134. 136. 139. 150. 192. 205. 245. 257. 292. 299. 343. 417. 421. 429. 450. 452. 462. 474. 467. 468. 469. 478. 483. 509. 524. 525. 526.
زرهون: 431.
الزريكات/ الزريقات: 48. 51. 56. 63. 92. 100. 101. 102. 105. 107. 109. 131. 136. 138. 139. 150. 205. 221. 227. 229. 235. 253. 254. 255. 258. 263. 277. 278. 285. 291. 292. 300. 319. 322. 329. 337. 342. 343. 345. 347. 369. 391. 392. 427. 428. 442. 445. 447. 458. 461. 483. 467. 484. 489. 493. 494. 495. 501. 512. 526. 528. 529. 531. 534. 539. 550. 555. 563.
زويوية: 52. 78. 135. 350. 490. 522. 525.

فرنسا: 246. 274. 280. 286. 287. 297. 302. 303.

(س)

سد الحسن الداخل: 40. 52. 53. 54.

السفالات: 172. 263. 267. 399.

السودان: 42. 85. 91. 99. 120. 123. 124. 172. 173. 174. 197. 202. 206. 248. 352. 358. 369. 429. 489. 490. 493. 528.

السوس الأقصى: 122. 325. 383.

سيدي علي الكومي: 51. 277. 299. 501. 512. 527.

السيفا السيفة: 57. 92. 157. 283.

(ش)

شعبة اللحم: 46. 48. 71. 75. 367.

الشقارنة: 261. 262. 263.

(ص)

صاغرو: 22. 142. 143. 148. 149. 213. 241. 244. 335. 337. 354. 355. 360. 367. 376. 390. 392. 412.

صفرو: 129. 172. 264. 437.

صوصو: 136. 184. 397. 398.

(ط)

طَيْبَةَ: 417. 419. 420.

(ع)

عتبة الصديق: 50. 258. 329. 523.

عرق يعقوب: 333.

عين العاطي: 56. 57. 432.

(غ)

غارسلوان/ غرس العيون: 42.

الغرفة: 184. 263. 324.

غفساي: 75.

(ف)

فجيج / فكيك: 124. 299. 544.

فركلة: 58. 88. 93. 206. 207. 237. 315. 430. 305. 315. 316. 326. 329. 330. 337. 384.

فلسطين: 96. 517. 529.

فم الحويش: 50. 135. 258. 523.

فنكيك: 342. 568.

(ق)

قرطبة: 117.

قصابي الشرفاء: 206. 207.

قصبة أحمد الذهبي: 267.

القصبة التحتانية:50 . 258 .500

القصبة الفوقانية: 50. 65. 258. 500. 511. 523.

قصبة سيدي ملوك: 263. 264.

قصر الجْديد/ قصر جْديد: 26. 27. 28. 50. 56. 65. 132. 133. 134. 135. 139. 150. 196. 253. 258. 277. 279. 299. 313. 329. 343. 344. 347. 367. 397. 398. 400. 430. 431. 452. 462. 468. 483. 485. 493. 500. 501. 511. 523. 530.

القصر السفلاني: 50. 522.

قصر السوق:25. 26. 52. 101. 106. 107. 108. 110. 148. 206. 207. 208. 226. 266. 290. 292. 327. 329. 332. 336. 339. 344. 345. 346. 391. 392. 494. 526.

القصر الوسطاني: 52. 92. 522.

قصيبة مولاي السعيد: 50. 135. 258. 418. 523.

(ك)

الكارة: 10. 50. 89. 103. 104. 134. 150. 151. 173. 206. 207. 221. 257. 277. 300. 313. 335. 343. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 444. 467. 480. 481. 483. 511. 512. 524. 557. 560.

كاوز (قصر): 133. 281. 285. 286.

كرامة: 106. 317. 318. 430.

كراندو: 159. 336. 344. 415.

كصيرة النصارى: 158. 162. 510.

كلميمة: 206. 207. 369. 433.

الكنز: 48. 50. 51. 131. 277. 299. 440. 455. 481. 482. 514.

(م)

المحاميد: 442.
مدرسة الشراطين: 434.
مراكش: 69. 97. 101. 129. 181. 196. 227. 254. 263. 289. 436. 437. 442. 443.
مزكيدة: 253. 263.
مسكي: 25. 26. 30. 48. 51. 53. 54 .55. 56. 57. 76. 78. 158. 187. 188. 291. 315. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 330. 331. 367. 370. 476. 477. 478. 492. 514.
المعاركة: 8. 48 .51. 56. 58. 65. 90. 93. 102. 131. 136. 137. 138. 150. 151. 193. 212. 214. 220. 227. 228. 229. 230. 232. 244. 257. 263. 272. 273. 274. 275. 277. 292. 293. 300. 322. 343. 363. 372. 448. 461. 463. 464. 483. 486. 495. 501. 508. 531. 533. 538. 545. 562.
المعاضيد: 32. 33. 48. 205. 223. 258. 317. 322. 363. 364. 365. 549. 550.
معزوز : 126. 511
مكة: 213. 417. 419. 421. 469.
مكناس: 90. 107. 108. 112. 113. 120. 129. 193. 220. 221. 225. 226. 227. 229. 232. 234. 263. 273. 317. 329. 346. 407. 436. 442. 443.
ملاحة :257. 520.
ملوية: 17. 118. 123. 126. 129. 143. 207. 235. 250. 317. 329. 338. 431. 523.
مليلة: 75. 157.
المنكار: 309. 310. 415.
المنكوب:: 310. 415.
موريتانيا: 159.
ميسور : 431.

(ن)

الناظور: 75.
نوميديا: 84. 124. 162.
النيف: 88. 94.
النيل: 37. 120. 172. 179.

(و)

واد إفلي: 130. 131. 132. 133. 263.
واد الرتب: 36. 76. 77. 124. 133. 137. 149. 150. 197. 209. 213. 235. 245. 255. 273. 308. 316. 317. 322. 373. 375. 431. 439. 446. 453. 515. 544. 555.
واد النعام: 40.
ورزازات: 168. 392. 399.

(ي)

اليمن: 121. 122.

3 ـ فهرس الخرائط:

الرقم الترتيبي	موضوع الخريطة	الصفحة
1	الوحدات التضاريسية بقيادة أوفوس: جماعتي الرتب وأوفوس.	29
2	موقع مجال الرتب/أوفوس (قيادة أوفوس) بالمغرب.	41
3	خريطة الحدود الجغرافية لمنطقة الرتب ومدغرة سنة 1859م.	47
4	التوزيع البشري لسكان الرتب بالمجال.	152
5	مسار رحلتي جرهارد رولفس سنتي 1862 و1864 ومروره بمجال الرتب.	276
6	أهم الأضرحة والمزارات بالرتب الأسفل.	449
7	أهم الأضرحة والمزارات بالرتب الأوسط.	453
8	أهم الأضرحة والمزارات بالرتب الأعلى.	457
9	مواقع وصور لأبرز الآثار القديمة أو المندرسة بمجال الرتب,	513

4 ـ فهرس الخططات:

الرقم الترتيبي	موضوع الخطاطة	الصفحة
1	تركيبة قبائل آيت عطا وتوزيع أهم مكوناتها.	144
2	توزيع عدد كوانين قبيلة آيت عطا على أخماسها.	147
3	النموذج الانقسامي لآيت خباش.	378

5 ـ فهرس التصاميم والرسوم والمبيانات.

الرقم الترتيبي	موضوع التصميم أو الشكل	الصفحة
1	أبرز مراحل تعمق واد زيز في منطقة الرتب.	24
2	مقطع جيولوجي لمنطقة الرتب وأبرز الطبقات المكونة له.	26
3	مقطع لأبرز الطبقات التي تتكون منها الهضبة الصحراوية بالقصر. الجديد بالرتب.	28
4	التساقطات المطرية لموسم 1999م ـ 2000م بأوفوس.	38

6 ـ فهرس الجداول.

الرقم الترتيبي	موضوع الجدول	الصفحة
1	التضاريس وتوزيعها بمنطقة الرتب / أوفوس.	31
2	القصور العامرة بجماعة أوفوس (الرتب الأوسط والأعلى).	50
3	القصور العامرة بجماعة الرتب (الرتب الأسفل).	51
4	نسبة الأملاح في مياه واد زيز بالملغرام / ل.	54

5	أسماء يهود ولدوا بواحة الرتب وانتقلوا إلى مناطق أخرى.	108
6	انتشار أهم بطون بني معقل بإقليم بسجلماسة.	123
7	توزيع الشرفاء العلويين حسب فروعهم بمجال الرتب.	131
8	طريقة كتابة تسمية "آيت عطا" في بعض المصادر والوثائق والكتابات.	142
9	توزيع الفروع العطاوية في القصور الرتبية.	151
10	أهم محطات توقف السبعي بالرتب لدعوة القبائل للجهاد.	313
11	قائمة بأسماء بعض أبناء الرتب من قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.	335
12	لائحة الضباط الفرنسيين الذين تعاقبوا على رئاسة مركز أوفوس/ الرتب.	340
13	توزيع أهم القصور على المشيخات في قيادة أوفوس/ الرتب.	343
14	عدد تلاميذ مدارس منطقة أوفوس/ الرتب، للموسم الدراسي 1952م ـ 1953م.	347
15	مقارنة بين أعراف الكارة وأعراف قصر تدرين بالرتب.	385
16	نموذج لتطور نشاط المحكمة العرفية بأفوس خلال سنتي 1952م و1953م.	393
17	أهم انتاجات التهامي بن عبد الله الشاكري.	405
18	أبرز الإنتاجات العلمية لعبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشاكري.	410
19	بعض أشهر العلماء الذين ارتبط ذكرهم بمجال الرتب.	438
20	أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأسفل.	446
21	أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأوسط.	452
22	أهم الأضرحة والمزارات بقصور الرتب الأعلى.	455
23	توزيع ملكية الأراضي الزراعية بالرتب.	465
24	مقارنة بين مساحة الأراضي الزراعية في جماعتي الرتب وأوفوس.	466
25	توزيع عدد قطع التاكورة بقصور منطقة الرتب/ أوفوس.	467
26	توزيع مساحة أراضي الجموع المستغلة في الرعي بالرتب/ أوفوس.	468
27	توزيع عدد قطع التكورات المحبسة بالرتب/ أوفوس.	469
28	أجوبة التهامي الشاكري على بعض القضايا المتعلقة بماء واد زيز.	479
29	أهم السواقي والسدود التقليدية، وتوزيع أيام السقي بين القصور بمجال الرتب.	482
30	تنظيم الموسم الفلاحي السنوي بمنطقة الرتب.	487
31	طريقة تحويل الحروف الأبجدية إلى سنوات بالتاريخ الهجري.	533

7 ـ فهرس الملاحق:

رقم الملحق	موضوع الملحق	الصفحة
1	خريطة مجال الرتب / أوفوس الطبيعية.	542
2	ظهير السلطان مولاي إسماعيل لفائدة شرفاء كانوا ينتمون لقصر اربيت بالرتب الأسفل.	543
3	رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى أحد عماله بخصوص شراء أملاك ابن عمه بالمعاركة.	545
4	رسالة مولاي مصطفى بن الحنفي إلى قبيلة بني مكلد.	546
5	*صور لبعض أعضاء المقاومة وجيش التحرير بالمغرب من جماعة الرتب/ أوفوس.*	547
6	نسخ وثائق عن محمد المخزن أحد أبناء الرتب الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية.	548
7	نسخة من وثيقة الاتفاق بين قبيلة آيت عطا بالرتب وعرب الصباح بالمعاضيد.	549
8	رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى القاضي عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشاكري	551
9	نسخ من رسوم شراء السلطان مولاي عبد الرحمان لأملاك بالرتب الأسفل.	552
10	*نماذج من عقود تقسيم التركة وبيع وشراء الأراضي بالرتب.*	554
11	*نص اتفاقية تقسيم مياه الساقية المشتركة بين قصري الكارة وتاخيامت بالرتب الأسفل.*	557
12	*نسخة من الاتفاق حول تقسيم مياه الساقية الصالحية بين بعض قصور الرتب الأعلى سنة1947م.*	558
13	*تصميم لقصر زاوية أملكيس بالرتب الأعلى.*	559
14	*تصميم لقصر الكارة بالرتب الأوسط.*	560
15	*تصميم لقصر الجرامنة الصغرى (الكصيرة بالكاف المعقودة) بالرتب الأعلى*	561
16	*تصميم لقصر المعاركة بالرتب الأسفل وصورتان لبابها.*	562
17	*بيان معلومات حول البشير بن أحمد شيخ الزريكات سنة 1955م*	563
18	*بيان معلومات حول سيدي أحمد بن التهامي شيخ الدويرة سنة 1955م.*	564
19	*تقرير لرئيس مركز الشؤون الأهلية بأوفوس، بأسماء الشيوخ الذين تم اعتمادهم على رأس جماعات الرتب سنة 1954م.*	565
20	نسخة من ظهير سلطاني لتعيين علي موجان من أولاد شاكر بالرتب عضوا في مشيخة الجماعة.	566
21	صورة من واحة أوفوس زمن الاستعمار.	567
22	صورة لقصر أولاد شاكر خلال المرحلة الاستعمارية.	567
23	صورة قائد الرتب على احدى.	568
24	صورتان لمنزل القائد يوسف احدى بمنطقة فنكيك بالرتب/ أوفوس.	568
25	صور من انجاز الطريق المعبدة بين مكناس وتافيلالت عند منطقة الرتب/ أوفوس,	569

فهرسة موضوعات البحث:

إهداء

كلمة شكر

لائحة الاختزالات والاختصارات المستعملة.....1

❖ مقدمة.....2

الباب الأول: مجال الرتب: الخصوصيات الطبيعية والبشرية.....21

الفصل الأول: الإطار المجالي لمنطقة الرتب.....21

1- الإطار الطبيعي العام للرتب، بين الخصوصية وطابع التعميم.....22

1. 1.المميزات والخصائص التضاريسية. 22

1 . 2.الخصائص المناخية للرتب.....32

2- حدود الرتب، معالم كبرى واضحة، واختلاف في التحديد.....40

3- أهم الموارد المائية بالرتب.....52

4- الغطاء النباتي والثروة الحيوانية بالرتب، تنوع مهم وانتشار محدود.....58

5- الدلالة الطبونيمية لكلمة الرتب وتطورها.....61

الفصل الثاني. سكان الرتب: مراحل الاستقرار، ومظاهر التنوع.....81

1. ساكنة الرتب الأولى: اتفاق على قدم التعمير، واختلاف في تحديد مكوناته وزمانه.....84
2. العبيد وتطور وضعيتهم بمنطقة الرتب. 91
3. يهود الرتب: دلائل الاستقرار وعوامل مغادرة الديار.....95
4. الحضور الأمازيغي الأول بالرتب، بين السيطرة والتراجع.....111
5. القبائل العربية واستقرار بعض مكوناتها بالرتب. 120
6. ظروف استقرار الأشراف ومكانتهم بالرتب. 127
7. الحضور والاستقرار الأمازيغي الثاني بالرتب: مكوناته وتوزيع فروعه بالمجال. 140

الباب الثاني: مجال الرتب وتطورات أوضاعه حتى نهاية الاحتلال الأجنبي 154

الفصل الأول: الرتب: منذ البروز إلى نهاية عصر السلطان مولاي سليمان. 155

1 . منطقة الرتب في الفترتين القديمة والوسطية..... 156

1 ـ 1 وضعية الرتب قبل تأسيس مدينة سجلماسة. 156

1 ـ 2 مجال الرتب زمن الإمارات الزناتية. .....,.....163

2 ـ حضور الرتب في مصادر المرحلة القديمة والوسيطية. 170

3 ـ تعمير منطقة الرتب خلال العصر المريني. 178

4 – وصول قبائل بني معقل وتأثيرهم على منطقة الرتب. .....,,,.....190

5 – وضعية الرتب وأوضاعه خلال العهد العلوي الأول(1634م ـ 1757م) .....,.....198

5 ـ 1 قيام الدولة العلوية وأثره على منطقة الرتب وساكنته. 198

5 ـ 2 أبرز القضايا المرتبطة بالرتب زمن السلطان مولاي إسماعيل (1672م ـ 1727م). 211

5 ـ 3 ارهاصات تغيير البنية المجتمعية بالرتب وأوضاعه ما بين (1727م ـ 1757م). 216

6 ـ تحولات مجال الرتب وتدخلات السلاطين العلويين خلال الفترة(1757م ـ 1822م). .....,.....,.....220

6 ـ 1 . دور سيدي محمد بن عبد الله وتدخلاته بالرتب (1757م ـ 1790م) 220

6 ـ 2 . تأثير سياسة مولاي سليمان وحملاته في منطقة الرتب (1792م ـ 1822م) 232

الفصل الثاني: أهم التحولات بالرتب بعد السيطرة العطاوية ثم التدخل الاستعماري فيه. 239

1 – عوامل ومراحل تدخل قبائل آيت عطا وسيطرتها على مناطق الرتب. 240

2 – انعكاس سيطرة العطاويين على الرتب ومحيطه زمن السلطان عبد الرحمان بن هشام. 246

3 – ردود فعل السلطان مولاي عبد الرحمان من تطورات الأوضاع بمنطقة الرتب. 260

4ـ الرتب بين الصراع الداخلي والاستهداف الأجنبي. 271

5 – علاقة الرتبيين بالمخزن زمن السلطان الحسن الأول (1872م ـ 1894م). 281

6 – الوضعية العامة بالرتب غداة الاحتلال الفرنسي للمنطقة 1900م ـ 1916م..... 295

6 ـ 1 ـ النشاط الاستخباري والعسكري للفرنسيين وأعوانهم بالرتب. 297

6 ـ 2 ـ نشاط زعماء المقاومة التعبوي والعسكري بالرتب ومحيطه.....304

6 ـ 3 ـ تجليات المقاومة والخضوع للمستعمر بالرتب ما بين سنة 1912م وسنة 1916م. 315

7 – ردود أفعال الرتبيين وتطور علاقاتهم بالمقاومة والمحتلين ما بين 1916م و1956م. 324

7 ـ 1. المرحلة الأولى ما بين 1916م ـ 1919م. 324

7 ـ 2 ـ المرحلة الثانية ما بين 1919م ـ 1956م. 332

الباب الثالث: الحياة الاجتماعية والأنشطة الإنتاجية والخصائص العمرانية بالرتب.....349

الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية وتطوراتها بمجال الرتب. 350

1- نمط حياة سكان الرتب بين الاستقرار والترحال وانعكاساته.....351

2 – علاقات الصراع والتعاون بين قصور الرتب والمجالات المحيطة بها. 361

3 – التنظيم الاجتماعي بقصور الرتب ومؤسساته. 372

4- الرتبيون بين أحكام الشريعة والأعراف القبلية. 382

5 – تجليات الحياة الدينية والفكرية بالرتب. 394

6 ـ أبرز علماء وأولياء الرتب وإسهاماتهم في الحياة الثقافية والفكرية.....402

7 – أهم الزوايا والمزارت بالرتب وتأثيرها في حياة وأوضاع السكان بالمنطقة وخارجها. 440

الفصل الثاني: النظم الانتاجية والعمران بالرتب في المرحلتين الحديثة والمعاصرة. 459

1 – النظم الانتاجية: الأرض، تدبير الماء، المنتوجات.....459

1 – 1- تطورات ملكية الأرض بمنطقة الرتب وخصائصها.....461

1 – 2- قضايا الماء بالرتب وأثره على أوضاع السكان. 474

1 – 3- مظاهر الحياة الانتاجية بالرتب. 468

2- القصر مفهومه وأنواعه بواحة الرتب. 496

2 ـ 1 – التعريف بالقصر والقصبة وأنواع القصور بالرتب. 497

2 ـ 2 – تصميم القصر بالرتب ومكوناته الأساسية. 502

2- 3- المواد الأساسية المستعملة في بناء القصور وأساليبه بالرتب. 504

2 ـ 3 – تعريف بأهم القصور الرتبية وبعض خصائصها.....509

خاتمة. 536

الملاحق.....541
البيبليوغرافيا.....570
الفهارس.....599
فهرس الأعلام البشرية.....600
فهرس الأعلام الطبيعية.....604
فهرس الخرائط.....609
فهرس الخطاطات.....609
فهرس التصاميم والرسوم والمبيانات.....609
فهرس الجداول.....609
فهرس الملاحق.....611
فهرس الموضوعات.....612